متاهة مشاعر

نهى طلبة



متاهة مشاعر

بقلم / نهى طلبة

مشاعر تشاور تودع مسافر   مشاعر تموت وتحيي مشاعر

يادى يادى المشاعر يادى المشاعر

اللى غرب نفسه سافر من آلام المشاعر

واللى نفسه يعيشها تانى هى هى المشاعر

واللى دارى بابتسامة من عينه مر المشاعر

واللى نفسه قصاد حبيبه يبان عليه حبة مشاعر

اللى بيفكر يفارق بس لولا المشاعر

واللى سامح حد جارح راضى ذل المشاعر

واللى إيده فى إيد حبيبه بس مش حاسس مشاعر

واللى راجع بعد لما انتهى وقت المشاعر

كل حاجة ناقصة حاجة وأنت مش جمبى حبيبى

متاهة مشاعر

بقلم / نهى طلبة

الفصل الاول

في تلك الليلة الصيفية الحارة تلألأت حديقة فيلا آل غيث بالأضواء الساطعة, وكأنها تنافس سماء يوليو المغطاة بالآلاف من النجوم.. حيث تعالت ضحكات الحضور.. واختلطت الهمهمات المختلفة.. فهناك من افتتن بألوان باقات الورود المنتشرة في كل مكان داخل وخارج الفيلا, والتي تم استيرادها من هولندا خصيصاً لتلك الليلة الموعودة.. ومن شغل نفسه بتفحص أنواع الأطعمة التي وصلت توآً من أشهر مطاعم باريس وروما... وبالطبع تنافست سيدات الحفل في ارتداء أحدث صيحات الأزياء وأغلى وأندر أنواع المجوهرات.. فكن كإعلان حي عن مدى ثراء أزواجهن, بل كانت الليلة بأكملها تصرخ بمدى الرفاهية التي يعيشها رواد الحفل..

التفت الجميع بانتباه عندما ظهرت نجمة الحفل.. فاتنة حمراء الشعر تتباهى بجمالها الفتان بثوب ناري اللون لا يضاهي جرأة لونه

سوى تصميمه، الذي أظهر بالتصاقه بجسدها منحنياته المثيرة، كما خطفت ساقيها المرمرتين عيون الرجال من تحت تنورته القصيرة جداً.. هذا بدون الكلام عن فتحتي الصدر والظهر اللتان أظهرتا بشرة وردية غاية في النعومة، وتكاد تغطي بلمعتها على تلألأ حبات الألماس المنتشرة على صدر الفستان.. وكانت تلك الحبات ما لفت نظر سيدات الحفل فاختلطت اصواتهن وشهقاتهن عندما تأكدن أن ما يزين الثوب هو حبات من الألماس الحر المطعم.. أحياناً بحبات لؤلؤية صغيرة..

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتي نيرة المطليتين بالحمرة القانية وهي ترى تأثير ظهورها على الحضور.. فتهادت بخيلاء تستمتع بشهقات النساء ونظرات الرجال التي تلتهم جسدها التهاماً.. تعشق الشعور بالتميز والانفراد.. وهذا ما حققته الليلة بارتدائها ذلك الثوب لتحتفل بخطوبتها.. اختيار لم تكن تجرأ عليه إلا.. هي.. "نيرة غيث"..

استمرت في خطواتها المتراقصة والابتسامة معلقة على شفتيها تعبر عن سعادتها الغامرة، وهي بالفعل سعيدة فهي حققت أغلى أحلامها الليلة بعد أن تمت خطبتها على حسن.. حسن حلم طفولتها وصباها.. تحبه، بل تعشقه بكل سنواتها العشرون.. وأخيراً الليلة وضع خاتمه في إصبعها.. أخيراً أصبح خطيباً لها.. ملكاً لها وحدها..

وصلت بخطواتها إلى حسن الذي كان يقف شارداً وكأنه في عالم منفصل تماماً عمن حوله.. وقفت تتأمله للحظات، بطوله المهيب الذي يقارب السبعة أقدام ومنكبيه العريضين وشعره الأسود الحالك، والذي قصه ليكون قصيراً جداً.. فأظهر معالم وجهه التي تنبأ عن رجولة وعنفوان يبرزها عيناه شديدتا الخضرة واللتان كانتا تنظران إليها في برود شديد، لم تهتم هي ببروده وهي تقترب منه وتضع يدها على كتفه ببطء:

ـ حسن.. حبيبي، يلا علشان نرقص أول رقصة..

أجابها بهدوء وهو لم يتخلَ عن بروده:

ـ اتفضلي..

ألقت بنفسها بين ذراعيه بلهفة ليفتتحا الرقص معاً.. ابتعد عنها قليلاً جاعلاً بينهما مسافة مناسبة بينما هي ضمت جسدها إليه أكثر وهي ترفع وجهها الفاتن إليه وتسأله بشغف:

ـ حسن.. أنت مش ناوي تبوسني ولا إيه!!..

أجاب بدهشة:

ـ إيه.. أنتِ بتقولي إيه.. أبوسك إزاي يعني!.. وليه؟!!

ـ أبوة عادي وفيها إيه؟؟.. كل خطيب بيبوس خطيبته في ليلة خطوبتهم.. ده أنت حتى ما بوستنيش وأنت بتلبسني الدبلة!!..

ـ هو أنتِ كماه كنتِ عايزاني أبوسك قدام أبوكِ!!

أهدته نظرة ماكرة:

ـ بس هو مش موجود دلوقتِ

رمقها بذهول للحظات ثم طبع قبلة باردة على جبهتها وابتعد بسرعة:

ـ كويس كده.. مبسوطة؟!

ظهرت معالم خيبة الأمل على وجهها، وهي تسأله بعتاب:

ـ أنت ليه بتعاملني بالطريقة دي؟

زفر بضيق:

ـ نيرة.. أنا آسف، بس أنتِ عارفة الظروف.. وإزاي تمت خطوبتنا.. بس أنا محتاج شوية وقت.

ظهرت معالم غضب عاصف في عينيها أخفتها سريعاً.. ورسمت على وجهها ابتسامة ناعمة:

ـ خلاص يا حبيبي.. بس ممكن تحاول تغير من تعبيرات الاشمئزاز دي من على وشك.. الناس بدأت تاخد بالها..

هز رأسه وهو يكمل الرقص معها في صمت قطعه انتهاء الموسيقى وحضور صديقاتها اللاتي التففن حولها بصخب, فانتهز هو الفرصة ليتحرك مبتعداً إلى ركن منعزل بالحديقة... حيث أخرج هاتفه بسرعة واتصل بالرقم الذي يحفظه عن ظهر قلب.. انتظر قليلاً ولكنه لم يتلق أي إجابة.. اتصل مرة ثانية وثالثة ورابعة.. وأخيراً فتح الخط على الطرف الآخر ولكن لم يكن هناك رد.. فقط أنفاس مضطربة وتنهدات مسموعة.. تبعتها شهقات مختنقة مميزة لأصوات البكاء..

همس بألم:

- منى!!

مرة ثانية لا رد فقط صوت بكاء مكتوم..

عاد يهمس بحزن:

- منى.. الله يخليكِ كفاية بُكى وردي عليا..

أخيراً أجابته بصوت مخنوق:

- مبروك

سألها بلوم:

ـ مبروك!!.. بتباركي لي يا منى؟!!..

ـ حسن..

قاطعها:

ـ بتباركي لي على ايه!!.. على حفلة الخطوبة اللي نفسي اختفي منه فوراً.. ولا على العروسة اللي مش فاكر ولا عارف اقول لها كلمتين على بعض.. تخيلي إني حتى مش فاكر ملامحها... رغم إني أعرفها طول حياتي.. كل اللي متأكد منه إنها مش حبيبتي.. مش أنتِ يا منى..

ازداد بكائها:

ـ حسن.. أنت بتوجعني.. أرجوك.. كفاية..

أخبرها بتوسل:

ـ قوليها.. قولي نعم وأنا هكون قدامك حالاً.

خرج صوتها بصعوبة من وسط شهقاتها:

ـ ما أقدرش يا حسن.. ما اقدرش.. مش ممكن أشجعك أنك تعصى والدك.. واستحالة أوافق أننا نجوز من غير علم اهالينا.. انت ما ترضاش لي بكده..

زفر بحنق:

_ طيب إيه الحل.. إني أكمل في الجوازة دي.. أبعد عنك وأقتل قلبي وقلبك.. ندفن مشاعرنا جوانا.. وأكمل حياتي.. مع إنسانة بعتبرها زي أختي.. وكل ده ليه.. عشان الشراكة بين أبويا وأبوها.. عشان عشرة العمر زي ما أبويا بيقول!!!..

_ حسن.. أنت عارف إن نيرة بتحبك.. كل اللي حوالينا عارفين كده..

ثم تهدج صوتها:

_ حاول.. وهتلاقي قلبك بيميل لها و..

قاطعها بقسوة:

_ أحاول.. أحاول إيه بالظبط.. كان ممكن أقدر أعمل كده.. بس أنت ناسية حاجة مهمة.. إن القلب ده اتملى فعلاً بالحب.. الحب ليكي يا منى.. وأنت دلوقت جاية تطلبي مني أمحي الحب ده.. لا.. وكمان أقتل قلبي.. لأن قلبي من غير حبك ميت يا منى.. ميت..

عاد بكائها يرتفع وهي تهمس:

ـ حـ..ســـ..ن..

وجعه الألم في صوتها.. اخترق قلبه ومزقه تمزيقاً.. يحبها، بل يعشقها.. هي الحلم الذي جاهد لتحقيقه منذ سنوات.. منذ رآها طفلة صغيرة في العاشرة وهو كان فقط في الرابعة عشر.. وقرر.. تلك الصبية ذات الضفائر السوداء الطويلة ستكون لي..

ومر الوقت وكبرت الصبية ونضجت.. وازدادت بهاءً وحسناً ورقة.. العيون السوداء الكحيلة سرقت قلبه.. الجدائل صففت لتظهر خصلات سوداء غاية في النعومة تحتضن وجه غاية في البراءة والنقاء مما سلب لبه.. أرادها كزوجة.. وظن أنه يمكنه تحقيق ذلك.. كانت تلك سذاجة منه.. يستطيع الاعتراف بذلك الآن.. فهو آن ذاك كان فقط شاباً يافعاً في العشرين.. ظن أنه عندما يذهب لوالده ليخبره بأنه وقع في الحب ويريد الزواج من فتاته فإن والده سيبارك ذلك الحب على الفور...

كم كان أحمقاً.. فكيف يقتنع والده السيد "حاتم العدوي" رجل الأعمال الأشهر بتزويج

ابنه الأكبر من ابنة سائقه.. نعم فتاة العيون الكحيلة لم تكن سوى "منى".. ابنة السائق..

"منى.. أنتِ بتاعتي.. هتكوني ليا أنا.. من نصيبي.. هاقنع والدي.. مهما طال الوقت.. هاقنعه"

ذلك ما أخبرها به منذ أربع سنوات.. تخرج خلالهم من كلية الهندسة واتخذ موقعه في شركة" العدوي- غيث".. للمقاولات والإنشاءات.. وطوال تلك السنوات لم ينجح

في اقناع والده بالزواج من منى.. وطوال تلك السنوات لم يكف والده عن محاولات إقناعه بالزواج من نيرة.. "نيرة غيث".. ابنة شريكه وصديقه الحميم.. "عامر غيث"..

نيرة التي لم تكف طوال الفترة الماضية عن إظهار غرامها به واهتمامها المفرط بكل تصرفاته, لن يبالغ لو قال مطاردتها له.. أي رجل غيره كان ليشعر بالغرور من ذلك الاهتمام الواضح.. فنيرة فاتنة بكل معنى الكلمة.. تخطف عين أي رجل ولكن عيونه هو

كانت متعلقة فقط بحبيبته التي لم ير من النساء غيرها.. والتي توسلها لتقبل الزواج به... ويتركا الزمان ليقنع والده

بصحة اختياره، ولكنها رفضت، وما زالت ترفض بعناد أن يتزوجا بدون موافقة والده..

وما يثير السخرية أنها تعتقد الآن أنه يعاقبها لرفضها ذاك بعقد خطبته على نيرة.. لكنها لا تعلم أنه يحاول حمايتها هي وأبيها..

أبوها الذي هدد والده صراحة بطرده من العمل، بل ولمح لما هو أكثر من ذلك إذا لم يمتثل حسن ويوافق على إعلان خطبته من نيرة..

وها هو الليلة ألبس نيرة خاتم الخطبة.. خاضعاً لوالده حتى يحمي حبيبته وعائلتها من بطش والده الذي لم يكن يمزح بتهديده..

ـ حسن..

عاد صوتها الحزين ليخرجه من أفكاره.. فأغمض عينيه بألم:

ـ منى.. أرجوكِ بلاش عناد و...

قطع كلامه صوت نيرة الذي تعالى وهي تبحث عنه..

- حســـــــن.. أنت فين؟

تحرك بخفة حتى لا تلحظ أنه انعزل عن الحفل كي ينفرد بهاتفه، ولكنها كانت لمحته وأدركت بسرعة لماذا اختفى فجأة من أمامها..

همست من بين أسنانها:

"أكيد بيتكلم مع الصعلوكة بتاعته.. حتى مش قادر يستنى لما يروح بيته.. بيكلمها وسط حفلة خطوبتي.. الملعونة.. همحيها من على وش الدنيا عشان أكون الوحيدة في قلبه"

رقت من صوتها وهي تضع به كل ما تملكه غنج ودلال:

- حـــســـن.. حــبــيبي..

دوى صوتها المغناج في أذني حسن وسمعته منى على الناحية الأخرى من الهاتف فشهقت بقوة وأغلقت الخط..

زفر بحسن بضيق والتفت ليتحرك نحو نيرة بهدوء مصطنع، ولكن أعماقه كانت تموج بالغضب.. غضب على الجميع.. على والده لإجباره على تلك الخطبة.. وعلى قيود مجتمعه التي تحرمه ممن عشقها قلبه، وعلى منى نفسها التي ترفض التمرد معه على تلك القيود على النيرة التي وافقت على الخطبة رغم علمها بأن قلبه ملكاً لغيرها، وأخيراً على نفسه لضعفه واستسلامه للجميع..

لذا وبكل الغضب الذي يموج بأعماقه صاح بها:

- أنا هنا يا نيرة.. في إيه؟...

فوجئت بهجومه الحاد، فهو منذ أعلن موافقته على الخطبة وهو يلتزم صمت هادئ.. أحياناً تظنه شارداً عن الواقع ومنعزلاً عنهم جميعاً، ولكنه أبداً لم يكن غاضباً إلا الآن.. أعادت غضبه ذاك إلى محادثته الهاتفية، وتوعدت منى مرة أخرى وأقسمت أن تدفعها الثمن، ولكنها بمهارة

أخفت ما يجول في ذهنها ورسمت ابتسامة حزينة على شفتيها وهي تسأله بعتاب:

ـ طيب بتعليّ صوتك ليه؟.. أنا بدور عليك من مدة, الناس بتسألني عنك ومش عارفة أقول لهم إيه!

شعر حسن بالذنب فور رؤيته الحزن الذي أجادت رسمه على ملامحها, فاقترب منها بهدوء وهمس لها معتذراً:

ـ يظهر إن اعتذاراتي كتير الليلة.. آسف مرة تانية يا نيرة.. بس مش بتحمل جو الحفلات والدوشة دي..

تعرفت نيرة على ملامح الذنب المرتسمة على وجهه وقررت استغلالها على الفور فقزت لتمسك بذراعه وتلصق نفسها به وتسأله بصوت متهدج:

ـ طيب إيه رأيك نسيب الحفله والدوشة دي ونروح على أي حتة هادية؟

هز رأسه موافقاً فقد كان يريد الابتعاد عن الجميع وعنها أيضاً ... إلا أنه لم يتمكن من الهروب من إلحاحها وهي تردد:

ـ يالا بينا.. أنا أعرف حتة مطعم.. تحفة..

تحرك معها وهو يتعجب بداخله من انقياده لها, فهو في العادة لا يكون بذلك الخضوع, تساءل بسخرية في نفسه أيهما سيقود تلك العلاقة؟!!.. فهي تتحكم ومنذ البداية في كل شيء.. لما لا يعترض ويفرض رأيه وشخصيته كرجل؟.. لا يدري.. لقد سلب منه كل اختيار.

ومهما تعالى صوته وتعددت أسبابه ليتمسك برأيه يجد من يقمعه ويحبطه.. لقد سأم.. سأم من كل شيء..

كان يتمنى الهروب من ذلك الحفل بكل ما فيه ومن فيه.. وحده.. وليس برفقة أول من يريد الهروب منهم.. خطيبته الفاتنة..

اعترضت طريقهما صبية صغيرة بعيون رمادية متلألئة وخصلات كستنائية تمردت على تصفيفة الشعر الأنيقة التي صففت بها, فتشعثت

خصلاتها ومنحتها مظهراً طفولياً محبباً فبدت أصغر من سنواتها الأربعة عشر:

ـ نيرة.. هتروحي فين وتسيبي حفلة خطوبتك؟

أجابتها نيرة ببرود:

ـ صبا.. ما تدخليش في اللي مالكيش فيه

تذمرت الفتاة:

ـ بابا هيتضايق قوي.. ما يصحش تسيبي الحفلة من غير ما تبلغيه..

ثم التفتت نحو حسن:

ـ حسن.. قولها أنت.. خروجكم بالطريقة دي ما يصحش.

تنحنح حسن بإحراج وكأن كلام الفتاة الصغيرة لفت انتباهه إلى خطأ ما كان ينتوي فعله, فأجابها بهدوء:

ـ ما تقلقيش يا صبا.. طبعاً أنا كنت هستأذن عمي قبل ما نخرج

قاطعته نيرة بنزق:

ـ إيه!!.. هو احنا لسه أطفال هنستنى الإذن؟!.. أنت ناوي تسمع كلام البنت المفعوصة دي ولا أيه...

همس لها بصوت منخفض:

ـ أختك عندها حق.. ما يصحش

قاطعته بغيظ:

ـ ما تقولش أختك بس.. دي بنت فريدة..

ما إن سمعت صبا اللقب الذي تطلقه عليها نيرة حتى غمغمت معتذرة:

ـ عن إذنكم.. أنا هروح أشوف بابا... جايز يكون محتاجني.

ثم وجهت كلماتها إلى حسن وهي ترمق نيرة بنظرة ذات مغزى:

ـ مبروك يا حسن.. وحظ سعيد.

ثم ابتعدت برشاقة بينما رمقتها نيرة بغيظ:

ـ بنت خبيثة وسخيفة.

اسكتها بحزم:

- وطي صوتك.. ويلا بينا نحيي الناس.. برضوه دول جم هنا عشان يباركوا لنا.. وفعلاً.. ما يصحش نسيب الحفلة ونبعد..

- يعني إيه!.. مش هنخرج سوا؟...

- لأ.. هنأجل الخروج ليوم تاني..

- بكره؟

- خلاص.. ماشي.. بكره.. يلا بينا نسلم على الناس

اختلطا بالفعل وسط المدعوين وتلقى حسن التهنئة بقناع مبتسم رسمه على وجهه.. بينما نيرة كانت في أوج غيظها لضياع فرصة انفرادها بحسن، ولكنها قررت الاستمتاع بما تبقى من الليلة وهي تستعرض خاتمها الماسي والقلادة التي تناسبه، وتتباهى بأن حسن أرسل لشرائهما خصيصاً من باريس

حتى يرضي ذوقها..

كان حسن يسمعها ويبتسم في سخرية، فهو لم يرَ الخاتم والقلادة الا عندما دفعهما والده

في يده حتى يلبسها اياهم.. فهو تقمص دور المتفرج في تلك الخطبة من اول خطوة بها، حتى بذلته الفخمة اشتراها له مازن شقيقه.. الذي اقترب منه في هدوء ليضع يداً مؤازرة على كتفه:

ـ حسن.. حاول تشيل قناع السخرية اللي على وشك ده!

سخر حسن من نفسه:

ـ القناع التاني هيكون قناع الكآبة.. أي واحد يعجبك أكتر؟..

ـ خلاص يا سيدي.. السخرية أرحم من الكآبة

رمق حسن شقيقه الأصغر لثوانٍ:

ـ مش قادر يا مازن.. مش قادر استمر في المهزلة دي

رمقه مازن بنظرة غير مفهومة.. ثم أخبره:

ـ بس هي بتحبك قوي..

أومأ حسن موافقاً:

ـ أيوه.. منى كمان قالت لي نفس الكلام..

صاح مازن بدهشة:

ـ منى!!.. أنت كلمتها؟..

أومأ حسن مرة ثانية:

ـ أيوه.. ولسه مصرة أننا ما نتجوزش إلا بموافقة بابا

ـ يا الله.. معقولة بتحبها للدرجة دي!

ـ بحبها!!.. بحبها دي كلمة بسيطة.. أنا بعشقها بتنفسها.. باعيش لأنها عايشة.. والدك العزيز خيرني بين خطبتي لنيرة وأنه يرمي عم نصر أبو منى في الشارع... لا ده لمح أنه ممكن يلفق له تهمة توديه في داهية هو ومنى.. وأنت فاهم طبعاً بابا كان قصده إيه..

هز مازن رأسه بتفهم:

ـ أيوه.. بس ما اعتقدش إن بابا كان ممكن يتمادى..

قاطعه حسن بألم:

ـ يتمادى!!.. ده في لحظة رفع سماعة التليفون وكان بيتصل بحسام بيه صاحبه.. طبعاً عارف إنه بيقى رئيس مباحث الآداب.. أنت قادر تتخيل كمية القهر اللي حسيت بيها لما استوعبت انه ناوي يدمر سمعة منى.. ما حستش بنفسي إلا وأنا بصرخ له.. أني هسيب منى ومش هتجوزها.. بس هو يوقف الضغط عليا عشان أخطب نيرة.. لأنه أولا وأخيراً هيكون ظلم لها أني أخطبها وقلبي متعلق بغيرها.. لكن أبوك.. قعد يلعب بسماعة التليفون كأنه بيفكرني هو ممكن يعمل إيه..

لقيت نفسي بصرخ وأقول له موافق.. موافق.. وطبعاً هو كان في قمة سعادته بعد ما فرض رأيه عليا واطمن إن الشركة في الحفظ والصون.. طالما نيرة هتكون من نصيبي.. مش مشكلة إن الكل حزين.. الكل تعيس.. المهم إن دايرة الأعمال تدور..

سكت قليلاً ثم ربت على كتف شقيقه:

ـ أنا عندي استعداد أضحي بأي شيء.. بس أخرج من دور العريس السعيد.

ثم ترك أخاه وعاد للاختلاط بالمدعوين يسمع كلماتهم المتناثرة ويرد عليه بما يليق لا يعلم كيف... فهو يشعر كمخدر تماماً..

رمق مازن شقيقه بحسرة وهو يتحرك بقوة الدفع بين الحضور وكأن حزنه على فراق حبيبته يمنحه الطاقة للمضي.. كان يبدو كخيال إنسان.. أو ربما كإنسان آلي يتحرك بدون شعور..

غمغم مازن هامساً:

- مش أنت لوحدك اللي فقدت حبيبتك الليلة يا حسن..

التفت ليلمح نيرة وهي تتألق بثوبها العاري بين المدعوين وهم يرمقونها بنظراتهم النهمة.. مما دفع بطاقة الغضب تجري في عروقه وهو يهمس لنفسه:

"أنا مش فاهم.. إزاي حسن موافق إنها تلبس فستان زي ده, والعيون بتاكلها أكل.. لو كانت خطيبتي.. كنت غطيتها من راسها لصباع رجلها الصغير.. بس لو.. "

لمعت نظراته بتعبيرات عشق خالص.. وهو ينظر إلى نيرة محركاً رأسه برفض لأفكاره المشوشة.

الفصل الثاني

"بعض الحرمان.. كثير من الحزن.. بعض الفراق.. وكثير جداً من البكاء.. قليل من لحظات السعادة.. وكثير جداً جداً جداً من الألم.. إنها الوصفة السحرية لأي قصة حب مستحيلة.. لأي قصة عشق خيالية تدور أحداثها فقط في قلوب العشاق والمحبين.."-

كانت تلك بعض من خواطر خطها حسن بعد انتهاء حفلة خطبته وآوى أخيراً إلى عزلة حجرته.. إلا أن هاتفه ما لبث أن دق مراراً وتكراراً مظهراً على الشاشة اسم نيرة.. ولكنه ببساطة يتجاهله.. ففي كل مرة يسمع رنينه يرفعه بلهفة عاشق لسماع صوت محبوبته, ولكن في كل مرة يصدمه الواقع باسم نيرة..

فقرر تجاهل الهاتف واستمر في كتابه أفكاره وخواطره.. عله يصدر بعض من الحزن الذي يعصف به إلى الورق..

أخرجه من اندماجه صوت طرقات على باب حجرته وما لبث أن دلف مازن إلى الغرفة وهو يصيح بدهشة بعدما رأى حسن جالساً على مكتبه:

ـ حسن!!.. أنت لسه صاحي!

رمقه حسن بسخرية:

ـ لا.. نمت!.. أنت شايف إيه؟!

هز مازن رأسه بأسى:

ـ أنت لسه برضوه لابس قناع السخرية دا؟

ـ ما تشغلش دماغك بيا.. كنت عاوز حاجة؟..

خبط مازن يده على رأسه:

ـ آآخ.. كنت هنسى!

ثم دفع إليه هاتفه قائلاً:

ـ نيرة بتحاول تتصل بيك بقى لها مدة.. يظهر إن تليفونك فاصل شحن.

أمسك حسن هاتف مازن في يده للحظات قبل أن يرفعه إلى أذنه:

ـ مساء الخير يا نيرة..

انطلق صوتها مرتفعاً من الناحية الأخرى:

ـ حسن.. أنت فين؟ ليه مش بترد عليا؟..
أنت كنت بتعمل إيه؟

وصل صوتها المرتفع إلى مازن الذي استئذن ليخرج من الغرفة وهو يغلق الباب خلفه بهدوء, ويخفي وجهه الذي ارتسمت عليه أقسى معالم المعاناة والألم.. بينما زفر حسن بحنق:

ـ نيرة.. أنتِ عارفة الساعة كام الوقتي؟..
ازاي تتصلي على تليفون مازن في وقت زي ده؟
الساعة عدت واحدة؟

سألته بلهفة:

ـ أنت بتغير عليّ يا حبيبي؟

أجابها بهدوء:

ـ أغير إيه وبتاع ايه!.. هغير من أخويا!!.. أنا بتكلم عن الأصول

كادت أن تصرح له بعشق مازن لها.. عشقه المرتسم في نظراته.. في مراقبته لها.. في صوته.. في كل تصرفاته نحوها... ولكنها عنيدة لا تريد إلا صعب المنال.. حسن.. فلم يخلق بعد من يرفض نيرة غيث.. كانت بالفعل على وشك إبلاغه بذلك العشق, الذي لا تعلم كيف لم يتعرف عليه ولكنها تراجعت.. إنها لم تمتلكه بعد.. لا تملك السيطرة الكافية عليه حتى تحاول إبعاده عن شقيقه.. لم يحن الوقت بعد.. غيرت من أسلوبها وسألته:

ـ ما قولتليش إيه رأيك في فستاني الليلة؟ حلو ومختلف صح؟

فوجئ حسن بالسؤال.. فستان!!!.. أي فستان هذا الذي تسأل عنه.. كيف يجيب على هذا السؤال؟!!.. فهو بالفعل لا يتذكر الفستان.. لا يتذكر تصميمه أو شكله.. ولا حتى لونه.. حاول.. وحاول.. جاهد ليتذكر كيف كانت تبدو ولكن لا شيء.. لم يمر في ذهنه إلا وجه منى.. وصوت شهقاتها الحزينة..

لم يعرف بم يجيبها.. فأنهى المكالمة بسرعة:

ـ آسف يا نيرة أنا مضطر أقفل لأن مازن محتاج تليفونه وأنا كمان مرهق وهنام تصبحي على خير.

أغلق الخط بسرعة مدركاً أنه أثار غضبها بذلك.. لكن قدرته على التحمل قد انتهت ولن يستطيع مجاراتها في لعبة الخطيبين السعيدين... وهي أول من تدرك أنها لعبة.. تدرك طبيعة مشاعره نحوها.. وتعلم تماماً

أنه عاشق لأخرى.. ولكنها رفضت التراجع.. أبت مساعدته بعد أن ذهب إليها يتوسل مساعدتها...

عاد بذاكرته لأسبوع مضى.. سبعة أيام فقط .. غيرت من حياته..

كان يومها في مكتب والده يحاول كعادته إقناعه بفكرة زواجه من منى.. بينما والده يعدد له مزايا الزواج من نيرة.. وعندما لاحظ عامر عزوف حسن الكلي عن نيرة, ألقى بورقته الأخيرة.. وكان التهديد بطرد نصر والد

منى.. بل لم يكتفِ بذلك ولكنه لمح الى تلويث سمعة منى.. وتدبير تهمة تمسها وتمس شرفها.. وأبلغه أنه حدد موعد خطبته على نيرة بالفعل.. وحذرة من مخالفة أوامره

لقد صعق حسن من فداحة ما وصل إليه تفكير والده، بل وتحديده موعد خطبته بالفعل وإبلاغه به كأنه شيء لا يخصه.. فأدرك أن الأمر قد خرج عن السيطرة.. والحديث مع والده لن يؤدي إلا إلى أسوأ النتائج.. فتركه غاضباً مقهوراً بعدما اضطر أن يوافق مرغماً على الخطبة..

فكر يومها أنه إذا صارح نيرة بحقيقة الوضع وطبيعة مشاعره نحوها، فإنها ستساعده في إقناع والديهما بعدم جدوى ذلك الارتباط...

ضغط أزرار هاتفه ليتصل بنيرة:

ـ نيرة.. مساء الخير.. أنا حسن..

هتفت بسعادة على الجانب الآخر:

ـ حسن!!.. يااااااااه.. أخيراااا.. أنت اللي اتصلت بيا

ـ اممم.. نيرة ممكن أشوفك دلوقتي؟

هتفت بلهفة:

ـ طبعاً.. أنا في الفيلا.. هستناك

كانت بالطبع تعلم أنه يريد أن يتنصل من الخطبة حتى يتفرغ لحبه الأبله لابنة السائق.. هل يظنها عمياء ولا ترى نظراته التي تنطق بالحب عندما ينظر إلى منى.. أو صوته الذي يرتعش بعشقه عندما ينطق اسمها!.. ولكنها لن تمنحه الفرصة للهروب من الارتباط بها.. فذلك الارتباط بينهما شيء مقدر.. وهي متأكدة أنه ما إن يمتلك جمالها.. ويشعر بأنوثتها بين يديه سينسى كل ما في ذهنه عن ابنة السائق..

وصل إليها بأسرع ما يمكنه، فوجدها بانتظاره في حديقة منزلها ترتدي بنطلون جينز يلتصق بها وكأنه جلد ثانٍ لها.. بينما كشفت

الفتحة الواسعة لبلوزتها عن أحد كتفيها الذي لمع تحت خصلاتها الحمراء الناعمة..

ما إن وضع قدمه في حديقة الفيلا حتى وجدها تسرع إليه مرحبة:

ـ حسن.. أنا مش مصدقة عينيا.. معقول أنت هنا قدامي!!.. أكيد أونكل عامر بلغك بميعاد الخطوبة.. تصدق الأسبوع الجاي.. بسرعة كده.. أنا مش عارفة إذا كنت هلحق أجهز نفسي في الوقت المناسب.. أنا بعت فعلا عشان أطلب الفستان.. و..

قاطع حسن استرسالها في الكلام:

ـ نيرة.. لحظة.. لحظة..

تنهدت بقوة:

ـ آسفة.. الكلام أخدني من فرحتي يا حبيبي.. ونسيت أرحب بيك.. اتفضل.. اتفضل استريح..

واصطحبته إلى مائدة مستديرة تقع بجوار المسبح الدائري.. والمظلل ليخفي من بداخله عن العيون المتلصصة.. ويفصله حاجز زجاجي عن حديقة الفيلا الرائعة...

جلسا معاً حول المائدة وساد الصمت للحظات.. ثم أجلى حسن صوته وبدأ في الكلام:

ـ نيرة.. اممم.. بص.. أنا مش عارف أبدأ الكلام منين.. بس واضح أنك عرفتِ أنه والدك ووالدي حددوا ميعاد الخطوبة..

اندفعت نيرة في الكلام مرة أخرى:

ـ أيوه.. بابي بلغني.. و..

قاطع كلماتها وهو يحاول إفهامها ما يريد قوله:

ـ اسمعيني بس يا نيرة.. أنا لازم أتكلم معاكِ في موضوع مهم..

تجمدت ملامح نيرة تماماً وقد أدركت أن محاولتها لإلهائه عن سبب حضوره والذي تدركه هي جيداً قد فشلت.. فسألته بحذر:

ـ إيه؟!.. خير؟.. في ترتيبات معينة في دماغك؟.. أصحابك أعزمهم أنت براحتك.. و..

عاد لمقاطعتها بنفاذ صبر:

ـ نيرة.. من فضلك.. اسمعيني..

رمقته بحذر:

ـ إيه يا حسن؟.. أنت خوفتني

تردد قليلاً يحاول إيجاد طريقة مهذبة ليخبرها أنه لا يريد الارتباط بها, ولكن هربت منه الكلمات ليجدها تخرج أفكاره في صورة كلمات أطلقتها في وجه بمنتهى السهولة:

ـ أنا عارفة.. أنت جاي ليه الوقتي!

فوجيء بكلماتها وردد بذهول:

ـ عارفة؟!!..

نهضت فجأة لتقف على قدميها وهي تخبره ببساطة:

ـ أيوه.. أنا بس ما كنتش عايزة أتكلم في الموضوع.. بس مادام ده هيريحك.. خلاص وماله.. نتكلم.. أنا عارفة أنك جاي تصارحني بعلاقتك بـــمنى!

لم تمهله ليجب واندفعت كلماتها:

ـ ما تقلقش يا حبيبي.. أنا مش زعلانة منك..

أنا فاهمة طبعاً إن كل شاب بيكون في حياته نزوات وعلاقات عابرة قبل ما يتجوز ويستقر..

صرخ بها وقد فاض به الكيل من وضعها الكلمات في فمه:

ـ بس منى لا هي نزوة ولا علاقة عابرة.. منى تبقى بالنسبة لي حاجة كبيرة وغالية قوي.. وده اللي بحاول أقوله لك.. أنا مش عايز أظلمك يا نيرة..

سألته بتحدي:

ـ تظلمني!!.. يعني إيه..

عاد ليتكلم بنبرة أهدأ:

ـ الوضع اللي إحنا فيه ظلم للكل.. أنا عاوزك تساعديني إننا نقنع والدي ووالدك باستحالة الارتباط بينا..

رفعت نيرة رأسها بشموخ:

ـ استحالة ارتباط ايه.. إيه الكلام الفارغ ده.. الخطوبة الأسبوع الجاي وأنت جاي تقولي

استحالة ارتباط.. كل ده عشان حتة السنكوحة اللي أنت ماشي معاها..

ـ نيرة.. أنا ما اسمحلكيش..

قاطعته:

ـ ما تسمحليش.. ما تسمحليش بإيه.. أني أصارحك بالحقيقة.. أنه كل اللي في دماغك ناحية منى ده وهم ولازم تنساه..

اقتربت منه بجرأة وهي تمسد وجنته بظاهر يدها:

ـ أنا هنسيك.. هنسيك كل حاجة.. حبي ليك هيعوضك وهنعدي الأزمة دي..

وأضافت بنبرة ذات مغزى:

ـ ولا أنت عارف أونكل عامر زعله وحش قوي..

صدمته الجملة.. وشلت تفكيره للحظات.. حاول أن يتبين من ملامحها إذا كانت تقصد ما فهمه.. أنها مشتركة مع والده في مؤامرة لإجباره على ترك منى والارتباط بها هي.. ولكنه لم يستطع فك شفرة ملامحها التي كانت

ترسم ملامح عشق جارف موجه له وحده

ولكن نظرات عينيها كانت تنطق بتحدي سافر،

وتملك واضح وكأنها تحاول إخباره انه

ملكها وهي لن تتنازل عنه...

أعاده للواقع.. الصوت المنبعث من هاتفه

ينبئ عن وصول رسالة.. فتناول هاتفه بلهفة

ليجد رسالة من منى..

"تصبح على خير.. لا اله الا الله"..

زفر براحة أنها لم تنسَ عادتهما اليومية..

لم تتخلى عنه بعد..

ضغط بضعة أزرار ليرسل لها الرد المعتاد..

"احلمي بيا يا ملاكي زي ما بحلم بيكي ليل

ونهار".. وأردف برسالة أخرى

"محمد رسول الله"...

وانطلقت من صدره آهه ألم..

"آه يا منى لو تطاوعيني.. أنا هصبر بس لحد

ما تخلصي كليتك.. ووقتها ما فيش حاجة

هتمنعني عنك.. ولا حتى تهديدات عامر بيه..

حتى لو أخدتك وهربنا لأبعد مكان في الأرض"

****

تهادت نيرة في أروقة أحد أشهر نوادي القاهرة ترافقها صديقتها الوحيدة علياء.. وبدا أن الاثنتين تجتذبان أنظار الموجودين بشدة.. فنيرة بخطواتها الرشيقة الواثقة التي تستعرض روعة وكمال قدها الممشوق، والذي أظهره الرداء المخصص لرياضة التنس.. بتنورته البيضاء القصيرة جداً لتظهر رشاقة ساقيها الطويلتين، وجزئه العلوي الذي احتضن جسدها بشدة ليظهر تفاصيله كاملة للعيون التي أخذت تلتهم ذلك الجمال الذي يعلن عن نفسه بوضوح وتركت خصلاتها الحمراء للتطاير حول وجهها لتمنحها جمالاً وحشياً متفرداً.. على العكس من علياء التي تمتلك جمال ناعم وهادئ.. جمال حزين تشبه أميرة الثلج بشعرها الأسود الطويل وبشرتها البيضاء الناعمة وعينين حزينتين بلون السماء.. لم تمتلك علياء ثقة نيرة بنفسها، ولكنها كانت تحاول مجاراتها في جرأة ملابسها فارتدت علياء بنطلون جينز أسود التصق بساقيها بشدة _حتى يبدو وكأنه

تم إلصاقه عليهما_ وقميص ضيق أحمر اللون يغطي خصرها بالكاد..

سألت علياء بتردد:

ـ نيرة.. أنت مش مضايقة ولا مكسوفة من النظرات اللي بتاكلك أكل دي..

زفرت نيرة بحنق:

ـ وبعدين معاكي بقى يا عليا.. أنا ما صدقت أنك اقتنعت تغيري ستايل لبسك.. وسيبتي اللبس العجيب اللي كنتِ مصرة عليه قبل كده..

إيه لازمة الكلام ده دلوقتي؟.. وبعدين مش أنتِ عايزة حبيب القلب ياخد باله منك؟.. يبقى لازم تلبسي كده.. ما هو مش معقول هيبص لخيمة ما فيهاش أي أنوثة!!

ـ خلاص.. خلاص يا نوني.. أنا آسفة.. بس كل ما أفكر أن أعمامي لو شافوني باللبس ده هيعملوا فيه إيه.. ركبي ترعش..

قاطعتها نيرة:

ـ أعمامك مين يا عليا؟!!.. دول ما صدقوا يرموا همك على أونكل عصام جوز مامتك

الله يرحمها.. صحيح.. أنتِ عاملة إيه مع تانت سهام.. لسه برضوه مش طايقاكِ؟..

أجابتها علياء بألم:

ـ ما أنتِ عارفة يا نوني.. أنها مش ممكن تحبني.. دي حتى كل ما تشوفني تقولي إني بفكرها بـماما الله يرحمها.. وترص لي بقى القصيدة اللي أنتِ عارفاها.. خطافة الرجالة.. خرابة البيوت.. وكلام من ده.. عشان كده أنا بفضل أقضي معظم الوقت في المزرعة.. عند جدو.. أقصد يعني.. أبو عمو عصام.. ولولا كده.. كانت طردتني من زمان.. وخاصة أنها واخدة بالها إني.. إني..

قاطعتها نيرة:

ـ إنك بتحبي المحروس ابنها.. البشمهندس يزيد بيه الغمراوي..

ـ أنت بتتريقي عليا يا نيرة؟

تأبطت نيرة ذراعها وهي تخبرها بمداهنة:

ـ لا يا حبي.. مش بتريق ولا حاجة.. هي صحيح قصة حبك دي ملعبكة.. يعني موقفك صعب شويتين.. هي مش ممكن هتنسى أنك تبقي بنت الست اللي اتجوزت جوزها.. بعد عشرة 20سنة.. موقف صعب مش سهل..

تنهدت علياء بيأس:

ـ أنت ناسية أهم حاجة.. أنه مش معبرني نهائي.. ولا كأني موجودة.. وأما بيجي يكلمني بيكون كل كلامه مجموعة من المحاضرات على اللي يصح واللي ما يصحش.. ويكملها بشوية تعليمات ونصايح.. وغير ده كله.. خطيبته الآنسة المبجلة.. ريناد.. بنت خالته.. ده بيموت عليها يا نوني.. وأنا..

كادت أن تختنق بغصتها.. فسكتت قليلاً ثم أكملت:

ـ وأنا.. انا بموت كل ما اشوفه معاها.. وهي حاطة ايدها في ايده كأنها بتقولي ده بتاعي.. وعمره ما هيبصلك أبداً..

قربت نيرة رأسها من علياء وهي تسألها باهتمام:

ـ أنت بتعملي زي ما بقولك ولا لأ؟..

ترددت علياء:

ـ ما هو أصل..

صاحت بها نيرة بغضب:

ـ اصل إيه وفصل إيه.. اسمعي كلامي أحسن لك لو عايزة سي يزيد بتاعك ده يبص لك.. وإلا هتلاقي نفسك بتحضري فرحه زي ما حضرتِ خطوبته ودمعتك على خدك..

ـ يا نيرة.. صعب.. صعب علي قوي أني أقرب منه أو إني.. إني..

رفعت نيرة احد حاجبيها وهي تسألها:

ـ أنك تغويه.. لا يا عليا مش صعب.. خليكي بس لازقة فيه في كل حتة.. لاحقيه.. خليكي قدام عينيه على طول.. وفي اللحظة المناسبة اضربي ضربتك.. ومش هوصيكي على اللبس والميك آب وكده..

هزت علياء رأسها بخوف:

ـ خايفة يا نوني.. خايفة..

ـ أنتِ بس خايفة عشان أنتِ لسه صغيرة.. أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة.. وأنا أكبر منك بتلات سنين.. يعني أعرف حاجات وحاجات.. خليكي بس معايا وأنت تكسبي..

ـ أيوه يا نوني.. بس هو بيحب ريناد.. بيحبها قوي.. معقولة أني أقدر.. يعني أقدر أقرب منه وهو..

قاطعتها نيرة:

ـ أيوه تقدري.. أغلبيه بأنوثتك.. شوفتي إزاي أنا قدرت اخلي حسن يخطبني.. رغم إنه كان بيحب اللي اسمها منى دي.. المهم أنك تعرفي تلعبي بورقك صح..

ـ يا رب يا نيرة.. يا رب يحبني ربع ما أنا بحبه.. أنا راضية..

اكملا سيرهما وثرثرتهما معاً حتى سألت علياء:

ـ ما قولتيليش إيه أخبار حسن معاكي..

تغير وجه نيرة للحظات وهي تشرد في علاقتها بحسن أو بمعنى أصح انعدام علاقتها بحسن.. فهو يتجاهلها أو يتناساها منذ ليلة خطوبتهما، والتي مر عليها أسبوع كامل لم تره فيه ولو مرة وتعذره دائماً بكثرة العمل والمسئوليات.. حتى المكالمات الهاتفية.. تكاد تكون منعدمة.. ودائماً ما تكون هي المتصلة ولا تتعدى مدة المكالمة دقيقتين في أحسن الأحوال.. ولكنها لن تخبر علياء بذلك بالطبع.. فهي بغنى عن أي شماتة.. ليس أن علياء تكرهها، هي تحبها ومرتبطة بها

بشدة.. تتبعها كالتابع المخلص.. إنها صديقتها الوحيدة.. رغم فارق السن بينهما لكنها الوحيدة التي تثق بها، نيرة وتحكي لها أدق أسرارها، لعل فارق السن ذاك هو ما جذب نيرة لإقامة صداقة مع علياء.. فعندما تعرفت عليها كانت علياء فتاة خجولة منطوية تخشى الاندماج مع الناس.. هذا بخلاف ملابسها التي تشبه خيام الشاطئ.. لا تدري نيرة كيف قررت أن تتبنى علياء اجتماعياً وتتولى نصحها وإرشادها لتندمج في المجتمع الجديد عليها تماماً.. فهي كانت تقضي معظم

وقتها في مزرعة الغمرواي.. ونادراً ما يسمح لها بالحضور إلي فيلا زوج والدتها بالقاهرة.. وذلك بالطبع بناء على رغبة سهام هانم الزوجة الأولى لعصام الغمرواي.. زوج والدة علياء.. والتي توفيت بعد زواجها من عصام بعام واحد.. تاركة ابنتها الوحيدة كأمانة في عنق عصام.. وذلك بناء على وصيتها التي أسرتها لعصام قبل وفاتها.. فأعمام علياء لا يبحثون سوى عن ميراثها من الأراضي الزراعية التي تركها لها والدها.. لذلك كانوا يتحينون الفرص ليضعوا أيديهم عليها؛ حتى

عن طريق تزويج الفتاة التي لم تكن بلغت حينها الرابعة عشر إلى أحد أولاد عمومتها.. وهو الأمر الذي عارضه عصام بشدة.. واضطر أن يترك ميراث الفتاة تحت أيدي أعمامها مقابل السماح له برعايتها وتركها لتكمل تعليمها.. لكن ذلك لم يلقى استحسان سهام الزوجة الأولى لعصام, والتي قبلت على مضض زواجه المفاجئ من والدة علياء واعتبرته نزوة سرعان ما تزول.. وبالفعل زالت بعد وفاة نادية والدة علياء.. تاركة الفتاة الصغيرة التي قررت على الفور

سهام نفيها إلى مزرعتهم لتعيش مع والدَي عصام.. لذا عندما تعرفت نيرة على علياء.. كانت الفتاة تستجدي الاهتمام والمواساة.. كما أن جمالها من النوع الحزين والهادئ والذي لن يؤثر على جمال نيرة الصارخ، بل وجودهما معاً يبرز وحشية جمال نيرة مقابل الجمال الحزين التي تمثله علياء.. وتحولت علياء إلى تابع مخلص أمين لنيرة تستمع لنصائحها وتنفذها بالحرف.. فغيرت من مظهرها وطريقة لبسها.. وعلمتها كيف تصبح سيدة مجتمع صغيرة.. كيف تلفت انتباه أي شاب ينال إعجابها بدون أن تمنحه أي وعد، لكن الشيء الوحيد الذي لم تستطع نيرة تغييره هو شعر علياء فكان منطقة محظورة ممنوع اقتراب المقص منه نهائياً بناء لوعد منحته علياء لأمها.. وعوضت نيرة ذلك بأن رسمت لها الخطط حتى توقع بيزيد.. ابن زوج والدتها.. لكن إلى الآن تلك الخطط لم تفلح سوى في إبعاد يزيد أكثر وأكثر...

خرجت نيرة من شرودها على صوت علياء:

ـ هااااااه.. إيه يا بنتي.. روحتي مني فين؟.. آه على الحب وعمايله.. واضح إن حسن دايب فيكي وبقى زي الخاتم في صوابعك

ضحكت نيرة بتكلف:

ـ طبعا يا بنتي.. وهي بنت السواق دي تيجي جنبي حاجة.. يللا بينا نروح المطعم.. لأني مواعدة حسن هناك..

ولكنها كانت تكذب بالطبع فهي علمت بالصدفة بوجود حسن في النادي ليتناول الغذاء مع شقيقه مازن ويزيد صديقهما الحميم... وقررت أن تباغته بظهورها المفاجئ لتجبره على الاعتراف بها في حياته.. وممارسة دوره كخطيب فخور للفاتنة نيرة غيث..

****

جلس الأصدقاء الثلاثة حول إحدى موائد المطعم الملحق بالنادي الشهير.. فجذبوا أنظار الجميع وخاصة النساء.. فكل واحد منهم يتميز بوسامة مميزة.. حسن بلون عينيه الزمردي النادر الذي تحسده عليه النساء.. ومازن بملامحه المنحوتة كأحد آلهة

الأغريق.. ويزيد أكبرهم سناً وأكثرهم جذباً للأنظار بعينيه السوداوين التي تموج بالشقاوة والعبث وشعره الأسود الحالك.. وبشرته السمراء الجذابة.. كانوا اعتادوا على الالتقاء بانتظام.. ولكن ظروف العمل ومسئولياته جعلت أوقات لقاءهم تتباعد أكثر وأكثر..

حتى أن يزيد لم يستطع حضور خطبة حسن لارتباطه بالسفر للخارج.. فقام بدعوة صديقيه على الغذاء كتعويض عن تقصيره في حقهما..

ربت يزيد على كتف حسن مهنئاً:

ـ ألف مبروك يا معلم.. عقبال الفرح والليلة الكبيرة بقى..

ابتسم حسن ابتسامة بلا معنى وهو يجيب صديقه:

ـ أنت مصدق نفسك يا يزيد.. لا وعاملي عزومة وغدا.. وأنت عارف اللي فيها..

تبادل يزيد النظرات مع مازن الذي أشار له خفية بتغيير الموضوع... فأطلق ضحكة مُحرجة وهو يتوجه بحديثه إلى مازن:

ـ وأنت بقى ناوي تقعد كده.. عايز تبقى أنت السنجل الوحيد اللي فينا.. يلا شد حيلك كده.. عشان نفرح فيك.. أقصد بيك أنت كمان..

ابتسم مازن بمرارة وهو يقول بسخرية:

ـ يلا يا سيدي إيدي على كتفك.. عندك عروسة لي.. بيتهيألي ريناد ما عندهاش أخوات بنات..

ابتسم يزيد بحنان:

ـ أساساً ريناد ما فيش منها اتنين.. هي ريناد واحدة بس..

ثم أردف بعبث:

ـ بس أنت بس شاور.. وهتلاقي البنات بتترص قدامك طوابير.. أنا فاكر أنهم كانوا أيام الكلية بيطنشوني أنا وحسن ويموتوا عليك أنت..

ضحك مازن:

ـ أيوه يا سيدي قر بقى.. ما تسيبني سينجل ومرتاح.. هو القر دا اللي جايبني ورا

دخلت نيرة بصحبة علياء في تلك اللحظة ولمحهما حسن من بعيد.. فقال بسخرية:

ـ خلاص يا مازن عروستك جت أهي..

تبع مازن نظرات حسن فالتقت نظراته بنظرات نيرة فشحبت ملامحه على الفور ولم يفهم ما يعنيه حسن.. فسأله بتوتر:

ـ عروسة.. عروسة مين دي.. قصدك أيه يا حسن؟..

أشار حسن بعينيه نحو الفتاتين:

ـ اقصد علياء.. وكده يبقى زيتنا في دقيقنا زي ما بيقولوا..

جاء الدور على يزيد لتشحب ملامحه قليلاً وهو يقول بجدية:

_ علياء إيه يا حسن.. إيه الكلام الفارغ ده.. دي لسه عيلة صغيرة.. خلي بس نيرة تبعد عنها وتبطل لعب في دماغها..

التفت مازن بدهشة إلى ملامح يزيد التي زادت انقباضها بعد رؤيته لما ترتديه علياء.. والعيون التي ترمق جسدها الشاب بنهم.. وسمعه يغمغم بغضب:

_ ماشي يا علياء.. حسابك بعدين.. أنا هعرفك ازاي تلبسي لبس زي ده تاني..

زادت دهشة مازن عند سماعه تلك الجملة.. وهز رأسه حائراً

"أرسى لك على بر يا صاحبي.. أنت عايز مين فيهم.. ريناد ولا علياء"؟..

سمع يزيد همس مازن لنفسه فقطب غاضباً:

_ مازن... أنت بتقول أيه.. أنا..

قاطعه مازن:

_ أنت مش عارف أنت عايز إيه..

أجاب يزيد بإصرار:

ـ ريناد طبعاً..

سأله مازن مشككاً:

ـ متأكد؟..

أشاح يزيد بنظره بعيداً وهو يجيب بخفوت:

ـ أيوه..

قاطع حسن حديثهما:

ـ أنتوا بتوشوشوا على إيه؟.. أنت صدقت بجد يا مازن وهتخطب علياء ولا إيه؟..

أجاب يزيد بخشونة:

ـ خلاص يا حسن.. أقفل الموضوع ده.. البت جاية ومش لازم تسمع كلام زي ده.. زي ما قلت دي لسه طفلة..

اقتربت الفتاتان.. منهم وهنا انقلبت ملامح مازن وهو يرى ملابس نيرة وانتظر أي تعليق من حسن ولكنه بدلاً من ذلك سمع صوت يزيد وهو يصيح بعلياء:

ـ أيه اللي أنت لابساه ده يا هانم.. اتفضلي قدامي على البيت.. خليني أروحك بدل المسخرة دي اللي أنت عاملاها في نفسك..

واستأذن منهم وهو يسحب علياء من ذراعها بدون حتى أن يلقي التحية على نيرة أو يهنئها بالخطبة.. فهز مازن رأسه هازئاً..

ـ وبتقولي متأكد من اللي أنت عاوزه..

سأله حسن مستفهما عما يقصد.. فاعتذر مازن وانطلق هو الآخر راحلاً.. تاركاً حسن بصحبة نيرة..

الفصل الثالث

انطلق يزيد بسيارته بسرعة تنم عن غضبه الشديد, بينما التزمت علياء الصمت وقد شعرت بالتوتر الشديد وهي تلمح يديه تشتد على المقود في محاولة منه للتحكم بغضبه...

انتفضت بقوة عندما سمعت صوته يقول بغضب مكتوم:

_ كم مرة قلت لك تاخدي بالك من طريقة لبسك؟

سكتت علياء وأخذت تفرك يديها معاً بتوتر فصرخ بها:

_ ردي..

تلعثمت بشدة وهي تحاول الدفاع عن نفسها:

_ بس أنا لبسي محترم.. مش قصير ولا مكشوف

_ علياء.. أنتِ فاهمة إني غبي.. ولا عايزة تستغبيني..

ـ لا.. بس..

ـ من غير بس.. اللبس اللي أنتِ لابسة ده ما يتلبسش تاني.. اللبس المحترم يستر صاحبته مش يخلي عيون الخلق تنهش فيها..

مفهوم..

سكتت ولم ترد فأكمل هو مغلقا الموضوع:

ـ انتهينا.. بطلي تمشي ورا نيرة.. أنا مش فاهم إيه اللي عجبك فيها؟..

كادت أن تصرخ به..

"لأنها الوحيدة اللي بتهتم بيا.. الوحيدة اللي بتسمعني وتساعدني من غير ما تحسسني إني حمل تقيل، أو انسانة غير مرغوب في وجودها"..

كانت الكلمات على لسانها ولكنها ابتلعتها كالعادة حتى لا تغضبه.. فهي لا تحتمل أن يكون على خلاف معها..

سمعته يسألها:

ـ وصلتِ امتى؟..

ـ النهارده الصبح بدري..

وأكملت وكأنها تبرر سبب حضورها من المزرعة:

ـ جيت علشان أقدم في مكتب التنسيق.. النهارده آخر يوم..

سألها بتأنيب:

ـ وأنتِ ايه اللي مأخرك لآخر يوم؟.. هو أنا مش بعت لك السواق من يومين ورجعتيه من غير ما تيجي معاه بحجة إنك لسه بتفكري..

رمقته بذهول.. فلم يحدث أي من هذا على الإطلاق.. وهل هي مجنونة لتفوت فرصة القدوم إلى الفيلا لتراه حتى ولو خمس دقائق..

لمح ذهول نظراتها فسألها بتشكك:

ـ ايه.. حصل ده ولا محصلش؟..

أدارت وجهها نحو النافذة ولم تجبه.. فهي إن أخبرته أن أي من هذا لم يحدث ستتسبب الأذى للسائق المسكين, فمن المؤكد أن من أمره بعدم الحضور سهام هانم.. والرجل لن يستطيع مخالفة أوامرها...

كانت تلك الأفكار تدور أيضاً في رأس يزيد.. لذا سألها بخفوت:

ـ مين جابك النهارده؟..

التفتت له وهي تجيب في خفوت:

ـ نيرة.. مرت علي في المزرعة.. وأخدتني مكتب التنسيق.. وبعدين طلعنا على النادي..

زفر بغيظ:

ـ نيرة تاني !!

استاءت من ازدرائه لصديقتها فهتفت بغيظ:

ـ وإيه يعني.. هو يعني كان في حد غيرها اهتم بيا ولا عبرني..

وضعت يدها على شفتيها لتكتم باقي كلماتها.. فهي لا تريد الشكوى.. لن تطلب الاهتمام من عائلة عصام الغمراوي.. لن تكون مثيرة للشفقة أبداً... فهي أدركت منذ سنوات أنها لا تمتلك أي حقوق في ذلك المنزل.. فقط عليها أن تتلقى فتات الاهتمام التي يلقون بها إليها وتكون شاكرة على ذلك.. ولا تجرؤ على

الشكوى حتى لا تكتسب عداوة سهام.. فهي عدو شرس.. لا ترغب في إثارته أبداً..

مر يزيد كلماتها فهو يعلم أنه لن يستطيع تغيير قلب أمه نحوها وسألها بتقرير:

- كتبتِ فنون جميلة رغبة أولى, صح؟

هزت رأسها نفياً واجابت بصوت مكتوم:

- لا.. كتبت آداب..

التفت اليها بدهشة:

- إيه!!!.. آداب.. ليه.. واللوحات والتصميمات اللي مليتي بيهم المزرعة دول إيه؟؟..

أدارت وجهها مرة أخرى نحو النافذة حتى تخفي الدموع التي ترقرقت في عينيها:

- آداب أفضل.. مش هكون مضطرة إني آجي من المزرعة يومياً.. ممكن مرة أو اتنين في الشهر لكن فنون جميلة.. لازم الحضور كل يوم.. وده هيكون مجهود كبير.. و..

قاطعها بغضب:

_ إيه الكلام الفارغ ده.. مجهود إيه وحضور إيه.. ما هو أنتِ طبيعي هتقعدي عندنا في الفيلا.. إيه اللي يخليكي ترجعي المزرعة؟

التفتت له بسرعة فلمح العبرات المتجمدة بعينيها.. فأعادت وجهها سريعاً نحو النافذة تتأمل الناس خارج السيارة.. كم واحد منهم استطاع تحقيق حلمه.. وكم منهم وأد حلمه في مهده مثلها.. فالمكالمة التحذيرية من سهام هانم والتي تلقتها وهي في طريقها الى مكتب التنسيق _بعدما أخبرها جواسيسها في المزرعة بالطبع بوصول نيرة حتى تصطحب عليا وتقدم أوراقها_ ما زالت كلماتها ترن في اذنيها..

"اختاري أي كلية نظرية لو ليكي رغبة تكملي في الجامعة.. أنتِ عارفة إني مش هقبل وجودك في بيتي, فما تفرضيش نفسك عليّ عشان ما تندميش"..

هتافه باسمها جعلها تلتفت له لتخبره على عجل:

ـ خلاص.. أنا اخترت آداب وواثقة إني هقبل فيها.. ما فيش داعي لدوشة الكليات العملية.

كان يعرف أنها تكذب... لقد صدعت رأسه برغبتها في دراسة الفن.. تارة تتوق لدراسة الفن التشكيلي.. وتارة تحلم بأن تكون مصممة أزياء.. وأحياناً أخرى مصممة ديكور.. وأخيراً كانت تحلم بأن تكون مصممة جرافيك.. كان الرسم هو الهاجس المسيطر عليها.. لم تخلت عن حلمها؟.. وقررت اتباع الطريق السهل.. هل تلك إحدى الأعراض الجانبية لصلتها الوطيدة بنيرة؟.. أم أن والدته لها يد في ذلك؟..

هم بسؤالها ولكنهما كانا قد وصلا إلى الفيلا.. فأوقف السيارة لتقفز هي بسرعة خارجة منها قبل أن يتمكن من توجيه أي سؤال.. حاول اللحاق بها...

حتى يتأكد من شكوكه ولكن صوت أمه أوقفه وهو يسمعها تسأل علياء بكره:

ـ أنتِ!!.. ايه اللي جابك على الفيلا؟.. ما رجعتيش على المزرعة على طول ليه؟..

تلعثمت علياء في الرد وقد جمدتها الكراهية الخام في صوت سهام.. فاندفع يزيد يخبر والدته وقد تأكد إحساسه بأن والدته هي وراء تغيير رغبات علياء.. فعلى ما يبدو أنها تعلم بوجود علياء في المدينة:

- أنا جبت علياء معايا من النادي يا ماما..

سمع صوت رقيق يأتي من خلفه:

- ازيك يا بشمهندس.. إيه.. مش ناوي تسلم!!

التفت إلى صاحبة الصوت وهو يهتف بلهفة:

- ريناد..

مدت يدها إليه فتناولها بلهفة وهو يجذبها قليلاً مقبلاً وجنتها:

- ريناد عندنا.. يا ميت ألف أهلاً وسهلاً..

ضحكت ريناد برقة وهي تسير بجواره بعد أن طوق خصرها بذراعه واستأذن من والدته بنظرة سريعة.. انتهزتها ريناد لتمنح علياء

نظرة مشتعلة بالغيرة.. وكأنها تحذرها من الاقتراب منه..

تلقت علياء نظرة ريناد بغيظ خاصة وهي تلمح ملابسها التي تشبه إلى حد بعيد ملابس علياء والتي أقام يزيد الدنيا عليها.. ولكن كل ما تفعله ريناد هو مقبول ومسموح به.. تمتمت علياء بغيظ..

"أنت محتاج فحص مخ يا يزيد.. لأن اللي بتعمله ده اسمه شيزوفرينيا"..

_ عليا...

أوقفها صوت سهام الصارم.. فالتفتت نحوها في تردد:

_ هبعت لك غداكي في أوضتك.. وبعد كده هيوصلك السواق على المزرعة..

أومأت موافقة بصمت واتجهت إلى غرفتها بسرعة ولكن ليس قبل تلقي نظرة على الحبيبين اللذين كانا توغلا داخل حديقة الفيلا, ولكنها استطاعت أن تلمح ريناد وهي تحاول جاهدة التملص من عناق يزيد..

****

جلست نيرة أمام حسن على المائدة التي فرغت تماماً إلا منهما وسألته بلوم:

ـ كده برضوه يا حسن.. أسبوع بعدي من غير ما تحاول تيجي تشوفني ولو مرة واحدة..

رد باقتضاب اغاظها:

ـ كان ورايا شغل كتير قوي..

سألته بدلال:

ـ يعني الشغل أهم مني؟..

ـ معلش يا نيرة.. أنا لسه ما تعودتش يكون عندي خطيبة والجو ده..

ـ ولا يهمك يا سيدي.. أنا مسامحاك.. بس بشرط.. اعزمني على الغدا..

ـ أيوه.. بس أنا لسه متغدي مع يزيد ومازن..

زمت شفتيها بفتنة:

ـ خلاص.. مش مشكلة أنا أساساً مش بتغدى إلا سلطة.. لازم أحافظ على رشاقتي.. أنت

إيه رأيك؟.. تفتكر أنا محتاجة أنزل وزني شوية ولا كده كويس؟..

رافقت كلماتها بتمرير يدها على منحنياتها المثيرة.. وكأنها تملس على جسدها تبحث عن عيب ما..

تابعت عيناه حركة يديها لا إرادياً وهو يتأملها بتقدير ذكوري بحت.. فهو لا يستطيع الإنكار أنها جميلة بالفعل.. قد لا يستهويه جمالها إلا أنه لا يستطيع إنكاره..

لمحة نظراته التي تتأمل جسدها بنظرة تقدير لم تخطئها.. ابتسمت بخبث وقد حققت هدفها ولفتت نظره أخيراً إلى جمالها وأنوثتها..

أخبرته بلهجة مغوية:

ـ إيه رأيك اعزمك عزومة تحفة.. ديسكوتيك فظيع يا حسن.. الـ ـدي جي هناك تحفة.. هنرقص للصبح.. وإيه بيشتغل من بدري.. يعني عقبال ما أغير وآخد شاور يكون فتح..

سألها بلهجة ساخرة قليلاً:

ـ وأنتِ ما غيرتيش هدومك من بدري ليه؟..

ـ أووووه... حسن.. ما تغيرش الموضوع..

ـ الموضوع!.. آه قصدك الديسكو.. لا.. معلش.. أنا مش بتاع ديسكوهات..

ـ ازاي بقى!!.. أنت كنت بتروح قبل كده مع يزيد ومازن

ـ أنتِ قولتيها.. يزيد ومازن.. يعني شلة شباب مع بعض.. معلش اعذريني أنا أصلي دقة قديمة حبتين..

غيرت نيرة من تكتيكها وهي تخبره بدلال:

ـ دقة قديمة.. دقة قديمة.. وماله.. أنا أصلاً بعشقك في جميع أحوالك.. بس هتخرجني فين بقى؟..

نظر إلى ساعته نظرة سريعة:

ـ أنا أساساً اتأخرت.. لازم أمشي.. معاكِ عربيتك ولا أوصلك؟..

رمقته بغيظ.. فهي تحاول التقرب منه بكل الطرق ولكنه يصد كل محاولة منها.. لقد ظنت

اليوم أنها تستطيع الانفراد به.. فهي علمت أنه استئذن من الشركة متعذراً بدعوة يزيد.. وها هو يزيد ينطلق بعلياء مثل الثور الأحمق.. فما الذي تأخر عنه حسن؟.. أخذ عقلها يعمل سريعاً.. هل تنتهز الفرصة وتطلب منه إيصالها وتقتنص بضعة دقائق أخرى معه.. أم تتركه يرحل وتتبعه لتعرف إلى أين سيذهب؟.. وما الذي أفرغ له جدوله لباقي اليوم؟..

ـ نيرة.. سرحتِ في إيه؟.. أوصلك ولا إيه؟

ـ هاااااه.. ولا حاجة.. لا يا حبيبي.. أنت شكلك مستعجل وأنا معايا عربيتي.. ما هو أنا روحت جبت عليا من المزرعة عشان تلحق تقدم أوراقها في مكتب التنسيق..

ـ بجد.. برافو عليكِ يا نيرة.. البنت دي مسكينة فعلاً..

ابتسمت نيرة وقد أدركت أن اهتمامها بعلياء أثار إعجاب حسن.. اذاً فلتستغل هذه النقطة, لتحاول أن تجعله يرى بعض الجوانب الإنسانية بها طالما لا تعجبه الجوانب الانثوية..

ـ تصدق مسكينة فعلاً.. كانت سهام مش بتسمح لها تقعد عندهم في الفيلا خالص.. دي حتى كان نفسها تحضر حفلة النادي الليلة.. بس مش هينفع عشان لازم ترجع المزرعة.. وأونكل عصام ويزيد مش هيوافقوا تيجي معايا لوحدها..

ابتلع حسن الطعم بسهولة:

ـ وهي فيها إيه الحفلة دي؟.. ليه مصرة عليها يعني؟..

ابتسمت نيرة بخبث وقد أدركت أنها قاربت على الوصول لغايتها، فلو طلبت منه الحضور معها إلى الحفل لوجد ألف عذر لعدم الحضور:

ـ لا دي حفلة عادية.. بس عليا كان نفسها تفرح.. تصدق أما نجحت في الثانوية العامة.. ما فيش حد قالها مبروك ولا احتفلوا بها..

كانت تكذب بالطبع ولكنها كانت واثقة أن كذبتها من الصعب أن تنكشف فلن يذهب حسن إلى يزيد أو والده ليعاتبهما على تقصيرهما

المزعوم في حق اليتيمة التي تتربى في بيتهما..

ـ يااه.. لدرجة دي.. أنا كنت فاهم إن يزيد بيخلي باله منها..

ـ آه.. هو بيحاول.. بس ريناد بتغير من عليا مووووت ومش بتمكنه إنه ياخد باله منها..

تعجب حسن لغيرة ريناد من علياء.. فمن المعروف تعلق يزيد بريناد منذ سنوات.. وهي التي كانت تؤخر ارتباطهما.. عقل النساء هذا لن يستطيع فهمه أي رجل..

عرض عليها ما كانت تخطط للحصول عليه:

ـ خلاص.. إيه رأيك لو أخدتك أنتِ وعليا علشان تحضروا الحفلة دي؟..

كانت صرخة السعادة التي أطلقتها نيرة صادقة للغاية:

ـ بجد.. بجد يا حسن.. دي عليا هتفرح قوي..

- خلاص.. أنا هكلم يزيد عشان عليا ما ترجعش المزرعة الليلة.. وهعدي عليكي على الساعة 8 .. كويس كده..

منحته أروع ابتسامتها:

- كويس قوي..

- طيب.. يا دوبك أقوم أنا بقى عشان أخلص اللي ورايا قبل ميعاد الحفلة..

- ماشي يا حبيبي.. أنا هتمشى معاك لحد عربيتك.. وبعدين أروح آخد شاور..

وقفت لتتأبط ذراعه، ولكنه أخبرها بحزم:

- لا يا نيرة.. روحي الوقتي على طول غيري هدومك..

- ماشي يا حبي.. زي ما تحب.. بااااي

ثم رفعت له وجهها ليقبلها... فطبع قبلة سريعة على وجنتها وابتعد مسرعاً تاركاً إياها تغلي من الغيظ.. سيطرت على نفسها سريعاً.. وانطلقت خلفه حتى تستطيع اللحاق به.. وتتأكد من الشك الذي يموج بداخلها...

****

صف حسن سيارته في جراج المول الكبير بوسط البلد والذي تعمل منى بأحد محلات الملابس الموجودة به..

التقط هاتفه بسرعة ليتصل بها.. فهي تتهرب منه منذ أسبوع.. منذ حفل خطبته, بل وقبل ذلك.. ولكنه لن يسمح بالمزيد من الهروب.. يجب أن تفهم دوافعه لخطبة نيرة.. وأن يفكرا معاً ليجدا حل ما..

أخيراً سمع صوت منى على الجهة الأخرى من الهاتف:

ـ منى.. أنا موجود تحت في الجراج.. انزلي أنا مستنيكي..

رفضت منى بحسم:

ـ حسن.. من فضلك.. امشي.. أنت عارف!!..

قاطعها:

_ أنا مش عارف حاجة غير أنه لو ما نزلتيش دلوقتي أنا هطلع لك ومش هتحرك من قدام المحل إلا لو جيتي معايا.. مش هينفع أنك تهربي مني أكتر من كده.. لازم نقعد ونتكلم.. أنا مستنيكي.. خمس دقايق.. وإلا هكون قدامك..

أغلقت من الهاتف وهي تهتف بحنق:

"المجنون.. هو ليه بيصعبها علينا.. أنا مش فاهمة.. مقابلتنا دلوقتي هتفيد بإيه غير زيادة الوجع"..

تحركت لتلتقي به بسرعة قبل أن يأتي هو إليها.. فهي تدرك أنه لا يهدد عبثاً.. فاستئذنت من صاحبة المحل لتأخذ وقت الراحة الخاص بها..

وقف حسن بجانب سيارته ينتظر ظهور منى, والتي ما أن لمحها حتى شعر بقلبه يقفز خارج صدره ليحيط بها كأنه يريد عناقها.. وحمايتها في نفس الوقت.. أخذ يتأمل شعرها الأسود الطويل الذي يحيط بوجه له شكل القلب.. تتوسطه عيناه سوداوان كحيلتان..

خطفتا قلبه منذ سنوات.. لاحظ حركتها المألوفة برفع شعرها من فوق جبهتها.. وهي حركة تقوم بها عندما تتوتر.. فعلم أنها لمحته.. وأنها مازالت معترضة على لقائهما..

تحرك ليقترب منها فالتقى بها قبل مسافة من سيارته ومد يده ليصافحها فصافحته بخجل وسحبت يدها سريعاً.. رحب بها بلهفة قائلاً:

- أهلاً.. بمنايَ

ابتسمت بخجل:

- ازيك يا حسن..

أجابها بلوم:

- ازيك يا حسن!.. بقى لي10 أيام ما شوفتكيش.. وبعدين إزيك يا حسن!

تلعثمت بخجل:

- ما هو..

جذبها من يدها ليدخلا الي السيارة:

- ما فيش ما هو.. إحنا مش هنتكلم في الشارع..

انطلق بالسيارة ولم يلحظ النظرات النارية التي انطلقت من عينيه بلون الزبرجد.. ونيرة تلكم مقود السيارة بكل غضب الدنيا..

****

وفي إحدى البواخر السياحية والتي ترسو على شاطئ نيل القاهرة جلست منى أمام حسن وهي تحاول التهرب من نظراته.. وتستمع إلى دوافعه لخطبة نيرة والتي حاول شرحها متجنباً تهديد والده بتلويث سمعتها.. وأوضح خطته للمماطلة في تحديد موعد الزواج حتى تنتهي منى من دراستها بعد سنة واحدة..

ظلت منى صامتة لعدة دقائق بعدما انتهى حسن من كلامه ثم ردت عليه بتردد:

ـ يا حسن.. أنت فاهم أنه يبعدي عنك بعاقبك.. أبداً والله.. أنا بس بحاول أوفر علينا ألم ووجع أكبر.. أنا مش بلومك على خطوبتك من نيرة.. أنا سبق وقلت لك إنها بتحبك وأنك لازم تحاول أكتر.. يا حسن احنا حكاية مستحيلة.. لازم نحاول ننسى..

قاطعها بغضب عاشق:

ـ يعني إيه يا منى؟.. عايزة تفهميني.. إنك ممكن توافقي تكوني لحد تاني غيري.. لو اتقدم لك دلوقتي واحد وقالك أنه بيحبك.. هتوافقي عليه وتحاولي تنسي اللي بينا؟..

وضعت منى وجهها بين كفيها وهي تحاول كتم دموعها:

ـ لا طبعاً.. أنت بتقول إيه بس!!.. أنا مستحيل أكون لحد غيرك

هز رأسه بحيرة:

ـ أومال معنى كلامك إيه.. إني اتجوز نيرة وأعيش وأحاول أحبها كمان.. وأنتِ؟.. أنتِ هتعيشي على الذكرى!.. منى احنا مش في فيلم عربي قديم.. أنا إيه اللي يجبرني إني أرضى بصورة باهتة ممسوخة.. لما أنا عندي الأصل.. قولي علي أناني.. قولي طماع.. بس أنا عايز حياة كاملة طبيعية بس مع الشريكة اللي بحلم بيها من سنين..

ـ وإذا كان ده مستحيل.

ـ وليه مستحيل.. الحل في إيدك يا منى..

ـ أنا مش ممكن أتجوز من غير موافقة أبويا

ـ ومين قال بس أننا هنتجوز من غير موافقته.. طبعاً هطلبك منه.. وهو كمان اللي هيسلمك لي بايديه..

ـ أنت هتجنني يا حسن.. أومال إيه الكلام اللي قلتهولي من أول ما قعدنا..

ـ أنا عندي فكرة هحاول أحل بيها جزء من المشكلة.. اسمعيني بس..

استمعت منى إلى فكرة حسن بهدوء.. ثم التزمت الصمت بعدما انتهى من كلامه..

ـ إيه يا منى.. ساكتة ليه؟..

ـ مش عارفة يا حسن.. مش عارفة أقول لك ايه؟. مش قادرة أوافقك.. ومش قادرة برضوه اعترض.. لكن كل اللي هطلبوا منك.. أننا ما نتقابلش طول ما أنت خاطب واحدة تانية.. أنت عمرك ما كنت خاين يا حسن.. وأنا مش عايزك تتحول لواحد خاين حتى لو عشاني..

ـ أنتِ بتقولي ايه!!.. يعني عايزة تحرمني منك.. ما اقدرش يا منى.. أنا كنت هتجنن الأسبوع اللي فات..

ـ ده طلبي الوحيد.. وأوعدك أنه لو حصل وبقيت حر وجيت تطلبني من بابا.. هتلاقيني واقفة معاك بكل قوتي.. لكن لحد ما ده يحصل.. لازم تصون عهد صاحبة الدبلة اللي في ايدك...

خلع حسن دبلته بعنف وهو يضعها في كف يدها:

ـ شوفي يا منى.. شوفي أنا لابس دبلة مين..

أمسكت منى الدبلة بأناملها لتلمح النقش بداخلها باسمي حسن ومنى ويحيط بهما قلب صغير له أجنحة من الجانبين.. هطلت دموعها الحبيسة.. ولم يعد باستطاعتها حبسها أكثر من ذلك..

شعر بخناجر تنحر قلبه مع دموعها التي تتساقط.. فسألها بألم:

ـ بتعيطي ليه بس يا منى..

أجابته من وسط شهقاتها:

ـ كان نفسي ما اكونش ضعيفة كده يا حسن..

كان نفسي أقوي قلبي وأقسيه وأجبره أنه يبعد

عنك.. لكن مش قادرة.. وكل ما بيمر الوقت

الألم بيزيد..

أجابها بغضب:

ـ أنا اللي كان نفسي أكون أقوى.. وأقدر

أدافع عني وعنك.. أنا كنت ساذج قوي لما

افتكرت أن بابا هيكون اهتمامه الأول هو

سعادتي.. لكن ملحوقة.. بس لو الخطة اللي في

دماغي تمشي مظبوط، مش هيكون في أي

حاجة يهددني بيها..

هزت رأسها بألم:

ـ ما تعملش في نفسك كده يا حسن.. مش

بقولك كان نفسي أكون أقوى.. ما كنتش أتمنى

أني أكون نقطة ضعفك..

أمسك بيدها بحنان:

ـ وأنا ما كنتش أتمنى أنه يكون لي نقطة ضعف

غيرك..

سحبت أناملها من بين يديه بخجل:

ـ حسن..

ـ عيون وقلب وروح حسن..

نهضت فجأة وهي تتعثر في خطواتها:

- أنا لازم أمشي.. أنا.. اتأخرت.. و..

جذبها من يدها برفق لتجلس مرة أخرى:

- استني بس.. مش هنتغدى سوا؟..

تلعثمت:

- أصل.. بس..

أجاب حسن بحسم:

- من غير بس.. أنتِ حرمتيني منك أكتر من أسبوع.. أنا كنت هموت من غيرك..

جلست منى على مضض.. ولكنها نظرت إليه لتخبره بقوة مناقضة لخجلها السابق:

- هقعد أشرب عصير فراولة بس.. وبعدين همشي.. زي ما قلت لك يا حسن.. مش هنحول حاجة بريئة وحلوة زي حبنا لخيانة.. أرجوك.. تفهمني..

أومأ موافقاً:

- خلاص يا منى.. زي ما تحبي.. بس ما تحرمنيش من صوتك.. ماشي..

ابتسمت برقة:

- هيكون دايماً بينا.."تصبح على خير.. لا اله الا الله"..

فرد عليها برقة مماثلة:

ـ "احلمي بيا يا ملاكي زي ما بحلم بيكي ليل ونهار".. .. "محمد رسول الله"

ابتسما معاً قبل أن يستدعي حسن النادل ليطلب لهما عصير الفراولة الذي تعشقه منى..

****

وفي مكتب مازن جلس في كرسيه بعدما أغلق هاتفه للتو.. بعدما تلقى المكالمة التي كان ينتظرها.. ثم استدعى سكرتيرته التي دخلت إلى مكتبه تحمل الأوراق التي تحتاج إلى توقيعه.. ولكنه أوقفها قائلاً:

ـ مش هىمضي حاجة الوقتي.. ابعتي هاتي لي عم نصر السواق بتاع بابا حالاً..

الفصل الرابع

أخذت علياء تتلاعب بقطع الخضروات في طبق السلطة ضمن الوجبة التي أرسلتها لها سهام..

فقدت شهيتها للطعام تماماً.. فمن يرغب في الأكل وحيداً كأنه جرذ منبوذ.. وهذه الرسالة التي ترغب سهام بتوصيلها لها بالضبط..

كانت قد قررت العودة إلى المزرعة فوراً وتفويت وجبة الغذاء.. فمشهد يزيد وهو يحاول معانقة ريناد.. يتكرر في رأسها مثل

التعويذة الشريرة تدفعها للقيام بعمل طائش, كأن تنزل للتتناول الغذاء على مائدة سهام هانم لتخبر ولدها وزوجها.. التهديد الذي مارسته السيدة الأرستقراطية عليها حتى تمتنع عن تحقيق حلمها بدراسة الفنون..

ابتسمت لنفسها بسخرية.. من تخدع؟!.. فهي تعلم أنها أجبن من أن تقوم بهذا.. لذا قررت الرحيل إلى منفاها في المزرعة, لكن طرقات على باب غرفتها أوقفت قرارها حين دلف يزيد

ليخبرها أنها لن تعود الليلة إلى المزرعة لأنها ستذهب إلى حفلة النادي مع نيرة وحسن..

سألته بدهشة:

_ حفلة!!.. حفلة إيه؟!..

سألها بسخرية طفيفة:

_ مش عارفة حفلة إيه؟!.. مش دي الحفلة اللي أنا وبابا مش هنوافق نوديكي ليها.. ويا حرام صاحبتك أم قلب حنين هي اللي هتوديكي..

هزت علياء رأسها في حيرة:

_ أنا مش فاهمة حاجة.. أنت بتقول إيه؟.. أنا أساساً كنت نازلة أقول للسواق يوصلني المزرعة دلوقتي... أنا مش فاهمة أنت جبت الكلام ده منين!!

نظر إلى الحقيبة الصغيرة في كتفها وسألها بتشكك:

ـ يعني أنتِ ما اتفقتيش مع نيرة عشان توديك الحفلة؟..

ارادت أن تلقي الحقيبة وتصرخ في وجهه أن يكف عن ترديد كلمات والدته.. وما أوحته إليه هي ودينا.. لكنها للأسف لا تملك رفاهية الشجاعة.. تخشى على غضبه وليس من غضبه..

نفت اتهاماته بضعف:

ـ هي الحفلة دي مش بتحتاج فستان وكوافير وحاجات كتير... لو كنت ناوية أروح حفلة كنت هبقى هنا بعمل إيه؟..

ظهرت الحيرة على ملامحه.. بين ثورة كلمات والدته التي ما أن سمعت مكالمة يزيد وحسن حتى اندفعت تكيل الاتهامات لعلياء.. بأنها من دبرت تلك الخطة... وبين ما ظهر على علياء من ملامح الانكسار وخيبة الأمل..

زفر بحيرة وهو يخبرها:

ـ بص.. حسن اتكلم وقال لي أنه هيعدي عليكِ هو ونيرة على الساعة8 ونص.. وأنا قلت له أنكِ هتيجي معايا أنا وريناد.. احنا كده كده رايحين..

صرخت بقوة:

ـ لا.. لا.. أنا مش عايزة أروح معاك أنت وريناد..

فهي لم تتصور نفسها محبوسة في سيارة يزيد لتراقب نظرات عشقه لريناد من هذا القرب.. وتتعذب من همساتهما والحسرة تتآكلها في كل لحظة أنها دائماً في المقعد الخلفي بينما ريناد جواره.

هتف بها بغضب:

ـ يعني ايه.؟..

استدركت بسرعة:

ـ أقصد خليني مع نيرة.. يعني لو عمو عصام وافق إني أروح الحفلة.. يبقى خليني مع نيرة.. عشان كمان لازم أشتري شوية حاجات وهي هتكون معايا..

ـ ما ديناد موجودة تحت.. هقولها تروح معاكِ.. و..

قاطعته بسرعة:

ـ لا.. أنا هكلم نيرة.. أكيد ديناد هتكون مشغولة.. و..

قاطعها:

ـ خلاص براحتك..

مد يده في جيبه ليخرج من محفظته إحدى بطاقات الائتمان ليدفعها في يدها:

ـ خلي دي معاكِ عشان الحاجات اللي هتشتريها..

ـ لا.. لا.. أنا معايا بتاعتي..

ضغطها في يدها:

ـ خليها معاكِ.. بس خودي بالك.. أقسم بالله يا علياء لو جبتِ فستان قصير.. ولا عريان لأكون جرك من شعرك على المزرعة قدام الناس كلها ومش هيهمني.. فاهمة؟..

رفرفت برموشها وهي مأخوذة بالعنف في صوته.. فكرر بتأكيد:

ـ فاهمة؟؟؟

أومأت موافقة.. وهي ترتجف من الغيظ.. فها هو يعود لإلقاء الأوامر عليها مرة أخرى.. ويترك الحبل على الغارب لخطيبته الحسناء...

تمتمت بغيظ:

ـ أنت مش هتبطل الشيزوفيرنيا دي؟..

لسوء حظها وصله همسها فصرخ بها:

ـ ايه!!.. بتقولي إيه؟.. شيزوفرينيا إيه!!.. أنتِ اتجننتِ!!

عادت خطوتين للخلف وهي ترتجف من الخوف فقد أغضبته بدون أن تقصد..

حاولت تفسير كلماتها:

ـ أيوه.. أنت بهدلتني على هدومي.. وبتسيب ريناد اللي هي خطيبتك تلبس زي ما هي عايزة.. و.. وده يبقى اسمه ايه؟؟

ـ ريناد مش بتلفت الأنظار زيك..

خرجت الكلمات منه بسرعة وبدون أن يفكر بها.. ورمقته هي بذهول لا تدري ماذا يقصد بكلماته.. أيتهمها بمحاولة جذب الأنظار؟.. أم.. يعتقد أن خطيبته أقل جاذبية منها؟..

ظلت ترمقه بذهول وتساؤل.. بينما تجمدت الكلمات على لسانه ولم يستطع إضافة أي كلمة لتوضيح ما تفوه به للتو.. فما كان منه إلا أن خرج كالعاصفة مغلقاً الباب خلفه بعنف جعلها ترتجف في مكانها..

أخرجها من جمودها رسالة على هاتفها.. فتحتها لتجدها من نيرة..

"أنا قدام الفيلا.. انزلي.."..

****

ما أن أخبرته سكرتيرته بوجود عم نصر بالخارج في انتظار الإذن له بالدخول حتى تحرك مازن من خلف مكتبه ليفتح الباب ويستقبل سائق والده بود وترحاب:

ـ اتفضل يا عم نصر.. هو أنت برضوه محتاج إذن يا راجل يا طيب..

التفت مازن إلى سكرتيرته:

ـ اتنين شاي لو سمحتِ يا مدام كريمة..

ثم اصطحب نصر ليجلسا معاً على أحد الأرائك بعيداً عن المكتب ورسميته..

ربت مازن على ركبة نصر قائلاً بود:

ـ إيه.. إيه أخبارك يا عم نصر.. وأخبار صحتك ايه؟..

أجاب نصر بهدوء:

ـ بخير الحمد لله يا مازن بيه.. نشكر ربنا..

ـ إيه بيه دي بقى.. ده أنا متربي على إيديك.. وأنت أول واحد علمني السواقة.. حتى كان عندي 8 سنين..

ضحك نصر وهو يخبره بسعادة:

ـ علمتك إيه يا بيه.. ده أنت ما شاء الله عليك.. كنت طالع بالعربية لوحدك.. أنا يا

دوبك قلت لك على شوية حاجات بسيطة كده...

شاركه مازن ضحكته قائلاً:

ـ أيوه.. وبقيت تداري علي قدام بابا.. وما بلغتوش إني باخد العربية..

سأله نصر بلوم:

ـ ودي معقولة يا بيه.. أنت فاكرني صغير ولا إيه!!.. طول ما أنا متأكد أنك في أمان..

يبقى خلاص.. أنا مطمن.. وأنت ما شاء الله عليك عاقل من يومك..

ربت مازن على كتفه بود:

ـ العفو يا عم نصر.. أهو كلامك ده بقى اللي هيشجعني أطلب منك اللي أنا عايزه على طول..

اعتدل نصر في جلسته وهو يسأل باهتمام:

ـ خير يا بيه؟..

ـ خير يا عم نصر إن شاء الله.. بقى أنا لي واحد صاحبي.. جمع قرشين كده.. وفكر أنه يشتري له تاكسي يشتغل عليه.. وفعلاً جاب عربية على الزيرو ورخصها تاكسي.. بس بقى..

سكت مازن قليلاً وهو يرمق تعبيرات وجه نصر وعندما لاحظ فضوله للقادم أردف:

ـ بس بقى جت له فرصة حلوة قوي أنه يسافر بره.. وهو مش عايز يبيع التاكسي خوفاً من أنه ما يتوفقش بره.. ففكرنا أنه يتفق مع واحد يشغل التاكسي في الفترة دي.. هيه.. ايه رأيك يا عم نصر؟..

سأله نصر بتعجب:

ـ رأيي في ايه يا بيه؟..

اقترب مازن منه وهو يخبره:

ـ بصراحة يا عم نصر.. هو قصدني أدور له على حد، وأنت أول واحد جه في بالي.. على فكرة.. هو هياخد ربع الإيراد بس.. والتلات أرباع هيكونوا من نصيبك.. إيه رأيك؟.

فوجئ نصر بالعرض الغير متوقع وسأل مازن بتردد:

- وشغلي مع أبوك يا بني؟.. هو اشتكى مني ولا حاجة؟.. أصل بقى له فترة متغير من ناحيتي..

نفى مازن بسرعة:

- لا طبعاً.. معقولة يشتكي منك برضوه؟!.. لا بس قلت أنك أولى بالفرصة دي.. خاصة أنه عائدها المادي حلو قوي.. وأنت كمان هتكون حر نفسك..

وكمان دي خدمة هتعملها لي وعمري ما هنسى لك وقفتك جنبي في الحكاية دي.. أصل صاحبي ده عزيز علي قوي وله علي جمايل وأنا ما صدقت ألاقي فرصة أردها له..

هم نصر بالرفض ولكنه تذكر معاملة حاتم بيه في الفترة الأخيرة له.. ولومه وتوبيخه له على كل كبيرة وصغيرة.. كان الشك يراوده حول سبب تلك المعاملة؛ فهو يرى ويدرك ميل حسن إلى منى ابنته.. وبالطبع يدرك رفض حاتم بيه لتلك المشاعر.. لكن بعد خطبة

حسن لنيرة ظن أن ذلك السبب قد زال.. ولكن حاتم بيه استمر في معاملته بجفاف قد يصل أحياناً إلى الإهانة وكأنه يدفعه دفع إلى ترك العمل.. هل لاحظ ابنه ما يقوم به والده فتحرك بدافع من شهامة يعلم نصر جيداً أنها متعمقة بداخل ولدي حاتم العدوي.. أم ذلك عرض من الأب واستخدم ابنه كمرسال فقط.. على أي حال.. إنه عرض مغري للغاية.. ويجب أن يفكر به جيداً..

نهض نصر من فوق الأريكة فتبعه مازن بدوره وهو يتأمل وجه الرجل الأكبر سناً محاولاً معرفة ما يدور بداخله... لكن صوت نصر قطع تأمله وهو يردد:

ـ هو عرض مغري قوي يا مازن بيه.. بس!!!..

قاطعه مازن بسرعة:

ـ آه نسيت أقولك.. أن الكلام ده كله هيتكتب به عقد.. عشان نحفظ حقك.. يا راجل يا طيب.. وأنا همضي كمان كضامن للتنفيذ..

وكل الأمور المالية هتكون معايا.. لأنه زي ما قلت لك.. الراجل صاحب التاكسي هيكون مسافر..

أومأ نصر متفهماً ومد يده ليصافح مازن:

ـ أنا ما كانش قصدي يا بيه.. عقد إيه بس.. انت كلمتك عقد.. أنا بس محتاج أشاور أم العيال.. وهرد عليك الليلة بأمر الله..

صافحه مازن بدوره وهو يخبره:

ـ هستنى تليفون منك يا عم نصر.. ويارب يكون الرد بالموافقة.. دي جميلة مش هنسهالك..

ربت نصر على كتف مازن وقد أدرك لباقة مازن حتى لا يبدو وكأنه يقدم له العرض كنوع من الاحسان أو الشفقة وأخذ يدعو له:

ـ ربنا يكرمك يا بني.. ربنا يكرمك وينولك اللي في بالك..

ثم خرج مغلقاً الباب خلفه ولسان حال مازن يردد..

"آمين"...

****

انطلقت نيرة بسرعة جنونية فور أن دلفت علياء داخل السيارة.. مما دفع علياء إلى الصراخ:

ـ نيرة.. نيرة.. هدي السرعة شوية..

زادت نيرة من سرعة السيارة بينما سارعت علياء إلى وضع حزام الأمان وتشبثت بمقعدها

بيأس.. وهي تحاول تهدئة نيرة التي كان الغضب يدور حولها مثل هالة مرئية:

ـ نيرة.. اهدي بس.. وقفي على جنب خلينا نتفاهم..

استمرت نيرة في سرعتها بدون أن تجيب على صديقتها حتى وصلت إلى منطقة وسط البلد.. فهدأت سرعتها قليلاً بفعل الزحام.. وأجابت علياء والغضب يلون نبرات صوتها:

ـ لسه بيشوفها يا عليا.. لسه بيقابلها..

ـ هو مين ده؟؟

صرخت نيرة بغضب:

ـ حسن يا عليا.. هيكون مين يعني؟..

ـ وأنتِ عرفتِ منين؟

ضغطت نيرة على اسنانها:

ـ شوفتهم بنفسي.. كنت هتجنن يا عليا.. حسيت إني مشلولة من القهر.. بقى يسبني أنا بسرعة ويجري جري عشان يقابلها..

ـ هدي نفسك بس يا نيرة.. يمكن كان بينهي اللي بينهم.. أو..

صرخت نيرة:

ـ بينهي اللي بينهم!!..إيه السذاجة اللي أنتِ فيها دي أنتِ كمان..

ـ أومال إيه بس يا نيرة؟.. أنتِ مش بتقولي إنكوا كويسين مع بعض..

أوقفت نيرة السيارة على جانب الطريق وهي تضرب بيدها مقود السيارة بعنف:

ـ أنا كنت فاهمة أنه هينساها.. هو بقى له أسبوع ما شفهاش.. أنا متأكدة.. لكن.. لا.. برضوه الصعلوكة دي لسه بتجري وراه.. وعارفة إزاي تجيبه لعندها على ملا وشه

تجنبت علياء سؤال صديقتها من أين لها تلك المعرفة.. فهي أدركت من زمن أن لنيرة وسائلها للوصول إلى ما تريده من معلومات..

التفتت نيرة لتفتح حقيبتها ويدها ترتعش من الغضب.. فأخرجت قداحة ذهبية صغيرة.. أشعلت بها إحدى السجائر التي سحبتها من علبة ذهبية مماثلة.. وظهر على وجهها التفكير العميق وهي تنفث دخاه سيجارتها بغيظ..

أخذت تدق بطرف سيجارتها على العلبة بغيظ.. وهي تفرك شفتيها بين أسنانها.. ثم برقت عينيها بشدة وهي تنظر إلى العلبة الذهبية وتهمس بشماتة:

ـ ماشي يا منى.. أنا بقى عرفت إزاي اخليكي تبعدي عن حسن.. وما تفكريش تقربي منه تاني..

رمقتها علياء بقلق:

ـ ناوية على إيه يا نيرة؟..

هزت نيرة كتفيها بلامبالاة وهي تسأل علياء:

ـ أنتِ عارفة منى بتشتغل فين؟..

أومأت علياء موافقة:

ـ ايوه في محل فساتين سواريه في مول...

قاطعتها نيرة وعينيها تبرقان بخبث:

ـ طيب يلا بينا.. أنتِ أكيد محتاجة فستان عشان حفلة الليلة..

وانطلقت بسيارتها وهي تضحك بسخرية وشماتة مما تنوي فعله...

****

دخل عامر إلى غرفة صبا ابنته الصغرى فوجدها تمسك بالهاتف وعينيها الجميلتين تلتمع بالدموع.. جلس بجانبها بهدوء وهو يملس شعرها الكستنائي المجعد قليلاً.. وسألها بهدوء:

- كلمتِ فريدة؟..

أومأت برأسها في موافقة صامتة.. وظهر الحزن على ملامحها.. فضمها والدها إلى صدره وهو يخبرها:

- أنتِ عارفة إني مش همنعك أنك تروحي تعيشي معاها.. إحنا.. أنا وفريدة عمرنا ما اختلفنا على مصلحتك.. أو عارضنا في إنك تعملي اللي أنتِ عايزاه..

أومأت صبا مرة ثانية وهي تهمس لوالدها:

- أنا اخترت إني أكون هنا معاك يا بابا.. وأنا مقتنعة بكده.. وأن ده أفضل لي ولــــفريدة..

أبعدت رأسها قليلاً عن صدره وهي تمسح دموعها بظاهر يدها:

- حضرتك عارف أن فريدة صعب عليها تراعيني.. وهي بترسم.. وخاصة لو بتجهز لمعرض زي اليومين دول.. وأنا كمان مش بحب الحياة في باريس..

افتعل عامر ضحكة صغيرة وهو يخبرها:

ـ ما بتحبيش الحياة في باريس!!.. ما سمعتكيش نيرة.. كانت وقعت من طولها..

ضحكت صبا هي الأخرى.. ثم سكتت قليلاً.. وأخبرته بخفوت:

ـ هي سألت عليك وعلى أخبارك.. وطلبت مني أراعي صحتك..

أغمض عامر عينيه بألم لا يريد أن يظهره لطفلته الصغيرة.. تلك الفتاة التي يمزقها ولائها له وحبها لوالدتها.. فريدة

فريدة.. جنته وعذابه... فرحه وجرحه.. من أذاقته جنون الحب وآلامه.. من عرف معها روعة العشق ولوعته..

ظلمها.. ظلمها بشدة لا جدال.. ولكنها عاقبته بقسوة.. وتركته ليعيش على كل ذكرى له معها..

شعر بأنامل طفلته الصغيرة تمسح دمعة صغيرة خانته وسقطت على وجنته.. فربت على شعرها بحنان.. بينما هي ألقت نفسها بين ذراعيه وهي تضمه بقوة:

ـ أنا بحبك قوي يا بابا...

وبداخلها تتردد فكرة.. أنها لن تدع نفسها تسقط في الحب أبداً...

****

وقفت علياء أمام المرآة تتأمل ثوبها الجديد الذي ابتاعته برفقة نيرة.. حسناً.. ليس تماماً.. فالثوب الذي اختارته نيرة وأصرت على علياء لتبتاعه معلق داخل الخزانة بأمان.. هذا لو أمكن اطلاق لفظة ثوب على قطعة القماش القصيرة والتي تتصل ببعضها

عن طريق مجموعة من الشرائط والحبال المجدولة.. والذي تصر نيرة على أنه صمم خصيصاً لجسد علياء...

لا تنكر أنه يظهرها فاتنة ومغرية للغاية.. كأنها.. كأنها.. ساقطة.. نعم هذا أول ما خطر على بالها عندما رأت نفسها به أمام المرآة في محل الثياب وبالتأكيد هذا ما سيفكر به يزيد إذا رآها ترتديه.. لذا خلعته بهدوء وطلبت من البائعة أن توضبه في إحدى الأكياس وتجهز الفاتورة الخاصة به حتى لا

تثير عواصف نيرة التي كانت مشغولة عنها بمراقبة وصول منى التي انتهت فترة راحتها ولم تصل بعد _ولله الحمد_... فانتهزت علياء تلك الفرصة وتوجهت إلى الثوب الذي خطف بصرها منذ اللحظة الأولى وقررت شرائه حتى بدون تجربته أولاً..

****

التف ذراع يزيد حول خصر ريناد الرشيق وهو يحاول أن يضمها أكثر إلى صدره.. ليتمكن من مراقصتها كما يريد ولكن تلك الفراشة الكبيرة المثبتة على صدر ثوبها كانت تمنعه من تنفيذ ما يريد.. فهمس لها متأففاً:

_ أنا مش فاهم أنتِ ليه بتحبي اللبس المكلكع ده.. إيه لازمة الفراشة اللي قاعدة تعضني دي..

ضحكت ريناد بتأنيب:

_ الموضة يا حبيبي.. وبعدين أنت مش قلت أن نيرة هتحضر الحفلة.. عايزها تكون أشيك مني ولا إيه؟..

هز يزيد رأسه بتعجب لانشغال ذهن ريناد دائماً بالتفوق على نيرة.. وكأن هناك مسابقة ما بينهما لمن تتزعم درب الجمال والأناقة.. لا يعلم ما أسباب تلك المنافسة الغريبة.. فريناد ذات جمال مشرق يختلف عن جمال نيرة الوحشي.. فهي ذات شعر ذهبي وعيون بلون العسل.. وابتسامة رائعة تخطف القلوب على الفور..

حسناً قد تتشابه الفتاتان في شيء واحد فكلتيهما تعشق التفرد والتميز.. فريناد مثلاً

ارتدت لتلك الحفلة ثوباً طويلاً من الساتان البرونزي, بلا أكتاف ولا أكمام.. يكشف عن ظهرها وصدرها الذي يكاد أن يختفي تحت الفراشة اللعينة والتي تنتهي بعقدة ذات لون ذهبي.. ثم يضيق الثوب ليظهر رشاقة قدها وبطنها المسطح, ووركيها الدقيقين والذي يبدأ الثوب في الاتساع بعدهما مباشرة في عدة ثنايات حتى يصل إلى ما بعد كاحليها... كانت مثالية في أناقتها.. وفاتنة بزينتها المتقنة.. وجاهزة تماماً لتكسب نقطة على نيرة في حفلة الليلة كما كانت تظن..

استمر يزيد في محاولة مراقصتها بوجود الفراشة الضخمة كحاجز بينهما.. وهمس في أذنها:

- أنتِ الليلة أجمل واحدة في الحفلة... لولا بس الفراشة دي..

ابتسمت ريناد في سعادة وقد عزز غزل يزيد من ثقتها بنفسها..

بينما عاد يزيد يسألها:

- مش ناوية بقى تحني علي وتكون الرقصة الجاية في فرحنا؟..

- أووه يا يزيد.. أنت مستعجل على إيه؟.. مش أنت وعدتني إنك هتصمم بيتنا مخصوص زي ما أنا عايزة..

زفر يزيد بضيق:

- ما هو أنا صممته يا ريناد.. ده اتصمم في وقت قياسي.. لكن أنتِ بقى لك أكتر من سنة بتغيري وتعدلي في الديكور.. ولسه ما فكرتيش في العفش..

أخبرته ريناد بسأم:

ـ هو احنا كل ما نشوف بعض لازم السيرة دي.. أنت عارف أنه بيتي لازم يكون بيرفكت.. ما فيش فيه غلطة.. أنت تكره يعني أنه بيتك يكون مثال للشياكة والأناقة..

هز رأسه بيأس:

ـ أنا كل اللي يهمني إننا نكون في بيت واحد.

ابتسمت ريناد له بعصبية بينما ظلت تترقب ظهور نيرة _غريمتها_ التي تتعمد بالطبع الحضور متأخرة عن الجميع حتى تحدث الأثر المطلوب في النفوس..

وعلى الرغم منه ترقب يزيد أيضاً وصول نيرة.. ليس اهتماماً منه بالنرجسية الحمراء.. ولكن حتى يطمئن على الجنية الصغيرة التي رفضت أن تأتي معه هو وريناد كما تعذرت بعدم انتهائها من ارتداء ثيابها حتى لا يرى ثوبها الجديد..

جمود ريناد بين ذراعيه مع الصمت الذي حل فجأة أخبره بوصول نيرة.. والتي تعلقت بذراع

حسن مرتدية ثوب من الشيفون الأسود الشفاف.. يكشف عن أحد كتفيها ويترك الآخر عارياً.. بينما كانت البطانة الداخلية تغطي صدرها وحتى بداية ركبيها.. تاركة باقي جسدها مغطى بطبقة شفافة وواسعة من الشيفون المشقوق كاشفاً عن إحدى ساقيها.. بينما كانت زينتها كاملة أبرزها طلاء شفتيها الأحمر الداكن..

بينما أنظار الجميع كانت مسلطة على نيرة بثوبها اللافت.. بحث يزيد بعينيه عمن تهمه حقاً.. وهو يتوعدها سراً بتنفيذ تهديده إذا خالفت أوامره..

لمحها أخيراً وهي تدخل خلف نيرة, بثوب من الشيفون أيضاً ولكنه لم يكن شفافاً.. بل يحتوي على بطانة داخلية ومكون من عدة طبقات من القماش الناعم.. والذي تدرج لونه من الأبيض الناصع عند الصدر ثم تداخل درجات من اللون الرمادي عند الخصر وتبدأ تدرجات من اللون الازرق من بعد الركبتين لتتداخل مع درجات الابيض مع تعدد طبقات الثوب..

كان الثوب مطابق لما طلبه منها حتى أنه يحتوي على كُمين لهما نفس تدرجات الثوب ويضيقان عند المرفق ليتسعا بعد ذلك.. كان الثوب المثالي باستثناء فتحة الصدر المربعة..

لاحظ يزيد تحول الأنظار من نيرة إلى الجنية الصغيرة التي جذبت الجميع كعادتها.. رغم أنها لم تضع من الزينة إلا الكحل الأسود وطلاء الشفاه اللامع..

حسناً.. ماذا يستطيع أن يفعل بها؟.. لقد التزمت بتعليماته تماماً.. ورغم ذلك يستطيع أن يرى نظرات الإعجاب في عيون الرجال ممتزجة بنظرات الحسد لذلك الرجل الذي تعلقت بذراعه.. والذي لم يكن سوى مازن..

ضغط يزيد على أسنانه حتى كادت أن تتحطم.. وهو يتوجه إلى الوافدين مصطحباً ريناد معه..

صافح الرجال بعضهم بينما اكتفت ريناد بهزة رأس بسيطة كتحية عابرة..

كانت عينيّ علياء معلقة على يزيد تنتظر ردة فعله على ثوبها.. والتي لم تستطع تبينها من ملامح وجهه المبهمة.. بينما أخذت نيرة

وريناد تتأمل كلا منهما الأخرى وكأنها تبحث عن خطأ ما في مظهرها..

بادر يزيد بالسؤال الذي يؤرقه:

ـ انتوا جيتوا كلكوا سوا ولا إيه؟..

أسرع مازن بالإجابة وابتسامة غامضة ترتسم على وجهه:

ـ لا.. احنا اتقابلنا على الباب..

وأضاف وابتسامته تتسع:

ـ أنا جبت عليا.. على ما حسن يجيب نيرة.. يعني قولنا نوفر وقت..

توجه يزيد إلى علياء:

ـ طب مش كنتِ جيتي معانا, بدل ما نتعب مازن..

أجابه مازن باستمتاع:

ـ يا سيدي ما فيش تعب ولا حاجة..

قاطعت ريناد الحديث الدائر وقد أزعجها أن تكون علياء هي محور الاهتمام:

ـ هو احنا هنفضل واقفين كده.. مش هندخل نقعد..

رمقتها نيرة باستفزاز:

ـ وهو أنتِ هتعرفي تقعدي بالفستان ده.. بيتهيألي صعب..

احتقن وجه ريناد غضباً وهي تجيب:

ـ ما تقلقيش يا نيرة.. أنا دايماً فساتيني بتتصمم لي أنا مخصوص.. يمكن أنتِ مش متعودة على كده..

كادت أن ترد نيرة برد آخر مستفز حينما تدخل حسن ليصطحبها داخل القاعة:

ـ نيرة.. أنا تعبت من الوقوف يلا بينا ندخل..

واصطحبها مبتعداً عن ريناد قبل أن يتطور النقاش بينهما إلى شجار علني.. بينما اصطحب مازن علياء ليجلسا حول أحد الموائد تحت نظرات يزيد الرافضة...

عندما لاحظ مازن أن علياء تفرك يديها قلقاً.. سألها مندهشاً:

ـ في حاجة يا علياء؟..

ترددت قليلاً:

ـ أصل.. يزيد متضايق..

ابتسم مازن بخبث:

ـ متضايق!!.. لا أبداً.. ما هو بيرقص مع ريناد أهو..

أومأت علياء موافقة ونظراتها معلقة بيزيد.. بينما نظر إليها مازن مشفقاً عليها من مشاعرها الواضحة.. فحاول جذبها لتبادله حواراً بسيطاً حول حياتها في المزرعة.. حتى استطاع بلباقته وسرعة بديهته أن يحول عينيها بعيداً عن الثنائي الراقص.. وشيئاً فشيئاً أخرجها من خجلها وترددها.. وبدأت تتعالى أصوات ضحكاتهما.. وهما يتبادلان ذكريات طفولتهما وخاصة المشاغبة منها..

لاحظت ريناد عيني يزيد التي تتابع ما يحدث بين مازن وعلياء.. فازداد غضبها الذي لم يهدأ بعد.. وقالت ليزيد بغيظ:

ـ يزيد.. أنت هتفضل قاعد تراقب البنت دي كتير.. أنا تعبت من الرقص وعايزة أخرج الفرانده شوية..

لم يفهم يزيد ما أصابه.. ففي الظروف العادية هو من يسعى جاهداً حتى ينفرد بريناد بعيداً عن العيون، لكن الآن وهي من تطلب الانفراد به.. تكاد كلمات الرفض تخرج من شفتيه.. فكل ما يرغبه الآن أن يلكم مازن_صديقه المفضل_ على أنفه..

وهذا الشعور على وشك اصابته بالجنون.. لذا مرغماً وافق ريناد واصطحبها خارجاً حيث الهواء النقي الذي يرجو أن ينقي أفكاره ايضاً..

رمقت نيرة حسن بنظرات عاشقة وهي تسأله:

ـ برضوه لسه زعلان من الفستان؟..

سألته هذا السؤال لتطمئن على موقفه منها، فعندما وصل لاصطحابها كانت ترتدي ثوباً آخر.. يكاد يكون فاضحاً.. فكان طوله بالكاد يصل إلى أعلى ساقها..

أشاح حسن بوجهه عنها:

ـ نيرة.. أنا مش بحب أفرض رأيي.. بس أنتِ شايفة أنه كان عادي أسيبك تخرجي بالشيء اللي كنتِ لابساه ده؟..

اقتربت منه تمسك بيده بأناملها الطويلة:

ـ أنا مش زعلانة.. أنا مستعدة أعمل كل اللي أنت تطلبه.. أغير نفسي زي ما تحب.. المهم أنك ترضى عليّ..

رمقها بذهول:

ـ غريبة!!...

سألته بقلق:

ـ ليه؟..

ـ كلامك ده مخالف لنيرة اللي أنا أعرفها..

أجابت بتبرم وقد خشيت أن تفشل خطتها الجديدة لاجتذابه... فبعد ما فشلت في الإنتقام من منى عصر اليوم.. حيث أن الأخيرة لم تعد إلى عملها بعد فترة راحتها واتصلت تعتذر عن باقي اليوم.. فلم تتمكن نيرة من تنفيذ

خطتها.. لذا قررت مؤقتاً تعديل معاملتها لحسن بأن تُظهر له الخضوع واستعدادها الكلي للتغيير من أجله:

ـ أوووه.. يا حسن.. أنا هكون اللي أنت عايزه.. ده عرض خاص ليك أنت بس..

شعر حسن بالمرارة تجري في حلقه.. فالتظاهر ليس من طبعه.. وهو لا يريد التورط أكثر من ذلك مع نيرة.. ولا أن يزداد تعلقها به.. وفي نفس الوقت لا يريد والده أن يشعر بما يحاول تدبيره هرباً من تلك الزيجة..

يحاول جاهداً إظهار جوانب الإختلاف بينه وبينها حتى تتأكد هي من استحالة ارتباطهما.. ولكنها تناوره بمهارة شديدة..

سمعها تناديه:

ـ حسن.. حسن.. مش هنرقص إحنا كمان..

التفت إلى ساحة الرقص ليجد أن مازن يصطحب علياء للرقص.. بينما الفرقة الموسيقية بدأت تعزف أحد الألحان المميزة لرقصة التانجو..

هز حسن رأسه نافياً:

ـ لا.. مازن يرقص تانجو أحسن مني.. خلينا للرقصة الجاية..

برمت شفتيها بغيظ بينما أخذت تراقب مازن وهو يمد ذراعه على طولها لتقف عليا، مواجهة له وتقوم بالمثل.. ثم تضع يدها في يده ليجذبها قريباً منه بينما هي تفرد كفها الأيسر على ظهره وترفع وجهها لتواجهه.. ليدورا معاً عدة مرات حول ساحة الرقص قبل أن يفلتها مازن لتستند على ذراعه الأيسر حتى يتلامس كفاهما فيعود ليجذبها مطوقاً خصرها بذراعه ويضمها إلى صدره.. فيما ترفع هي ساقها اليسرى قليلاً لتلفها حول ساقه اليمنى.. ليعود ويلفها حوله لمرتين بينما طبقات ثوبها المتعددة تلتف حولهما ثم يضمها إليه جاعلاً ظهرها ملاصق لصدره.. فترتفع ذراعها لتطوق عنقه ويرفعها من خصرها لتواجهه ثانية ثم يطلقها مرة أخرى لتدور حوله عدة مرات لتكون بطيات ثوبها سحابة سماوية رائعة..

كانت عيون الجميع معلقة بهما.. بينما توقف باقي الراقصين واكتفوا بالالتفاف حولهما في حلقة واسعة فقد كان من الواضح أن الاثنين على درجة عالية من الاحتراف والمهارة.. فتابعهما الجميع بتأملان تلك الرقصة التي تصرخ بمختلف المشاعر.. حيث تعالت الهمهمات حول كونهما زوج من العشاق يعبران عن عشقهما بالرقص.. ولم تكن الظنون بعيدة عن الحقيقة.. فالواقع أن الاثنين عاشقان بالفعل ولكن ليس لبعضهما فكلاهما عاشق في مثلث حب مستحيل..

فكلا منهما ارتسم على وجهه بوضوح معاناة عاشق.. وكأنهما برقصتهما تلك يعلنان بوضوح عن عشقهما اليائس...

استمرت الرقصة عدة دقائق أخرى قبل أن ينهيها مازن حيث جذب علياء التي انثني جذعها فوق ذراعه حتى وصل شعرها إلى أرض القاعة..

تعالى التصفيق من الراقصين حولهما ومن الجمهور أيضاً تحية لهما على مهاراتهما الواضحة..

ساعد مازن علياء على الاعتدال فطوقها بذراعه حتى تستعيد اتزانها.. بينما تابعت عيني نيرة ما يحدث وقد انتابها غضب غير مفهوم..

غضب.. لو كان لمحه مازن لرقص قلبه فرحاً.. لكن ما جذب نظره هو عينيّ يزيد الذي كان يرسل إليه نظرات كفيلة بإثارة الرعب لقبيلة من الرجال..

فيزيد كاد أن يجن محاولاً تفسير ذلك الغضب الذي يشعر به من مراقصة مازن لعلياء..

علياء التي بدت الآن بريئة كالملاك.. ومغرية كالخطيئة..

الفصل الخامس

جلست علياء على إحدى الأرائك الحجرية المنتشرة على الشرفة حيث اصطحبها مازن بعد انتهاء رقصتهما.. حتى تنعش نفسها قليلا بالهواء النقي.. كما أخبرها مازن, الذي ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة وهو يلمح محاولة يزيد للتقدم منهما, تلك المحاولة التي أحبطتها ريناد بفاعلية حينما تعلقت بعنقه استعداداً للرقصة القادمة... فما كان منه إلا جذب علياء نحو الشرفة

الخارجية.. بعيداً عن جموع الشباب الذين بدءوا بالتحلق حولها طمعاً في مراقصة فراشة الحفل.. كما اطلقوا عليها...

وقف مازن أمامها وهي تتأوه بنزق بينما تخلع صندلها وتحرك أصابع قدميها في الأرض المكسوة برخام فخم:

ـ آآآآه.. يااااه.. أنت عارف أنا بقى لي قد ايه ما رقصتش تانجو.. يجي خمس سنين..

ضحك ضحكة خفيفة وهو يسألها:

ـ خمس سنين!!.. ليه هو أنتِ اتعلمتِ الرقص وأنتِ عندك كام سنة؟..

ضحكت علياء بسعادة وهي تسترجع أيام سعيدة بالنسبة لها:

ـ أنا اتعلمت الرقص قبل المشي.. ماما الله يرحمها قبل ما تتجوز كانت راقصة باليه محترفة.. علمتني حاجات كتير.. ولولا الظروف كان ممكن احترف الرقص.. على الأقل الباليه.. لكن وفاة بابا.. وتحكم أعمامي.. أجبر أمي أنها تهرب منهم.. لكنها ما قدرتش تبعد عن الرقص.. ففتحت صالون لتعليم الرقص كان في جزء للبنات الصغيرين كانت بتعطيهم مبادئ للباليه.. وجزء تاني لرقص الصالونات.. والـ تانجو وسامبا وحتى سالسا.. وأنا بقى كنت معاها على طول.. أخرج من المدرسة.. جري... على قاعة الرقص.. أراقب.. وأتعلم.. ولما كبرت شوية بقيت أشارك في الدورات اللي ماما بتنظمها.. لحد ما اتجوزت عمو عصام.. و.. بدأت تتعب.. و..

أدرك مازن أن ذكرياتها السعيدة انتهت بوفاة والدتها فحاول تغيير الموضوع:

ـ بصراحة أنا اتفاجئت.. طول الوقت بتخيلك في المزرعة بين الخيل والزرع.. سرحانة في عالم لوحدك.. بترسمي لوحاتك.. زي ما يزيد بيقول.. بس أنتِ بترقصي روعة.. محترفة فعلاً..

أجابته بخجل:

ـ أنت كمان بترقص كويس قوي..

ضحك وهو يخبرها:

ـ آه.. هقولك سر.. جدتي كانت بتصر أننا ناخد دروس في الرقص.. حسن كان دايماً بيهرب.. وأنا اللي كنت بتدبس.. بس دلوقتي.. زي ما أنتِ شايفة.. أكيد هو هيموت من الحسد.. وهو شايفني برقص مع فراشة الحفلة..

ابتسمت علياء بخجل ولم ترد على إطرائه الرقيق.. وعاودت ارتداء صندلها.. ووقفت تستعد للدخول الى القاعة.. فسألها بفضول:

ـ عايزة تدخلي ولا ايه؟..

أومأت موافقة:

ـ ايوه ما يصحش نتأخر بره أكتر من كده..

سكتت قليلاً.. ثم أخبرته بتردد:

ـ أنا متشكرة قوي..

أجابها بعجب:

ـ على إيه؟!..

ـ على الرقصة.. و..

احتارت ماذا تقول له.. فهو أنقذها من ليلة كانت ستقضيها وحيدة تراقب يزيد يراقص ريناد.. ونيرة تشاغل حسن.. كل شخص له من يؤنس وحدته ما عدا هي..

قالت بتردد:

ـ وعلى كل حاجة..

ربت على كتفها بمودة:

ـ أنتِ زي أختي الصغيرة يا عليا.. لو احتجتِ أي حاجة..

شدد على جملته ثانية:

- أي حاجة يا عليا.. أوعي تترددي تتصلي بيا.. ماشي..

أومأت موافقة وقد بدأت تترقرق دموع الإمتنان في عينيها لصدق كلماته, فتحركت حتى تدخل القاعة بسرعة, وتحرك ليدخل معها عندما رن جرس هاتفه.. فالتقطه ليرى من المتحدث.. اقتربت منه هامسة:

- على فكرة.. نيرة كانت متضايقة قوي من رقصنا سوا..

تجمدت يده على الهاتف وهو يلمح الصغيرة تدلف إلى القاعة وهي تشير له أنها ذاهبة إلى غرفة السيدات.. وبذهنه يتردد ألف سؤال..

" ما الذي تقصده الصغيرة؟.. وهل حقاً غضبت نيرة لرقصه مع علياء؟.. ولماذا تغضب؟.. "

دار عقله بدوامات من الأفكار بينما تعالى رنين هاتفه للمرة الثانية.. فأجابه وهو غائب مع أفكاره ليجد عم نصر على الهاتف ليخبره

بموافقته على عرضه السابق بالعمل على السيارة الأجرة لصديقه..

أجابه مازن بارتياح:

ـ ألف مبروك علينا وجودك معانا يا راجل يا طيب.. العقد هيكون جاهز عشان تمضي عليه بكره إن شاء الله..

جاءه صوت نصر المحرج:

ـ بس.. مش الأول افاتح والدك في أني هسيب الشغل معاه.. دي الأصول يا بني ولا ايه؟..

ـ براحتك يا عم نصر.. العقد موجود والعربية كمان مفاتيحها معايا.. في الوقت اللي يناسبك.. نبدأ إن شاء الله..

أغلق مازن هاتفه والتفت ليفاجئ بيزيد في مواجهته.. وإمارات الغضب تبدو على وجهه..

****

ما أن اقتربت علياء من الباب المؤدي إلى غرفة السيدات حتى سمعت النقاش الساخن الذي يدور بين ريناد ونيرة.. حيث سمعت صوت نيرة يسأل باستفزاز:

_ صحيح يا ريناد.. هو انتوا لسه ما حددتوش الفرح؟.. ايه هو يزيد ناوي يقضيها خطوبة وبس..

ثم أطلقت ضحكة ساخرة عالية قطعتها على الفور عندما أجابتها ريناد باستخفاف:

_ لو كان على يزيد كنا اتجوزنا من شهور.. بس في حاجة اسمها.. إنك تعززي نفسك عند خطيبك.. تخليه هو اللي هيتجنن علشان يجمعكوا بيت واحد.. بس يمكن أنتِ بس ما سمعتيش عن الحكاية دي..

دفعت علياء الباب بقوة لتدخل قبل أن تتهور نيرة وتقوم بقتل ريناد أو فقأ عينيها..

_ مساء الخير..

ألقت التحية في هدوء.. فلمحت النيران المشتعلة في أعماق عينيّ نيرة.. وهي ترمق ريناد بنظرات كفيلة بإحراقها حية..

أما ريناد فما أن رأت علياء حتى أخبرتها بهدوء يخفي وراءه غضب:

ـ حلوة الرقصة بتاعتك يا عليا..

شكرتها عليا في هدوء:

ـ متشكرة قوي..

صمتت الفتيات الثلاث بينما كان حديث النظرات أبلغ مما يمكن ان تعبر عنه أي كلمات..

وأخيراً استأذنت ريناد لتخرج تاركة علياء مع نيرة وحدهما.. فتكلمت عليا بتردد:

ـ هو حصل ايه؟.. شكلك متضايق قوي.. هي قالت لكِ حاجة ضايقتك؟

رمقتها نيرة بنظرة فاحصة.. لا تعلم إذا ما كانت سمعت تعليق ريناد المستفز حول وضعها مع حسن.. أم لا.. ولكنها تعلم تمام المعرفة أن علياء تحبها ولن تشمت بها

أبداً.. ورغم أن رقصتها مع مازن أشعلت مراجل الغضب بأعماق نيرة.. ولكنها لا تستطيع الصراخ بها أو حتى الغضب منها.. لا تعلم ماذا يوجد بهذه الفتاة ويمنعها من إظهار طبيعتها السيئة معها..

أجابتها بهدوء:

ـ لا ما تقلقيش.. العادي اللي بيني وبين ريناد.. بس هي عندها حق.. رقصتك كانت حلوة وملفتة قوي..

قالت كلمتها الأخيرة بنبرة غير مفهومة.. فسألتها علياء بقلق:

ـ يعني إيه ملفتة؟.. قصدك إيه يا نوني؟..

أمسكت نيرة كتفي علياء وهي تخبرها بهدوء:

ـ أنا عارفة أني قلت لك تحاولي تخلي يزيد يغير.. بس مش لازم مع مازن..

رفعت عليا يديها إلى وجهها وهي تشهق بقوة:

ـ يا خبر.. لا يا نيرة.. أنا مش ده كان قصدي.. أنا بس حبيت أرقص.. رجعت لذكرياتي مع ماما.. صحيح كنت بفكر بيزيد.. لكن ما حاولتش استخدم مازن أبداً..

سكتت قليلاً وهي تنزل يديها لتخبر نيرة بلهجة رقيقة:

ـ مازن ده إنسان جميل قوي.. هو أخد باله إني لوحدي وكده.. فعرض علي نرقص..

لمعت شرارات غضب في عيني نيرة:

ـ وبعدين عملتوا إيه في الفرانده بعد كده؟..

أجابت عليا بنفس اللهجة الرقيقة:

ـ نيرة.. هو مازن يهمك؟.. أقصد..

أشاحت نيرة بيدها وهي تنفي بقوة:

ـ لا طبعاً.. أنتِ بتقولي إيه.. أنا بس مش عاوزة تحصل مشاكل.. خاصة أنه مازن ويزيد أصحاب قوي..

أومأت عليا برأسها بتفهم وشيء بداخلها يخبرها أن الأمر أكبر من هذا.. هي لا تجهل

طبيعة نيرة الأنانية.. فهل غضبت نيرة لأن علياء جذبت منها الأنظار؟.. أم لأن عقلها الملتوي صور لها أن علياء تحاول خطف عاشقها المتيم...

****

ـ مازن.. أبعد عن علياء.. ما تدخلهاش في صراع هي ما لهاش فيه..

كانت تلك كلمات يزيد التي وجهها مباشرة إلى مازن فور إن التقى وجهيهما..

أجابه مازن بعجب:

ـ صراع!!.. صراع إيه..

ـ بص.. أنت عايز نيرة تغير.. وتفوق من هوسها بحسن.. بس..

قاطعه مازن بغضب:

ـ يزيد.. أوعى.. شوف أوعى يجي على بالك للحظة واحدة أني ممكن أعمل أي حاجة عشان ألفت انتباه نيرة.. خطيبة أخويا.. فاهم..

أجابه يزيد بقوة:

ـ خطيبة أخوك اللي هو مش عايزها..

ـ حتى لو هو مش عايزها.. لكنها في الأول والآخر شايلة دبلة عليها اسمه.. يعني شايلة اسمه.. ومش أنا اللي أطعن أخويا في ضهره..

ـ أومال ليه الرقصة؟..

أجابه بسخرية:

ـ يمكن عايز حد تاني يفوق!!

صرخ به يزيد:

ـ وبعدين معاك بقى في التلميحات دي؟

وضع مازن يده على كتف يزيد وهو يخبره بهدوء:

ـ يزيد.. فكر كويس قوي قبل ما تتسرع في جوازك لمجرد إنك بتهرب أو بتراضي أي حد على حساب نفسك.. دور شوف يكون في مشاعر جواك ناحية عليا.. البنت بتحبك.. أي أعمى ممكن يشوف مشاعرها في عينيها..

قبل أن يرد يزيد بأي كلمة دخل حسن إلى الشرفة ليجدهما يتهامسان معاً فصاح بهما في غيظ:

ـ أنتوا هنا!!!.. بتعملوا إيه... أنا قاعد لوحدي بقى لي ساعة..

افتعل يزيد ضحكة قصيرة:

ـ بعني الحق علينا اللي بنفضي لك الجو مع نيرة هانم..

دفعه حسن في كتفه بغيظ:

ـ أيوه.. اتريق اتريق.. ما هو أنا بقيت النكتة بتاعتك اليومين دول.. بس اطمن.. نيرة هانم راحت تصلح مكياجها..

ضحك يزيد وهو يخبره:

ـ أيوه.. ودينا كمان.. نفسي أعرف مين اللي كسره لهم..

ضرب حسن كفه بجبهته وهو يتصنع الخوف:

ـ دينا مع نيرة في مكان واحد.. لازم نستعين بقوات مكافحة الشغب..

ضحك الرجال الثلاثة معاً.. وهم يتبادلون المزاح قليلاً ثم تحول حوارهم إلى العمل وأحوال السوق وما إلى ذلك.. حتى نظر يزيد إلى ساعته واستأذن من صديقيه ليذهب بحثاً عن ريناد.. فأخبره حسن:

ـ أنا اتفقت مع نيرة أننا نوصل عليا..

فأشار له يزيد بإبهامه علامة الموافقة.. ثم ذهب بحثاً عن خطيبته بينما التفت مازن إلى حسن:

ـ عم نصر وافق على العرض..

تنهد حسن بارتياح:

ـ بجد يا مازن.. الحمد لله.. كده ابقى ارتحت من ناحية عم نصر.. وبعدته عن أذى بابا.. على الأقل مش هيكون مهدد بقطع عيشه..

ـ بس أنت عارف بابا.. وأنت فاكر باقي تهديداته.

أومأ حسن موافقاً:

ـ ايوه فاكر.. والحل الوحيد إني أتجوز منى بسرعة.. أنا كنت ناوي استناها أما تخلص

الكلية السنة دي.. لكن كل ما اتحركت أسرع كل ما كان أفضل.. لأن بأي حال من الأحوال بابا مش هيقدر ينفذ تهديده وهي مراتي.. هيخاف على اسمه..

ـ تفتكر يا حسن؟

ـ أيوه.. هو أهم حاجة عنده الاسم والسمعة.. لكن ده مش معناه أنه هيسكت.. أكيد هيقلب الدنيا.. بس خلي كل شيء لوقته.. أنا ماشي خطوة بخطوة.. وعندي ثقة كبيرة في ربنا إنه يساعدني..

ربت مازن على كتفه:

ـ ربنا معاك يا حسن..

****

دلف يزيد إلى غرفته وأغلق الباب خلفه وهو يزفر بحنق.. لا يدري ماذا أصابه.. ولا يستطيع وصف مشاعره.. إنه غاضب..

كلا.. بل أنه محبط..

كلا.. كلا..

إنه غاضب لأنه محبط..

بل غاضب لأنه غير قادر على إيجاد سبب وجيه لإحباطه ذاك..

وذلك يشعره باختناق شديد..

خلع سترته بغضب واتبعها بربطة عنقه.. وفتح عدة أزرار من قميصه ولكن شعوره بالاختناق لم يقل.. فاتجه نحو النافذة ليفتحها على مصرعيها ويأخذ نفس عميق.. ليطلقه بعد ذلك بزفير ساخن.. يحمل سخونة قبلاته لريناد منذ قليل..

ابتسم ابتسامة بلا معنى وهو يتذكر إيصاله لريناد إلى منزلها منذ قليل..

لقد توقف بالسيارة أمام الباب الداخلي للفيلا.. وأوقف السيارة ليسمعها تلقي عليه تحيتها المعتادة.. وانتظر خروجها من السيارة ولكنها ظلت جالسة بجواره ترمقه بنظرات طويلة.. ثم سألته أخيراً:

_ مالك يا يزيد؟؟ أنت زعلان مني؟.

هز رأسه نفياً:

ـ لا طبعاً.. هزعل ليه؟..

ـ عشان موضوع تأجيل جوازنا.. وعشان تغييري المستمر في ديكور البيت.. والله أنا نفسي أكون معاك.. بس مش بقدر أسيطر على إحساسي أنه كل حاجة لازم تكون مثالية زي ما تخيلتها بالظبط.. أرجوك يا يزيد.. حاول تفهمني..

أطرق يزيد برأسه ولم يجب عليها.. إنه مدرك لذلك الهوس الشديد الذي تعاني منه حول فكرة المثالية والكمال في كل شيء.. ولكنه بحاجة إليها.. يريدها إلى جواره.. يحتاج حبها أن ينزع من تفكيره أي خيال عن فراشة الحفل.. نعم.. لقد سمع اللقب الذي أطلقه عليها جمهور الحفل الليلة.. كم يناسبها لقب الفراشة.. فهي ناعمة رقيقة.. سريعة العطب مثل الفراشة بالضبط..

سمع ريناد تناديه بدلال:

ـ يزيد.. زيزو.. رد علي..

التفت لها ليجيبها برقة:

ـ أيوه.. يا ريناد.. أنا فاهم كويس ومقدر والله.. بس عايزك جنبي..

شعر بأصابع ريناد الرفيعة وهي تتلمس كم بذلته وهي تهمس له:

ـ طيب ما أنا كمان عايزاك جنبي..

التفت لها وفوجئ بنظراتها المغوية والتي يلمحها في عينيها للمرة الأولى.. وأناملها التي مازالت تداعب ذراعه بإلحاح.. فما كان منه إلا أن أحنى رأسه ببطء ليقترب من شفتيها وهو يتوقع تهربها منه كالعادة..

ولكنها وعلى الغير المتوقع رحبت بقبلته, بل وبادلته إياها.. قبلة استمرت واستمرت.. بل إنها رفعت ذراعيها لتطوق عنقه وكأنها شعرت أن أفكاره جمحت بعيداً.. بعيداً عنها, فأرادت تطويقه بشبكة جاذبيتها وحبها الذي يستجديه منها في كل مرة وهي تقابله بالدلال والتغليّ..

خبط يزيد إطار النافذة بغيظ.. أخيراً.. نال قبلة من حبيبته المتمردة.. لابد أن يكون في أقصى درجات السعادة والنشوى.. فلماذا يشعر

بهذا الإحباط.. هذا الخواء الشديد بداخله.. وكأنه لم يحلم بتلك القبلة لسنوات.. فلماذا هذا الإحساس المقيت بداخله الذي يطالب بالاكتفاء.. لماذا تركته ريناد كالعطشان الذي أطفأ ظمأه بماء البحر.. لم يرتوي بل ازداد ظمأ.. فلا هو ارتوى.. ولا ظل على عطشه القديم.. بل أدرك أن ماء البحر لن يطفأ ظمأه أبداً..

ازداد إحساسه بالاختناق فخلع قميصه ليرميه بعيداً.. ودخل إلى الحمام حيث ألقى برأسه تحت الماء البارد حتى يهدأ من فوران أفكاره..

شعرت عليا بارتجاف كل خلية بجسدها.. دقات قلبها تدوي كطبول الحرب.. أنفاسها تتسارع وكأنها تعدو هاربة من خطر داهم.. وأخذت تلوم نفسها وتعنفها ألف مرة على تهورها الخطر فهي لا تعلم ماذا دهاها لتستمع لنصيحة نيرة...

"اضربي الحديد وهو سخن.. ده عينه كانت هتطلع عليكِ الليلة"

ونفذت علياء النصيحة بحذافيرها فلم تخلع ثوبها بعد عودتها من الحفل وظلت ساهرة بانتظار عودة يزيد بعدما قام بإيصال ريناد.. وتوجهت إلى غرفته وطرقت الباب بخفة ثم فتحته ودخلت بسرعة قبل أن يلمحها أي من سكان المنزل...

خرج يزيد من الحمام ليفاجئ بعلياء في غرفته فهتف بها في غضب:

ـ أنتِ بتعملي ايه هنا؟..

ما أن لمحته علياء عاري الصدر حتى هربت منها الكلمات.. ولم تعرف أين تذهب بنظرها أو ماذا تخبره.. فبدأت تتلعثم بكلماتها:

ـ أنا.. أنا.. أصل...

جذبها من مرفقها بقوة وهو يصيح بها:

ـ أصل إيه وفصل إيه!!.. إيه اللي جايبك أوضتي في الوقت المتأخر دا يا علياء؟

رفعت قبضتها تضغطها بين أسنانها وهي تحاول التحكم في رجفتها.. واسترجاع كلمات نبرة بأن تحاول استمالته والاقتراب منه، بل وملامسته إن أمكن..

حاولت تحريك يدها لتضعها على صدره لكنها تذكرت عريه فشهقت بقوة.. وأدركت أنها أضعف من أن تبدأ بالمحاولة فلم تستطع سوى التفوه ببضعة كلمات تافهة:

ـ أنت.. أنت ما قولتليش رأيك إيه في فستاني؟

ترك مرفقها وهو يزفر بغضب ويصيح بها:

ـ أنتِ بتهزري!!.. جاية أوضتي وش الفجر عشان تسأليني على فستانك؟.. أنتِ ناوية على إيه؟.. مش كفاية عرض الليلة مع مازن!!

سألته بتردد:

ـ أنت شوفت الرقصة؟.. عجبتك؟..

أمسكها من ذراعيها وهو يهزها بشدة:

ـ عايزة إيه يا علياء؟.. أنتِ هنا ليه؟..

استمر في هزها بقوة مما دفع الدموع للتقافز من بين أجفانها فبدأت تفتحها وتغلقها بسرعة.. وارتعشت شفتيها بشدة فعضت عليها بخوف..

تسارعت وتيرة أنفاسها فازداد ارتفاع وانخفاض صدرها... وتناثر شعرها على كتفيها ووجها وصدرها.. شهقت بعنف تحاول التقاط أنفاسها.. ولكن يزيد استمر في هزه لها وكأنه يريد التنفيس عن غضبه وإحباطه..

رفرفت برموشها محاولة إبعاد خصلاتها من على عينيه لتفاجئ بعينيه تبرقان بنظرات أرعبتها.. وهو يتأمل مظهرها وقد تناثر شعرها وبرقت عينيها بفعل ترقرق الدموع بهما واحمرار وجهها نتيجة هزه الشديد لها وارتجاف شفتيها المكتنزتين..

أرعبتها نظراته ولعنت نفسها لاستسلامها لخطط نيرة.. فهمست بخوف:

- يزيد..

كان صوتها هو القشة التي حطمت مقاومته فهبط برأسه سريعاً متناولاً شفتيها في قبلة قاسية متملكة وكأنه بالفعل ينفس عن إحباطه الذي تبخر في ثوانٍ.. وكأنه لم يكن.. ولكن غضبه اشتد من إدراكه لذلك فازدادت شراسة قبلته.. حتى شعر بملوحة دموعها بين شفتيه.. فدفعها بقوة بعيداً عن جسده الذي شعر به يكاد يحترق توقاً إليها.. وصرخ بها بعنف:

ـ اطلعي بره الأوضة دي الوقتي.. واستنيني في العربية.. أنت هتروحي المزرعة الليلة.. مش ممكن تنامِ هنا الليلة.. مش ممكن..

نظرت له في ذهول وقد سقط أحد كتفي ثوبها فأظهر بشرتها اللامعة.. وتجمدت الدموع في عينيها وهي تضع أناملها على شفتيها المكدومة بفعل قبلته الشرسة..

صرخ بها ثانية وقد تمزق قلبه من مظهرها وصرخ به ضميره مؤنباً بينما جسده يصرخ مطالباً إياه بمعاودة تقبيلها:

ـ اخرجي دلوقتي يا علياء...

انطلقت تعدو حتى وصلت الى سيارته.. وهناك انطلقت دموعها ولم تتوقف حتى بعد ان أوصلها الى المزرعة وانتظر حتى دخلت إلى منزل جده..

ليترك العنان لغضبه فأخذ يلكم مقود السيارة بجنون وهو يلعن نفسه ألف مرة لاستسلامه المخزي لأهوائه وغريزته البدائية.. فسبب الرعب لفتاة صغيرة..

لا ذنب لها..

"كيف لا ذنب لها؟"..

همس له شيطانه.. "إنها أتت بحثاً عن وصالك.. عن قبلاتك.. تستحق تماماً ما نالته"..

صرخ به ضميره..

"كلا.. هي مازالت طفلة ساذجة.. لقد أتت إليك لأنها تثق بك فحسب"..

"طفلة!!.. من ذابت بين ذراعيك ومنحتك تلك المتعة.. طفلة!!.. من شفت غليلك ودون

ظمأك وأشعلت نيرانك.. طفلة!!.. ألا تريد الصعود إليها الآن وإكمال ما بدأته؟.. وخمن ماذا!!.. هي لن تمانع"..

ذلك ما همس به شيطانه..

صرخت أعماقه بعنف الصراع الدائر بها ليلقي برأسه فوق مقود السيارة..

"ريناد.. ليتك تنقذيني قبل فوات الأوان"...

****

ألقت علياء بنفسها في أحد أركان غرفتها بعدما أوصدت بابها.. جمعت ثوبها حولها واحتضنت نفسها بقوة تاركة دموعها التي لم تتوقف منذ تركت الفيلا مع يزيد.. رفعت أناملها بضعف لتلمس شفتيها التي كانت لا تزال متورمة بفعل تلك القبلة الشرسة التي انتهك بها يزيد براءة شفتيها..

"لقد سعيتِ لذلك.. ماذا كنتِ تنتظري من ذهابك إلى غرفته؟.. هل كان سيربت على كتفك ويقص عليكِ حكاية ما قبل النوم"

صرخ بها عقلها..

"لم أكن أنتظر أن يكون بهذه القسوة.. لم أتخيل أن تكون قبلتي الأولى منه بتلك الشراسة.. ولكنني لست غاضبة منه.. فهو لم يقصد أذيتي.. بالتأكيد لم يقصد"

كان ذلك رد قلبها المهزوم بعشقه..

"أنتِ حمقاء.. ستجعلين من مشاعرك ممسحة لقدميه.. وجسدك متنفس لغضبه"

صرخ عقلها ثانية..

هزت رأسها برفض بينما يؤيدها قلبها الأحمق

"هو لم يقصد أذيتي.. لم يقصد أذيتي"..

****

دلفت نيرة إلى المكتب الخاص بسكرتيرة حسن ورمقتها بنظرة متعالية.. ثم توجهت سريعاً نحو مكتب حسن بدون أن تتكبد عناء إلقاء التحية على سكرتيرته التي تحركت مسرعة محاولة منعها من الدخول على حسن:

ـ آنسة نيرة.. آسفة.. بس لازم أعطي للبشمهندس حسن خبر الأول..

رمقتها نيرة بنظرة صاعقة:

ـ أفندم... أنتِ بتقولي إيه!!.. أنتِ عارفة أنا مين؟..

ـ أيوه والله عارفة بس دي الأوامر..

أبعدتها نيرة باستعلاء:

ـ الأوامر دي ما تمشيش علي..

وفتحت الباب لتدخل على حسن الذي رفع رأسه على الفور وضاقت عينيه وهو يتأمل بلوزتها ذات فتحة الصدر الدائرية والتي كانت شفافة تماماً حتى أنه رأى حمالة صدرها بوضوح تام.. كانت ترتدي معها تنورة لم يكد طولها يصل لمنتصف فخذها مظهراً طول وجمال ساقيها الممشوقتين..

راقبها تتقدم نحوه حتى وصلت إلى مكتبه والتفت حوله لتقف أمام المقعد الذي يجلس عليه وتميل على وجهه لتقبله فحرك وجهه

مانحاً إياها وجنته.. ليمنعها من تلقي القبلة التي تتوق إليها.. رفعت نفسها على مكتبه للتكأ عليه بصورة جانبية مانحة حسن صورة في غاية الاغراء لجسدها المحني عليه وهي تهمس له وتداعب وجنته بأناملها الناعمة:

- إيه رأيك في المفاجأة دي؟..

تحرك حسن بعدم ارتياح في مقعده وحاول النهوض منه إلا أنها انزلقت من فوق المكتب لتحتك به تماماً في نفس اللحظة التي تمكن بها من النهوض..

ارتبك حسن قليلاً وحاول أن يبعدها عنه إلا أنها اقتربت لتطوق عنقه بذراعيها وهي تهمس له:

- وحشتني.. وحشتني قوي..

فك تشابك ذراعيها من حول عنقه وهو يجيبها برسمية:

- شكراً!..

ضربت نبرة الأرض بقدمها حنقاً وهي تتصنع الألم ولكن كان غضبها حقيقي:

ـ وبعدين بقى يا حسن في طريقتك دي..

أجاب بهدوء مستفز:

ـ وبعدين إيه يا نيرة.. إحنا في مكان شغل م... ينفعش فيه الحركات دي.. وبعدين إحنا مع بعض كل يوم.. مش معقول يعني لحقت أوحشك..

ـ هو أنت هتعد علي الساعات اللي بنقضيها سوا!!.. مش هو ده المفروض.. إننا نقرب من بعض اكتر..

مسح حسن وجهه بكفيه في تعب.. فهو مجهد.. مستنفذ.. عاطفياً وبدنياً فمنذ أسبوع كامل بالتحديد منذ ليلة الحفل ونيرة تصر على التواجد أمامه في كل وقت وكل لحظة.. وهو يحاول مجاراتها.. على قدر ما يستطيع.. ولكنه أوشك بالفعل على الانفجار غضباً وغيظاً.. خاصة إن منى تكتفي برسائلها المسائية فقط.. ولا تجيب على أي من مكالماته.. لقد اتصل بها فوق الألف مرة في هذا الأسبوع.. وهي مازالت متمسكة بصمودها ومبدأها.. ما يعزيه قليلاً أن عم نصر ترك

العمل مع والده بالفعل وبدأ بالعمل على السيارة الأجرة التي ابتاعها من أجله..

رن جرس الهاتف الخاص بحسن بنغمة تمنى لو يسمعها منذ أسبوع كامل.. فالتفت بلهفة- لم تفت على نيرة- ليلتقط الهاتف بسرعة.. وهو يتأمله بفرحة ويخبر نيرة بعجلة:

ـ آسف يا نيرة.. تليفون مهم.. لازم أرد عليه..

رفعت حاجباً واحداً وهي ترد باستفزاز وقد أدركت هوية المتصل:

ـ ما ترد.. هو أنا منعتك؟!!

ارتبك قليلاً:

ـ أصل.. ده عميل مهم.. والشغل اللي بينا سري..

لوت شفتيها بسخرية بالغة:

ـ عميل!!.. والعميل بتخصص له نغمة "حبيبي يا عاشق"..

ـ قصدك إيه يا نيرة؟

ـ قصدي معروف.. وقصدك أنت كمان.. بس أنا مش هسكت.. ومش هستسلم.. باي يا خطيبي يا حبيبي..

الفصل السادس

وقف عامر أمام نافذة مكتبه وهو يستعيد الحوار الذي دار بينه وبين صبا منذ عدة أيام..

ابتسم بحزن وهو يتذكر همسها بأن فريدة سألتها عنه..

فريدة.. هل ما زالت تتذكره؟.. هل تحن إليه كما يحترق شوقاً إليها؟..

هل من الممكن أن تسامحه في يوم من الأيام؟!!..

لقد هدم كل ما بينهما في لحظة حماقة.. وفشل في اختبار تمسكه بها.. استمعت أذناه لكلمات انطلقت من بين شفتيها وغفل قلبه عن صراخ روحها اليائس..

ابتسم ساخراً من نفسه.. كيف من الممكن أن تسامحه بينما هو غير قادر على مسامحة ذاته؟؟!!...

تحرك متوجهاً نحو أحد الأدراج ليخرج منه صورة حديثة لسيدة في منتصف الثلاثينات من عمرها.. كانت عينيها الفضية ترمق الفضاء بنظرات غامضة بينما أحاط شعرها الداكن الشقرة بوجهها وأراحت إحدى وجنتيها على يدها وهي تبتسم ابتسامة غامضة وحزينة.. وكأنها تدرك أن صغيرتها ستمنحه تلك الصورة لتكون زاده في سنين بعده عنها..

تلمست أنامله ابتسامتها الحزينة وهو يتذكر لقاؤه الأول بها..

كان ذلك منذ أكثر من خمسة عشر عاماً.. وكانوا قد بدأوا بتنفيذ فكرة حاتم العبقرية بتولي أعمال الديكورات للمجمعات السكنية التي تتولى شركتهما بنائها.. فتعاقدوا مع مكتب لأعمال الديكورات لتلك المهمة وهو المكتب الذي كانت تعمل به فريدة..

كان هو مايزال يتخبط جراء فقده لزوجته وحبيبة عمره ورفيقة دربه منذ شهور قليلة فقط.. كان تقريباً يعيش على هامش الحياة معتزلاً الجميع وذاهلاً عن كل ما حوله..

فحاول حاتم معه بقوة ليخرج من تلك الحالة فقد مرت شهور وهو لايزال يعيش في صومعة أحزانه.. فما كان من حاتم صاحب التفكير العملي إلا أن أجبره على تولي تصميم المجمع السكني الجديد الذي تعاقدوا على انشائه مؤخراً, وكذلك الإشراف على أعمال مكتب الديكورات حتى يتم تسليم الوحدات جاهزة تماماً..

في أحد الأيام ذهب لتفقد تقدم العمل بأحد الفيلات ليفاجئ بتلك الفتاة ضئيلة الجسم, قصيرة القامة وقد جمعت كتلة من الشعر الشقر تحت قبعة بيسبول ووضعت فرشاة للرسم بين أسنانها.. بينما أمسكت بأخرى وجلست القرفصاء منهمكة في رسم أشكال غريبة على أحد جدران الفيلا..

ألقى التحية بهدوء لينبهها لوجوده.. فانتفضت بشدة لتقف وتواجهه والفرشاة ما زالت بين أسنانها.. وسألته بعنف:

ـ أنت مين؟.. وبتعمل إيه هنا؟؟!!

نظر إلى مظهرها الصبياني وقال بلهجة متفكهة:

ـ أنا اللي مفروض أسأل السؤال ده.. أنتِ مين وبتعملي إيه هنا؟..

رفعت حاجباً متعجرفاً ومرسوماً بدقة وهي تسأله بسخرية متبادلة:

ـ ليه بقى؟.. سيادتك تبقى مين؟..

أغضبته سخريتها فصاح بغضب:

ـ إحنا هنهزر!!.. ردي على السؤال..

رفعت القبعة من فوق رأسها فتناثرت خصلات بلون سنابل القمح, كلا.. بل أغمق قليلاً, خطفت نظراته على الفور فضيق عينيه وهو يتأملها بتقدير مختلف.. فلم تعد ذات هيئة صبيانية متشردة بعد الآن..

لم تخفِ نظراته عنها فابتسمت له بتحد مستفز.. لكنه فوت فرصة الشجار عليها عندما أخبرها بلهجة أقل غضباً:

ـ أنا المهندس عامر.. المهندس اللي صمم المجمع السكني ده..

كان يظن أنه سيبهرها بتلك الجملة إلا أنه فوجئ بهزة لامبالاة من كتفيها.. وهي تخبره بمنتهى الاستفزاز:

ـ تصميم سخيف جداً... على فكرة.. أنا مش فاهمة أنت فخور قوي كده ليه..

كانت تلك الجملة بمثابة شرارة البدء لعلاقة عاصفة استمرت عدة أشهر.. لم يهتما خلالها بفارق العمر فقد كانت فريدة فقط في التاسعة عشر.. بينما يكاد هو في بدايات اربعينياته...

كان أحياناً يُخضع جنونها لحبه، فيزدادا اقتراباً.. وأحياناً أخرى تتمرد عليه وتهرب منه ومن عواطفه التي تحكمت به بطريقة لم يظنها ممكنة، فقد كان يظن أنه سيعيش مع ذكرى حبه لزوجته الراحلة ما تبقى له من عمر ليفاجئ بقلبه يدق بقوة عاشقاً لفريدة وجنونها..

شعر وقتها أن لحظة لقاءه بها كانت فاصلة في حياته.. وأن ما عاشه سابقاً كان مجرد

لحظات تمهيدية لعشقه لتلك المتمردة فضية العينين..

تزوجها أخيراً بعد معاناة لإقناعها بأنه لن يُحجم من طموحها الفني.. وعاشا معاً عدة شهور في سعادة مطلقة.. تخلت فيها فريدة طواعية عن عملها واكتفت بدراستها في كلية الفنون فقط.. وتناست طموحاتها الفنية من أجل عيون عامر ورغبة منها للتفرغ له، ابتعدا عن الناس والواقع في عالم يضمهما فقط.. حتى كانت العودة المتوقعة للحياة الطبيعية والتي كانت بالطبع تضم ابنته نيرة..

نيرة.. الطفلة الصغيرة ذات السنوات الست والتي ترفض بشدة وجود بديل لأمها.. أو بالأحرى رفضت المرأة التي سرقت منها والدها.. وسلبت لبه..

فتفننت في افتعال المشاكل وإثارة المتاعب.. ونظراً لسن فريدة الصغيرة عجزت عن التعامل مع مشاكل ابنة زوج متمردة وحاقدة بشدة..

وفي وسط تلك المشاكل اختار عامر الهروب.. الهروب من اتخاذ موقف حاسم من ابنته المدللة.. فوجد في ذكرياته مع زوجته الراحلة متنفساً للهرب من حياته المتقلقلة.. فبدأ ينتابه شعور محرق بالذنب تجاه ذكراها.. وتعجب كيف استطاع نسيان حبه لها بتلك السرعة ليرتبط بعلاقة زواج سريعة مع فتاة تصغره سناً بعدد غير قليل من السنوات وغير قادرة على تولي مسئولية أمور بيته وابنته.. وبدأت تظهر المشاكل بينهما وهو يقارن بينها وبين زوجته الراحلة..

وازداد البعد والجفاء خاصة مع إعلان فريدة برغبتها في العودة إلى عملها فهي تشعر بالفراغ معظم الوقت خاصة مع ابتعاد عامر عنها مغموراً بشعوره الأحمق بالذنب.. وفي خضم تلك المشكلات ولدت صبا.. ذلك الملاك فضي العينين بخصلاتها الكستنائية الملتفة.. والتي فتنت والدها وسرقت قلبه وعقله معاً.. فعاد لفريدة معتذراً طالباً لمغفرتها عن تصرفاته الحمقاء نحوها.. وسامحته فريدة مانحة إياه أعمق ما تملك من مشاعر.. وراغبة بفتح صفحة جديدة من حياتها معه,

وبالفعل هدأت المشكلات لفترة واضطرت فريدة لتناسي عودتها للعمل حتى تلازم صبا الصغيرة..

لكن وجود صبا لم يمر بسلام على نيرة.. فازداد تمردها وحقدها.. وامتد لتؤذي الصغيرة.. فكانت تصرخ بها حتى تجهش الفتاة ببكاء هيستيري.. أو تضربها أحياناً.. ورغم هذا لم يوجه عامر أي لوم أو عتاب إلى نيرة, بل عاد للابتعاد والهروب وكأنه يعاقب نفسه وقلبه على تناسيه السريع لزوجته الراحلة.. فتعمق إحساسه بالذنب ورفض معاقبة نيرة وكأنه بذلك يعتذر لروح الحبيبة الراحلة عن عشقه الجارف للزوجة الحالية..

وبدأ عامر التنفيس عن إحساسه الوهمي بالذنب على فريدة التي استطاعت إختراق قضبان قلبه فكان يدأب على توجيه اللوم لها وإخبارها أنها أم غير صالحة لأي من ابنتيه..

كانت فريدة تحتمله في صبر معتمدة على رصيد حبه في قلبها.. فكانت طبيعتها العاطفية

وصغر سنها تدفعها لمسامحته في كل مرة يهينها أو يغضبها فيها, لكن تفاقم الأمر مرة واحدة عندما ضربت نيرة صبا الصغيرة حتى ظهرت علامات أصابعها واضحة على وجنتي الصغيرة .. كانت تبكي بهيسترية غير طبيعية.. فاضطرت فريدة إلى معاقبة نيرة بالضرب لأول مرة منذ زواجها من عامر... الذي ما أن علم هذا حتى توجه بسلسلة طويلة من الإهانات والصراخ في وجه فريدة مخبراً اياها بقسوة:

ـ أنا اللي غلطان اللي اتجوزت واحدة مهملة ومستهترة زيك.. لو كنتِ أم طبيعية زي أم نيرة الله يرحمها كنتِ عرفتِ تتعاملي مع البنت ومنعتيها أنها تأذي أختها زي ما بتقولي.. لكن أنتِ كل دماغك في الرسم والألوان والعبط ده..

جمدتها الكلمات فأخبرته بهدوء مستفز:

ـ وايه اللي يجبرك أنك تستمر في الغلطة دي؟.. طلقني.. طلقني يا عامر..

أطلق الرصاصة الأخيرة في علاقتهما:

ـ خلاص يا فريدة لو هي مش فارقة معاكي كده.. أنتِ طالق.. طالق..

عاد من ذكرياته على تلك الكلمة.. التي أخرج بها فريدة من حياته مصراً على ابقاء ابنته صبا معه بعدما قررت فريدة الابتعاد عنه للأبد والرحيل الى فرنسا..

أخذ يتلمس الصورة بحنين جارف.. ثم أعادها إلى الدرج مرة أخرى وأغلق عليها..

****

جلست علياء على المقعد الخلفي للسيارة وهي تضع قبضتها بين أسنانها.. تلك العادة المصاحبة لها كلما شعرت بالقلق والحيرة.. وهو ما تشعر به الآن.. فقد أرسل عصام الغمراوي السيارة لها صباحاً لتأتي بها من المزرعة.. ظنت في البداية أنه يريدها أن تتناول معهم الغذاء في الفيلا.. ولكن السائق أخبرها أنهما سيتوجهان إلى مقر مجموعة الغمراوي.. ظل القلق يعصف بها طوال المسافة الى المجموعة.. وانتابتها الحيرة مما يريده عصام منها..

هل أخبره يزيد بما حدث ليلة الحفل؟.. هل لهذا لم يأتِ هو أو يزيد إلى المزرعة طوال الأسبوع ولا حتى لتهنأتها بعيد ميلادها الذي مر منذ يومين ولم يتذكره أحداً سوى نيرة التي ملأت لها غرفتها بزهور القرنفل التي تعشقها علياء.. هل استدعاها اليوم ليخبرها أنه سيرسلها إلى أعمامها؟..

كانت ترتجف من هذا الاعتقاد عندما وصلت إلى مقر المجموعة وهناك التقت بعصام الذي اصطحبها إلى مكتبه..

ـ تعالي .. اقعدي يا عليا.. أخبارك ايه يا بنتي؟.. في أخبار عن نتيجة التنسيق؟..

ابتلعت علياء ريقها براحة وهي تتنهد بداخلها.. فيبدو أن يزيد لم يخبر والده بشيء.. فعصام يتحدث معها بطريقة طبيعية تماماً..

عاد عصام ليحدثها:

ـ إيه يا عليا.. سرحانة في إيه؟.. ولا أنتِ زعلانة مني؟..

نفت علياء بقوة:

ـ لا أبداً يا عمو.. هزعل ليه؟..

توجه عصام إلى أحد أدراج مكتبه وأخرج منه علبتين من المخمل الأزرق.. ثم تحرك نحو علياء ليجلس بجوارها..

ـ يمكن تكوني فاكرة أني نسيت عيد ميلادك..لا والله يا بنتي.. بس مشاغل الشغل بتاخد الواحد..

ـ أنا مقدرة مشاغلك يا عمو.. ومش زعلانة..

قدم إليها إحدى العلبتين:

ـ ماشي يا ستي.. اتفضلي.. دي هدية عيد ميلادك.. ولو أنها متأخرة.. كل سنة وأنتِ طيبة يا عليا.. كبرتِ وبقيتِ عروسة زي القمر.. وخلاص هتدخلي الجامعة.. لو كانت مامتك عايشة..

تهدج صوته قليلاً:

ـ الله يرحمها كانت بتحلم باليوم ده.. وبتتخيلك وأنتِ نازلة الصبح أول يوم.. وراجعة لها تحكي لها عن تجربتك في أول يوم

ليكي في الكلية.. الله يرحمها.. أكيد هي حاسة بيكي دلوقت.. و...

لم يستطع عصام إكمال كلماته فقد خنقته غصة شديدة وهو يتذكر نادية الرقيقة الناعمة.. والتي رغم كل ما يقال عن ظروف زواجه بها من كونها أزمة منتصف العمر إلا أن الحقيقة أنها هي من أنقذته من تلك الأزمة..

تأمل تساقط الدموع على وجنتيّ علياء ومسارعتها لتمسحها..

ربت على كتفها وهو يحاول التحكم في أحزانه:

ـ هاه.. إحنا هنقلبها نكد ولا إيه.. يلا افتحي العلبة كده وقولي لي رأيك..

أومأت علياء بصمت وهي تمسح باقي دموعها وتفتح العلبة المخملية ليطالعها سوار غاية في الرقة.. كان يتكون من حلقات متداخلة من البلاتين والذي تزينه فصوص ماسية صغيرة..

شهقت عليا بقوة وهي تهتف:

ـ ده جميل قوي.. متشكرة قوي قوي يا عمو.

ابتسم بسعادة وهو يثبت لها السوار بمعصمها:

ـ العفو يا حبيبة عمو.. شوفتِ إزاي أني ما نسيتكيش.. ولا حتى يزيد..

همست عليا بخفوت:

ـ يزيد!!

ـ أيوه.. اتفضلي دي كمان يا ستي.. دي هدية من يزيد.. أنا كان المفروض أعدي على المزرعة يوم عيد ميلادك فأعطاني العلبة أوصلها لكِ.. بس ظروف الشغل عطلتني زي ما قلت لكِ..

أخذت منه علياء العلبة الأخرى وهي تتحرق من داخلها لترى هدية يزيد, ولكنها في نفس الوقت كانت تريد رؤيتها بمفردها بدون مراقبة عصام لها.. وكأن القدر استجاب لدعواتها.. فانطلق رنين هاتف المكتب ليتحرك عصام استجابة له..

وأخذ يتبادل مع محدثه حوار خاص بالعمل.. بينما أنامل علياء تداعب العلبة بشعور متناقض بين توق لفتحها, وخوف من أن تصدمها الهدية بداخلها, فهو لم يعطها لها بنفسه بل أرسلها مع والده وكأنه يريد أن يخبرها أنه لا يرغب في رؤيتها ثانية..

التفت على صوت عصام وهو يستأذنها:

_ عليا حبيبتي.. استأذنك.. خمس دقايق بس هروح أخلص المشكلة دي وهرجع على طول.. استنيني ما تمشيش.. أنا لسه عايزك في موضوع ضروري..

أومأت عليا برأسها وهي تسمع باب غرفة المكتب يغلق خلف عصام..

ظلت أناملها تداعب العلبة التي تحتوي على هدية يزيد لعدة دقائق.. ودقات قلبها تعلو.. خوفاً وتوقعاً.. ثم فتحتها بتردد لتجد سلسلة رفيعة من الذهب الأبيض وقد تدلت منها حبة من الماس لتشكل دَمعة صغيرة..

مدت يدها لتتلمس تلك الدَمعة وكأنها تسألها..

"لماذا اخترت إهداء الدموع لي؟.. هل هي مصادفة أم أنك تعمدتها يا يزيد؟"..

عادت تتلمسها برقة متناهية.. ثم لم تستطع مقاومة فضولها.. فنهضت متوجهة نحو زجاج النافذة.. لترتدي السلسلة وتتأمل صورتها المنعكسة على الزجاج اللامع ولم تنتبه إلى دخول يزيد للغرفة ووقوفه واجماً يتأمل بدوره هديته تزين جيدها.. والدمعة الماسية تبرق وقد توسدت تلك الفجوة الرقيقة بين عظام ترقوتيها.. كما تخيلها تماماً وهو يختار لها هدية مولدها التي أعطاها لوالده حتى يوصلها إليها.. فبعد ما حدث في غرفته ليلة الحفل أصبح لا يضمن نفسه وحيداً معها..

أخذت عيناه تتابعها وهي تتلمس دمعته الماسية برقة.. لم يدرِ لم تصور أنها تهمس لها بشيء ما.. شيء أراد سماعه بشدة..

استمر في متابعة أناملها وهي تتحرك بخفة فوق السلسلة وشعر بعقله يشتعل بأفكار لم ير أن يستمع لها، بل وجمحت به خيالاته الطائشة وهو يتصور شفتيه هي التي تتحرك على طول السلسلة حتى يصل إلى تلك الدمعة المتلألئة فيتذوقها وقد استمدت الدفء والعطر الخاص بفراشته الصغيرة.. عندما وصل به جموح أفكاره لتلك النقطة؛ آثر السلامة وقرر الابتعاد عنها ومغادرة الغرفة ولكن علياء التفتت في تلك اللحظة ولمحته وهو يمسك بمقبض الباب فهتفت بعجب:

ـ يزيد!!.. أنت هنا من امتى؟..

التفت إليها على مضض وهو يحاول إبعاد أي أفكار مجنونة تدور برأسه، ولكن يبدو أنه لم ينجح بذلك فما أن التقت عيناهما حتى وجدها ترفع أناملها بلا وعي لتغطي شفتيها وكأنها تحميها منه.. فأخفض بصره على الفور وحياها بهدوء:

ـ إزيك يا علياء.. أنتِ عاملة إيه؟..

تجمدت الكلمات على شفتي علياء.. فبعد أن مرت لحظات المفاجأة الأولى لوجوده معها

بالغرفة.. ولمحت تلك النظرات المشتعلة بعينيه وجدت نفسها تتذكر قبلتهما الوحيدة وتلقائيا ارتفعت يدها إلى شفتيها بدون أي تفكير؛ ثم ما لبثت أن لعنت نفسها لحركتها تلك فلابد أنه سيظن أنها تريد منه تكرار تلك القبلة وخاصة بعدما وجدته يخفض بصره أرضاً هرباً من مواجهتها.. فحركت أناملها من شفتيها إلى الدمعة الماسية المعلقة بجيدها كأنها تذكره بهدية عيد ميلادها.. فبادرها مهنئاً:

- صحيح.. كل سنة وأنتِ طيبة يا علياء.. بابا وصل لكِ الهدية؟..

أومأت موافقة بدون أن تفتح شفتيها بكلمة.. فعاد يسألها محاولاً تبادل حوار طبيعي معها كأنه يسعى لمحو أي ذكرى تمر بعقلها بما قام به من قبل..

- إيه بقى لكِ مدة مختفية.. أنتِ ما بتروحيش النادي ولا إيه..

رفعت علياء عينيها إليه ولمعت زرقة عينيها بتساؤل حائر.. ولكنها أجابت بهدوء:

ـ أنا بروح النادي مع نيرة بس.. وهي كانت مشغولة الأسبوع ده مع حسن.. يا دوبك بس جت زارتني يوم عيد ميلادي..

سكت يزيد قليلاً وهو يفكر إذا ما كان عليه مواجهة الأمر والاعتذار منها عما حدث ليلة الحفل.. لكن صوتها سبقه ليسمعها تخبره برقة:

ـ عمو قالي أنكوا انشغلتوا جامد عشان كده ما قدرتوش تيجوا يوم عيد ميلادي.. والله بجد

أنا مش زعلانة.. ومتشكرة قوي على الهدية الرقيقة.. كفاية أنكوا افتكرتوني..

اندفعت فجأة الكلمات إلى شفتيه فهو لم يتحمل شعورها بالامتنان في حين أنها يجب أن تصرخ به معاتبة:

ـ بصي يا علياء.. أنا آسف قوي.. آسف على كل حاجة..

هزت علياء رأسها بحيرة:

ـ بتعتذر ليه يا يزيد؟.. أنا..

قاطعها:

ـ أنتِ أختي الصغيرة يا علياء.. وأنا غلطت في حقك غلط جامد ليلة الحفلة.. عشان كده ما اقدرتش آجي وأواجهك يوم عيد ميلادك.. أنا آسف مرة تانية ويا ريت تسامحيني..

حاولت علياء حبس دموعها التي هددت بالانهمار وهي تسمعه يصفها بأنها مجرد أخت صغيرة له.. لم تعرف بم تجبه وهو يهدم كل أحلامها ويغتال مشاعرها نحوه بتلك الكلمات البسيطة.. بينما هو لعن في نفسه

مازن وتلميحاته المستمرة.. وتلك الرقصة اللعينة.. التي أشعلت بركان كان يظن أنه نائم، بل ميت.. ولكنه يشعر به الآن يرسل حمماً مشتعلة تكاد تقضي على راحة باله للأبد..

عاد يلمح دموعها الحبيسة وتعمد إساءة فهم السبب وراءها.. فهو يريد إغلاق فوهة ذلك البركان بداخله.. فغمغم محاولاً إقناع نفسه قبلها:

ـ خلاص يا علياء.. هنرجع أصحاب وأخوات زي الأول؟؟

أومأت علياء في صمت, فهي تعلم أنها لو فتحت شفتيها فستشهق ببكاء لا ينقطع..

اقترب منها ليطبع قبلة أخوية على وجنتها كعربون للصلح..

لم يدرِ ماذا حدث بعد ذلك.. ففي لحظة كانت شفتاه على وجنتها.. ولكنه شعر بيدها على صدره.. لم يعلم إذا كانت تدفعه أو تداعبه.. كل ما يعلمه أنه في اللحظة التالية كان يضع خيالاته في حيز التنفيذ متذوقاً دمعته الماسية وقد تشبعت بعبق فراشته الصغيرة..

****

لم يهتم حسن للحظة بخروج نيرة الدرامي من مكتبه.. كل ما كان يعنيه في تلك اللحظة هو سماع صوت منى..

فتح الخط على الفور وهو يهتف:

ـ منى.. أخيراً يا حبيبتي..

جاءه صوتها متلعثماً بخجل أذاب قلبه:

ـ وبعدين يا حسن!!.. مش قلنا بلاش مكالمات..

سألها بعتاب:

ـ وقدرتِ يا منى؟.. ما كونتش أعرف أنك قاسية كده

ـ مش قسوة يا حسن.. بس..

ـ بس إيه؟..

ـ خوف يا حسن.. خوف..

ـ يبقى أنا ما أستحقش أعيش يا منى لو سيبتك تشعري بالخوف ده

هتفت بسرعة:

ـ بعد الشر عليك..

سألها بشقاوة:

ـ خايفة عليّ؟..

تهدج صوتها:

ـ طبعاً.. خايفة عليك.. خايفة عليك من كـ
حاجة.. حسن.. أنا خايفة أني أعذبك وآلمـ
أكتر لو...

قاطعها:

ـ العذاب الحقيقي هو أني ما اسمعش صوتك يـ
حبيبتي.. أنا كنت محتاجك قوي.. قوي.. يا
منى الفترة اللي فاتت.. كنت هتجنن وأشوفك
او حتى أسمع صوتك..

أجابته وقد تلون صوتها قليلاً بغيرة محببة:

ـ ليه يا حسن؟.. كنت محتاج لوجودي ليه؟.
أنت خايف أنك تضعف قدام جمال نيرة؟..
بدأت تحبها؟..

سألها وقد عادت الشقاوة لصوته:

ـ بتغيري عليّ يا عمري؟..

هتفت بسرعة تحاول نفي شعورها بالغيرة:

ـ لا أبداً.. أنا..

قاطعها بسعادة:

ـ أنتِ بتغيري.. وأنا هطير من السعادة.. بس عايز أقولك أنك مش محتاجة تغيري من أي واحدة في الدنيا.. لأن قلبي ما دخلتوش غير واحدة بس... دخلته وقفلت وراها والمفتاح معاها هي بس..

سكت قليلاً وهو يستمتع بأنفاسها المضطربة نتيجة كلماته المغازلة:

ـ عارفة دي تبقى مين؟.. تبقى حبيبة عمري كله.. وحلم عمري اللي قربت أحققه..

سألت منى وقد غمرها الأمل رغماً عنها:

ـ بجد يا حسن؟..

أجابها بثقة:

ـ بجد يا منى.. الحمد لله أن عمي نصر وافق على مشاركة صاحب مازن..

أجابته منى بتردد:

ـ أنا صحيح شجعت بابا على أنه يدخل في الشراكة دي.. بس برضوه مستغربة منها حبتين

سألها بتوتر:

ـ ليه يا منى؟..

ـ يعني.. العرض كان وقته مريب خاصة بعد ما قلت لي آخر مرة.. أنك بتفكر تبعد بابا عن والدك.. و..

قاطعها حسن سريعاً وقد خشي أن تصل بذكائها لحقيقة الأمر وهي أنه هو الصديق الغامض لمازن:

ـ يا منى.. العرض مش مريب ولا حاجة.. أنا لما سمعت من مازن عن صاحبه ده.. الفكرة ظهرت في دماغي.. والحمد لله.. عمي نصر وافق على العرض.. المهم بقى أنتِ عند وعدك؟..

ـ أكيد طبعاً.. بس وعد ايه؟..

ـ أنك هتكوني جنبي بكل قوتك.. لو اتقدمت لوالدك..

قاطعته:

ـ بس تكون حر يا حسن.. أنا مش هدخل في النص بينك وبين نيرة..

هتف بها بغضب:

ـ أولاً ما فيش حاجة اسمها بيني وبين نيرة ثانياً.. عايز أسمع منك يا منى أنك معايا.. حتى لو طلبت منك أننا نتجوز قبل ما تخلصي كليتك..

قاطعته:

ـ بس يكون بابا عارف وموافق..

ـ ده شيء مفروغ منه زي ما قلت لك قبل كده.. عايز وعد يا منى..

همست:

ـ أوعدك يا حسن.. أوعدك أني مش هكون غير لك.. أنت بس.. أنت بس يا حسن..

ـ هيحصل يا منى.. قريب قوي يا حبيبتي..

أرادت أن تسأله كيف سيتخلص من خطوبته من نيرة ولكنها جبنت.. هو لم يخبرها في آخر لقاء لهما إلا عن فكرته في إبعاد والدها عن براثن والده.. وهو ما تحقق بالفعل.. لكن كيفية تخلصه من الالتزام بالزواج من نيرة لم يصرح لها عن كيفية تحقيقه.. وما لا تعرفه هو أنه يحاول جاهداً إبراز وجوه

الاختلاف بينه وبين نيرة.. وإظهار وجه ممل وسخيف له في التعامل معها علها تيأس من إيقاعه في شباكها أو تقرر أخيراً أنه لا يستحق عبء مطاردتها له..

عادت تسمع صوته وهو يسألها بأمل:

ـ هشوفك إمتى؟..

ردت بحزن:

ـ مش هينفع يا حسن.. أرجوك احترم رغبتي.. أنا آسفة.. فترة راحتي انتهت ومضطرة أقول لك مع السلامة... لا إله إلا الله..

أجابها بهمس حزين:

ـ محمد رسول الله..

أغلق الخط.. وهو يفكر في خطوة قوية ليبعد بها نيرة عن كاهله.. ويجعلها هي من تطلب فك الارتباط.. لقد كان يعتمد على الصبر حتى تتبين هي بنفسها استحالة استمرار ارتباطهما.. ولكن صبره نفذ سريعاً خاصة وهي تحبط محاولته واحدة تلو الأخرى للابتعاد

عنه ,ا فكبريائها وغرورها يمنعاها من التسليم بأن حسن لن يسقط في شباكها..

كبريائها وغرورها!!..

ترددت الكلمتان في ذهنه وعقله يرسم له خطة على قدر بساطتها فهي ستكون شديدة الفاعلية.. وكلها تعتمد على كبريائها وغرورها...

ولم يدرك أن نيرة بنفسها هي من ستمنحه قريباً السكين ليقطع أي خيط يربط بينهما...

****

لم تعلم علياء ما الذي حدث لها.. ففي لحظة شعرت بيزيد يمنحها قبلة أخوية بسيطة.. ولكن روحها وقلبها وكيانها بأكمله تمردوا على تلك الصلة الأخوية التي يفرضها عليها.. فوجدت أناملها تمتد بلا إرادة منها لتداعب زر قميصه الأعلى والقريب من بشرة صدره العارية فشعرت باتصال سريع لم يتعدَ ثوانٍ مع بشرته الساخنة.. ولكن ما لم تحسب له حساب هو رد فعله السريع على هذا الاتصال والذي تمثل

في ضمه لها بقوة حيث لف إحدى ذراعيه حول خصرها.. ورفع الأخرى ليثبت رأسها إلى الخلف حتى يتمكن من ضغط شفتيه فوق الدمعة الماسية ليتذوق عبق عليائه ممتزجاً ببريق الماس...

لم تعرف علياء كيف تتصرف أو تتجاوب مع عاطفته التي كان يعتذر عنها منذ لحظات قليلة فقط, فتمسكت بكتفيه مستسلمة لشفتيه التي تمسح جيدها برقة شديدة..

صوت والده العالي خارج غرفة المكتب وهو يملي على سكرتيرته بضعة أوامر هو ما أفاقه من نشوته.. فابتعد عن علياء سريعاً.. واتجه نحو النافذة يحاول تهدئة جسده والتقاط أنفاسه الهاربة منه والتي سجنتها الدَمعة اليتيمة المعلقة بجيد الساحرة الصغيرة..

عاد يلعن مازن ألف مرة.. ويلعن ذاته ملايين المرات وهو يلمح نظراتها الزائغة وهي تستمع لاعتذار والده عن تأخره عنها وتركه

لها وحيدة.. ثم ما لبث أن لمح يزيد فهتف بارتياح:

ـ يزيد.. طيب كويس أنك هنا.. أنا كنت لسه هبعت لك..

تنحنح يزيد ليجلي صوته وهو يسأل والده:

ـ خير يا بابا في حاجة؟.

أشار عصام لهما ليجلسا.. فاتجهت علياء لتجلس على أحد الأرائك متجنبة الجلوس على المقعد المواجه لمكتب عصام فقد خشيت أن يلمح تشوشها وتخبط أفكارها.. خاصة وهي تغطي بيدها على دمعة الماس وكأنها تخفي قبلة يزيد عن أعين والده...

فضل يزيد الوقوف كما هو مواجهاً للنافذة حتى لا يكشف عن ثورة جسده.. وفوران مشاعره..

سمع صوت والده:

ـ طبعاً يا عليا.. أنتِ عارفة اتفاقي مع أعمامك.. أنهم يعطوني الوصاية القانونية عليكِ في كل شيء ما عدا الأمور المادية اللي

أصروا تكون في إيديهم.. وأنا ما اعترضتش وقتها عشان أقدر أوفي كلمتي لمامتك أنك تكوني تحت رعايتي.. الوقتي بقى أنتِ وصلتِ 18 سنة.. لو عايزاني أكلم المحاميين عشان نحرك الأمور.. وأحاول أسترد أرضك اللي تحت سيطرة أهل والدك.. وخاصة أنهم مش أشقاء له.. فأنا تحت أمرك.. إيه رأيك؟..

هزت علياء رأسها بحيرة فعقلها من الأساس يدور في دوائر مفرغة وما فعله بها يزيد منذ قليل جعل الضباب الوردي يغلف عقلها:

ـ أنا مش عارفة يا عمو.. بصراحة ما فكرتش في الموضوع ده قبل كده.. ممكن آخد شوية وقت عشان أفكر فيه..

أومأ موافقاً وهو يتجه بنظره ليزيد:

ـ وأنت رأيك ايه يا يزيد؟..

ـ طبعاً لازم تحاول تدور على حقها.. ده شيء مفروغ منه..

ردت علياء بتردد:

ـ بس.. بس.. أنا مش عايزة حاجة منهم.. الأرض دي بابا-الله يرحمه- سابها وساب البلد كلها عشان يبعد هو وماما.. حتى ماما.. ما فكرتش في أي وقت أنها تطالب بالأرض دي..

ـ بصي يا بنتي.. زي ما قال يزيد.. دي أرضك وده حقك.. فكري كويس.. وبعيد عن أي عواطف.. فكري بعقلك.. وأنا هنفذ لك أي قرار.. موافقة؟..

أومأت برأسها في موافقة صامتة.. فهز عصام رأسه راضياً:

ـ نرجع بقى للسبب التاني اللي طلبتك عشانه..

ـ خير يا عمو؟؟

ـ خير يا حبيبة عمو.. مش قلت لك أنك كبرتِ وبقيتِ عروسة.. وعروستنا الحلوة مش متقدم لها عريس واحد.. لا.. دول تلات عرسان.. وإيه.. من أعرق العائلات.. يظهر

يا شقية أنك سحرتِ شباب النادي يوم الحفلة..

الفصل السابع

دوي صوت ريناد في الهاتف وهي تصرخ مذهولة:

ـ أسبوعين!!.. أسبوعين إيه يا يزيد؟.. مش ممكن طبعاً ألحق أخلص أي حاجة في أسبوعين, مش أقل من ست شهور..

هتف بدوره بغضب يتزايد بداخله:

ـ إيه!!.. ست شهور!!.. احنا مخطوبين من سنة ونص.. سنة ونص تبديل وتغيير في كل

ركن في البيت وياريت في الآخر بترضي عنه.. خلاص.. احنا نتجوز وابقي اعملي التباديل والتوافيق براحتك واحنا متجوزين..

سألته ريناد بهدوء وقد استشعرت غضبه:

ـ هو في إيه يا يزيد؟.. احنا كنا لسه مع بعض امبارح .. الكلام ده جديد عليَّ..

سألها يزيد والغضب مازال يلون صوته:

ـ أنا مش فاهم إيه اللي يزعلك في أننا نعجل من جوازنا؟..

أجابته بنزق:

ـ وإيه اللي جد عشان العجلة دي كلها؟..

ضرب سطح مكتبه بقبضة يده.. حتى شعر أنه على وشك تحطيمها..

ماذا يستطيع أن يخبرها؟.. أنه كان على وشك خيانتها.. ليس مرة, بل اثنتين.. هذا على أرض الواقع.. أما عدد مرات خيانته

لها في خياله فهي لا تحصى.. ففراشته الراقصة لم تبرح خياله منذ قبلتهما في غرفته ليلة الحفلة.. يراقصها ويحتضنها.. ويقبلها كما تستحق وكما يشتهي هو.. فلم يتذوق ملوحة دموعها بأحلامه, بل شهد شفتيها الذي لا يكتفي منه.. كل تلك الخيالات انفجرت بوجهه لحظة أن لامست شفتيه وجنتها.. فلم يدري بنفسه إلا وهو يضمها.. يقبلها.. يتذوقها.. وقد احتلت دمعته جيدها.. وما يثير جنونه.. ويأجج مشاعره.. أنها لا ترفضه.. لا تبعده أو تقاومه, بل تذوب

بين أحضانه.. تستسلم له في خضوع عاشقة وكأنها ولدت لتحيا بين ذراعيه..

لم لا تشعر ريناد به؟.. باحتياجه لها ولحبها.. لتواجدها بجواره.. يريدها أن تنقذه من خيالاته.. من أوهامه حول علياء..

نعم..

أنها خيالات وأوهام.. فوران هرمونات ورغبات جسد..

بالطبع ذلك ما يشعر به.. يجب أن يكون كذلك.. لا يهم ما شعر به منذ قليل وكلمات والده تخترق أذنيه كالخناجر السامة... كالأحجار المسننة التي تمزق تماسكه الهش وهو يلمحها تغطي بيدها فوق قبلته.. ووالده مستمر في تعداد مزايا كل زوج محتمل من الذين فتنوا بالفراشة الراقصة..

هرب من سماع كلمات والده وخرج مندفعاً من الغرفة قبل أن يخونه تماسكه ويصرخ به.. أن ولده خان أمانة اليتيمة المعلقة

بأعناقهما.. أراده أن يمتنع عن ذكر كل اولئك الرجال الذين يرغبونها.. فذلك يزيد من تأجج رغبته بها.. ويضيف إلى جنونه جنوناً آخر.. جنون الامتلاك.. يريدها له وحده.. ولكنه لا يستطيع أن ينالها.. فأي وجود لها في حياته كفيل بتحطيم أعز الناس إلى قلبه.. أمه.. فيكفيها ما نالها من والده.. منذ سنوات.. وكانت السبب فيه نادية والدة علياء.. تلك السيدة الرقيقة التي عجز عن كراهيتها عندما أخبره والده عنها وعرفه بها.. مخبراً إياه أنه يدين لها بالكثير.. ولم يزد عن ذلك.. فقد كانت نادية في أقسى مراحل مرضها..

الذنب الذي شعر به لعجزه عن كراهية السيدة التي حطمت سعادة والدته وأمانها.. تحول إلى حقد على علياء.. ابنتها الصغيرة.. فعلى مدار سنوات كان يتفنن في إغاظتها والتضييق عليها.. حتى أفاقه مازن بتلميحاته المتكررة على حقيقة مشاعره وأن كل تصرفاته تعود إلى أنانيته الخالصة ورغبته التامة في اخفائها عن العيون لتكون له وحده, لقد التقط

عقله الباطن مدى هشاشتها ورقتها فتحول تلقائياً لحمايتها من الجميع وأولهم والدته.. ولكنه للأسف فشل في حمايتها من نفسه..

أعاده صوت ريناد إلى الواقع وهي تقول:

ـ البيت مش جاهز و..

قاطعها:

ـ شهر واحد يا ريناد.. هو شهر.. ما فيش يوم واحد زيادة..

حاولت ريناد مجادلته إلا أنه أنهى المكالمة بحسم:

ـ أنا هكلم ماما عشان تتفق مع خالتي.. وأنتِ حاولي تخلصي اللي تقدري عليه.. والباقي بعد الجواز.. ده آخر كلام عندي..

أغلق الخط وهو يزفر بحنق واضعاً وجهه بين كفيه.. ليفاجئ ببعض شعيرات سوداء قد تعلقت بأصابعه..

اللعنة.. أنها تنتمي الى علياء..

خلص أصابعه منهم بعنف.. وهو يصرخ من أعماقه..

اللعنة.. لقد أصبحت لعنته وهاجسه..

قطع رنين الهاتف استرسال افكاره.. فرفعه إلى أذنه مرحباً بالمقاطعة.. ليجد حسن هو المتصل يطلب منه مقابلته في النادي.. لأمر هام...

****

ظلت علياء تستمع إلى ثرثرة نيرة بذهن غائب.. فعقلها قد توقف عن العمل في اللحظة التي أحاطها يزيد بذراعيه.. فهو له ذلك التأثير المخدر على حواسها وإدراكها.. أنها حتى لا تتذكر ما حدث بعدما أطلقها من بين ذراعيه..

كل ما يمر في ذهنها خيالات عن حوار ما.. كانت هي أحد أطرافه, بل كانت تجيب عمها عصام أيضاً على أسئلته.. الشيء الوحيد الواضح الذي يلمع في ذهنها هو صوت رأس

يزيد يصطدم بزجاج النافذة.. بعدما أخبرها عصام عن خطابها المحتملين.. ثم اندفاعه خارج الغرفة متعذراً بأشياء لا تتذكرها..

ثم تكرار عصام لعروض الزواج.. ولكنها اعتذرت بسرعة مستخدمة دراستها كعذر صلب لتختفي خلفه..

قاطع شرودها صوت نيرة النزق:

ـ عليا.. أنتِ فين؟.. إيه سرحانة في إيه؟.. من لحظة ما دخلتِ العربية وأنتِ مش هنا..

أجابتها علياء بشرود:

ـ هااه.. لا أبداً ولا حاجة..

ـ إزاي ولا حاجة... في إيه.. يزيد زعلك في حاجة.. أنتِ ما قولتليش إيه اللي حصل ليلة الحفلة؟..

تلعثمت عليا.. ولم تعرف بم تجيب نيرة.. فهي تريد الاحتفاظ لنفسها فقط بما يدور بينها وبين يزيد.. تشعر أنه شيئاً خاصاً جداً.. ولا تريد إطلاع أي شخص عليه حتى لو كانت نيرة.. حتى لو كانت تحتاج إلى مشورتها

بشدة.. فهي لا تعلم كيف تتعامل معه بعد الآن.. فهو يخبرها بشفتيه أنه يعتبرها كأخت صغيرة.. ثم تجده بعد لحظات يقبلها بنفس الشفتين..

ماذا يريد منها؟.. وماذا يظن بها؟..

هي لا تعلم.. حتى رد فعله الغريب على كلام والده لا تعرف ماذا يعني..

هل تشعر بخيبة الأمل لأنه لم يصرخ رافضاً؟.. نعم..

ولكنها كانت تقريباً تتوقع هربه من المواجهة.. ولم يفاجئها ذلك.. أنها لا تريد إلا حبه فقط.. حتى أنها لم تفكر ماذا ستفعل لو بادلها مشاعرها بالفعل!.. وكأن أقصى أمانيها هي حبه فقط.. بل أنها وللعجب لم تفكر لحظة في إزاحة ريناد من طريقها.. لا تدري أتلك سذاجة منها؟.. أم أن قلبها يعلم أن المشكلة لا تكمن بريناد, بل بيزيد نفسه...

أعادها صوت نيرة للواقع مرة أخرى:.

ـ عليا.. في إيه.. لا.. أنتِ مش عجباني نهائي..

هزت علياء رأسها بقوة لتحاول تركيز أفكارها وأجابت نيرة بأول ما جاء على لسانها:

ـ أصل.. أصل عمو عصام بلغني أنه في ناس عايزة تتقدم وتخطبني..

صرخت نيرة بحبور:

ـ والله.. دي أخبار عظيمة..

التفتت علياء إليها بذهول:

ـ عظيمة!!.. عظيمة إزاي يا نيرة؟.. ويزيد؟..

ـ أيوه طبعاً عظيمة.. دي فرصة هايلة أنه يشوفك مع واحد تاني.. يشوف أنك ممكن تضيعي منه.. ساعتها هيحس بقيمتك..

هزت علياء رأسها برفض:

ـ قصدك إني أوافق وارتبط بشخص تاني فعلاً؟!..

أومأت نيرة موافقة:

ـ أيوه طبعاً..

أجابته علياء برفض تام:

ـ بس دي كده تبقى خيانة.. أنا كده هخون الشخص ده وأنا برتبط به ومشاعري مع غيره، وخاصة أني مش هكمل معاه.. وكمان بخون نفسي ومشاعري..

لوحت نيرة بيدها:

ـ عليا.. بلاش كلام الشعارات ده.. أهم حاجة ازاي توصلي للي أنتِ عايزاه..

ـ خلاص يا نيرة.. الموضوع انتهى.. أنا بلغت عمو عصام.. أني مش بفكر في الجواز.. ومش هفكر فيه إلا بعد ما أخلص دراسة..

سكتت قليلاً وهي تلمح علامات الامتعاض على وجه نيرة ثم سألتها:

ـ إحنا رايحين فين؟.. ده مش طريق النادي..

ارتسمت ابتسامة جذلى على شفتي نيرة وهي تجيب:

ـ أيوه.. إحنا رايحين البوتيك اللي بتشتغل فيه مني..

اتسعت عينا علياء بخوف:

ـ ليه؟.. بلاش يا نيرة..

تركت عينا نيرة الطريق قليلاً لتلتفت لعليا وقد ارتسمت على ملامحها كل معالم الكراهية:

ـ أيوه.. أيوه يا عليا.. لازم أنهي الموضوع ده النهارده.. والليلة بنت السواق هتكون مشرفة في السجن..

شهقت عليا:

ـ إيه!!.. السجن!!.. نيرة.. الموضوع ما يوصلش للدرجة دي؟.. أنتِ ناوية على إيه؟..

ضغطت نيرة على أسنانها بغيظ:

ـ يعني إيه ما يوصلش للدرجة دي.. هي اللي بدأت.. وبتحاول تسرق مني حسن.. خلاص يبقى العقوبة على أد الجريمة.. ولو عليّ كنت محيتها من الدنيا..

ـ هتعملي إيه يا نيرة؟..

هزت نيرة كتفيها بلامبالاة:

ـ أبداً.. أنا الفترة اللي فاتت كنت بروح البوتيك يومياً.. بس في وقت هي بتكون مش موجودة فيه.. بقيت زبونة ... في آي بي... النهارده بقى أما نروح هقول أن الولاعة وعلبة السجاير الدهب بتوعي ضاعوا.. أنتِ عليكِ أنك تحطيهم في شنطتها من غير ما تاخد بالها.. وهوووبا... هتشرف الهانم في السجن.. بس عشان تتعلم أنها ما تبصش لفوق...

برقت عينا عليا برعب وهي تستوعب ما قالته نيرة وما تنوي عليه بينما ارتسمت على شفتي نيرة ابتسامة متشفية وهي تتخيل منى بالفعل خلف القضبان..

****

طرق حسن غرفة جدته باحترام.. وانتظر حتى سمحت له بالدخول..

دخل غرفتها ليجدها تجلس على أريكتها المريحة الموجودة بمواجهة فراشها.. وقد وُضعت أمامها مائدة صغيرة وعليها المصحف

الخاص بها.. وكتاب المأثورات وأذكار الصباح والمساء.. بينما أمسكت بين أصابعها مسبحة طويلة وأخذت تسبح في صمت..

تنحنح حسن.. حتى يلفت انتباهها لوجوده وحياها بهدوء:

ـ صباح الخير يا جدتي..

ابتسمت له:

ـ صباح الخير يا روح جدتك روح..

وضحكا معاً لتحيتها المعتادة له.. فـــ روح هو اسمها...

أشارت له:

ـ تعالى أقعد جنب روح واشتكي لها همك..

جلس بجوارها واحتار كيف يخبرها ما يريد فسألها:

ـ حضرتك فطرتِ؟..

أجابته بصبر:

- أنت عارف أني بصحى من قبل الفجر.. ادعي وأصلي.. وأشرب الليمون بالعسل.. وكمان.. آخد التوم المقصص والمقطع بتاعي.. أنت عارف هو حلو قوي للمناعة.. وبعدين أفطر فتة اللبن بالعيش.. نظامي وعمري ما هغيره ان شاء الله..

ضحك حسن:

- ربنا يديكي الصحة..

ربتت على ركبته:

- احكي لي عن همك يا ابن حاتم.. قلبك اللي تاعبك.. وأبوك رماك للنار.. وهو عارف أنك مُغرم بنسمة هوى رقيقة..

- حضرتك عارفة كل حاجة أهو يا جدتي..

أومأت:

- أيوه يا حبيبي.. وأبوك بسرعة عمل الخطوبة وأنا في رحلة الحج.. عشان ما اتدخلش.. بس لو عايزني أدخل.. أنا هساعدك يا حبيبي..

اندفعت الكلمات على لسان حسن وهو يخبرها أنه يحتاج لرأيها فيما يفكر به..

وبدأ يحكي لها عن الخطة التي توصل لها..

عندما انتهى سألته:

ـ ما فيش طريقة تانية يا حسن؟..

هز رأسه:

ـ ما فيش قدامي غير أني أتقمص شخصية حاتم العدوي.. وأفكر زيه.. عشان أحمي مني.. وفي نفس الوقت برضوه ما أسيبش أذى كبير لنيرة..

هزت رأسها وهي تخبره بحزن:

ـ هقول لك ايه يا ابني.. حاول على أد ما تقدر أنك ما تأذيهاش كتير.. ولو عايز مساعدة مع نصر.. أنا هكون جانبك.. لأنه أكيد هيرفض جواز بنته بدون موافقة أبوك.. نصر بيحترمني.. أنا أعرفه من هو صغير..

امسك حسن يد جدته وقبلها بحب شديد:

ـ ربنا يخليكي يا روح.. يا روح حسن..

ضحكت جدته وهي تسأله:

ـ بقى روح.. هي روح حسن!!.. أومال مني تبقى ايه يا شقي؟!!..

ضحكا معاً وهو يشعر بالارتياح يغمره فقد اكتسب حليف قوي..

****

جلس حسن مع يزيد بمدرجات التنس وبديا للجميع وكأنهما يتابعان المباراة التي تدور بين نيرة وريناد.. حيث بدت نيرة في مزاج رائق وهادئ تكاد تكون منتشية.. مما مكنها من السيطرة على المباراة بكل سهولة بعكس ريناد التي كانت في مزاج متفجر..

مما دفع حسن إلى سؤال يزيد:

ـ مالها ريناد؟.. شكلها هتفجر الملعب باللي فيه!..

ابتسم يزيد بسخرية:

ـ إيه خايف إنها تخبط الكورة في نيرة؟

هز حسن كتفيه:

- مش معنى أني مش بحبها بالطريقة اللي هي عايزاها.. أني أتمنى لها الأذى.. بالعكس.. أنا أتمنى لها كل خير.. بس يكون بعيد عني.. برضوه ما قلتش.. أنت لك دخل بمزاج ريناد؟..

- أخيراً أخدت موقف من موضوع تأجيلها للجواز.. وحددت له ميعاد بعد شهر.. وده طبعاً مش جاي على هواها.. سيبك أنت.. خلينا في الخطة الجهنمية بتاعتك دي..

- أنا ما كونتش عايز ألجأ لكده.. وحاولت معاها كتير.. أنا حسيت أني بقيت حد بايخ وسخيف عشان هي تبعد من نفسها.. لكن ما فيش فايدة.. وأنا تعبت.. مش قادر أتحمل أكتر.. ومنى رافضة أني حتى أشوفها.. أنا عاذرها طبعاً.. لكن خلاص بقى.. كل شيء وله حد.. وأنا جبت آخري..

شردتا عينا يزيد للحظة وهو يتابع دخول مازن إلى أحد المدرجات كان لا يراهما من موقعه.. لكن يزيد كان يراه بوضوح حيث جلس ليتابع

المباراة وبدا أنه في انتظار شخص ما.. فأخذ
ينظر في ساعته أكثر من مرة..

وما أن لفت انتباه حسن لوصول مازن.. حتى
انتفضا لسماع صرخة نيرة القوية.. فقد قام
ريناد بإرسال الكرة بقوة مبالغ فيها لم
تتوقعها نيرة فارتطمت الكرة برأسها بقوة..
ولكن ما جذب انتباه حسن الشديد هو رد فعل
مازن الذي انتفض فزعاً وقلقاً وبدا الهلع
الشديد على ملامحه وهو يتابع نيرة التي
أمسكت رأسها لعدة ثوانٍ ثم بدأت تدلكها
وتنظر إلى ريناد بغيظ.. وبدأت في توجيه
مختلف الاتهامات لها.. وبعد أن انتهت من
تفريغ غضبها اتجهت نحو غرف تغيير الملابس
وهي تشير إلى علياء التي كانت جالسة في
الملعب تراقب المباراة أن تنتظرها في
المطعم..

حينها هدأت ملامح مازن وهو يراقب
تحركات نيرة بنظرات رقيقة.. وملامح عاشقة,
ولم يكن يدري بالطبع أن حسن يراقب كل ما
حدث حيث تحجرت نظراته على وجه شقيقه

وهو يقرأ عشقه المحروم والمحرم.. عشق لا يستطيع قراءته إلا عاشق..

أخذ يشير ليزيد بكلمات متعثرة:

ـ أنت كنت عارف؟.. كنت عارف يا يزيد..

تابع يزيد نظرات حسن ليلمح وجه مازن وقد ظهرت إمارات العشق والإشتياق على ملامحه بوضوح.. فحاول تهدئة حسن:

ـ اهدى بس يا حسن.. مازن عمره ما حاول يلفت انتباه نيرة أو..

قاطعه حسن:

ـ أنت بتقول إيه يا يزيد.. أنت فاكر أني بشك في أخويا.. أخويا اللي كان بيتعذب طول الوقت وأنا مش واخد بالي.. وقاعد أشكي له همي.. وأطلب منه يساعدني.. وهو.. هو مش قادر حتى يلمح لي باللي واجع قلبه.. إزاي.. إزاي ما اتكلمش.. طيب أنا أتصرف إزاي دلوقتي.. أواجهه؟.. أكلمه؟.. ألمح له؟.. طيب هقول له إيه.. اللي أنت بتحبها أنا بموت وأنا

بخطط عشان أبعدها عني.. أنا.. أنا مش عارف أعمل إيه!!!..

لم يستطع يزيد الرد على كلمات حسن العاطفية.. وأخذ يربت على كتفه بمؤازرة..

بينما استطرد حسن:

ـ آه.. أنا تعبان قوي.. مش قادر أرفع راسي.. مش قادر أفكر.. أنا كنت الأول بحاول أحافظ على كرامة نيرة وشعورها.. باجاريها أحياناً في تصرفاتها.. لكن الوقتي.. إزاي.. إزاي.. إزاي وأنا عارف إنه في كل لحظة بجاريها فيها بموت أخويا بالبطئ..

ـ خلاص يا حسن.. هانت.. واللي أنت ناوي عليه هيعطي لمازن فرصة كويسة أنه يتدخل.. أنت ناوي تنفذ خطتك امتى؟..

ـ أنا كنت ناوي يوم عيد ميلادها.. بعد شهرين.. لكن دلوقتي.. مش هنتظر لحظة زيادة.. بس هحتاج مساعدة من ريناد..

لم يسمع أي رد من يزيد الذي تعلقت عيناه بالشخص الذي كان مازن في انتظاره.. ولم

تكن سوى علياء التي كان يبدو عليها الاضطراب الشديد وهي تتوجه نحو مازن الذي أمسك بيدها ليصطحبها إلى أحد المقاعد ويجلس بجوارها.. وبدا أنه يحاول تهدئتها بينما هي كانت تلوح بيديها وتحركها في انفعال شديد..

ظل تركيز يزيد موجهاً نحو جلسة مازن وعلياء.. بينما استمر حسن في شرح ما يريده من ريناد.. حتى فوجئ بشرود يزيد.. وابتعاده بأفكاره كلية..

وكزه حسن في كتفه:

- يزيد.. أنت سمعت حاجة من اللي قلتها؟.. يزيد.. أنت روحت فين؟..

التفت يزيد إليه وكأنه تذكر وجوده:

- في إيه يا حسن؟.. أنت عايز حاجة؟..

ثم عاد ليراقب الثنائي الذي أطار عقله من رأسه.. تابع حسن نظراته ليلمح علياء وهي تجلس مع مازن.... فهتف بتعجب:

ـ هو إيه حكاية علياء مع مازن؟.. أنا مش فاهم حاجة!!..

نهض يزيد فجأة وهو يتمتم:

ـ أنا هعرف حالاً في إيه بالظبط..

****

حاول مازن تهدئة علياء التي كانت في قمة انفعالها وهي تخبره في خوف:

ـ نيرة أكيد هتزعل مني لو عرفت أني قلت لك.. بس أنا مش عارفة ألجأ لمين؟.. أو أحكي لمين؟.. أنت قلت لي أني اتصل بيك لو احتجت لأي حاجة و..

قاطعها مازن مهدئاً:

ـ اهدي بس شوية يا عليا.. تحبي نروح نشرب حاجة؟..

هتفت بفزع:

ـ لا.. أنا لازم أحكي لك قبل ما نيرة تخلص الشاور بتاعها..

ـ طيب اهدي كده وفهميني بالراحة..

أخذت علياء نفس عميق وبدأت تحكي لمازن غضب نيرة الشديد من وجود منى في حياة حسن.. وكيف أنها ترددت على مكان عملها بمحل الملابس حتى أصبحت من أهم زبائنه ثم وصلت لخطة نيرة للزج بمنى في السجن.. بتهمة السرقة.. هنا صاح مازن في غضب ممتزج بالذهول:

- إيه.. أنتِ بتقولي إيه يا عليا!!.. مش ممكن توصل الأمور للدرجة دي!!..

بدأت علياء تنشج بالبكاء وهي تخبره:

- والله يا مازن أنا حاولت أمنعها.. والحمد لله أنه ربنا هداني لفكرة وقفتها عن خطتها دي..

سأل مازن بسرعة:

- فكرة إيه؟..

أجابته علياء بخجل:

- قلت لها أنها لو نفذت خطتها وفعلاً منى اتحبست, حسن هيعرف أنها هي اللي ورا

الحكاية دي.. وده هيزود الجفا بينهم أكتر.. وهيقربه من مني أكتر وأكتر..

سألها بلهفة:

_ هيه واقتنعت؟..

أومأت برأسها:

_ أيوه.. بعد الحاح شديد مني.. ومحاولات كتير اقتنعت أنها كده هتزود مشاكلها مع حسن مش هتقللها.. بس.. بس..

واختنقت علياء بغصتها وهي تجهش في البكاء مرة ثانية.. مما دفع مازن لأن يربت على كتفها مهدئاً:

_ طيب اهدي بس يا عليا وفهميني حصل إيه بعد كده.. عشان أقدر أساعدك..

_ لا بعد ولا قبل يا مازن.. لو علياء عندها مشكلة, أنا كفيل بحلها.. شكراً على تعبك ووقتك....

كان ذلك يزيد الذي ظهر فجأة خلفهما ليجذب علياء من ذراعها.. ويجرها خلفه بينما مازن يهتف خلفه:

ـ استنى بس يا يزيد.. استنى يا مجنون..

لم يستمع يزيد إليه وهو يتحرك بسرعة جاذبا علياء خلفه بدون أن ينتظر لحظة واحدة حتى يستمع إلى تفسيرات مازن الذي تمتم بحيرة:

ـ وبعدين في المجنون ده!!.. طيب أنا دلوقتي هعرف باقي الحكاية إزاي!!..

****

ضمت مني ركبتيها إلى صدرها وقد كومت نفسها فوق فراشها.. وانهمرت دموع القهر من عينيها..

كانت كل شهقة تخرج منها كأنها خنجر يمزق صدرها وهي تتذكر الموقف الذي وضعتها به نيرة.. وكلفها في النهاية عملها..

لم تهتم بخسارة ذلك العمل بقدر ألمها وهي تحاول تحريك شفتيها وتستدعي بعض كلمات الاعتذار الذي أمرتها بتقديمه صاحبة

البوتيك... ولكنها عجزت.. شعرت وكأن لسانها يرفض أن يخضع لأوامر عقلها ويقدم اعتذار عن اساءة وهمية لم تصدر منها..

أغمضت عيونها لتسقط الدموع على وجنتيها.. دموع حبستها طويلاً والآن بدا أنها بدأت في الانهمار ولن تتوقف.. لقد عاهدت نفسها ألا تبكي من بعد تلك الليلة التي أعلن فيها حسن خطبته على نيرة، واحتفظت بتماسكها طويلاً.. لم تتنازل ولم تخضع لحبها.. حافظت على كرامة أبيها وحرصت على مبادئها، ولكن أي من هذا لم يشفع لها.. عندما قررت نيرة أنه حان الوقت للتخلص منها..

استمرت دموعها بالهطول وهي تتذكر دخول نيرة إلى البوتيك وكأنها الملكة المتوجة للمكان وبصحبتها علياء.. حيث توجهت نيرة على الفور إلى صاحبة البوتيك السيدة نسرين.. ودار بينهما حوار ضاحك أظهر عمق العلاقة بينهما..

ثم بدأت نيرة تتجول بين حوامل الملابس وكأنها تنتوي الشراء بالفعل.. فأشارت السيدة نسرين إلى منى لتقوم بعملها وتبدأ بعرض الثياب على الزبونة الهامة..

تحركت منى بتثاقل نحو نيرة وألقت عليها التحية:

ـ مساء الخير يا نيرة.. بتدوري على حاجة معينة؟..

رفعت نيرة حاجبها بعجرفة:

ـ نيرة كده!!.. من غير هانم ولا حتى آنسة..

ثم رفعت صوتها لتسمعه صاحبة البوتيك وأكملت حديثها مع منى:

ـ إيه الأشكال دي.. مش عارفة تتعاملي مع الناس.. يبقى شوفي شغل تاني.. تنضفي الأرض أو تمسحي الغبار..

انسحب اللون من وجه منى وهي تلمح نظرة متشفية ومتوعدة في نفس الوقت في عينيّ

نيرة.. بينما ارتسم الحرج على وجه علياء وهي تمنح منى نظرة معتذرة ومشبعة بالذنب..

فغمغمت منى بحرج:

ـ حضرتك بتدوري على حاجة معينة يا نيرة هانم..

وضغطت على حروف هانم بشدة.. فعادت الابتسامة المتشفية للظهور على وجه نيرة وهي تطلب منها:

ـ أيوه.. عايزة فستان سواريه لمناسبة خاصة.. خاصة جداً.. أنا عايزة أعمل مفاجأة لخطيبي.. بس يا ريت يكون الفستان لونه أبيض.. هو بيحب اللون ده عليّ قوي.. وآه.. يكون مقفول لأنه بيغير عليّ مووووت..

أغمضت منى عينيها لتخفي ألمها عن عينيّ نيرة.. وابتلعت تلميح تلك الأخيرة عن عمق علاقتها بحسن.. فهي تعد له سهرة خاصة تحرص فيها على ارتداء ما يحب.. هل معنى ذلك أنها بدأت تنجح في غزو قلب حسن؟..

غيرة عاصفة شعرت بها منى.. شعور لا إرادي لم تستطع التحكم به.. وهي تفكر أن حسن يهتم بنيرة بأي طريقة.. غضبت من نفسها لذلك الشعور.. ولكنها ليست ملاك حتى تسمو على تلك المشاعر.. وتتغاضى عنها.. حبها لحسن وغيرتها عليه.. رغم أنها لا تظهرها.. لكنها تحدث رغماً عن إرادتها...

ومجبرة بدأت تعرض على نيرة مجموعة من الثياب توافق طلباتها.. ومع كل ثوب كان تذمر نيرة يزداد.. كما كان يرتفع صوتها بالشكوى من العاملة المهملة والغبية.. وكانت تقصد منى بالطبع..

تذرعت منى بالصبر.. وتسلحت بالهدوء ورفضت أن تنقاد الى محاولات نيرة المستميتة لاستفزازها..

وأخيراً قررت نيرة انهاء اللعبة.. فأسقطت علاقة مفاتيحها ثم نظرت لمنى بكل عجرفة الدنيا لتطلب منها إحضارها من الأرض..

التمعت نظرات منى بالقهر وهي تلمح نظرات التشفي في عيون نيرة والشفقة والذنب بعيون

علياء.. لم تعلم لم ذبحتها شفقة علياء أكثر من شماتة نيرة.. ولم تحتمل أن تكون في ذلك الموقف.. شعرت بجسدها وقد تخدر بفعل الألم.. ورفضت عضلاتها الاستجابة لأوامر عقلها باتخاذ أي حركة.. دموعها كانت تخزها من تحت رموشها.. وهي تحاول منعها من الانهمار.. ملامح وجهها تجمدت حاملة قناع من عدم التصديق المؤلم..

صوت نيرة العالي هو ما أخرجها من جمودها وهي تنادي السيدة نسرين.. لتحكي حكاية وهمية عن تطاول منى عليها, بل وادعت أن منى طلبت منها بعض الأموال حتى تعرض لها المزيد من الثياب.. وأنهت تمثيليتها بنبرة غضب برعت في ادعائه وطالبت باعتذار ورد اعتبار لمكانتها التي أهدرتها عاملة بسيطة بالبوتيك..

بالطبع سارعت السيدة نسرين تحث منى على تقديم اعتذار محترم للزبونة الهامة.. وهو ما رفضت منى القيام به..

فدوى صوت نيرة الغاضب:

ـ مدام نسرين.. بنت زي دي بتعطي دعاية سيئة عن البوتيك.. دي لازم تمشي..

وإرضاءً لنيرة قامت نسرين بطرد منى من العمل بدون تردد مؤكدة أن العاملات من أمثالها يسهل العثور عليهن ولكن زبونة هامة مثل نيرة حيث لا يمكن إغضابها..

التقطت منى حقيبة يدها وتحركت لتخرج من البوتيك وهي تحاول أن تحتفظ برأسها مرفوع قدر ما يمكنها ولكن صوت نيرة عاد يدوي:

ـ دي فرصة ودي بسيطة.. عشان ما تبصيش تاني لفوق يا شاطرة.. فاهمة..

لم تحتمل منى نظرات الانتصار في عينيّ نيرة فتوجهت مسرعة للخارج وهي تكاد لا ترى الطريق أمامها وأخذت تركض حتى وصلت إلى بيتها فتكومت على فراشها تبكي كرامتها وقهرها وحبها..

****

الفصل الثامن

انطلق يزيد بسيارته في سرعة غاضبة.. بينما علياء ترتجف على المقعد بجواره ولم تكف عيناها لحظة عن البكاء.. ولكنها كانت تكتم شهقاتها بداخلها خوفاً من الغضب العاصف الذي ارتسم على ملامحه..

وضعت قبضتها بين أسنانها كعادتها عندما تتوتر.. وحتى تمنع نفسها عن تبادل أي حوار

معه.. ولكنها وجدت نفسها مجبرة على محادثته عندما وجدته يتخذ الطريق نحو الفيلا

ـ يزيد.. بلاش نروح الفيلا.. أرجوك.. أنا مش هقدر أواجه تانت سهام دلوقتي..

التفت لها بغضب:

ـ ليه بقى مش هتقدري تواجهيها؟.. أنتِ عملت ايه؟.. وإيه المشكلة اللي كان مازن بيحلها لكِ؟..

سكتت تماماً وازداد تدفق الدموع بعينيها.. مما أثار المزيد من غضبه لكنه غير اتجاه السيارة في صمت وهو يخبرها بحسم:

ـ مش هنروح المزرعة.. أنا عايز أفهم الأول في إيه.. هنروح مكتبي في الشركة.. مفهوم؟..

رغم أن ذكره للشركة جلب لذهنها وجودها بين ذراعيه صباحاً في مكتب والده, إلا أنها أومأت موافقة, فهي لا تريد أن تتلاقى مع

سهام بأي طريقة خاصة وهي في تلك الحالة المشتتة..

وصلا إلى مبنى المجموعة ولاحظت وجود عدد بسيط من الموظفين ولم تتعجب فقد تأخر الوقت بالفعل..

اصطحبها يزيد إلى مكتبه مباشرة وأدخلها مغلقاً الباب خلفهما ووقف مستنداً عليه مكتفاً ذراعيه على صدره ليسألها بغضب لم يخف بعد:

ـ فهميني بقى في إيه؟..

بدأت الدموع تترقرق في عينيها وتعالت شهقاتها فصرخ بها:

ـ من غير بُكى.. مش عايز دموع فهميني... في إيه بالضبط؟؟..

تلعثمت الكلمات على شفتيها:

ـ كان في مشكلة وكنت محتاجة رأي مازن فيها.. هو قالي..

صرخ بها وهو يتحرك ليجذبها من ذراعها:

ـ مازن قال لك!!.. قال لك إيه إن شاء الله؟.. واشمعني هو اللي عايزاه يحل لك مشاكلك؟.. إيه عايزة تاخدي رأيه في الخطاب اللي بيترموا تحت رجليكي..

هزت رأسها برفض لكلماته القاسية:

ـ ومازن إيه علاقته بالحكاية دي.. الموضوع يخص نيرة وحسن..

ابتعد عنها قليلاً ولكنه ظل متمسكاً بذراعها وهو يردد:

ـ نيرة وحسن!!.. إزاي يعني؟..

اندفعت كلماتها سريعاً وهي تقص عليه كل ما حدث من نيرة وكيف خططت ودبرت حتى تسبب الأذى والإحراج لمنى.. وحين انهت قصتها صرخ بها بغضب وهو يهزها بقوة:

ـ أنتِ إيه؟... واللي اسمها نيرة دي فاهمة نفسها إيه!!.. تتحكم في مصاير الناس وأكل عيشهم.. إيه كمية الشر دي!!..

انهمرت الدموع من عينيّ علياء وهي تخبره:

ـ والله أنا ما كنت موافقة يا يزيد.. أنا بالعافية لما قدرت أمنعها أنها تتهمها بالسرقة زور.. بس أنا ما أقدرش أعمل حاجة.. هي برضوه بتدافع عن حقها في خطيبها وحبيبها و..

دفعها بعيداً وهو يخبرها باشمئزاز:

ـ حقها إيه وزفت إيه!.. ده كلام بتقنعي بيه نفسك عشان تبرري اشتراكك في التمثيلية الحقيرة دي.. بذمتك أنتِ تقدري تبصي لنفسك في المرايا من غير ما تحسي بالقرف والاشمئزاز أنك شاركتِ في تدمير بنت بريئة..

أجهشت علياء ببكاء مرير وانهارت على الأريكة التي خلفها وهي تخبره:

ـ غصب عني.. والله غصب عني.. نيرة عدت أخدتني من هنا الصبح من غير تعرفني هي ناوية على إيه.. وأما قالت لي حاولت أمنعها.. والله حاولت.. بس هي شايفة أنه لها حق.. وطول الوقت كنت بفكر إزاي

أعوض منى عن اللي حصل.. أنا ما قصدتش آذيها.. والله ما أقصد..

تحرك ليقف بجوارها وهو يسألها بسخرية:

- وأنتِ كنتِ ناوية تعوضيها ازاي بقى؟.. هتبعتي لها قرشين تخدري بيهم ضميرك اللي صحي فجأة..

هزت رأسها ورفعت له عينين مغرورقتين بالدموع:

- لا.. طبعاً.. أنت ليه فاكر أني تافهة وسطحية قوي كده؟!.. أنا فكرت أنها تشتغل في الصالون بتاع ماما الله يرحمها.. أنا حتى كلمت تانت آمال اللي اشترت الصالون وهي وافقت أن منى تيجي تشتغل معاها وتمسك لها الحسابات.. يعني كنت بدور على حل..

تحرك ليجلس بجوارها وهو يأمرها بحزم:

- خلاص.. كفاية بُكى.. أنا هكلم حسن.. و...

قاطعته صارخة:

ـ لا.. ما تحكيش لحسن حاجة.. الله يخليك.. كده نيرة هتعرف و..

صرخ بها:

ـ وأنتِ خايفة منها ليه إن شاء الله؟..

هزت رأسها بينما ازداد انهمار دموعها:

ـ ما هي تبقى صاحبتي زي ما حسن صاحبك.. ولا لازم أفقد كل حد بيهتم بيا....

هز رأسه رافضاً:

ـ حسن لازم يعرف..

أجابته بحزن:

ـ أنا كنت متأكدة أن ده هيكون رد فعلك.. عشان كده طلبت مساعدة مازن.. هو كان هيستوعب الموقف أكتر..

صاح بغضب:

ـ أفندم.. ورد فعل مازن هيكون مختلف ليه؟.. إيه اللي هيخليه يقدر موقفك ويفهمك أكتر..

رفعت عينيها له ببراءة:

ـ لا.. أقصد موقف نيرة.. هو بيحبها.. وعمره ما هيسمح أنها تتعرض للأذى..

سألها بغموض:

ـ وهو بقى اللي قال لك أنه بيحب نيرة؟..

هزت رأسها نفياً وهي تخبره بخجل:

ـ لا.. أنا أخدت بالي لوحدي.. من نظراته ومعاملته لها..

هتف بها بغضب:

ـ أنتِ إزاي تقولي كلام زي ده!!.. أنتِ لسه صغيرة وما تفهميش في الكلام ده.. بس أقول إيه على واحدة واخدة نيرة غيث مثل أعلى لها..

انهمرت دموعها بغزارة وهي تسأله بحزن:

ـ هو ما فيش أي حاجة بعملها بتعجبك أبداً!!

زفر بغضب.. غضب نابع من تورطها في موقف أساء لها.. وسبب الأذى لإنسانة أخرى بريئة.. ولكنه ما ألحق بمنى من أذى فحسه

قادر على إصلاحه.. ولكن تورط علياء المستمر مع نيرة هو ما يغضبه بشدة..

لقد أصبح من الواضح الآن أن علاقة الصداقة بين علياء ونيرة تسبب الدمار لعلياء حتى لو كانت تظن أن نيرة تهتم لأمرها.. لكن تلك الصداقة يجب أن تنتهي.. بأي طريقة.. أدرك أن علياء ستقاوم أي محاولة لإبعادها عن صديقتها.. لذا فكر أن يحاول تدريجياً معها حتى تقتنع بالابتعاد التام عن نيرة..

التفت إلى علياء التي أخفضت رأسها أرضاً بينما لم تتوقف دموعها عن الانهمار.. ورفع ذقنها بأنامله فبرقت زرقة عينيها من خلف ساتر من الدموع:

- بصي يا علياء.. اللي حصل النهارده ده.. ممكن أوصفه بجريمة.. وأنتِ اتورطتِ فيها.. وبإرادتك.. ما تقاطعنيش.. كان ممكن تنهي المهزلة دي لو اتكلمتِ وقلتِ لصاحبة المحل.. إن منى مظلومة.. لكن أنتِ سكتِ واشتريتِ خاطر صاحبتك.. يعني أنتِ طرف في اللي

حصل.. وده كله نتيجة أنك عايزة تحمي نيرة.. وكانت النتيجة أنك أتورطت معاها.. ويا عالم المرة الجاية هتوقعك في إيه.. أنا مش هطلب منك غير أن الصداقة دي لازم يكون لها حدود.. لازم تفكري بعقلك أنتِ وبعدين تنفذي اللي يرضي ضميرك.. كلام نيرة مش قانون ولا ملزم.. مفهوم؟..

شهقت علياء لتتغلب على دموعها وهي تومئ برأسها موافقة على كلامه وهل تستطيع معارضته..؟ خاصة وهو يكلمها بذلك الهدوء وتلك النبرة اللينة!!..

ابتسم لها راضياً عن موافقتها مما جعل قلبها ينتفض فرحاً.. ولكنه لم ينتبه لانفعالاتها وأكمل ليصل إلى ما يؤرقه بالفعل:

ـ وبعدين مشكلة زي دي ليه تلجأي لمازن؟.. هو مين الأقرب لك والأقدر أنه يحل مشاكلك؟..

أجابت بخجل:

_ أنا ما كونتش عايزاك تزعل مني..

مد أنامله ليمسح دموعها التي غطت وجنتيها وهو يخبرها بهمس:

_ وأنا مش زعلان منك.. بس آخر مرة تطلبي مساعدة راجل غريب.. مفهوم؟..

أرادت تخبره أن مازن ليس بالغريب ولكن أنامله التي كانت تتجول على وجنتها بحميمية أوقفت ذهنها عن العمل كالعادة فوجدت نفسها تهمس:

_ أنا رفضت أشوف العرسان اللي عمو عصام كان بيقول عليهم..

لم يدرِ لم ذلك الشعور بالارتياح الذي سرى بداخله، فرغم يقينه من رفضها إلا أنه كان يريد التأكد.. أن يسمع الرفض بأذنيه.. لقد كان يصارع نفسه منذ أن أدخلها سيارته حتى لا يسألها عن خطابها وماذا أخبرت والده بشأنهم.. وها هي تمنحه الإجابة بدون حتى أن يسأل..

كيف تعلم ما بداخله بتلك الطريقة؟.. كيف شعرت بحاجته للاطمئنان أنها لن تكون ملكاً لرجل آخر؟..

لقد كان يتمزق طوال اليوم وهو يحاول منع نفسه من محادثة والده والسؤال عن الموضوع.. حتى أنه هنأ نفسه أنه لم يبادر لسؤالها عندما أحضرها إلى مكتبه..

يبدو أن ما عاناه من فوران رغبته بها قد هدأ بعد أن حدد موعداً لزواجه.. فهي معه منذ ما يزيد عن الساعة ولم يحاول لمسها..

رغم أنها قريبة منه.. قريبة للغاية.. ولكنها لم تعد تثيره أو تحرك شيئاً بداخله, حتى لو أحاط كتفيها بذراعه هكذا.. وقربها منه أكثر هكذا.. وأجال أنامله في شعرها هكذا... ورفع وجهها ليقابل وجهه هكذا.. حتى وهو يميل عليها ليتمكن من شفتيها.. هكذا.. فهو لن يشعر سوى.. سوى.. بشعور لا يمكن وصفه إلا بالكمال وهو يستمر في تقبيلها واحتضانها وشفتيه تتحرك ببطء تاركة شفتيها ليلتقط دموعها ويهمس لها:

_ خلاص يا علياء كفاية بكى..

غابت نظراتها في نظراته وهي تراه يميل برأسه ثانية ليقبلها.. ويضمها بقوة لصدره حتى انه انتزعها من جلستها على الأريكة لتستقر على ركبتيه وهو يحكم من احتضانها بينما هي ترفع ذراعيها للتطوق بهما عنقه وتدعم نفسها حتى لا تسقط أرضاً..

استمر في تقبيل شفتيها.. وجنتيها.. جفنيها المغلقين.. ذقنها وعنقها.. وهي ذائبة تماماً بين ذراعيه.. كل ما فيها خاضع لديه

وشفتيه اللتين عادتا لتتذوق دمعته المالحة مراراً وكأنها تكتسب في كل مرة مذاقاً جديداً ومختلفاً..

رنين هاتفه النقال هو ما أنقذهما تلك المرة.. فانتفض كلاهما عند سماع الرنين.. وحاولت علياء النهوض من فوق ركبتيه.. ولكن قدميها لم تدعماها، فساعدها لتجلس على الاريكة، بينما أسرع هو مبتعداً نحو الحمام الملحق بالغرفة ليضع رأسه تحت الماء البارد وهو يردد بداخله.. أنه يجب أن يبتعد

عن علياء للأبد.. لقد كان على وشك تدميرها.. لو تأخر رنين الهاتف لثوانٍ لكان وصل إلى مرحلة اللاعودة.. لن ينفرد بها أبداً بعد الآن.. سيذهب بها إلى المزرعة ويبقيها هناك حتى يقضي على افتتانه بها تماماً.. البُعد كفيل بالقضاء على ذلك الإنجذاب.. لا يجب عليه رؤيتها أو محادثتها على الأقل حتى يتم زواجه بريناد..

عاد إلى الغرفة بعد أن جفف شعره ولكنه كان مازال يلهث متأثراً بوجودها بين ذراعيه..

ولم يساعده اطلاقاً رؤيتها منكمشة على الأريكة وهي تحتضن جسدها الذي كان ينتفض بشدة..

حاول إجلاء صوته ليقول أي شيء لها لكنه لم يستطع مواجهة عينيها الحائرتين وقد لمعت زرقتهما بشدة.. حاول ألا ينظر الى عنقها وما ظهر عليه من أثار لما كان يفعله بها لكنه لم يستطع الابتعاد بنظره عن شفتيها الشهيتين والمنتفختين بسببه.. فوجد قدميه تتحركان نحوها بلا إرادة منه.. يريدها..

لا يستطيع الإنكار أكثر.. يحتاج أن يضمها إلى صدره مرة أخرى..

فليحظى بقبلة أخيرة قبل أن ينفيها إلى المزرعة.. قبلة واحدة فقط وسيبتعد عنها..

تعالى رنين هاتفه مرة أخرى لينقذها منه قبل بضع أفكاره حيز التنفيذ.. فتناوله ليجد أن المتصل كان مازن.. فرد بهدوء ليخبره أنه قام بايصال علياء إلى المزرعة وسيعود للقائه هو وحسن بعد ساعتين في مطعم النادي..

أغلق الخط والتفت نحو الباب وهو يخبرها بدون أن يلتفت إليها:

- يلا يا علياء هوصلك المزرعة..

****

جلس عم نصر على أحد المقاهي الشعبية مع مجموعة من أصدقائه وأهل منطقته.. عندما وجد من يربت على كتفه:

- مساء الخير يا عم نصر..

رفع نصر عينيه بتوقع ليواجه عيني حسن وبرفقته مازن.. فابتسم لهما محيياً:

ـ اتفضلوا يا بهوات.. نورتونا والله..

ربت حسن على كتفه:

ـ المكان منور بأهله يا عم نصر.. بس أنا كنت عايز أعزم نفسي على كوباية شاي عندك في البيت..

نهض نصر من فوق كرسيه وهو يشير إلى حسن ومازن ليتقدماه ويقول لهما بترحيب:

ـ يا ألف أهلاً وسهلاً.. ده احنا يزيدنا شرف.

تحركوا معاً حتى وصلوا إلى منزل نصر... وهنا طلب منه حسن أن يسبقهما حتى لا يدخلا على أهل البيت بدون استئذان.. فشكره نصر ممتناً له ومقدراً تصرفه..

جلس الرجال الثلاث في غرفة الضيوف والتي رغم بساطتها وقدم أثاثها إلا أنها كانت غاية في الدفء والحميمية.. يشعر أنها تشبه منى في بساطتها وأصالتها بنفس الوقت..

منى التي عانت بسببه أقسى معاناة.. وتسببت لها نيرة بإهانة جسيمة تكاد تبلغ مقام الجريمة في نظره.. لا يدري كيف تمالك أعصابه حين قص عليه يزيد ما قامت به نيرة نحو منى.. لولا أن يزيد استطاع تكبيله حرفياً لتوجه من فوره إلى نيرة ليرد لها الإهانة مضاعفة مغامراً بخسارة كل شيء.. ولم تهدئ ثائرته إلا بحضور مازن الذي اقترح عليه أن يذهب لوالد منى ويطلبها رسمياً, بدلاً من الذهاب إلى نيرة وتحطيم الخطة التي أوشكت على بلوغ هدفها..

وهذا ما فعله ويفعله على مدى خمسة أيام كاملة.. يذهب لوالد منى في كل مكان يعلم بتواجده به... ويطلب يد منى للزواج.. ويقابله عم نصر برفض محرج.. فهو يعلم علم اليقين.. رفض حاتم العدوي لهذا الزواج.. وهو لن يزوج ابنته لعائلة لا تريدها فرداً منها..

واستمر حسن في الطلب ودأب نصر على الرفض..

حتى اصطحب حسن مازن معه وقرر الذهاب إلى منزل منى.. وبداخله أملٌ خفي أن تقف بصفه.. وتنفذ وعدها بأن تسانده بكل قوتها وحبها.. يخشى فقط أن يكون لتصرف نبرة الأحمق تأثير عكسي على منى.. وترفض الزواج منه إلى الأبد..

خرج حسن من تأملاته على دخول أمل الشقيقة الصغرى لمنى وهي تحمل صينية معدنية رُص فوقها ثلاثة أكواب من الشاي وطبق به عدة قطع من الكيك الشهي..

ابتسم لها مازن بطيبة:

ـ تسلم ايديكي يا أمل..

وضعت الصغيرة الصينية وركضت مسرعة في خجل.. بينما التفت حسن إلى نصر:

ـ أنا جاي النهارده يا عمي.. ومش هتحرك قبل ما أقنع حضرتك بالموافقة..

ابتسم نصر بمودة:

ـ يا بني.. أنا متأكد أنك شاري بنتي.. وشاري خاطرها.. وإذا كان على اللي حصل لها من الانسة نيرة..

قاطعه حسن:

ـ يا عمي.. أنا ما يهمنيش غير منى.. نيرة كل علاقة لي بها هتنتهي بكره.. وده رسمي وقدام الناس.. لكن أنا بيني وبين ربنا عمري ما فكرت في نيرة أنها شريكة حياتي..

رد نصر بإحراج:

ـ يا حسن دي حاجة تخصك أنت والانسة نيرة..

ـ يا عمي.. أرجوك اسمعني.. أنا كل اللي أتمناه من دنيتي.. إن منى تكون مراتي.. أنا عارف وجه اعتراض حضرتك.. وهو عدم موافقة والدي.. بس ده شيء خارج عن إرادتي.. اعتراض بابا بس عشان التجارة والشراكة.. لكن ده كله مش هيتأثر إن شاء الله.. وأنا كفيل بموافقته بعد كده.. بس أرجوك اعطني كلمة بالموافقة..

أطرق نصر في حيرة.. حيرة أب بين الموافقة على شاب يجمع كل ما يطلبه الرجل في زوج ابنته.. وبين ما قد تلاقيه تلك الابنة الرقيقة من تعنت من والد الزوج القاسي..

أكمل حسن وقد استشعر أن نصر بدأ يلين قليلاً:

_ أنا مش عايزك تقلق على منى.. منى كرامتها هي كرامتي.. ما حدش هيقدر يدوس لها على طرف وهي مراتي.. أنا كان ممكن انتظر لحد ما أنهي ارتباطي بنيرة نهائي.. لكن اللي حصل منها ناحية منى هو اللي خلاني آجي لحضرتك مرة واتنين..

قاطعه نصر بابتسامة:

_ اتنين بس قول وعشرة وعشرين..

أكمل حسن:

_ ومستعد آجي ألف.. ألفين .. حتى مليون مرة بس منى تكون ليا..

كانت منى تستمع إلى الحوار الدائر بين حسن وأبيها _اللذان يتكلمان بصوت مسموع_ وهي

جالسة في غرفة المعيشة.. تتأمل عدد مرات الاتصال والرسائل التي حاول حسن عن طريقها الوصول إليها منذ ذلك اليوم المشئوم الذي أهانتها به نيرة..

وصلها صوت حسن الدافيء وهو يتوسل والدها الموافقة.. وشعرت بميل والدها لذلك ولكن الأصول والعادات كانت تقف كعائق امامه.. فكرت سريعاً فيما يحاوله حسن من أجلها.. من أجل أن يكونا معاً..

أنه يعشقها منذ سنوات.. صرح لها بحبه ونيته في جعلها زوجة له منذ أن فكت ضفائرها ووخطت أعتاب الأنوثة.. كان واضحاً وصريحاً.. لم يتلاعب بها أو يخدعها.. حتى خطبته لنيرة وضح لها أسبابها.. ولم يوفر جهداً للتخلص منها..

وجدت نفسها تتساءل.. ماذا فعلت هي من أجله؟.. أنها تحبه.. لا شك.. ولكن ماذا فعلت ليتوج هذا الحب ويقدس بالزواج؟..

تحركت تلقائياً نحو غرفة الضيوف وسمعت والدها يخبر حسن بتردد:

_ بص يا بني.. ما فيش أب في الدنيا ما يتمناش شاب زيك يكون زوج لبنته.. بس عدم موافقة أبوك..

قاطعه مازن تلك المرة:

_ يا عمي.. والدي في النهاية أب.. وأكيد لها بشوف سعادة حسن ومنى هيوافق في النهاية.. هو بس عنيد حبتين.. لكن أنا أهوه كأخ لحسن يشرفني أن تكون منى مرات أخويا واخت

ليا.. حتى جدتي.. لو كانت تقدر تيجي كانت جت معانا.. ثواني هتصل بيها على التليفون..

اتصل مازن على جدته السيدة روح _والدة أبيه_.. والتي لها في قلوب ونفوس الجميع مقام كبير.. ويعرفها نصر منذ أن كان طفلاً وكان والده هو السائق الخاص بها..

ردت السيدة روح على الفور وكأنها كانت بانتظار الاتصال.. فأعطى مازن الهاتف لنصر.. وعلى الفور انطلقت السيدة روح في الكلام:

ـ ازيك يا نصر وإيه أخبار ولادك؟..

أجاب نصر باحترام:

ـ إحنا بخير.. حسك في الدنيا يا روح هانم.

ضحكت السيدة بتساهل:

ـ إيه هانم دي!.. هو احنا لسه هعرفك ولا ايه يا نصر!!..

تنحنح نصر بحرج:

ـ بس.. أصل..

قاطعته بحزم مصطنع:

ـ لا بس ولا أصل.. أنا اللي بطلب منك.. بنتك لحفيدي.. وأنت عارف لو كنت أقدر.. كنت جيت بنفسي.. أنا مش هلاقي لحسن جمال وكمال أكتر من بنتك.. أنا عارفاك وعارفة مني كويس.. واللي حصل من حاتم ده أنا ما عرفتش به إلا لما رجعت من الحج.. لكن ملحوقة.. والغلط مردود.. وحسن عارف ازاي هيصلح غلطه.. نرجع بقى.. للموضوع الأساسي.. امتى الفرح؟..

ضحك نصر بمرح:

ـ فرح مرة واحدة!!.. طب مش لما أعرف رأي البنت..

في تلك اللحظة دخلت منى إلى غرفة الضيوف وهي تنظر إلى الجميع وأخيراً سقطت عينيها على والدها لتخفض نظراتها أرضاً وتقول بصوت خافت ولكن واثق:

ـ أنا موافقة يا بابا.. بعد موافقة حضرتك طبعاً..

شعر حسن بعد كلمات منى الخجولة بحمل كبير ينزاح من على كتفيه.. فيكفيه أن يشعر بدعمها ومؤازرتها له.. ابتسم لها في سعادة بينما توردت وجنتها بقوة ولم تعرف كيف واتتها الجرأة لتقوم بذلك.. فركضت هاربة إلى غرفتها.. يراقبها والدها بغرابة.. لا يدري تصرفها نابع من رغبة في الانتقام أم رغبة للمواجهة مع الجميع..

سمع صوت روح على الهاتف:

_ خلاص يا نصر.. البنت وافقت.. أنا سمعت موافقتها.. خلي أم منى تسمعنا زغروطة..

أجاب نصر بحرج ولكن بحسم ايضاً:

_ حسن قالي أنه هينهي ارتباطه مع الآنسة نيرة بكره.. يبقى نأجل الزغاريط لبكره إن شاء الله..

أجابته السيدة روح بتقدير:

_ وده حقك يا بني.. مبروك علينا منى...

أغلق نصر الخط والتفت لحسن قائلاً:

_ أنا مش هقدر أقول حاجة بعد كلام الست روح.. وبنتي أمانة في رقبتك يا حسن..

أجابه حسن:

_ اطمن يا عمي.. منى في عينيا...

****

تحرك حسن بخطوات واثقة نحو يزيد الذي وقف في أحد الأركان يتابع تحركات ريناد النشيطة وهي تضع آخر لماساتها ليخرج الحفل _الذي

أراده حسن وطلب من ريناد مساعدته_ في أروع صورة..

وكان حسن محقاً في اختيار ريناد لمساعدته.. فهي اختارت أرقى قاعة في أغلى فنادق المدينة.. وبدأت في إعادة ديكورها حسب ما رأته مناسب.. حيث أخبرها حسن أنه يقيم حفلاً مفاجئاً لنيرة بمناسبة مرور شهرين على ارتباطهما..

ورغم أنها لا تطيق نيرة نهائياً, لكنها لم تستطع مقاومة فكرة أن تكون مسئولة عن الحفل وأن تخرجه في النهاية بصورة أفضل من حفل الخطبة الأصلي الذي تولت نيرة تنظيمه..

طلبت من حسن إطلاق يدها لتفعل ما تشاء وهو لم يعترض لكنه وضع لها أسبوعاً واحداً لتنتهي من تجهيز الحفل.. فانطلقت تصل الليل بالنهار لتنتهي قبل الموعد المحدد.. غيرت الستائر وبدلتها بأخرى من الحرير النبيذي اللون.. والذي استخدمته أيضاً كمفارش للموائد.. بدلت السجاد.. وألوان الأبواب

والنوافذ.. لم تهتم بسخرية يزيد وهو يخبرها..

"أنتِ عارفة أنه القاعة ملك للفندق.. يعني مش أوضة الصالون في بيتنا ولا حاجة"..

اختارت نظام الإضاءة والصوت.. تعاقدت مع أشهر دي.جي.

ولم يمانع حسن.. فقط أخبرها بطلب واحد

ـ عايز كل أصحاب ومعارف نيرة يكونوا موجودين.. حتى أصحاب أصحابها.. أي حد يعرفها يكون موجود.. آه.. كمان الأغنية اللي هندخل عليها تكون أغنية.."................"..

رغم ذهول ديناد إلا أنها نفذت ما اتفقا عليه وأبدعت ديناد في اخراج حفل من الأحلام.. وهو ما عبر عنه حسن ليزيد:

ـ والله برافو عليها ديناد.. الحفلة رائعة..

هز يزيد رأسه باستخفاف وأجاب بكلمة واحدة:

ـ بيرفكت..

رمقه حسن بتعجب فحاول يزيد تغيير الموضوع:

ـ ما تاخدش في بالك... المهم أنت مظبط أمورك تمام.. اتفقت مع والد منى؟..

زفر حسن بقوة:

ـ يااه يا يزيد.. أسبوع أهوه وأنا رايح جاي عليه.. بروح له في اليوم يمكن أكتر من خمس مرات.. فهمته كل الوضع.. حتى كشفت له عن مشاعري أنا ومنى.. وهو في قمة العناد.. ورافض تماماً ارتباطي بمنى.. امبارح أخدت معايا مازن.. وكمان خليت جدتي

تتدخل.. رغم أني كنت عايزاها تبقى بره الموضوع.. بس كان لازم آخد موافقة عم نصر قبل الليلة.. مش هينفع أتأخر.. أي فرق في ترتيب التوقيت هيعمل مشاكل..

ربت يزيد على كتفه:

ـ ربنا معاك وييسر لك الأمور..

التفت حسن حوله يتفحص الموجودين ثم سأل يزيد بتعجب:

ـ هي عليا ما جاتش ليه؟.. ولا هي هتيجي مع نيرة..

تصلب جسد يزيد عند سماعه اسمها.. وذكرى قبلاتهما وذوبانها بين يديه يجعل الدماء تجري في شرايينه كالحمم البركانية.. لم يرد أن يتذكر ما قام به في سيارته نحوها قبل أن يتركها في المرة الأخيرة.. فهو يحتقر نفسه كلما مرت الذكرى بعقله ويزداد احتقاره لرغبته في تكرار الأمر مراراً وتكراراً..

عاد حسن للسؤال وقد وضح غياب ذهن يزيد:

ـ يزيد.. هي عليا..

قاطعه يزيد:

ـ مش هتيجي... مش ممكن تكون بتظن أن ريناد هتعزمها!!.. وغير كده.. نيرة مش عارفة أنك عامل حفلة.. أنت قلت لها.. مفاجأة وبس..

نظر حسن إلى ساعته وهو يتأفف:

ـ أيوه وأهي اتأخرت كالعادة.. أنا عايز انتهي من الموضوع..

ما أن أنتهى من جملته حتى رن هاتفه المحمول.. ليجد رسالة من نيرة تعلمه أنها في بهو الفندق وأنها في انتظاره كما طلب منها..

توجه مباشرة إليها وكل أعصابه متحفزة.. والأدرينالين يضخ في عروقه حتى ينتهي من هذا الفصل بحياته.. وصل إليها ليجدها ترتدي ثوب من تلك الأشياء القصيرة التي تستهويها.. كان من الدانتيل الأسود ومبطن باللون الذهبي_حمد الله بداخله لوجود البطانة_

ولكنه بالطبع كان عاري الصدر والظهر.. لم يكن له أكمام أيضاً فأظهر بشرة ذراعيها البيضاء.. والتصق الثوب بجسدها كأنه جلدٍ ثانٍ لها فأشعل لونه الأسود خصلاتها الحمراء.. وبدت كشعلة نارية متأججة.. وقادرة على اشعال الحرائق بقلوب الجميع..

اقترب منها ليرفع يدها مقبلاً إياها:

_ مساء الخير يا نيرة..

ابتسمت له بفتنة وهي تكاد تطير من السعادة لتغيره الملحوظ نحوها:

ـ مساء النور يا حبيبي.. هنسهر فين الليلة؟

قدم لها ذراعه لتتعلق به وأشار بيده فتحركا معاً نحو قاعة الاحتفال.. وعندما وصلا إلى مدخل القاعة صدح صوت الـ دي. جي. بأغنية عمرو دياب. "وهي عاملة ايه دلوقت"..

تجمدت نيرة قليلاً عند سماع الأغنية.. ورمقت حسن بتساؤل إلا أنه حثها على الحركة..
فتحركت قليلاً لتبهر بالقاعة واقد انهت ريناد وضع آخر لمسات الإضاءة.. فظهر اسم نيرة يتلألأ لثوانٍ وينطفيء ثم يعود ليتلألأ ثانية.. وهكذا.. وقد شكلت مجموعات من الورود اسم نيرة وتناثرت على جميع الموائد.. التي اضيئت فقط بشموع عطرية انتشرت رائحتها في أرجاء القاعة..

صاحت نيرة بفرح:

ـ حسن.. مش ممكن القاعة تحفة.. إيه الجمال ده!!..

أشار حسن إلى ريناد التي تحركت باتجاههما:

ـ الجمال ده تشكري عليه ريناد.. هي المسئولة عن الحفلة من أيه لو زد..

وصلت ريناد وهي تحيي نيرة ببشاشة مصطنعة:

ـ مبروك الحفلة يا نيرة..

أجابتها نيرة من تحت أسنانها:

ـ ميرسي أوي يا ريناد.. أردها لك إن شاء الله في يوم فرحك..

جاء يزيد وقام بتحية نيرة بهدوء.. واصطحب ريناد ليبتعد بها قبل أن تشتبك مع نيرة بأحد شجاراتهما المألوفة.. بينما اصطحب حسن نيرة إلى أحد الموائد التي تتوسط القاعة.. وسحب لها المقعد حتى استقرت فيه ثم لف حول المائدة التي وضع عليها علبة مخملية صغيرة لفت بصورة هدية.. ولفتت انتباه نيرة على الفور..

ما أن جلس حتى سألته نيرة بانفعال:

ـ هو ما فيش غير ريناد اللي لقيتها تنظم الحفلة؟..

أجابها بهدوء مستفز:

ـ العفو يا حبيبتي!..

أجابت بحرج:

ـ آسفة.. بس أنت عارف أنا ورناد مش بنتفق.. شوفت الأغنية اللي شغلتها لما دخلنا!..

أجاب بنفس الهدوء:

ـ بس ده كان طلبي أنا!!..

سألته بذهول:

ـ إيه!!.. ليه؟.. تقصد بها إيه؟..

اقترب برأسه منها وهو يهمس لها:

ـ أقصد بها مني طبعاً.. أنتِ فاهمة أني مش عارف أنتِ عملتِ إيه؟..

ارتسم قناع من الذهول على وجهها.. وسرعان ما انتابها الغضب الشديد.. وحاولت النهوض فجذب يدها بسرعة ليجلسها بالقوة:

ـ اقعدي.. لسه بدري على المشهد ده.. لسه أما تسمعيني للآخر..

صرت على أسنانها وهي تخبره بغضب:

ـ أسمع إيه!.. أنت بتعرض أغنية لغريمتي.. وعايزني أقعد وأكمل معاك السهرة!..

أبعد يده عن ذراعها وهو يخبرها بقسوة:

ـ منى عمرها ما كانت غريمتك..

ارتسمت ابتسامة غرور على شفتيها سرعان ما اختفت عندما أردف:

ـ منى عُمر ما هيكون لها غريمة أو شريكة في قلبي.. هي امتلكته بالفعل ومن زمان..

كتفت نيرة ذراعيها وهي تضجع في مقعدها:

ـ أوك يا حسن.. أنت عايز تعاقبني على اللي عملته في منى.. برافو.. نجحت.. نجحت جداً.. بس مش لازم تسمعني الموال بتاع منى حبيبة عمرك وملكة قلبك.. بلا بلا بلا..

سألها بتعجب:

ـ أنتِ ما عندكيش أي إحساس بالندم على اللي عملتيه؟..

هزت كتفيها بلامبالاة:

ـ لأ طبعاً.. اللي عملته ده من حقي.. أنا بدافع عن حقي في حبيبي.. عن حياتنا سوا.. ووجودي في حياته..

رفع حاجبه بعجب وقبل أن يرد عليها أكملت هي:

ـ أنتوا يا رجالة قمة في التناقض.. أي واحد فيكوا لو راجل غريب قرب بس ناحية البنت اللي بيحبها على طول بيتحرك حامي الحمى ومسموح له أنه يعمل أي حاجة.. ضرب.. أذى.. حتى لو آذاه في شغله أو حياته.. وبتصقفوا له.. وبرافو ورجولة.. ليه بقى أنا لما اتصرفت كده.. بقيت شريرة.. و.. و.. ولازم أندم وأعتذر.. عشان أنا بنت ولازم أكون هادية وكيوت وآخد على دماغي واسكت.. صح؟..

سألها بعدم تصديق:

ـ الكلام ده اللي بتبرري به لنفسك تصرفاتك الغبية والمؤذية؟.. أنتِ إيه بالضبط؟..

أجابته بصوت مبحوح وهي تقترب من المائدة وتمسك بأنامله:

ـ أنا بحبك..

أبعد يده وهو يعود إلى الوراء في مقعده:

ـ حتى لو أنا مش بحبك؟!..

ـ هعلمك إزاي تحبني.. وبعدين الحفلة دي بتقول إني بدأت أوصل..

ابتسم لها بسخرية لم تلحظها فقد فتنتها ابتسامته.. وسألته بأمل وهي تشير إلى العلبة الملفوفة:

ـ حتى أنت جايب لي هدية..

ضحك بقوة حتى أن معظم الحضور التفتوا لهما.. فنظر حوله راضياً وامتدت يده نحو العلبة وفك لفتها ليفتحها ويقدمها لها..

أخذت منه العلبة ونظرت بداخلها.. لترتسم أقصى علامات الذهول على وجهها وهي تسحب منها حلقة ذهبية يبدو من حجمها أنها تنتمي لرجل..

تأملت الحلقة جيداً لتدرك أنها خاصة بحسن.. وعلى وجه الدقة الدبلة التي وضعتها

بإصبعه يوم خطبتهما.. نقلت نظرها إلى أصابعه لتجد إصبعه يحمل دبلة أخرى..

سألته بتعجب وهي تحاول التحكم في أعصابها:

- ايه معنى الهدية دي؟.. والدبلة اللي في إيدك دي بتاعة مين؟..

اقترب من المائدة ليرتكز عليها بذراعيه:

- الدبلة اللي في ايدي.. دي دبلة منى.. ومعنى الهدية واضح.. أنا بأنهي خطوبتنا السعيدة..

ابتسمت بسخرية:

- أونكل حاتم..

قاطعها بإشارة من يده:

- آسف.. تصحيح صغير.. أنا مجهز لك المسرح عشان تقومي بنفسك بإنهاء خطوبتنا.. ومسموح لك تسمعيني كل الكلام اللي أي خطيبة مش طايقة خطيبها ممكن تقوله.. وممكن كمان تقولي إني أجبرتك على الخطوبة.. يلا.. أنا حاسس إني كريم الليلة..

هزت رأسها بعدم تصديق:

ـ أنت بتقول إيه!!

جذب ذراعها بقوة وهو يقول بقسوة:

ـ بقول أني زهقت من مسرحية خطوبتنا.. وأن الستارة هتنزل الليلة.. بأي طريقة هتنزل..

بدأت تحاول جذب ذراعها من يده إلا أنه أطبق عليها مثل الكلابات وهو مستمر في قسوته:

ـ عارفة الغلطة كانت فين يا نيرة؟.. إنك فكرتِ أنه ممكن أتنازل وأتنازل للأبد.. وأعيش في دور الشاب الشهم الكيوت اللي مش بيكسر كلام أبوه، لكنكوا نسيتوا برضوه أني ابن أبويا.. وأعرف كويس قوي امتى أهدي قدام الموجة العالية لحد الوقت المناسب فأركبها بسرعة وأوصل للشط.. وده اللي حصل.. بص بقى.. الحفلة دي اتعملت عشان أنهي مسرحيتنا.. قدامك حاجة من الاتنين.. إنك تقومي من كرسيكِ وبمنتهى الشياكة ترمي الدبلة في وشي.. وزي ما قلت لك.. قولي كل اللي أنت

عايزاه.. بس طبعاً لو جبتي سيرة مني مش هيحصل طيب.. وهتشوفي مني وش يا نيرة.. أقسى من أبويا في عز جبروته..

أجابته بتحدي:

ـ ولو ما عملتش كده؟؟

أجابها بسخرية:

ـ وقتها بقى هنكون قدام اختيار نمرة اتنين.. ورغم أني ما كونتش أحب ألجأ له.. لكن..

هز كتفيه بمعنى أنه لا يهتم.. فسألته وصوتها بدأ يرتجف:

ـ ايه الاختيار نمرة اتنين؟

أمسك الحلقة الذهبية وهو ينظر لها وابتسامته تتسع:

ـ وقتها أنا اللي هرمي الدبلة دي في وشك.. قدام كل أصحابك ومعارفك اللي في القاعة.. كل الموجودين هيعرفوا أني برفض نيرة هانم غيث.. وأني مش طايقها.. وطبعاً لازم بهارات للفضيحة والذي منه وده طبعاً لما

أقول بأعلى صوتي.. إني لقيتك بضاعة مستعملة..

هتفت به بغضب:

ـ أنت حقير وسافل و..

اشار لها لتصمت:

ـ وفري كل ده لحد ما ترمي الدبلة في وشي.. وزي ما قولت لك.. أنتِ غلطي لما فكرتِ أني الشاب الكيوت الأمور اللي ممكن يجري ورا ديل فستانك.. أنا اتعلمت من حاتم العدوي..

أحسن مهندس صفقات.. يلا يا حلوة.. قعدتنا طولت.. مين فينا اللي هيرمي الدبلة؟.. زي ما بيقولوا هعد لحد تلاتة وبعدها..

همست بتوسل:

ـ حسن..

أخذ يبرم الحلقة الذهبية وهو يقول:

ـ واحد..

عادت تحاول إمساك يده:

ـ أرجوك اسمعني..

حرر يده وهو يقول:

_ اتنيي..

بدأت تشعر بالدموع تهدد بالنزول وهي تلمح شفتيه على وشك التحرك...

الفصل التاسع

"أنا حسن حاتم حسين العدوي قبلت زواج موكلتك الآنسة منى نصر الدين عبد الله البكر الرشيد على كتاب الله وسنة رسوله ومذهب الإمام أبي حنيفة النعمان وعلى الصداق المسمى بيننا"..

رفع المأذون المنديل الأبيض من فوق يديّ حسن ونصر المتعانقتين وهو يبارك لهما الزواج الميمون وشرع في اكمال بيانات كلا العروسين, بينما تقدم يزيد ومعه أحد أعمام منى ليمهرا وثيقة الزواج بتوقيعهما كشاهدين للعقد..

وتعالت الزغاريد في أرجاء البيت بل في أرجاء الحارة التي تسكنها منى وقد شاركت سيدات المنطقة بالفرحة التي انبعثت من منزل العروس الذي قام حسن بتزيين واجهته بعناقيد ملتفة من الأنوار الملونة كما اعتاد أهل المنطقة في أفراحهم.. وأقيمت خيمة كبيرة في وسط

الحارة.. اصطفت بها عشرات المقاعد وتلألأت بداخلها الأنوار الباهرة وتناثرت باقات الزهور.. وفي صدر الخيمة أقيمت كوشة للعروسين وقد زينت بأكملها بوريقات الفل الأبيض وعدد لانهائي من المصابيح المتلألئة الصغيرة.. وقد تعالت الأغاني الخاصة بالأفراح وامتزجت مع أصوات الزغاريد المتناثرة من بيوت الحي..

ما أن انتهى المأذون من اجراءات الزواج وأغلق دفتره ليصطحبه يزيد للخارج حتى نهض حسن بقوة حتى بدا وكأنه يقفز من مكانه وتوجه نحو عم نصر مخاطباً اياه برجاء:

ـ عمي.. هي مش هتتأخر؟.. كنت عايز أباركلها.. و..

قطع جملته ارتفاع صوت الزغاريد مرة أخرى وابتسامة السعادة والفخر ترتسم على وجه نصر وهو يتجه نحو ابنته التي وقفت على عتبة غرفتها وقد ارتدت ثوب الزفاف الذي اختاره لها حسن وأرسله لها صباح اليوم..

أخذ حسن يتأملها وهي تتقدم نحوه وقد تأبطت ذراع والدها.. وهي ترفل في ثوبها الخلاب الذي احتضن صدرها والتف حوله في ثنايات رقيقة من قماش التول الأبيض وزين خصرها حزام من الألماس لتسترسل تنورة الثوب في طبقات عديدة من نفس التول الأبيض الرقيق الذي تناثرت عليه العديد من حبات الألماس البراقة.. كان الثوب عاري الصدر والذراعين ولكن منى تمكنت من وضع شال من الشيفون الأبيض لتغطي به ما ظهر من صدرها وظهرها..

تحركت قدما حسن بلا إرادة منه لتتجه نحو ملاكه الرقيق.. حلمه الذي كاد أن يفلت من بين أنامله.. لم يصدق نفسه وهو يقف أمامها.. ووالدها يسلمها له.. وهو يوصيه بالمحافظة عليها... لم تكن أي من كلمات نصر تصل إليه.. فهو كان هائماً في عيون مليكته بعد أن رفع الطرحة عن وجهها وظل لثوانٍ عديدة يتأمل جمالها النقي والرقيق.. فقد التزم طاقم التجميل الذي اتفق معه بكل أوامره ولم يسرفوا في زينة وجهها.. بل اهتموا بإبراز روعة وجمال عينيها بالكحل

العربي الأسود.. فاظهروا اتساع عينيها الفاتن وهام هو في براءة نظراتها التي التقت بنظراته للحظات قبل أن تخفض عينيها أرضاً هرباً من الشوق العاصف بعينيه.. وطليت شفتيها بطبقة رقيقة من أحمر الشفاه الوردي والذي أضاف براءة لشفتيها اللاتين كانت تمضغهما بتوتر فجذبا نظره كالمغناطيس وهو يحلم بامتلاكهما تلك الليلة.. وسرح بصره نحو خصلاتها الداكنة التي أنطلقت على كتفيها وظهرها في تعرجات خفيفة تناديه ليجري أنامله بها... وكاد أن يضمها لصدره بجنون لولا صوت نصر الذي أخرجه من هيامه:

ـ مش هتبارك لعروستك ولا ايه يا حسن يا بني؟!

التفت إليه بإحراج ثم اقترب ليطبع شفتيه فوق جبهة منى هامساً:

ـ مبروك علي يا منى..

توردت وجنتيها بشدة تحت وطأة نظراته العاشقة والتي كانت تلتهم ملامحها الرقيقة حتى لكزه يزيد بخفة وهو يهمس له:

- خف شوية يا بني.. الناس عينيها عليكوا..

تنحنح حسن ليخرج نفسه من حالة الهيام التي أصابته وتحرك ليتأبط ذراع منى ويتحركان معاً خارج الشقة وسط الزغاريد والأغاني حتى وصلا إلى الكوشة المُعَدة لهما في صدر خيمة الزفاف..

أمسك حسن بيد منى وهو يضغط عليها برقة:

- مبروك يا حبيبتي.. أنا مش مصدق نفسي..

تلعثمت منى وتعثرت الكلمات على شفتيها, ولكنها كانت تريد أن تسأل.. أن تعرف.. فأخرجت نفسها من حالة الخجل التي تصيبها بها نظراته وسألته بصراحة:

- حسن.. ايه اللي حصل مع نيـــ...

وضع إصبعه على شفتيها:

- هششش.. خلاص الليلة دي بتاعتنا.. مش عايز أفكر في أي حاجة..

أزاحت أصابعه برفق وهي تهمس بتوسل:

ـ عايزة أفهم..

ـ تفهمي ايه بس؟..

وأخفض عينيه قليلاً:

ـ أنا عملت اللي كان المفروض يتعمل من زمان.. حتى أقل من اللي هي تستحقه على اللي عملته معاكِ.. بس للأسف في ظروف قيدتني..

قال كلمته الأخيرة بخفوت وهو يتذكر نظرات الألم في عينيّ شقيقه وهو يتابع ما كان يدور على مائدته هو ونيرة..

همس لنفسه..

"اللعنة.. لولا نظراتك تلك يا مازن لنالت تلك المتكبرة ما تستحقه.. آه لو أعلم ماذا بها لتعشقه؟"..

أفاق على لمسة بسيطة من منى وهي تسأله:

ـ ووالدك؟..

هز رأسه:

ـ ما تشغليش بالك يا منى.. أرجوكِ خلينا نعيش أحلى ليلة.. ده أنا ما صدقت..

أخفضت منى عينيها بخجل وهمست:

ـ عايزة أطمن..

ضغط على يدها برقة:

ـ اطمني.. طول ما أنا معاكِ اطمني..

****

جلست علياء على السور العريض لشرفة غرفتها وهي تمسك دفتر الرسم الكبير.. وأخذت أناملها تتحرك بمهارة لتشكل لوحة لملامح يزيد..

حيرتها تلك النظرة التي تلمحها بعينيه مؤخراً.. خليط من الغضب والتوق والذنب والشوق مع عاطفة أخرى لم تستطع تحديدها, ولكن أناملها سجلتها بمهارة لتبدأ معالم وجهه في الظهور على الصفحة البيضاء.. فأخذت تحرك أناملها عليها بحب

وتتلمس الدمعة الماسية المعلقة بعنقها بيدها الأخرى.. لا تعلم سر شغفه بتلك الماسة فهو كان يدأب على تلمسها بشفتيه في كل مرة قبلها فيها.. حتى في تلك المرة الأخيرة التي رآته فيها..

منذ أسبوع كامل..

أسبوع كامل لم يحاول رؤيتها أو الاتصال بها..

تساءلت بحيرة إن كان يشتاق لها أو يفكر بها كما تتحرق هي شوقاً حتى لسماع صوته الذي ضن به عليها فهو حتى لا يجيب على أي من مكالماتها..

لا تعرف بماذا تفسر ما يصدر منه نحوها.. فهو يقربها ليعود لإبعادها مرة أخرى, ولكنه تلك المرة إلتزم بكلمته تماماً وابتعد نهائياً ولم يحاول رؤيتها ولو مرة..

هل رخصت نفسها له؟؟.. وسلمت بسهولة لذلك أقبل لينال كل ما تمنحه له بسخاء؟..

هل صحيح سيتمم زواجه برناد مثلما أخبرها؟..

لقد صدمها في الواقع فهي لم تتخيل بعد تلك العواصف التي يثيرها بها أن يصمم على اتمام زواجه.. هل كان يتلاعب بها؟.. أم أنها كانت تسلية متاحة؟.. هل سيعود مرة أخرى ليغوص بها لبحار حبه؟.. أم أنه ابتعد تلك المرة إلى الأبد؟...

أخذت أناملها تداعب ملامحه المرسومة وهي تتساءل بحيرة عن مشاعره.. وإن كانت نظرة التوق التي تلمحها في عينيه حقيقية أم لا؟..

تكاد تجزم أنها لم تلمحه ولا مرة واحدة يرمق ديناد بتلك النظرة.. ولكن ماذا تعرف هي عن لحظاتهما المنفردة معاً؟..

لم تعرف أن في تلك اللحظة بالذات كانت ديناد ترمق يزيد بتأمل وهي تسأله:

ـ مالك يا يزيد؟.. أنت متغير اليومين دول..

ـ أنا متغير؟.. لا أبداً بيتهيألك... أنتِ عملت ايه في الفيلا؟.. خلصتِ ولا لسه؟..

شهقت بقوة:

ـ خلصت؟.. خلصت ايه؟.. أنت مش عارف أني طول الأسبوع ده كنت مشغولة بحفلة حسن صاحبك.. وبعد كل التعب والمجهود اللي عملته.. يطلع كان عامل الحفلة عشان يفركش خطوبته..

ازدرد يزيد لعابه بتوتر:

ـ ايه اللي أنتِ بتقوليه ده؟.. هي مش نيرة رمت له الدبلة قدامك وقدام الناس كلها..

هتفت به بحنق:

ـ يزيد.. ما تضحكش عليّ.. أنت عايز تفهمني أنه نيرة فسخت خطوبتها لحسن وبعد ساعة واحدة بس هو اتجوز بنت السواق.. وعمل لها الفرح اللوكال ده!..

ازداد توتر يزيد وهو يسألها:

ـ قصدك ايه؟..

ـ قصدي أن كل حاجة كانت مترتبة.. لعبة وحسن لعبها صح.. وللأسف أنا ساعدته على كده من غير ما أعرف.. وأنت خدعتني عشان أساعده..

ـ أنا؟..

ـ أيوه أنت.. مش أنت اللي اتوسط له عشان أجهز له الحفلة وأنت عارف كويس قوي هو ناوي على ايه؟؟.. وبعد ده كله جاي تشهد على عقد جوازه من البنت اللي اسمها منى دي.. وجاي الوقتِ تسألني على تجهيزات بيتنا؟..

ابتسم يزيد بسخرية:

ـ آه.. قولتِ لي.. يعني المحاضرة دي كلها مش عشان نيرة.. لا عشان تفهميني أن تجهيزات البيت محلك سر.. وأنك عاوزة تأجلي الجواز طبعاً.. بس يكون في علمك.. ميعاد الفرح مش هيتغير حتى لو البيت على البلاط..

هتفت ريناد بغيظ:

ـ يزيد.. أنا مش بتحجج.. ولا بهرب.. فعلاً أنا متضايقة من الموقف اللي اتحطت فيه نيرة.. رغم أنها مش صاحبتي.. وأن علاقتنا مش قوية.. لكن اللي حصل لها النهارده ما

يرضنيش أبداً.. وكونك جزء من المؤامرة دي.. بيضايقني أكتر..

تأملها للحظات.. وهو يدرك أن أفكارها القوية.. ونظرتها العادلة للأمور والتي تعبر عنها بمنتهى الصراحة والوضوح هي ما جذبته إليها من البداية.. قد يفتقد ذلك الشغف المجنون الذي يستشعره مع علياء.. ولكنه واثق أنه سيشعر به مع ريناد بمجرد زواجه منها..

وضعت ريناد يدها على ذراعه وهي تسأله:

ـ في ايه يا يزيد؟؟. أنت برضوه سرحان!!

ـ لا أبداً.. بالنسبة لموضوع حسن ونيرة له خلفيات كتير.. لكن تأكدي أنه ما ظلمهاش.. بالعكس.. هو كان كريم جداً معاها.. وبعدين الفرح اللوكال اللي مش عاجبك ده أنتِ اللي أصريتِ تيجي معايا..

هزت كتفها بدلال:

ـ أومال كنت عايزني أسيبك تيجي هنا لوحدك؟.. أنا كنت حاسة أنه في حاجة مخبيها عليّ وطلع عندي حق..

داعب أنفها بلطف:

_ ماشي يا ست شيرلوك هولمز!..

ضحكت برقة وهي تتعلق بذراعه وتلصق نفسها به أكثر... بينما هو يراقبها بتأمل..

"قد يرفض الرجل لمسة امرأة ما في حالة نفوره من تلك المرأة.. أو تأثره الشديد بها, ولكن في الحالة الأخيرة فإن ما يرفضه حقاً هي تلك الأحاسيس التي تفجرها تلك اللمسة"..

لا يدري هل قرأ تلك العبارة في مكان ما أم أنها قفزت إلى ذهنه وهو يستشعر الهدوء التام بأعماقه وأنامل ريناد تتشبث بذراعه الآن.. وتذكر انتفاضته كالملسوع من الجمر بعدما مست أطراف أنامل علياء ركبته في آخر مرة رآها فيها...

وكان ذلك بعدما غرقا معاً في عاطفة عاصفة بمكتبه, ثم تمالك نفسه بأعجوبة ليتظاهر بالبرود ويقرر اصطحابها إلى المزرعة..

لم يوجه إليها أي كلمة طوال الطريق حتى اقتربا من الوصول إلى المزرعة.. فأوقف السيارة على جانب الطريق قبل بوابة المزرعة بعدة أمتار والتفت لها... فابتسمت له برقة زلزلت مشاعره.. وكادت أن تحطم قناع التماسك الذي يرسمه على وجهه.. ولكنه قرر مواجهتها وانهاء الأمر قبل أن يسقطا معاً إلى عمق لن يستطيعا الهروب منه..

أخبرها بهدوء يحاول استدعائه:

ـ علياء.. أنا.. أنا.. بعد شهر هيكون فرحي أنا وريناد..

بهتت ملامحها ولاحظ الدموع التي تجمعت في مآقيها على الفور وهي ترفع أناملها إلى شفتيها المنتفختين من إثر قبلاته لها.. وحاولت استدعاء أي كلمات لتسأله بتعثر:

ـ فرحك!!.. و.. و..

هزت رأسها بحيرة وهي عاجزة عن تكوين سؤال واضح.. فزفر هو بيأس:

ـ أنا آسف.. أنا عارف أني تجاوزت معاكِ كتير الأيام اللي فاتت.. حتى كلمة آسف ما لهاش معنى قصاد غلطي في حقك..

خبط رأسه في مقود السيارة بعنف وهو يهتف:

ـ علياء.. أنتِ عارفة كويس أنه صعب.. لا ده مستحيل مش صعب بس.. وجودك بأي شكل في حياتي.. علياء..

رفع رأسه ليلمح دموعها التي بدأت تجري على وجنتيها فهتف بتوسل:

ـ علياء.. من غير بُكى..

استمرت دموعها بالانهمار:

ـ بس.. أنا.. أنا بحبـــ

قاطعها صارخاً:

ـ لا.. لا يا علياء.. أرجوكِ.. ما تصعبيش الموضوع علينا أكتر ما هو صعب..

تعالت شهقاتها واستمرت دموعها بالهطول وهي تستمع الحكم بإعدامها يخرج من بين شفتيه:

ـ علياء.. أنتِ مش عارفة ماما حصل لها ايه بعد ما عرفت بجواز بابا من والدتك.. أنا.. أنا أساساً خاطب ريناد من.. من زمان.. و..

قطع كلماته وهو يضرب المقود بقبضته وهو يرى دموعها وقد أغرقت وجهها..

فهتفت هي بتوسل من بين دموعها:

ـ وأنا ذنبي ايه في اللي حصل بين ماما وعمو عصام ووالدتك.. ليه كلكم مصرين أني أدفع التمن ده لوحدي..

عادت دموعها تجري بلا توقف وهي تهز رأسها بألم وتصرخ:

ـ ذنبي ايه؟؟؟

جذبها لصدره ليضمها بقوة وهو يدفن رأسه بتجويف عنقها ويهمس:

ـ كفاية بُكى.. أرجوكِ مش بتحمل دموعك..

تمسكت بكتفيه لتنخرط في نوبة بكاء قوية بينما هو أخذ يمسح على شعرها برقة.. يواسيها بصمت غير قادر على كسره.. فهي محقة

بصراخها عليه فالجميع يحملها ذنب لم تقترفه ولكنها حملته على كتفيها بصمت.. قد تكون أحد الضحايا، ولكن والدته هي أكثر من تأذت وهو غير قادر على تجاوز ذلك..

ظل يضمها إلى صدره لفترة منتظراً أن تعود لهدوئها.. ولكن كما يحدث معه في كل مرة تكون فيها قريبة منه.. بدأت سيطرته على مشاعره تخونه خاصة وهو مازال متأثراً بما حدث بينهما منذ قليل في مكتبه.. ووجد نفسه يبعد شعرها خلف أذنها ويجمعه على أحد كتفيها ليظهر لعينيه جانب عنقها المرمري الطويل وقد تناثرت عليه مجموعة من الشامات الصغيرة مشكلة خط طويل متعرج بدأ من خلف أذنها وتابعه هو بأطراف أنامله حتى وصل إلى نهاية عنقها حيث اختفت باقي الشامات خلف ياقة قميصها فتوقفت أنامله حول عنقها لتداعب الشامة الدامعة برقة فشعر بها ترتجف بين ذراعيه استجابة للمساته.. وترفع رأسها وتواجه عينيه ونظراتها تصرخ بحبها له..

ضمها له وهو يهبط برأسه إلى شفتيها بعجز.. متنقلاً بشفتيه بين وجنتيها وشفتيها وتلك الماسة التي تفقده عقله..

ظلا يتبادلان القبلات بشغف لدقائق لم يعرفا عددها حتى سمعها تهمس:

ـ بحبك يا يزيد.. والله بحبك..

أبعدها عنه بقوة وهو يهز رأسه بعنف صارخاً:

ـ جنوووووون.. اللي بيحصل ده جنون ولازم يوقف..

حاولت لمس ركبته بأناملها.. فصرخ بها كالملسوع:

ـ لا..

أبعدت يدها تضمها إلى صدرها وعادت شفتيها ترتجف بالبكاء.. فأخذ يتأملها لثوانٍ غير قادر على اتخاذ أي قرار.. يدرك أنه لو لمسها مرة أخرى لن يتوقف.. لن يتوقف أبداً إلا بعد أن يمتلكها تماماً..

أخيراً حرك العربية ليقف أمام بوابة المزرعة ويهمس لها وهو ينظر إلى الفراغ:

- احنا وصلنا يا علياء..

سألته بحيرة:

- وصلنا!!.. أنزل يعني؟..

أومأ لها موافقاً.. فهمست من وسط دموعها:

- مع السلامة يا يزيد..

خرجت من السيارة وأغلقت الباب خلفها بهدوء فالتفت برأسه يتابعها بنظراته حتى دخلت إلى باب الفيلا وهمس لنفسه:

- الوداع يا عليائي.. مش هقدر أشوفك تاني.. يمكن.. يمكن الزمن يكون هو الحل...

أفاق على ضغط أنامل ريناد على ذراعه ليفاجئ أنه ضاع في ذكرياته مع عليائه بينما ريناد معلقة بذراعه.. كاد أن يبتسم ساخراً من نفسه.. فهو لا يستطيع الإنكار أنه يفتقدها بشدة.. ابتعاده عنها ومقاومة الذهاب

لرؤيتها كان من أصعب ما قام به حياته.. يشعر بجسده يتألم وخلاياه تصرخ طالبة وصالها.. ولكنه للأسف لا يستطيع التلبية..

دوى صوت ريناد في أذنيه وهي تشير نحو حسن وعروسه:

ـ يزيد.. حسن بيشاور لك..

التفت لحسن فوجده يشير له برغبته في الذهاب.. فتحرك نحو الفرقة الموسيقية يتفق معها لتصدح نغمات الزفة الشعبية.. "دقوا المزاهر"..

فتحرك حسن مع منى ليتوجها نحو والدها ووالدتها.. التي أخذت توصيه بابنتها وتطلب منه أن يطمئنها عليها باستمرار.. فارتمت منى بين ذراعيها وبدا أن الدموع ستصبح سيدة الموقف..

ضم حسن منى إلى صدره بعدما رفعت نفسها من بين ذراعي أمها.. ليطمئن والديها:

ـ ما تقلقوش على منى.. مش هقولكوا منى في عينيه.. لا منى هي عينيه اللي بشوف بيها..

وهي قلبي اللي بيدق.. وهي عقلي اللي مش بيفكر غير فيها..

تضرجت وجنتي منى بشدة وهي تهمس بخجل:

ـ حسن!!!..

ضحك والدها بسعادة بينما شعرت والدتها بخجل ابنتها ولكنها ابتسمت براحة وهي تدعو لهما:

ـ ربنا يسعدكوا يا بني ويهدي سركوا..

وعادت لتضم منى إليها بقوة فابتعد حسن قليلاً ليسمح لهما بوداعها..

اقترب منه يزيد ليضع في راحته علاقة مفاتيح..

سأله حسن بتعجب:

ـ ايه ده يا يزيد؟.. مفاتيح ايه دي؟..

ـ مفاتيح الشاليه بتاعنا اللي في المعمورة.. أنا جهزته ومليت التلاجة.. وكماه هتلاقي في

عشا ليكم.. مبروك يا عم.. وما تنساش الجمايل دي..

- أنا متشكر قوي يا يزيد.. بس أنا كنت مخطط نروح الشاليه بتاعنا في الساحل..

شهق يزيد بذهول:

- نروح فين؟.. ووالدك؟.. أنت فاكر أنه هيعدي اللي حصل ده بالساهل.. روح الشاليه بتاعنا أفضل.. هو مش هيفكر يدور عليك هناك.. افرح وفرح عروستك يومين.. قبل ما المواجهة معاه..

أومأ حسن موافقاً:

- أنا عارف أنه مش هيسكت.. أكيد وصله كل اللي حصل الليلة, وطبعاً مفاجأته من تصرف نيرة لخبط له حساباته.. وكمان معرفته بجوازي في نفس الليلة.. أنا متوقع إعصار.. بس ربنا يستر..

ردد يزيد:

- ربنا يستر..

- ما فيش أخبار عن مازن؟..

هز يزيد رأسه نفياً:

ـ ما اعرفش أي حاجة.. آخر مرة كلمته قبل ما أمضي على قسيمة جوازك.. قالي.. أنه مش هيقدر يوصل في الميعاد.. وطلب مني أكون الشاهد مكانه..

ربت يزيد على كتف حسن وأردف:

ـ أنا عارف وجوده جنبك الليلة كان يفرق معاك قد ايه.. بس يا سيدي اعتبرني زي أخوك..

ـ أنت أكتر من أخ يا يزيد.. ووقوفك جانبي الليلة جميل فوق راسي.. وأنا مش متضايق من عدم وجود مازن.. بالعكس.. وجوده كان هيأثر جامد على صورته قدام نيرة.. هو ساعدني كتير.. من حقه بقى يحاول يظبط أموره شوية..

ـ يعني أنت مش متضايق من اللي نيرة عملته؟..

هز حسن رأسه:

ـ لا.. أبداً.. يمكن فوجئت.. بس كان لازم أتوقع أنها بتحب تكون الكلمة الأخيرة لها.. بس أهوه.. كله جه في مصلحة مازن..

سأله يزيد بحيرة:

ـ تفتكر فعلاً أن اللي حصل كان في مصلحته؟.

تبادلا النظرات الحائرة ولم يعلما بأن مازن نفسه كان في ذلك الوقت يرمق نيرة الجالسة بجواره بحيرة بالغة.. يتساءل عن صحة تصرفه.. عندما وافق على هذيانها المجنون.

فمنذ أن قرر حسن الرضوخ لوالده وإعلان خطبته على نيرة وهو يحرص بشدة على أن يبقى بعيداً في خلفية الصورة ويحاول اخفاء مشاعره بداخله حتى لا تسبب شرخاً بينه وبين شقيقه حتى وهو يعلم بابتعاد حسن بعقله وقلبه عن نيرة.. ولكنه الليلة وهو يلمح دموعها تبرق في عينيها وحسن يتلاعب بالدبلة الذهبية بين أصابعه لم يحتمل البقاء في الخلفية، وظهرت مشاعره واضحة على ملامحه رغماً عنه وهو يحاول منع نفسه من الاقتراب منهما ومنع حسن من التسبب

بإيلامها، حتى لو تسبب ذلك في ابتعاده عنها للأبد.. حركة خافتة من يزيد وهو يمسك بذراعه أوقفته عن التقدم، فالتفت له وملامح وجهه تصرخ بالصراع الدائر بأعماقه..

لم يعلم إذا كان حسن لاحظ ما حدث ولكن الأكيد أن نبرة لمحته.. فتبدلت ملامحها في ثوانٍ وتحول بريق الدموع في عينيها إلى بريق تحدي وهي تنهض بكبرياء وتنزع خاتم خطبتها من يدها بهدوء لتلقيه في وجه حسن وهي تهتف بصوت مسموع:

ـ أنا آسفة يا حسن.. مش هقدر أكمل مسرحية خطوبتنا أكتر من كده.. أنا وافقت على الخطوبة دي بس عشان كنت عايزة أعاقب الراجل اللي بحبه.. لكني مش قادرة أكمل معاك.. أرجوك ما تجبرنيش على حاجة مش عايزاها..

وصمتت قليلاً لترقب أثر كلماتها على الحضور الذين صمتوا تماماً وكأن على رؤوسهم الطير..

ثم رفعت رأسها نحو مازن وهي ترسم ملامح الأسف والعتاب:

ـ مازن.. حبيبي.. أنا آسفة على تصرفاتي المجنونة.. أرجوك سامحني.. أنا أتعلمت الدرس خلاص يا حبيبي.. مش قادرة أبعد عنك أكتر من كده..

سمعت الشهقات تتردد في كل مكان بالقاعة تقريباً وهي تعلن حبها وأسفها لشقيق خطيبها..

استمر تبادل النظرات بينها وبين مازن الذي لمح وسط بريق التحدي بعينيها نظرات استغاثة خفية.. أو ربما ذلك ما أوهم نفسه به فتخلص من ذراع يزيد وتحرك نحوها بخطوات بطيئة حتى وصل إليها ووقف أمامها تماماً ليرى نظرات الانتصار بعينيها.. ويلمح نظرات حسن الذاهلة..

شعر بجميع من في القاعة ينتظر خطوته القادمة..

هل سيوافقها في ادعاءاتها ليظن الجميع أنها هي من تركت حسن بسبب حبها اليائس لشقيقه؟.. أم سيخذلها ليحافظ على كرامة أخيه ورباط الأخوة الذي يجمعهما..

أدار نظراته في القاعة ليلمح العيون المتوسعة بترقب.. وسمع الهمهمات الخافتة بين الموجودين.. ما بين شامت وحاقد ومتعاطف ولكنه مترقب للفضيحة المقبلة..

أعاد نظره إلى نيرة مرة أخرى ليلمح خفوت نظرة الانتصار بعينيها.. وظهور صرخة الاستغاثة مرة أخرى.. فما كان منه إلا أن مد يده نحوها يجذبها لصدره ويحني رأسه مقبلا شفتيها بقوة..

الفصل العاشر

أوقف مازن سيارته في إحدى البقع الهادئة أمام كورنيش المعادي.. والتفت إلى نيرة التي ظلت على حالة الصمت التي تلبستها بعد ما تلقت تلك القبلة المجنونة منه.. وكأن تلك القبلة كانت بمثابة مخدر لها فانساقت خلفه بهدوء وهو يسحبها خارج القاعة ويضعها بسيارته.. وكلما اقترب من منزلها.. تهز رأسها رافضة.. وتطلب منه أن يستمر في تحريك السيارة...

لقد منحه القدر الليلة فرصة لا تعوض ليكون مع حبيبته أخيراً.. بعد ما كان يفكر في أي طريقة ليتمكن من الاقتراب منها بعد انهاء شقيقه تلك الخطبة البائسة, وكان كل مرة يجد خطأ ما.. يجعله يعيد النظر مرة أخرى.. حتى قدمت هي له الطريقة المثلى ليكون معها.. بدون أن يكون في موقف ضعف أمامها والأهم أنه لن يجرح شقيقه..

فقط عليه التعامل معها حالياً بهدوء شديد حتى يمتص غضبها ويحجم من كل الأفكار السوداء التي تموج في عقلها الآن وأغلبها تتمحور حول شقيقه مذبوحاً.. أو مشنوقاً...

أخيراً التفت لها يتأمل وجهها الفاتن الذي يعشق به ملامح الكبرياء التي تحاول أن تستدعيها الآن بكل قوتها..

سقطت نظراته على شفتيها, تلك التي تذوقها لأول مرة منذ قليل.. ليجد أن طلاء شفتيها يلطخ تلك المنطقة الرقيقة حولهما.. فسحب المنديل من جيب بذلته وقدمه لها بهدوء..

نظرت نيرة إلى المنديل بتعجب.. ثم لمحت اتجاه نظرات مازن.. فانطلق كل غضبها وحقدها المكبوت منذ اللحظة التي واجهها حسن بحقيقة الحفل الذي أقامه لها وحتى سحبها مازن كالشاه العاجزة بلا حول ولا قوة.. وتمثلت مشاعرها كلها في قبضتي يديها اللتين انطلقتا نحو مازن كالقنابل وهي تصرخ به:

ـ أنت خدعتني.. استغلتني.. خدعتني.. وخلتوني نكتة بين الناس..

تنهد ببرود:

ـ أنتِ قلتِ خدعتني مرتين على فكرة..

كادت أن تصرخ من جديد فعاد يخبرها بهدوء:

ـ وبيتهيألي أني لا خدعتك.. ولا ضحكت عليكِ.. بالعكس.. أنا..

صرخت مقاطعة:

ـ أنت بوستني!!..

هز كتفيه بلامبالاة:

ـ بيتهيألي برضوه أنك ما كونتيش ممانعة..

كتفت ذراعيها تسأله بغضب:

ـ والحل؟..

أعاد كلمتها باستفزاز:

ـ الحل!!

صرخت به بجنون:

ـ مازن.. أنت ناوي تجنني.. هنعمل إيه في الورطة دي؟

أخذ يتأملها لوهلة وعادت عينيه تتجه إلى طلاء شفتيها الملطخ فأمرها بحسم:

ـ نضفي الروج من على شفايفك..

مسحت شفتيها بعنف وألقت المنديل نحوه بعنف صارخة:

ـ خلاص.. ارتحت!..

هز كتفيه بخفة وهو يجيب سؤالها السابق بهدوء:

ـ أعتقد أنه أفضل حل أننا نهدى خالص ونسيب العاصفة تمر.. وبعد فترة الناس هتنسى وهيلاقوا حاجة تانية تشغلهم..

ـ قصدك فضيحة تانية؟..

هز كتفيه بهدوء مستفز.. فصرخت به:

ـ معقولة هتسكت وتسيب الناس يجيبوا سيرتي.. ويقولوا..

قاطعها بجدية:

- هيقولوا إن الأخين لعبوا بيكي.. ونقلوكِ بينهم.. وفي الآخر رموكِ.. بعد ما انبسطوا شوية وبعدين زهقوا منك..

اتسعت عينيها بذعر تستشعره للمرة الأولى.. فلم تتصور في أي وقت أن تكون نيرة خبث مضغة تلوكها أفواه النميمة وجلسات السيدات التافهات.. ولكن.. هذا لن يحدث.. مازن لن يسمح بهذا.. أنه يحبها.. أم تراها قد أخطأت في قراءة مشاعره.. كلا.. كلا.. أنها متأكدة..

اعتدلت في جلستها بهدوء وهي تخبره بعجرفة:

- ما فيش حاجة من دي هتحصل!

سألها بتعجب:

- ليه بقى؟..

أشارت له بسبابتها:

- أنت مش هتسمح بكده!

ـ والسبب؟..

ـ أنت بتحبني..

رمتها في وجهه بقوة وكأنها تصمه بسُبة ما، فدفعه ذلك للابتسام بسخرية..

صرخت متهمة اياه:

ـ أنت بتحبني، صح؟..

أجابها بهدوء:

ـ لازم يكون في حد بيحب نيرة.. مش كده؟..

سألته بتردد:

ـ يعني إيه؟..

ـ يعني أنك دايماً بتدوري على اللي بيحب نيرة.. وإذا كان في حد لا سمح الله اتجرأ ومحبهاش يبقى لازم يحبها.. حتى ولو بالعافية!!!

ارتبكت بشدة وتعثرت الكلمات بين شفتيها:

ـ أنت عايز توصل لإيه؟

ـ عايز أعرف... ليه نيرة مش بتحب نيرة؟!.

توسعت عيناها بدهشة.. فأردف وهو يلوح بيده:

ـ كل اللي حواليكِ وبيتعاملوا معاكِ فاهمين أنك بتحبي نفسك لدرجة النرجسية.. لكن الحقيقة غير كده..

أدار وجهه لها ومد يده ليرفع وجهها ويحدقها بعينيها:

ـ الحقيقة أنك مش بتحبي نفسك.. دايماً بتدوري على أي حد يحبها بدالك.. ليه؟.. ليه يا نيرة؟..

ارتسم الذهول على ملامحها.. فهي لم تعتقد أبداً أنه سيستطيع قراءة أعماقها بمثل ذلك الوضوح.. فجذبت وجهها من بين أنامله وهي تصرخ به:

ـ كفاية فلسفة يا مازن.. وقولـــ..

قاطعها بهدوء وهو يبدأ تشغيل السيارة:

ـ هحدد ميعاد الجواز مع والدك وأبلغك.. أنا لحد الوقتِ ما طلبتكيش منه.. وما يصحش أنه يسمع من بره أن بنته بدلت خطيبها..

سألته بوجل:

ـ يعني..

ـ يعني.. هنتجوز على طول يا نيرة.. لا خطوبة ولا كلام فارغ من ده..

والتفت إليها ليضغط على كل حرف:

ـ يعني ما فيش حسن.. ما فيش منى... تطلعيهم من دماغك اللي عاملة تدور على أي مصيبة تسببها لهم ولا أي كارثة تفرقهم عن بعض..

رددت بتوتر:

ـ تفرقهم!!

أجابها بهدوء:

ـ حسن ومنى اتجوزوا.. وهما دلوقتِ في طريقهم لشهر العسل..

صرخت بذهول:

ـ إيه!.. لا.. لا مش ممكن مستحيل..

جذبها من ذراعها بقوة:

- نيرة.. بقولك لآخر مرة.. تنسي كل حاجة عن اللي فات.. أنا مش هعرض نفسي واسمي وكرامتي لأي كلام سخيف عشان حضرتك ترضي نزعة الانتقام اللي جواكِ.. وخليكِ فاكرة.. أني قدام أبويا وأبوكِ بقدم لهم خدمة.. يعني لو تراجعت عن جوازنا في أي لحظة نتيجة أي تصرف متهور منك.. ما فيش حد هيقولي تلت التلاتة كام.. فهماني؟..

ردت بتأكيد:

- بس أنت بتحبني..

أغمض عينيه بقوة.. واجابها بهدوء:

- أيوه.. بحبك يا نيرة.. وعارف أنك عارفة من زمان..

فتح عينيه فجأة والتفت لها:

- بس مش هسمح تاني أنك تستخدمي الحب ده عشان تستردي كرامتك أو تنتقمي.. كفاية قوي اللي حصل الليلة.. ولو عاوزة الحق.. أنتِ اللي استغلتيني.. مش العكس..

أدار السيارة بحركة عنيفة.. وهو يسألها:

- هتروحي دلوقتِ؟..

هزت رأسها نفياً:

- وديني عند عليا في المزرعة..

أومأ بصمت متفهم بينما هي ترمقه مذهولة بشخصيته.. بمازن الرجل الذي تواجهه للمرة الأولى وقد أدركت أنها دخلت بقدميها إلى حياته, بل هو من جرها جراً إليها..

ذلك الرجل الذي اكتشفت أنها لا تعلم عنه شيئاً.. ولكنه يعلم عنها الكثير..

****

حمل حسن منى برقة ليدخل بها إلى الشاليه الخاص بعائلة يزيد.. بينما هي تمسكت بعنقه لا إرادياً خوفاً من سقوطها أرضاً ولمحته وهو يغلق الباب بكعب قدمه.. ويتوجه بها نحو السلم الداخلي.. فهمست بخفوت:

- خلاص يا حسن بقى نزلني..

هز رأسه نفياً وهو يلمح تخضب وجنتيها بالاحمرار وهمس بجوار أذنها:

ـ لسه ما وصلناش للمحطة الأخيرة!..

شهقت بخجل وأخفضت بصرها لتتأمل حبات الألماس المتراصة في حزام فستانها.. قبل أن تشعر بحسن يهبط بها برقة على الفراش..

رفعت عينيها بخجل لتتلاقى بعينيه التي ترمقها بنظرة حارة وأنامله تتجول على وجهها برقة حتى أمسك بذقنها ليرفع وجهها إليه ويهمس بين أنفاسها:

ـ أخيراً.. أخيراً يا منى..

هبط برأسه ليقبل شفتيها.. فقفزت من الفراش فجأة واقفة على قدميها واتجهت نحو النافذة تثرثر بكلمات بلا معنى:

ـ الشاليه موقعه حلو قوي.. على البحر على طول.. و..

تحرك ليقف خلفها مباشرة ويضمها إلى صدره هامساً في أذنها:

ـ ما تخافيش..

التفتت لتواجهه وهي تردد بارتباك:

ـ أنا.. مش خايفة.. أنا..

أحاط خصرها بذراعه وهو يسألها بهدوء:

ـ ممكن بس نرفع الطرحة..

أومأت موافقة.. فحرك يده ليخلص خصلاتها من الطرحة الطويلة.. ومرر أنامله باستمتاع في شعرها, فشعر برجفتها الخفيفة بين ذراعيه..

ـ برضوه خايفة!!.. لا.. أنا لازم أطمنك على الآخر!!..

همس بتلك الكلمات أمام شفتيها ثم أخذهما في قبلة طويلة عبر بها عن حبه وشوقه وتملكه لحبيبته ومليكة قلبه منذ الأزل..

شعرت منى بأنفاسه الساخنة تداعبها وهو يمرغ شفتيه مقبلاً عنقها الطويل وأنامله تزيح الشال الذي يغطي كتفيها بلهفة.. وهو يسألها بتوسل:

ـ منى...

دفنت منى وجهها المشتعل في صدره وهي تمنحه إجابتها:

ـ بحبك يا حسن..

هتف حسن بفرحة وحملها بسرعة ليتوجه بها نحو الفراش.. ليبدأ تعليمها.. أبجديات الحب.. هاتفاً بعبث:

ـ دلوقتِ بقى نبدأ أول دروس.. من حبيبك وجوزك حسن العدوي..

****

أوصل مازن نيرة إلى مزرعة الغمرواي ووجدا علياء بانتظارهما بعدما اتصل بها مازن ليخبرها بقدومهما..

نزلت نيرة من السيارة بسرعة بدون أن تنتظر مازن ليفتح لها.. وألقت بنفسها بين ذراعي علياء التي تفاجأت من تصرفها.. فرغم طول فترة صداقتهما إلا أن نيرة لم تبادر بتصرف مثل ذلك أبداً..

سألت علياء بقلق:

ـ حصل إيه يا نيرة؟.. هي الحـفـ...

قاطع مازن كلماتها بسرعة:

ـ حسيبك مع عليا.. ما يصحش أدخل في وقت متأخر زي دا.. وزي ما اتفقنا.. هكلم والدك ونحدد ميعاد الفرح..

سكتت نيرة بين ذراعي علياء التي رمقت مازن بذهول.. وهي تردد في بلاهة:

ـ فرح مين!!

هم مازن بالاجابة ولكن سبقته نيرة عندما نزعت نفسها من بين ذراعي علياء وتوجهت لداخل الفيلا وتهتف من خلف كتفها:

ـ فرحي أنا ومازن..

ثم التفتت له بغيظ:

ـ عايزة فرح ولا ليالي ألف ليلة.. مش عايزة أسمع همسة عليّ من أي واحدة مريضة..

ثم تحركت مسرعة لتختفي من أمام أعينهما تاركة علياء غارقة في ذهولها.. بينما تحرك

مازن نحو سيارته وقبل أن يدخلها سأل علياء بتهذيب:

ـ عليا.. ممكن أطلب منك تطمنيني عليها.. أنا عارف أنها مش هترد على تليفوناتي..

ـ بس.. إيه اللي حصل؟..

ـ اللي حصل يخصها لوحدها.. وهي أكيد هتحكي لك عنه.. بس لما تهدى.. قولي لها بس أنه فرحنا هيكون بعد شهر بالكتير.. تصبحي على خير..

****

حركة خفيفة على وجنة منى كانت سبباً في إفاقتها من نومها.. فحركت يدها لتبعد ما يزعجها.. ولكن تلك الحركة استمرت بإلحاح أكبر.. فبدأت تستيقظ بالفعل, لتتذكر أن الليلة السابقة كانت ليلة زفافها وأن الذي يجاورها بالفراش الآن..هو حسن.. زوجها..

فتحت عين واحدة لتلمحه يراقبها باستمتاع فأغلقتها سريعاً.. ثم عادت تفتح عينها

الأخرى لتفاجئ بقبلة ناعمة على جفنها المغلق.. فهتفت بعفوية:

ـ بلاش تبوسني في عينيه..

قهقه ضاحكاً وهو يقلد عبد الوهاب:

ـ دي البوسه في العين تفرق..

ابتسمت بدورها وهي تضع أناملها على شفتيه:

ـ ربنا ما يجيب فراق..

تحرك ليضمها لصدره وهو يهمس عابثاً:

ـ خليكِ فاكرة.. أنتِ اللي رفضتِ البوسة في العيون!!..

ثم أنفض لينهل من حبها الذي اشتاق له كثيراً..

وبعد وقت طويل كانت منى تجلس في شرفة الشاليه لتتناول غذاءً متأخراً مع حسن.. وتراقب غروب الشمس.. تمسك بيدها الوردة التي كان يوقظها بها حسن صباحاً.. وسمعته يخبرها ضاحكاً:

ـ يزيد مالي البيت أكل.. وجايب لنا وردة واحدة بس.. رومانسي قوي الواد ده!..

ابتسمت منى برقة:

ـ بس الجنينة كلها ورد.. حلوة قوي..

قرب مقعده منها وهو يمسك يدها ويقبلها.. برقة:

ـ إن شاء الله هيكون عندك جنينة زيها وأحلى منها كمان.. أنا عندي كام منى..

أخفضت منى عينيها بخجل ليهتف هو:

ـ يوووووه على الكسوف ده.. ايه رأيك أعطيكِ درس تاني من دروس حسن يمكن الكسوف يخف شويه..

ضحكت برقة.. واللون يتدافع إلى وجنتيها بسرعة شديدة.. فنهض حسن ممسكاً بيدها:

ـ طيب خلاص.. نأجل الدرس شويه.. تحبي نتمشى على البحر..

هزت رأسها نفياً وهي تخبره بخجل:

_ عايزة أرقص معاك رقصة سلو.. زي الأفلام.. بس أنت اللي هتعلمني..

ابتسم حسن بسعادة وهو يشاكسها:

_ وماله.. آهي كلها دروس..

تحرك ليبحث بين مجموعة الأغاني التي يحتفظ بها يزيد.. ليجدها تقف بجواره:

_ عايزة أغنية.. باعترف..

_ من عينيه..

أدار الأغنية.. وضمها إلى صدره ليغيبا سوياً مع كلمات الأغنية وكل منهما يهمس بها للآخر..

****

جلس يزيد خلف مقود سيارته في شرود.. يتساءل بداخله عما دفعه للقيام بتلك الرحلة الحمقاء.. هل يرغب برؤيتها حقاً؟.. ولماذا؟.. ماذا سيستفيد برؤيته لها؟.. والأهم هل يضمن سيطرته على مشاعره إذا رآها؟..

رفع بصره إلى الشرفة البعيدة والمضيئة.. يعلم أنها مازالت مستيقظة وأن نيرة ستكون برفقتها بالطبع.. ربما هذا ما شجعه على المجئ.. أنه لن ينفرد بها.. فقط سيراها ويروي عطش عينيه بزرقة عينيها وتلك النظرة التي تحتويه بها وتصرخ بحبها له..

يدرك أنها أنانية منه.. بل أنه يستحق لقب الوغد الأكبر في الكون.. فما يفعله بها وما يرسله لها من رسائل متناقضة تقلب كيانها وتجعلها غير مدركة لمشاعره المتقلبة نحوها

لهو أكبر خطيئة قد يرتكبها على الإطلاق.. ولكنه عاجز عن فعل أي شيء سوى رؤيتها.. وإشباع روحه قبل عينيه بنظرة الحب في عينيها...

لقد مر بأسبوع كالجحيم.. فبعد ما مضى الأسبوع الأول من ابتعاده عنها بهدوء وهنأ نفسه على حُسن اختياره لقرار البعد.. إلا أن مع مرور الوقت وزيادة شعوره بالاشتياق لها جعله كالقنبلة الموقوتة يخشى جميع من حوله أن تنفجر به في أي لحظة.. فأعصابه مشدودة

على الدوام.. صوته عالٍ على الجميع.. حتى ريناد نفسها لم تسلم من إحدى نوبات غضبه.. والده يرمقه بنظرة مفكرة بينما والدته تظن أن ما به توتر ما قبل الزفاف حتى أنها سخرت منه يوماً قائلة:

ـ إيه يا يزيد.. أنا أعرف أن العروسة هي اللي بتكون قلقانة ومتوترة مش العريس..

لم يجد يومها ما يجيبها به سوى تبرير واهٍ حول رغبته في الانتهاء من العمل حتى يستطيع القيام بإجازة شهر عسله بارتياح..

وبعد عدة ثورات أخرى في العمل اقترح والده عليه ببساطة أن يبدأ إجازته مبكراً حتى تهدأ أعصابه قليلاً, ولكنه رفض بقوة.. وحاول قدر استطاعته التحكم بنوبات غضبه والسيطرة على ثوراته المتعددة, وكان ذلك سبباً إضافياً في الضغط على أعصابه التي تحترق من الأساس..

لذا فقد أخذ قراره.. متخذاً من وجود بعض الأوراق الهامة بخزينة مكتب والده بالمزرعة كعذر واه للحضور إلى المزرعة, لإحضار

الأوراق، ظاهرياً ومن داخله كان يتمنى أن يراها ولو من بعيد.. فقط يلمحها.. مرة.. مرة واحدة..

عاد يرفع عينيه إلى الشرفة المضاءة ليلمحها تتحرك بها.. وشعر للحظة وكأنها تتجمد وهي تلمح سيارته قرب البوابة المعدنية الكبيرة.. ثم التفت لتدخل حجرتها بسرعة..

صارخة بذهول:

ـ نيرة.. بيتهيألي عربية يزيد بره!!..

زفرت نيرة بنفاذ صبر وهي تتصفح إحدى دفاتر الرسم الخاصة بعلياء:

ـ وبعدين يا علياء.. هو كل ليلة الموال ده.. أسبوع من يوم ما جيت وأنتِ أي عربية تعدي جنب المزرعة تقومي تجري وتقولي أنك حاسة أنه سي يزيد.. خلاص.. لازم تنسيه.. جوازه مش باقي عليه إلا أسبوعين.. وريناد بتوزع الدعوات فعلاً..

أخفضت علياء وجهها أرضاً في حزن:

ـ خلاص يا نيرة.. مش لازم تفكريني كل شويه..

تحركت نيرة وتركت الدفتر ليسقط من يدها وتمسكت بكتفي علياء بقوة:

ـ أنا بفكرك عشان تكوني أقوى.. عشان ما تضعفيش.. لازم تجهزي نفسك ليوم فرحه.. وعقلك هو اللي يكون له التصرف.. ما تخليش حد يشمت فيكي.. فاهماني..

قالت جملتها الأخيرة وكأنها تذكر بها نفسها..

أومأت علياء في حزن:

ـ هو أنا أقدر أعمل حاجة غير كده..

تركت نيرة كتفي علياء والتفتت لتجلس على أحد المقاعد المريحة.. هاتفة بغيظ:

ـ أيوه تقدري.. تقــدري.. تنســـ...

قطعت كلماتها عندما لمحت الصفحة التي فتح عليها دفتر الرسم ووجه يزيد يطالعها بملامح.. غامضة.. وعينيه تلتمع بهما نظرة

توق ممزوجة بنظرة راغبة واضحة.. فانحنت لتلتقط الدفتر وسألت علياء بخوف:

ـ عليا.. أنتِ رسمتِ الصورة دي ليزيد امتى؟..

رفعت علياء لها عينين تحتبس بهما الدموع وهي تتساءل بدورها:

ـ هاه.. أي صورة؟..

حركت نيرة الدفتر أمام علياء لتواجهها عينا يزيد تتألق بهما النظرة التي تلازمه مؤخراً

كلما نظر إليها.. فهزت كتفيها بمعنى لا أدري.. فعادت نيرة لتسألها بإلحاح:

ـ هو فعلاً بيبص لك بالطريقة دي؟.. ولا دي مجرد لوحة...

ابتلعت علياء ريقها بارتباك وهي ترد على السؤال بسؤال:

ـ مش فاهمة قصدك إيه يا نيرة.. وهي هتفرق في إيه يعني؟..

قبل أن ترد عليها نيرة دوي صوت إغلاق الباب الخارجي للفيلا.. فقفزت علياء بسعادة واختفت علامات الحزن من ملامحها في ثوانٍ وهي تصيح أثناء خروجها من غرفتها:

ـ الباب.. سمعتِ الباب.. يبقى أكيد يزيد..

وانطلقت تعدو تاركة خلفها نيرة فاغرة فمها بذهول لسرعة تبدل حال صديقتها إلا أنها أجبرت نفسها على التحرك خلفها بسرعة.. فبعد رؤيتها لنظرة عينيّ يزيد في اللوحة.. لن تأمن أبداً وجوده منفرداً مع علياء.. فخرجت وهي تتمتم في غضب..

ـ لو نظرة عينيه دي حقيقية.. يبقى مش لازم ينفرد بعليا لوحدهم أبداً..

وصلت علياء إلى الطابق الأسفل من الفيلا بينما كان يزيد على وشك الدخول إلى غرفة المكتب.. فهتفت بحنين:

ـ يزيد..

تجمد يزيد لحظة أن سمع صوتها واشتدت يده على مقبض الباب وهو يحاول التحكم في جسده الذي انتفض بقوة لسماع صوتها.. فبرغم أنه حضر خصيصاً لرؤيتها والتمتع بنظرة الحب في عينيها إلا أنه خشيّ للحظة أن يلتفت لها ليجد أن تلك النظرة اختفت.. أو الأصعب أن يجدها تحتويه بحبها فيعجز عن الابتعاد عنها بدون أن يروي ظمأه منها..

عاد صوتها يناديه بتردد:

ـ يزيد..

التفت لها ببطء لتواجهه نظراتها المشعة وقد تناثر شعرها حولها وتضرجت وجنتيها باللون الوردي الجميل وتعالى صوت تنفسها بفعل نزولها الدرج بسرعة شديدة لملاقته..

فُتن بطلتها كالمعتاد وتحرك نحوها كالمنوم مغناطيسياً.. عندما دوى صوت نبرة لينزل عليه كدشٍ بارد يفيقه من هذيانه:

ـ حمد لله على السلامة يا يزيد.. الوقت متأخر.. كنت محتاج حاجة ضروري ولا إيه؟..

التفتت علياء لنيرة التي وقفت في منتصف السلم

وهي تضع يدها بخصرها وتنظر ليزيد بتحفز..

ففسرت علياء نظراتها تلك بغضبها من دور

يزيد في فسخ خطبتها من حسن.. بينما أدرك

يزيد نظرات التحذير التي تلتمع في عيني نيرة

بسهولة فغمغم بسرعة:

ـ كان في ورق مهم في المكتب هنا..

ومحتاجينه ضروري..

وتحرك بسرعة ليدخل غرفة المكتب ويغلق

الباب خلفه.. بينما جذبت نيرة علياء الهائمة

من يدها بعنف واصطحبتها إلى غرفتها

بالطابق العلوي.. وأغلقت الباب خلفهما بقوة

والتفتت لتصيح بها:

ـ عليا.. إيه حدود علاقتك بيزيد؟..

تلعثمت علياء وهي تجيبها:

ـ مش.. أنتِ اللي قلتِ لي أقرب منه و..

قاطعتها نيرة بغضب:

ـ ايوه.. أنا قلت كده.. بس كنت فاكرة أنك فاهمة قصدي.. أنك تقربي من غير ما تتحرقي بالنار.. فاهماني يا عليا؟..

رفعت علياء لها عينين حائرتين فتنهدت نيرة بحنق:

ـ عليا في علاقة بينك وبين يزيد؟..

شهقت علياء بقوة وهي تهتف بحرج:

ـ أنتِ بتقولي إيه يا نيرة!!

تنهدت نيرة بارتياح ونصحتها بهدوء:

ـ طيب.. خلاص يا عليا.. بس دلوقتِ مش هينفع تقربي من يزيد.. خلاص فرحه ما بقاش عليه حاجة.. يعني هو قرر عايز مين.. لازم تخرجيه من دماغك وتنسيه خالص..

أجابتها علياء بحزن:

ـ إزاي بس؟.. أنا بحبه.. و..

قاطعتها نيرة بقوة:

ـ انسي الحب ده خالص.. ودوسي على قلبك.. ودوري على اللي بيحبك..

سألتها علياء بألم:

ـ زي ما أنتِ عملتِ؟.. اخترتِ مازن عشان بيحبك؟..

أشاحت نيرة بوجهها بعيداً وهي تتمتم:

ـ اخترت!!.. أيوه.. مازن بيحبني.. وهو الإنسان اللي هكمل حياتي معاه.. أنا كنت فاهمة نفسي غلط لما أوهمتها بحب حسن..

سألتها علياء بتعجب:

ـ أومال مش بتردي على تليفوناته ليه؟.. ده بيتصل بيكي كل يوم.. وأنتِ من يوم ما جيتِ من أسبوع ما رديتيش عليه..

كتفت نيرة ذراعيها أمام صدرها وهي تبحث عن إجابة لسؤال علياء.. فهي بالفعل تتهرب من الرد على مازن ليس رغبة منها في تأجيج عواطفه، ولكن خوفاً منه.. نعم.. هي تخاف مازن بشخصيته الجديدة عليها والتي لم تظن يوماً أنه يمتلكها.. لقد ظنت لوهلة وهي تلمح نظرات الحب والألم في عينيه عندما كان

يخبرها حسن.. أو بالأحرى يهددها.. ظنت أنها وجدت المخرج لنفسها لتصفع حسن بشقيقه.. ولكن مازن.. أظهر لها وجهاً آخر وجهاً مختلفاً تماماً عما ظنت.. لقد هربت من الجميع ومن الأقاويل إلى مزرعة الغمراوي لتكون برفقة علياء.. ولكنها غير قادرة على الهروب من التفكير به.. وبحوارهما معاً قبل أن يصطحبها إلى المزرعة.. والذي أوضح بجلاء.. أن مازن لن يكون الرجل الذي تستطيع لفه حول إصبعها بسهولة كما تخيلت..

أخرجها من شرودها صوت علياء:

ـ نيرة!!.. روحتِ فين؟

ألتفتت نيرة لتخبر علياء بهدوء:

ـ عليا.. زي ما قلت لك.. انسي يزيد خالص.. وابعدي عنه نهائي.. أنا.. أنا هروح أنام.. أنا تعبانة وعندي إحساس أني بقالي سنين ما نمتش..

وهربت نيرة بسرعة من أمام علياء.. فهي رفضت مناقشة أي شيء يخص فك ارتباطها

بحسن وقرارها السريع بالارتباط بمازن مع أي شخص حتى والدها.. الذي أخبرته أنها تريد البقاء مع علياء لفترة.. وتركت له ولأول مرة مهمة تحديد زواجها الوشيك..

استقرت نيرة بغرفتها وأغلقت بابها لتنفرد بنفسها وأفكارها حول مازن..

****

انتظرت علياء بصبر في شرفتها حتى تستطيع رؤية يزيد قبل أن يذهب.. ولكنه لم يظهر مرة أخرى بعد دخوله إلى غرفة المكتب.. انتظرت ساعة.. وساعة أخرى.. ولكن لا أثر له..

أخيراً سحبت مئزراً منزلياً لترتديه فوق منامتها القصيرة.. وارتدته على عجل ونزلت مسرعة إلى غرفة المكتب..

وقفت ثوانٍ تلتقط أنفاسها.. ثم طرقت الباب بخفة وانتظرت لتسمع أي رد.. ولكن لم يقابلها سوى الصمت التام..

ابتلعت ريقها بقوة وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تفتح الباب بهدوء وتدلف إلى الغرفة لتفاجئ

بيزيد وقد افترش الأريكة العريضة الموجودة بالغرفة.. وذهبَ في نومٍ عميق..

أغلقت الباب بهدوء حتى لا توقظه, واقتربت ببطء وهي تقدم خطوة وتأخر أخرى.. حتى وصلت إليه ووقفت تتأمل ملامحه الوسيمة ولكنها كانت منقبضة بشدة وكأنه يتألم من شيء ما..

سمعته يهمس بشيء.. فهبطت على ركبتيها أمام الأريكة حتى تستطيع سماع ما يهمس به في نومه...

عاد يهمس في نومه ثانية وعقد حاجبيه بشدة.. فمدت يدها لتمسد جبهته برقة حتى تنفرج ملامحه وتعود لهدوئها.. وأخذت أناملها تتجول على وجهه برقة وكأنها تريد رسمها في خيالها.. تريد حفظها بين حنايا قلبها لتكون زادها في بعاده بعد ما قرر بحسم الاستمرار في زواجه...

_ علياء.. علياء الفراشة..

جمدت أناملها على وجهه وهي تسمعه يهمس باسمها.. وقطبت حاجبيها في حيرة.. هل

يناجيها في أحلامه؟.. إذاً لم الهجر والبعاد؟.. لم زواجه من أخرى؟..

عاد اسمها يتردد بين شفتيه:

- فراشتي.. علياني.. مش قادر..

تجمدت كل خلية بجسدها وهي تلمح عينيه المفتوحة تحدق بها.. وترمقها بنظرات هائمة.. سرعان ما تحولت إلى تلك النظرة التي أصبحت تألفها في عينيه مؤخراً... وقبل أن تفكر بالتحرك وجدت ذراعه تطوق كتفيها وعنقها لتجذبها فوق صدره وهو يقبلها بشغف ورقة ويهمس باسمها بتوق شديد..

فوجدت نفسها تستسلم لعواطفه المشبوبة كعادتها دائماً.. وتحرك ذراعيها للتمسك بكتفي يزيد الذي كان غارقاً في قبلاتها ظناً منه إنه يعيش واحدً من أحلامه التي لازمته مؤخراً..

يحلم بها.. يختطفها ليذهبا بعيداً عن الجميع.. عن كل ما يفصلهما ويمنع وجودهما معاً.. يحتضنها ويقربها منه..

يضمها إلى صدره ويقبلها كما يفعل الآن.. إلا أن تلك المرة كان الحلم حيّ أكثر مما ينبغي.. ملموس بقوة كملمس نعومة خصلاتها بين أنامله.. ودافئ برقة كرقة شفتيها بين شفتيه.. كان حلم قريب من الواقع وهو يسمع همسها:

ـ بحبك.. بحبك يا يزيد.. ليه بتبعد عني؟..

انتفض بقوة وهو يشعر بأناملها تنغرز بين خصلات شعره.. وصوتها الهامس يتردد بين أنفاسه.. شعر أن الحلم اختلط بالواقع وأنه الآن يعيش واقعاً ملموساً..

نهض جالساً من رقدته.. وأمسك بذراعيها ليثبتها أمامه فارتكزت بكفيها على الأريكة في حين ظلت متكئة على ركبتيها وهي تلهث بقوة من عنف المشاعر التي جمعتها به..

سمعته يسألها بخشونة:

ـ أنتِ إيه اللي مصحيكِ لحد دلوقتِ؟..

علمت بسهولة أن خشونته مصطنعة فأخذت تنهل من ملامحه الحبيبة لعينيها بجوع وهي ترد بخفوت:

ـ قلقت عليك وجيت أشوفك..

تخللت أنامله بين خصلاته بقلق:

ـ أنا.. أنا.. كنت بدور على الورق.. وتعبني على ما لقيته فقلت أريح عينيه شوية قبل ما أرجع تاني القاهرة.. بس يظهر أني روحت في النوم..

رفعت أناملها لتمر بها على جانب وجهه برقة:

ـ أنت شكلك فعلاً مرهق أوي.. أنت مش بتنام؟..

مد يده ليمسك بيدها ويبعدها عن وجهه وهو يهتف بخفوت:

ـ علياء.. بلاش جنون.. احنا اتفقنا من المرة اللي فاتت أن كل ده لازم ينتهي..

رددت ببراءة:

ـ بس أنت كنت بتبوسني دلوقتِ!

أجابها بسرعة:

ـ كنت بحلم.. و..

ارتسمت على شفتيها ابتسامة رقيقة وهي تسأله:

ـ كنت بتحلم أنك بتبوسني؟..

عادت أنامله تعيد خصلاتها للخلف وهو يحاول أن يتماسك من أجلهما معاً.. تلك الفراشة تتلاعب حول اللهب ولا تعلم أنه سيحرقها قبل أن يحرقه هو..

حاول أن يطلب منها بحزم ولكن طلبه خرج كتوسل رقيق:

ـ اطلعي أوضتك يا علياء.. اطلعي أوضتك واقفلي عليكِ بالمفتاح..

هزت رأسها بالنفي وهي تعاود ملامسة وجهه:

ـ قولي الأول أنت جيت ليه الليلة؟..

رفع يديه ليمسك يدها قبل أن يذوب تحت لمسة أناملها واحتفظ بها تلك المرة في كفه.. وحاول أن يتذكر سؤالها.. ليجمع بعض كلمات بلا معنى:

ـ ورق.. مهم.. كان لازم أجيبه الليلة..

هزت رأسها وكأنها غير مقتنعة بكلماته فهي تشعر بأنامله تداعب كف يدها التي يحتضنها بدفء شديد.. وأنبأتها غريزتها الأنثوية أن تلك الأوراق ما هي إلا عذر حتى يأتي إلى المزرعة ليراها.. فوجدت نفسها تلقي بذراعها خلف عنقه وتقف على ركبتيها ليكون وجهها مواجهاً لوجه وهمست بتوسل أمام شفتيه:

ـ يزيد.. أنا مش حلم.. أنا حقيقة.. يزيد.. خدني في حضنك.. حتى ولو لآخر مرة.. حتى لو كان وداع..

لم يدعها تكمل توسلها فهو يحتاجها بين أحضانه أكثر مما يحتاج الهواء الذي يتنفسه.. لقد أضناه بعاده عنها وحرقه شوقه إليها..

اعتصر جسدها الشاب بين ذراعيه.. وشفتيه تعزف لها مقطوعة من الشغف المجنون.. تتنقل بجنون بين شفتيها ووجنتيها وجفنيها ليعود ويلتهم شفتيها بقسوة جعلتها تئن بين ذراعيه وتبعد شفتيها عنه لتمرغ وجهها كالقطة في تجويف عنقه بينما سقطت شفتيه على شاماتها الصغيرة يقبلها برقة.. ويعود إلى شفتيها برقة أذابتها لترفع ذراعيها تحيط بهما عنقه مستسلمة لقدرها بين ذراعيه حيث أصبحت المقاومة بالنسبة لها خيار غير واردة وخضع هو لسحر وجودها بين ذراعيه ومتعة الإحساس بحبها السرمدي فكانت المقاومة بالنسبة له رفاهية هو عاجز عن تحملها..

وأخيراً هدأت عاصفة حبهما وسكنت علياء بين ذراعيّ يزيد..

لم تتفتح الأبواب.. لم تتكسر النوافذ.. وبالتأكيد لم تهطل الأمطار أو تفور القهوة لتطفئ شعلة النار..

فقط كُسِرت الفراشة وحُطِمت أجنحتها...

الفصل الحادي عشر

جلس حسن بجوار منى حول مائدة على شكل نصف دائرة بإحدى الملاهي الليلية الشهيرة والملحقة بفندق خمسة نجوم.. وأمسك يدها ليضغط عليها هامساً:

- إيه رأيك.. أعملك امتحان دلوقتِ في دروس الأسبوع اللي فات؟..

تورد وجه منى بروعة سلبت لبه وقد ظهرت صدمتها جلية.. وهي تسأله بذهول:

ـ حسن!.. أنت بتقول إيه!!

قهقهة بشقاوة وهو يجيبها ببراءة مصطنعة:

ـ أنا قصدي دروس الرقص.. هو أنتِ فهمتِ حاجة تانية!

زمت منى شفتيها بفتنة تدعي الغضب.. وتجيبه بدلال أدركت عشقه له بغريزتها:

ـ أنا كمان أقصد الرقص.. بس هتكسف أرقص قدام الناس..

جذبها من يدها ليتوجها نحو حلبة الرقص:

ـ ما تفكريش في الناس.. المهم أننا سوا..

رفعت ذراعيها لتطوقا عنقه وبدآ يتحركان على أنغام الموسيقى الهادئة برشاقة..

ابتسمت منى بخجل بينما أراح جبهته فوق جبهتها وسألها بجدية:

ـ سعيدة يا منى؟..

أغمضت عينيها بحالمية وهي تهمس:

ـ سعيدة دي كلمة قليلة على اللي بحس به وأنا معاك.. حسن.. أنت هدية ربنا لي..

ضمها إلى صدره بقوة وهو يخبرها بشقاوة:

- يعني المفروض أنا أعمل إيه دلوقت..
الكلام الحلو ده تقولهولي واحنا في بيتنا بس..
وإلا أنا مش مسئول عن تصرفاتي!..

ضحكت برقة وهي تلقي برأسها على كتفه لتستمتع بدقات قلبه التي تدوي عالياً.. سعيدة بتأثيرها عليه فهو له تأثير مماثل عليها..

ظلا يتمايلان على الموسيقى وهما بين ذراعي بعضهما.. وحسن يطلب منها كل خمس دقائق العودة إلى الشاليه وهي تضحك له بإغاظة:

- خلينا شوية.. أنا مبسوطة وأنا بطبق دروسك عملي.. أقصد دروس الرقص.. أنت أستاذ شاطر..

توقف عن الرقص وجذبها هامساً:

- أنا قلت الكلام ده يبقى في البيت.. يلا قدامي.. عندك امتحان مفاجئ في دروس تانية..

ضحكت برقة وعادا ليجلسا على مائدتهما حيث أشار حسن إلى النادل ليأتي له بالفاتورة..

عادت منى تضحك وهي تسأله:

ـ إيه رأيك أما نروح تعلمني السباحة؟..

نظر إليها نظرة غامضة:

ـ ما ينفعش.. إلا لو اشتريت لكِ بحر خصوصي!..

ضحكت بذهول:

ـ ازاي يعني مش فاهمة؟..

ـ يعني أنا مراتي مش هتلبس مايوه والناس تتفرج عليها.. أما نرجع بيتنا هعلمك في حمام السباحة بتاع الفيلا..

سألته بقلق:

ـ احنا هنعيش في الفيلا بتاعة باباك؟.. أنا كنت فاهمة غير كده..

تنهد بألم حاول أن يخفيه عنها:

ـ الأول هنعيش في شقتي.. أنا كنت بجهزها طول الفترة اللي فاتت.. لحد ما نصلح الأمور مع بابا..

مدت يدها لتتمسك بكفه وهي تخبره بدفء:

ـ إن شاء الله يا حسن كل الأمور هتتحسن..

عاد النادل وهو يخبر حسن بحرج أن البطاقة غير صالحة.. تعجب حسن بشدة ومنحه بطاقة أخرى ليعود النادل بنفس الرد.. تكرر الوضع مع بطاقتين آخرتين.. حتى شعر حسن بوجود شيء غير طبيعي.. وانتابه الحرج من الموقف وقد أدرك أن والده بدأ الحرب بالفعل..

لمح تبرم النادل الواقف أمامه.. فمد يده ليخرج بطاقة أخرى.. وهو يشكر يزيد بأعماقه، فقد أصر عليه يزيد ليأخذها منه قبل لحظات من انطلاقه بالسيارة ليلة زفافه وهو يخبره أنها لن تضره، بل قد تنفعه فالظروف غير مضمونة..

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه وهو يفكر بأن يزيد كان محقاً وكما يبدو أنه توقع تصرف والده بتلك الطريقة..

انتهى الموقف المحرج وخرجت منى تتأبط ذراع حسن وهي تسأله بقلق:

ـ حسن.. هو في إيه؟..

ربت على يدها مطمئناً:

ـ ما تقلقيش يا منى..

ـ إزاي بس؟.. طيب واللي حصل ده معناه إيه؟

أطرق حسن بحزن:

ـ معناه أن قدامنا حرب جامدة مع حاتم بيه العدوي..

ثم رفع رأسه وحرك ذراعه ليحيط كتفيها به ويضمها بشدة.. فضمت نفسها له اكثر وهي تطمئنه:

ـ أنا معاك وجنبك يا حسن.. دايماً معاك..

طبع قبلة رقيقة على جبينها.. واصطحبها إلى شاليه يزيد وهو يشكره للمرة الثانية فيبدو أن والده لم يعلم مكانه بعد.. وإلا كان شرفه بالزيارة.. فحاتم العدوي.. لا يتهرب من المواجهة قط...

****

استيقظت نيرة في التاسعة تتأفف من آشعة الشمس التي تزعجها كل صباح وأخذت تتساءل للمرة المائة.. لم تشرق الشمس مبكرة هكذا في تلك المزرعة؟!..

تثاءبت للمرة الخامسة وهي تحاول العودة للنوم مرة ثانية ولكنها ما لبثت أن شعرت بافتقاد إزعاج من نوع آخر.. فـعليا عادة ما تأتي لإيقاظها في السابعة.. نعم السابعة... من يصدق أن تلك الصغيرة قادرة على سحب نيرة غيث من الفراش في السابعة!!.. وذلك حتى يمتطيا الخيل معاً.. ثم تعودان لتناول الطعام سوياً..

"فين عليا؟"..

سؤال تردد بذهنها مع انقباضة مفاجئة بقلبها.. فأزاحت الغطاء من فوقها بقوة وقد قررت الذهاب إليها لتعرف سبب تأخرها..

طرقت باب غرفة علياء عدة مرات ولم تتلقَ أي إجابة.. ازداد قلقها وفتحت الباب لتجد الغرفة خالية تماماً.. ولكن ما جعل عينيها تتسعان بخوف هو الفراش ذو الغطاء الوردي المرتب تماماً.. والذي يعلن صراحة أن علياء لم تمضِ الليلة بغرفتها..

حاولت دفع الهاجس الذي يتردد بذهنها بالبحث عن علياء في غرفة يزيد.. فهي لا تتخيل أن تجرؤ علياء على ذلك.. ولكنها لم تستطع.. فتوجهت مسرعة لتفتح كل غرفة موجودة بالطابق العلوي, ولكن جميع الغرف كانت خالية كما عهدتها طوال الأسبوع.. فـيزيد يقطن في غرفته في الطابق الأرضي.. ولا يغادرها مطلقاً, بل لا يغادر فراشه من الأساس..

قررت التوجه نحو الإصطبل علها تجدها الطفلة الحمقاء هناك.. ولكن لمحة خاطفة من أحد نوافذ الطابق السفلي أكدت لها أسوأ مخاوفها والتي حاولت جاهدة ألا تفكر بها.. فسيارة يزيد مازالت بالخارج, التفتت لتحدق بفزع بباب غرفة المكتب المغلق..

تحركت ببطء شديد نحو الباب وصوت دقات قلبها التي تعالت وتيرتها يكاد يصم أذنيها, وأمسكت بمقبض الباب.. كادت أن تتراجع عن فتحه.. لكنها عادت وقررت أنه يجب عليها القيام بتلك الخطوة, فبعد كل شيء قد تكون مخطئة..

حركت المقبض وفتحت الباب ببطء لتجد المشهد الذي توقعته وحاولت الهرب منه بقوة فأغلقت عينيها عن مشهد الجسدين المتعانقين والغارقين تماماً في نومٍ عميق..

أغلقت الباب ببطء وهي تتنفس بسرعة.. لا تدري ما الذي عليها فعله.. هل تدخل لتجر علياء من بين ذراعي يزيد قبل أن يراهما أحد؟.. أم تنتظر علياء في غرفتها؟.. لا

تدري!!.. فقط تريد الصراخ وهي تشعر بموجات هائلة من الغضب العاصف.. غاضبة من الحمقاء التي تجاهلت حديثهما ليلة أمس.. ومن الحقير الذي تود قتله لاستغلاله شغف علياء به بتلك السفالة.. ومن مازن الذي طاوعها وأتى بها إلى المزرعة من البداية.. الأحمق لم لم يأتِ حتى الآن؟.. هل صرف نظر عن خطبتهما أم ماذا؟.. يكتفي بمكالمة تليفونية يعلم أنها لن تجيبها.. لقد ظنت أنه قد يأتي لرؤيتها.. أو..

يا إلهي.. ما الذي تفكر به؟.. هزت رأسها بعنف.. تحاول تنقية أفكارها.. والتركيز على الكارثة خلف باب المكتب.. عندما سمعت صوت يأتي من خلفها..

ـ صباح الخير يا نيرة.. واقفة عندك بتعملي إيه؟..

****

دلف مازن إلى غرفة جدته بدون استئذان بعد أن جذبته الأصوات العالية بالغرفة.. فوالده

على ما يبدو يخوض في نقاش حامٍ مع جدته..

وصله صوت الجدة روح وهي تهتف بابنها:

ـ حاتم.. بلاش قسوة قلبك دي.. حسن وخلاص اتجوز.. والبنت كويسة.. وبنت ناس..

سخر حاتم بقسوة:

ـ بنت السواق!!.. اللي طمعانة في اسم العدوي وفلوسه استحالة تكون مرات ابني..

هتفت روح بدورها:

ـ بس هي خلاص فعلاً بقت مراته.. وأظن هو أثبت قد إيه هو عاوزها ومتمسك بيها..

لمعت عينا حاتم بمكر:

ـ أما نشوف هيقدر يتمسك بيها للآخر ولا لأ.. وهي كمان هيكون تصرفها إيه بعد ما كل امتيازات العدوي تختفي فجأة..

سألته روح بتوجس:

ـ أنت عملت إيه يا حاتم؟..

رد عليها مازن الذي توسط الغرفة مواجهاً والده:

ـ بابا وقف حساب حسن البنكي وحسابي كمان.. ولغى توقيعي من على الشيكات..

رد والده بقوة:

ـ أيوه.. حتى الشقة بتاعته بعتها بموجب التوكيل اللي معايا.. وأما تشوفه ابقى بلغه أنه مالوش شغل عندي.. وكمان يسلم مفتاح عربيته في أقرب وقت..

رمقه مازن بقهر بينما سألته روح بذهول:

ـ جبت القسوة دي كلها منين يا ابني؟.. ومازن ذنبه إيه هو كمان؟..

ـ دي مش قسوة يا أمي.. ده إجراء ضروري عشان حسن يرجع لعقله.. وأول ما يطلق البنت اللي اتجوزها دي.. كل شيء هيرجع لأصله..

وتوجه إلى مازن بالكلام:

ـ أنا وقفت كل امتيازاتك المادية عشان عارف أنك هتساعده من غير تفكير.. وما تفتكرش أنك ممكن تتهرب من جوازك من نيرة.. الفضيحة اللي عملتوها لازم تتلم بسرعة.. وأبوها عايز يشوفك بأسرع وقت..

قاطعت روح حديثه وهي تأمره بحسم:

ـ حاتم.. رجع كل شيء زي ما كان.. وسيب ابنك ومراته في حالهم.. بلاش الظلم.. وإلا أنت عارف غضبي هيكون شكله إيه..

ـ يعني إيه يا أمي؟.. هو حسن ده مش ابني برضوه وأنا عايز مصلحته..

ـ لأ.. أنت عايز أوامرك تتنفذ بس.. وأوامر بأوامر بقى يا حاتم.. اسمع كلامي وابعد عنه وعن مراته.. وبلاش أذية..

أجابها حاتم بحسم قبل أن يخرج من الغرفة:

ـ أوعدك أني مش هأذي البنت ولا أهلها.. لكن فلوس لأ.. خلاص هو اختار.. يتحمل نتيجة اختياره.. وده اللي أقدر عليه.. غير

كده ما أقدرش أقولك غير زي ما حضرتك بتطلبي مني أنفذ أوامرك, أنا من حقي برضوه أطلب من ابني أنه يسمع كلامي.. عن إذنك..

تهاوت روح على أريكتها فسارع مازن لاسنادها وسمعها تغمغم:

ـ رحمتك يا الله.. رحمتك يا الله..

****

التفتت نيرة ببطء لتواجه القادم.. وهي ترد التحية بكلمات متعثرة:

ـ صباح الخير يا أونكل عصام... أنا.. أنا.

شعر عصام بالحرج وقد ظن أن تلعثم نيرة يعود إلى الزوبعة التي أثيرت حول ارتباطها الحديث بمازن العدوي.. فغمغم مرتبكاً:

ـ مبروك خطوبتك أنت ومازن..

لفت نيرة يديها خلف ظهرها وهي تضغط على المقبض بقوة حتى ترك بعض العلامات بكفيها.. وبالكاد استطاعت الرد على تهنئة عصام.. فكل ما كانت تفكر به أن تبعده عن الكارثة الموجودة بغرفة المكتب..

فسألته بلهفة:

ـ حضرتك فطرت؟.. أنا لسه ما فطرتش.. تحب تشرب شاي؟..

وتحركت بسرعة محاولة جذبه وتشتيت انتباهه بعيداً عن غرفة المكتب.. إلا أنه اعتذر منها بلطف.. وتحرك ليمسك مقبض الباب.. فوقع قلبها بين قدميها وهي تسمعه يسألها:

ـ أومال عليا فين؟.. ما صحيتش معقولة لحد الوقتي؟..

ابتلعت ريقها بصعوبة ولم تستطع الرد فعاود سؤالها:

ـ ويزيد كمان؟.. أنا شايف عربيته بره.. أكيد وصل متأخر فنام هنا ليلة امبارح.. بس غريبة أنه لسه نايم لحد الوقتي..

كان على وشك فتح الباب فلم تجد نيرة بداً من محاولة جذب ذراعه بشدة وهي تكاد تصرخ:

ـ عمو.. اتفضل حضرتك معايا نشرب شاي وبعدين ندور عليهم..

تسبب صوت نبرة العالي في ايقاظ يزيد.. ففتح عينيه ليجد علياء نائمة بين ذراعيه.. وشعرها متناثر بعبث يغطي وجهها الذي دفنته بصدره العاري..

انسحب الدم من أطرافه عندما أدرك هول ما قام به.. وعاودته ذكريات الليلة الماضية بقوة.. تتزاحم برأسه صور ثلاثية الأبعاد.. قبلاتهما الشغوفة والتي تحولت إلى جنون مطلق وهو يشعر بها بين ذراعيه.. دقات قلبها تدوي كصدى لقلبه هو.. ويديه تتجول على جسدها وقد أفلتت سيطرته عليهما بينما هي تلامسه بخجل وبخبرة ضئيلة اكتسبتها منه هو شخصياً.. انهارت مقاومته أخيراً.. ووجودها أمامه راغبة في منحه كل ما يرغب لم يساعده.. وما ظنه حلم في البداية كان واقعاً ملموساً ومغرياً حد الجنون.. لم يستطع مقاومة أخذها, فهي له.. خلقت من أجله وها هي تعترف بذلك هامسة له بحبها.. وبملكيته لقلبها.. هو وحده.. من يستطع مواجهة امرأة تجعله السيد الأول على كل قلبها وعقلها وجسدها.. أنه لم يخلق من

صخر حتى لا يخضع لسحر اللحظة.. ذلك السحر الذي انقلب في نور الصباح إلى لعنة.. وهو يدرك فداحة ما قام به..

عاد صوت نيرة يدوي مرة أخرى.. وسمع صوت والده يجيبها بشيء ما.. فجف حلقه وهو يحاول ايقاظ علياء.. بينما فتح باب الغرفة ليدلف والده الذي تجمد على عتبة الغرفة وهو يرى ربيبته الصغيرة بين ذراعي ابنه وقد بدا جلياً ما حدث بينهما..

لم يستطع يزيد مواجهة عينيّ والده.. فهو لم يتخيل يوماً أن يوضع في موقف كهذا.. شعر بطاقة رهيبة من الغضب تجري بعروقه.. وظهرت بوضوح وهو يحرك علياء بقسوة حتى تستيقظ..

ـ علياء..

ثم رفع صوته أكثر ورفع شعرها عن وجهها:

ـ علياء.. اصحي..

فتحت علياء عينيها ببطء لتلتقي بالقسوة الخالصة في عينيّ يزيد المطلة عليها.. فحدقت به للحظات قبل أن تدرك وضعها.. بين ذراعيه.. فأطلقت صرخة قصيرة قبل أن تحاول الابتعاد عنه بحركة سريعة.. أحبطها هو على الفور بعد أن ضغطها بين ذراعيه.. فقد كان ما يغطي جسدهما معاً هو القميص الخاص به فقط.. بينما رقد ردائها الممزق في مكانٍ ما بالغرفة..

لم يحتمل عصام المشهد الذي كاد أن يصيبه بأزمة قلبية.. فصرخ بقسوة:

_ نيرة.. هاتي لها أي حاجة من أوضتها تلبسها..

شهقت علياء بعنف بعدما سمعت صوت عصام ولم تستطع لف رأسها لمواجهته ورؤية الصدمة وخيبة الأمل بعينيه.. بينما ارتفع صوته بهيسترية وهو يصرخ بيزيد وقد اقترب منهما.. والتقط بنطال ابنه ليلقيه بوجهه:

_ ابعد عنها حالاً..

ثم أدار وجهه عنهما.. وهو عاجز عن قول المزيد..

عادت نيرة بسرعة ومعها مئزر طويل لعلياء التي لفت نفسها به بسرعة..

ومرت لحظات في صمت تام.. وعلياء منكسة وجهها بالأرض.. بينما يراقبها يزيد بنظرات غامضة ممتزجة بغضب مستعر.. قطع والده الصمت بأن طلب من نيرة بصوت حاول جهده التحكم به:

ـ نيرة.. من فضلك.. خدي عليا فوق..

ثم أخفض صوته بشبه توسل:

ـ اللي شوفتيه يا بنتي.. يا ريت يفضل بينا إحنا بس..

أومأت نيرة بصمت وهي تحتضن علياء لتحركها خارج الغرفة تكاد تحملها حملاً.. وما أن خرجتا وتأكد عصام من ابتعادهما حتى أغلق الباب والتفت إلى ابنه بغضب عاصف.. بينما رفع يزيد رأسه محاولاً الكلام:

ـ بابا... أرجوك.. أنا..

قطع والده كلامه بصفعة قوية نزلت على وجهه وهو يهتف به:

- أنت حيوان.. ابني أنا.. لحمي ودمي.. حيوان يلعب بأعراض بنات الناس.. ويعتدي على حرماتهم..

وضع يزيد كفه فوق مكان الصفعة بينما تكورت قبضته الأخرى في قبضة غاضبة..

- بابا..

قاطعه والده بصراخ:

- أنا مش عايز أسمع صوتك.. ولا حتى أشوف وشك..

وخبط على المكتب بعنف:

- من إمتى؟..

رمقه يزيد بحيرة.. فأعاد السؤال مرة أخرى:

- أنت على علاقة بها من إمتى؟..

غمغم يزيد بخفوت:

- امبارح بس.

تغاضى عصام عن النظر إلى الأريكة التي تحمل الدليل على صحة كلام ابنه.. وصاح به في غضب:

ـ إزاي؟.. وليه؟.. فجأة كده عليا اللي كنت مش طايق وجودها ونازل فيها أوامر وشخط وزعيق.. فجأة احلوت في عينيك؟.. ولا كنت بتسلي نفسك لحد ما تتجوز؟..

هتف يزيد بقوة محاولاً الدفاع عن نفسه:

ـ بابا...

قاطعه والده:

ـ ده أنت فرحك بعد أسبوعين.. إيه مش عارف تتحكم في نفسك أسبوعين!!.. ذنبها إيه المسكينة اللي أنت نهشت لحمها دي..

صرخ به يزيد وقد فلت غضبه من عقاله:

ـ بلاش نتكلم عن الذنوب!

ـ قصدك إيه يا ولد..

ـ لو اتكلمنا على الذنوب.. فأنت أول واحد لازم يتحاسب.. ذنبها إيه أمي في جوازك

عليها بعد عشرتها ليك فوق الخمستاشر سنة يكون جزائها زوجة تانية.. ذنبي إيه أنا أسمع شكوتها وألمها من ظلمك وخيانتك ليها.. ذنبي إيه وأنا مش عارف إزاي أراضيها ولا أواسيها.. ذنبي إيه وأنا بحاول معاها ترحم نفسها من المهدئات اللي كانت هتدمرها..

ذنبي إيه وأنا بمنعها أكتر من مرة أنها تنهي حياتها.. مرة قطع شرايين.. ومرة جرعة منوم زايدة.. وكل ده لأنك قررت أنها مش كفاية لك كزوجة.. كـــت.. وأنتى واتجوزت عليها.. وبعد ده كله.. جبت علياء.. وعملت حواليها ألف سور وألف جدار.. وتحذيرات كأنك بترسم لي وضع معين ما ينفعش أغيره.. دي أختك الصغيرة.. أختك الصغيرة.. أختي إزاي ومنين؟.. مش فاهم!..

قاطعه والده بذهول:

- ده انتقامك مني ومنها على جوازتي من أمها؟!.. أنك تحطم الأسوار وتكسر الجدران اللي عملتها عشان مصلحتك قبل مصلحتها..

أنك تغتصب البنت الأمانة اللي في رقابتي واللي أنا مسئول عنها قدام ربنا..

توسعت عينا يزيد بذهول وهو يهتف بغضب:

ـ اغتصبها!!..

لم يلتفت عصام إلى ذهول ابنه وواصل اتهامه له:

ـ ده انتقامك مني.. أنك تدمر البنت!.. عشان كده أصريت أنك تيجي امبارح المزرعة.. عشان تنفذ اللي بالك.. ويا ترى الست والدتك عارفة بخطتك؟.. أكيد لأ.. وإلا ما كانتش جننتني من امبارح عشان ابنها الحيلة اللي بات بره البيت!..

هتف يزيد بعنف:

ـ لا.. ده مش انتقام.. يا ريته كان كده.. بس كمان مش اغتصاب..

سخر والده بعنف:

ـ بعد كده هتقولي أنه هي اللي اعتدت عليك!

رفع يزيد رأسه وهتف بوالده بصرامة:

- اللي حصل.. حصل.. وأنا مش هتكلم عنه.. كل اللي عايزه أنك تبعت تجيب المأذون.. هتجوز علياء حالاً..

صمت والده للحظات.. ثم قال:

- ما هو أنت أكيد هتتجوزها.. أنت فاهم أني هرضى بحل تاني؟..

رمقه يزيد ساخراً وغاضباً من نفسه فقد سقط في الفخ كالأحمق.. وصمت وهو يتوعد علياء سراً.. الصغيرة المغوية اللعينة.. لم تنصت إليه واستدرجته بهمساتها حتى عجز عن مقاومتها أو مقاومة نفسه..

تنهد يزيد بيأس عندما سمع والده يسأله:

- وهتعمل إيه في ريناد؟.. وفرحك ووالدتك؟..

تهالك يزيد على أقرب مقعد:

- مش عارف.. مش عارف..

خيم الصمت عليهما لفترة قطعه والده برفع سماعة الهاتف ليقوم بعدة اتصالات.. التفت بعدها ليزيد:

- المأذون هيكون هنا حالاً..

أومأ يزيد في صمت.. فعاد والده يسأله ثانية

- هتكمل جوازتك من ريناد؟

أغمض يزيد عينيه بألم ولم يجب على سؤال والده الذي هز رأسه بغيظ:

- يعني هتجوز الاتنين؟

فتح يزيد عينيه ورفعهما إلى والده ساخراً:

- من شابه أباه فما ظلم!..

- وأنت مش هتظلم يا يزيد؟

رد عليه يزيد بجواب غامض:

- ما حدش عارف مين الظالم ومين المظلوم!

****

تكومت علياء في ركنٍ منزوٍ بأحد الأرائك في غرفة نيرة ودموعها تهطل بلا توقف منذ أن

صعدت بها نيرة من غرفة المكتب ورغم صراخ نيرة عليها ونعتها لها بالغبية الحمقاء التي أضاعت كل شيء.. لكنها لم ترد عليها إلا بجمل مبهمة.. أخذت ترددها كالتعويذة.. "هي عندها حق".. "أنا فاجرة".. "بس أمي ما كانتش كده".. "أمي مظلومة"..

لم تفهم نيرة ما تردده علياء.. وحاولت الاقتراب منها وإخراجها من هذيانها.. ولكن أوقفتها جملة أخيرة خرجت من شفتي علياء.."سهام عندها حق.. أنا فاجرة"..

صرخت بها نيرة بغضب:

ـ اسكتي يا عليا.. ما تقوليش على نفسك كده..

أخذت علياء تردد بشرود.."أنا فاجرة.. أنا فاجرة"..

تحركت نيرة وجذبتها من جلستها بقوة:

ـ قلت لك اسكتِ.. أنتِ خلاص بقيتِ مراته.. وما فيش مخلوق هيعرف باللي حصل..

رفعت علياء عينيها إلى نيرة بانكسار:

ـ هو عارف.. وأنا عارفة..

وحررت نفسها من قبضتي نيرة وهي تتهاوى على الأريكة وتنكس رأسها أرضاً هامسة:

ـ أنا فاجرة..

صرخت بها نيرة مرة أخرى:

ـ أنتِ ضحية.. هو اللي مجرم مغتصب..

ـ مش كفاية أفكار وخطط بقى يا نيرة هانم!!..

سمعت نيرة صوت يزيد من خلفها فالتفتت إليه بعنف:

ـ إيه اللي جايبك هنا؟.. وبعدين المفروض تخبط قبل ما تدخل...

أحنى رأسه في أسف ساخر:

ـ آسف كنت عايز المدام بتاعتي في كلمتين..

رفعت علياء عينيها إليه لتطالعها نفس النظرة القاسية التي لمحتها في عينيه من قبل.. خيل إليها للحظات ظهور لمحات من حنان ورقة

على ملامحه فرمشت لتجلي عينيها من الدموع ولكن ما رأته كان تعابير مبهمة لا توضح الأفكار التي تجول برأسه.. ورغم ذلك تعلقت عينيها بعينيه تبحث عن نظرات التوق واللهفة التي أذابتها الليلة الماضية.. ولكن ما لمحته كان الغضب.. الغضب الخام الممزوج بقسوة ظاهرة..

قطعت نيرة تواصلهما البصري هاتفة:

- لو كنت فاهم أني هسيبها لوحدها معاك تبقى غلطان.

ابتسم ساخراً وأخبرها بتهكم:

- متأخر قوي الشو ده.. ودلوقتي عن إذنك عايز أقول لمراتي كلمتين على انفراد..

خرجت نيرة كالعاصفة وتجاهلت إغلاق الباب ووقفت أمام عتبة الغرفة مكتفة ذراعيها، فذهب هو وأغلق الباب في وجهها بمنتهى البساطة.. والتفت إلى علياء التي عاودت النظر إلى الأرض بشرود فهتف بها:

- ارفعي راسك..

هزت رأسها نفياً وكأنها قررت بينها وبين نفسها أنها تستحق البقاء منكسة الرأس إلى الأبد..

تحرك نحوها ليرفعها من كتفيها وهو يسألها من بين أسنانه:

ـ أنتِ ضحية وأنا مجرم مغتصب!!.. دي خطتكوا الجديدة؟.. بس ليه ما الخطة الأصلية نجحت.. بعد ما نيرة هانم سحبت أبويا لحد المكتب وضبطنا بالجرم المشهود.. برافو..

نجحتِ وبقيتِ مراتي.. صحيح مبروك يا مدام.. نسيت أبارك لك..

وحرك إحدى يديه ليجذبها من شعرها مقبلاً شفتيها بقسوة.. قبل أن يدفعها بقوة فتسقط على الأريكة التي خلفها بعنف وهي تضع وجهها بين كفيها.. وتنخرط في موجة جديدة من البكاء لتخبره من وسط دموعها:

ـ حرام عليك يا يزيد.. ليه بتقول الكلام ده..

هتف بغضب بها:

ـ ليه!!.. يعني تدخلي عليا وش الفجر..

وتصحيني من نومي.. ترمي نفسك في حضني..

وأنتِ عارفة كويس إيه اللي ممكن يحصل

بينا.. وأنا نبهت عليك وطلبت منك تبعدي..

وأنتِ مصرة.. وبعد ما اللي حصل حصل..

افتح عينيه آلاقي أبويا في وشي.. وعايزة

تفهميني أن دي مش خطة عشان تبوظي

جوازي من ريناد!!..

هزت رأسها بألم وقد خنقتها الدموع وهي

تردد بعذاب:

ـ حرام عليك.. والله حرام عليك..

صرخ بجنون وقد أصابته دموعها في مقتل

فهو لا يحتمل رؤية دموعها.. لابد أنه جن

بالفعل:

ـ وقفي الدموع دي.. حالاً..

هزت رأسها بيأس وكأنها غير قادرة على

ايقاف دموعها بينما سمعته يخبرها:

- بالنسبة لأمي.. هنبلغها أن جوزانا.. مؤقت وعلى الورق حماية ليكي من أعمامك.. لحد ما أوصل لها الحقيقة تدريجي.. مفهوم؟..

أومأت موافقة.. بينما تردد هو قبل أن يخبرها بكلمات موجزة ولكن حاسمة:

- جوازي من ريناد.. هيتم في ميعاده.. هي ما لهاش ذنب في الجنون اللي حصل..

رفعت عينيها إليه وقد ظهر الألم فيهما بوضوح.. والتمع سؤال حائر بهما قرأه بسهولة ولكنه لم يمتلك له إجابة.. فهو غير قادر على تحديد وضعها من حياته.. فهرب من عينيها ليكمل باقي كلماته:

- أهم حاجة.. علاقتك بنيرة دي تنقطع نهائي.. أظن كفاية قوي اللي حصل لحد الوقتي..

- نيرة!!.. وهي دخلها إيه؟..

- عايزة تفهميني أنها مش صاحبة الفكرة والتخطيط؟!.. يمكن كانت فاهمة أنها بتضرب عصفورين بحجر واحد تنتقم من ريناد.. وبالمرة نتجوز أنا وأنتِ..

لم تحتمل نيرة_التي ألصقت أذنها بباب الغرفة_ سماع المزيد من اتهاماته الظالمة.. وانتابتها نوبة غضب مجنونة فالتقطت أقرب ما وصل إليه يدها وكان تمثال خشبي صغير لحصان يمتطيه فارس ملثم.. وفتحت باب الغرفة بقوة فأصدر صوتٍ عالٍ فالتفت يزيد على الفور لتفاجئه بإلقاء التمثال في وجه مباشرة ليصيب أنفه بقوة.. وترتد رأسه للخلف قليلاً.. حتى كاد أن يفقد توازنه بينما هي تصرخ به:

_ هي مين دي اللي خططت ورسمت؟.. الخطط دي تعرفها أنت وأصحابك والهانم خطيبتك المحترمة.. ولا أنت ناسي؟.. أنت عايز ترمي غلطتك على أكتاف أي حد غيرك وخلاص!.. خططنا إزاي أنا وعليا.. هاه.. فهمني.. هو مين كان يعرف أنك هتيجي المزرعة.. ولا أنه أبوك هيجي وراك.. وأبوه أنت مجرم.. أنت هتكدب الكدبة وتصدقها.. ولا هي كانت شريكتك حاجة أصغره قبل ما ترمي نفسها في حضنك.. زي ما بتقول..

تجمد يزيد من هجوم نيرة المفاجئ ولم يجد ما يجبها به بينما سمع صرخة خافتة من علياء وهي تهتف:

ـ يزيد أنت بتنزف.. مناخيرك بتنزف..

رفع يده إلى أنفه ليشعر بتدفق الدماء وألم حارق بدا أنه شعر به للتو.. وأحس بعلياء تجذبه من ذراعه لتجلسه على الأريكة وهي تخبره من وسط دموعها التي لم تجف:

ـ ميل راسك لقدام.. لا .. لا.. قدام مش ورا.. عشان الدم ما ينزلش في زورك

صرخت بها نيرة:

ـ أنتِ خايفة عليه!!.. سامعة كل الكلام الفارغ اللي بيقوله وما ردتيش بـــأي كلمة.. ودلوقتي خايفة عليه.. أنتِ هتجنينني!!..

تحركت علياء بسرعة لتجهز له كمادة باردة وهي تخبر نيرة بتعجب:

ـ ده بينزف يا نيرة!

نظرت نيرة إليها بذهول وهي تضع الكمادة الباردة على أنفه وتحاول إسناد رأسه برقة

بينما بدا على الحقير الإستمتاع باهتمامها به.. وكأنه يريد الاثبات لنيرة أنه هو الأهم عند علياء..

صاحت نيرة بغيظ وهي تخرج من الغرفة:

ـ يا ربي.. أنتِ مجنونة.. والله العظيم مجنونة.. أنا هكلم مازن يجي ياخدني من بيت المجانين ده..

ظلت علياء جالسة على ركبتيها أمام يزيد تحاول ايقاف نزيف أنفه.. أما هو فكان يتأمل كلمات نيرة التي صدمته أكثر من صدمة التمثال الطائر..

بأعمق أعماقه يدرك أنها محقة بطريقة معينة.. ولكن ترتيب الأحداث بتلك الطريقة يشعره أنه أحمق سقط في الفخ بأقدم الطرق.. وذلك يدفعه إلى الجنون.. كما تفعل جلستها الآن بين يديه كما فعلت ليلة أمس تماماً.. يبدو أن نيرة محقة.. فالحمقاء الصغيرة مهتمة بإيقاف نزف أنفه فقط وغير مدركة لما تفعلها جلستها تلك به.. هل تظن

أن الجنون الذي قد عصف بهما قد انتهى بما حدث الليلة الماضية؟.. حاول بصعوبة السيطرة على فوران جسده الذي يحثه على ضمها إلى وتقبيل كل إنش في وجهها وجسدها.. وتلك المرة سيأخذ وقته بالكامل.. فهي أصبحت له.. صوت خافت من أعماقه هتف به أن يترك الفتاة وشأنها ويكفي ما حدث.. ولكنه أسكته على الفور.. لقد تزوجتها للتو.. أليس كذلك؟.. أين الخطأ إذاً؟..

قطعت همستها أفكاره بعد أن نجحت في ايقاف نزف أنفه:

ـ خلاص النزيف وقف..

حاولت النهوض من جلستها فمنعتها يده التي تشبثت بذراعيها وهو يتأمل وجهها الذي أغرقته الدموع.. مد يده ببطء ليمسح دموعها برقة شديدة أصابتها بالذهول.. ما الذي يفعله؟.. هل ينوي القضاء على عقلها وقلبها الذي ينتفض تحت تأثير لمساته.. وتلك

النظرة.. آه.. أنها تلتمع في عينيه مرة أخرى..

رفعها يزيد ليتمكن من احتضانها جيداً وهو يخبر نفسه.. أنه لم يخطئ فهي أصبحت زوجته بالفعل.. بينما هي رفعت ذراعيها لتطوق بهما عنقه وتبادله قبلاته كما تعلمت منه وهي تفكر أنها كانت محقة فيزيد يعاني بالتأكيد من الشيزوفيرنيا!..

الفصل الثاني عشر

تأمل يزيد وجه والدته والذي ظهرت عليه علامات الشحوب والألم.. أغمض عينيه محاولاً الهروب من عينيها التي ترمقه بذهول غير مصدقة الخبر الذي ساقه لها منذ دقائق فقط... جسد وجهها المعنى الحقيقي للألم والصدمة وهي تحاول استيعاب الخبر.. غير قادرة على تكوين كلمة واحدة تعبر بها عما يجول بصدرها وعقلها من شعور قاسي بالخيانة.. كيف يفعلها ابنها؟.. كيف تخونها قطعة منها؟.. كيف تفقد زوجها وابنها لنفس المرأة؟.. نعم نفس المرأة.. بأعماق سهام لا فرق بين نادية وعلياء ابنتها..

لقد عانت منذ سنوات الشعور القاتل بإهمال زوجها لها.. بأنها غير كافية له.. كانت تسمع منه تذمره وشكواته المتتالية من انشغالها في جمعياتها الخيرية.. أو حفلاتها وإهمالها في حقوقه.. تلك الحفلات التي كانت

تقبعها له ومن أجله حتى تتسع أعماله وتتعمق علاقاته تحولت لتصبح عزوه وذريعته ليخونها بدلاً من المرة.. مرات.. وهو يظنها غافلة عن عبثه ومجونه.. لكنها كانت تعرف.. في كل مرة يفعلها ويخون عهود زواجهما كانت تعرف.. وهل هناك أقرب للرجل من امرأته لتشعر بوجود أخرى، بل أخريات في حياة زوجها..

ومع كل خيانة يأتي إليها باكياً معتذراً.. طالباً عفوها وغفرانها متعذراً بأزمة منتصف العمر التي يحاول جاهداً التخلص منها.. لكنها مع كل صك عفو تمنحه يموت بداخلها جزء.. تتجمد مشاعرها ويتحول حبها له إلى لامبالاة كريهة.. فلم يتبقَ لها إلا كبرياء أنثوي أجوف اغتاله بإعلانه خبر زواجه من نادية.. وسحب منها كل حق لاختيار الابتعاد والمحافظة على ما بقي من كرامتها عندما أخبرها بما تعانيه نادية من مرض عضال.. فالزوجة الجديدة.. الجميلة والرقيقة.. تصارع الموت.. الذي يطرق بابها كل يوم..

كيف يمكنها صب غضبها على امرأة تحتضر؟.. كيف تصرخ بزوجها وتطالبه بالاختيار بين وفاء لزوجة أولى.. رفيقة الدرب وأم الولد.. وشفقة على زوجة ثانية تسحب منها أنفاس الحياة؟.. لابد أن تكون شيطان حتى تفعل هذا!.. حتى اختيارها لتكون ذلك الشيطان سلبها إياه عندما اصطحبها بخدعة لتقابل نادية.. التي أصرت على مقابلتها طالبة عفوها قبل تسلم روحها إلى خالقها..

وبعد موت نادية بعدة أيام دخل عليها عصام مصطحباً طفلة ضئيلة الحجم ليفاجأها بصدمة جديدة:

- سهام.. دي تبقى عليا.. بنت نادية الله يرحمها.. وهتعيش معانا من النهارده

نظرة واحدة إلى علياء لتجدها نسخة مصغرة من أمها.. وأيقنت أن القدر رحمها أخيراً ومنحها رفاهية الكراهية.. الكراهية في أقسى صورها للطفلة الصغيرة التي لم ترى فيها سوى خيانة عصام وفجور نادية..

أساءت معاملتها.. لا تنكر.. أهملتها وهمشتها.. وأخيراً نفتها إلى المزرعة لترافق الجد القعيد..

مرت السنوات وهي تحاول أن تتناسى الجرح والصفعة المؤلمة لأنوثتها, ليأتي ابنها اليوم ويطعن أمومتها بإخبارها أنه تزوج من الفتاة الصغيرة!..

لم تهتم لسماع تفسيره لتلك الزيجة أو تبريره لما قام به.. لم تدري بنفسها إلا وصراخها الهيستيري قد ملأ المنزل رفضاً واعتراضاً..

كلا لن ترضخ تلك المرة.. لن تترك ابنها لتلك الفتاة لتلف حبائلها حوله لتفقده مثلما فقدت أباه..

حاول التوضيح لها بهدوء:

ـ ماما.. يا ماما أرجوكِ إسمعيني..

دفعت يده بعيداً وهي تهمس بغضب:

ـ عايز مني إيه.. روح للهانم اللي اتجوزتها..

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يلقي بكذبته المفضوحة:

ـ قلت لك ده كتب كتاب بس عشان نحميها من طمع أعمامها.. ونرجع أرضها..

وأضاف بعجلة:

ـ ده كان رأي المحامي.. عشان تنتقل الوصاية المالية من أعمامها..

سخرت أمه وادعت تصديق كذبته قائلة:

ـ وهو ما فيش غيرك!.. أي واحد بيشتغل عند أبوك كان قام بالمهمة.

انقبض قلبه بشدة لمجرد تخيل علياء تنتمي لرجلٍ آخر.. فغمغم قائلاً:

ـ ما ينفعش طبعاً.. لازم حد يكون ثقة..

قاطعته أمه:

ـ ودينا؟..

تردد قليلاً فهتفت أمه بغيظ:

ـ ايه هتلغي جوازك من بنت خالتك عشان الهانم ولا إيه؟!.. أنت مش كنت هتجنن عشان نقدم ميعاد الفرح؟..

ـ أيوه يا ماما.. بس..

صرخت أمه بقوة:

ـ عايز تفضح بنت خالتك بعد ما وزعنا دعوات الفرح والبيت بيتفرش.. عايز تسيبها وتخلي بيها؟..

ـ لا يا ماما.. أنا ما قلتش كده.. أنا بس خايف أن ريناد ترفض.. ده قصدي.. لكن أنا هكلمها وأقنعها و..

قاطعته أمه بحسم:

ـ لا.. أنا اللي هكلمها وهقنعها كمان.. بس جوازك من اللي اسمها عليا دي.. ما فيش حد يعرف عنه أي حاجة.. أنت فاهم ولا لأ؟..

ـ لا طبعاً.. جوازه من عليا هيكون معلن.. ومعروف للجميع.. ولا أنت لك رأي تاني يا يزيد؟

ألقى عصام جملته وهو يدلف إلى حجرة سهام متجاهلاً معالم الانهيار البادية على وجهها ومركزاً نظراته على يزيد فقط الذي غمغم بهدوء:

ـ لا يا بابا.. حضرتك عندك حق.. الجواز لازم يكون معلن..

قاطعه عصام بغضب مكبوت:

ـ أيوه.. أنا حتى كنت ناوي أعملها فرح، بس هي رفضت..

صرخت سهام بهلع:

ـ إيه.. فرح!!.. مش هو كتب كتاب وبس عشان الأراضي..

أجابها عصام وهو يرمق ابنه بنظرة نارية:

ـ اسألي ابنك!..

عاد صوت سهام يعلو وهي تلتفت ليزيد الذي رمق والده بنظرة متوسلة.. فهو أدرك أن

والدته على وشك الإصابة بإحدى النوبات الهيستيرية.. والتي اعتاد عليها بعد زواج والده.. فحاول عصام حل الموقف قائلاً:

_ لازم إشهار.. علشان نقدر نرفع القضية ونرجع أرضها.. وعشان كمان لو اتقدم لها حد تاني يكون في عندنا سبب للرفض.. البنت كبرت وبيجيلها كل يوم عرسان.. وخلاص.. أنا أساساً اتصرفت ونشرت خبر جوازهم في كام مجلة اجتماعية..

شحب وجه سهام وهي تتصور شقيقتها وابنتها تتلقيان الخبر عن طريق المجلات.. فهتفت:

_ اخرجوا بره انتوا الاتنين.. وسيبوني أدور على طريقة أتفاهم بيها مع أختي..

أومأ عصام وخرج بهدوء بينما ترافقه نظرات القهر والألم من عيني سهام.. فهو لم يتغير.. يجرح قلبها ويطعن كرامتها ولا يتذكر حتى أن يراضيها بكلمة إلا بعد أن تنهار حزناً..

لمح يزيد والدته تسحب بعض أقراص من قارورة صغيرة وتبتلعها.. فتحرك بسرعة نحوها:

ـ أقراص إيه دي يا ماما؟

ربتت على كفه بهدوء:

ـ ما تخافش يا يزيد.. دي هتخليني أنام شويه.. بس أعصابي تهدى عشان أعرف أكلم ريناد واتفاهم معاها..

****

جلس مازن على الأرجوحة الخفيفة بشرفة الفيلا الخاصة بعامر غيث.. ينتظر وصول نيرة وهو ينفث دخان سيجارته بكسل عندما سمع صوتها يأتي من خلفه:

ـ ما كنتش أعرف أنك بتدخن..

لف رأسه نحوها ليراها قادمة بقامتها الهيفاء وقد ارتدت فستان فيروزي قصير التصق بجسدها متمسكاً بعنقها بشريط يلتف حوله.

أخذ يتأملها بنظرة تقدير ذكورية جعلت معدتها تنقبض وهي تلمح عينيه تجري على شعرها الأحمر الذي جمعته بطريقة عشوائية تاركة بعض خصلات تداعب بشرة عنقها الطويل، وأكملت عينيه جولتهما على بشرة كتفيها الكريمية وصدرها الممتلئ الذي أظهره نحافة خصرها ووركيها الدقيقين.. مروراً بساقيين مرمريتين وملفوفتين بإغراء.. ثم عادت عينيه لترتفع إلى عينيها.. وتلك النظرة مازالت تسكنهما..

تساءلت في صمت عن تلك النظرة التي تلمحها في عينيه لأول مرة أم ربما كانت موجودة من قبل وهي لم تنتبه لها..

سألته مرة ثانية لتقطع الصمت:

ـ من إمتى بتدخن يا مازن؟

هز كتفيه بلامبالاة:

ـ يمكن من... وأنا في ثانوي.. ليه في حاجة؟..

توسعت عيناها بشدة.. ما بال هذا الرجل!.. هل كانت عمياء لتغفل عن تفاصيله؟.. أم أن حبها لحسن أعمى عينيها عن أي شيء آخر..

هزت كتفيها تحاول تبني لامبالاة مماثلة:

ـ لا ما فيش حاجة.. بس دي أول مرة أشوفك تدخن!

ـ في حاجات كتير ما تعرفيهاش عني يا نيرة.. بس بكره هتعرفيها.. أنا هعلمك..

برقت عيناها بقوة وهي تفهم التلميح المزدوج الذي سبب لها رعشة خفيفة, وبخت نفسها بشدة.. ماذا أصابها لتتفتت أعماقها تحت تأثير ذلك الرجل؟.. ألم تقرر في لحظة مجنونة وحسن يهدد ويتوعد أن تنتقم منه ومن أخيه سوياً..

هل لاعترافه بحبه لها أثر في ذلك الارتباك الذي أصبح يصيبها في وجوده؟..

هزت رأسها لتنفض عنها ذلك الضباب الذي سبب لها نوعاً من الغباء.. وتحركت لتجلس

ملتصقة به على الأرجوحة وتحركها بخفة.. شعرت على الفور برد فعل جسده استجابة لجسدها الملتصق به مما عزز ثقتها بتأثيرها عليه..

اقتربت منه لتلف كفيها حول ذراعه وتلقي برأسها على كتفه.. بينما يراقبها من أسفل رموشه بصمت.. منتظراً خطوتها التالية.. ولم تتأخر بالفعل وهي تسبل له برموشها وتسأله بصوت ناعم:

ـ هو صحيح اللي أنا سمعته؟.

أمسك يدها قبل أن تصل أصابعها العابثة إلى زر قميصه العلوي.. وحاول التحكم في أنفاسه اللاهثة وهو يسألها:

ـ سمعتِ إيه؟

ترددت قليلاً:

ـ اممم.. أن أونكل حاتم حرم حسن من كل حاجة حتى الشغل؟

نغزة قوية شعر بها في قلبه عند سماعه اسم حسن يخرج من شفتيها.. شعور لا إرادي

بالغيرة اجتاح عروقه.. يعلم أنه تقدم لخطبتها وهو مدرك تماماً لمشاعرها أو لما تظنه مشاعر ناحية شقيقه.. ولكنه لا يعلم إذا كان سيمكنه التغلب على ذلك الألم في كل مرة ستنطق بها اسمه..

أفاقه صوتها المتألم وهي تهمس:

ـ آه.. مازن سيب إيدي..

نظر بذهول ليجد أصابعه تضغط على يدها المستريحة على صدره بقوة كادت أن تحطم أناملها النحيلة..

نهض من مكانه فجأة يتأملها وهي تفرك أناملها حتى تخفف من الألم.. فغمغم بسرعة:

ـ أنا آسف.. ما قصدتش..

لم تهتم بألم يدها.. بقدر اهتمامها بالوصول إلى غايتها.. فنهضت بدورها لتقترب منه وهي تحط بكفيها على كتفيه وتلتصق به هامسة:

ـ وأنا كمان ما قصدتش اللي أنت فهمته..

ثم سمحت لأناملها بالتجول قليلاً على وجنته وذقنه وأكملت:

ـ أنا أقصد أن دي فرصتك دلوقت عشان تكوني الكل في الكل وتسيطر على إدارة الشركة..

لمحت نظراته المستنكرة فاستدركت:

ـ تحت إشراف أونكل حاتم طبعاً..

أخذ مازن يتأمل ملامحها.. التصاقها الشديد به.. أناملها التي تسعى إلى إغوائه وإلهائه بلا هوادة حتى يغيب عنه المغزى الحقيقي لسؤالها أو لاهتمامها بأمور عمله.. إنها تريد الانتقام لكرامتها.. يكاد أن يقرأ غرضها الحقيقي بأحرف كبيرة لامعة مرسوم في عينيها.. وهي تغطي ذلك بغطاء محترم يمثل لهفة الخطيبة على مصلحة خطيبها..

لفها بذراعه ليضغطها على جسده قليلاً ويرفع ذقنها لتواجه عينيها عيناه.. وأخذ يرمقها للحظات بنظرات غير مفهومة قبل أن يمد يده ليمسك كفها الذي يتجول على وجهه بلا رادع ويدس به شيئاً ما.. هامساً في أذنها:

ـ شبكتك يا حبي!

بسطت يدها لتجد بها علبة مخملية صغيرة.. فتحتها فلمحت خاتم من الذهب تعتليه ياقوتة

حمراء دائرية الشكل تحيطها عدة ماسات صغيرة.. لتشكل حبة الياقوت قلب زهرة وقطع الماس الصغيرة هي أوراقها...

شهقت نيرة إعجاباً بالخاتم وأسرعت تضعه في إصبعها وتتأمل شكل يدها به..

ـ واااااو.. مازن.. ده تحفة.. كأنه متصمم علشاني..

وافقها قائلاً:

ـ فعلاً.. هو اتصمم علشانك..

دمت ذراعيها حول عنقه هاتفة:

ـ وااااو.. ميرسي يا حبيـــ..

وضع أصابعه على فمها ليمنعها في الاسترسال:

ـ أما تقولي كلمة حبيبي.. لازم تقصديها.. دي مش كلمة تتقال بدل شكراً ولا ميرسي.. ماشي..

رمقته بغيظ.. فهو يدللها بيد وبالأخرى يمسك لها العصا.. ولكن رغم هذا.. لن يستطيع الإفلات من سحرها.. لن تكون نيرة غيث إن

لم تجعله كخاتم آخر في إصبعها بجوار خاتمه المذهل هذا..

زمت شفتيها قائلة:

ـ أنا زعلانة منك..

ـ ليه؟..

ـ يوم ما كلمتك من المزرعة عند عليا وقلت لك عايزة أروح.. فاكر؟..

ـ أيوه.. قلتِ عايزة أروح بعت لك السواق وروحك.. فيها إيه دي؟..

ابتعدت عنه فجأة وهي تضع يدها بخصرها وقد انساها بروده دور المغوية الذي تحاول تقمصه وهتفت بحنق:

ـ ليه بعت لي السواق؟.. ما جيتش أنت ليه؟..

تحرك ليواجهها وهو يخبرها باستفزاز:

ـ كنت مشغول..

برقت عيناها بغضب وسمعته يسألها:

ـ أنتِ كمان ما ردتيش على تليفون واحد من تليفوناتي..

همست بغيظ:

ـ كنت مشغولة..

أرجع رأسه للخلف وهو يطلق ضحاكات عالية.. ثم مد يده ليداعب ذقنها:

ـ مشغولة بتكسري مناخير يزيد!

سألته بتوجس وهي تبعد ذقنها عن متناول يده:

ـ هو قالك ايه؟..

ـ قالي على اللي حصل..

شهقت بخوف وهي تتلعثم:

ـ ايه.. قالــ..

قاطعها:

ـ قالي اه خطيبتي المجنونة اتنرفزت عليه وكسرت مناخيره.. علشان رفض يرجعها معاه في العربية.. مش هو ده اللي حصل برضوه؟

ضغطت نيرة على أسنانها بعنف.. فلولا ولائها لعلياء لكانت فضحت هذا اليزيد.. ولكنها لا تستطيع المجازفة بسمعة الغبية الصغيرة..

كادت أن تومئ موافقة على الكذبة التي أخبره بها يزيد.. إلا أنه سبقها قائلاً:

ـ خلاص يا نيرة.. أنا مقدر إخلاصك لعليا.. هي بنت كويسة وأكيد يزيد هيقدر يحميها بعد ما بقيت مراته..

هزت رأسها بعجز.. كيف تخبره أن علياء بحاجة لمن يحميها من يزيد وجنونه خاصة بعد زواجه منها وامتلاكه الحق في التواجد بحياتها بكل الطرق الممكنة.. والأدهى من سيحميها من جنون سهام عندما تعرف الحقيقة..

شعرت بيده تربت على كتفها:

ـ ما تقلقيش على عليا.. صدقيني.. يزيد كفيل بأنه يحافظ عليها كويس قوي..

ثم نظر في ساعته ليتحرك معها نحو باب الفيلا مردفاً:

ـ بكره.. هعدي عليكِ نروح نشوف الفيلا اللي اخترتها.. وبالمرة ننقي العفش..

ـ إيه!!.. بسرعة كده..

ـ نيرة.. أنا وضحت لك قبل كده أني مش عاي
الكلام يكتر.. كل ما هنطول مدة الخطوبة كل
ما الأسئلة هتزيد..

ودعها بقبلة دافئة على وجنتها قبل أن
يتوجه إلى سيارته وينطلق بها.. تاركاً إياها
تفكر أنها استمتعت حقاً بأول لقاء لها مع
خطيبها الجديد.. وأنها أيضاً لم تحصل منه
على إجابة تخص استيلائه على إدارة
الشركة.. حتى تضمن أن تضع رقبة حسن تح

أصابعها.. لتلويها فتكسرها.. أو تعفو عنه
بعد أن يعود معترفاً بخطئه..

****

جلست منى تنتظر عودة حسن في قلق.. تخشى
أن يعود من مقابلة العمل وهو يحمل نفس
الرد.. اعتذار مُحرج من صاحب الشركة مع
نصيحة ودودة بتسوية خلافاته مع والده..

أسبوع كامل منذ عودتهما من الأسكندرية..
وحسن يخرج يومياً باحثاً عن عمل بلا
جدوى.. وبدا من الواضح أن والده أغلق

أمامه جميع المنافذ بإحكام.. فالمؤسسات الكبيرة رفضت استقباله من البداية.. بينما أصحاب الشركات الأصغر اكتفوا باعتذار مقتضب عن مقابلته.. ولم يبق إلا المكاتب الصغيرة والمبتدئة والتي بدأ حسن بطرق أبوابها منذ يومين ولم يحقق نتيجة إلى الآن..

تذكرت قول حسن لها بأنهما على وشك الدخول في حرب ضروس مع والده.. وأيقنت أنه بالفعل عدو شرس لا يرحم.. فبخلاف إيقافه لكل الامتيازات المالية لحسن.. وتدخله الواضح لمنعه من العمل في أي مكان.. فقد سلبه شقته التي أعدها حسن من أجل زواجهما.. واضطرهما ذلك للمكوث في إحدى الشقق المفروشة.. والتي اقترض حسن إيجارها من جدته.. السيدة روح.. والتي تمده سراً بالأموال وتحاول مساعدته خفية عن والده.. وذلك بسبب غضب حسن الشديد.. فهو رافض لمبدأ الاقتراض وطلب المساعدة.. ولكن يده مغلولة ووالده يحكم عليه الخناق مع مرور الوقت.. حتى سيارته.. تم سحبها منه.. ولجأ

حسن للمواصلات العامة في بحثه اليومي عن عمل لائق..

سمعت صوت الباب يغلق فتحركت مسرعة لتستقبل حسن الذي بدا على وجهه ملامح الإحباط الشديد.. فاقتربت منه لتحيطه بذراعيها بقوة وقد أدركت أنه في حاجة إلى المواساة:

_ معلش يا حسن.. بكره الظروف هتتحسن..

ضمها إلى صدره وهو يغمر وجهه في شعرها.. مستمتعاً بنعومة ملمسه ومستمداً من دفئها وحنانها قوة هو في أمس الحاجة إليها..

همس لها:

_ أنا لقيت شغل..

ابتعدت عنه قليلاً:

_ بجد يا حسن.. أومال مالك.. شكلك زعلان..

أحاط كتفيها بذراعه واصطحبها ليجلسا على إحدى الأرائك:

ـ هو مكتب هندسي صغير.. ومش هشتغل باسمي.. هجهز التصميم.. وصاحب المكتب هو اللي هيحط عليه اسمه..

ـ بس كده يا حسن مجهودك وشغلك كله هيضيع.. ما فيش حل تاني؟..

ـ الحمد لله إني قدرت أوصل لكده.. بس..

ـ بس إيه يا حسن؟..

ـ المرتب مش هيكون كبير قوي.. يعني مش هيكفي حتى إيجار للشقة دي..

ترددت منى قليلاً قبل أن تهمس بخفوت:

ـ يا حسن أنا ممكن أشتغل وأساعد.. بلاش تنشف دماغك.. إحنا لازم نساعد بعض..

انتفض حسن هاتفاً بغضب:

ـ منى.. اقفلي على الموضوع ده نهائي.. أنا مش ممكن أسمح إن مراتي تتبهدل عشان أنا مش قادر أصرف عليها.. أنتِ متجوزة راجل.. فاهمة!..

اقتربت منه تحتوي غضبه برقة وهي تطوق عنقه بذراعيها وتداعب ذقنه بعبث:

- تعرف أني كده هزعل منك.. أنا فاهمة أني متجوزة راجل وسيد الرجالة كمان, لكن أنت ما تنساش أني كنت بشتغل قبل ما نتجوز وده لا قلل مني ولا قلل من أبويا.. ولا إيه؟..

أحنى رأسه خجلاً:

- أنا ما اقصدش طبعاً يا منى.. أنا كل اللي بفكر فيه أني لازم أحميكِ وأكون قادر على أني ألبي كل طلباتك.. افهميني.. احساسي أني مقصر..

رفعت أناملها لتضعها أمام شفتيه لتقطع كلماته:

- يا حبيبي.. أنا يكفيني اللي أنت عملته عشان نكون مع بعض..

رفعها بين ذراعيه لتصبح عينيه في مواجهة عينيها:

- أنتِ بس تقوليلي يا حبيبي.. وهموم الدنيا كلها تختفي في ثواني...

همست أمام شفتيه:

- حبيبي..

ضغط شفتيه على شفتيها بتوق يزداد مع اقترابه منها.. مع وجودها بين ذراعيه.. عمق قبلته ليرتوي من شهد حبها.. وكأنه سيرتوي يوماً!..

****

فتحت عينيها لتجد نفسها وحيدة في الفراش.. تثاءبت بكسل وهي تلمح أثر رأسه مازال مطبوعاً على الوسادة بجوارها.. ثم ما لبثت أن وصلتها رائحة التبغ لتدرك أنه مازال معها في الغرفة..

دعكت عينيها بظاهر يدها لتلمح قامته بطولها المميز وقد وقف يدخن سيجارته في

النافذة مرتدياً بنطاله فقط.. وبدا بعيداً بأفكاره..

سحبت نفسها من الفراش ولفت جسدها العاري بالمفرش الحريري.. وتوجهت نحوه لتحيط صدره بذراعيها وتمرغ أنفها في ظهره بعبث.. ثم تسحب اللفافة المحترقة من بين أصابعه لتضعها بين شفتيها مطلقة عدة أنفاس قبل أن تهمس جوار أذنه:

- ايه اللي شاغلك؟.. برضوه بتفكر فيها؟..

سمعت صوته ينهرها بعنف:

- دنيا.. احنا اتفاقنا كان واضح.. أنتِ حاجة وهي حاجة تانية.. ومافيش داعي تجيبي سيرتها كل شويه..

لفت جسده بين ذراعيها وهي تضمه إليها بشغف وتهمس بتوسل:

- آسفة.. يا حبي..

سكت ولم يرد عليها.. فأحاطت عنقه بذراعيها وهي ترفع نفسها لتطبع على شفتيه قبلة استجاب لها بعد عدة لحظات.. بينما هي تهمس بين أنفاسه:

ـ مازن.. بات الليلة هنا.. عشان خاطري ما تروحش...

الفصل الثالث عشر

دخلت سهام إلى فيلا شقيقتها بعدما اصطحبها يزيد إليها واشترطت هي عليه الانتظار في السيارة حتى تقوم باستدعائه..

استقبلتها ريناد بوجه شاحب واجم.. ودموع متجمدة في مقلتيها.. فتحت سهام ذراعيها فارتمت بينهما ريناد على الفور لتنفجر عاصفة الدموع المحتبسة خلف أجفانها..

احتضنتها سهام لفترة حتى شعرت بها تهدأ بين ذراعيها.. فأبعدتها قليلاً.. ومسحت بعضاً من عبراتها.. واصطحبتها بحنان لتجلسها على إحدى الأرائك وتجلس بجوارها.. تربت على كتفها برقة:

ـ في إيه بس يا حبيبة خالتو؟.. هو أنا مش كلمتك وفهمتك.. ليه بقى الدموع دي؟..

أجابتها ريناد من وسط دموعها:

ـ بتسأليني برضوه يا خالتو!.. ده التليفون ما بطلش رن من الصبح وكل صحباتي بيسألوني.. والباقي إما شمانتين أو صعبانة عليهم..

ـ هو أنا مش فهمتك كل حاجة.. والحكاية مجرد لعبة عشان يردوا للبنت دي أرضها..

برمت ريناد شفتيها بنزق:

ـ يعني أنا المفروض أقعد أفسر لكل واحد أصل الموضوع ولا إيه؟

اقتربت منها سهام وهي تخبرها ببطء ضاغطة على كل حرف:

ـ لا طبعاً.. سيبيهم يقولوا اللي يقولوه..

انتفضت ريناد من مكانها بعنف:

ـ ازاي بس يا خالتو.. يعني أسمع بوداني التريقة والشماتة.. وإن حتة عيلة صغيرة خطفت مني خطيبي قبل جوازنا بأسبوعين واسكت!

وتحركت لتمسك مجموعة من العلب المخملية.. لتضعها أمام سهام وهي تشير اليها بحزن:

ـ خلاص يا خالتو.. دي الهدايا بتاعته وشبكته.. وربنا يهنيه معـ.. معها..

جذبتها سهام من ذراعها بعنف لتجلسها بجوارها على الأريكة مرة أخرى:

ـ اقعدي كده.. واعقلي.. بلاش الاندفاع ده.. حكمي عقلك يا ريناد.. عايزة تهدي كل حاجة عشان جوازه فشلك.. وتأكدي الكلام اللي بيتقال.. وإنها قدرت تاخده منك فعلاً.. وأنك بعد فترة الخطوبة دي كلها معرفتيش تحافظي على خطيبك؟؟!!.. ولا تتمم الفرح في ميعاده.. وساعتها الناس هتتكلم عليها هي.. والعيب هيكون فيها هي.. وخاصة لما المصلحة تخلص ويطلقها.. وتبقي أنتِ وقتها اللي عرفتِ تحافظي على بيتك وجوزك.. والناس زي ما اتكلمت هتسكت وهتنسى..

تأملت ريناد خالتها في دهشة.. فهي لم تفكر في الموضوع بتلك الطريقة أبداً..

فلو تم الأمر مثلما تقول خالتها.. فمن ستكون مضغة في الأفواه علياء، وليست هي.. و..

لكن.. لا.. لا.. حتى هذا لا يجعلها توافق على أن تكون زوجة ثانية على الأقل في عيون الناس.. حدثت نفسها بعنف:

"لا.. لا.. مش ممكن.. مستحيل أوافق!"

لم تدرك أنها تكلمت بصوتٍ عالٍ إلا بعد أن سمعت خالتها تجاوبها بقوة:

ـ إيه يا ريناد؟.. ناوية تسيبي يزيد لها ولا إيه؟.. والنهارده جواز على ورق بكره يبقى حقيقي.. ويبقى يزيد ضاع مني.. أقصد منّنا.. ده غير الإشاعات اللي هتطلع عليكِ.. والكل هيدور على الغلط اللي فيكي اللي خلا خطيبك يسيبك قبل جوازكوا بأسبوعين!

شهقت ريناد بقوة وهي تنهض مرة أخرى وتهتف بخالتها بعنف:

ـ أنتِ اللي بتقوليلي الكلام ده يا خالتو، أومال باقي الناس هتقول ايه!.. وكمان عايزاني

أقبل أكون زوجة تانية.. إزاي ترضيهالي بس!.. إزااااي!!..

تحركت سهام لتضمتها إلى صدرها وهي تهمس لها باقناع:

ـ فين التانية دي!.. ما قلنا جواز صوري.. على ورق.. يعني أنتِ هتكوني الأولى في كل حاجة.. أنتِ أول حب.. وأول خطيبة.. وأول فرحته.. أنتِ ناسية هو كان هيتجنن قد إيه عشان يقدم ميعاد الفرح.. ده كان قرب يتهبل وأنتِ بتسويه على نار هادية..

رددت ريناد بتردد:

ـ أيوه يا خالتو.. بس اهوه اتجوزها.. و..

قاطعتها سهام تحاول اقناعها بما تظن أنه الحقيقة:

ـ عصام هو اللي أجبره.. لو تشوفيه وهو واقف قدام باباه مش قادر يعارضه وهو بيقوله أنه أعلن خبر الجواز, كان صعب عليكِ.. يزيد اتعذب بيني وبين أبوه كتير.. كل ما يقرب مني ويراضيني يحس أنه بيظلم أبوه, وكل ما يطاوع أبوه.. آجي أنا وأعمل

أزمة.. يزيد محتاجك يا ريناد.. لازم تقفي جنبه.. حتى عشان يقدر يتخلص من مصيبة عليا اللي عصام أجبره عليها دي..

حاولت ريناد أن تتكلم ولكن عادت سهام لمقاطعتها:

- شوفي.. هو مستني بره الفيلا.. قاعد على نار منتظر أنك تسامحيه.. أنا هكلمه وأقوله ياخدك يعزمك على العشا في مطعم فايف استارز.. لسه فاتح امبارح.. وهكلم كام صحفي من اللي بيغطوا لي أخبار الجمعيات الخيرية عشان ياخدوا كام لقطة حلوة وأنتوا سهرانين مع بعض.. وبكده هيكون كأنه تكذيب لخبر جوازه المشئوم ده.. ولو حد سألك عن الخبر اضحكي.. واسكتي.. وبكده.. أي حد شمتان ولا حاقد ولا.. ولا.. هيكون مش قادر يصدق خبر ارتباطه بعليا.. وهيكون كأنه إشاعة هتعدي وتمر.. خاصة لو أكدتِ على ميعاد جوازكوا.. فاهماني يا ريناد؟.. ما تخليش الناس تشمت فيكي ولا تضحك عليكِ..

سألتها ريناد بخفوت وقد بدا أنها اقتنعت بكلامها:

ـ طيب وأتعامل معاه إزاي؟.. هقوله إيه؟..

ـ ولا تجيبي سيرة البنت دي نهائي.. ولا تفكريه بيها.. ما هو أنتِ كل ما هتسألي.. كل ما الموضوع ممكن يكبر في دماغه.. اتعاملي عادي.. اضحكي وابتسمي.. وأنا هقوله أنك سامحتيه وقدرتِ ظروفه... وده من شدة حبك له.. كمان هخليه ياخد أجازة من الشغل الكام يوم اللي جايين دول ويكون معاكِ في أي حاجة عشان تجهزوا الفيلا بتاعتكم.. ماشي يا رورو؟..

أومأت ريناد موافقة وقد اتسعت عيناها قليلاً وهي تتخيل اللحظة التي تنتهي تلك الأزمة وتعود هي الوحيدة في حياة يزيد..

وبالفعل نفذت ما اتفقت عليه مع سهام بالحرف فضغطت على أعصابها حتى لا تصرخ بوجهه أو تفاتحه بشيء.. كان عقلها يحترق بكثير من الأسئلة تخشى أن تعرف اجابتها.. أو لعلها تعرفها ولكنها تكذب احساسها..

حاولت قدر استطاعتها التعامل معه بطريقة عادية، بل أنها زادت في دلالها وغنجها معه ولكن تلك المرة كان بناء على نصيحة من أمها والتي أوصتها أن تشغل عقله بكل الطرق حتى لا يفكر لحظة في استغلال الزواج الصوري بينه وبين علياء..

كانت قد قررت أن تقوم بذلك بالفعل، ولكن ما يقلقها أنه لم يعد يتلقى دلالها وحبها الذي بدأت تظهره له بوضوح بنفس اللهفة والشغف القديم.. بل تشعر أنه يفتعل الانسجام والتفاعل معها.. ولكنه في أحيانٍ أخرى يكون غاية في الرقة والحنان.. لعلها تظلمه فهي لا تنكر أنها أصبحت تنفعل عليه وبشدة.. وتصرخ به بعصبية زائدة.. لأتفه الأسباب.. والآن والزفاف قد أصبح على بعد عدة أيام عادت الهواجس تنتابها من جديد.. ولم تجد لها أذناً لتسمع إلا خالتها سهام.. التي كانت بدورها تفكر بكل الطرق كيف تبعد يزيد عن علياء.. ومعاً.. توصلتا لفكرة ماكرة.. وبقي فقط التنفيذ..

****

تجمدت ملامح عامر وهو يقرأ الكارت الذي قدمته له مديرة مكتبه.. وهي تخبره بأن سيدة في الخارج ترغب في رؤيته..

تأمل حروف اسمها بحنين قاتل.. ولولا وجود مديرة مكتبه لقبل الكارت..

فريدة هنا.. في مكتبه وتريد رؤيته.. هل عادت أخيراً؟.. من ملكت قلبه وهربت به.. تاركة له جزء منها.. ابنتها صبا..

أشار إلى مديرة مكتبه:

ـ قولي للمدام تتفضل..

خطت فريدة داخل مكتبه بثقة.. لمحة سريعة جعلته يدرك التغيير الذي حل بها.. بداية من كعبيها الشاهقيين إلى تنورتها القصيرة.. وصولاً إلى البلوزة الحريرية ذات الأكمام الطويلة وقد جمعت شعرها الأشقر في ربطة متحفظة خلف عنقها.. لقد تغيرت الفتاة الصبيانية ذات السروال الجينز والتيشرتات القطنية.. وتحولت إلى امرأة ناضجة, رائعة

قادرة على ايقاف قلبه ولعاً بها.. لكن ذلك التغيير لم يؤثر على الجاذبية التي تجمعهما معاً, والتي شعر بها فور دخولها إلى المكتب..

نهض من خلف مكتبه ليرحب بها:

_ أهلاً يا فريدة.. حمد لله على السلامة.. اتفضلي..

وضعت فريدة يدها بيده الممدودة وهي تتوقع الرعشة التي سرت في جسدها للملامسته لها..

له ذلك التأثير عليها.. هي تدرك ذلك, ولكن ما يعزيها قليلاً أنها تملك نفس التأثير عليه.. ولم يخب ظنها وهي تشعر بارتجافه خفيفة من جسده..

جلست على المقعد المواجه لمكتبه بينما عاد هو إلى مقعده يسألها بصوت حاول أن يجعله ثابتاً:

_ أخبارك إيه؟.. صبا بتقولي أنك مرتاحة في باريس..

أومأت موافقة:

ـ الحمد لله.. فعلاً أنا مرتاحة في باريس قوي.. ده غير كمان إن شغلي هناك كويس جداً..

ـ والله!!.. طب كويس.. بس إيه حكاية اللي اسمه غسان ده؟!.. ده لازق لك في كل حتة؟..

هزت كتفيها بلامبالاة:

ـ عادي.. هو يبقى مدير أعمالي.. مش صبا قالت لك؟..

ـ أيوه قالت لي.. بس ده مش مبرر أنه يظهر في كل صورة ويكون موجود معاكِ في كل مكان!

رفعت فريدة حاجباً واحداً وهي تسأله باستمتاع:

ـ يااااه.. أنت متابعني للدرجة دي؟..

ـ أنتِ ناسية أنك أم بنتي؟!

ـ لا مش ناسية طبعاً.. وعشان كده أنا جيت النهارده..

ـ أنتِ رجعتِ مصر خلاص ولا دي زيارة؟

ـ لا كده ولا كده..

ـ أومال إيه؟..

ـ يعني.. تقدر تقول شغل.. موضوع معرضي الجاي.. عن المرأة الشرقية.. وهقوم بجولة كده على كام محافظة.. في حاجة معينة في دماغي وعارفة إني هالاقيها على ملامح ستات مصر..

سأل بتعجب:

ـ وإيه بقى الحاجة دي..

ابتسمت بسخرية:

ـ القهر!.

ردد خلفها مذهولاً:

ـ القهر!!

أومأت:

ـ أيوه.. الست هنا.. دايماً مقهورة.. البيت, الأهل, الزوج, المجتمع, عادات وتقاليد..

ولو قدرت تتغلب على كل ده.. بتيجي مشاعرها هي اللي تقهرها..

ـ قصدك أنها ضحية في كل الأحوال؟..

ـ أكيد مش في كل الأحوال, بس في معظمها.. وعامة أنا بعمل معرض فني.. مش تحقيق صحفي..

ـ تمام.. بس برضوه ما فهمتش.. إيه علاقة صبا بده كله؟..

ـ عايز آخد صبا معايا..

ـجاء رفضه قاطعاً:

ـ لأ طبعاً.. أنتِ ما بتقدريش تراعيها وهي معاكِ في نفس البيت.. هتاخديها وتلفي بيها بلاد الله..

هبت بغضب:

ـ أنت بس اللي معتقد أني مش هقدر أراعيها.. ومانعها أنها تيجي تقعد معايا في باريس.. بتنتقم مني بيها..

أجابها بغضب مماثل:

ـ والله أنتِ اللي سبتيها من البداية وما بصتيش وراكِ وسبتيني وبعدتِ.. وبعدين ده كلامها هي.. مش مجرد اعتقاد مني..

تهالكت على مقعدها بألم:

ـ إيه!.. صبا بتقول أني مش بعرف أراعيها.. هي اللي بترفض تيجي لي؟..

تحرك ليربت على كتفها وقد قتله حزنها ولام نفسه لتسرعه الشديد ولكنه حمد ربه على عدم انتباهها لزلة لسانه:

ـ أكيد هي مش قصدها كده بالظبط.. بس هي بتحس أن وقتك مشغول ووجودها بيسبب لك حمل زيادة..

رفعت فريدة إليه عينين دامعتين وهي تتوسله:

ـ أرجوك يا عامر.. أرجوك وافق أنها تيجي معايا في الجولة دي.. أنا فعلاً حاسة أنها بعيد عني.. محتاجة أني أقرب منها..

ـ يا فريدة.. أنتِ هتكوني مشغولة قوي.. هتقدروا تقربوا إزاي؟

ـ مش هكون مشغولة للدرجة.. أنا مش هرسم اللوحات هنا.. أنا بس بدور على موضوعات.. لو رسمت هتكون اسكتشات مبدئية.. أرجوك يا عامر..

تنهد عامر مستسلماً:

ـ طيب.. إيه رأيك تيجي تتغدي معانا النهارده ونعرض عليها الموضوع ونشوف رأيها؟..

أومأت موافقة بامتنان:

ـ إن شاء الله هتوافق.. أنا هقنعها..

****

كاد يزيد أن يفقد أعصابه وصوت ريناد الصارخ يكاد يصم أذنيه وهي توجهه ليعدل من وضع إحدى اللوحات التي يقوم بتعليقها بينما هو معلق على سلم متحرك.. يحاول التحكم في اللوحة الضخمة التي أصرت هي على شرائها وتعليقها على ذلك الحائط بالذات..

حاول أن يعدل من وضعها.. فعاد صوتها يدوي:

ـ لأ.. لأ يا يزيد.. اللوحة معوجة..

التفت لها وهو يهتف بحنق:

ـ ريناد.. دي تالت مرة أطلع أعدلها.. خلاص أنا زهقت..

وترك اللوحة كما هي ونزل ليواجهها:

ـ أنا تعبت.. كفاية لوحات وأنتيكات بقى.. أنا حاسس أني في متحف مش بيت!

هتفت ريناد به في غضب:

ـ وأنت زعلان ليه؟.. في حد يكره الشياكة والفخامة.. ولا أنت عايز تعيش في الـــ...

قطعت كلامها فجأة والتفتت لتبتعد عنه إلا أن يده تمسكت بذراعها بقوة قبل أن تتحرك وهو يسألها:

ـ سكتي ليه؟.. كملي كلامك..

ترددت قليلاً:

ـ أنـــا.. أنـ..ا.. ما اقصدش حاجة..

قاطعها قائلاً:

ـ لا تقصدي يا ريناد.. وبلاش نقعد نلف حوالين المشكلة بدون ما نواجهها.. ماما طلبت مني أني ما اتكلمش ولا أفاتحك في أي حاجة.. وأكيد طلبت منك كده.. والنتيجة خناقات وخلافات يومية بدون سبب.. لأننا سايبين جوهر المشكلة من غير ما نتكلم فيه.. أنا مش بحب نظام تخبية الراس في الرمل.. ده أساس المشاكل بين بابا وماما.. ياريت يا ريناد نتكلم بصراحة..

التفتت له ريناد ببطء:

ـ أنا ما عنديش كلام..

ضيق عينيه متعجباً:

ـ ريناد.. بلاش تدي ودانك لماما وخالتي.. أنتِ مش كده.. دي مش شخصيتك.. مش ريناد اللي أنا عرفتها وحبيتها.. اتكلمي معايا.. واسمعيني.. و..

قاطعته بقوة:

ـ يااااه يا يزيد.. ريناد اللي حبيتها!!.. أنت متوقع تلاقيني نفس ريناد القديمة.. طب

إزاي؟.. أنا لسه بحاول استوعب اللي حصل.. بحاول أكون ريناد اللي بتحكم عقلها وتفكر كويس وتقرر بدون تهور ولا اندفاع.. بحاول أكون فعلاً ريناد اللي أنت حبيت شخصيتها دي.. مش فاهمة أنت كنت عايز إيه؟.. عياط وهيستريا وموقف عنيف.. ما انكرش أن ده رد فعل طبيعي.. وفعلاً فكرت أني آخد الموقف ده.. لكن على رأي خالتو.. معقولة أخسر خطيبي وحياتي عشان جوازة فشنك!.. عارف أكتر حاجة ضايقتني إيه؟؟ إنك لاغيتني خالص من تفكيرك.. حتى لو أونكل عصام أجبرك على الموضوع فكان لازم تيجي تكلمني ونتفاهم ونتفق.. مش تاخد قرارك من نفسك..

أشاح يزيد بوجهه بعيداً.. فكما يبدو أن والدته اقنعتها أنه مجبر على الوضع، لذلك هي راضية صامتة.. ولكن شيء ما بأعماقه شعر بنفور شديد من منطقها وعقلانيتها.. نفور جعله يفكر للحظة أن يخبرها أنه ليس مجبراً وأن الزواج تم بإرادته، وأنه زواج دائم وليس لفترة كما يبدو أنها تعتقد، ولكنه وجدها

قسوة شديدة منه.. وبكل الأحوال هو غير راغب في التعامل مع هيستريا أنثوية في تلك اللحظة..

زفر بحنق وهو يمسح وجهه بكفه فسمعها تسأله:

ـ يزيد.. لو عايز تفسخ الخطوبة قول على طول وما فيش داعي للف والدوران؟..

هز رأسه نافياً:

ـ لا.. أنا مش عايز أفسخ الخطوبة.. بس كنت أتمنى أننا نتكلم ونواجه بعض بصراحة.. تسمعيني واسمعك..

ـ أنا مش عايزة أفتح أي كلام في الموضوع ده.. أنا بحاول أتجاهله على قد ما أقدر.. أرجوك ما تجرحنيش أكتر من كده.. واحترم قراري ده..

ـ ما عندكيش أي فضول؟.. أي سؤال؟..

هزت رأسها بألم:

ـ السؤال اللي عندي مش عايزة اسمع اجابته..

ـ وأنا تحت أمرك لما تحبي تسألي وتسمعي الأجوبة.. وتأكدي إني مش هقولك إلا الحقيقة..

****

تأفف مازن بحنق وهو يحاول تسوية قميصه بعدما فصل بين يزيد وشاب ما.. كان يزيد يكيل له اللكمات بعنف.. واضطر مازن أن يغير طريقه بعدما كان متوجهاً إلى مطعم النادي

ليلاقي نيرة هناك.. فتحرك مسرعاً ليبعد يزيد عن هذا الشاب الذي لا يدري بماذا أغضبه حتى يلكمه بمثل هذا العنف..

وما يثير غيظه أن يزيد التفت نحوه بغضب وهو يهدر به:

ـ أنت السبب.. أنت ورقصتك الملعونة..

ثم ابتعد عنه مسرعاً بدون أي كلمة أخرى.. بينما ضرب مازن كفيه ببعضهما وهو يتحسر على عقل صديقه الذي طار بالفعل منذ الرقصة الملعونة كما يسميها...

دلف إلى مطعم النادي المكيف وهو يبحث بعينيه عن شعلته الحمراء.. فلمحها على الفور.. جالسة مع فتاة ما على إحدى الموائد الجانبية.. ظن في البداية أنها علياء حيث كانت توليه ظهرها ولكن ما أن تقدم منهما.. حتى أدرك أنها لم تكن علياء, بل كانت دنيا.. دنيا خاصته..

****

وصل يزيد إلى المزرعة وشياطين الإنس والجن تتلاعب أمام وجهه .. يتذكر ذلك الشاب الأحمق.. رمق قبضته للحظة وهو يتذكر لحظة أن أقحمها في وجه الشاب بغضب شديد.. ولكنه يستحق.. ذلك الأحمق يستحق.. فذاك أبسط عقاب لمن يجرؤ على خطبة امرأة من زوجها!..

نعم.. فالأحمق تقدم منه ليخبره أنه لا يهتم بما ذكر من شائعات عن علياء.. وأنه معجب بها جداً ويريد التقدم لخطبتها.. فهي شغلت عقله وقلبه منذ أن رآها ترقص مع مازن!..

الأحمق يريد خطبة زوجته!!.. إن اللكمة التي تلقاها أقل مما يستحق..

ولكن عن أي شائعات يتحدث!!.. هل تحول خبر زواجه من علياء الذي أشرف والده على توزيعه على المجلات إلى شائعة؟.. كيف؟..

زفر بحنق.. لو وافقت الحمقاء على إقامة حفل زفاف.. لعلم الجميع أنها له.. ملكه.. وتراجعوا على الفور.. ولكن.. ماذا عن أمه؟.. وريناد..

كيف يحل تلك المعضلة؟.. كيف يعلم الجميع أنها له؟.. لقد أدرك الآن حكمة والده من اعلان الخبر.. وعليه الآن أن يوصل الحقيقة إلى أمه بالتدريج.. قبل أن يحاول أحمق آخر خطبتها..

بدأ يبحث عنها في المزرعة وقد انتابه القلق.. فهي غير موجودة بأي مكان... ساورته الشكوك وهاجمته المخاوف.. أين ذهبت الحمقاء الصغيرة.. لقد مر على اصطبل الخيل ولم يجدها هناك.. يعلم أنها غاضبة

منه.. ولها كل الحق.. فإذا كان يشعر بالغضب والحنق من نفسه ومما يفعله بها.. فهو الآن لا يستطيع تخيل مشاعرها نحوه..

تذكر كلمات والده بأنها رفضت أن يقام لها زفاف.. لقد ذُهل وقتها من رفضها.. فهو كان يحاول اقناع نفسه بكل الطرق أنها نصبت له الفخ وسحبته ليقع به بكامل إرادته، ولكن جاء رفضها القاطع للحفل الزفاف كصفعة مؤلمة له.. تنبهه أن يكف عن إلحاق الظلم بفتاته الصغيرة..

حاول بعدها الاتصال بها مرات عديدة، ولكن هاتفها كان مغلقاً.. ويبدو أنها ترفض استقبال أي مكالمة منه.. لا يلومها.. فمَن تلك التي سترغب في سماع صوته أو رؤيته بعد الطريقة التي غادرها بها آخر مرة..

وصل أخيراً إلى غرفة بخلفية الفيلا.. كانت قد استأذنت والده أن تستخدمها كغرفة للرسم.. وبالفعل حولتها إلى غرفة تحمل بصمتها في كل شيء.. وزعت بها شتلات القرنفل الذي تعشقه.. وتناثرت به بعض وسائد بعدة أحجام

ونقوش مميزة.. مقاعد صغيرة مريحة وعدة بُسط بألوان ناعمة.. ذلك بخلاف اللوحات المتناثرة والتي تدل على موهبة علياء التي قررت تجاهلها منذ فترة.. خضوعاً لأوامر والدته..

كما ظن وجدها جالسة في حجرتها الصغيرة حيث كومت نفسها على أريكة متوسطة الحجم بدون ظهر وقد ألصقتها بالنافذة التي كانت تحدق إليها في شرود وصوت نجاة الذي تعشقه علياء يصدح في الخلفية..

"القريب منك بعيد والبعيد عنك قريب"..

أخذ يتأملها وهي شاردة تردد كلمات الأغنية بقلبها قبل شفتيها..

بينما تتذكر آخر مرة رآته بها بعدما أوقفت نزيف أنفه, حيث لم يستطع مقاومة رغبته بها واكتسحها بعاطفة مجنونة لم تستطع مقاومتها أو حتى تذكر سبب واحد لرفضها لها.

وعندما أفاقت من غفوة بسيطة لم تجده بجوارها بل كان يرتدي ملابسه في صمت..

أخذت تراقب جسده الضخم الذي كان يحتويها منذ دقائق.. بينما يهمس في أذنيها بكلمات لم تحلم للحظة أن تسمعها منه.. وهو يعاملها بعاطفة مشحونة بالجنون والرقة معاً.. لكنه الآن يرحل في صمت!..

"كل ده وقلبي اللي حبك لسه بيسميك حبيب.."

شهقة خفيفة ندت عنها جمدت جسده بالكامل قبل أن يلتفت لها وهو يخفض رأسه أرضاً ويهرب بعينيه بعيداً عن نظراتها المتسائلة والحائرة..

وأخيراً همس:

ـ آسف.. يا علياء..

رددت بذهول:

ـ آسف!!..

عدل كلماته:

ـ أقصد إني آسف عشان أزعجتك.. أنا مضطر أمشي الوقتِ..

عادت تردد كلماته كالببغاء الأبله:

- أزعجتك!.. أمشي!

أومأ برأسه موافقاً.. وتحرك ببطء حتى وصل إلى باب الغرفة تحت نظراتها المتجمدة.. ثم التفت فجأة وعاد إليها بسرعة ليطبع قبلة طويلة ودافئة على شفتيها ويهمس لها:

- خدي بالك من نفسك..

"حبيب عينيّ حبيب أحلامي حبيب دموعي وهنا أيامي..

أهون عليه أسهر بآلامي وأتوه نجوم الليل بظلامي..."

أغمضت علياء عينيها وسمحت لبعض دمعاتها بالتسابق على وجنتها تتذكر خروجه السريع في ذلك اليوم.. لم تره من بعده لعدة أيام، ولكن على ما يبدو أنه كان يشغل وقته كله مع خطيبته الرسمية.. حيث أرسلت لها سهام عدة مجلات تحتوي على عدة لقطات مختلفة ومقالات صفراء تتساءل عن صحة خبر زواجه بها.. وهل كانت مجرد نزوة عابرة عاد بعدها وريث الغمراوي إلى خطيبته الحسناء؟.. أم أن الفتاة التي يكفلها عصام

الغمراوي قد حاولت نسج شباكها حول ابنه لتنهج مسلك أمها في اختطاف رجل من زوجته أو تلك المرة خطيبته؟..

كانت تلك كلمات سهام.. هي متأكدة.. كلمات حقيرة.. تهين أمها وتنال من شرفها.. تنتقم من أمها بها.. وهي من منحتها الوسيلة..

تلعن نفسها مرة على حبها له وألف مرة لاشتياقها المجنون لرؤيته.. تحلم به في الليلة ألف مرة.. وفي النهار تتخيل مئات الصور لهما معاً.. تتأمل صوره مع ريناد وتشعر بآلام غير مفهومة.. لم بدأت تغار من ريناد؟.. الوضع لم يتغير.. تجاهلت أحاسيس لم تدرك كنتها وهي تخبرها أن الوضع تغير وأنها بدأت تشعر نحوه بالتملك.. لذا ظهرت الغيرة.. لكن لا.. لا يحق لها أن تغار.. أنها هي من جارت على حق ريناد وليس العكس.. فعشقها لمن ليس لها لعنتها وحدها ويجب أن تدفع ثمنها بمفردها.. لذا فكرت بأن تبتعد ولكن إلى أين؟.. فأغلقت هاتفها هرباً منه وهرباً من الجميع..

كيف تكون بتلك العقلانية وذلك الجنون في نفس الوقت فهي تنتظر زيارته التالية.. لا.. لا

تنتظرها.. بل تتوقعها.. فقد بدأت مقاومتها بالتلاشي.. وصمودها الواهي اختفى.. وهي على وشك تشغيل هاتفها والاتصال به..

"يا رايح للي فايت لي عيوني سهرانة ولا دارو أمانة اوصف له دمع عيوني طول ليلي ونهاري"

وهو.. هو لاه عنها أو على أقصى تقدير يتناساها.. معتقداً أنه قام بما عليه نحوها فهي أغوته وهو تزوجها.. هذا ما يعتقده.. متناسياً ما حدث في الليلة المشئومة..

تراجعها المذعور.. وهمسه المسعور بأن أوان التراجع فات..

"آه منك آه منك"

ورغم ذلك تدرك أنها لو اتصلت به الآن طالبة حضوره.. سيأتي.. ليغرقها بلحظات مجنونة يعقبها عقاب لها ولذاته.. ولكنها لا تملك سوى أن تحبه.. تعشقه.. تنتظره..

"كل ده وقلبي اللي حبك لسه بيسميك" حبيب

هزت رأسها بيأس فتناثرت المزيد من الدمعات مع تناثر خصلاتها.. ولمح شفتيها تردد الجملة الأخيرة.. فانطلق منه السؤال لا إرادياً:

- ويا ترى أنا لسه حبيبك يا علياء؟..

انتفضت في مكانها وهي تلف وجهها نحوه فعاد شعرها يتناثر مرة أخرى مسبباً تشتيت انتباهه ومشاعره.. تأملته لفترة وهي تشعر بقلبها ينتفض وكأنه عجز عن مجاراة حبها المجنون وفرحتها برؤيته.. فسألته بخفوت:

- أنت جيت امتى؟..

رد عليها بآخر ما تتوقعه:

- ليه رفضتِ يتعملك فرح؟..

أشاحت بوجهها بعيداً لتواجه النافذة مرة أخرى:

- أنا ليا أسبابي!

كتف ذراعيه وهو حريص على أن يظل بعيداً:

- أقدر أعرفها؟..

التفتت له ولاحظ ارتجافة شفتها السفلى فأدرك أنها تقاوم نوبة من البكاء.. فنادى بتحذير:

ـ علياء..

هزت رأسها وهي تخبره بخفوت:

ـ مش هتفهمني.. عمو عصام اعتبرني واحدة مجنونة.. ويمكن عنده حق..

ـ طيب جربي تقنعيني؟..

ـ أنت جاي عشان كده بس؟..

وضعت يدها على فمها بسرعة بعدما أدركت المعنى الغبي لسؤالها الأحمق وهي تلمح نظرة عينيه اللامعة وتسمع إجابته:

ـ جاي اطمن عليكِ.. أنتِ قافلة الموبايل ومش بتردي على التليفون الأرضي..

همست:

ـ فيك الخير..

هتف:

ـ ليه؟

- ليه قافلة التليفون؟

- ليه بتهربي من الواقع؟.. خلاص جوازنا واقع.. و..

قاطعته بغيرة تظهرها للمرة الأولى:

- وجوازك من ريناد واقع..

وتحركت لتمسك مجموعة من المجلات المكومة في أحد الأركان لتضعها بين يديه.. وهي تكمل:

- نانت سهام وصلتِ لي المعلومة كويس قوي.. أنا عارفة أني غلطانة.. بس ما كانش له لازمة تيجي سيرة ماما في الموضوع..

ألقى المجلات بعنف وقد فهم أخيراً كيف تحولت الحقيقة إلى شائعة:

- دي شوية ناس تافهة.. وده كله حصل عشان أنتِ رفضتِ الفرح اللي كان هيقطع ألسنة الناس..

سألته بذهول:

ـ أنت موافق على فكرة الفرح؟.. أنا..

قاطعها بذهول أشد:

ـ أنتِ رفضتِ عشان خفتِ إني أنا اللي أرفض؟..

هزت رأسها نفياً:

ـ لا.. مش عشان كده.. أنا رفضت عشان ماما..

هز رأسه بعدم فهم:

ـ مامتك!!.. إزاي؟..

ـ مش هتفهمني.. و..

قاطعها وقد بدأ يشعر بالغضب:

ـ اتكلمي يا علياء..

كورت يدها في قبضة لتضعها بين أسنانها كعادتها كلما توترت وأخذت تتحرك بلا هدف في الغرفة وكأنها تحاول ترتيب أفكارها.. وأخيراً تكلمت لينتابه الذهول وينتفض قلبه مع كل كلمة تقولها:

ـ أنا.. أنا أما كنت صغيرة وماما الله يرحمها كانت عايشة.. زي أي طفلة ماما كانت تكلمني إزاي نفسها تشوفني عروسة.. وأنها هتفصلي فستاني بإيدها.. ماما كانت خياطة شاطرة.. حتى أنها اشترت القماش قالت أنها هتعينه لأنه كان حلو قوي.. وصممت كمان موديله.. وأنها يوم فرحي.. هتلبسني بإيدها.. هتعدلي الطرحة.. هتسلمني لعريسي وهي بتوصيه عليّ.. وتوصيني كمان عليه.. وبعد أما.. ماما ماتت..

سكتت لحظة لتبتلع عبراتها واكملت:

ـ بعد موتها.. بقيت أقول أنها ما سابتنيش ومش هتنساني يوم فرحي.. وإنه أكيد روحها هتكون معايا.. بتبتسم لي.. وفرحانة بي.. وأني هبقى حاسة بيها حواليا.. يمكن كمان أشم ريحتها أو أحس ببوستها على جبيني.. لكن.. بعد اللي حصل مني..

سكتت وهي تاخد نفس عميق:

ـ بعد اللي حصل استحالة أقدر ألبس فستان فرح.. هقول لأمي إيه؟.. هنتظر روحها يومها إزاي وأنا.. أنا.. فرطت في أمانتها..

وانخرطت في بكاء حاد قطع نياط قلبه فضمها لصدره بقوة.. وبداخله رغبة عارمة في محو بكائها وتحويله لفرحة ولكن كيف؟.. كيف وهو من سرق منها أمانتها؟.. سلبها باسم الحب ثم ألقى بالذنب فوق كاهلها لتتحمله وحدها.. ولكنه يحترق هو الآخر بذنبه نحوها.. وذنبه نحو أمه..

همس في أذنها:

ـ خلاص يا علياء.. أنتِ سلمتِ الأمانة لصاحبها.. وأنا الوقتِ المسئول عنك.. انسي الليلة دي.. انسيها وأنا هنساها.. ونبدأ من جديد..

ازداد بكائها ونحيبها.. كيف يبدآن من جديد؟.. كيف وهو سيتزوج من ريناد؟..

عاد يهمس:

ـ علياء.. كفاية.. أنتِ عارفة أن دموعك نقطة ضعفي..

رفعت رأسها عن صدره وهي تحركه غير مصدقة ما سمعته للتو وتحركت بعيداً عنه.. بينما تجمد هو الآخر وكأن كلماته خرجت بدون إرادته..

ـ أنت عايز تجنني يا يزيد.. صح.. قبل كده قلت لك بطل الشيزوفيرنيا دي.. وزعلت مني؟.. بس أنت فعلا هتجنني.. نبدأ إزاي؟.. وفرحك اللي بعد كام يوم؟.. أنا كنت فاهمة أن جوازنا مؤقت.. وأنك هتنتظر لحد ما عمو عصام يهدى وتطلقني..

رفض بعنف:

ـ لا.. ما فيش طلاق..

ـ وتانت سهام.. وريناد.. و..

مسح وجهه بكفه وهو يزفر بحيرة:

ـ كل شيء هيتحل في وقته.. لكن طلاق.. ما فيش.. فاهمة.. واستعدي بعد ما تخلص قصة

الفرح دي.. أنك هتتنقلي القاهرة.. أنا وصيت مازن يدور على شقة كويسة..

فتحت عينيها بذهول غير مصدقة ما يقوله:

ـ أنت بتتكلم جد!

ـ أكيد مش بهزر في حاجة زي كده..

ـ بس..

ـ ما فيش بس.. ده اللي هيحصل.. وعلى ما نكون جهزنا الشقة هتكون الصورة وضحت عند الناس كلها..

صمتت ولم تعرف بم ترد.. فما يقوله يعني أنها ستصبح زوجة ثانية.. أو أولى.. لا تعرف ماذا تطلق على نفسها؟.. ولكنها تعلم أن سهام ستقتلها وستقيم حفل شواء على جسدها وستساعدها ريناد بلا شك!..

كانت غارقة في أفكارها فلم تشعر أنه اقترب إلا بعد أن لف خصرها بذراعه وهو يهمس لها:

ـ وباقي إجابة سؤالك.. أنا جيت لأنك وحشتني.. وحشتيني قوي..

وعاد صوت نجاة يصدح..

"ياللي آمر من بعدك لقاك ياللي أمر من
هجرك رضاك
يا غربتي وأنت بعيد عني يا غربتي وأنت قريب
مني"

ضمت نفسها لجسده أكثر وهي تجيبه بمثل
همسه:

ـ واجابة سؤالك إني هتفضل حبيبي لآخر
لحظة في عمري..

"يا حب.. أقول له ايه؟.. يا حب.. أسامحه
ليه؟.

دا العذاب هو اللي يسامحه والسهر هو اللي
يسامحه
والدموع هي اللي تسامحه"

الفصل الرابع عشر

وقف مازن وقد فرج ساقيه وكتف ذراعيه على صدره تشع من حوله طاقة من الغضب تعكسها عيناه بوضوح وهو يتأمل دنيا التي جلست على أحد المقاعد وقد شبكت أناملها، تهز ساقها بلامبالاة وقد وضعتها فوق الأخرى فانكمش طول التنورة القصيرة من الأساس فكانت تصل بالكاد إلى منتصف فخذها...

قطعت دنيا حلقة الصمت وسألته بهدوء بارد:

- هتفضل ساكت كده كتير؟

خرج صوته يضج بغضب مكتوم:

- بحاول أفهم إيه اللي حصل النهارده ده؟..

نهضت بغتة من جلستها وواجهته بغضب مماثل:

- أوعى عقلك يوديك لحتة غلط.. أنت عارفني كويس.. وعارف أنه مش أنا اللي أعمل كده..

فك ذراعيه ولم يرد بأي شيء بينما أظهرت عيناه غضب مشتعل.. فرفعت دنيا سبابتها ووكزته بها في صدره عدة مرات وهي تهتف به:

ـ علاقتك بها ما تهمنيش في حاجة.. وبكررها تاني أنا ما اعملش كده.. لو كنت من النوع ده صدقني كانت حاجات كتير اتغيرت وأنت عارف كده..

فك ذراعيه وقلل من تحفزه قليلاً وقد شعر بالندم لأنه جدد جراحها من جديد:

ـ أنا آسف يا دنيا.. بس لازم أفهم.. إزاي أنتِ ونيرة اتقابلتوا وليه؟

ـ نيرة هي اللي اتصلت بيا وحددت الميعاد.. عايزاني أصمم لها فستان الفرح

ـ هه..

قالها بسخرية مستفزة جعلت درجات غضبها ترتفع للسماء فهتفت به:

ـ أظن أني ما كدبتش عليك ولا مرة طول السنتين اللي فاتوا.. ومش هاجي أعملها

النهارده.. وأكيد برضوه هي قالت لك هي كانت معايا ليه.. ولا إيه؟

هدأ غضبه قليلاً وهو يتذكر ثرثرة نيرة في السيارة عن المُصممة التي على وشك دخول أبواب العالمية وعن اتفاقها معها لتصمم ثوب زفافها.. كانت كلماتها تتبخر فوق مراجل غضبه من دنيا فلم يركز في حديثهما إلا قليلاً..

عاد صوت دنيا يهتف به:

- أنت روحت فين؟.. مازن.. أنت لسه مش مصدقني؟..

غمغم بتعجب:

- وإيه اللي يخلي نيرة اللي بتطلب هدومها مخصوص من باريس, تطلب منك تصميم فستانها!

كتفت ذراعيها وهي تجيبه ساخرة:

- ميرسي على المجاملة!

مسح وجهه بكفيه وهو يعتذر ثانية:

ـ أنا آسف.. ما اقصدش..

قاطعته بإشارة من يدها:

ـ بص يا مازن.. أنا هوضح الموضوع عشان مش عايزة أي سوء تفاهم بينا.. نيرة اتصلت بيا الصبح وطلبت تقابلني.. حددت لها ميعاد بعد أسبوع أكون رجعت من سفرية لبنان.. لكن هي أصرت على مقابلة فورية.. وأظنك عارف قد إيه خطيبتك ممكن تكون مقنعة..

لوى شفتيه ببسمة ساخرة بينما أكملت هي:

ـ حددنا الميعاد في النادي لأني مش هقدر أروح الأتيليه النهارده.. وآه.. هي سمعت عن العرض الأخير بتاعي في لبنان وأنت فاكر طبعاً سمَع إزاي.. وكمان في كذا ممثلة مشهورة لبست تصميماتي في المهرجان الأخير.. اسم دنيا الموجي مش أقل من أي مصمم معروف, ومش هسمحلك أنك تقلل من شغلي تاني..

سألها مستفهماً:

ـ طيب ليه وافقتِ تقابليها؟.. طالما عرفتِ هي مين, إيه لازمة المشاكل؟..

أشارت له بسبابتها موضحة:

ـ هي اتصلت بي عشان شغل.. شغلي خط أحمر.. ما فيش أي علاقات هتأثر على شغلي.. أظن إن ده كان ضمن اتفاقنا..

ـ يعني هتصممي لها الفستان؟..

ـ أكيد..

هز رأسه بصمت فهو يعرف كم هي عنيدة ولا تتراجع عن قراراتها وخاصة إن كانت تتعلق بعملها.. أجلى صوته وهو يسألها بتردد:

ـ وطلبت فستان شكله إيه؟

ابتسمت وهي تخبره:

ـ عايزه فستان تبهر بيه عريسها.. وما تحاولش تعرف تفاصيل أكتر..

ارتسمت على وجهه ابتسامة هادئة:

ـ كل اللي هطلبه أن موقف زي بتاع النهارده ما يتكررش تاني.. ممكن؟

هزت رأسها موافقة:

ـ أكيد يا مازن.. صدقني لو كنت أعرف أنك هتقابلها في النادي كنت غيرت مكان المقابلة..

ـ بس ما كنتيش هتبلغيني, صح؟..

أومأت موافقة وهي تلقي بحذائها العالي الكعبين بعيداً.. وتخلع سترة بذلتها لتظهر بلوزة ضيقة بلا كمين حددت معالم فتنتها بدقة وامتدت يدها لتحرر خصلات شعرها الطويل فانسدل كشلال أسود وصل لما بعد خصرها.. وتحركت نحوه بحركات مدروسة حتى اقتربت منه فأمسكت ذقنه بأناملها وهي تهمس:

ـ تؤ.. زي ما قلت شغلي منفصل عننا.. تمام يا حبي..

ورفعت نفسها حتى وصلت لشفتيه فقبلته بشغف.. وهمست له بصوت أجش:

ـ بس طالما إحنا هنا دلوقتِ.. ممكن أسمح لك تقنعني أني أقولك هقابلها تاني امتى؟..

لف خصرها بذراعه وهو يطبع قبلة خفيفة على وجنتها:

ـ مش فاضي دلوقتِ يا دنيا.. أنا متأخر على اجتماع مجلس الإدارة..

لم تسمح له بالابتعاد ولفت ذراعيها حول عنقه:

ـ مازن.. أنا مسافرة الليلة.. و..

قطع كلماتها جرس هاتفه.. فأبعدها قليلاً:

ـ شوفتي.. ده أكيد حاتم بيه.. عايز يخرب بيتي و..

توسعت عيناه وهو يرمق شاشة الهاتف:

ـ نيرة!..

لم يجب على الهاتف حتى سكت الرنين.. فسألته دينا بفضول:

ـ ما ردتش عليها ليه؟..

منحها نظرة لتصمت ولكنها لم تهتم..
وأكملت:

- ممكن تدخل تكلمها من جوه.. ولا أقولك أنا اللي هدخل عشان تكون براحتك.

تعالى صوت هاتفه مرة أخرى.. وقبل أن يغلقه.. أسرعت دنيا وأوقفته بغمزة من عينها:

- النقل صنعة يا بشمهندس.. بس بلاش تزودها.. رد على التليفون براحتك..

فتح مازن الخط ليجد صوت نيرة في أقصى حالات اضطرابه.. فهتف بها بقلق:

- في إيه يا نيرة؟.. اهدي بس وفهميني..

سكت قليلاً ليستمع إلى نبرتها المضطربة ثم طمئنها بهدوء:

- طيب.. خلاص.. ربع ساعة وهكون عندك..

رفع عينيه إلى دنيا فوجدها تبتسم بغموض ثم توجهت نحوه وطبعت قبلة خفيفة على وجنته:

ـ هسلم عليك بقى دلوقتِ لأن طيارتي كمان أربع ساعات.. أشوف وشك بخير..

أحاط خصرها بذراعه وهو يقبلها مودعاً:

ـ أشوف وشك بخير يا دنيا.. أول ما توصلي طمنيني..

أومأت برأسها موافقة وخرج هو ليلحق بموعده مع نيرة.. بينما ارتسمت ابتسامة حزينة على شفتيّ دنيا وهي تغمغم:

ـ يا بختها بيك يا مازن.. يا رب بس ما تكسرش قلبك..

فقد كان يتردد في رأسها باقي جملة نيرة والتي لم تخبره بها..

"عايزة فستان أبهر بي خطيبي.. وأقهر بي خطيبي الأولاني ويندم ألف مرة على أنه فرط فيا"..

****

كان حسن يعمل على إنهاء بعض الرتوش النهائية بإحدى التصميمات التي كلفه بها صاحب المكتب الهندسي عندما جاءته منى بكوب من الشاي وبعض قطع الكيك، ووقفت بجواره وهي تداعب خصلات شعره وتهمس:

ـ حسن.. أنت لسه زعلان؟..

أخفض رأسه فوق لوحته وهو يكتم ابتسامته.. فهي تحاول مراضاته منذ ساعات وهو مستمر في التظاهر بالغضب.. فقط حتى يستمتع بدلالها له..

لفت ذراعها حول كتفه وهي تقترب منه أكثر وتهمس:

ـ أنا مش فاهمة بس مين اللي يزعل من التاني!!.. يعني بعد ما أجهز لك الغدا.. تغضب وتسيب الأكل وكمان مش عايز تكلمني ولا ترد عليّ..

ظل صامتاً ولم تسمع منه أي رد.. فسحبت ذراعها بهدوء وأولته ظهرها وهي تغمغم بحنق:

ـ براحتك.. أنا في الصالة لو..

وقبل أن تكمل كلامها وجدت نفسها تسحب للخلف بسرعة فشهقت بخوف وحسن يرفعها ليحشرها بين جسده ولوحة التصميم.. وهو يخبرها بضحكة مكتومة:

ـ بقى بذمتك الشيء اللي كان في الأطباق ده اسمه غدا؟!..

أخفضت رأسها واحاطت عنقه بذراعيها وهي تخبره بصبر:

ـ يا حبيبي.. دي اسمها بصارة.. وبعدين دي طعمها حلو جداً.. ومفيدة كمان.. أنت قمت وسبت الأكل حتى من غير ما تدوقها!..

جلس حسن من جديد على مقعده وأوقفها بين ساقيه وهو يسألها بتردد:

ـ يعني الشيء الأخضر اللزج ده طعم كويس معقولة؟!.. طيب بتتعمل من إيه البتاعة دي..

ـ من الفول.. و..

قاطعها قبل أن تكمل:

ـ فول!!.. فول تاني!.. هيبقى فول في الفطار والغدا كمان.. ما هو البصارة من الفول والفول من البصارة يا مسعودي..

وكزته في كتفه وهتفت بحنق:

ـ بقى كده يا حسن بتتريق عليّ.. طيب أنا بجد بقى زعلانة.. و..

ضاعت باقي كلماتها بين شفتيه وهو يهمس:

ـ زعلانة يبقى لازم أصالحك.. دي المصالحة هي أحلى حاجة في الزعل..

وضعت رأسها على كتفه وهي تبتسم:

ـ أنت مش هتتكلم جد أبداً..

ـ لا يا ستي هنتكلم جد.. أنتِ تدخلي تغيري هدومك وأنا هعزمك على أحلى عشا.. بدل الغدا النص كم بتاعك..

ابتلعت منى سخريته من الطعام البسيط بدون أن تعلق عليها.. فهي تحاول معه تدريجياً حتى

يكف عن بعثرة الأموال خاصة وأن راتبه مع
العمل الإضافي الذي يقوم به بالكاد يكفي تكاليف
الطعام.. ولولا أن جدته دفعت ايجار الشقة
لهذا الشهر لأصبحا في أزمة بالفعل، وهو
مُصر بعناد شديد على ألا يسمح لها بالعمل..
ولكنها لم تكف عن التفكير في حل لمشكلتهما..
وأخيراً وجدت حلاً معقولاً ولكنها لا تعرف كيف
ستكون ردة فعل حسن عليه.. فكرت قليلاً ثم
همست بأذنه:

ـ طيب أنا عندي اقتراح تاني.. هعملك عشا
أحلى ألف مرة من بتاع بره وهنسهر سوا هنا
لأني عايزاك في موضوع مهم..

غمزها بشقاوة:

ـ تصدقي وأنا عايزك برضوه في نفس
الموضوع ده..

انفجرت بالضحك وهي تتملص من بين يديه:

ـ أشك أنه نفس الموضوع.. على العموم
خلص شغلك هيكون العشا جاهز..

وبالفعل أعدت له عشاء شهي مضحية بما كانت تنوي طهوه لغذاء اليوم التالي.. لكنها كانت ترغب في إرضائه حتى يستمع إليها بهدوء ودون غضب..

وبالفعل كان في مزاجاً رائقاً بعد أن تناولا العشاء.. رقصا معاً وهما يستعيدا ذكريات شهر العسل.. وحينما قاربت الموسيقى على الانتهاء، شعرت منى أن حسن على وشك حملها إلى غرفتهما ليلقنها أحد دروسه اللذيذة.. ابتعدت عنه قليلاً وهي تسحبه إلى الأريكة ليجلسا معاً واضعة رأسها على صدره وهي تداعبه بلطف:

ـ حسن.. عايزة أقولك على حاجة..

أجابها بهمس رائق:

ـ قولي يا حبيبة حسن..

شجعها مزاجه على الكلام فتحدثت بسرعة:

ـ حسن.. أنا فكرت في مكان نعيش فيه.. ما فيش داعي للشقة دي.. وخاصة أنه إيجارها

عالي قوي.. وأنت قلت إنك مش هتقبل فلوس تاني من جدتك..

اعتدل حسن في جلسته وهو يسألها بجدية:

ـ مكان إيه اللي فكرتِ فيه يا منى؟.. إوعي تكوني فكرتِ أننا نروح نعيش عند باباكِ.. ده مستحيل..

ابتلعت منى ريقها فهي تعلم صعوبة ما ستقترحه على نفسه:

ـ حسن أوعدني أنك هتسمعني للآخر.. وهتفكر كويس في اقتراحي..

هز رأسه بحيرة ولكنه أجابها:

ـ أوعدك يا منى..

ـ شوف يا سيدي.. في فوق السطح في البيت عند بابا أوضتين مقفولين.. ما فيش حد بيستعملهم.. أنا أما كنت عندهم آخر مرة طلعت وبصيت عليهم.. لقيتهم محتاجين شغل بسيط.. ووهيكونوا مناسبين..

قاطعها حسن:

- مناسبين لإيه يا منى؟..

- حسن.. اسمعني للآخر.. إحنا لازم ندبر نفسنا وإلا هيجي الشهر الجديد واحنا مش معانا إيجار الشقة دي.. مش عيب ولا حرام لو قعدنا في أوضة فوق السطوح.. أنت دايماً كنت بتقول المهم نكون سوا.. وعشان ده يتحقق لازم نضحي.. أنا عارفة أنك ضحيت كتير وخسرت كتير.. بس معلش يا حسن هنضغط على نفسنا فترة لحد ما الأمور تهدى وتقدر ترجع لشغلك أو على الأقل تمسك شغل مناسب.. أرجوك فكر يا حسن.. أنا مش فارق معايا أني أعيش في فيلا.. أو شقة فخمة أو فوق سطوح..

بدا الامتعاض الشديد على وجه حسن وهو يتصور حياته في غرفة فوق سطح منزل بحي شعبي.. وقرأت منى بوضوح امتعاضه هذا ولكنها لم تيأس..

فاقتربت منه وهي تضع بصوتها كل ما تملكه من دلال وغنج:

ـ عشان خاطري يا حسن.. عشان خاطري.. تيجي معايا نشوفها بس.. وبعدين تقول رأيك..

لم يجد حسن بدأ من الموافقة على رجائها الحار وهو يعتصر عقله بقوة بحثاً عن حل.. عن مكان مناسب ليقيم به هو وزوجته.. بدون أن يرضخ لتهديد والده المستمر.. أو لاغراءاته المستترة.. والتي بدأت اليوم بالذات بعرض مبتذل حمله صاحب المكتب الذي يعمل به.. بموافقة والده على حل وسط.. وهو عودته إلى عمله القديم.. على أن يجعل زواجه من منى زواجاً سرياً..

سمع صوتها المتوسل:

ـ حسن..

ضمها إلى صدره وهو يدفن وجهه بخصلات شعرها:

ـ ماشي يا منى.. هاجي معاكِ بكره نشوف السطوح.. أنا عندي كام منى..

****

خيم الصمت التام على سيارة مازن الذي وضع كل تركيزه في القيادة بينما أخذت نيرة تتلاعب بقماش ثوبها ذو الألوان المتعددة والذي أجبرها مازن على ارتدائه في بداية السهرة.. رمقته بغيظ وهي تتذكر سعادتها وهي تتهادى بثوب سهرة من قماش الشيفون الأبيض له فتحة صدر مربعة.. وقد التصق قماشه بصدرها ثم تهدلت طبقاته حتى نهاية ساقيها.. مع كمين طويلين يكاد يصل طولهما لطول الفستان الأساسي.. كانت تبدو كحورية ملائكية.. ابتسمت بخبث.. بل كانت تبدو كعروس..

خطت عدة خطوات حتى وصلت إلى مازن الذي كان يجلس على الأرجوحة بالشرفة ويوليها ظهره كعادته.. كانت تغضب من حركته تلك في البداية.. إلا أن غضبها قد تحول سريعاً إلى لهفة لترى تلك النظرة بعينيه في كل مرة يلتفت بها نحوها وعيناه تكاد تحتوي ملامحها بنظرة شوق ولهفة.. إلا أنه تلك المرة.. لم يلتفت نحوها.. بل أخبرها بهدوء:

- اطلعي غيري الفستان يا نيرة..

هتفت بدهشة:

- أغيره!.. ليه؟.. أنت حتى ما شوفتوش.. والله مقفول ومش قصير..

شعرت به يبتسم رغم أنها لم ترى وجهه ولكنها سمعته يسألها بهدوء:

- بس أبيض صح؟

ضربت قدمها بالأرض غضباً وهي تهتف بحنق:

- عرفت إزاي؟

هز رأسه وقد ظهرت ضحكته تلك المرة:

- إطلعي غيريه يا نيرة.. وبلاش تلبسي واحد فضي.. الليلة فرح ريناد.. وهي العروسة..

هتفت بعناد:

- مش هغيره..

هز كتفيه وهو مازال يوليها ظهره:

- يبقى مش هنروح الفرح..

عادت تضرب قدمها بالأرض غضباً وهي تلتفت لتصعد إلى غرفتها وتغير ثوبها الأبيض بذلك

الذي ترتديه الآن والذي يضم عدة درجات من اللونين الأزرق والأحمر، ولكنها اختارته تلك المرة عاري الصدر والذراعين والظهر أيضاً.. وكأنها تريد أن تثبت أنها صاحبة الكلمة الأخيرة..

التفتت له وهي تتأمل ملامحه عاجزة عن تفسير مشاعرها نحوه.. لا تنكر وسامته الواضحة.. فهي كانت تراه وسيماً دائماً.. لكن ما يجذبها نحوه ليست تلك الوسامة.. تشعر أنه مثل اللهب.. وهي ترى نفسها لأول مرة

كالفراشة التي تنجذب بدون تفكير نحو شعلة قد تكون سبباً في هلاكها.. ولكن كيف؟.. كيف وهو يمتلك تلك القدرة الغير معقولة على فهمها.. واحتوائها أيضاً.. فلم تنسى يوم اتصلت به وهي في أقصى حالات الاضطراب لظنها بأن دعوة أبيها لفريدة لتناول الغذاء ما هي إلا مقدمة لعودتها الدائمة إلى حياتهم جميعاً.. ولم تهدأ إلا بعد أن اقنعها مازن بالجلوس مع ضيفتها على مائدة الغذاء والقيام بواجبات الضيافة كما يفترض بها كسيدة صغيرة لبيت والدها.. ورضخت نيرة

لطلبه بنزق بعدما وعدها بأن يتواجد معها في
تلك الجلسة.. والتي أدركت بعدها.. أن فريدة
لن تعود لتصبح جزء من أسرتها ثانية.. رغم
استشعارها بغريزتها الأنثوية.. أن فريدة
مازالت غارقة في حب والدها.. إلا أنها كما
بدا واضحاً.. قد قررت أن تتجاوز تلك المشاعر
أو على أفضل تقدير.. تتجاهلها.

أخرجها من ذكرياتها توقف السيارة.. فسألت
مازن بقلق:

ـ هي العربية عطلت ولا إيه؟.. إحنا لسه ما
وصلناش المزرعة؟..

التفت لها وهو يجيبها بهدوء:

ـ المزرعة قريبة قوي.. والعربية سليمة.. بس
أنا حبيت أقولك ما فيش داعي تحكي لعليا على
أي حاجة شوفتيها في الفرح.. يعني الكلام
بتاع البنات ده..

ضغطت على أسنانها بغضب:

ـ هو أنت شايفني معدومة الإحساس للدرجة دي!

ـ ما اقصدش يا نيرة.. بس ممكن الكلام ياخدكوا وتحكي من غير ما تقصدي.. وممكن هي كمان تسأل..

ـ اطمن.. أنا فاهمة كويس.. وعليا مش هتسأل هي أكيد مموتة نفسها عياط دلوقتِ.

أومأ موافقاً وهو يهمس:

ـ مسكينة..

سألته بغضب:

ـ إيه صعبانة عليك قوي؟..

تأملها لثوانٍ ولم يتمالك نفسه من سؤالها:

ـ معقولة.. دي غيرة؟..

تجمدت بالكامل عندما سمعت سؤاله..

غيرة!.. معقول نيرة تغار؟.. تغار عليه؟..

رمشت عينيها بسرعة وهي تحاول.. فهم ما يدور بأعماقها.. ولكنها

لم تجد سوى فوضى مشاعر لم تفهمها.. وقررت ألا تحاول فهمها الآن.. على الأقل.. فقررت تغيير الموضوع..

فسألته:

ـ أنت اتضايقت من الكلام اللي قلته ليزيد وريناد؟..

أدرك أنها تتهرب من سؤاله.. ولكنه مررها تلك المرة وهو يبتسم ساخراً.. متذكراً ملامح يزيد ونيرة تلقي بقنبلتها فوق رأسه قائلة..

"ألف مبروك يا ريناد.. الفستان تحفة.. بسيط ومش مبهرج.. لايق عليكِ جداً.. أنا آسفة كان نفسي اقعد لآخر الحفلة.. بس عليا لوحدها الليلة.. وأكيد حالتها النفسية صعبة.. لازم أروح لها اهون عليها شوية"...

والتفتت إلى يزيد بنظرة صاعقة.. "مبروك يا عريس"

عاد مازن إلى جميلته الجالسة بجواره وهو غير قادر على كتم ضحكاته التي تعالت وهو يتخيل الليلة العظيمة التي ينتظرها يزيد..

تأملته ضحكاته فابتسمت بدورها قائلة:

ـ يعني مش متضايق.. أنا عملت كده عشان خاطر عليا..

رمقها بنصف عين:

ـ خاطر عليا؟!

أشاحت بوجهها بعيداً:

ـ أيوه.. الطلع بقى بالعربية.. عشان اتأخرت عليها..

تأملها للحظات ثم أدار محرك السيارة ليقلها نحو المزرعة.. لتقضي ليلتها مع علياء الغارقة في أحزانها...

****

وصل يزيد وديناد إلى الجناح الخاص بالعروسين والذي قام بحجزه ليقضيا فيه ليلة زفافهما قبل أن ينطلقا في الصباح إلى مدريد لقضاء شهر العسل كما اتفقا من قبل..

حاول يزيد أن يحملها ليدخلا إلى الجناح كما هو متبع ولكنها تخطته ودخلته بمفردها..

خطت عدة خطوات حتى توقفت في منتصف الصالة الخارجية للجناح.. عدة مقاعد تلتف حول أريكة وثيرة.. تتوسط الغرفة عربة طعام رصت فوقها عدة أطباق مغطاة يبدو أنها تحتوي على العشاء.. زجاجة من الشامبانيا توسدت دلو ملئ بقطع الثلج.. الأضواء هادئة وحسية ووريقات من الجوري الأحمر والأبيض تناثرت لتكون عدة قلوب صغيرة متناثرة على أرض الغرفة وتبدو أنها تمتد حتى غرفة النوم.. أجواء مثالية لليلة زفاف حالمة.. كما تمنت يوماً.. ولكن.. ولكن ليس الليلة...

جالت عيناها في كل ركن بالجناح ماعدا المكان الذي وقف به يزيد الذي وقف يتأملها بفستان زفافها.. كانت جميلة.. مبهرة برقي خاص بها فقط.. شعرها جمعته خلف رأسها في تسريحة راقية.. وتناثرت زهيرات بيضاء صغيرة بين خصلاته.. زينة وجهها كانت بسيطة بخلاف المعروف عن زينة العروس..

فملامحها التي تميل للجمال الغربي لم تكن تحتمل الزينة الكثيفة.. لم تستخدم طرحة زفاف.. فلم تكن تتماشى مع الثوب الذي اختارته بعناية ليحدد معالم جسدها المغرية. حيث احتضن جزئه العلوي صدرها وغطى ذراعيها بقماش التول الخفيف المطعم ببعض وردات من الدانتيل الأبيض أحاطت عنقها ونهديها بحميمية لتترك ظهر الفستان عارياً بالكامل بينما التف جزئه السفلي حول جسدها بإحكام وأحاطت خصرها بزنار ذهبي رفيع..

تصادمت نظراته -التي تظهر تأثره بالجمال الخارق الذي تجسده- مع نظراتها الباردة والتي تحمل حيرة شديدة ممزوجة بالعديد من الأسئلة والتي سيبيتها بالطبع جملة نيرة المقصود منها إثارة المتاعب..

قرر تجاهل هالة البرود المحيطة بها واقترب منها بهدوء طابعاً قبلة رقيقة على جبهتها تقبلتها بسكون مما شجعه أن يحيط خصرها بذراعه ليوزع قبلات صغيرة على وجهها حتى

وصل لشفتيها فأخذهما في قبلة عميقة وهو يهمس في أذنها:

ـ مبروك.. يا ريناد.. يا أحلى وأرق عروسة..

تجاوبت ريناد مع قبلاته في البداية تحاول أن تجاري شغفه الواضح.. ولكن جملة نيرة عادت تدق في أذنيها كنواقيس عالية التردد.. فدفعته عنها فجأة وارتدت للخلف تحتضن نفسها بذراعيها وهي تهز رأسها برفض أصابه بالحيرة فقد كانت تتجاوب معه منذ قليل ولكنها

فجأة سحبت نفسها منه وقد ظهر الرفض على كل ملمح من وجهها..

حاول أن يخطو خطوة نحوها ولكنها أوقفته بإشارة من يدها واستمرت حركة رأسها الرافضة.. فحاول طمأنتها:

ـ ما تقلقيش يا ريناد.. ما فيش داعي للخوف..

انطلق سؤالها فجأة بدون إرادة منها:

ـ جوازكوا صوري فعلاً؟

قطب يزيد حاجبيه وهو يسألها بهدوء:

ـ تفتكري ده وقت السؤال؟

تمالكت ريناد نفسها قليلاً ورفعت ذقنها بكبرياء:

ـ إيه.. عايز تعيش دور العريس؟.. يعني ما عشتوش قبل كده!

ـ ريناد.. أنا طلبت قبل كده أنك تستفسري على أي حاجة وأنتِ رفضتِ.. والليلة جاية تسألي!

ـ أنت قلت لي أنك هتجاوبني في أي وقت..

اقترب منها متجاهلاً إشارتها له بالابتعاد وأمسك كتفيها بيديه:

ـ ريناد.. الليلة فرحنا.. ليلة بينتظرها كل عريس وعروسة.. أوعدك أرد على كل أسئلتك بعدين..

نفضت يديه عنها.. وعادت تبتعد عنه من جديد وهي تتمتم بوضوح:

ـ وأنت زي كل عريس كنت منتظر ليلة فرحك؟.. بس المهم فرحك على مين فينا؟..

ـ ريناد..

عادت تهتف:

ـ صوري ولا حقيقي؟..

زفر بحنق وهو يفك ربطة عنقه ويخلع سترته ليلقي بها بعشوائية.. واتجه نحو نافذة الغرفة ليفتحها يعب من الهواء النقي.. برغم وجود التكييف البارد إلا أنه شعر بإختناق شديد..

استند بكفيه على زجاج النافذة المفتوحة وهو يسأل بدون أن يلتفت نحوها:

ـ كل ده تأثير كلمة نيرة؟

عادت تكرر وبدت كما أنها لم تسمعه:

ـ صوري ولا حقيقي؟..

أجابها بتردد:

ـ ريناد..

والتفت ليواجهها ليفاجئ بزجاجة الشامبانيا تطير بالقرب من أذنه وترتطم بالإطار المعدني للنافذة لتسقط مهشمة إلى قطع صغيرة ويسيل السائل الذهبي على قدميه..

رفع عينيه اليها بذهول.. فتلك الواقفة أمامه بخصلاتها الذهبية القصيرة.. والتي تناثرت حول وجهها ولمعت عينيها الذهبية بلمعة شيطانية لم تكن تشبه ديناد التي يعرفها بشيء.. كانت صورة لامرأة مثيرة للغاية.. ولكنها مرعبة للغاية أيضاً..

ـ ديناد..

قالها متردداً.. ولكنها ابتسمت ساخرة بمرارة:

ـ خلاص يا يزيد.. أنت جاوبت.. ويا ترى بقى الجواز مؤقت برضوه زي ما فهمتني؟

أخذ نفساً عميقاً قبل أن يقول:

ـ أنا ما قلتش أبداً أنه مؤقت.

ـ بس ما قولتش أنه مستمر.

زفر بحنق:

ـ أنتِ سمعتِ اللي كنتِ عايزة تسمعيه.. وصدقتِ اللي كنتِ عايزة تصدقيه..

وصفق يديه ببعضهما وهو يكمل:

ـ واخترتِ اسوأ وقت عشان تواجهي الحقيقة..

هزت رأسها بغضب:

ـ لأنها ليلة الفرح اللي كنت منتظرها، صح؟..

رد بدون أن يعي ما يقوله:

ـ لأن وقت التراجع فات!

برقت عيناها بألم عاصف ووجدت شفتيها تصرخان:

ـ طلقني..

مسح وجهه بكفه وهو يشيح برأسه بعيداً:

ـ ادخلي نامي يا ريناد.. عندنا طيارة الصبح..

التفتت لتمسك إحدى المزهريات المنتشرة في الجناح لتلقي بها نحو واحدة من المرآة المعلقة على الحائط خلفه وتتناثر قطع الزجاج في كل مكان مرافقة لصرختها:

- طلقني بقولك.. سامعني ولا لأ!..

لم يرد عليها وحاول أن يتحرك نحوها.. ولكنها أسرعت لتلتقط مزهرية أخرى لتلقي بها نحوه تلك المرة فاضطر للانحناء حتى يتفاداها.. وقبل أن يعتدل وجد وسادة طائرة ترتطم بوجهه بعنف.. وريناد ما زالت تصرخ:

- طلقني يا يزيد..

هتف بها بغضب:

- اعقلي يا ريناد.. بلاش جنان.. أنتِ عارفة إيه معنى واحدة تطلق ليلة فرحها..

اعتصرت عينيها بقوة حتى لا تتساقط دموعها أمامه وقد تغلغلت جملته بين خلايا عقلها.. فكتفت ذراعيها بقوة وهي تقول بعنف:

- طلقها هي..

تنهد يزيد بقوة وهو يخبرها بهدوء قاطع:

- لأ..

برقت عيناها بغضب شديد وهي تلتفت حولها بجنون.. لتتناول كل ما تطاله يديها وتلقي به نحوه.. أو في المكان التي كانت تظن أنه واقف به فهو تحرك بعيداً عن مرمى أهدافها الطائرة ولكن الدموع التي كانت قد بدأت تتساقط من عينيها متمردة على إرادتها أعمت عينيها وأسالت زينتها على وجهها فلم تعد ترى أي شيء حولها سوى الغضب الحارق.. استمرت بتحطيم كل ما طالته يداها حتى تجمدت فجأة عندما لمحت نفسها في المرآة..

اقتربت قليلاً لتتأمل وجهها في المرآة المحطمة.. فشهقت بعنف وهي ترى مسخ لامرأة كانت فاتنة منذ دقائق قليلة.. فعيونها حمراء.. جفونها محتقنة بشدة.. والكحل الأسود حفر خطوط سوداء على وجنتيها.. طلاء شفتيها اختفى ولم تعد تذكر السبب.. وخصلاتها مشعثة وثائرة كعش طائر صغير..

سحبت نفساً عميقاً وتوجهت برأس مرفوعة نحو غرفة النوم وأغلقت الباب خلفها بشدة بدون أن تلقي نحوه نظرة أخرى... غابت

قليلاً.. وعندما خرجت من جديد سمعت شهقة يزيد المكتومة وتنفسه السريع.. فابتسمت بسخرية وهي تدرك أنها حققت ما تريد.. فقد اختارت أقصر ثوب للنوم وأكثرهم إثارة وارتدته وحده بدون الروب الخاص به.. مشطت شعرها بسرعة.. لمسة أخيرة من طلاء شفاه أحمر قاني كالغضب الذي يتقافز أمام عينيها.. وانهت مظهرها برشة عطر تعلم أنه يفضله.. كادت أن تصيبه بأزمة قلبية.. وهي سعيدة بذلك فهو يستحق فقد مرغ كرامتها وكبريائها في الوحل.. بين أحضان

تلك الحقيرة التي فضلها عليها.. لمحت عينيه تلتهم كل جزء من جسدها.. وتجري عليه بسرعة.. وشعرت بذبذبات الرغبة تشع من حوله بقوة.. فاتسعت ابتسامتها

وهي تجذب عربة الطعام وتكشف الأطباق واحداً تلو الآخر وتتناول طعامها بهدوء وتلذذ وسط حطام الجناح وتحت نظرات يزيد المذهولة.. أنهت طعامها سريعاً.. وتوجهت نحو غرفة النوم لتتوقف في منتصف المسافة وهو يسألها:

ـ على فين؟!

هزت كتفيها بلامبالاة:

ـ هدخل أنام عندنا بكره الصبح طيارة..

اختفت من أمام عينيه وتجمد هو حائراً.. هل يلحق بها أم يقضي ليلة زفافه على الأريكة.. صوت المفتاح الذي دار ليوصد بابها منحه الإجابة سريعاً فيما وصلت لأذنيه صوت طرقات على الباب.. فاتجه ليفتحه ووجد أحد عمال الفندق ينظر له بحرج وهو يخفض عينيه أرضاً:

ـ أنا آسف يا فندم.. أنا عارف أن الليلة فرح سعادتك.. ألف مبروك.. وربنا يسعدك ويقويك.. بس النزلاء اللي في باقي الدور بيشتكوا من الدوشة..

ألقى الرجل كلماته بحرج شديد ليفاجئ بأغرب رد فعل من يزيد الذي انفجر ضاحكاً بهيستريا...

الفصل الخامس عشر

تمدد يزيد على فراشه بأحد أشهر فنادق مدريد.. فندق ذو مبني أثري يعود للقرن الثامن عشر.. قام بالحجز به خصيصاً بعد اكتشافه هوس ريناد الحديث بالأنتيكات والتحف, ولكن الغريب أنه لم يلاقِ استحسانها على الإطلاق.. ولولا وجود التسهيلات والكماليات الحديثة.. من ساونا.. وقاعات للمساج والتجميل وبعض محلات الملابس ذات الماركات المعروفة لأصرت على ترك الفندق..

انتبه لها تخرج من الحمام وقد ارتدت بنطال جينز ضيق وفوقه قميص كريمي من الشيفون المبطن.. وجمعت شعرها للخلف مع زينة خفيفة جداً.. جاهد ليلملم بعض اللهفة نحوها ويظهرها على وجهه وهي تقترب منه وتطبع قبلة خفيفة على شفتيه لتخبره ببساطة:

ـ حبيبي.. أنا نازلة عندي جلسة مساج..

ـ تاني يا ريناد.. امبارح ساونا والنهارده مساج..

هزت كتفيها بلامبالاة:

- وإيه يعني.. هو مش شهر العسل ده عشان الاستجمام!

زفر بضيق:

- أيوه نستجم سوا.. نخرج سوا.. مش كل واحد لوحده..

رمقته بنظرة قاتلة.. ثم أخبرته بهدوء:

- بعد المساج، أنا هروح أعمل شوبينج.. تحب نتقابل على العشا؟.. أقولك ابقى كلمني ونتفق.. باي..

وخرجت من الغرفة تتهادى بحذائها العالي الكعبين بينما ترافقها نظراته الحانقة.. فبعد ليلة زفافه المدمرة ظهرت في صباح اليوم التالي بأبهى صورة لها.. وتعاملت معه وكأن الليلة السابقة لم تمر بهما أبداً.. لم يكن بحاجة لكثير من الذكاء ليدرك أن تحولها ذاك لمحادثة تليفونية طويلة أجرتها مع والدته

ووالدتها.. لم يعرف بتفاصيل المكالمة بالطبع.. ولكن وصله نتيجتها.. وهي استعدادها الكامل للاستمرار في زواجهما بكل ما تعني الكلمة من معنى..

لم يعرف لم أصابه ذلك بالقلق على علياء وخاصة من والدته التي بالتأكيد وصلتها حقيقة الزواج.. الآن هو في مدريد غير قادر على حمايتها كما يجب.. وحتى والده لن يستطيع محادثته فهو بالكاد يحادثه منذ ذلك الصباح في غرفة المكتب بالمزرعة.. ولن يستطيع مطالبته بالحفاظ على علياء وحمايتها من والدته.. فذلك كفيل بخلق مشاكل لا حصر لها بين والديه..

لذا فقد قام بالشيء الوحيد الممكن وهو مطالبة نيرة_عن طريق مازن بالطبع_ أن تقنع علياء بالإقامة معها.. لحين عودته.. وهو ما رحبت به نيرة بشدة, فهي بحاجة إلى علياء لمساعدتها في تجهيزات زفافها.. وها هو الآن يحاول الاتصال بها.. للمرة المائة أو أكثر فقد تعب من كثرة العد.. ولكن كما توقع

هاتفها مغلق.. متى وكيف تعلمت الصغيرة تلك القسوة؟.. إنه فقط يريد الإطمئنان عليها.. لم تحرمه حتى من صوتها؟.. مشتاق لها بشدة.. يحتاج فقط لسماع صوتها وهي تهمس باسمه.. لا يدري تفسيراً لمشاعره.. حاول كثيراً أن يجد مسمى لما يشعر به نحوها.. أو حتى نحو ريناد.. الذي ازداد ارتباطه بها بعد اكتمال زواجهما.. ولكنه لم يجد تفسيراً لمشاعره المرتبكة..

لا ينكر أن علياء تشعل مشاعره وجسده وتصل به إلى حالة مسكرة من النشوى لم يعرفها إلا معها.. ولكن قد تكون صدمة ريناد بما أخبرها به في ليلة زفافهما هي ما تجعلها تعامله بذلك الجمود البارد.. جمود يفقد وصالهما لذته.. ويقضي على لهفته الطبيعية نحوها كامرأة جميلة.. جميلة جداً في الواقع.. ولكن.. ولكنها تريده, بل تطالبه-حتى في أقصى أوقاتهما حميمية- أن يعاملها كتحفة نادرة وثمينة.. غير قابلة للمس.. فما

بالك العبث بها.. وكأنها تتعطف عليه بوجودها في حياته..

مرت بذهنه ذكرى أول قبلة لهما..
فهمس.."كماء البحر..."

زفر بحنق وقد تاق لتواصل حقيقي فحاول مرة أخرى الاتصال بعلياء.. ليقابله نفس الرد.. الهاتف مغلق.. لذا قرر الاتصال بمازن.. الذي أجاب على هاتفه بعد فترة.. وهو يضجع على مقعده براحة ويمد قدميه أمامه على مكتبه:

_ مبرووك يا عريس.. حلوة مدريد صح؟

رد يزيد بحنق:

_ أنت بتستهبل يا مازن!.. مش بترد على تليفونك ليه؟

ضحك مازن باستمتاع:

_ آسف.. كنت بسلم على نيرة وعليا قبل ما يمشوا!..

قفز يزيد من فراشه وهو يهتف:

_ إيه!.. علياء عندك؟.. خليها تكلمني!

ـ عندي فين يا عريس!!.. بقولك روحوا خلاص.. هيعدوا على دنيا في الأتيليه..

وقبل أن يكمل مازن جملته سمع صراخ يزيد:

ـ دنيا!!.. دنيا دنيا!..

ـ أنت اتجننت يا يزيد؟.. هو إيه اللي دنيا دنيا؟!

هتف يزيد بغضب:

ـ مازن.. ابعد علياء عن دنيا.. أنا مش فاهم أنت موافق ازاي أن نيرة تتقرب منها!

أجابه مازن بغضب مكتوم:

ـ ما تتدخلش يا يزيد..

صرخ يزيد بغضب حارق:

ـ ما اتدخلش ازاي؟!.. بص أنت حر.. أنا ما يهمنيش غير علياء.. ابعدها عن دنيا.. وأنت حر مع خطيبتك..

أجابه مازن بغضب مماثل حاول التحكم فيه:

ـ ويا ترى العروسة سمعاك وأنت بتصرخ وبتقول أنه ما يهمكش غير عليا..

أجابه يزيد بنفس رده السابق:

ـ ما تدخلش يا مازن..

ـ ماشي يا يزيد.. كنت محتاج حاجة تانية؟..

سأله يزيد:

ـ طيب هي شافت الشقة اللي أنت قلت لي عليها؟..

ـ لا..

زفر يزيد بغضب:

ـ ليه؟.. أنا مش فاهم إيه نوبة التمرد اللي جات لها دي؟.. أكيد كله من نيرة.. ما هي أصلها عايشة في دور حماتي!..

ـ أنت غبي يا يزيد.. ليه بتسميه تمرد؟.. ببساطة هي عايزة تشوف الشقة معاك.. أظن ده حقها..

صمت يزيد للحظات ثم سأله بصوت هامس:

ـ وهي أخبارها إيه.. وحالتها؟.. نفسيتها عاملة إيه؟.. بتعيط ولا..

قاطعه مازن بسرعة:

_ حيلك.. حيلك.. وأنا هعرف ده كله ازاي.. أنا بس عرفت موضوع الشقة من نيرة..

_ ماشي يا مازن.. بس أرجوك تاني أبعدها عن دنيا.. أنا مش ناقص تلعب في دماغها..

_ حاضر يا يزيد.. هحاول..

أغلق الخط مع يزيد وهو يفكر في قلقه من علاقة علياء بدنيا.. يدرك قلق يزيد من تلك العلاقة.. فدنيا بطبيعتها الودودة والمنفتحة قد تقص على علياء قصتها.. وذلك لن يكون في مصلحة يزيد على الاطلاق...

****

تكومت منى على أحد المقاعد الوثيرة وهي ترمق شاشة التلفاز بشرود.. شرود حزين وغاضب, فالتوتر بينها وبين حسن على أشده.. خاصة بعد اتهامها له بالصبيانية أمام رفضه المتعنت لاقتراحها بالانتقال إلى غرفة السطح فوق منزل والدها.. وصراخه عليها وقتها..

ـ أنتِ يا منى مش حاسة أنا بتعذب وبتبهدل قد إيه.. وجاية تقترحي عليّ حل تعجيزي..

رددت بذهول:

ـ أنا يا حسن مش حاسة بيك!!.. ده اللي أنت شايفه.. اللي أنت حاسه؟

زفر بحنق:

ـ يا منى.. افهميني.. أنا ضهري بيتحني على لوحة الرسم 18 ساعة في اليوم.. وفي الآخر حتى مش اسمي اللي بيظهر على

التصميم.. ده غير التصليحات اللي بعملها لباقي المهندسين في المكتب.. ونزولي المواقع.. وبعد ده كله صاحب المكتب بيرمي لي الفلوس كأنه بيعطيني حسنة..

أغمضت عينيها تحاول حبس آلامها مع دموعها:

ـ وأنا مقدرة ده كله..

قاطعها قائلاً بغضب:

ـ عارف أن الفلوس قليلة وأنه ناقصك كتير.. وعارف أني مقصر.. كفاية أني مش قادر أعملك بيت ليكي لوحدك.. يكون بتاعك.. بس أنا حاسس أني باحرت في بحر.. شغل ليل ونهار من غير فايدة.. بس اعمل ايه؟.. قولي الحل؟..

حاولت مقاطعته لكنه أكمل بغضب حاد:

ـ والحل مش السكن في أوضة فوق سطوح.. ده حل ما ينفعنيش.. وما تقوليش أني مرفه أو بدور على الحاجة السهلة.. لأني لو كنت كده، كنت قبلت..

قطع كلماته فجأة وعاد ينفث أنفاسا غاضبة.. مما جعل منى تسأله بوجل:

ـ كنت قبلت إيه يا حسن؟.. أنت مخبي عني حاجة؟..

أشاح بوجهه عنها:

ـ ما فيش يا منى.. أنا اتأخرت ولازم أنزل الشغل..

هتفت به:

ـ حسن ما تهربش مني..

ـ أنا ما بهربش.. بس اتأخرت.. الساعتين اللي ضيعتهم على حاجة مالهاش لازمة.. هعوضهم أربع ساعات في المكتب..

صرخت بغضب وصوتها يرتفع للمرة الأولى:

ـ لا مش هتنزل.. مش هتنزل إلا لما أعرف.. أنت مخبي عني إيه..

رد بحزم غاضب:

ـ صوتك عالي يا منى..

ـ أيوه يا حسن.. لازم يعلى علشان تسمعني..

ارتفعت نبرة صوته قليلاً:

ـ سامع.. وعارف وفاهم.. وبطحن في الصخر عشان أوفرلك..

قاطعته غاضبة:

ـ ما تقولش أوفرلك.. زي ما أكون باتعمد اطلب منك طلبات فوق طاقتك.. أنت اللي..

سكتت وأمسكت لسانها.. فقد أوشكت على اتهامه بانعدام المسئولية.. والدلال.. لكنه فهم ما كانت تنوي قوله.. فرمقها غاضباً:

_ أنا اللي..!!.. بعد ده كله أنا اللي... وهو عشان أثبت لك رجولتي.. وتحملي للمسئولية لازم أوافق أعيش في..

كان دوره ليسكت.. هو الآخر.. فهو كان على وشك إهانتها وإهانة المكان الذي يقيم به والدها.. ومن الألم البادي في عينيها..

أدرك أنها فهمت ما لم يقله.. فهمس معتذراً وهو يمد يده لها بتوسل:

_ منى..

لكنها نفضت يده بعيداً وهي تخبره بجمود:

_ أنت اتأخرت على شغلك يا حسن..

عاد يهمس:

_ خلينا نتفاهم..

أجابت وهي على نفس جمودها:

ـ مع السلامة يا حسن..

تركها وخرج بسرعة ولأول مرة يتجاهل معانقتها قبل خروجه..

ابتسمت بحزن وهي تعود لواقعها.. فحسن مازال على عناده وغضبه ورفضه للخضوع للواقع نهائياً.. وهي.. رغم ذلك الهاجس الذي بدأ يراودها بأنه بدأ يمل.. ييأس.. يتسرب من بين يديها.. إلا أنها قررت ألا تبادر بمراضته تلك المرة.. ليس قبل أن يختار على أرض الواقع ماذا يريد بالفعل..

****

وصل يزيد ومعه ريناد إلى فيلا والدته التي استقبلته بشوق كبير.. وعتاب أكبر وهي تهمس له:

ـ ضحكت عليّ يا يزيد.. استغفلت أمك..

قاطعها يزيد بتوسل:

ـ ماما.. أرجوكِ.. مش وقته الكلام ده..

ربتت على كتفه:

ـ ماشي يا حبيبي.. هنأجل الكلام..

ثم عانقت ريناد وهي تسألها بمودة عن رأيها في مدريد.. وماذا رأت هناك.. وانخرطتا معاً في حديثٍ هامس سبب قلق متصاعد ليزيد وقبل أن يستفهم عما تتحدثا بشأنه.. دخل والده إلى الغرفة ورحب بريناد بجفاف.. والتفت إلى يزيد:

ـ عايزك في المكتب يا يزيد..

ثم خرج بسرعة مثلما دخل فلم يجد يزيد بداً من الذهاب خلفه.. بينما همست سهام لريناد:

ـ ما تقلقيش.. أنا أقنعت عصام.. وهو هيكلم يزيد.. وأول ما تبعدوا.. أنا هنفذ اللي اتفقنا عليه.. المهم هو كويس معاكِ؟

اومأت ريناد موافقة:

ـ أيوه.. هو كويس..

وأكملت بداخلها.. "بس هو مش معايَ"..

دخل يزيد خلف والده إلى مكتبه.. ليفاجئه بسؤال سريع وصريح:

ـ أنت بتروح عند عليا المزرعة؟..

رد يزيد بصراحة:

ـ أيوه..

ـ ليه؟..

رفع يزيد أحد حاجبيه ولم يجب بشيء.. خبط والده على المكتب بقوة وهتف به:

ـ ومش مكسوف من نفسك يا أخي.. يعني أنت اتجوزتها عشان كده.. عشان..

قاطعه يزيد بسرعة:

ـ علياء مراتي.. وما فيش حاجة تخليني انكسف.. وجوازي بيها معلن.. وشقتها موجودة.. لسه بس تيجي تشوفها..

سأله والده:

ـ ومراتك؟..

ـ ما أنا لسه بقول أنها مراتي.. هو أنا أنكرت..

رمقه أبوه بنظرة غامضة.. فاستدرك يزيد:

ـ آه حضرتك تقصد.. ريناد؟.. أنا فهمتها أن جوازي من علياء حقيقي ومستمر.. وتقريبا الوضع استقر..

ـ لا طبعاً.. الوضع مش مستقر ولا هيستقر.. بص يا بني.. عليا مراتك آه.. ومش هينفع يكون في تراجع.. بس البنت لسه صغيرة.. ومشاعرها بتغلبها.. ومش بتحكم عقلها.. ظهورك المستمر قدامها ووجودك جنبها.. والأكتر من كده معاملتك لها كزوجة.. مش في مصلحتها.. ولا مصلحتك.. ده غير أنك عقدت الوضع بإصرارك على جوازك من بنت خالتك.. وما فيش حد هيقدر يبني بيتين مع بعض وفي نفس الوقت..

ـ يعني إيه يا بابا.. مش فاهم؟..

ـ ابعد عن عليا.. سيب لها وقت تكبر فيه ومشاعرها تنضج.. وأنت ركز مع ريناد طالما تمت الجوازة..

هتف يزيد بغضب:

ـ أنا مش هطلق علياء.

_ وأنا ما قولتش تطلقها.. أنا بقول تبعد.. وتعطوا نفسكوا فرصة.. أنتوا التلاتة.. لأن الوضع كده استحالة يستقيم.. شوف.. أنا هفتح فرع جديد للشركة في دبي.. وبعد تفكير قررت أنك تسافر تباشر تأسيس الفرع من البداية..

_ أبوه يا بابا.. بس..

_ ما فيش بس.. ده حل كويس.. مؤقت على الأقل.. البنت وراها كلية لازم تشوف مستقبلها.. وأنت عندك زوجة ظلمتها في طريقك.. وده أفضل حل قدرت أتوصل له...

حاول يزيد مناقشة والده:

_ أنا مش همنعها من كليتها.. وهعطيها كل الوقت اللي محتاجاه.. و..

قاطعه والده:

_ أنت روحت لها المزرعة كام مرة بعد كتب كتابكوا؟..

احتقن وجه يزيد وأخفض عينيه حرجاً..

فأكمل والده:

ـ ده قصدي.. أنت مش سايب لها فرصة أنها تتحكم في مشاعرها وتفكر في حياتها.. وأنت كمان محتاج أنك تهتم بريناد أكتر.. مش لازم نكرر مأساة قديمة..

رفع يزيد عينيه لوالده.. فتبادلا نظرات متفهمة لثوانٍ.. أجاب يزيد بعدها:

ـ هفكر يا بابا.. أوعدك هفكر كويس.. عن إذنك...

****

أراحت علياء رأسها على للخلف وأغمضت عينيها لتسترخي على فراشها قليلاً.. فالليلة سيعود يزيد من سفره.. صححت لنفسها وهي تبتسم بمرارة

"هيرجع من شهر العسل"..

سقطت دمعة على وجنتها تلتها أخرى وأخرى.. فهي أخيراً سمحت لنفسها بالتفكير به.. وبزواجه.. وسفره.. واتصالاته التي لا تنقطع ولكنها ترفض الاجابة عليه.. أو بمعنى

أدق.. نيرة أجبرتها على رفض مكالماته بعدما
سرقت منها هاتفها خفية.. ولم تمانع عليا
كثيراً.. فهي مدركة لضعفها الشديد نحوه..
ولن تحتمل أن تكون معه على الهاتف بينما
ريناد بجواره فعلياً.. مدركة هي لمشاعر
الغيرة التي تعصف بكيانها.. والتي تصور لها
مشاهد ولقطات حية ليزيد مع ريناد.. تلك
المشاعر التي تدفعها للبكاء كل ليلة حتى تسقط
في نوم مرهق مليء بصور له معها هي.. صور
تعذبها وتطحن مشاعرها بقسوة.. فتستيقظ
باكية ضعفها وحبها وقلبها الأحمق الذي

ينتفض لكلمة منه.. ولولا انشغالها مع نيرة
الفترة الماضية لجنت شوقاً له وغيرة عليه..

اليوم فقط أعادت نيرة لها الهاتف لتفاجئ
بكم المكالمات والرسائل التي أرسلها لها..

ابتسمت بهيام وهي تقرأ رسائله التي تشي
بمدى افتقاده واشتياقه لها.. ثم ما لبثت أن
قطبت حاجبيها بغضب.. هل معنى هذا أنه
سيفتقد ريناد عندما يتواجد معها هي؟..

داعبت أناملها الدمعة الماسية المعلقة بعنقها.. وتذكرت جنون يزيد بها لتهمس لها برقة..

"يا ترى وحشك زي ما وحشني.. وحشتني ابتسامته.. وضحكته وحشني حبه.. وقلبه وجنانه.. حتى الشيزوفيرنيا بتاعته وحشتني!"..

ضحكت في صمت وهي تسترجع كلمات نيرة لها قبل أن تقلها إلى المزرعة..

"البسي يا علياء وظبطي نفسك.. احنا اشترينا هدوم كتير حلوة اليومين اللي فاتوا.. احرقي مشاعره ولعبها.. وما تخليهوش يطول منك حاجة.. لوعيه شوية خليه يحس بقيمتك"..

هزت رأسها في يأس, وهي تعلم صعوبة اتباع نصيحة صديقتها.. فكيف تستطيع إلهاب مشاعره بينما مشاعرها هي تغلي في انتظار رؤيته من جديد..

نهضت من فراشها ببطء, وأخذت تتأمل ثيابها الجديدة.. وبعد طول تفكير سحبت إحدى

الغلالات الناعمة لترتديها، ووقفت تتأمل صورتها المنعكسة في المرآة بذهول.. فأمامها كانت امرأة مغرية ترتدي غلالة شفافة بلون السماء، ذات فتحة صدر واسعة وظهر عاري تماماً.. غطته خصلاتها السوداء الطويلة.. بينما اتسعت عيناها بخوف وهي تحدث نفسها بحنق..

"معقولة.. ألبس حاجة زي دي.. ده حتى قلة أحسن"..

وعلى الفور بدلت ثوب النوم المغري بمنامة قطنية قصيرة بيضاء اللون ذات حمالات رفيعة على الكتفين ومطبوع عليها صورة كبيرة لتويتي.. استعرضت نفسها مرة اخرى في المرآة.. وهي تحدث نفسها..

"ايوه كده.. دي علياء اللي أنا عارفاها"..

عادت تستلقي على فراشها وهي تتساءل إذا كانت ستراه الليلة.. فما أن علمت بموعد عودته حتى أصرت على ترك فيلا نيرة والعودة إلى المزرعة.. هاجس خبيث تملكها لتعلم

مدى لهفته لرؤيتها.. هل سيأتي للمزرعة على الفور أم سيرابط جوار زوجته الأخرى.. وإذا أتى كيف تستقبله؟.. هل تعبر عن شوق أم غضب؟.. احتضنت دمية محشوة على شكل تويتي وتاهت في وسط أفكارها لتسقط في نوم عميق فلم تشعر بسيارة يزيد عند وصوله وصعوده الدرج الداخلي بسرعة.. ليصل إلى غرفتها فيفتح الباب بهدوء.. يريد مفاجأتها..

ليفاجئ هو بها مستغرقة في نوم عميق.. تساءل للحظات إذا كان والده محق.. ويجب عليه الابتعاد عنها ليترك مشاعرها لتنضج قليلاً..

ولكن متى استمع يزيد لصوت العقل!!..

تحرك ببطء ليندس بجوارها في الفراش متذمراً من صغر حجمه.. ألصق ظهرها بصدره الضخم ليضم جسدها بين ذراعيه متغلباً على حجم الفراش الطفولي.. همس بأذنها لتستيقظ ولكنها تململت بانزعاج ولم تفتح عينيها..

إزاح خصلاتها برقة ليكشف جانب عنقها لاثمة إياه ببطء ممتع وهو يهمس مرة أخرى:

ـ عمري ما شفت فراشة نومها تقيل كده!..

عادت تتململ مرة أخرى وهو لم يرحم نعاسها.. وظل يطبع قبلاته على طول عنقها باحثاً بشفتيه عن ماسته الدامعة.. وأخيراً وصلت شفتيه لمبتغاها فعانق الماسة الصغيرة بشفتيه وهو يهمس مرة أخرى:

ـ علياء..

شعر بها تتحرك بين ذراعيه.. فرفع رأسه لتواجهه عينيها.. وقد تحولت زرقة السماء بهما إلى لون منتصف الليل.. رمشت عدة مرات كأنها تتأكد من حقيقة وجوده بجوارها.. وابتلعت ريقها بارتباك وهي تهمس بضعف:

ـ حمد لله على السلا..

لم يدعها تكمل كلماتها فضاعت بين شفتيه وهو يتناولهما بشوق هامساً:

ـ دوختيني.. روحتلك عند نيرة ما لقتكيش..

همست بدورها:

ـ أنا.. قلت استناك هنا أحسن..

طبع قبلة خفيفة على شفتيها:

ـ ذكية..

عاد يقبلها من جديد ويديه تتحسسان جسدها بحميمية بدأت تعتادها منه ولكن يده اصطدمت بدمية توبتي.. فرفعها بيده في ذهول:

ـ إيه ده؟..

أجابته ببراءة:

ـ ده توبتي.. بتاعي..

رفع أحد حاجبيه بتعجب وأمسك بالدمية ليلقي بها بعيداً.. وهو يهمس بتملك:

ـ ما حدش ينام في سريرك غيري..

رمقته بذهول وقبل أن ترد عليه كان قد لمح الرسمة على منامتها.. وفي ثوانٍ كان صوت تمزيق الحمالات الرفيعة يدوي بالغرفة.. لتلحق المنامة بالدمية الصغيرة.. فلا شيء يشارك يزيد فراش زوجته.. لاشيء على الاطلاق..

*****

لمسات خفيفة شعرت بها تتنقل على عينيها ووجنتيها وشفتيها لتعود إلى عينيها مرة أخرى.. ففتحتهما لتجد يزيد يبتسم لها مشاكساً:

ـ بقى لي ربع ساعة باصحي فيكِ..

تململت علياء بين ذراعيه ولكنه لم يسمح لها بالابتعاد عنه فابتسمت بخجل وهي ترمش بعيونها عدة مرات وتضغط بكفيها على كتفي يزيد هامسة:

ـ أنت حقيقي!..

داعب أنفها بأنفه وهو يهمس له بعتاب مصطنع:

ـ أكيد الليلة اللي فاتت ما كانتش حلم..

ابتسمت بخجل ولم تجبه.. فهي لا تستطيع إخباره.. عدد المرات التي استيقظت بها وهي تحلم أنها بين ذراعيه.. لتدرك أنه حلم.. سراب.. كذبة تعيشها في خيالها بينما هو.. هو كان يقضي شهر عسله مع أخرى..

انقبضت ملامح وجهها عندما مر ذلك الخاطر بذهنها.. وظهرت في عينيها دموع حبيسة.. حاولت كبحها ولكنها هزمتها لتتساقط من بين أجفانها التي كان يقبلها منذ قليل..

وهمست لنفسها:

ـ غبية..

قطب حاجبيه وهو يكرر:

ـ غبية!!.. ليه يا علياء؟..

حركت وجهها لتبعده عن مرمى نظراته وحاولت التملص من بين ذراعيه.. إلا أنه منعها بقوة وهو يكرر:

ـ ليه يا علياء؟.. غبية ليه؟..

رفعت عينيها لتصدم بوجه قريب جداً منها وعينيه بها نظرات قلق عاصفة.. وقد قطب حاجبيه بشدة.. وكرر:

ـ ليه؟!

وجدت نفسها تتكلم بعفوية وكأنها تتحدث مع نيرة:

ـ أنا أول ما شوفتك نسيت ألمي وزعلي ودموعي والجرح اللي جوايا منك.. كل الكلام والعتاب والغضب اللي جوايا دابوا في لحظة.. أول ما شوفتك ما فكرتش غير أني اترمي في حضنك واتأكد أنك حقيقي جنبي.. أنا حاسة أني بضيع من نفسي.. ماعدتش فاهمة حاجة ولا عارفة الصح فين.. أنا غبية.. غبية.. رخصت نفسي..

أحنى رأسه قليلاً ليحرك شفتيه أمام شفتيها بدون أن يمسهما:

ـ هششش.. اوعي تقولي الكلمة دي.. أنتِ غالية قوي.. قوي يا علياء..

أبعدت وجهها عنه ودموعها مازالت تتساقط وهمست:

ـ غلاوة عشيقة!..

شتم بصمت.. لقد كان على حق عندما طلب من مازن أن يبعدها عن دنيا.. فلابد أنها

ثرثرت أمامها بأفكارها المجنونة.. لتطبقها الحمقاء على حياتهما معاً..

لف وجهها نحوه هامساً:

ـ أنجح زوجة اللي ما تخجلش أنها تكون عشيقة لجوزها..

سألته بتوجس:

ـ وبيحترمها؟..

ـ أكيد.. لو ما احترمهاش يبقى مش هيحترم نفسه..

رمقته للحظات طويلة بنظرات متسائلة حائرة. ثم أبعدت وجهها عنه وهي تتملص من بين ذراعيه:

ـ سيبيني أقوم يا يزيد..

أطلقها من أسر ذراعيه فنهضت ببطء لتذهب إلى الحمام.. وقبل أن تغلق الباب خلفها سألته بألم:

ـ لما هي غالية وهو بيحترمها أومال ليه بيحتاج غيرها؟..

ترك رأسه لتسقط على الوسادة وهو يفكر في كلماتها.. حوارهما معاً.. براءتها.. عفويته معه.. تحادثه كأنه صديق.. همس بداخله يكمل جملته لها..

"أنجح زوجة هي اللي ما تخجلش تكون عشيقة لزوجها.. وبعفويتها وبراءتها تكون له كمان صديقة"..

جالت عينيه في غرفتها.. غرفتها الوردية.. فكل ما يحيط به وردي.. عرائس ودمى محشوة وردية.. وذلك التويتي.. لم يرَ تويتي وردي من قبل.. حتى غطاء الفراش الذي يتدثر به.. كان وردي اللون.. غرفة غاية في الطفولية والبراءة..

براءة سلبت منها في لحظة لتدخل عالم الكبار.. عالم لا تعرف قواعده.. ولا قوانينه.. يشعر بها حائرة ومشتتة.. تحاوره كناضجة.. ولكن بداخلها طفلة تائهة.. يبدو أن والده كان على حق.. يجب عليه أن يمنحها بعض الوقت لتنضج وتستقر.. سيبتعد قليلاً.. قليلاً

فقط.. ويعود ثانية.. فقط يجب أن يخبرها بسفره إلى دبي..

****

فوجئت منى بدخول حسن إلى المنزل في وقت مبكر جداً عن موعده وهو يحمل عدة أكياس بين يديه.. أخذت تتابع تحركاته وهو يتجه إلى المطبخ.. لتسمع بعدها عدة أصوات وضوضاء عالية.. أطباق تتصادم ببعضها.. وأكواب تتهشم.. ثم صوت مياه جارية مختلط بسباب

محتشم.. أخيراً ظهر حسن وعلى وجهه معالم انتصار.. وفي يده كوب به سائل أحمر اللون..

وضعه أمامها بفخر قائلاً:

- عصير الفراولة اللي بتحبيه..

رمقته في تساؤل عن حقيقة الأمر.. فهو ذهب إلى عمله صباحاً وهو مازال غاضباً منها.. فما الذي حدث في ساعتين ليغير رأيه.. سمعته يجيب على الأسئلة التي لم تطرحها:

ـ هدنة؟..

أومأت موافقة فهي تريد أن تعلم ماذا به.. ولماذا أتى من عمله مبكراً.. رفع الكوب ومده نحوها.. فأخذته منه على الفور.. وسألته بتوجس:

ـ جيت بدري ليه يا حسن؟..

أغمض عينيه بألم.. ومرت في ذهنه مواجهته الأخيرة مع أبيه منذ دقائق.. حين اقتحم مكتب أبيه ليخبره صراحة رأيه فيما يقوم به نحوه من تصرفات متعسفة.. كان آخرها فقده لعمله.. حيث استغنى صاحب المكتب عن خدماته.. وأخبره صراحة.. أنه لن يجد بعد الآن من يقبل بتوظيفه حتى يسوي أموره مع والده... وإذا أراد أن يعمل بعيداً عن نفوذ والده, فليختر عملاً بعيداً عن تخصصه كمهندس ناجح.. ويبحث عما يسد به رمقه.. وإلا فليخضع لما يريده والده أياً كان ذلك..

اقتربت منى منه بتردد وهي تستشعر بألمه الداخلي.. وما يكتمه داخل صدره..

ربتت على كتفه بحنان:

ـ في إيه يا حسن؟.. هتخبي عليّ؟..

أحنى رأسه أرضاً.. وأجابها متردداً:

ـ مني.. أنا..

سكت ولم يتكلم فحثته ليكمل:

ـ أنت إيه؟..

ابتلع ريقه بصعوبة:

ـ أنا عايز أقولك على حاجة.. قرار أخدته.. وبتمنى تساعدني فيه.. ويا ريت اللي هعمله ده ما ينزلنيش من نظرك...

الفصل السادس عشر

فتح يزيد باب الشقة وسمح لعلياء بأن تتقدمه.. قبل أن يغلقه خلفها.. ثم مد يده يقبض على أناملها الرقيقة بقوة ويسحبها خلفه.. وهو يصف ويعدد لها مزايا الشقة التي اختارها بناء على نصيحة مازن لتكون شقة الزوجية الخاصة بهما.. كان يرص الكلمات بسرعة وغضب وهو يمر بها من غرفة لأخرى.. حتى وصل بها إلى المطبخ الذي

كان واسعاً جداً.. كست جدرانه عدة دواليب خشبية.. قدرت علياء أنها صنعت من خشب الأرو.. وتوسطته خزانة كبيرة مستطيلة ومتوسطة الطول.. غطتها قطعة رخامية عريضة..

ارتكزت علياء بكفيها على القطعة الرخامية وقد قررت التوقف عن التجوال بالشقة.. وسمعته يسألها:

ـ ايه رأيك في الشقة؟..

وقبل أن تجيبه ارتفع رنين هاتفه.. بنغمة معينة جعلت علياء تدرك على الفور أن ريناد هي المتصلة.. فلم تملك إلا التأفف في صمت وهي تراه يسحب الهاتف ليتحرك بعيداً ويجيب عليه.. تذكرت لحظة خروجها من الحمام في الصباح وقد لفت جسدها بمنشفة ضخمة وأخذت تبحث في خزانتها عما ترتديه حتى تعثرت ببنطال جينز وقميص قطني.. عندها سمعته وهو يتحدث معها على الهاتف..

لينتابها إحساس مؤلم بالمهانة وحارق بالغيرة.. شعرت بالفعل وكأن جسدها ينز ألماً من عنف الغضب الذي عصف بها.. لتجد يدها تمتد غريزياً إلى أحد الأثواب الصيفية الذي ابتاعته برفقة نيرة.. فسحبته بقوة ودخلت الحمام مرة أخرى لترتديه.. كان ثوباً خفيفاً.. ذو فتحة صدر مربعة.. جزئه العلوي ضيق ويلتف تحت صدرها مباشرة زنار عريض ذو لون وردي مشرق.. وهو نفس لون الورد المنتشر بالفستان ذو الأرضية الكريمية اللون وطوله يصل إلى ما بعد ركبتيها مباشرة..

لمحت نفسها في مرآة الحمام.. لترى أن مظهرها تغيير بفعل ذلك الثوب المغري..
شكرت صديقتها في صمت قبل أن تخرج إلى الغرفة لتجده انتهى من مكالمته الهاتفية وجلس بانتظارها.. فهتفت بعجلة:

ـ أنا جاهزة عشان نروح نشوف الشقة..

لم يسمعها وعيناه تلتهمان تفاصيلها في ذلك الثوب المهلك.. وقد رحل ذلك الجزء من عقله الذي أقنعه منذ قليل أن يبتعد قليلاً ليمنحها فرصة النضوج.. تساءل في جنون.. أي نضوج

أكثر من هذا؟!.. يكاد يقسم أنها لو نضجت أكثر لأنفجر هو فوراً..

سألها بصوت أجش وهو يقترب منها ويتحسس الثوب وما يخفيه الثوب بجرأة بالغة:

ـ نروح فين؟.. وجاهزة ايه!!.. روحي البسي..

دفعت يديه بعيداً ووضعت يدها بخصرها فارتفع الثوب لأعلى وهتفت هي بغيظ:

ـ أنا لابسة فعلاً.. وفستاني جديد..

قالت جملتها الأخيرة بحرقة طفلة غاضبة فابتسم قليلاً:

ـ جديد!.. وجه امتى؟..

ـ جبته مع نيرة عشان الكلية..

قفز.. بل طار فعلياً في مكانه فذكرها بحبة ذرة تتقافز فوق صفيح ساخن وهو يصيح:

ـ كلية!!.. أنتِ عايزة تروحي الكلية بده.. أومال تروحي السرير بايه؟!!!

غمغمت بحنق:

ـ قلة أدب!

صرخ بها:

ـ ايه!.. مش سامع قولي تاني كده..

هتفت في وجهه بتمرد يلمحه للمرة الأولى:

ـ بقولك ما تقوليش كده.. دي قلة أدب!..

حاول كتم ابتسامته.. وحادثها بهدوء:

ـ علياء.. ايه اللي مضايقك؟.. ليه مش بتسمعي الكلام؟..

رمقته بنظرة نارية وكتفت ذراعيها وجلست فوق الفراش هاتفة:

_ خلاص.. مش عايزة أشوف الشقة.. روّح يلا.. شكلك مستعجل!..

لم تدري ماذا أصابها!.. أو ما يدفعها للتصرف بذلك الانفعال والغضب.. إنها تشعر فقط بحرقة قاتلة في صدرها وغضبها وصراخها عليه.. يريحها للغاية..

تأملها قليلاً يحاول معرفة ما بها.. فهي لم تمر بهذا المزاج العاصف من قبل.. بل أنها قبل قليل كانت تذوب بين أحضانه ثم تركته باكية.. لتذهب إلى الحمام.. ثم.. آه.. الهاتف.. لقد سمعت مكالمته مع ريناد.. وهي تشعر بالغيرة..

ابتسم بإشراق وقد أسعده غيرتها عليه.. فرمقته بغيظ:

_ أنت بتضحك ليه؟..

اقترب منها بهدوء ثم رفعها من فوق الفراش.. ليضعها أمام خزانتها:

ـ غيري هدومك بسرعة..

سحبت ثوباً آخر لترتديه ولكنه لمح في آخر لحظة الحمالات الرقيقة.. فجذبه منها بعنف:

ـ وده برضوه للكلية؟..

ـ لأ.. للبيت..

حرك رأسه في ألم وهو يتخيله على جسدها.. إنه لم يكتفِ منها بعد.. وبدأت رغبته بها تتحول لألم جسدي يحتاج ما يسكنه بسرعة.. هل يرمي كل قرارات العقل ويسحبها إلى فراشها الوردي.. أم يلتزم العقل ويخرج بها من غرفة النوم فوراً..

أخيراً سمعها تسأل بحنق:

ـ أنت بتدور على ايه؟.. كده لخبطت كل الهدوم على بعضها!..

أخذ يبحث داخل خزانتها حتى وجد ثوب غاية في الاتساع.. والحشمة.. فقذفه إليها:

ـ البسي ده..

حاولت الاعتراض لكنها هتف بحسم:

ـ يلا.. لسه هنشوف العفش..

غابت ثواني وعادت بالثوب الذي اختاره بنفسه.. وقد أخفى تفاصيلها تماماً.. ليجد خياله ينشط بشدة ليجسد له تلك التفاصيل بصور حية أكثر مما ينبغي..

من قال أن الخيال أخف وقعاً من الواقع، فهو أحمق بالتأكيد.. فهو يحترق الآن كرد فعل على الخيال..

التفت لخزانتها ليعبث بها مرة أخرى.. وأخرج قميصاً وتنورة واسعة وطويلة.. وهما ما ترتديه الآن.. قميص أحمر يحتوي تفاصيلها بدقة حاول الاعتراض عليه ولكنها تمسكت به وكأنه ماء المُحاياه.. ما يحيرها بالفعل هو اختفاء معظم ثيابها الجديدة منذ تلك اللحظة ولا تعرف ماذا فعل بهم وأين أخفاهم..

ضغطت بكفيها بقوة على الرخام البارد حتى تستمد بعضاً من برودته.. لتتماسك.. فهي تعلم ما يرغب في مصارحتها به فقد وصلها حواره مع ريناد.. عندما كانت في الحمام

صباحاً.. فهو كان بقمة انفعاله ولم ينتبه لارتفاع صوته.. ولكنه حتى الآن لا يعلم بمعرفتها تلك.. والأدهى أنها تشعر به يقاوم بقوة ليبتعد عنها.. ولكنها تدرك أيضاً هشاشة مقاومته تلك..

سمعته وهو ينهي مكالمته.. وهدأت قليلاً لأنه بدا نزقاً في أسلوبه مع الأخرى وكأنه رافض لمكالماتها المستمرة له في الوقت الذي خصصه لعلياء..

كان يراقب انفعالاتها كما يراقب حركاتها المتململة والتي انتهت بفرد كفيها وضغطهما على قطعة الرخام فالتصق القميص أكثر بحناياها ليجسد خيالاته المرهقة له أمامه مباشرة فأغلق الهاتف بسرعة وتحرك نحوها وقد قرر الابتعاد عن التعقل مؤقتاً..

شعرت به يحاوطها من الخلف ويضمها بقوة دافناً شفتيه في عنقها.. فأدركت أن مقاومته تحطمت.. حاولت التملص من قبضته إلا انه

زاد من ضغط ذراعه.. واستمر في تقبيل عنقها.. هامساً:

ـ استرخي يا علياء.. انا مش عارف انت فجأة بقيت عصبية.. و..

قاطعته:

ـ مش عارف!!

همس بابتسامة لم يستطع كبحها:

ـ غيرانة؟..

لفت جسدها لتواجهه وحاولت أن تدفعه عنها إلا أنه رفض التزحزح.. بل أنه أحنى رأسه ليتمكن من شفتيها.. وأنامله تتسلل أسفل قميصها بخبث.. لتشهق بقوة عندما شعرت بمداعبته لبشرتها الدافئة.. بينما هو يعاود تقبيلها بشغف هامساً:

ـ العقل هيجنني.. أنا مش قادر أكون عاقل أكتر من كده..

وبسرعة لم تتخيلها كانت ملابسها تتكوم تحت قدميها ليرفعها فوق العارضة الرخامية ويصعد معها.. ليعيش أقصى خيالاته جنوناً..

وبعد فترة ليست بالقصيرة..

حاولت الابتعاد عنه ودفعه عنها.. إلا أنه أحكم ذراعيه حولها هامساً في عبث:

ـ يا مجنونة هنقع!..

استكانت قليلاً.. ثم عادت تهمس:

ـ ابعد..

هز رأسه رافضاً وبدأ في توزيع قبلاته على وجهها مرة أخرى ليهمس بجنون:

ـ أنا أساساً ما صبحتش على الألماسة بتاعتي النهارده!

وهبط بشفتيه يداعب ألماسته بقوة.. وأنامله تعيث جنوناً بجسدها وهمساته تضيع عقلها.. لتستسلم له مرة ثانية.. ويأخذها هو بشغف لا حد له.. باحتياج لا ينتهي.. بجموح مجنون.. واحساس بالاكتمال هي فقط من تمنحه له..

هدأت أخيراً وألقت رأسها على صدره..

لتسمع همسه المحذر:

- اوعي تنامي!..

رمقته بذهول فضحك بقوة:

- أنا والله خايف لتقعي.. مش أكتر من كده..

عادت تهمس له بتوسل تقريباً:

- ابعد..

كانت تريده بالفعل أن يبتعد.. فهي تخشى حالة الهوس التي أصابته منذ أن لمحها بفستانها

الخفيف صباح اليوم.. حينها قرأت بعينيه أي جنون سيجتاحها به.. جنون هي غير مستعدة له خاصة الآن وقرار الفراق على بعد لحظات.. أنها فقط تريد سماع قراره بالابتعاد.. تحتاج أن تكون متيقظة لكلماته لا أن تكون مأخوذة به ومنه على الدوام.. أخذ يتأمل انفعالاتها المتوالية.. غضبها وحزنها.. لقد أبدت السعادة لرؤيته الليلة الماضية فقط لاشتياقها له.. ذلك ما لا يستطيع إنكاره.. ولكن منذ أن فتحت عينيها صباح اليوم وهي يلفها حزن غريب..

أخذ يداعب خصلات شعرها المنتشرة على كتفيها بجرأة.. ليستشعر تأثرها به ولكنها تعانده بإصرار شديد.. محاولاتها الدؤوبة للابتعاد عنه مستمرة..

عاود مشاكستها وهو يلف إحدى خصلاتها الناعمة على إصبعه:

ـ زعلانة على فساتينك الجديدة؟

سألته بسرعة:

ـ ودتهم فين؟.. قطعتهم؟..

ابتسم بعبث:

ـ في حد عاقل يقطع حاجات حلوة زي دي برضوه.. أنا بس قفلت عليهم في مكان أمين.. وبعد كده أنا هشوف ايه اللي يعجبني والمعهولك تلبسيه.. بس ليا أنا بس..

رمقته غاضبة بينما ارتسم على وجهها كل ما تفكر به حوله.. حتى أنه خشي للحظة أن تصارحه بكل ما يدور بعقلها خاصة في نوبة الاندفاع التي أصابتها..

أخيراً سألها بوضوح:

ـ في ايه؟.. فهميني؟.. ايه اللي جرى لك؟..

نجحت أخيراً في الابتعاد عنه فقط لتلتف على جانبها ويلصق ظهرها بصدره.. ويهمس في أذنها بتصميم:

ـ اتكلمي..

أخذت تتملص منه حتى تمكنت من الابتعاد لتجلس فوق العارضة الرخامية وقد ضمت ركبتيها إلى صدرها واحتضنتهما بذراعيها بشدة..

أغمضت عينيها وهي تحاول أن تخرج أفكارها إلى كلمات.. ولكنها كالعادة كانت أجبن من أن تغضبه أو تغضب منه.. فهمست أخيراً لتغير الموضوع:

ـ حلوة الشقة.. عجبتني..

قفز أرضاً ليتناول قميصه ثم ساعدها لترتديه.. وجلس بجوارها ليضمها نحوه وهو يداعب خصلاتها:

ـ عارفة كمان اظرف حاجة فيها ايه.. أنها قدام مبنى المجموعة على طول.. يعني هجيب منظار وأقعد اراقبك ليل ونهار..

هنا لم تستطع الاستمرار في التظاهر.. فغمغمت بمرارة:

ـ هو في منظار ينفع تشوفني بيه من دي!..

أخيراً فهم السبب وراء جنون تصرفاتها..

سأل بهدوء لا يشعر به:

ـ تعرفي ايه عن موضوع دي؟..

ـ هتسافر وتاخدها.. وتسيبني..

ـ يا علياء دي فترة بسيطة.. وأنتِ عندك دراسة.. يعني مش هينفع تسافري..

قفزت إلى الأرض ولفت قميصه حولها وأخذت تجول في انحاء المطبخ.. تريد البكاء والصراخ وإخباره أنه يعرضها لظلم شديد.. فهو سيتركها للجميع لمن يجرح، ويهاجم بل، ويتطاول.. تحرك خلفها ليضمها بقوة قبل أن تبتعد.. وهمس لها:

ـ بصي.. البداية بابا عرض عليّ العرض ده.. وكان تبريره أني أسيب لك الوقت والمساحة أنك تقرري وكنت بفكر فعلاً أوافق على العرض.. بس النهارده اتأكدت أنه صعب..

همست وقد استكانت على صدره:

ـ صعب!.. بس صعب؟..

ـ وظلم.. ظلم ليكي وليّ..

سألته بتوتر:

ـ وبعدين؟ ايه الحل؟..

ـ الحل هو الطيارة.. أومال الطيارة اخترعوها ليه.. باقي أني أحاول توزيع وقتي..

لفت لتواجهه وسألته باتهام:

ـ أنت اخترعت الكلام ده كله دلوقتِ صح؟

أومأ موافقاً:

ـ ايوه.. بس ده مش كلام.. ده قرار..

كتفت ذراعيها:

ـ وليه القرار ده؟

ضمها إليه وهو يبتسم بخبث:

- عجبتني النومة على الرخامة قوي!..

اتسعت عيناها ذهولاً وهو يرفعها مرة أخرى ليثبت لها كلماته!!.. وأيقنت أن لحظات جنونه لم تنتهي لذلك اليوم...

****

تمدد مازن على الأريكة الوثيرة ملقياً برأسه في حضن دنيا التي كانت تضع بين شفتيه إحدى حبات العنب بعد أن خلصتها من قشرتها الرقيقة كما يفضل تناوله.. كانت تتبع كل حبة بقبلة خفيفة على شفتيه.. مع ابتسامة ناعمة على شفتيها.. وأناملها تتسلل باغواء لتداعب ما ظهر من بشرة صدره..

همست في أذنه:

- أنت مش معايا خالص..

داعبت أنفه بأنفها الصغير لتعاود الهمس:

- ايه اللي شاغل بالك؟..

عدل من وضع رأسه على ركبتيها.. ومد يده ليتمسك بيدها التي تداعبه بلا توقف، بل أنه ساعدها لتفتح بعض أزرار قميصه.. وتركها للتجول بأناملها كما تشاء.. وهو يرد عليها

ـ حاتم بيه بيضغط على حسن قوي.. الموضوع تخطى خوف أب على ابنه..

اكملت هي:

ـ وصلوا لمرحلة العند لمجرد العند، صح؟.

ـ اممم..

اطعمته حبة عنب أخرى.. وعادت تسأله:

ـ وأنت ناوي تعمل ايه؟..

مد يده ليجذب رأسها مطالباً بقبلته.. فمنحتها له بسخاء.. وسمعته يجيبها:

ـ حسن مكتفني ومانعني أني اتدخل نهائي.. ومن جهة تانية مراقبة بابا لحسابي في البنك وأي مصاريف مقيداني تماماً..

كانت أناملها تداعب صدره بلا هوادة.. وهو عدل من وضع جسده ليرفع رأسه قليلاً ويحيط

خصرها بإحدى ذراعيه، فعلمت أنه على وشك حملها إلى غرفتهما.. فسارعت بالقول:

ـ مازن.. أنا تحت أمرك.. و..

قاطعها قبل أن تكمل:

ـ دنيا.. ما تفتحيش موضوع أنتِ عارفة ردي عليه كويس.. مش هيحصل أبداً أني أمد إيدي على فلوسك..

هبطت برأسها لتمنحه قبلة رقيقة تمتص غضبه بسرعة وفاعلية تامة.. وتهمس:

ـ متفقين يا حبي.. بس عندي فكرة.. ممكن تسمعها؟..

كان قد رفع رأسه ليضعه على حاجز الأريكة ومد يده الحرة ليفتح أزرار الفستان الخفيف الذي ترتديه دنيا.. وبينما بدأ جولة عابثة بأنامله.. سألها وقد بدأ تركيزه في الاضمحلال:

ـ اممم... فكرة ايه؟..

عنبة مقشرة أخرى.. تليها القبلة التي لا يتنازل عنها... ثم أخبرته:

ـ هي فكرة ملتوية شوية.. أنا هزود على فاتورة فستان نيرة.. مبلغ معين.. المبلغ اللي أنت تحدده.. وتعطيه لحسن أخوك.. ويبقى كده حلينا المشكلة.. ولو مؤقتاً.. ايه رأيك؟

لف جسده بالكامل نحوها.. ليتمكن من ضمها كما يريد وقد تحركت أنامله العابثة من فتحة صدرها لتتسلل إلى عنقها ثم إلى خصلاتها السوداء.. فيبعثرها بعبث ليجذب رأسها في قبلة طويلة وهو يهمس أمام شفتيها:

ـ رأي أنها فعلاً فكرة ملتوية.. بس حاتم بيه مش هينفع معاه غير كده.. تفذي يا ملاكي..

أطلقت ضحكة ناعمة وهي تراوغ شفتيه وتمنحه إحدى حبات العنب بدلاً من القبلة التي يبحث عنها.. فالكلام مازال له بقية.. رفع نظره مبتسماً بمكر:

ـ بعدين هتعود على الدلع ده!..

ضحكت برقة وقد عادت تمرر أناملها برشاقة بين طيتي قميصه المفتوحتين:

ـ هو أنت لسه ما اتعودتش.. أنا شكلي بوظتك.. ونيرة الغلبانة مش هتقدر عليك.. في حد بياكل العنب مقشر!..

ابتسم بسخرية عندما سمعها تلقب نيرة بـ "الغلبانة".. وقبل أن يرد عليها سمعها تقول بضحكة مكتومة:

ـ بمناسبة نيرة.. أنا قلت لك قبل كده أني مش هتكلم على تفاصيل فستانها.. بس.. بس.. في معلومة صغيرة.. بيتهيألي لازم تعرفها..

رفع رأسه وهو ينظر لها بتوجس:

ـ أكيد الفستان مفتوح من كل حتة..

ابتسمت بغموض:

ـ المعلومة مش على الموديل.. عن اللون!

ردد بغباء:

ـ اللون.. ما هو أكيد أبيض.. فستان فرح هيكون لونه...

قطع كلماته ونظرة شقية تتألق في عينيها.. بينما قفز هو هاتفاً:

_ أحمر.. هتفصل فستان أحمر صح؟..

أطلقت دنيا ضحكة أنثوية عالية لو كان سمعها مازن في وقت آخر لكان سحبها على غرفة النوم مباشرة ولكنه تلك المرة قفز يبحث عن هاتفه ليتصل بنيرة ويختفي في إحدى الغرف.. بينما تلاحقه ضحكات دنيا العذبة التي خفتت قليلاً لتتحول إلى ابتسامة شاردة وهي تتخيل كلامه مع نيرة الآن..

قد يكون من الطبيعي أن تشعر بالغيرة من نيرة.. المرأة التي ستشاركها رجلها قريباً..

ولكنها لا تفعل.. كيف تغضب من حبه لها؟!.. وذلك ما جذبها له من البداية.. ومن غيرها هي.. دنيا.. يدرك عذاب عشق بلا أمل.. أو مستقبل.. عشق يطحن صاحبه.. ويستهلكه.. بقتات على نبضات القلب حتى يكاد يوقفه.. رحمةً بالعاشق من عذابه.. عشق عاشت مثيله، بل أقوى مع سامر..

سامر.. حركت شفتيها باسمه.. لتشعر بمرارة ذكرياتها تجري بها مجرى الدم..

سامر.. جارها.. رفيق طفولتها.. توأم روحها.. كانت قصتهما أبسط من البساطة.. قصة تقليدية يتعثر بها الجميع يومياً.. فلا تلفت انتباه أحد..

الجار الوسيم.. وجارته الصبية الرقيقة ذات الجدائل.. وخطبة غير رسمية.. فالفتاة لم تكمل عامها الخامس عشر.. ولكن فتاها متعجل.. يريد الاطمئنان أن رفيقته.. ستكون له..

ولكن ما حدث لم يتوقعه الشاب.. فقد دار الزمن دورته.. والصبية الرقيقة.. تحولت لأنثى متفجرة.. خطفت أبصار الرجال قبل الشباب في حيهم البسيط.. بل وخارج الحي أيضاً.. وهي كانت سعيدة.. وكيف لا؟!.. وهي تشعر بتفتح أنوثتها.. بالقوة التي منحتها اياها تلك الأنوثة.. سطوة الجمال لا يُعلى عليها.. وإن اقترن بذكائها فهو خلطة مبهرة.. مدمرة.. مخيفة.. وسكن الخوف قلب سامر.. ليزيح الحب شيئاً فشيء.. زاد تحكمه.. كثرت أوامره.. تعالى صوته.. وهي بذكاء الأنثى

الفطري استشعرت خوفه.. فارتعبت خوفاً من فقده.. حبيب العمر.. كيف يفكر أنها تنظر لرجل آخر؟.. أنها فقط تستعذب تغزل الآخرين بجمالها.. بفتنتها الوليدة.. لكنه هو.. رجلها الأوحد.. لا ترى آخر ولا تريد غيره هو.. وهو لا يهدأ.. يصرخ.. فتصمت.. يأمر فتطيع.. يتحكم.. فتخضع.. ولكن قلبه لا يرتاح.. عقله تقتله الهواجس.. وهي تزداد فتنة.. أنوثتها قاتلة.. وخضوعها له جرأه.. ليمد يده.. ليس مغازلاً.. كلا.. بل متعدي..

ضربها.. صفعها.. وهي ثارت ثائرتها.. برز جموحها وفقد سيطرته عليها..

خرجت من شرنقة أحكامه وأوامره.. ليعاقبها بارتباطه بفتاة باهتة.. ولكنها مطيعة عن حق.. خانعة بالطبيعة وليس التطبع..

قتلها بكلمته ليلة زفافه..

"أنتِ ما تنفعيش للجواز.. هتتسببي في جنون أي راجل تكوني ملكه"..

تزوج هو.. تزوج من تريح باله ولا يقلق على ثبات عقله معها.. وانطلقت دنيا.. حاولت التحرر من حبه.. لم تفلح.. فتحررت من روابطها.. وقيودها.. اقتحمت سوق العمل.. ولم يكن أي عمل.. عملت بالإعلان.. فتاة اعلانات.. عارضة.. أو كما يدعونهن.. موديل..

نجحت.. تلألأت.. ظهر وجهها على صفحات المجلات.. نالت بعض الشهرة.. سعت بكل جهدها لتقهر حبها له.. لتتناسى ضعفها نحوه.. تضحياتها التي كادت أن تشمل كل شيء.. ولم يرضَ.. ولم تنسَ..

ليظهر هو.. سامر..

عاد مطالباً بها.. يذكرها.. بالعشق القديم.. بعهود الهوى.. وكأنها نسيت!.. وكأنها لم تنتظر عودته نادماً.. في كل لحظة.. في كل نجاح تحققه.. كل خطوة تخطوها نحو الشهرة.. كانت تفعلها من أجله.. لتريه أنها لم ولن تتحطم.. وهو جاء أخيراً.. ليعلن استسلامه.. كلا.. ليطالبها هي مرة أخرى

بالخضوع.. لتطاوع هواه.. بلا قيود.. بلا روابط أو مسميات.. طالب بها كعشيقة.. وصرخت هي..

"مش ممكن أكون عشيقة باسم الحب"..

طردته.. وتزوجت.. لم تهتم بمن يكون.. فقط.. سيصل بها لأحلامها..

فقد اعتزلت الغرام...

يصدح نجمها في عالم تصميم الأزياء.. وأموال زوجها تمنحها الحماية.. تفتح الأبواب الموصدة.. وتزداد الشهرة.. ويموت الزوج... لتزداد الثروة.. ومعها الطموح..

دار أزياء راقية.. فرع هنا.. وفرع هناك.. ويتألق اسمها.. وتتسع أعمالها.. حتى التقت به.. لم تتوقع أن تقابل من يقهر صدفة تقوقعها.. من يصل إلى الأنثى المتعطشة بداخلها.. من يقتحم أسوار امرأة الأعمال البارزة.. وسيدة التصميم الأولى كما تطلق عليها الصحف..

مازن.. ذلك الشاب المتقد ذكاء ورجولة.. هو المهندس المسئول عن مجمع الأزياء الذي تنوي انشائه.. وشعرت بالضعف.. ضعف لم يصادفها منذ سامر.. ليس حباً.. فحبها لسامر.. فقط.. حتى لو لوثه.. لكنها تمنح قلبها مرة واحدة.. وهي منحته لسامر ولم تسترده أبداً.. لكن مازن يدغدغ أنوثتها.. يجعلها تنفتح بنظرة شقية من عينيه.. ابتسامة هادئة كسولة تسبب لها عقدة في معدتها.. لا حل لها.. احتياج.. لم تعرفه من قبل..

ولكن كيف؟.. أنه يصغرها بتسع أعوام.. كلا.. لم يعجبها وقع العبارة.. هي تكبره.. كلا.. جملة سيئة أخرى.. بينهما تسعة أعوام.. فارق من العمر وليس في صالحها.. وهو عاشق ولكن ليس لها.. اعترف بها.. فقد تعمقت علاقتهما.. ولم تستطع الابتعاد.. وسمته صديق.. وصديقها عاشق.. وهب قلبه لمن ليست له..

باحت له بسرها.. أخبرته عن معشوقها الذي شوه العشق ولوثه خوفاً من جموح معشوقته..

جموح لم يخشه مازن بل اقتحمه.. وفاجئها بعرض زواج..

تجمدت.. صعقت ورددت:

_ ليه؟..

ببساطة وقحة أجاب:

_ أنا عايز أكون معاكِ.. ومتأكد أن دي رغبتك برضوه.. واحنا الاتنين أرقى من أي علاقة بره الجواز..

رفضت.. ليس لأن الزواج سري.. فيكفيها أنه لم يطلبها لفراشه.. باسم الحب.. كما فعل سامر.. فرق السنين كان سبب الرفض السري بداخلها.. ولم يخضع مازن لرفضها..

ليفاجئها باصطحابها ذات ليلة.. إلى أحد المحاميين.. وهناك كان يزيد صديقه الأقرب.. وأحد شهود زواجها..

عامين مرا على معرفتها به.. وعام ونصف على زواجهما.. وكلاهما يحافظ على الاتفاق.. يلتقيان عندما يريدا.. يحتاجا التواجد معاً.. وليس بالضرورة احتياج جسدي مع أنه أساس الاتفاق.. فقط.. يمنحان الراحة لبعضهما..

"صديق ذو فائدة"..

"Friends with benefits" هكذا يطلقون على علاقتهما..

وهكذا سيبقيان.. لا مجال للمشاعر.. لا ذكر للعشق.. فقط حاجة.. رغبة.. أو شهوة.. ولكنها.. لم تستسلم لها باسم الحب..

عاد صوت صراخ مازن على نيرة ليجذبها من شريط ذكرياتها.. فتسمعه يهتف بغضب:

- يا ستي أنا راجل تقليدي.. وعايز أشوف عروستي بفستان أبيض وطرحة.. صمت قليلاً وهو يذرع الأرض أمامها جيئة وذهاب.. مستمعاً إلى نيرة.. فيقطب حاجبيه بشدة.. ثم يرد صارخاً بجنون:

ـ والله يا نيرة لو عملتِ فستان فرحك أحمر لآجي لك لابس بدلة فوشيا!..

وأغلق الهاتف بغضب ليرميه بعيداً.. بينما تعالت ضحكات دنيا المغوية.. ليجذبها إلى غرفة النوم.. ولم تنسَ اصطحاب.. حبات العنب معها.. فهو يحبها.. مقشرة.. ناعمة.. ومليئة بالاغراء..

****

رمقت منى حسن وقد تعلق على سلم خشبي متحرك وهو ينهي طلاء آخر بقعة بسقف الغرفة.. التي قررا الانتقال لها.. تلك الغرفة التي رفضها حسن سابقاً, ولكنه لم يجد بُداً من القبول بها الآن.. خاصة مع تغير أحوالهما..

عادت منى بذاكرتها إلى عشرة أيام أو أكثر مضت.. عندما ألقى حسن على مسامعها تلك الجملة التي زلزلت كيانها.. وكادت أن توقف قلبها هلعاً..

"أنا عايز أقولك على حاجة.. قرار أخدته.. وبتمنى تساعدني فيه.. ويا ريت اللي هعمله دم ما ينزلنيش من نظرك"..

الجملة تتردد في عقلها.. ومعها عشرات التفسيرات.. وكلها تنتهي بالتنازل.. بالفراق..

ابتلعت ريقها في توتر وهي تسأله بتردد:

ـ قرار ايه يا حسن؟.. خليك صريح.. أنت مش محتاج للمقدمات دي معايا..

أغمض عينيه بألم شديد:

ـ آسف يا منى.. استحمليني شوية.. اللي هكلمك فيه مش سهل عليّ..

سكت قليلاً ليلمح وجهها وقد شحب تماماً.. فشهق بعنف وقد استوعب ما فهمته من كلماته:

ـ منى.. أنتِ متخيلة أني هتخلى عنك.. أو هطلب الفراق مثلاً.. معقولة تكوني مش عارفاني للدرجة دي!..

أخذت منى نفساً عميقاً واغرورقت عيناها بالدموع وهمست:

ـ حسن.. من غير مقدمات الله يخليك..

تحرك حسن ورفعها من على مقعدها ليضمها إلى صدره بقوة:

ـ والله ما أقدر ابعد عنك.. معقولة تكوني مش حاسة باللي جوايا ناحيتك.. إذا كنت ما قدرتش أعملها واحنا لسه على البر.. يبقى هعملها بعد ما قربت منك وعرفتك أكتر وأكتر.. معقولة أقدر افتح عينيه وما لاقيش أحلى عيون كحيلة بتضحك في وشي..

ابتسمت وسط دموعها:

ـ أنت كده بتقلقني أكتر يا حسن.. لأن معنى كلامك أنك ناوي تضحي بزيادة.. وتتنازل أكتر..

أبعد رأسها عن صدره ليرفع ذقنها بسبابته وإبهامه ويتأمل عينيها:

ـ أنتِ فاهماني كده ازاي؟..

رفعت راحتيها لتحيط بهما وجهه:

ـ لأنه أنت أنا..

اتكأ بجبهته فوق جبهتها وهو يحرك رأسه قليلاً:

ـ وبيلوموني في حبك!.. ده أنا أبيع عمري مش بس شهادة الهندسة عشان تكوني ملكي للأبد وقدام الناس كلها.. مراتي.. وحبيبتي.. وأم ولادي كمان..

أسكرتها حلاوة كلماته فسكنت بين أحضانه للحظات.. حتى تغلغلت معاني كلماته بين خلايا عقلها.. فأبعدت نفسها قليلاً لتسأله:

ـ يعني ايه يا حسن؟.. يعني ايه تبيع شهادة الهندسة؟.. ايه معنى الكلام ده؟..

جذبها من يدها ليعاود الجلوس على الأريكة وهي بجانبه ويخبرها ببطء ووضوح:

ـ هو ده القرار اللي عايزك تسانديني فيه.. أنا خلاص قررت أني أنسى مؤقتاً.. لقب مهندس..

حاولت منى مقاطعته إلا أنه اوقفها ليكمل:

ـ سيبيني اتكلم يا منى.. بص.. من صغرنا وبابـ.. أقصد حاتم بيه.. بيُصر أننا نبدأ من

الصفر.. يعني مع البنايين والعمال عشان نفهم ونستوعب الشغل.. وما حدش يقدر يخدعنا أو يستغفلنا.. اشتغلنا كل حاجة.. نجارة .. سباكة.. كهربا.. محارة.. نقاشة. كل ما يتعلق بالبنا والمقاولات.. موجود كله جوه خلايا مخي..

رمقته منى في صمت ولم تعلق.. فأكمل بمزاح ساخر:

_ محسوبك أحسن أسطى نقاش عرفته مجموعة العدوي..

توسعت عينا منى وقد فهمت ما يرمي إليه حسن:

_ حسن.. أنت تقصد.. قصدك.. أنك..

أومأ حسن موافقاً:

_ أيوه يا منى.. يا ترى نظرتك لحسن هتتغير لو طلق شهادة الهندسة دي.. واتحول ولو مؤقتاً.. للأسطى حسن؟..

وضعت وجهها بين كفيها وهي تحركه يميناً ويساراً:

ـ لا يا حسن.. أنا ما اقبلش.. مش ممكن أوافق أنك تقدم التضحية الكبيرة دي.. ولو حتى عشاني..

رفع وجهها ثانية ليهمس لها:

ـ فين التضحية دي.. أنا بآخد خطوة لمستقبلنا..يمكن مش لقدام.. أو مش هنتقدم بيها كتير.. يعني هنبدأ من الصفر..

ابتسم بهدوء حتى يطمئن القلق المرتسم في عينيها:

ـ أو يعني قبل الصفر بشوية.. بس هنخرج من حصار خانق بيه..

عادت منى تهز رأسها برفض تام للفكرة:

ـ لا يا حسن.. كده كتير.. كتير قوي.. أنت رفضت أوضة السطوح.. دلوقت عايز.. عايز تشتغل نقاش!

ابتسم حسن بمرارة لم يستطع اخفائها:

ـ يمكن قبل كده فكرت أن فكرة سكتنا فوق السطوح تضحية كبيرة مني.. مش هكدب عليك

يا منى.. وأنتِ بنفسك وصلتك الإحساس ده.. لكن لحظة.. ما كان الاختيار بينك وبين مستوى ومظهر اجتماعي مالوش عندي ريحة اللازمة.. ما اترددتش لحظة..

سألت باستفهام:

ـ يعني في اختيار اهوه.. أرجوك يـــ...

وضع أنامله على شفتيها يمنعها عن الكلام:

ـ صدقيني.. أي اختيار ما يكونش ليكي الأولوية فيه.. مش حل بالنسبة لي..

ابتعدت منى عنه وأولته ظهرها لتحاول تكوين جملة تعرف أنها ستقتلهما معاً:

ـ حسن.. رجعني بيت أبويا.. وكل..

لفها نحوه بقوة يقطع كلماتها القاتلة بقبلة عاشق وهمس أمام شفتيها:

ـ لو تقدري تقوليها.. أنا ما اقدرش أسمعها.. أنا محتاجك يا منى.. حسن هيتولد على أيديكِ من جديد.. وأنا محتاج قوي اتولد من تاني.. مش هقدر اقتحم الحياة الجديدة دي إلا معاكِ..

في لحظة تذكر تجبر والده عليه.. وهو يطلب منه طلاق منى.. فمثلها تتخذ عشيقة وليست زوجة.. على حد قول حاتم بيه.. تلك النار التي مرت في شرايينه.. أحرقت كل احترام كان يكنه لوالده.. واشعلت بلهيبها التحدي بحبه لمنى.. ورغبته أن تكون.. له.. حلاله.. في النور.. وأمام الجميع..

عاد ليضغط بجبهته فوق جبهتها:

ـ المشوار صعب.. ومحتاج لك يا منى.. لأنه في طلب تاني.. طلب يخصك..

عادت لتبتعد قليلاً إلا أنه لم يسمح لها فظلت بين دائرة ذراعيه.. لتسمعه يهمس:

ـ ممكن تقدمي طلب اعتذار عن السنة دي.. أو حتى التيرم الأول.. أنا.. الظروف في الأول مش هكون ضامن قوي أني..

قاطعته قبل أن يكمل.. وحتى ترفع عنه الحرج:

ـ ده أنا كنت ناوية أعمله من غير ما تطلب.. كنت عايزة اتفرغ لحياتي كزوجة شوية.. يعني لحد ما اتعود..

عاد ليريح جبهته فوق جبهتها ليتأمل ملامحها ويسألها بخوف ممزوج بأمل:

ـ وموضوعنا الأساسي.. رأيك ايه؟..

رفعت ذراعيها لتتعلق بعنقه وقد جرت دموعها على وجنتيها بلا توقف.. كم تريد الاستجابة لنداء استغاثته.. وكم تخشى موافقته على تلك الخطوة.. تخشى عودة حسن المدلل مرة أخرى.. فعودته ستلقي على كاهلها وهي فقط ذنب تحول حسن.. البشمهندس حسن العدوي ليصبح.. مجرد عامل نقاشة.. ووقتها سيكون حبه لها تبخر بفعل نار الواقع وهو لن يغفر.. ولن يرحم..

يا الله.. ما هو الصواب وما الخطأ؟.. أأبتعد واتركه لحياته المرفهة أو أمد يدي إليه فيولد بين يدي.. حسن جديد كما يقول هو.. ليس عاشقاً فقط.. بل قادراً على حماية معشوقته..

شعرت بيديه تضمها اليه اكثر وهو يطالبها بإجابة على سؤاله المنطوق ومؤازرة لقراره المغامر.. للحظة واحدة غاب عقلها..

واختفى منطقها.. لينتصر القلب الذي استجاب لنداء معشوقه.. فضمت نفسها نحوه.. وهي تفتعل ابتسامة باهتة:

ـ لازم اختبر مهاراتك.. في فن النقاشة بنفسي.. الأوضة هتحتاج توضيب ودهان.. وأنا هكون بليه بتاعك.. ايه رأيك بقى؟..

بادلها الابتسام فأردفت هي:

ـ يعني عايز تتعلم حاجة وأنا ما اكونش عارفاها.. ما فيش أسرار بينا يا بيه.. وهساعدك يعني هساعدك..

اتسعت ابتسامته لتصبح واحدة حقيقية بالفعل والتفت ليتناول كوب عصير الفراولة ويضعه في يدها:

ـ أنا موافق بس بشرط.. تقولي لي بقى رأيك في كوباية العصير المحترمة دي..

تناولت منى رشفة واحدة من العصير لتتسع عيناها قليلاً.. وهي تحاول ابتلاعه على مضض.. بينما حسن يصر عليها أن تتناوله عن آخره..

ابتلعت ما في فمها وهي تكمل باقي الكوب وترمق حسن من خلف حافته راجية الله أن تكون مهارته في النقاشة أفضل من صنع العصير.. فهو أغرق العصير بالملح بدلاً من السكر.. ولكنها تناولته كله وهي تبدي استمتاعها بمذاقه الرائع.. فإذا كان هو سيتخلى عن حياة كاملة من أجلها ألا تضحي هي بابتلاع فراولة بالملح!...

عادت إلى واقعها الآن لترمق زوجها وهو ينهي آخر بقعة من سقف الحجرة في مهارة لم

تكن تعتقد أنه يمتلكها ولكنه أثبت لها الأسبوع الماضي أنها كانت على خطأ في اعتقادها.. فقد استطاع تحويل غرفة السطح بيضع لمسات فنية من فرشاة الطلاء خاصته إلى منعزل هادئ خاص بهما فقط.. عش رقيق ليحافظ على حبهما.. منحه حسن لمسة رقي خاصة به لتكمل منى بوضع لمساتها الدافئة والحميمة.. فأصبح لديهما شقة تتكون من غرفة نوم واحدة ومطبخ وحمام.. وغرفة تصلح للمعيشة أو تناول الطعام وحتى لاستقبال الضيوف.. وامتلأ البيت الصغير بعدة

قطع متنافرة من الأثاث.. جمعتها مني من حيث لا يدري ولكنها بلمسات بسيطة منها.. مفرش هنا.. ووسادة صغيرة هناك.. بساط ذو ألوان غير معلومة.. لوحة عجيبة لفنان أعجب.. لكنها منحت الغرفة لقب مسكن.. بل أن لمساتها امتدت لتحول السطح خارج الغرفة إلى حديقة صغيرة.. تشبه تلك التي أعجبتها بشاليه يزيد بالمعمورة.. وأخيراً ضمهما عش كما تمنيا طويلاً..

بالفعل هو عش.. ضيق للغاية ولكنه أيضاً يموج بالعشق الصافي والتضحية المتبادلة..

وقفا ينظرا إلى صنع أيديهما بفخر شديد ومد حسن ذراعه لها فدست منى نفسها تحته على الفور لتلتصق به وترفع له وجه يعبر عن حب صافٍ:

- مبروك علينا شقتنا يا حسن..

همس في أذنها:

- أسطى حسن!..

****

رمق مازن عروسه وهي تتهادى فوق الرواق الطويل الخاص بالفندق الذي سيقام بها زفافهما.. وبالطبع كان نفس الفندق الذي شهد خزيها على يد حسن.. ورغم غضب مازن من طلبها ذاك في البداية إلا أنه أدرك أهميته لتسترد كرامتها وكبريائها أمام اصدقائها ومعارفها.. لذا نفذ طلبها بدون نقاش لرغبته أيضاً في وأد أي شائعات أو أقاويل في مهدها.. وقبل أن تؤثر على حياتهما معاً..

أخذ يتأملها تقترب رويداً.. رويدا.. عيناه تعلقت بعينيها وكأنها يطالبها بالتقدم وعدم الالتفات لأي همس يجري من حولها.. اقتربت قليلاً عندها بدأ يلحظ تفاصيل الثوب..

مبهرة.. أقل ما يمكن أن يقال عنها اليوم.. أبدعت دنيا بالفعل في تصميم ثوبها.. وكأنها هديتها له.. فقد تحولت به نيرة إلى حورية

خيالية طالما داعبت أحلامه.. همس في نفسه.. "فهماني يا دنيا.. فهماني قوي"..

كان الثوب عاري الصدر والظهر والكتفين.. يتمسك قسمه الأعلى بصدرها وقد تراصت حبات عديدة من الألماس حتى بدا وكأن ضوء النهار سيسطع منه وامتدت تلك الحبات المتراصة بشكل مثلث لتلتقي بقسمه السفلي الذي يتكون من طبقات لا نهائية من التول الخفيف وقد تناثرت قطع الألماس بعشوائية مبهجة ثم عادت لتنتظم بشكل وريدات عديدة تمركزت فوق قطع من الدانتيل وتركزت على ذيل الفستان حيث امتدت فروعها للتشابك معاً مكونة شبكة مذهلة من الدانتيل والتول والألماس.. وأكملت الطرحة مظهرها الخرافي.. حيث تعلقت في شعرها الذي جمعت بعض خصلاته وتركت المعظم حراً.. وامتد طول الطرحة ليصل إلى طول الفستان الذي امتد خلفها عدة أمتار..

أجبر نفسه على الخروج من حالة السحر وحرك قدميه حتى يلاقيها.. ويتسلم تلك الأميرة الخرافية من والدها.. وسمعه من بعيد

يوصيه عليها.. لم يكن يرى غيرها.. أو يسمع سوى صوت أنفاسها.. ولم يشعر بنفسه إلا وقد اقترب منها للغاية.. ليقبلها.. ولكن ليس فوق جبهتها كما هو معتاد, بل على شفتيها.. ولم يبتعد إلا بعد أن تحولت الهمهمات المذهولة إلى صيحات تعجب واستنكار.. حينها رفع شفتيه ليغمز بعينه هامساً بشقاوة:

ـ عشان اللي فاتته البوسة الأولانية.. يلحق يتفرج على التانية!

احمرت وجنتاها بفتنة وكادت أن تنهره بعبارة مستفزة.. ولكنها توقفت عندما لمحت نظرات الحضور البراقة وكأنها تحسدها على عريسها المتيم... وسمعت بضعة آهات من مجموعة من الفتيات إعجاباً بحركة مازن الجريئة... فابتسمت ابتسامة خبيثة تحولت في لحظة إلى ابتسامة خجولة وهي تخفض عينيها أرضاً في حياء تاركة مازن يتأبط ذراعها.. ليعبرا معاً باقي الممر.. ويدخلا إلى القاعة تناجي آذانهم موسيقى كلاسيكية هادئة.. وناعمة تماماً..

بعد أن استقرا في مقعديهما همس مازن في أذنها:

_ بصراحة.. ما ينفعش أطلب تشغيل أي أغاني.. أنتِ مبهرة بصورة خيالية.. هتخلي حتى أعظم سيمفونية جنبك.. شيء باهت.. أشك أن أي حد في القاعة نزل عينه من عليكِ..

سكت لحظة وهو يتأمل إشراقة وجهها لمغازلته الخفيفة ثم بنبرة مختلفة:

_ صحيح.. هو الفستان ده مالوش حاجة تغطيه؟..

هتفت بنزق:

_ مازن!..

ضحك بشقاوة فهو كان يشاكسها فحسب وأمسك اناملها ورفعها إلى شفتيه ليقبلها برقة.. ثم ساعدها لتنهض.. هامساً مرة أخرى:

_ الأغنية دي بس استثناء..

وعلى الفور تصاعدت موسيقى..

"Everytime we touch"

I still hear your voice,
when you sleep next to
me.
I still feel your touch in
my dream.
Forgive me my weakness,
but I don't know why
Without you it's hard to
survive.

تعلقت نيرة برقبته بينما ضمها هو لصدره بقوة.. ولفها بذراعيه.. يتحركان على أنغام الأغنية ربما.. أو أنغام أخرى خيالية يسمعها هو فقط فتدفع به إلى عنان السماء.. غاب في عينيها الفيروزيتين.. فأخفضتهما أرضاً.. بخجل ربما غير مصطنع.. فهمس لها:

- ارفعي وشك.. عايز اشوف عيونك..

نفذت أمره بخجل وهي تغرق بدورها في عيونه البنية.. بلون حبات البن اللامعة.. وملامحه

الرجولية الوسيمة.. خاصة ذقنه المنحوتة والعريضة.. وسمعته يهمس عابثاً:

ـ لو فضلتِ تبصي لي كده.. أكيد الناس مش هتتفرج على بوسه بس..

وبالفعل وبدون تصنع شهقت نيرة حرجاً وخجلاً من وقاحة كلماته.. وتورد وجهها بأكمله خجلاً من نظرة عينيه المتلألئة.. فأخفته بحرج في كتفه لتبتعد عن نظراته التي تربكها بشدة وتحاول استجماع نفسها لما هو قادم...

وفي ركن آخر بالقاعة كانت علياء تستمع إلى كلمات الاغنية.. ودموعها تسيل بلا إرادة منها.. تشتاق إليه.. وتحتاجه.. تحلم به كل ليلة.. مئات الأحلام.. تتبادل معه آلاف الحوارات.. كم ترغب في رؤيته.. في اخباره..

'Cause everytime we touch, I get this feeling.
And everytime we kiss, I swear I could fly.
Can't you feel my heart beat fast, I want this to

last.

Need you by my side.

وهاتفها لا يكف عن إصدار أصوات الرسائل.. فيزيد أصابه الجنون عندما أصرت هي على الذهاب الى زفاف نيرة.. قبل ذهابها جعلها تصف ثوبها خيط.. خيط.. وبالطبع لم يعجبه.. وصرخ بها لتخلعه.. لكنها بعناد جديد عليها.. تمسكت بثوبها الأبيض الناعم ذو النقوش الزرقاء.. وحينما علم يزيد بأنه عاري الكتفين.. تكاد تقسم بأن دبي بأسرها سمعت صراخه, بل أن صوته وصل لأبو ظبي ايضاً..

عادت لتسرح مع كلمات الأغنية مرة اخرى..

'Cause everytime we touch, I feel the static.

And everytime we kiss, I reach for the sky.

Can't you hear my heart beat so...

I can't let you go.

تعبيرات وجهها كانت تتتابع من الألم والحزن إلى الفرح البائس والاشتياق المجنون.. مما جذب عينيه حادتي التركيز إلى تلك التعبيرات على الفور.. لتجذب فريدة قلم الكحل من حقيبتها الصغيرة وتسحب منديل المائدة وتبدأ في رسم عدة بورتريهات سريعة لوجه علياء.. بكل ما تحمله من أسى أنثى قهرها عشقها وخذلها كبريائها.. كانت يديها تخط ملامح علياء بسرعة وهي تخاطب صبا بتعجب واندفاع:

ـ تخيلي الفكرة اللي قلبت عليها نجوم وقرى مصر الأسبوعين اللي فاتوا آلاقيها هنا.. في فرح تافه من أفراح الطبقة الناعمة..

قطعت كلماتها وقد شحب وجه ابنتها.. فرفعت رأسها لترى عامر وقد احتقن وجهه غضباً.. فاعتذرت منه بحلاوة:

ـ آسفة حبيبي.. ما أقصدش أنت عارف لساني.. و..

قطعت جملتها عندما قرأت بسهولة علامات الذهول على وجهه.. لتدرك بعد فوات

الآن.. أنها.. نادته.."حبيبي".. تزاحمت الدماء لتصل إلى وجنتيها.. وقد غمرها الحرج الشديد فأخفضت رأسها هاربة من عينيه لتنهي إحدى بورتريهات علياء.. وتسحب منديلاً آخر للمائدة لتكمل الرسم..

أخذ عامر يتأملها لبرهة.. ثم أشار إلى أحد النادل.. وطلب منه أن يأتي بمجموعة من الأوراق البيضاء... وعدة أقلام رصاص...

شكرته فريدة هامسة بحرج:

_ متشكرة قوي.. مالوش لزوم..

نهض فجأة قبل أن تكمل جملتها.. وعيناه مركزة على باب القاعة.. حيث وقف حسن برفقة منى زوجته التي بدت مترددة جداً في الدخول..

فتحرك عامر على الفور ليمنع أي تشابك محتمل بين حسن ووالده.. ولكن ما لم يفكر به هو ابنته نفسها.. فقد لمحت نيرة حسن ومنى يدخلان القاعة.. فنزعت نفسها من بين ذراعي مازن.. لتتجه نحوهما بإصرار.. حتى واجهتهما.. لترفع صوتها فوق الجميع:

ـ يا أهلاً وسهلاً.. بمنى هانم.. بنت السواق والعاملة في بوتيك درجة خامسة... نورتينا والله..

كان مازن قد وصل إليها لحظتها.. فجذبها من ذراعها بقسوة ليبعدها عن منى إلا أنها جذبت ذراعها منه وهي تلقي بباقي كلماتها:

ـ ومين شرفنا معاها كمان.. البشمهند... آه.. آسفة.. أقصد الأسطى حسن.. نقاش درجة عاشرة..

تحكم مازن بأعصابه بقوة خارقة حتى لا يضربها أمام الجميع.. فسحبها من ذراعها بقوة وهو يهتف:

ـ يلا بينا.. الفرح خلص بالنسبة لك..

ضحكت بسخرية :

ـ فعلاً.. لازم نمشي.. الفرح بدأ يلم..

جذبها ليخرجها من القاعة وهو يرسل نظرات اعتذار وتوسل صامتة لحسن.. كلمات صامتة تحركت بها شفتاه.. "سامحني يا أخويا"..

فقد قامت نيرة للتو بذبحه ورقصت فوق أشلاء كبريائه..

****

سحب مازن نيرة وألقى بها في سيارته وانطلق بسرعة غاضبة.. بينما أخذت تصارع هي حتى تعدل من وضع ثوبها وأخيراً سألته:

_ هو احنا رايحين فين؟.. مش المفروض أننا حاجزين الليلة في الأوتيل!

رمقها بنظرة نارية إلا أنها لم تصمتها:

_ رد عليّ يا مازن!

غمغم من بين أسنانه:

_ يا برودك!

هتفت به:

_ ايه!!.. أنت بتقول ايه؟..

لم يرد عليها.. فقد كان وصل إلى الفيلا الخاصة بهما.. فأوقف السيارة ونزل منها تاركاً نيرة بها تصارع ثوبها والباب وحذائها ذو الكعب العالي حتى خرجت وتبعته غاضبة..

أيجرؤ ان يتركها بالسيارة وحدها في ليلة زفافها..

دخلت إلى بهو الفيلا تتبعها أعاصيرها لتجده خالياً.. تلفتت حولها تبحث عنه.. حتى سمعت صوتاً خافتاً من الطابق العلوي فتوجهت نحوه لتجد مازن في غرفتهما.. وقد بدأ في تبديل ملابسه بالفعل..

هتفت بذهول:

- أنت بتعمل ايه؟..

رمقها بسخرية وقد تخلص من قميصه وأخذ يبحث عما يرتديه.. فتوسعت عيناها بذهول وهي ترمق صدره العضلي الضخم وقد غطاه شعر ناعم خفيف حتى معدته ليمتد في خط مستقيم ويختفي داخل بنطاله..

ابتلعت ريقها بصعوبة.. وهي تستشعر تأثير رجولته عليها.. فابتسم هو بسخرية مدركاً ما أصابها.. وسمعها تسأله:

- احنا مش هنروح الفندق؟

- لأ..

كلمة واحدة قصيرة..

عادت تسأله مرة أخرى:

ـ ومش هنسافر بكره؟..

قطب جبينه:

ـ نسافر ليه؟

أجابت بارتباك ينجح هو فقط في تطويقها به:

ـ عشان.. عشان شهر العسل..

أطلق ضحكة عالية:

ـ آآآآآه.. شهر العسل!..

هتفت بحنق:

ـ أنت بتتريق عليَّ!

ثم تحركت لتبتعد عنه إلا أنه جذبها بعنف نحوه لترتطم بصدره العاري وتتمسك به حتى لا تسقط.. ولكنه بدا غير منتبه للمستها الخاطفة له وهو يهمس لها بصوت أجش غاضب:

ـ أنا سبق ونبهتك أنك تطلعي حسن ومني من حساباتك.. ووضحت لك أني مش هسمح أنك تستخدميني عشان تأذيهم..

وارتفع صوته بغضب حارق:

ـ كرامتك.. وحافظت عليها.. كبريائك ومتصان.. دلعك ومستحمله.. كل طلباتك مجابة..

ثم دفعها عنه لتسقط فوق الفراش:

ـ وبعدين كانت ايه النتيجة.. أخويا..

وتعالى صراخه ليرج المنزل:

ـ أخوياااااااااا.. يتهان وقدام عينيا وهو ضيفي.. هو ده احترامك لاسمي ولكرامتي.. فاهمة عشان اعترفت لك بحبي تبقي خلاص ملكتيني.. لا.. لا يا هانم.. بدري قوي على ما تقدري تملكيني.. بدري قوي..

كانت ترمق غضبه بعيون متسعة وقد تملكها الرعب بالفعل من أن يفقد واجهته المتحضرة ويبدأ في ضربها.. إلا أنه هدأ فجأة وهو ينحني نحوها فتجمدت تماماً وهي تشعر بأنفاسه

تحيط بوجهها وهو يقترب بشفتيه من شفتيها حتى كاد يلامسهما.. لتسمعه يهمس لها:

ـ أما بالنسبة لرحلة شهر العسل.. فأما يكون في عسل.. هبقى أفكر في السفر.. تصبحي على خير يا عروسة..

وخرج صافقاً الباب خلفه تاركاً إياها وحيدة في ليلة زفافها..

****

وقفت علياء بعيداً عن باب الفندق كما طلب منها السائق الذي كلفه يزيد بمرافقتها في كل تحركاتها.. وكان ذلك إحدى قراراته الغير قابلة للنقاش.. فالسائق يذهب بها إلى كل مكان حتى لو احتاجت إلى "باكو لبان".. تلك تعليماته الصارمة قبل أن يسافر برفقة زوجته الأخرى ويتركها هي متعذراً بدراستها وترك مساحة حرية لها لتنضج قليلاً.. فقرار توزيع وقته بين البلدين والزوجتين لم يُعلم به أحد غيرها.. تساءلت ساخرة.. أي حرية تلك التي يتركها لها وهو يتصل بها كل ساعة تقريباً

لتسمعه تقرير مفصل عما قامت وتقوم وسوف تقوم به.. ارتسمت بسمة خجولة على شفتيها واحمرت وجنتاها وهي تتذكر مكالماته الليلية.. وجرأته اللامعقولة معها.. حتى أنها تعودت على إغلاق الهاتف في وجهه كلما تمادى في جرأته معها.. ضمت هاتفها لصدرها وهي تتوعد السائق الذي تأخر أكثر من المعتاد.. فهي تريد الذهاب إلى المزرعة حتى تحادثه وتطمئنه على وصولها.. وتستمتع ببعض جرأته التي ادمنتها..

من بعيد كانت عيون سهام تراقب وقفتها المتململة وهي تبتسم في انتصار.. قبل أن تتصل برقم ما.. وتهمس:

ـ البنت واقفة لوحدها دلوقت وبعيد عن أمن الفندق.. ممكن تتحركوا..

وفي لمح البصر كانت سيارة تمر بسرعة لتبطئ فجأة أمام علياء التي أفزعها توقف السيارة فلم تنتبه لمن تسلل خلفها بهدوء ليدفع بمنديل ذو رائحة نفاذة أمام وجهها ويلصقه به لعدة لحظات.. فتتهاوى ساقيها ويتلقاها الرجل

بهدوء قبل أن تسقط ارضاً.. ويدخلها إلى السيارة لتنطلق بهم بعيداً..

الفصل السابع عشر

اضجع مازن في فراشه واضعاً ذراعه تحت رأسه ورفع هاتفه بيده الأخرى وأخذ يعبث به للحظات حتى ظهر اسم حسن على الشاشة.. أخذ يتأمل رقم شقيقه للحظات.. رقم يحفظه عن ظهر قلب إلا أن استخدامه له أصبح نادراً.. توترت علاقته بشقيقه في الفترة الأخيرة لا ينكر هذا.. يكتفيان باتصالات أصبحت رسمية وروتينية.. الغيرة شعور بشع.. ولا يملك إلا أن يعانيه بصمت.. صمت أجبره عليه شعور مميت بالخجل.. والآن تحول الخجل إلى خزي مؤلم.. كيف يواجه شقيقه وقد حولته نيرة مرتين لخنجر تنحره به؟!!..

والليلة.. الليلة تأكد من أنها مازالت تحمل له مشاعر.. حتى ولو كانت كراهية إلا أنها تظل مشاعر.. فهي لم تأبه بحفل زفافها أو الفضيحة التي افتعلتها مقابل أن تؤلمه.. وهذا لا يصدر إلا عن عاشقة ناقمة.. وهو ما لن يستطيع نسيانه أو غفرانه بسهولة...

عبث بهاتفه قليلاً.. ورفعه إلى أذنه.. ولم ينتظر طويلاً حتى وصله صوت يزيد مجلجلاً:

ـ يخرب بيت عقلك.. إيه اللي يخليك تتصل دلوقتِ!.. عايز تعليمات ولا شرح؟!!.. أومال بتعمل إيه مع دنيا بقى لك سنة وزيادة!!

هتف به مازن بحنق:

ـ لم نفسك يا يزيد.. أنا مش ناقصك!

ـ واضح.. إيه اللي حصل؟. دنيا طربقتها على دماغك.. ولا..

قاطعه مازن:

ـ أنت مش ناوي تسكت وتلم الدور!

ـ حصل إيه يا مازن؟

تنهد مازن وقص كل ما حدث في حفل الزفاف على يزيد الذي صمت للحظات قبل يستفسر يزيد بذهول:

ـ وحسن فعلاً قرر أنه يشتغل نقاش؟

ـ أيوه.. قرر وصمم كمان.. رافض أي مساعدة مننا.. وكمان مش عايزني أبلغ جدتي.. دماغه ناشفة..

أجابه يزيد:

ـ عايز يحقق هدف معين.. ربنا معاه..

خيم الصمت عليهما لفترة قبل أن يعاود يزيد السؤال:

ـ وموقف والدك.. سكت وهو شايف اللي بيحصل؟..

هز مازن رأسه بحيرة:

ـ مش عارف يا يزيد.. في لحظة حسيت أنه هيتدخل ويوقف المهزلة دي.. وبعدين اختفى.. مش عارف..

كانت الجملة الحائرة الأخيرة تطالب يزيد بحل.. أي حل.. فقال بحزم لا يتعامل به كثيراً:

ـ روح لأخوك يا مازن.. الزيارة اتأخرت..

زفر مازن بحزن:

ـ عارف..

عاد يزيد يردد:

ـ مش هينفع تتأخر عن كده.. وحاول معاه في موضوع النقاشة دي..

ـ هروح له بكره..

ـ سلم لي عليه..

خيم الصمت عليهما.. فسأله يزيد بسخرية:

ـ أنت شكلك ناوي تقضيها تليفون الليلة.. ما تقوم تروح لدنيا..

تمنى مازن بالفعل لو يستطيع الذهاب لها, ولكنه يعلم أنها سترفض استقباله.. فهي لن تكون البديل الجاهز الذي ينفث به إحباطاته.. لم تكن تلك طبيعة علاقتهما.. ولن تكون.. كما أنه لن يهجر منزله ليلة زفافه.. يكفيه أن يهجر فراش عروسه.. ولكن ما بينهما.. يظل حبيس جدران المنزل.. ولولا احتياجه للفضفضة ما حادث يزيد.. لكنه يعلم أن حديثه مع يزيد كحديثه مع نفسه..

قطع أفكاره صوت يزيد يسأل بلهفة:

ـ شوفتها الليلة يا مازن؟.. عاملة إيه؟

ابتسم مازن بسخرية فكلٍ يغني على ليلاه.. فكر أن يراوغه قليلاً ولكنه أجابه:

ـ جميلة.. حزينة ووحيدة..

صوت تنهيدة يزيد كاد أن يصم أذنه.. قبل أن يجيبه مسرعاً:

ـ طيب اقفل بقى عشان أكلمها.. أنت أخدت أكتر من وقتك!..

أغلق يزيد وحاول الاتصال بعلياء عدة مرات ليجد أن الهاتف مغلق في كل مرة.. زفر بحدة وهو يعيد المحاولة مرة بعد مرة لتقابله نفس الرسالة الصوتية..

لابد أنها غاضبة.. أو تمر بإحدى نوبات تمردها التي ازدادت في الآونة الأخيرة.. وخاصة بعد سفره.. حسناً.. ليس تمرد بالمعنى المفهوم وإنما تذبذب مهلك في الانفعالات والمشاعر.. وهو لم يبتعد إلا أسبوعين.. وينوي العودة إليها بعد يومين وأخبرها بذلك

بالفعل قبل ذهابها للزفاف.. لم تغضب وتغلق هاتفها إذاً؟..

تحرك ليدخل إلى غرفة نومه _التي أغلقتها ريناد على نفسها منذ سمعت صوت الهاتف لظنها أن علياء هي المتكلمة_ اندس بجوارها في الفراش ووجدها توليه ظهرها كالعادة.. حاول أن يضمها برقة.. فوصله صوتها:

ـ هي الساعة كام دلوقتِ؟..

أبعد ذراعيه ليضعهما تحت رأسه:

ـ الساعة اتنين..

ـ وأنت بعد ما خلصت وشوشة مع الهانم.. جاي دلوقتِ تحضني؟..

أجابها بصبر وكأنه يكرر أكليشيه يومي:

ـ أنا هنا معاكِ.. وهي بعيد.. طبيعي أني اطمن عليها.. وبعدين مش هي اللي كانت على التليفون.. ده...... حسن..

ـ برضوه الوقت اتأخر.. تصبح على خير..

رفعت الغطاء على كتفها حتى غطى أذنها وهي تغمض عينيها في قوة.. هرباً من رغباته التي لا تنضب ولا تقل.. لقد أصابها الملل بل الاشمئزاز من حالته تلك.. حتى أصبحت ترحب بمكالمته المستمرة لتلك الحمقاء الأخرى.. فتتخذ من غضبها ذريعة لرفضه مرة بعد مرة وهي مطمئنة أنه لا يستطيع الهرب نحو الأخرى.. وأن لا ملجأ له إلا هي.. فلتستمتع بقوتها تلك حتى تروض رغباته تماماً.. راحت في نومٍ عميق بالفعل وهي تتلذذ بتلك الفكرة.. تعذيب يزيد.. وتحجيم رغباته..

****

أطلت منى من شباك الغرفة لتتأمل حسن الشارد والصامت تماماً منذ غادرا حفل زفاف شقيقه.. كان جالساً وسط حديقتها الصغيرة خارج الغرفة ناظراً إلى لاشيء.. وبدا الغضب على ملامحه.. غضب ممزوج بشيء لم تفهمه.. أهو التصميم أم الندم؟.... تساءلت والحيرة تتآكلها هل حانت لحظة الندم؟.. لكنها أتت بسرعة شديدة.. حتى أنها لم تتهيأ لها.. ذهابها برفقته إلى الزفاف كان مخاطرة

ولكنها أخذتها بشجاعة.. وكانت متأكدة من تحرش نيرة بها.. فهي أنثى وتدرك عمق الجرح بداخل أنثى مثلها.. وتصورت أنها ستكون محط انتقام نيرة.. ولكن ما لم تفكر به هو هجوم نيرة على حسن نفسه.. واهانته بتلك الطريقة الفجة.. وهو.. بدا متجمداً وكأن كلمات تلك المتكبرة كانت كسياط وشمت جلده بما لا يمكن محوه.. والمشكلة أنه بدا متباعداً ورافضاً أي تسرية أو مواساة منها.. ردوده قصيرة ومقتضبة.. عيناه تتهرب من مواجهة عينيها.. ويلجأ للصمت متجنباً إجابة أسئلتها المنطوقة والصامتة.. وأخيراً.. اعتكف وحيداً وسط جنتها الخضراء.. ولكن بنفسية سوداء كالجحيم..

خرجت له أخيراً تحاول فك عزلته وسألته بخفة:

ـ حبيبي.. أجهز لك عشا خفيف؟

هز رأسه رافضاً بدون أي كلمة.. عادت تشاكسه مرة أخرى:

_ طيب أعمل لك عصير فراولة.. بالسكر المـ
دي..

أجاب باقتضاب:

_ أنا مش محتاج حاجة يا منى.. شوية وهدخل أنام.. تصبحي على خير..

وأشاح وجهه بعيداً عنها.. يشرد عنها في عالم بعيد.. رافضاً وللمرة الأولى مشاركتها بأفكاره.. وهمومه..

اقتربت منه بصمت لتضم رأسه الى صدرها. تحتفظ بها طويلاً قريباً من قلبها.. ثم قبلته على جبينه برقة وتركته كما طلب ودخلت إلى غرفة نومهما.. وفي أعماقها تشعر بحزن وجرح منه.. فهو انغمس في أحزانه على نفسه ولم ينتبه لألمها ومعاناتها هي الأخرى من الإهانة التي ألحقتها بها نيرة على السواء.. إهانة كانت تتوقعها وقررت أن تتلقاها بشجاعة مقابل أن يشارك شقيقه ليلة زفافه.. ولكنه للأسف.. لم يفكر إلا بنفسه.. بألمه.. بكرامته.. وكبريائه..

وفي تلك الليلة ولأول ناما.. وكل منهما يولي ظهره للآخر.. ملتحفاً بأفكار مقلقة.. وحيرة حول المستقبل.. منى دموعها تجري بصمت وخوف رهيب يعتصر قلبها.. وحسن مصاب بحالة من الجمود.. جمدت كل أفكاره ومشاعره.. يشعر أنه في فقاعة عازلة ويخشى بشدة الإتيان بأي حركة خشية تمزق الفقاعة ومواجهة ما يحيط به..

ظلا كلا منهما يحاول ادعاء النوم بلا فائدة.. حتى شعرت منى بحسن يلتف ليلتصق بها.. فالتفتت له منى لتندس بين أحضانه وتغرز وجهها في صدره بينما تعصرها ذراعاه ليقربها منه أكثر فأكثر لتزداد دموعها ويمسحها هو بشفتيه هامساً:

ـ آسف.. يا منى...

استرخت منى بين ذراعيه وابتسامتها تخترق دموعها ورأسها يتوسد صدره.. تتجاوب برقة مع همساته واعتذاراته المتكررة التي يلقي بها في أذنيها... وقلبها ينتفض سعادة بعدما كان

يعتصر حزناً.. فحبيبها لم يحتمل أن تغفو وهي مجروحة منه.. فما الذي تريده بعد ذلك؟..

****

اقتحمت نيرة غرفة مازن وهي تغلي من الغضب... وظهر ذلك على معالم وجهها الجميل الذي احتقن بشدة.. وارتجف صوتها حنقاً وهي تسأل مازن الذي كان قد وصل لتوه من الخارج:

ـ تقدر تقولي كنت فين من الصبح؟.. أنا صحيت لقيت البيت كله فاضي وأنا لوحدي!..

رفع حاجبيه بسخرية:

ـ ما كنتش أعرف أنك بتخافي!

ضربت قدمها في الأرض بغضب:

ـ أنا ما بهزرش.. ازاي تخرج لوحدك يوم صبحيتنا ومن بدري كمان وما ترجعش إلا على العصر.. كنت فين؟..

تحرك ليقترب منها قليلاً وسألها ببرود:

ـ ده اسميه إيه.. قلق عليّ ولا قلق على برستيجك؟..

فكرت نيرة أن تتحدى بروده وتخبره أنها لا تهتم إلا بمظهرها الاجتماعي.. ولكنها تراجعت عندما داهمتها تلك اللحظة التي اكتشفت فيها عدم وجوده بالبيت.. والهلع الذي أصابها لظنها أنه سأم منها وقرر إنهاء ارتباطه بها.. فتحت فمها لتهادنه بكلمات رقيقة عن قلقها عليه.. ولكنه أوقفها:

ـ قبل ما تكذبي كذبة واحتمال تصدقيها.. افتكري أنك ما اتصلتيش مرة واحدة تسألي وتشوفي أنا فين..

رمشت بأهدابها عدة مرات وابتلعت ريقها بصعوبة.. تحاول أن تصلح من موقفها.. فهي فكرت بالاتصال به بالفعل عدة مرات.. ولكنها كانت تتراجع في كل مرة خوفاً من أن يبلغها أنه ترك المنزل ولن يعود..

وقبل أن تجد أي كلمات تجبه بها.. سمعته يخبرها:

ـ أنا جبت معايا أكل عشان الغدا.. ممكن توضبي السفرة؟.. بكره الخدم هيرجعوا لشغلهم.. وآه قبل ما أنسى.. يا ريت تجمعي هدومي من أوضتك وتنقليها الأوضة دي....

فغرت فاهها من كلماته ولم تستوعب إلا جملته بنقل ملابسه من حجرتهما.. فرددت بذهول:

ـ إيه اللي أنت بتقوله ده!

ـ بصي يا نيرة.. أنا مش عايز أفشل في حياتي.. أنا واحد ما بيعرفش يفشل.. امبارح كان سهل جداً أني أوصلك على بيت عمي عامر بدل ما أجيبك بيتنا.. لكن زي ما قلت لك.. كده أبقى فشلت.. في نفس الوقت صعب أقبل تصرفك امبارح..

كتفت ذراعيها بتوتر وهي تسأل:

ـ يعني إيه؟.. هنعمل إيه؟..

ـ مش هنعمل أي حاجة.. أنا محتاج أفكر في وضع جوازنا وفرص نجاحه..

صرخت بغضب:

- ما تتكلمش عن جوازنا زي ما تكون بتتكلم على صفقة ولا عملية جديدة للشركة.. وبتفكر فيه من ناحية المكسب والخسارة..

ابتسم بسخرية:

- أنتِ اللي حولتيه لكده بتصرف غبي.. ويا ريت يكون مش محسوب.. لأنه لو كان مدبر.. صدقيني هيكون تصرفي غير متوقع..

اقتربت منه.. اقتربت أكثر من اللازم.. ووضعت كفيها على صدره.. لتشعر بضربات قلبه تهدر تحت ضغط يدها.. فابتسمت بغنج:

- خلينا نبدأ من جديد..

لم يكن قربها منه بتلك الطريقة في صالحه.. خاصة مع توقه الشديد بأن يجعلها له.. ذلك الشوق الذي دفعه إلى الهرب منها ومن الفيلا بأكملها ليغرق نفسه في دوامة العمل.. حيث أنهك جسده فعلياً وأحرق رغبته بها في بوتقة الأعمال والتنقل بين المواقع.. وللغرابة لم تكثر الأقاويل حول خروج العريس إلى عمله يوم صبحيته.. فقد كان أغلب المدعوين في الزفاف من موظفي الشركة ولابد أنهم

استنتجوا ما حدث بعد المشهد الوقح الذي افتعلته نيرة بالأمس..

انتبه فجأة على لمساتها وقد انتقلت أناملها لتمس ذقنه العريض والتي تفتنها بشدة ولكنها تبقي افتتانها بها سراً.. ولكنها وجدته يبعد يدها عن وجهه ويبتعد هو الآخر.. وإن فضحت سرعة تنفسه تأثره بها.. بينما كان هو يلعن ويسب ضعفه بداخله.. فهو يحاول التمسك بالبرود والجمود.. يريد أن يوجعها

ولو قليلاً.. أن يسترجع ولو أقل القليل من كرامته التي مزقتها شر تمزيق..

فأخبرها ببرود يحاول اصطناعه:

_ عشان نبدأ من جديد.. لازم نلاقي نقطة.. ولو صغيرة نبدأ منها.. نقطة نتقابل فيها.. وزي ما أنا عايز أوصل للنقطة دي لازم تكون دي كمان رغبتك.. ولحد ما ده يحصل, أنا هنام في الأوضة دي.. الجواز مش بس أننا ننام في نفس الأوضة ونفس السرير..

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يردف.. مدركاً صعوبة كلماته على نفسه أولاً قبل أن تكون عليها:

ـ الجواز اللي أنا عايزه.. إن الواحد يكون عنده استعداد يقدم كل حاجة.. مقابل أنه يمتلك قلب حبيبه..

هتفت مقاطعة في غضب:

ـ هو أنا لازم أضحي واتنازل عشان أنفع أكون زوجة لك!

هز رأسه بحسم:

ـ مش تنازلات يا نيرة.. أنا مش بطلب تنازلات.. ولا هقدم تنازلات تاني.. لأنه لو كانت العلاقة صادقة وقوية مش هيكون في تنازلات.. مني امبارح جت فرحك وهي متأكدة أنك هتحاولي اهانتها.. لكن جت عشان تكون جنب حسن.. وما فكرتش أنها بتتنازل عشان ترضيه.. لا.. فكرت بس أنها تكون جنبه.. مش تنازل ولا تضحية.. بس صدق في المشاعر.. عشان كده بنت السواق زي ما قلتِ عليها امبارح.. ملكت قلب أخويا.. يا ريت تكوني فهمتِ أنا عايز أقول إيه..

غمغمت من بين أسنانها:

ـ برضه مني.. حتى أنت بتعطيني بها المثل.. كل ده عشان كلمتين قلتهم.. وكنت عايزة أرد بيهم شوية من كرامتي اللي بعترها أخوك.. خلاص.. هو من حقه يجرح ويهين وأنا لو رديت أبقى وحشة وما انفعش زوجة..

هز رأسه بيأس:

ـ تبقي لسه مش فهماني.. للأسف.. لسه.. واضح أنه الطريق طويل..

ثم لف مولياً إياها ظهره وتوجه نحو باب الحمام الملحق بالغرفة.. وهو يجيبها بحسم:

ـ نيرة.. من فضلك قبل ما تدخلي أوضتي بعد كده.. تبقي تخبطي الأول..

توسعت عيناها في وسط وجهها حتى بدا كشاطئ أبيض يحيط ببركانين فيروزيتين... وهي تدرك المعنى المؤلم لكلماته التي حولتها إلى إنسانة غريبة عنه وليست زوجته التي تمناها طويلاً..

وقبل أن يدخل إلى الحمام أردف ببطء:

ـ أنا عندي مشوار بعد المغرب.. هخلصه واعدي عليكِ نروح نزور جدتي.. هي عايزة تشوفك وتبارك لك.. أنتِ عارفة طبعاً أنه صحتها ما تتحملش أنها تحضر أفراح..

قال كلمته ودخل إلى الحمام مغلقاً بينهما باب...

****

صفعة قوية وألم شديد نتيجة جذب شعرها بقوة كانا ما آفاقا علياء من غيبوبتها الإجبارية.. فتحت عينيها لتحاصرها قسوة عيون توسطت وجوه حجرية تعرفت فيها على عمها الأكبر صالح، وزوجته، وعمها سالم وهو الأوسط في ترتيب الأشقاء.. ولا يبدو أنه يهتم بما يدور أمامه.. وأصغر أعمامها مهدي والذي التمعت في عينيه نظرات ذنب ممتزجة بالشفقة والعجز.. ثم لمحت القسوة والتجبر الذي تجسد واضحاً في عينيَّ عمتها سعاد، وأخيراً صاحبة الصفعة ومن تجذب خصلاتها بلا هوادة.. "الحاجة مُنتهى".. عمة والدها..

صفعة أخرى.. تلتها جملتها الظالمة:

ـ فاجرة.. دي آخرة الجاعدة في مصر.. البت عيارها فلت..

سالت دموعها وهي تحاول استيعاب ما يدور حولها والحاجة منتهى تبرم خصلاتها بقسوة وكأنها تريد انتزاعها من رأسها بالفعل..

وعادت تردد:

ـ ما هتخرجش من الدار لآخر يوم في عمرها.. ابعت المأذون يا ولد أخوي.. دي دواها الجواز.. ابن عمها يعجد عليها..

شهقت عمتها سعاد وهي تلطم صدرها:

ـ يعجد عليها!.. وأمل بنتي.. مرته..

لتتدخل زوجة عمها صالح:

ـ أنا هبعت لأم عواد الداية.. ولو طلع كلام الست سهام دي صُح.. يبجى نرميها لأي أجير من اللي بيفلحوا الأرض..

شهقت علياء بقوة وابتلعت دموعها مع المرار الذي يجري بحلقها وهي تتساءل بذهول عن علاقة سهام بأعمامها.. لما يذكرونها الآن؟.. ماذا يحدث حولها؟.. هل سهام هي من سلمتها لهم.. وماذا أخبرتهم؟.. أنها لا تعلم ما حدث بينها وبين يزيد قبل الزواج. فماذا أخبرتهم لتشعل غضبهم بتلك الطريقة؟..

رددت بهمس مذهول:

_ دابة!!.. يعني إيه؟.. وليه؟.. هتعمل في إيه؟..

ارتفع صوتها قليلاً:

_ يا عمي.. اسمعني.. والله أنا..

لطمة قوية نزلت فوق عينها تلك المرة لتختفي الرؤية أمامها للحظات وهي تسمع عمها صالح ينهرها:

ـ أنتِ تسكتي ساكت.. ما اسمعش حسك ده أبداً.. بس دي غلطتي لما وافجت تجعدي في بيت الراجل الناجص ده..

نهضت من الفراش وهي تترنح لتحاول التمسك بكف عمها وتتوسله:

ـ يا عمي.. اسمعني.. ارجوك..

أزاحها بعنف فسقطت أرضاً.. بينما صوت زوجته يدوي في شماتة:

ـ هي اللي جليلة شرف.. منتظر إيه من واحدة تربية صالة رجص.. وأمها..

صرخت عليا بقوة:

ـ ما تجيبش سيرة ماما.. ما حدش يجيب سيرة ماما..

تلك المرة جذبها عمها من شعرها لتتوالى الصفعات على وجهها وهو يصرخ بها:

ـ يا جليلة الشرف والرباية.. تروحي تلفي على الراجل اللي لمك في بيته وبعد ما أمك خربت

بيته مرة.. جاية أنتِ تكملي عليه وتجري رجله للحرام والمعصية.. لا دين ولا أخلاق.. ولا ربانية.. أنتِ في موتك رحمة..

كانت الكلمات موجعة بقدر الصفعات بل ربما أكثر وجعاً.. فرحت بغياب وعيها وهي تتبين أخيراً.. المكيدة التي حاكتها سهام لها.. فهي لم تخبرهم بزواجها من يزيد بل أقنعتهم بأنها على علاقة غير مشروعة.. بـ عصام.. زوج أمها ووالد يزيد.. وهم صدقوها.. تلك الغريبة التي لم يروها أو يعرفوها قط.. صدقوها.. وحكموا عليها هي.. ابنتهم.. وبقي موعد وكيفية تنفيذ الحكم..

هل دمائهم تجري في عروقها بالفعل؟.. تشك بقوة.. لا عجب أن أباها هرب منهم ليتزوج أمها!.. من يستطيع تحمل تلك القسوة من أقرب الناس إليه؟.. طالما حذرتها أمها منهم.. ومن تحجر قلوبهم.. والآن.. ذهب والدها ومن بعده أمها.. ولم يتبقَ لها أحد.. إلا حبيب ونصف زوج.. تشك

في إمكانية إنقاذه لها.. وأقارب يشاركونها اسم العائلة وبضعة فدادين من الأراضي الزراعية هي كل ما يهتمون بها...

****

عاد حسن من عمله مع آذان العشاء وهو يحمل عدة أكياس بين يديه.. تحتوي على بعض مل طلبته منى.. ليفاجئ بشقيقه جالساً وسط حديقة منى الصغيرة يحتسي كوباً من الشاي وقد جلس معه عم نصر وبدا أنهما منهمكين في حديث طويل...

التفت مازن فجأة لتصطدم عيناه بعينيَ حسن التي ضاقت في تركيز وكأنه يحاول تبين سبب وجود شقيقه_العريس الجديد_ هنا في منزله بدلاً من تواجده مع عروسة الجديدة.. بينما جرت عينا مازن على ملامح أخيه يلتهمها في شوق واضح.. وقد بدا تأثره من الإرهاق البادي على ملامح حسن.. وملابسه التي فقدت رونقها واحتفظت ببعض أناقتها السابقة.. نهض ببطء ليتوجه نحو شقيقه ولكن منى التي شعرت بعودة زوجها كانت قد خرجت من شقتهما الصغيرة وتوجهت نحو حسن فقطع

التواصل البصري بينه وبين شقيقه.. والتفت لزوجته يمد يده إليها بالأكياس ويهمس لها بضعة كلمات فتومئ بصمت وهي تأخذ منه حقيبة صغيرة.. خمن مازن أنها تضم الملابس التي يعمل بها حسن.. ولمح يد منى تضغط برفق ورقة على كتفه قبل أن تدخل إلى الشقة مرة أخرى..

لم يسمعا عم نصر وهو يستأذن متعذراً بموعد صلاة العشاء.. وظلت نظرات الشقيقين معلقة ببعضها.. تحرك حسن قليلاً وفتح ذراعيه على وسعهما فاندفع مازن إليه ليلتقي الشقيقان في عناق ترحيب وعتاب طويل..

وأخيراً همس حسن:

- مبروك يا مازن..

ابتعد مازن وهو يخفض بصره أرضاً ويهمس بدوره:

- لسه زعلان مني يا حسن؟..

- أنا مش زعلان.. ليه بتقول كده؟.

ـ مش أنا اللي بقول.. العتاب في عينيك هو اللي بيقول..

وضع حسن يديه في جيبي بنطاله وتحرك قليلاً حتى وصل إلى سور السطح.. فرمى بنظره إلى الأفق وهو يقول بصدق:

ـ يمكن ليلة امبارح زعلت شوية.. لكن قبل كده لأ..

ـ بس أنت بعدت قوي يا حسن.. همشتني جامد بعد جوازك.. في أوقات كتير حسيت أن يزيد أقرب لك مني أنا أخوك.. حتى أنه اتحول لشبه مرسال بينا..

هز حسن رأسه بنفي تام:

ـ يا مازن أنا بعدت عشانك أنت.. عشان سعادتك مش عشان زعلان منك..

قاطعه مازن بمواجهة آن أوانها:

ـ ليلة الحفلة واللي أنا عملته.. ما ضايقكش.. ما زعلتش أني طاوعتها وخذلتك؟..

سأله حسن بتقرير:

ـ أنت بتحبها.. مش كده؟..

لمحة من عذاب حي التمعت في عينيّ مازن قبل أن يخفيها بسرعة.. ولكن حسن التقطها بقدرة عاشق وفطرة أخ يبحث عن سعادة شقيقه..
فربت على كتف مازن بحنان:

ـ أنت اتصرفت صح.. لو أنا مكانك وجت لي الفرصة أني أكون مع الإنسانة اللي بحبها ما كنتش هتردد لحظة.. وده فعلاً اللي عملته..
أنا خاطرت بكل حاجة في سبيل أني أكون معها منى.. ليه بتلوم نفسك على نفس المخاطرة؟

أجابه مازن بسرعة:

ـ لأ...

ثم سكت وكأنه انتبه إلى شيء ما.. وسأل حسن بخفوت:

ـ أنت كنت عارف أني.. أني.. أني بحبها؟..

هز حسن رأسه بنفي:

ـ عرفت متأخر.. متأخر قوي.. ياريت كنت صارحتني من البداية.. كان حاجات كتير اختلفت..

عادت لمحات العذاب تمر بعينيّ مازن ولم يستطع إخفائها تلك المرة:

ـ ما كانش ينفع.. هي بتحـــ.. أقصد كانت بتحمل لك كشاعر و..

قاطعه حسن:

ـ هي موهومة.. وأنت عارف كويس.. بص.. دي مش نقطة نقاشنا دلوقتِ.. لا أنا بلوم عليك سكوتك.. ولا زعلان من موقفك يوم الحفلة.. لكن..

سكت حسن وبدا متردداً في قول ما عنده.. ثم حسم أمره ليقول:

ـ أنت متأكد أنها هتسعدك؟..

أخفض مازن نظره وأسبل جفونه ليغطي على ما ظهر في عينيه من تعبير حائر.. ثم ربت على كتف حسن ورفع نظره إليه وقد غطى قناع من الجمود ملامحه:

ـ ما تقلقش عليّ.. أنا عارف هتعامل معاها إزاي..

لم يبدو على حسن أنه يصدقه وظهر على وجه سؤال حائر.. لم يستطع كبته فانطلق منه بدون إرادة:

- ليه؟..

هز مازن رأسه وارتسمت على وجهه ابتسامة حزينة:

- من غير ليه!.. أنت ممكن تلاقي ألف مبرر للاعجاب.. لكن لو وقفت لحظة وقدرت تحدد سبب للحب.. يبقى اتحول لأي حاجة تانية.. غير الحب..

تجمد حسن للحظات.. ثم غمغم بهمس:

- للدرجة دي يا مازن!..

لم يجبه مازن.. وأدار وجهه بعيداً.. قبل أن يقرر تغيير الموضوع:

- ما تشغلش بالك بيَّ.. خلينا في الأهم.. أنت لسه مصر على موضوع النقاشة؟..

تكتف حسن بإحساس من على وشك دخول معركة:

- مضايقك الموضوع ده في حاجة؟..

_ أكيد في حلول تانية..

أومأ حسن موافقاً:

_ أكيد.. بس ده أسرع!

ردد مازن بعجب:

_ أسرع؟؟

_ أيوه يا مازن أسرع.. أكيد أنا مش هستمر نقاش طول عمري..

هز مازن رأسه بحيرة وكأن حسن ألقى اليه بــلغز عميق:

_ فهمني أنت ناوي على إيه؟.. أنا ممكن أدبر لك..

زجره حسن:

_ مازن.. خلاص.. أنا لازم أفكر أني أدبر لنفسي.. وأحل المشاكل اللي نتجت عن قراراتي.. مش هينفع حد تاني يحمل همي.. أو يحل مشاكلي..

_ فهمني يا حسن.. أنت بتقلقني بكلامك مش بتطمني..

أخرج حسن زفرة حارة قبل أن يقول:

ـ أنا ناوي على السفر يا مازن..

ـ سفر!

أكمل حسن وكأن مازن لم يقاطعه:

ـ والسفر محتاج مصاريف.. مصاريف كتير.. خاصة أني لازم آخد منى معايا.. مش هينفع أسيبها هنا لوحدها..

ـ وأسرع طريقة هي النقاشة؟..

غمز حسن بعينه:

ـ أنا نقاش شاطر!..

وأكمل مازن عنه:

ـ و...

ابتسم حسن:

ـ و... وبس..

بادله مازن الابتسام:

ـ هو عصبي جداً من بعد ما وصله الموضوع.. درجة عصبيته 44 وشرطة..

ابتسم حسن بمرارة:

ـ قلقان على مظهره قدام الناس واسمه في السوق..

ـ ممكن..

وتردد قليلاً قبل أن يكمل:

ـ امبارح.. امبارح.. تقريباً قربت أصدق أنه كان قلقان عليك أنت.. بس.. أنت عارف.. صعب أني أحدد.. بس يا حسن.. مش معنى كده أني موافق أنك تتبهدل لمجرد إثبات موقف..

ـ لا يا مازن.. مش مجرد إثبات موقف بس.. زي ما قلت لك.. السفر هو هدفي.. النقاشة مجرد وسيلة.. اطمن أنا مركز كويس..

ربت مازن على كتفه وهو يتحرك متوجهاً نحو باب السطح:

ـ ماشي يا حسن.. براحتك.. بس افتكر دايماً.. أن مجموعة العدوي.. لك فيها حق زي.. وأكتر كمان.. و..

قاطعه حسن راغباً في تغيير الموضوع:

ـ أنت هتتعشى معانا الليلة..

ابتسم مازن بتفهم واجاب بهدوء:

ـ الليلة هتعشى مع جدتي.. عايزة تبارك لي..

ـ سلم لي عليها يا مازن..

أومأ مازن برأسه.. وتحرك ليخرج من باب السطح.. ثم عاد ليعانق شقيقه بقوة:

ـ أنا آسف يا حسن.. والله آسف..

وكزه حسن بخفة:

ـ عيب يا ولد.. أخوك الكبير يا ولد..

ابتسما معاً.. وعيونهما يغشاها الدمع..

****

لم تعرف كم غابت عن الدنيا ولكنها استيقظت على وكزة قوية من زوجة عمها وهي تخبرها بعنف:

ـ جومي.. أم عواد جت.. وهتشوفك دلوجت..

دعكت علياء عينيها بظهر يدها وهي تحاول التحرك فتمنعها آلام جسدها المتفرقة.. وشعرت بقماش ناعم يلقى بوجهها.. فأمسكته لتكتشف جلباب واسع أسود اللون.. أخذت تتأمله بدهشة بينما هتفت بها زوجة عمها:

ـ جومي.. اجلعي المسخرة اللي أنتِ لابساها.. والبسي ده.. أم عواد مستعجلة..

سألت علياء بتردد:

ـ مستعجلة ليه؟.. هي هتعمل إيه؟..

ـ البسي بس..

خرجت وتركتها وحدها فبدلت علياء فستانها بالجلباب الأسود.. رتبت فستانها برقة وهي تتذكر صراخ يزيد عندما وصفته له وتوعده لها بأنه سيمزقه.. ولكن ليس قبل أن يعاينه على جسدها أولاً.. هزت رأسها بخوف.. ماذا سيحدث لها الآن؟.. وهل سيعلم بمكان وجودها؟.. كيف سيعلم ومن سيخبره؟.. وهل سيأتي؟.. هل يهتم بما يكفي ليأتي؟.. أم....

قطع تسلسل أفكارها.. دخول عمتها وزوجة عمها مع سيدة أخرى.. تبدو ملامح وجهها هادئة نوعاً.. ولكنها ملابسها السوداء تبدو مقبضة بشدة..

أمرتها زوجة عمها بخشونة أن تستلقي على ظهرها.. ولكنها تجمدت في مكانها تحت النظرات المتفحصة من المرأة الغريبة حتى فوجئت بعمتها تدفعها بقوة لتسقط على الفراش.. حاولت النهوض ولكن زوجة عمها لفت حول الفراش من الناحية الأخرى لتجذبها

وتكبلها كلا السيدتين من كل جهة.. بينما تعرضها تلك السيدة سوداء الملابس لابشع انتهاك قد تمر به أنثى..

تعالت صرختها التي أخرستها لطمة قوية من عمتها وهي تنهرها:

ـ اخرسي يا فاجرة..

ثم وجهت كلماتها الى أم عواد:

ـ وأنتِ كماه.. خلصينا..

انتهت السيدة من فحصها المؤلم وألقت بالغطاء فوق علياء التي تكومت على نفسها متخذة وضع الجنين وهي تشهق ببكاء مكتوم وجسدها ينتفض مع كل شهقة.. أغمضت عينيها علهن يختفين من أمامها.. فهي لم تعد قادرة على تحمل سواد ملابسهن والأصعب قلوبهن الحجرية.. فلم تنتبه لحركة تلك السيدة الغريبة وهي تشير برأسها لعمتها وتقترب منها لتهمس في أذنها بشيء ما جعل عمتها تلطم خديها وتخرج مسرعة.. ليعود معها بعد ذلك عمها صالح وقد التمع الشر

والأذى في عينيه ليجرها كعادته من شعرها ولكن تلك المرة تسقط من فوق فراشها وهي تصرخ بألم.. وصفعاته تتوالى على كل ما تصله كفه الضخمة من جسدها.. وتنطلق منه كلمات السباب والشتائم لم تسمعها من قبل وهو يصفها بأبشع ما ذكر في معاجم اللغة.. فأخذت تردد بدون توقف:

ـ مظلومة.. والله مظلومة.. أنا متجوزة.. يزيد اتجوزني.. يزيد.. يزيد..

تصرخ بأعلى صوتها بينما يتجبر عمها ولا يصدق:

ـ انجوزك.. تلاجيه كان بيصلح غلطة أبوه.. عيلة واطية.. وأنت اوطى يا بنت..

صرخت مقاطعة وصفعة أخرى تسقط على وجنتها فأسالت الدماء من جانب وجهها:

ـ والله يزيد جوزي.. والله..

هم بصفعها من جديد عندما تدخلت زوجته لتمنعه:

ـ يكفي يا صالح.. هتموتها في ايدك..

ـ موتها حلال..

ـ عايز توسخ يدك بدمها النجس.. ولا تروح أنت جصادها.. دي تربية بنادر وما نعرفش مين هيسأل عليها.. احنا نرميها للواد عبده العلاف.. ونبجى سترنا عرض أخوك..

هتفت علياء بهم:

ـ متجوزة والله أنا متجوزة.. يزيد.. يز..

اخذت تردد اسمه بخفوت.. وكأن ترديد اسمه ما سيحميها من قسوتهم وحكمهم الجائر...

دخل لحظتها مهدي العم الأصغر.. وسمع كلمات علياء المتفرقة فتوجه لأخيه:

_ طيب يمكن يا خويا تكون صادجة ومتجوزة صُح.. ما نسعل ونتوكد..

سخر صالح منه:

_ صدجتها يا خوي.. جلبك الطيب حن!

_ ما هنخسرش حاجة.. مش احسن ما نجوزها وتطلع على ذمة راجل تاني..

ده غير أوراجها كلها عند اللي اسمه عصام ده..

فكر صالح في كلمات أخيه قليلاً:

_ عندك حق يا أخوي.. والأرض لازم ناخدها بيع وشرا الأول جبل أي حاجة وبعدين نشوف هنعمل معاها إيه..

ثم أشار إلى علياء المتكومة على الأرض وهو يحدث زوجته:

_ ما تخرجش من الأوضة.. واكلها عيش وميّ..

ربتت زوجته على كتفه وهي تطمئنه:

_ اطمن يا حاج صالح.. أنا فاهمة هعمل إيه..

خرجوا جميعاً من الغرفة وتركوها وحيدة.. ملقاة على الأرض فلم تملك القوة حتى للزحف لتعود إلى فراشها.. لم تشعر بمعنى اليتم كما شعرت تلك اللحظة.. وحيدة تماماً رغم وجودها وسط أهلها.. غريبة وسط أقارب يهاجمونها ويتهمونها بما لا تعلم.. يبادرون ليس لحمايتها ولكن لانتهاكها..

وهو.. معذبها الأول.. أول من انتهك.. وأول من ابتعد.. وأول من تركها وحيدة وسط قطيع من ذئاب ينهشها ولا تملك ما تدافع به عن نفسها.. سوى كلمتها والتي يرفض الجميع سماعها..

وبين اليقظة والهذيان شعرت بمن يدخل الغرفة.. ويقترب منها.. لتلمح نصل حاد يلمع في الضوء.. قبل أن تغيب تماماً عن الوعي.. ولسانها يردد اسمه كتعويذة سحرية ربما تحميها من قسوتهم الباردة...

****

على الجانب الآخر كان يزيد يحاول يائساً ولثلاثة أيام كاملة الاتصال بعلياء بلا جدوى.. فهي لا ترد على هاتفها المحمول.. ولا هاتف المزرعة.. وحتى حاول الاتصال بها على هاتف شقتهما_والتي قررت ألا تنتقل اليها إلا وهو معها_ ولكنه أيضاً فشل في الوصول إليها..

كان يظن في البداية أنها غاضبة عليه بسبب صراخه عليها.. ولكن الآن أدرك أن الأمر يتخطى نوبة غضب عابرة.. فيبدو أن حضورها زفاف نيرة أشعل بداخلها الحنين ليكون له زفافها الخاص.. وهي إما غاضبة تلومه ومحرجة من مطالبته بحفل خاص بها.. أو أنها غاضبة لأنه لم يستطع العودة في

الموعد الذي أخبرها به.. وقررت أن تعاقبه بخصام.. زفر بحنق فهو كان ينوي العودة إليها بالأمس.. ولكن والده كبله بمجموعة من المهام والأعمال ستستغرق أسبوعاً على الأقل...

حاول مرة أخرى أن يتصل بها.. لتأتي له الرسالة المسجلة التي سأمها.. فاتصل بوالده مباشرة:

_ بابا.. علياء فين؟..

_ علياا؟.. عليا موجودة.. هتروح فين؟

لهفة يزيد الشديدة لم تمكنه من التقاط التوتر في صوت والده.. فأردف بسرعة:

_ أنا بيتهيألي أنها زعلانة أو ممكن محرجة وبتفكر يكون لها حفلة وفرح.. لو سمحت يا بابا بلغها أني موافق.. واللي هي تطلبه هنفذه.. بس خليها تفتح الموبايل.. عايز اطمن عليها..

لم يعرف والده بم يجبه فهو قرر إخفاء أمر اختطاف علياء عنه.. ففي البداية لم يكن يعرف ما حدث لها.. فقط أنها لم تصل إلى

المزرعة بل تغيبت طوال الليل ولم تظهر أبداً..

عند عصر اليوم التالي.. لم يجد بدأ من الذهاب إلى الشرطة.. وبعدما استمع له مأمور القسم.. لفت نظره بطريقة غير مباشرة.. بسؤال أعمامها.. أو التحري لديهم أولاً.. ولكنه لم يحتج لذلك.. فقد وصله اتصال من عمها في اليوم التالي.. وكان فحوى الاتصال من أغرب ما يمكن.. وأكال له الرجل اتهامات ووصمه بما لم يخطر على باله.. وعندما أوضح له أن علياء أصبحت زوجة لابنه يزيد.. تعالت صيحات عمها بالتهديد له وليزيد بالانتقام وغسل العار.. أي عار يتحدث عنه هذا الرجل؟.. هل أخبرتهم علياء بفعلة يزيد نحوها قبل الزواج؟.. وهل تذكروا الآن فقط ابنتهم؟.. وفكروا في حمايتها والثأر لشرفها!

صوت يزيد أخرجه من شروده وهو يؤكد:

ـ خلاص يا بابا هتبلغها؟..

صمت عصام للحظات.. ثم حسم أمره.. واجاب بحزم:

- هو احنا مش اتفقنا أنك تبعد عنها لفترة.. اللي بتعمله ده اسمه إيه.. البنت محتاجة وقت تراجع فيه نفسها.. حضورها فرح نيرة أثر عليها جامد زي ما قولت.. سيبها تروق على مهلها.. وهي هتبقى تكلمك..

وأغلق الخط بسرعة.. يعلم بأن اخفائه الحقيقة عن يزيد قد يعرض علياء للخطر, ولكنه أب.. يخشى على ابنه من تهديدات أعمام الفتاة.. وعزائه أن عمها اتصل ثانية فاتحاً مجال للتفاوض.. وموضحاً أنهم يهتمون بالأراضي وميراث علياء من والدها.. وهو يحاول معهم جاهداً ليصل إلى حل ينقذ به الفتاة قبل فوات الأوان...

****

الفصل الثامن عشر

أخذ مازن يرمق نيرة بغموض وهي جالسة إلى يمينه على مائدة الطعام تعبث بهاتفها كل خمس دقائق.. يتساءل بداخله عما يقلقها هكذا فهي تزم شفتيها بقوة.. وتعبث بخصلات شعرها بدون أن تدري.. وتتحرك يدها أحياناً فتمسك بعنقها للحظات ثم تعود إلى خصلاتها مرة أخرى..

كانت تبدو كتلك الليلة التي اصطحبها فيها لتناول العشاء مع جدته.. لم يظن للحظة أن نيرة تقلق مما قد يظنه الناس بها, إلا أنها بالفعل كانت قلقة من لقاء جدته وكأنها تراها للمرة الأولى.. وبالفعل خيم جو من التوتر الشديد على تصرفات نيرة وحتى جدته تتعامل معها بأسلوب متكلف لم يلحظه عليها من قبل, رغم أنها لم تعلم ما فعلته نيرة في حفل الزفاف, إلا أنها تعاملت برسمية مبالغ بها.. فكانت أمسية كارثية بجميع المقاييس خاصة وأن نفسيته لم تهدأ على الإطلاق بعد لقائه الحزين بشقيقه.. ورغم ذلك حاول احتواء التوتر المخيم على الأمسية حتى استهلك طاقته بالكامل في محاولة يائسة ليمر اللقاء بسلام.. واستغل أول فرصة سنحت له ليرحل مصطحباً زوجته معه..

وعند بوابة الفيلا الخارجية.. أنزل نيرة طالباً منها ألا تنتظر عودته باكراً.. وانطلق نحو.. دنيا...

أعاده تململ نيرة وهي تعبث بهاتفها إلى وجوده بمنزله.. على مائدة طعامه تجاوره

عروسه.. عروس تبدو مشغولة للغاية بهاتفها..

فألقى بمعلقته فجأة هاتفاً:

ـ يعني مش قادرة تبعدي عن تليفونك ربع ساعة نتغدى فيهم..

رفعت نظراتها إليه لتسأله بلهفة:

ـ هو يزيد رجع مصر؟..

قطب حاجبيه بتساؤل:

ـ بتسألي ليه؟..

ـ بحاول أوصل لعليا بقى لي يومين.. ومش عارفة.. تليفونها مقفول على طول.. فقلت أكيد هو وصل ومشغولة معاه..

ردد مازن بتأكيد وهو يتذكر محادثته ليزيد في ليلة زفافه الكارثية.. ومحادثة أخرى بعد عودته من زيارة حسن:

ـ لا.. يزيد قدامه أربع أيام على ما يرجع..

تمتمت نيرة بعجب:

ـ غريبة!..

رمقها لوهلة وقبل أن يستفسر منها ارتفع رنين هاتفها لترفعه بلهفة ولكنها ما إن رأت اسم المتصل على الشاشة حتى أعادت الهاتف إلى المائدة وعلامات الامتعاض تعلو وجهها.. مما دفع مازن لسؤالها:

ـ ليه ما بترديش؟..

هزت كتفيها باستهانة:

ـ دي مش عليا.. دي صبا..

ـ صبا أختك؟..

مرت في عينيها نظرة نارية.. وأومأت برأسها موافقة.. بدون أن ترد على هاتفها.. حتى اختفى الرنين الذي ما لبث أن ارتفع مرة أخرى.. فقال مازن بلهجة آمرة:

ـ ردي على أختك يا نيرة..

أمسكت هاتفها بامتعاض.. تتمنى لو تخالف أمره, ولكنها حريصة على أن تحتوي غضبه منها.. وتحتفظ بالأوقات التي يتواجد بها معها هادئة قدر الإمكان.. علها تفهم ما

الذي يريده منها بالتحديد... فتحت الخط وهي تقول بملل:

ـ خير يا صبا في حاجة؟..

جاءها صوت صبا متردداً وهي تسألها بدورها عن علياء المختفية منذ ليلة زفاف نيرة... مما جعل نيرة تتساءل بصوت نضحت منه الغيرة:

ـ وأنتِ بتسألي على عليا ليه؟..

ـ فريدة عايزاها.. موضوع بخصوص لوحات ورسم..

تشبعت أعماق نيرة بغيرة غاضبة.. وهي تستمع لكلمات صبا.. فهي لا يخفى عليها تعلق علياء بالرسم.. فهل ستسرقها فريدة منها كما سرقت والدها من قبل.. إلا أن أفكارها توقفت فجأة وكلمات صبا تتوالى:

ـ عليا مختفية يا نيرة.. مش موجودة في المزرعة ولا في أي حتة.. وبعد محاولات مع خفير المزرعة فريدة عرفت منه أن عليا ما

رجعتش المزرعة من ليلة فرحك.. أنتِ تعرفي حاجة عنها؟...

ابتلعت نيرة ريقها بتوتر:

- استني.. ثواني كده فهميني..

كررت صبا نفس الكلمات على نيرة ببطء، وتفسير أكبر وهي تحكي لها محاولة فريدة للوصول إلى علياء بكل الطرق.. حتى تيقنت أخيراً من اختفاء علياء..

أغلقت نيرة الهاتف مع صبا.. بعد أن وعدتها بإبلاغها بأي معلومة تصل إليها وتخص علياء..

سألها مازن على الفور:

- حصل إيه؟.. عليا فيها حاجة؟..

لم تجبه وأخذت تعبث بهاتفها.. فسحبه منها وهو يعيد سؤاله:

- في إيه؟.. إيه مشكلة عليا؟..

قصت عليه ما أخبرتها به صبا ومدت يدها تطلب هاتفها وهي تقول بتوتر:

_ هات التليفون يا مازن لازم أكلم أونكل عصام.. أكيد عنده أخبار..

رمقها بنظرة غامضة قبل أن يقول:

_ أنا اللي هكلمه..

مكالمة سريعة مع عصام.. بعدها ارتسمت معالم القلق على وجه مازن.. والتفت إلى نيرة التي كانت تسأله بلهفة:

_ خير.. قال لك إيه؟..

رفع نظره إليها وظهرت عليه معالم التفكير العميق قبل أن يحسم أمره.. ويتصل بيزيد قاصاً عليه كل ما يعرفه وختم كلماته:

_ أنا لسه قافل الخط مع والدك.. وبيتهيألي هو عارف حاجة.. بس مش عايز يقول..

أغلق الخط لينظر إلى نيرة التي كانت في شدة لهفتها.. وأخبرها بهدوء:

_ يزيد هينزل على أول طيارة..

سألته بقلق:

- هو الموضوع خطير قوي كده؟..

أجاب بغموض:

- ربنا يستر.. أنا هروح لعمي عصام الشركة جايز أقدر أجيب أي معلومة منه..

خرج مازن متوجهاً إلى مجموعة الغمراوي في نفس اللحظة التي كان يهتف بها يزيد بأبيه على الهاتف:

- علياء فين يا بابا؟..

تلعثم عصام كان شديد الوضوح تلك المرة لأذنيّ يزيد وهو يقول:

- عليا.. إحنا هنرجع تاني للموضوع..

قاطعه يزيد بقوة:

- أنا عرفت كل حاجة..

هتف عصام بقلق:

- مين قالك؟.. هو عمها صالح كلمك؟..

أغمض يزيد عينيه بألم وهو يردد:

ـ أعمامها؟؟..

وقبل أن يرد عصام بأي كلمة كان يزيد قد أغلق الخط...

****

كان حسن منهمكاً في إنهاء آخر بقعة من الجدار المواجه له.. بينما قرر باقي زملائه التجمع من أجل الراحة مع كوب من الشاي الأسود حتى يستطيعوا إنهاء العمل في موعده.. أخذ حسن يستمع إلى أحاديثهم الودية وبسمة هادئة ترتسم على شفتيه بينما يعتذر لهم بلطف عن مجالستهم لرغبته في إنهاء عمله والذهاب إلى منزله...

تقدم منه أحد زملائه وهو يبتسم بغموض.. مقدماً له لفافة سجائر غريبة الشكل:

ـ بنمسي يا بشمهندس..

التفت حسن إليه:

ـ متشكر يا أسطى سُمعة.. أنت عارف ما بدخنش..

وكزه سُمعة بمرفقه وهو يقول:

ـ وده دخان برضوه.. دي حاجة هتريحك وتروق مزاجك..

ابتسم حسن معتذراً مرة ثانية.. بينما ظل شُمعة على إلحاحه محاولاً اقناع حسن:

ـ صدقني يا هندسة.. دي اللي هتخليك تتحمل الوقفة على كعوبك طول النهار.. وهتنسيك ريحة التنر والزيت.. هتروقك وتعلي مزاجك..

وقبل أن يجيبه حسن سمعا الاثنان صوت المعلم محمود.. المقاول المسئول عن تشطيب

البرج السكني الذي يعملان به وهو يرحب بشخص ما بصوت خاضع:

ـ يا ألف مليون أهلاً وسهلاً.. نورتِ الدنيا كلها يا ابتسام هانم..

والتفت إلى أحد العمال:

ـ كرسي بسرعة للهانم...

جاء صوت الهانم مشمئزاً وهي تقول:

ـ ما فيش داعي يا معلم محمود.. أنا جاية أشوف إيه آخر أخبار الشقة..

ودارت بعينيها في أنحاء الشقة حتى توقفت نظراتها على حسن.. الذي توقف عن عمله وكتف ذراعيه ليتأمل المتطفلة المدللة بشعرها الأشقر المصبوغ وزرقة عيونها المزيفة.. لم تكن تضع الكثير من الزينة إلا أن طريقتها وملابسها القصيرة جداً _والتي رسمت خريطة جسدها واضحة لتلتهمها نظرات الرجال الشرهة_ ذكرته نوعاً ما بنيرة.. مما تسبب بنفور وامتعاض فوري بداخله, ولكنه حاول جاهداً السيطرة عليه وبينما هو يحاول السيطرة على رد فعله الرافض لتلك المرأة وجدها تحدق به بطريقة فجة..

كانت نظراتها تنطق بأفكارها القذرة وهي تجري بها فوق قامته الطويلة وكتفيه العريضين.. وكأنها تعريه من ملابسه لتتخيل ما تخفي تلك الملابس تحتها من جسد رياضي ممشوق وعضلات منحوتة..

أخرجت لسانها لترطب به شفتيها وكأنها تستمتع بمذاق قبلاته التي يصورها لها خيالها الجامح.. وبدا توهج وجهها دليلاً قوياً

لشعورها بالإثارة.. تأملته للحظات.. وهي تفكر.. قد يكون عامل نقاشة ولكنه وسيم ومثير حقاً وهي تريده.. وطالما تعودت على نيل ما تبغى..

توجهت نحوه وعيناها تنهل من وسامته البارزة وسط عمال النقاشة وزاد في بروزها التي-شيرت الأسود الذي كان يرتديه.. وقفت أمامه مباشرة لتسأله:

ـ أول مرة أشوفك هنا.. يا...

أكمل لها المعلم محمود بسرعة:

ـ ده البشمهندس حسن.. بيشتغل معانا جديد.. هو مهندس صحيح.. بس نقاش ممتاز.. أحسن واحد عندي.. بس ده تربية عز وحياتك يا هانم..

ابتسمت وهي تقترب أكثر وتمد يدها لتمسك كتف حسن وتتحسسه بوقاحة:

ـ عندك حق يا معلم محمود.. شكله ابن عز فعلاً..

ثم التفتت لحسن:

ـ أنت اللي هتبقى مسئول قدامي عن تشطيب الشقة دي بالذات.. صحيح البرج كله بتاع دادي.. لكن الشقة دي هتكون بتاعتي.. وعايزاك تشطبها على ذوقك..

تراجع حسن خطوتين حتى يبتعد عن مرمى يدها وهو يخبرها بهدوء:

ـ الأفضل يا فندم أنك تحددي طلباتك بالظبط.. والمعلم محمود هو ريسنا كلنا.. وهنفذ طلباتك بالحرف..

أطلقت ضحكة عالية وهي تكرر كلمته:

ـ طلباتي!!..

ثم غمزت بعينها وهي تهمس له بدون خجل:

ـ لون عيونك!..

تعالت ضحكات العمال.. بينما اتسعت ابتسامتها:

ـ عايزة ألوان الديكورات تكون لون عيونك..

وعادت تطلق ضحكاتها العالية وهي تتلمس ذقنه بشغف.. وتتحرك لتخرج من الشقة وهي تلوح له بأصابع ذات أظافر مطلية بعناية:

ـ تشاو.. يا بشمهندس.. هعدي عليك بكره.. عشان نتفق...

وغمزت بعينها:

ـ على تنفيذ طلباتي..

خرج المعلم محمود خلفها مباشرة.. بينما وقف حسن يتأمل المكان الذي اختفت فيه تلك الوقحة بذهول... وشعر بوكزة سُمعة وهو يخبره بعبث:

ـ يظهر أنك دخلت مزاجها قووي.. صحيح هي وشها مكشوف.. لكن أول مرة تكون بالصراحة دي..

ـ صراحة!.. قصدك بجاحة..

ضحك سمعة:

ـ يا عم ما تبقاش مقفل.. هو أنت بنت بنوت هتخاف على نفسك..

ـ أنت بتقول إيه!.. أنت ناسي إني متجوز..

ـ وماله.. أنت شوفتها طلبتك للجواز.. أنت فاهم غرضها كويس.. و..

قاطعه حسن بغيظ:

ـ قفل على الموضوع ده يا أسطى سُمعة.. أنا مش بحب الطريقة دي في الهزار..

والتفت ليكمل عمله.. وأفكاره تتشتت فيما حدث للتو.. لقد التقى بآكلة رجال.. وهي أوضحت بدون خجل.. أنها ترغب به.. كوجبتها التالية...

****

لفت علياء نفسها بذراعيها وهي تجلس مرتجفة بجوار يزيد وهو ينطلق بالسيارة بسرعة مخيفة.. وكأنه يريد الابتعاد بها عن قسوة الذكريات التي عاشتها في ذلك المكان.. كان يرمقها بقلق.. ويعود للتركيز على الطريق.. ثم ما يلبث أن يعاود النظر إليها مرة أخرى... وهي ترتجف بلا توقف ودموعها تغسل وجهها.. شفتيها تتحركان بكلمات هامسة.. يكاد يجزم إنها مناجاة لوالدتها..

يريد أن يضمها إلى صدره.. يجمعها بين أحضانه.. يمنحها دفء وأمان يعلم أنها تحتاجه.. ولكنها ترفض أي لمسة أو تقرب منه.. يتقوس جسدها في رد فعل رافض لاقترابه منها فيضطر للابتعاد عنها حتى لا يتسبب لها في مزيد من الأذى والألم..

عاد يتأملها.. جسدها الصغير المكدوم بقسوة وقد التف بثوب كالكفن الأبيض والمسمى.. ثوب زفاف.. وجهها الذي لم يفقد فتنته وبراءته برغم الجروح والكدمات المنتشرة به... يا

إلهي.. ماذا فعلوا بها؟.. هل نزعت الرحمة من قلوبهم؟.. ألا يرون كم هي ضعيفة ومكسورة.. ضرب على مقود السيارة بعنف.. وهو يلقب نفسه بأبشع الأسماء ويتهمها بأقسى التهم.. لقد تركها.. تركها وابتعد وظن أنه بذلك ينظم حياتهما معاً.. ولكنه كان غبياً ولم يعمل حساب لتدخل أعمامها... ليته يعلم فقط كيف وصلوا إليها.. ومن أخبرهم تلك الترهات عن تورط علياء بوالده..

لا يتذكر بالضبط تفاصيل وصوله إلى بلدتها.. فهو بمجرد أن أغلق الهاتف مع والده.. لم يشعر بنفسه إلا وهو بمطار القاهرة.. ليجد مازن أمامه ومعه نيرة التي كانت ترمقه بنظرات نارية.. ومازن يهمس له أنه أعد كل شيء كما اتفقا.. وأرسل بالفعل عدة سيارات محملة بالرجال إلى بلدة أعمامها وهم الآن على أعتاب البلدة في انتظار وصول يزيد, ومتأهبون للتدخل عند إشارة منه..

رمقه يزيد بضياع ليهتف مازن متعجباً:

- في إيه يا يزيد.. مش أنت اللي كلمتني قبل ما تطلع الطيارة ورتبت معايا اللي هنعمله..

قاطعه يزيد بتوتر مرتعب:

- تفتكر.. أنهم.. ممكن.. ممكن.. يأذوها؟.. يمو..

قاطعه مازن وهو يمد يده بمفتاح سيارة:

- ركز يا يزيد.. هما مش أغبيا... وواضح هدفهم إيه.. هما عايزين الأرض.. ارميها لهم وخد مراتك..

ظل مازن ماداً يده بالمفاتيح ويزيد يتخبط في هواجسه المرعبة فدفع المفاتيح في يده:

ـ دي مفاتيح عربيتي.. اطلع بيها وأنا ونيرة وراك.. والرجالة سبقونا زي ما قلت لك..

انطلق يزيد بالسيارة متجاهلاً مكالمات والده التي لم تنقطع.. وكذلك رسائل ريناد.. لقد أرسل لها رسالة واحدة بمجرد وصوله الى القاهرة يخبرها فيها بسفره المفاجئ.. وأعقبها برسالة لوالده يعلمه فيها بتوجه الى بلدة علياء..

وقبل أن يدخل القرية بمسافة معقولة فوجئ بوجود والده الذي قرر الذهاب مع ابنه ومساعدته.. ووضح ليزيد الصورة كاملة... فازداد غضبه على نفسه لأنه وافقها في عدم إقامة حفل زفاف, ولكنه حمد ربه أنه يحمل عقد الزواج معه..

أصر بشدة على مقابلة أعمامها بمفرده.. عارض والده كثيراً.. ولكن يزيد كان في حالة من الغضب والإصرار لم تسمح لأحد بمعارضته

حتى أنه رفض اصطحاب مازن معه وأخبره باقتضاب:

- خليك مع الرجالة ولو لقيت الوضع معقد هكلمك تجيبهم وتيجي..

استقبله أعمامها بعداوة وبغض واضح.. ولكنه لم يهتم.. يفهمهم جيداً ويدرك ما يريدون.. وسيمنحه لهم.. فقط يريدها هي.. لذا قرر اتخاذ المبادرة وهاجم عمها صالح بغضب:

- فين مراتي؟....

سخر منه الرجل بلامبالاة وهو يتحصن بعدد من الرجال خلفه:

- مرتك!.. مرتك كيف وبأمر مين؟..

تحرك ليواجه عمها بحسم:

- مراتي بقسيمة الجواز دي..

ومد له صورة ضوئية لعقد زواجه من علياء..

سكت صالح لفترة وهو يتطلع إلى عقد الزواج:

- بس الكلام اللي وصلنا غير كده..

ـ اللي وصلك إشاعات قذرة..

ـ مش أوشاعات.. اللي بلغني حد موثوق فيه..

أجابه يزيد وهو لا يعلم كم أصاب بكلماته:

ـ اللي بلغك بيدور على الدم.. وبلاش تتولهاله.. أنت عايز أرضك.. وأنا عايز مراتي.. يبقى متفقين..

سكت لحظة ونظراته تتركز على مجموعة الرجال.. ثم قال لصالح بتأكيد:

ـ أعتقد أنك أتأكدت إنها مراتي.. نقعد بقى ونتفاهم.. أنا مش عايز غير مراتي.. وتحت أمركم في كل طلباتكم..

ـ وإحنا هنتفاهم معاك أنت ليه؟.. فين بوك؟..

ـ الكلام معايا أنا.. أنا جوزها وأي مسائل قانونية هحلها بس تروح معايا الليلة..

وبالفعل.. تمت المفاوضات _كما أطلق عليها سراً_ معه هو.. حيث بدا اهتمامهم جلياً بالأراضي التي تخص علياء.. وقدمها لهم يزيد

بدون نقاش.. واعداً نفسه أن يعوضها عنها بمجرد أن تبلغ الحادية والعشرين..

ثم بدأت طلباتهم تتزايد.. فأرادوا.. مهر.. شبكة.. مؤخر.. باختصار بدا أنهم يريدون كسب كل ما يمكن من وراء إتمام تلك الزيجة.. ووافق بدون معارضة فهو لم يكن يعلم أن موافقة أعمامها ما هي إلا خضوع لنساء الأسرة اللاتي قررن التخلص من وجود علياء بأي طريقة.. فهي تمتلك من الجمال والفتنة ما جعل كل واحدة منهن تخشى على رجلها أو أبنائها منها.. وخاصة بعد الخبر الذي زفته إليهن أم عواد.. فقد حسمن الأمر.. بضرورة إبعادها فلن يحمل أي من أبنائهن حِمل الفتاة.. وعارها..

وافق على كل طلباتهم بدون نقاش.. حتى حفل الزفاف التقليدي الذي أرادوه.. ولكنه اشترط أن يراها ويخبرها بنفسه.. ولم يعترضوا.. فهم حصلوا على ما أرادوه من خلفها ولم يعد يهمهم إلا إنهاء الموضوع بما يليق..

أصرت عمتها على مرافقته ومعهما عمها الأصغر مهدي فاصطحباه إلى غرفتها والتي ما إن دلف إليها ورآها حتى تجمد في مكانه.. لا يصدق أن فراشته الرقيقة هي تلك الكتلة الضئيلة والتي ترتدي السواد بداية من وشاحها الأسود الكبير إلى جلباب واسع يكاد يخفيها تماماً.. لولا لونه القاتم الذي ناقض بشرتها الشاحبة ما ميز وجودها داخله..

أجبر قدميه على التحرك خطوات بطيئة أولاً.. ثم ما لبث أن أسرع لاهثاً نحوها.. ركع على ركبتيه أمام الفراش الذي تكومت فوقه.. ليكتشف مع اقترابه كم الجروح والكدمات التي تملأ وجهها.. تكورت قبضتيه بعنف وهو يحاول منع نفسه من الذهاب إليهم لينتقم لها من كل خدش, لكنه يعلم أن خروجه بها من ذلك المكان يعتمد على تحكمه في غضبه وثورته..

مسح بيده على وجهها وناداها برفق:

_ علياء..

لم تصدق علياء نفسها وهي تسمع همسته.. ظنت أنها تحلم بوجوده لينقذها.. ولكن رائحة

عطره التي تحفظها جيداً كانت واضحة جداً.. حقيقية جداً بالنسبة لحلم..

عاد يهمس بخوف:

_ علياء..

حركة بسيطة من أجفانها المغلقة أنبأته أنها تسمعه.. فعاود النداء:

_ علياء ردي عليَّ..

حركة ضئيلة أخرى من أجفانها ولكنها مصرة على عدم فتح عينيها.. تحرك ليجلس بجوارها في الفراش ورفعها من رقدتها ليضعها على صدره.. ويزيح بيده الوشاح من فوق رأسها.. لحظتها اتسعت عيناه بألم وهو يرى شعرها الجميل وقد اختفى بعد ان تم قصه بطريقة بدائية وهمجية..

شعرت علياء بيده تزيح الوشاح من فوق رأسها فارتعش جسدها وهي تتخيل نظراته عندما يرى شعرها الطويل وقد اختفى.. لم يبقَ منه إلا خصلات قصيرة مقصوصة بهمجية

وعشوائية.. شعرت بأنفاسه تتسارع غضباً..
فشهقت بضعف..

وصلته شهقتها الضعيفة فأخفض بصره ليلتقي
بزرقة عينيها وقد غشيتها نظرات الوحدة
والخوف.. الألم والرعب.. وعتاااب وولوم
بلا نهاية ممتزج بنداء استغاثة جعلها تغلق
أجفانها عليه وكأنها لا تصدق أنه أتى بالفعل
من أجلها..

خلل أصابعه في خصلاتها المشعثة.. فعادت
تفتح عينيها لتواجه نظراته وعندها لم
تستطع التحمل فانفجرت في نوبة بكاء دمرت
تماسكه الهش من البداية فضمها لصدره بقوة
هامساً:

_ هششششش... هنبعد عن هنا في أسرع
وقت..

لم تجبه بشيء واستمرت في البكاء.. بينما
أصابعه تتحسس جروح وجهها العديدة..
وهنا تعالى صوت عمتها:

_ اتحشمي أنتِ ورجلك..

التفت يزيد نحوها وقال بقسوة وحزم مخاطباً مهدي:

ـ من فضلك.. عايز أكلمها على انفراد..

ابتسمت السيدة باستخفاف تقريباً قائلة:

ـ حول اللي أنت عايزه.. وحد مانعك!

بنبرة باردة كالصقيع أجاب يزيد:

ـ عايز أكلم مراتي لوحدها..

رأى مهدي يهمس لها بشيء ما وعلى إثره خرجت عمتها بغضب وتركت الباب مفتوح..

ذكره موقفها بنيرة في ذلك الصباح بالمزرعة ولكنه لم يبتعد ليغلق الباب تلك المرة بل أعاد نظراته لعلياء التي عاودت إغلاق عينيها فقبلهما برقة وهو يهمس:

ـ سامحيني.. والله ما كنت أعرف.. والله ما كنت أعرف..

ظل جفناها مغلقين ودموعها تجري على وجنتيها الجريحة فقرب شفتيه يمسح بهما دموعها:

ـ افتحي عينيكِ يا علياء.. شوفيني..

ضغطت على جفونها بشدة وكأنها ترفض طلبه.. بينما ازداد انهمار دموعها.. فركن جبهته فوق جبهتها بتعب وهو يهمس:

_ مش عايزة تفتحي عيونك ولا تكلميني كمان.. عندك حق.. بس يا ريت تسمعيني عشان نخرج من هنا بسرعة..

زادت دموعها.. وارتفع صوت شهقاتها قليلاً.. إلا أنها أصرت على عدم الرد عليه أو حتى فتح عينيها.. فعاد يهمس:

_ علياء.. أنا عارف تفكيرك من ناحية الفرح والفستان والكلام ده.. بس دي الخطوة اللي باقية عشان أخدك من هنا.. أنا اتفاهمت معاهم على كل حاجة.. باقي بس موضوع الفرح ده.. ساعديني استحمليهم ونمشي أرجوكِ..

هزت رأسها بعنف فتطايرت خصلاتها المشعثة القصيرة لتغطي عينيها المستمرة بالبكاء.. ولكنه أمسك وجهها بين كفيه وهو يوقف حركتها الرافضة.. ويطبع قبلة طويلة على

شفتيها.. لم تستجب لها فهمس أمام شفتيها وأصابعه تنغرز بين خصلاتها:

ـ عاقبيني زي ما أنتِ عايزة.. أما نكون في بيتنا.. بس اسمعي الكلام وجاريهم في موضوع الفرح..

ظلت تحرك رأسها برفض بينما استمر هو في همسه لها حتى هدأت بين ذراعيه وخضعت مضطرة لمراسم زفافها الصوري.. ارتدت ذلك الثوب الأبيض البغيض الذي لف جسدها كالكفن.. بينما غطت وجهها المكدوم بطرحة بيضاء شفافة.. وها هو ينظر إليها الآن وهي بجواره في سيارة مازن.. وقد قاربا على الوصول إلى شقتهما.. ولكنها مازالت ترفض التواصل معه بكل الطرق.. فحتى نظراتها تهرب بها منه.. عاد بعينيه إلى الطريق الذي لم يشعر بطوله فقد شغلته مراقبة علياء طوال الوقت.. التفت لينظر إليها مرة أخرى ولكنه فوجئ بوجهها وقد احتقن بشدة وهي تضغط على شفتيها بقوة وكأنها تحاول منع آه ألم.. أفلتت منها برغم ذلك وهي تهمس:

ـ بنزف يا يزيد.. دم.. بنزف..

****

ظل يزيد يجوب أروقة المشفى كأسد حبيس فهو منذ سمع منها كلمة "بنزف".. فقد إدراكه بكل ما حوله ومن حوله.. ولم ينتبه إلا وهو بالمشفى بالفعل ومازن يتولى الأمور.. بينما تمسك بعلياء رافضاً الابتعاد عنها.. حتى هتفت به نيرة في حنق:

ـ أنا هدخل معاها.. ابعد أنت بس..

ظل يجوب الردهة أمام حجرة الكشف بالمشفى ومازن يحاول جاهداً تهدئته.. حتى خرجت الطبيبة إليهما تجاورها نيرة..

بدأت الطبيبة كلماتها موجهة حديثها لمازن فهي صديقة وزميلة دراسة قديمة له:

ـ الحمد لله.. النزيف كان بسيط وقدرنا نوقفه.. الجنين بخير دلوقت..

هتف يزيد بقوة مقاطعاً:

ـ جنين!!.. هي علياء حامل؟..

رمقته الطبيبة بنظرة نارية وتعاود الحديث إلى مازن:

ـ هي محتاجة راحة لفترة بسيطة.. بس أنا ملاحظة..

قاطعها يزيد مرة أخرى:

ـ كلميني أنا.. دي مراتي..

فقدت الطبيبة أعصابها وهي تصيح به:

ـ من فضلك يا أستاذ.. أنا بحاول أتحكم في أعصابي أني ما بلغش البوليس.. مع أنه واجب علي أني ابلغ.. أنا بس عاملة خاطر لمازن..

هتف يزيد بتعجب:

ـ تبلغي البوليس!.. ليه؟..

ثم خبط جبهته بكفه منتبهاً:

ـ عشان الجروح والكدمات!.. أنتِ فاهمة إني السبب.. لا طبعاً.. اتكلم يا مازن..

تدخل مازن مخاطباً الطبيبة:

- فعلاً يا ولاء.. كلام يزيد صح.. الجروح والكدمات دي مجرد حادثة و..

قاطعته الطبيبة:

- وقص شعرها حادثة برضوه يا مازن.. بص.. أنا منتظرة إنها تفوق ووضعها يستقر.. وهفهم منها كل حاجة.. ولو جوزها سبب للي هي فيه ده.. صدقني مش هسكت.. و..

قاطعتها نيرة تلك المرة وهي تخاطبها بنبرة حانقة:

- ما هو قالك يزيد هو اللي جوزها.. إيه مش شايفة غير مازن ليه؟..

رمقها مازن بعجب فهو لأول مرة يستشعر الغيرة في نبرتها.. ولكنه قرر تجاهل ذلك مؤقتاً.. وعاود الحديث إلى ولاء.. حتى أقنعها أن تسمح ليزيد برؤية علياء..

وقف يزيد أمام فراش علياء يتأملها في قلق.. بينما جاءه صوت نيرة من خلفه:

- بتتفرج على ضحيتك.. مش حاسس بأي تأنيب ضمير؟.. ده لو في ضمير من البداية..

أجابها وعيناه معلقة بوجه علياء الشاحب:

ـ تقدري تروحي يا نيرة.. أنا هبات معاها في المستشفى.. أكيد أنتِ تعبانة ومحتاجة ترتاحي..

تحركت نيرة لتجلس على الأريكة المواجهة للفراش.. واضعة ساقاً فوق الأخرى.. وأخذت تعبث بأظافرها في ملل وهي تخبره:

ـ لا.. مش همشي.. أنا كمان عايزة اطمن عليها..

التفت ليرمقها للحظات ثم توجه نحو فراش علياء.. وخلع حذائه ليرتقي الفراش بجوار علياء النائمة بعمق.. فالتصق بظهرها وأزاح الوسادة ليستبدلها بذراعه ويريح رأسها فوقه ماراً بأنامله فوق ملامحها البريئة.. حاجبيها.. جفنيها المغلقين.. وجنتها المشبعة بالجروح والخدوش الصغيرة.. ومال بشفتيه لاثماً تلك الخدوش.. فأتاه صوت نيرة متبرماً:

ـ ما تحترم نفسك.. أنت مش واخد بالك إني موجودة..

رفع شفتيه عن وجنة علياء وهو يخبرها بغيظ:

ـ قلت لك روحي.. أنتِ اللي مصرة تقعدي..

ثم عاد ليلتفت لعلياء وأخرج من جيبه السلسلة ذات الدمعة الماسية الصغيرة والتي أصر على أخذها من أعمامها _بعدما سلبوها إياها_ وأعادها إلى عنقها مرة أخرى.. متلمساً إياها برقة.. وأنامله تتحسس عنقها وقد ظهر طوله الملفت ورشاقته..

سمع صوت الباب يغلق بعنف.. فابتسم بشقاوة.. وهو يغرق بشفتيه كلية في روعة عنقها ويهمس:

ـ آه.. حماتي دي صعبة قوي.. كنت فاكرها مش هتتحرك..

عدل وضع علياء بين أحضانه وهو يهمس لها:

ـ أنا عارف أنك صاحية.. صحبتِ وقت ما لبستك السلسلة..

لم يصله منها أي رد.. فقط تنفسها السريع أوضح أنها مستيقظة بالفعل.. فعاد ليتذوق عنقها بمتعة.. وهو يضمها إليه أكثر.. ممسداً بطنها بكفه الكبير:

ـ ابننا هنا.. حافظتِ عليه بأمانة.. أنتِ كنتِ عارفة, صح؟..

لم تجبه أيضاً.. وهو يمنحها كل العذر.. ولكنه غير قادر على الابتعاد عنها.. فقط يريد البقاء ملتصقاً بها هكذا.. معتصراً إياها لتبقى بين ذراعيه إلى الأبد:

ـ ليكي حق تزعلي.. خودي حقك مني وأنتِ في حضني.. ما تبعديش يا علياء.. أنا كنت هتجنن لما عرفت اللي حصل.. ومش هسكت إلا لما أعرف مين السبب.. وأجيب لك حقك منه..

هنا لم تستطع علياء كبت دموعها أكثر فسقطت بغزارة وهي تعلم أنه لن يستطيع فعل شيء إذا علم أنها والدته من سلمتها لأهلها

وكانت تهدف لقتلها وليس إيذائها فقط.. ولكن ما أنقذها حقاً هو الطمع المتأصل في نفوسهم الشرهة..

شعرت بشفتيه تغزوان عنقها مرة أخرى.. وأسنانه تنغرز برقة في شحمة أذنها.. بينما ذراعه الحرة تحرر كتفها من رداء المشفى.. ليداعب برقة الخدوش المنتشرة على كتفيها وهو يهمس بحرقة:

ـ كلميني.. ردي عليّ بس.. احكي لي عملوا فيكِ إيه.. صدقيني سكوتك بيعذبني.. ولو عايزة تعذبيني أكتر احكي لي.. قولي كل اللي جواكي..

شعر بجسدها ينتفض بين ذراعيه وهي تشهق ببكاء مكتوم ما لبث أن ارتفعت وتيرته وهي تضغط جفونها بشدة حتى لا تفتحها وتقابل نظراته الملهوفة عليها.. تخشى أن تضعف أمامه.. تخشى من قلبها الأحمق.. من جسدها الخائن الذي يعلن انتمائه له بلا

خجل.. من عقلها الذي يغيب أمام همساته..

غبية هي.. غبية ومقهورة بحبها البائس..

الفصل التاسع عشر

اتخذت علياء وضع الجنين في رقدتها كما اعتادت في الأيام الأخيرة وظلت تحاول العودة إلى النوم بدون فائدة.. فما أن تغمض عينيها حتى ترى أمامها وجه عمتها وهي تمسك بالمقص لتغتال خصلاتها الطويلة.. وتهمس لها بغل أنها ستسلبها كل ما يميز جمالها عن سائر نساء العائلة ذلك الجمال الذي ورثته عن أمها "الساقطة" كما رددت عمتها.. وبعدما انتهت جذبت سلسلة يزيد من عنقها بعنف وهي تخبرها أن العهر لا يستحق المكافأة..

حاولت ضم نفسها بذراعيها تعوض بهما عن ذراعيه اللتين أحاطتاها طوال الليل.. منحها الدفء والأمان لا تنكر.. لكن هناك تلك القطعة من الصقيع والتي تشبه الخنجر مازالت تدمي روحها, تجعلها غير قادرة على التواصل معه.. أو حتى النظر إليه.. حالة من الصمت

تمسك بها وهو تقبلها بتفهم وظل ملتصقاً بها طوال الليل.. يطمئنها بوجوده كلما استيقظت فزعة هاربة من عذاب جديد أو تنكيل بها.. يضمها بين ذراعيه لتستكين برأسها على صدره فتهدأ قليلاً.. حكى لها كيف علم باختفائها وكيف اتفق مع أعمامها.. اعتذر منها لتفريطه في الأرض.. وشرح لها تلك كانت الطريقة الوحيدة ليعود بها إلى بيتهما.. أقسم أن يعوضها عن الأرض وما سلبوه منها.. وكأنها تهتم.. وكأنه يدرك ما سُلِب منها.. ليس الأمان ولا الطمأنينة فهما ضاعا مع موت والديها.. أو كونها ذات أهمية لأحدهم.. فهي تعودت الحياة على الهامش.. لكن الأيام الماضية أثبتت لها كم هي رخيصة بالفعل.. لا تساوي إلا حفنة من الأموال وطين أرض..

رائحة عطرية ثقيلة اخترقت أنفاسها وصوت حذاء ذو كعب عالٍ أكد لها أنها لم تعد بمفردها في الغرفة.. فيزيد أخبرها بهمس أنه سيذهب ليبدل ملابسه, ونيرة قررت الذهاب

وإحضار العدة اللازمة لتعيدها إلى أنوثتها كما أخبرتها.. ولم تقبل جدال..

التفتت علياء ببطء لتواجه عينيه ممتلئين بالكراهية والحقد وصوت سهام يدوي بكل مقد الدنيا:

ـ حقيقي.. زي القط بسبع أرواح!..

انكمشت علياء على نفسها وأحاطت بطنها بذراعيها تحمي طفلها بدون إرادة منها وهي تهتف بخوف:

ـ ابعد.. ابعدي.. عني.. أنا عـ..ا.ر.فـ..ــة.. عارفة كـــ..ل حـــ..اجة..

كتفت سهام ذراعيها وأجابتها بسخرية:

ـ وناوية على إيه إن شاء الله!.. تحكي ليزيد عشان تبعديه عن أمه الشريرة!

وأطلقت ضحكات عالية جعلت علياء تعتقد أنها لم تكن في حالة عقلية سليمة.. وأردفت بغل:

ـ وتفتكري يزيد ابني.. هيصدقك.. أو يصدق كلامك؟.. أعمامك نفسهم ما جابوش سيرتي.. فكروا إزاي يجمعوا من وراكي قرشين.. زي أي واحدة مومس أهلها بيتاجروا بيها..

سقطت دموع علياء وشعرت أنها ستختنق بغصتها.. فسهام تضغط على جرحها بشدة.. لاحظت سهام صمتها ودموعها التي بدأت تهطل.. فاستمرت بقسوة كلماتها.. وكأنها تريد أن تكمل انتقامها:

ـ للأسف أهلك طلعوا في منتهى الرخص.. كان لازم أتوقع كده.. فكروا في مكاسبهم وبس.. بذمتك حاسة بايه وأهلك بيطلبوا أنك تدفعي تمن جوازك من ابني أرضك وكل ما تملكي..

رغم قسوة كلمات سهام إلا أن شيء ما جعل علياء تنتفض لتواجه القسوة الموجهة إليها.. لم تعرف من أين امتلكت القوة.. ربما طفلها هو من يحثها على المقاومة.. ربما كثرة جراحها لم تدع مكاناً لجرح آخر..

ولكنها وجدت نفسها تتحرك من فوق فراشها لتواجه سهام وتهتف وسط دموعها المتساقطة:

ـ أنتِ ليه بتكرهيني كده!.. أنا عمري ما أذيتك ولا حتى فكرت أجرحك.. وأنتِ بمنتهى القسوة دبرتِ أنكِ تمحيني من الدنيا..

صرخت سهام وقد بدا تشوشها واضحاً:

ـ عمرك ما أذيتيني!!.. أنتِ سرقتِ جوزي مني.. هدمتِ حياتي ودمرتِ بيتي..

كان بيروح هنا وهنا.. ويرجع لي أنا.. لحد ما عرفك.. و..

قاطعتها علياء بذهول:

ـ أنــ..ا.. عملت كده!.. أنا علياااء!

وكأنها قذفتها في وجهها برصاصة.. فصرخت وكأنها تحدث نفسها:

ـ علياء.. نادية.. هتفرق.. نادية ملكته.. سرقته مني.. وسابت بنتها تكمل من وراها..

ثم هزت رأسها بقوة فتناثرت خصلاتها المصففة جيداً.. وبرقت عيناها بشدة وهي تقترب منها بشدة:

ـ أنتِ جريمتك أكبر.. أنتِ خطفتِ فرحة عمري كله.. خليتني أشوفك في عيون ابني ليل ونهار.. كأنه عايش في ملكوت ما فيش فيه غيرك.. كان لازم حياتنا ترجع زي ما كانت قبل ما تظهري فيها.. وهو يتجوز ريناد.. ويفضل حبيب أمه وبس.. لكن أنتِ.. أنتِ.. أنتِ لازم تختفي من الدنيا!

صرخت بها علياء وهي تتراجع للخلف وتلف بطنها بذراعيها:

ـ ما تقربيش مني.. أخرجي بره..

اقتربت سهام وأمسكت بكتفيّ علياء وهي تهزها بشدة وتردد هاتفة:

ـ لازم تختفي.. لازم..

ـ مااااا..

صرخة يزيد التي أتت من باب الغرفة المفتوحة وقد برزت حدقتاه ذهولاً من المشهد.. والدته

تهز علياء بشدة.. بينما علياء تلف ذراعيها حول بطنها ودموعها تتساقط وعلى وجهها ارتسمت أقصى درجات الرعب..

تحرك بسرعة لينتزع علياء من بين يدي والدته ليزرعها في صدره ويضمها بقوة بين ذراعيه محاولاً السيطرة على نوبة الهيستريا التي بدأت تظهر علاماتها واضحة عليها وهي تتخبط بين أحضانه وتشهق بقوة متمتمة بكلمات غير مفهومة..

هتف بوالدته بقوة:

ـ ماما من فضلك سيبيني معاها لوحدنا..

تجمدت سهام وهي تسمع نبرة ابنها الحازمة، والتي تناقض تصرفاته الرقيقة نحو الفتاة فهو يضمها.. يقربها.. يهمس لها.. يحاول طمأنتها وهدهدتها بكل الطرق.. وهي أمه يطلب منها الخروج بتلك اللهجة الباردة التي أعادها للمرة الثانية وهو يصرخ بأمه:

ـ ماما.. من فضلك أخرجي بره الأوضة..

رمقته سهام بنظرة ضائعة ثم خرجت مهرولة
من الغرفة وصورة ابنها وهو يضم عدوتها
بين ذراعيه لا تنمحي من أمام عينيها..

أما علياء فكان جسدها ينتفض بقوة وهي
عاجزة عن السيطرة عليه, وكأن عنف
سهام نحوها أيقظ ذكريات الأيام الماضية
فكانت تفرك وجهها في عنق يزيد تارة, وتارة
أخرى تخبط رأسها بقوة في صدره وكأنها
تريد إسقاط المشاهد التي تتزاحم في رأسها..

ثم تعود وتلصق وجهها بصدره وهي تتمسك
بقميصه بقوة.. متمتمة من بين شهقاتها:

ـ أنت سيبتني لها.. سيبتني لوحدي.. لوحدي..
بعدت.. عني.. بعدت عني.. وأنا لوحدي..
كلهم.. كلهم.. سابوني.. آذوني.. وجعوني
قوي.. ما فيش حد عايزني.. أنا عايزة
ماما.. عايزة أروح لماما.. هقولها ما أني
مش رخيصة.. أنا متجوزة.. مش رخيصة..
ماما.. ماما..

ظلت تخبط رأسها بصدره وهي تناجي أمها وتبكي بلا توقف.. بينما هو ثبت رأسها بكفه زارعاً إياها بصدره ومتمتماً بأذنها:

ـ اهدي يا علياء.. اهدي الله يخليكِ.. مش هينفع تاخدي مهدئ ولا منوم.. هدي نفسك شوية..

أخذت شهقاتها تتعالى واستبدلت رأسها بقبضتيها وهي تضرب صدره بقوة هاتفة:

ـ عايزة ماما.. أروح لها.. عايزة أروح لها..

وازدادت انتفاضاتها وهي تحاول التخلص من ذراعيه اللتين أحكمتا الطوق حولها.. حتى فقدت معظم قوتها وتهاوت بين يديه ليسقطا معاً أرضاً وهو يحاول دعمها حتى لا يرتطم جسدها بالأرض.. فسقط هو أولاً ليتمكن من تلقيها بين ذراعيه.. ويضمها إليه بقوة مسيطراً على حركاتها الرافضة له وهي تتمتم بلا انقطاع:

ـ ماما.. عايزة أروح لها..

عدل وضع جسده ليستند بظهره على الأريكة المواجهة للفراش ويجلسها على ساقيه اللذين امتدا أمامه وهو يهمس في أذنها:

_ ششششش... علياء حبيبتي اهدي.. اهدي..

زاد من ضغط ذراعيه حولها وهو يضمها بقوة حتى هدأت شهقاتها قليلاً.. بينما دموعها لم تتوقف وهي تهتف بحرقة:

_ أنا مش رخيصة.. أنا.. مش..

عدل وضع جسدها بحيث تستلقي بين أحضانه وأسند رأسها على ذراعه.. وأبعد بأنامله خصلاتها القصيرة المشعثة والتي غطت عينيها الدامعتين.. وامتدت أنامله لتمسح دمعاتها برقة وهو يقترب بوجهه منها واضعاً جبهته فوق جبهتها هامساً:

_ عارفة ليه عمري ما ناديتك باسم غير علياء؟..

سكتت شهقاتها قليلاً وبدا أنها بدأت تستمع له.. فأكمل:

ـ اسمك بيوصفك يا علياء.. اسم أجمل وأغلى من أنه يختصر.. حتى لو بغرض الدلع والدلال.. مش بيقولوا كل واحد له نصيب من اسمه.. وأنتِ بقى اسمك بيوصفك كلك.. قلت لك قبل كده أنتِ غالية.. غالية قوي يا علياء..

سكنت بين ذراعيه وقد استسلمت لقبضته على خصرها وأخذت ترمش بعينيها الدامعتين وقد تعلقت الدموع بأهدابها.. وهي تستمع لكلماته التي يخبرها بها للمرة الأولى.. حرك جبهته قليلاً.. ليتمكن من رؤية عينيها اللتين تحدقان في وجهه بخوف وأمل.. فقبل وجنتها برقة شديدة هامساً:

ـ جننتيني لما بدأتِ تقلدي نيرة في لبسها.. ما كنتش بقى فاهم إيه اللي بيحصلي.. عايز أغطيكِ وأخبيكِ عن عيون الناس.. كنت بيرد ده الأول وأقول لنفسي.. أختي الصغيرة.. زي ما بابا كان بيقولي..

ابتسم بسخرية من حاله وأكمل لعينيها المنتظرة بلهفة تكملة حديثه:

ـ لحد ليلة الحفلة في النادي.. وأنتِ بترقصي مع مازن.. من جوايا اتأكدت أنك مستحيل تكوني أخت لي.. كل اللي فكرت فيه أني عايز أخدك من إيدين مازن وأخبيكي.. لأنك بتاعتي..

ازدادت قبضته حول خصرها وهو يهمس بشراسة:

ـ بتاعتي.. فاهمة إزاي بتاعتي..

وترجم لها كلماته بقبلة ضارية على شفتيها تركتها تلهث بقوة وعينيها مازالتا تبرقان بغموض وهو يكمل:

ـ اللي حصل بعد كده أني أثبت ملكيتي بغباء.. وأنتِ دفعتِ التمن..

عاد الحزن مرة أخرى يترقرق في عينيها مع الدموع, وحاولت إبعاد وجهها عنه... ولكنه ثبته بشراسة لتسمع باقي كلماته وهو يخبرها:

ـ أنتِ بتاعتي.. مراتي..

ومد كفه يتحسس بطنها في شغف:

ـ أم ابني.. ومش هسمح لأي حد بعد كده يقلل منك.. ولا حتى أنتِ..

أغمضت عينيها فجرت إحدى الدمعات المعلقة في أهدابها وسألته في خفوت:

ـ ولا حتى مامتك؟..

عاد إليه مشهد والدته وهي تهز علياء بقسوة لحظة دخوله الغرفة.. فزاد من ضمه لها وهو يقول بحزم:

ـ ما فيش حد هيقرب منك, ولا هيأذيكِ تاني يا علياء.. ده عهد عليّ.. يا ريت تصدقيني وتسامحيني على اللي فات..

خرجت الكلمات منها قبل أن تستطيع منع نفسها:

ـ أنت سيبتني لوحدي..

اتكأ بجبهته فوق جبهتها ليهمس:

ـ لأني غبي!..

منعت بسمة خائنة كادت أن ترتسم على شفتيها وشعرت به يتمسك بيدها ويضغطها بين أصابعه قليلاً.. قبل أن يتحرك ليخرج من جيبه علبة صغيرة.. أخرج منها خاتماً مبهراً وأدخله في بنصرها هامساً:

ـ عارف إني اتأخرت.. والمفروض شبكتك كانت جت لك من بدري.. وكل حقوقك.. وحتى الأرض اللي ضاعت هرجعها.. أو على الأقل هعوضك عنها..

همست:

ـ بس أنا مش عايزة حاجة..

هز رأسه نافياً:

ـ لا.. المرة دي مش هينفع.. ومش هوافقك.. أنا بس اللي موقفني إنك توصلي لواحد وعشرين سنة عشان ما فيش حد من أعمامك يتدخل تاني..

أخفضت بصرها أرضاً والتزمت الصمت ولم تجبه.. فمد يده ليرفع ذقنها حتى تواجهه عيناها وسألها هامساً:

_ عجبك الخاتم؟..

انتقل بصرها بدون إرادة منها الى الخاتم في بنصرها.. كانت الماسة ذات اللون الأزرق الشاحب تتألق في يدها.. وقد ارتكزت على قاعدة بلاتينية ودعمها من الجانبين.. وردتين ماسيتين براقتين.. كان مميزاً بالفعل ولم ترى مثله من قبل وخاصة ماسته الملونة.. سمعته يهمس لها وهو يتناول يدها يقبل الخاتم بها

_ أنا طلبت الخاتم ده.. ولون الماسة الأزرق مخصوص.. ومن فترة.. ولسه الجواهرجي

مكلمني الصبح عشان استلمه.. آسف أني اتأخرت عليكي..

عادت لتلوذ بالصمت وكأنها تذكرت الآن أن تعاقبه بصمتها..

ابتسم بتفهم أمام صمتها الذي لاحظه على الفور.. ولكن ما يطمأنه أنها كفت عن البكاء.. وأمسكت قميصه بيدها التي ألبسها فيها الخاتم.. ويدها الأخرى التفت حول خصره لتدعم نفسها.. وأغمضت عينيها وهي ترمي برأسها على صدره وتباعدت شهقاتها..

وبدا أنها ستخلد للنوم بين ذراعيه.. فاستمر يهمس لها بمواقف وأحداث مرت بهما معاً.. بشعوره بالغيرة من مازن لأنه كان مقرباً منها في بعض الأوقات.. غيظه الشديد من نيرة بل غيرته من علاقة الصداقة بينهما.. كان يحكي.. ويحكي.. وهي تستمع في صمت.. تشعر أنه بجوارها بالفعل.. بأفكاره.. وعقله.. بروحه وليس جسده فقط.. تشعر أنها له.. وأنها بالفعل مميزة.. حتى ولو بقدر ضئيل.. ضئيل جداً..

وعلى بوابة المشفى أنزل مازن نيرة بعدما أحضرت لعلياء بضعة أشياء.. أهمها بضعة ثياب جديدة حتى تخرجها من ثوب المشفى الكئيب كما أخبرتها صباحاً.. وقبل أن تستدير لمازن مودعة لمحت سهام تغادر المشفى وهي تركب سيارتها ومعالم التوتر والغضب تحيط بها.. فقفزت من السيارة تركض نحو غرفة علياء.. وقد انتابها القلق الشديد عليها.. ولمح مازن اتجاه نظراتها.. فلحق بها مباشرة تاركة السيارة في مدخل المشفى.. فهو يملك شكوكه الخاصة نحو سهام.. ولكنه

بالطبع لم يستطع مواجهة صديقه بتلك الشكوك حول أمه..

وصلت نيرة أولاً إلى غرفة علياء لتجد الباب مفتوح على مصراعيه كما تركته سهام.. ولكنها تسمرت أمام مشهد يزيد الذي يضم علياء بين ذراعيه ويهدهدها كطفل صغير.. هامساً في أذنها بلا توقف بينما أغمضت عينيها باستسلام تستمع إليه ممسكة بقميصه بقبضتها.. وكأنها طفلة تختبئ بين أحضان أمها من قسوة العالم..

شعرت نيرة بيد مازن على كتفها وهو يسحبها خارج الغرفة التي لم يشعر من فيها بوجودهما وأغلق الباب بهدوء وحرص.. وجذب نيرة ليتجها إلى خارج المشفى:

ـ سيبيهم مع بعض شوية يا نيرة.. ابقي ارجعي لها بالليل.. هي محتاجة وجوده معاها دلوقتِ..

جذبت يدها منه بعنف وهي تهتف:

ـ ما هو وجوده ده هو سبب المشاكل كلها!

توقف مازن ليواجهها:

ـ علياء تقدر تحل مشاكلها مع يزيد بسهولة.. ما فيش خوف عليها منه, بالعكس هي لها سُلطة عليه.. وسُلطة كبيرة كمان.. من غير أي تدخل منك أو مني.. يلا بينا..

جلست بجواره في مقعد السيارة الأمامي.. بعدما اعتذر من أمن المشفى لتركه السيارة بتلك الصورة.. وسمعها تخبره:

ـ عارف.. كان نفسي ما يرجعش من دبي..

رفع حاجباً متسائلاً:

ـ وعلياء؟.. مين كان ممكن يخرجها من تحت إيدين اعمامها؟..

أجابته بثقة:

ـ أنت كنت تقدر بسهولة مع الرجالة اللي كانوا معانا هناك.. بس كانت علياء هتفوق من وهم يزيد..

أدار مازن السيارة وهو يجيبها بغموض:

_ وعشان هو مش وهم يزيد رجع.. وبلاش تلعبي في دماغها.. أو تزرعي أي أفكار.. دلوقتِ في طفل جاي في الطريق.. والوضع مش مستحمل..

غمغمت بحنق:

_ طفلة هتخلف طفل!

ابتسم بسخرية وهو ينهي الحوار:

_ طفلة يمكن.. بس عرفت ولو بالفطرة إزاي تسكن يزيد وتتمكن منه.. حاولي تتعلمي منها حاجة..

رمقته بحذر وقد جمعهما معاً نفس الشعور للمرة الاولى.. فهما يشعران وبالسخرية بالحسد نحو يزيد وعلياء..

****

كان حسن منهمكاً في عمله كعادته.. نائياً بنفسه قليلاً عن زملائه.. يحاول جاهداً التأقلم والاندماج معهم والمحافظة على هويته في

نفس الوقت.. ويعلم مدى صعوبة هذا.. فإن شعروا للحظة أنه يتعالى عليهم، أو يعاملهم على أنه أعلى منزلة لفقد مودتهم الفطرية وتقبلهم الطبيعي له.. يحاول المحافظة على علاقة متوازنة معهم، ولكن رغماً عنه أصبح يتنازل قليلاً.. فيشاركهم جلساتهم وخاصة بعد زيارة تلك السيدة التي تسمى ابتسام وازدياد التعليقات الموحية نحوه.. فاضطر لتبادل المزاح والنكات معهم حول الأمر محولاً إياه إلى مزحة سخيفة حتى لا يتحول الموضوع لاتجاه آخر..

دقات لكعب رفيع وعالي وصلت لأذنيه مع همهمات وضحكات مكتومة من زملاؤه.. وصوت يصطنع النعومة:

_ هاي يا أسطى سونة!..

حاول ألا يلتفت نحوها.. ولكنها رفعت أناملها لتحركها على كتفه لتجبره على الالتفاف نحوها.. ليجدها ترتدي أقصر تنورة وقعت عيناه عليها.. حتى أنه ظن لوهلة الأولى أنها نسيت أن ترتدي واحدة تحت البلوزة الخضراء الشيفون التي ترتديها وتفسر جسدها

بالتفصيل من ناحية الشفافية والضيق على السواء..

وجدها ترمش بعينيها اللتين تحولتا إلى لون زمردي:

ـ شفت عينيا بقيت لون عينيك إزاي؟..

رمقها بذهول:

ـ افندم!

اقتربت منه وهي تتغنج بوقاحة:

ـ ما بتردش على تليفوناتي ليه؟..

أجاب باقتضاب:

ـ أنا رديت عليكِ فعلاً.. وبلغتك أني مش فاضي لأي شغل خاص..

رفعت أناملها لتتحسس وجنته الخشنة حيث لم يتمكن من حلاقة ذقنه في الصباح لانقطاع المياه.. وهو شيء اعتاد عليه مؤخراً.. ولكنه وجدها الآن تتلمس خشونة ذقنه بشغف.. بينما لمح بطرف عينه زملاؤه يتحركون.. متعذرين باستراحة الغذاء ليتركوهما معاً.. وسط

الغمزات والابتسامات الموحية.. سمع صوتها يتهدج:

ـ ما حلقتش دقنك ليه؟..

كاد أن يصرخ بها.. "أنتِ مجنونة يا ست أنتِ!".. ولكنه بدلاً من ذلك.. قرر أن يلاعبها بطريقتها فازاح يدها ببطء وهو يهمس لها:

ـ بحلقها بالليل.. عشان بتضايق مراتي..

ابتعدت عنه ولمعت عينيها بسخرية:

ـ أنت متخيل كده.. أني هغير... تؤ تؤ تؤ.. أنا ما يهمنيش مراتك.. ولا أيه اللي بيضايقها.. ولاحبها لك, ولا حتى حبك لها..

ورفعت أناملها لتداعب صدره بإغراء:

ـ أنت عارف اللي أنا عاوزاه..

سألها:

ـ واللي هو؟..

رفعت يدها الأخرى لتتسلل نحو صدره هي الأخرى وترتفعا معاً لتحيط بعنقه وهي تهمس بإغراء:

- الشالية بتاعي في الساحل.. نروح يومين.. نغير الديكورات..

وصمتت للحظة لتردف:

- ونغير جو.. وبعدين ترجع لمراتك.. ما ترجعش.. براحتك..

أجابها بابتسامة:

- فكرة كويسة.. حتى هتكون فرصة حلوة أني أفسح مني في الساحل..

سألت بغضب:

- مني مين؟..

هز كتفيه بملل:

- مني مراتي..

تحكمت في غضبها بصعوبة وهمست له وهي تحرك يديها من خلف عنقه ولكن لتمر

أظافرها بخفة تاركة خدش طويل على طول عنقه وهمست بخبث:

ـ ما تتحدانيش يا حسن.. أنا دايماً باخد اللي أنا عايزاه...

تركته في حيرة ورحلت.. ولم يعلم بوجود الخدش في عنقه إلا ليلاً ومنى تحاول دفعه بكل ما تملك من قوة صارخة بصوت مجروح:

ـ أنت كنت فين قبل ما تيجي يا حسن؟..

****

تسللت دنيا بخفة من الفراش تاركة مازن ليرتاح قليلاً.. ارتدت روباً قصيراً.. واتجهت للمطبخ لتعد له النسكافيه كما يحبه.. بدون استخدام الماكينة.. ولكنها تعده له يدوياً حيث تدعك السكر مع حبيبات النسكافيه لفترة طويلة ثم تصب له الماء واللبن.. الثلث والثلثين.. ابتسمت لنفسها ابتسامة حزينة.. فهي أصبحت تحفظ عاداته وما يحب وما يكره كما تحفظ اسمها.. وتسعى دائماً لإسعاده وإرضائه..

وضعت يدها على قلبها تريد أن تخرجه من بين ضلوعها لتسأله.. "ليه؟.. ليه ما اختارتش تحبه هو؟.. ليه اختارت اللي بيوجعك ويجرحك؟.."..

كادت أن تسقط دمعة من عينيها.. لولا أنها شعرت بأنفاسه فوق عنقها.. ويديه تتسلل إلى فتحة روبها هامساً:

ـ ليه سيبتي السرير؟..

حاولت أن تبعد يديه ولكنها تعلم مدى إصراره عندما يريد شيئاً.. فتركتهما أخيراً:

ـ كنت بعملك نسكافيه..

لفها نحوه وهو يفتح الروب ليضمها لصدره طابعاً قبلة على عنقها:

ـ امممم.. ممكن نأجل النسكافيه شوية؟..

حاولت التملص منه وهي تشعر بيده تلف خصرها من أسفل الروب والأخرى تثبت رأسها حتى يتمكن من تقبيلها.. فهمست بضعف:

ـ مازن.. عندي شغل.. لازم أنزل..

حرك يده من خلف رأسها ليزيح قدح النسكافيه فيسقطه في الحوض.. ورفعها بين ذراعيه واتجه بها إلى غرفتهما بسرعة..

بعد فترة.. كان يرتشف قدحاً آخر من النسكافيه بتلذذ وهو مستلقي في الفراش.. وهي جالسة بجواره.. تريد أن تعلم ما به.. فهي تشعر باختلافه.. وخاصة بعد ظهوره أمام عتبة شقتها في الليلة التالية لزفافه.. ليلتها همس باجهاد:

ـ صداع يا دنيا.. صداع هيفرتك دماغي..

اصطحبته ليلتها إلى الأريكة.. ووضعت رأسه في حجرها وظلت تمسدها لساعة كاملة قبل أن تظهر معالم الارتياح على وجهه..

همست له:

ـ أحسن دلوقتِ؟..

أجاب باقتضاب:

ـ أنا كنت عند حسن..

ولم يقل المزيد.. فقط أغمض عينيه واستسلم للنوم..

علمت ليلتها أنه لن يجيب على أي سؤال..
فاحترمت رغبته.. ولم تجادل.. ولم تناقش..
فقط عدلت من وضع رأسه لتتلقاها على
صدرها.. وظلا هكذا.. حتى الفجر.. فنهض
ليذهب الى منزله وهو يضمها الى صدره طابعاً
قبلة على جبينها:

ـ متشكر قوي يا دنيا..

تحسست وجنته بحنان:

ـ انا موجودة دايماً يا مازن.. دنيا صديقتك
قبل ما أكون دنيا مراتك..

أفاقت من ذكريات تلك الليلة على أصابعه
تداعب ساقها وهو يسألها:

ـ سرحانة في إيه؟..

رمقته للحظة:

ـ عايزة أزور عليا..

ابتسم ابتسامة واسعة.. تحولت لضحكة
عالية.. ولم يستطع التوقف عن الضحك..
حتى أن دنيا سحبت منه قدح النسكافيه وهي
تلكزه بعنف:

ـ إيه!.. هو أنا قلت نكتة!..

هز رأسه وهو يحاول التحكم في ضحكاته:

ـ مستغرب بس.. مراتاتي الاتنين.. بيحبوا علا جداً.. أعتقد أنها الست الوحيدة اللي هتجتمعوا على التعاطف معاها وحبها.. وهي تستحق بصراحة..

وقفت دنيا على ركبتيها ووضعت يديها في خصرها لتطل عليه من علو:

ـ سخيف.. على فكرة ما فيش حاجة تضحك؟

ثم قطبت حاجبيها:

ـ أنت معجب بعلياء بجد؟

تصنع التأثر:

ـ أنتِ عايزة يزيد يقتلني, صح؟.. بس دي غيرة دي ولا إيه!.. غريبة.. أنتِ عمرك ما غيرتي من نيرة!

لفت جسدها وجلست بجواره وهي تناوله قدح النسكافيه مرة أخرى وتجبه بصراحة كما اعتادت:

ـ مش عارفة.. ممكن تكون غيرة.. بس مع نيرة أنا فاهمة إحساسك ناحيتها وعارفة مشاعرك.. واليوم اللي هغير فيه من نيرة.. هو اليوم اللي هبعد فيه عن حياتك, لكن يمكن غِرت إن إعجابك يكون من نصيب واحدة تانية..

رمقها بدهشة:

ـ عارفة.. على قد وضوحك.. على قد ما أنتِ لغز كبير..

أمسكت ذقنه بأناملها وهي تداعبه:

ـ بس لغز حلو.. مش كده..

تحرك فجأة ووضع القدح بجواره وقلبها على ظهرها وهو يهتف:

ـ لغز زي العسل.. وأنا ناقصني عسل اليومين دول!..

ضحكت بعبث.. وتملصت منه لتقف بجوار الفراش مكتفة ذراعيها:

ـ عايزة أروح لعليا..

رمى نفسه على الفراش وهو يتحسر متمتماً

"مكتوب عليك الحرمان من العسل يا مازن".

ثم رفع صوته:

ـ بلاش يا دنيا.. يزيد هيتضايق..

رفعت حاجبها:

ـ ومين قالك أني عايزة موافقته!

ـ طب وموافقتي أنا!

ـ وأنت مش هتوافق ليه؟..

اعتدل في جلسته وجذبها لتجلس بجواره:

ـ وضع عليا النفسي مش مستقر.. اللي مرت به مش بسيط.. ده غير الحمل.. بلاش.. يا دنيا.. وخاصة إنه المفروض أنك ما تعرفيش تفاصيل اللي حصل..

ـ بس أنا كنت عايزة أساعدها..

ـ يزيد موجود..

رمقته بنظرة نارية.. فعادت ضحكاته ترتفع وهو يجذبها لتصبح تحته مرة أخرى:

_ يظهر أنك ونيرة بتشتركوا في حب عليا وكره يزيد..

همست بضعف:

_ مازن..

اقترب منها بخطورة:

_ مازن محتاج العسل...

****

وصل يزيد إلى فيلا والده وهو يشعر بالإجهاد الشديد.. فهو لم يغمض عينيه منذ يومين..

ولن يطمئن ويغمضهما قبل أن يصطحب علياء إلى شقتهما بأمان.. حتى أنه طلب من رئيس الأمن في مجموعته وضع رجلين من أفضل رجاله أمام غرفتها بالمشفى.. وأمرهما ألا يسمحا لأحد بالدخول سواه، هو ونيرة فقط.. فبالرغم من سخافة نيرة إلا أنها تهتم بعلياء بصدق..

اقترب من مكتب والده ليخبره بقراره بعدم العودة إلى دبي مرة أخرى.. فهو قرر البقاء ومحاولة إنجاح حياته والتأقلم مع وجود

زوجتيه.. ضرب رأسه بقوة.. فرياد ما زالت بدبي.. كيف غاب ذلك عن باله؟.. حسناً.. سيطلب منها العودة.. ولكن أولاً.. يحتاج إلى الحديث مع والده.. ثم حوار طويل وحازم مع والدته ليوضح لها وضع علياء في حياته..

قبل أن يمد يده ليفتح باب المكتب وصله صوت والده يصرخ في والدته بغضب:

ـ انتِ تعديتِ السفالة للإجرام.. ولو كنتِ فاهمة إني ما اكتشفتش اتفاقك مع أعمام علياء تبقي غلطانة.. السواق بتاع علياء اعترف بكل حاجة.. والقذارة اللي بلغتيها لأهل البنت أنا مش هسكت عليها.. اللي عملتيه ده يا مدام اسمه تحريض على القتل..

تجمدت يدا يزيد على مقبض الباب وهو يستوعب ما وصل لأذنيه للتو...

الفصل العشرون

وقفت منى تمشط خصلاتها السوداء الطويلة يرتسم تعبير غامض في عينيها التي تقابل عيني حسن في المرآة.. منذ عاد من عمله وهي تتهرب منه.. ولكن عينيها تمسح ملامحه بغموض غريب.. وكأنها تبحث عن شيء ما..

تحرك حسن أخيراً من فوق الفراش وقد سأم لعبة تبادل النظرات عبر المرآة.. وقف خلفها وألصق جسده بها وامتدت يده لتمسك بكفها فتسقط فرشاة الشعر منها محدثة دوياً

خفيفاً.. ولفها نحوه وهو يضمها بقوة هامساً:

_ الجميل زعلان ولا مخاصمني!

لم ترد عليه، بل لم ترفع عينيها إليه حتى.. فرفع أنامله ليمسك بذقنها يرفع وجهها ليواجه عينيها الحزينة وهو يهمس وقد ظهر القلق واضحاً بنبرته:

_ منى.. أنتِ مش طبيعية.. في إيه؟..

حاولت الهروب من عينيه.. الابتعاد عن قبضته القوية حول خصرها.. تتناسى تلك المكالمة الملعونة.. صاحبة الصوت المغناج التي تتغزل بزوجها ورجولته.. ومتعتها بين ذراعيه..

رفعت له عينين معذبتين سقطت منهما دمعة بلا إرادة منها.. سارع هو على الفور ليمسحها بشفتيه وهو يسألها بهلع:

ـ في إيه يا منى؟..

تركت رأسها ليسقط فوق صدره وقد بدأت دمعاتها تتوالى وهي ترفع يديها لتعقدهما خلف عنقه.. لتصطدم أناملها بالخدش الطويل في جانب عنقه.. الخدش.. الذي وصفته لها ابتسام على الهاتف.. وحددت موضعه تماماً.. وهي تضحك بغنج وقح عن المتعة التي منحها لها حسن لتمنحه هذا الخدش..

دفعت منى حسن بقوة تخلص نفسها من بين ذراعيه هاتفة بصوت مجروح:

ـ أنت كنت فين قبل ما تيجي يا حسن؟..

لم يسمح لها حسن بالابتعاد.. وتمسك بذراعيها بين يديه يلمح دموعها التي أبت التوقف ونظرات الألم بعينيها وهو يهز رأسه بحيرة:

ـ كنت في الشغل يا منى.. هكون فين يعني؟..

دفعته للتخلص من ذراعيه.. ومنعته من محاولة الامساك بها من جديد وتعالت شهقاتها:

ـ لا يا حسن.. لا.. قولي كنت فين..

تحرك ليتمسك بكتفيها ويتغلب على مقاومتها الواهية ليقترب من عينيها الباكية:

ـ منى.. أنا عمري ما كدبت ولا هكدب عليكِ.. في إيه؟.. أنا مش فاهم حاجة.. فهميني..

رفعت عينيها الدامعتين لتمرا على الخدش بجانب عنقه وهي تحرك شفتيها بدون صوت.. فعاد هو ليضغط على كتفيها باصرار:

ـ منى.. أنا أعصابي اتحرقت.. في إيه؟؟..

مسحت دموعها بظاهر يدها وهي تشير إلى خدشه بإصبع مرتعش:

ـ الجرح اللي في رقبتك ده من إيه؟..

رفع يده يتلمس عنقه وهو يتساءل:

ـ جرح ايه ده!!

وتحرك ليقف أمام المرآة ليتفحص عنقه عن قرب.. فلمح الخدش الطويل.. وتذكر على الف حركة أنامل ابتسام بجانب عنقه.. فشتم بصمت.. وهو يلتفت إلى منى التي أغرقت الدموع وجهها.. ويجذبها لتجلس بجواره على الفراش.. وبدأ يحكي لها كل ما حدث منذ لمحته ابتسام في المرة الأولى فاتسعت عينا منى بذهول.. وسحبت يدها من بين كفيه وهي تنهض من فوق الفراش وتكتم صرختها بيدها.. فنهض حسن بدوره ليواجهها:

ـ هي دي الحقيقة يا منى..

هزت رأسها بذهول:

ـ يعني الست دي.. عايزة... عايزة...

تركت سؤالها ناقص.. بدون أن تكمله.. بينما تضرجت وجنتيها خجلاً.. فلم يستطع حسن كبت تعليق مشاكس:

_ لسه خدودك بيحمروا يا منى!!..

صرخت بغيظ:

_ حسن!!..

مد ذراعه وهو يقبض على خصرها بقوة ويقربها منه هامساً:

_ حسن!!.. حسن زعلان.. حسن مخاصمك.. معقولة تشكي فيا؟!!..

اخفضت منى نظرها حرجاً وهي تهمس:

_ ده مش شك.. دي.. دي..

همس مستمتعاً:

_ غيرة؟..

رفعت عينيها إليه ودموعها مازالت تتعلق بأهدابها.. وهمست بوجل:

ـ وخوف يا حسن.. خايفة أصحى من حلمي بيك.. خايفة أفوق وأنزل من سابع سما.. ووقتها مش رقبتي اللي هتتكسر.. لا.. ده قلبي..

ضمها إليه أكثر.. متكئاً بجبهته فوق جبهتها هامساً:

ـ بحبك يا منى.. وما حبيتش غيرك..

سكنت بين ذراعيه تستمع لدقات قلبه والتي رغم صخبها إلا أنها كانت تهدئ من مخاوفها.. وتمنحها أماناً وحماية كانت في

حاجة لهما.. ظلا هكذا لفترة.. حتى علا رنين هاتف حسن.. تجاهله في البداية إلا أنه عاد للرنين مرة تلو الأخرى.. حتى اضطر أن يبتعد عن منى ليمسك بالهاتف ويتأمل شاشته المضيئة بغيظ جعل منى تتحرك بدورها لتجواره وهي تسأله:

ـ في إيه يا حسن؟.. مين على التليفون؟..

ـ أجاب بغيظ:

ـ دي الست ال***.. اللي قلت لك عليها..

توسعت عينا منى بذهول وهي تستمع إلى اللفظة التي أطلقها حسن على ابتسام.. وسرعان ما توردت وجنتيها حرجاً من مجرد التفكير بتلك الكلمة.. ولاحظ حسن ذلك على الفور.. فغمغم معتذراً:

ـ آسف يا منى.. الأسطوات اللي معايا بيقولوا الكلمة دي باستمرار.. يظهر أنها مسكت في لساني..

أومأت منى برأسها وظهر اللوم واضحاً بنبرتها:

ـ بصراحة يا حسن أنت بقيت تكرر كلام كتير من بتاع زمايلك ده.. يا حبيبي.. مش لازم تنسى أبداً أن دي فترة مؤقتة.. و..

قاطعها حسن بضيق:

ـ أنا فاهم يا منى.. وآسف إذا كنت ضايقتك بكلمة كده ولا كده..

عاد الرنين يرتفع مرة أخرى.. فما كان من منى إلا أن سحبت الهاتف من يده.. وتأكدت أن تلك السيدة هي من تتصل ففتحت الخط على الفور.. لتصدم أذنيها ضحكة مبتذلة وصوت

ابتسام الذي تعرفت عليه من مكالمتها السابقة يهمس في شماتة:

ـ أكيد مراتك اللي أنت طالع لي بيها السما دي طينت عيشتك.. عشان تعرف أنك مش قدي.. أظن تعقل كده بقى وتهاودني بدل..

كانت عينا منى تتوسع بذهول من جرأة تلك المرأة وقاطعتها بقوة:

ـ لا.. اطمني.. أنا لا طينت عيشته.. ولا هو هيهاودك.. واقفلي الخط بقى.. كفاية سفالة..

صرخت ابتسام على الجهة الأخرى:

ـ أنتِ مين؟.. أنتِ مراته!!.. اعطيني حسن.. هو جبان للدرجة دي مش قادر يواجهني بنفسه..

أغمضت منى عينيها.. وابتلعت ريقها بصعوبة وهي تحاول استدعاء هدوء لا تمتلكه في تلك اللحظة:

ـ اسمعي يا مدام.. اللي أنتِ عايزاه من جوزي ده مش هيحصل.. خلي عندك كرامة.. ولمي نفسك وما عدتيش تتصلي تاني.. وأظن

أنتِ عارفة هو ابن ناس قد ايه.. وواحد زيه عمره ما هيقرب لبواقي الرجالة التانية.. أظن فهماني..

وأغلقت مني الخط، بل والهاتف وهي ترتعش مما حدث بينما وجدت حسن يصفق بكفيه بقوة وهو يفتحهما على آخرهما قائلاً بصوت أجش:

ـ ينصر دينك يا ست الستات..

رمقته منى بذهول.. وداخل عقلها تتردد جملة أزعجتها كثيراً..

"حسن اندمج بزيادة في مهنته الجديدة"...

****

ـ أنتِ تعديتِ السفالة للإجرام.. ولو كنتِ فاهمة إني ما اكتشفتش اتفاقك مع أعمام عليا تبقي غلطانة.. السواق بتاع عليا اعترف بكل حاجة.. والقذارة اللي بلغتيها لأهل البنت أنا مش هسكت عليها.. اللي عملتيه ده يا مدام اسمه تحريض على القتل..

تجمدت يدا يزيد على مقبض الباب وهو يستوعب ما وصل لأذنيه للتو... وأغمض عينيه بألم

وهو يتأكد من هاجس مجنون مر بذهنه واستبعده على الفور.. ليتبين أنه لم يكن هاجس ولكنه بكل تأكيد كان جنوناً..

فتح الباب ببطء.. لتصطدم عيناه بعينيَ والدته الذي شحبت ملامحه على الفور مما جعل سهام تلتفت لتواجه عينيَ ابنها اللذين اتقدتا كجمرتين.. وهو يهمس لها بذهول:

ـ ليه؟.. ليه؟؟.. دي كانت ممكن تموت..

صرخت سهام بلهفة وهي تواجه ابنها:

ـ ما يهمنيش.. أنا ما يهمنيش غيرك يا يزيد..

حاولت تقترب منه إلا أنه مد ذراعه على طولها ليمنع اقترابها صارخاً بعنف:

ـ ما تقربيش مني.. ما تقربيش مني..

اندفعت سهام نحو يزيد متجاهلة تحذيره وهي تصرخ به بدورها:

- اسمعني يا يزيد.. افهمني يا بني.. أنا عملت كده عشانك.. كان لازم أحميك واحمي حياتك ومستقبلك..

صرخ بقوة:

- حياتي ومستقبلي!!.. أنتِ عارفة أنتِ قلتِ إيه؟.. فاهمة الصورة اللي وصلت لأعمام علياء كانت إيه؟.. مستوعبة أنهم كانوا ممكن يقتلوها..

قاطعته أمه بصرخة مدوية:

- يموتها.. يقتلوها.. وأنا إيه اللي يهمني.. أنا قلت لك أني ما فكرتش غير فيك أنت وبس.. أنت وبس اللي باقي لي يا يزيد..

- أنااااااا..

كانت صرخة مشروخة.. وهو يتأمل أمه محاولاً التحكم في دموعه.. ومجاهداً كل شياطينه التي تحثه على الانتقام.. ولكن أينتقم من أمه؟!!.. كيف؟..

مسح وجهه بكفيه وهو يصارع للخروج من هوة حيرته.. هوة تبتلعه بسرعة.. ولا تهتم

لمقاومته العنيفة.. دوار.. دوار عنيف أصابه وهو يحاول الوصول لقرار.. لوسيلة ليحافظ على وعده لعلياء باسترداد حقها ممن ظلمها.. وفي نفس الوقت يحتفظ بصلة ما بأمه..

"يا الله.."..

همسها لنفسه وهو يلقي بجسده على الأريكة المريحة في غرفة المكتب.. رامياً رأسه إلى الخلف.. ضاغطاً بأصبعيه على جسر أنفه حتى يقلل من عنف الصداع الذي يضرب رأسه بلا رحمة..

شعر بأنامل والدته تملس على جبهته بحنان.. فابتعد عنها كالملسوع صارخاً:

ـ قلت لك ما تلمسينيش..

ترقرقت الدموع بعينيّ سهام وهي تلومه بألم:

ـ للدرجة دي.. للدرجة دي بنت نادية سيطرت عليك وبقيت مش طايق لمسة من أمك..

ضرب ركبتيه بعنف وهو يقفز لينهض بعيداً عنها هاتفاً بقوة:

_ علياء.. اسمها علياء.. مراتي.. مراتي اللي حضرتك شوهتي سمعتها وسمعتي وسمعة أبويا.. حولتينا لمجموعة شواذ عايشين علاقات مريضة.. وكل ده ليه.. ليه.. ليييييه..

علا صوته بصراخ هيستيري وهو يلمح شفتي والدته تتحركان.. فقاطعها بقوة:

_ ما تقوليش عشاني.. آسف جداً.. مش مصدقك..

كان عصام قد قرر اتخاذ وضع المتفرج في النقاش الدائر بين زوجته وابنه.. كان رجل أعمال محنك ويدرك أنه في وضع خاسر من جميع النواحي.. فيزيد لن يسامحه على اخفاء اختطاف علياء عنه.. وسهام قررت منذ زمن أن تسقيه الأمرين بسبب زواجه من نادية.. فقرر الاكتفاء بالمتابعة عن بعد.. وعدم التدخل.. إلا أن صرخة يزيد الأخيرة بسهام

وما رسمته من ألم شديد على ملامحها أجبرت عصام على التدخل لينهر يزيد بلطف:

ـ يزيد.. ما ينفعش تتكلم مع والدتك بالطريقة دي..

التفت له يزيد وكأنه فوجئ بوجوده.. وأخذ يتأمله للحظات.. وأخيراً قال بعنف مكبوت:

ـ ما تقلقش حضرتك.. أنا وماما طول عمرنا بنعرف نتفاهم مع بعض بدون تدخل من حضرتك.. طول عمري وأنا لوحدي معاها..

توسعت عينا عصام بذهول لرد يزيد.. ليفاجئهم يزيد برد آخر:

ـ وعلى فكرة.. سفر مش مسافر.. وهرجع لشغلي في المجموعة أول ما اطمن على علياء.. وحملها يستقر..

صرخت سهام بجزع:

ـ حمل!!.. حمل يا يزيد!.. هي البنـــ

وقبل أن تكمل اهانتها المعتادة لعلياء هتف بها يزيد بصرامة لم تعتدها منه:

_ علياء حامل يا ماما ايوه.. علياء هتكون أم أولادي.. أنا فاهم أن ده شيء حضرتك صعب تتقبليه.. لكن مع الوقت هيكون الموضوع أسهل.. ومش هنضايق حضرتك بزيارات أو مقابلات...

قاطعت سهام كلامه وهي تصرخ بهيستريا:

_ أنا كان عندي حق.. عندي حق.. أهي بعدتك عني أهي.. ومش عايزاك تزورني.. يزيد يا حبيبي.. لو على اللي في بطنها.. احنا نستنى لما تولد وناخد البيبي ورناد هتربيه وهتكون أم..

صرخ يزيد مقاطعاً:

_ ماماااااااا

وضرب قبضته بسطح المكتب فارتطمت بمرمدة زجاجية.. تحطمت تحت قبضته لفتات.. وتسببت له في جرح بالغ بكف يده..

صرخت سهام بقوة لمرأى دماء يزيد.. وحاولت الاقتراب منه إلا أنه رفع يده المدماة

إليها مانعاً اياها من الاقتراب قائلاً لها بصوت حاسم:

_ أنا حاولت.. يشهد ربنا أني حاولت أني كلامي ما يكونش جارح أو مؤذي.. رغم أنك آذيتني وآذيتِ علياء.. لكن يظهر أني لازم أكون واضح.. ماما.. علياء هي مراتي.. هي ما سرقتنيش منك ولا أغوتني.. بالعكس.. أنا اللي..

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يكمل:

_ أنا اللي آذيتها كتير.. علياء هتكون أم ابني وهي اللي هتربيه.. ومن فضلك.. ما تقربيش ناحية علياء.. ما تكلميهاش في التليفون.. لو حتى شوفتيها ماشية في شارع.. غيري اتجاهك.. عشان أنا لو عرفت أنك قربتِ منها.. وقتها فعلاً هتكوني خسرتيني بجد..

شهقة ملتاعة كانت الرد على كلمات يزيد.. ولكنها لم تصدر من شفتي سهام، بل كانت ريناد هي من تقف على باب الغرفة وتنظر إلى

جرح يزيد النازف بجزع وتستمع إلى كلماته الحاسمة بقلق جعلها تهتف متسائلة:

ـ هي.. هي علياء حامل؟..الكلام ده بجد..

التفت إليها يزيد بحنق:

ـ حمد لله على السلامة يا مدام ريناد.. وصلتِ امتى وازاي ومين سمح لك أنك تسافري؟

تحركت ريناد بثقة لتجذب يزيد من ذراعه وهي تلقي بنظرات حذرة على والديه الذين صمتا تماماً.. وتمكنت بسهولة من اخراج يزيد من الغرفة لتتجه به إلى غرفته القديمة وتبدأ في مداوة جرحه برقة بالغة, رقة لم يعتدها منها, تقارب حميم حرمته إياه منذ بداية زواجهما..

سألها في خفوت:

ـ أنتِ كنتِ تعرفي ماما ناوية على إيه؟..

رفعت عينيها بسرعة إليه وأخفضتهما ثانية.. واستمرت بتضميد جرحه بمهارة.. ولكنه لم

يستسلم لصمتها.. ضغط على يدها بقوة وهو يهمس من بين أسنانه:

ـ ردي عليّ..

ـ طنط سهام قالت لي أنه عندها الطريقة اللي تخليك تطلق عليا.. لكن ما وضحتش ازاي..

ضحك بسخرية مريرة:

ـ عبيط أنا عشان أصدق الكلام ده!..

أنهت تضميد جرحه وتحركت لتخبره بغضب:

ـ والله أنا كان ممكن أكذب وأقولك ما اعرفش بتتكلم عن إيه.. لكني جاوبت بصراحة وما كدبتش.. وقلت لك الحقيقة..

نظر إليها بتأمل.. كان منطقها سليماً.. ولكن حدسه يخبره أنها كانت تعلم..

تفرس في عينيها بحثاً عن الحقيقة ولكنه لم يجد إلا نظرات جامدة وواثقة..

موقفها الثابت أجبره على تصديقها وهو ما كانت تخطط له تماماً.. فلو أنكرت معرفتها عن الموضوع لما صدقها.. فتعمدت ذكر نصف

الحقيقة.. حتى تقنعه بصدقها.. وهو صدقها ولكن مجبراً.. يجبره شعور بالذنب نحوها.. ذنب منبعه ضعف إحساسه بها.. نسيانه أو تناسيه لوجودها في اليومين السابقين.. لهفته القوية في الذهاب إلى علياء.. ذنب.. ذنب متعدد الأوجه.. ذنب لا يعرف له تكفيراً..

تنحنح ليجلي صوته:

- يلا بينا.. هوصلك وبعدين هروح المستشفى..

حاولت ريناد التحكم بأعصابها قدر الإمكان.. فيزيد يلعب بأوراق مكشوفة الآن ويصرح بوضوح عن أهمية علياء في حياته..

سألته ريناد بفضول واضح:

- فعلاً عليا حامل؟..

- أيوه علياء حامل..

لم يستطع السيطرة على الفرحة المتراقصة في صوته.. ولم تستطع ريناد السيطرة على غضبها الذي بدا واضحاً وهي تسأل:

_ كام؟

لف وجهه عنها وهو يجيبها بخفوت:

_ شهرين..

اتسعت عيناها ذهولاً.. ثم أخفضتهما سريعاً.. وهي تهمس:

_ مبروك..

_ الله يبارك فيكِ..

رفعت عينيها وأخبرته ببساطة:

_ أنا عايزة أروح لدكتور أتابع معاه وأعرف سبب تأخر الحمل..

رمقها بذهول وهو يسأل:

_ حمل إيه اللي اتأخر!.. إحنا ما كملناش شهرين متجوزين!..

أجابته بنزق:

_ بس عليا حملت على طول.. وأنا لازم أعرف إيه اللي غلط عندي..

وضع وجهه بين كفيه يحاول أن يخفي ضحكة مريرة ارتسمت على ملامحه وهو يتذكر المثل الشعبي الحكيم..

"هم يضحك وهم يبكي"...

ولكنه عاد ليتذكر.. تلك هي ريناد.. لا تسمح لأحد بأن يتفوق عليها.. حتى بأسبقية الحمل!!..

ـ يلا يا ريناد.. هوصلك بيتنا وهنتكلم في موضوع الدكتور ده بعدين.. أما أفوق من اللي أنا فيه..

أجابته بتردد:

ـ طيب ما توصلني عند ماما..

قاطعها بحسم:

ـ لا ماما ولا بابا.. هتروحي بيتك.. تفتحيه وتشوفي ناقصه إيه.. زي أي زوجة ما بتعمل.. ولو على خالتي.. كلميها تيجي تبيت معاكي الكام يوم الجايين دول.. لأني مش عارف ظروفي..

اجابته بضيق:

- أوك يا يزيد.. اللي تشوفه..

هل كان يقسو عليها؟.. كلا.. ربما قليلاً.. هز رأسه بعنف ينفض عنه تلك الأفكار.. فهو غير قادر على التعامل معها بتلك اللحظة..

****

وصل إلى المشفى بعدما قام بتوصيل ريناد إلى منزلهما.. ليجد نيرة جالسة على الأريكة وهي تقلب بقنوات التلفاز في ملل.. وعلياء مستغرقة في نومها بوداعة طفلة رقيقة..

زفرت نيرة بحنق ما إن رأته وهي تخبره بنزق:

- حمد لله على السلامة.. ما كنت نمت لك تلات- أربع ساعات كمان..

همس يزيد في تعب وهو يلوح بيد المضمدة:

- آسف يا نيرة.. اتأخرت غصب عني.. لو تحبي أوصلك بنفسي أو ابعت معاكِ واحد من بتوع الأمن..

لمحت يده المربوطة والتعبِ الواضح على ملامحه.. فهمست بخفوت:

- ما فيش داعي.. مازن سايب لي عربية بسواقها بره.. على فكرة، الدكتورة كتبت لعليا على خروج بكره.. هاجي على الساعة11 كده عشان أساعدها..

تصبح على خير..

خرجت نيرة وهي تغلق الباب خلفها.. فتوجه يزيد بلهفة إلى فراش علياء.. ليجاورها ملتصقاً بها.. ومحيطاً إياها بذراعيه.. وهو يملس على خصلاتها التي رتبتها نيرة في قصة شعر جديدة.. لمحها فور دخوله الغرفة ولكنه أجل تفحصها حتى تغادر نيرة..

رتبت نيرة خصلات علياء وهذبتها فتركت غرة كثيفة على جبهتها وتمتد لتغطي حاجبيها وتستطيل قليلاً بينهما بينما ظهر عنقها الطويل جلياً نتيجة الخصلات القصيرة جداً خلف عنقها الذي طبع عليه يزيد شفتيه متأوهاً مدركاً لروعته والتي أظهرتها التصفيفة الجديدة.. فهمس بأذن علياء بغيظ وهو يتابع

سلسلة الشامات الصغيرة بإصبعه.. ثم استبدل إصبعه بشفتيه:

- أنا هعمل خير للبشرية وأقتل نيرة.. هي عملت لك القصة دي عشان تجيب لي ذبحة!.. صح؟

تململت علياء بانزعاج بين ذراعيه.. فعاود تقبيلها في عنقها بخفة.. ففتحت على إثرها عينيها ولفت وجهها له وكأنها تتأكد من وجوده.. قبلها على جبينها برقة وهو يزيد من ضمها حتى شعرت بضمادة يده تخدش

بشرتها.. فنزلت بعينيها لترى يده المربوطة.. حركت عليها أناملها بخفة ورفعت عينيها بتساؤل قلق.. عاود مداعبة غرتها بلطف ورفعها عن عينيها هامساً:

- ما تقلقيش.. جرح بسيط..

شعر بأناملها تمر على يده الجريحة برقة وكأنها تربت عليها بحنان.. ثم ما لبثت أن لفت جسدها بين ذراعيه لتصبح في مواجهته وتغرز وجهها بعنقه وتلفه بذراعيها وتعود للنوم مرة أخرى..

رفع غرتها من فوق عينيها مرة أخرى..

وهو يهمس:

- يعني تكشف رقبتك وتغطي عينيكي!!.. صاحبتك دي مجنونة..

شعر بابتسامة شفتيها على عنقه.. فارتعش جسده تأثراً.. وزاد من ضمها.. وقد أدرك أنها لم توجه إليه كلمة واحدة.. هي مازالت تعاقبه بخصامها.. وهو مستعد للتحمل..

****

مرت عدة أيام على وجود علياء بشقتها.. كانت تقضي أغلبها بالاستلقاء بفراشها كما أمرتها الطبيبة.. لم يفارقها بها يزيد إلا ساعات قليلة كان ينهي بها أعماله في فرع الشركة المواجهة للشقة.. ويعود إليها سريعاً.. فهي مازالت تتخبط رعباً من ذكرياتها الأليمة بين أهلها..

مازال رجلي الأمن مرابطان أمام الشقة.. وظف سيدة خمسينية لترعى علياء في ساعات غيابه.. وكانت دنيا هي من تكفلت بالعثور

عليها، بطلب من مازن بالطبع.. فكانت "أم علي".. وهي سيدة في أوائل الخمسينات.. وحيدة تماماً بعد زواج أشقائها وشقيقاتها.. وهي من أفنت عمرها في رعايتهم.. لينطلق كل منهم في حياته.. مطالبين إياها بإكمال المشوار ورعاية أولادهم.. ولكنها السيدة المضحية تمردت على ما جبلت عليه من إيثار.. وقررت الخروج للعمل.. حتى لو كانت مدبرة منزل لزوجة شابة صغيرة.. صامتة وخائفة معظم الأوقات.. ولكنها تملك ذلك الشيء الغامض الذي دفع بـــ"أم علي" بالموافقة على رعايتها على الفور.. فهي تبدو وكأنها بحاجة إلى الحماية طوال الوقت..

نيرة كانت تأتي لزيارتها وتقضي معظم النهار برفقتها.. وكأنها تهرب هي الأخرى من بيتها.. من زوجها.. كما برعت في الهروب من نظرات علياء المتسائلة بشأن وجودها المستمر معها وابتعادها عن مازن..

ولكن علياء لم تصمت ذلك اليوم.. فهي ترى التعاسة بعيون نيرة.. ولا تدرك لها سبباً فعشق مازن لها واضحاً لعيون علياء التي

سألت نيرة وهما جالستين في أحد الأيام بالشرفة التي ملأها يزيد بشتلات القرنفل.. حتى يسعد عينيها برؤية زهرتها المفضلة:

ـ نيرة.. حبيبتي.. في إيه؟.. مش معقول دي تصرفات عروسة جديدة..

غمغمت نيرة بتوتر:

ـ هيكون في إيه يا عليا.. ولا حاجة.. أنتِ عارفة ظروف ارتباطي بمازن.. و..

قاطعتها علياء:

ـ مازن بيحبك يا نوني.. بيعشقك.. الحكاية أكبر من ظروف ارتباطكوا..

ضحكت نيرة بافتعال:

ـ هو يعني لازم يتصرف بجنون زي سي يزيد بتاعك.. اللي مش بيخليكي تخطي الأرض.. تصدقي ده طلب مني أني أكلمه لو حبيتِ تدخلي أوضتك عشان يجي يشيلك.. ربنا يعينك على جنانه..

كانت نيرة تلقي بكلماتها بغرض المزاح ولكن بداخلها شعور قوي يصرخ.. بأنها تريد ذلك

أيضاً.. تحتاج أن يدللها مازن كما اعتاد في فترة خطبتهما.. ولكن بفضل اندفاعها.. حرمت نفسها ذاك الدلال والعواطف الجامحة التي كان يغرقها بها.. تباً.. ألم تكن تستطيع الانتظار لتنال من حسن في موقف آخر..

حسناً.. يجب أن تفكر وتجد حلاً لتستعيد شغف مازن.. ولكن كيف؟.. كيف أقربه مني بدون أن أبدو كالمتسولة لعاطفته؟.. كانت تعصر ذهنها بقوة وهي تفكر في أي حل.. أي طريقة..

حينما سمعت صوت "أم علي" المتفكهة وهي تخبرهما بضحكة مكتومة:

ـ ست عليا.. يزيد بيه وصل من شغله وبيقولك تحبي يدخلك الأوضة دلوقتِ؟

ابتسمت علياء بدورها.. فهي مازالت تخاصمه.. لا تطلب من أي شيء مباشرة بل تستخدم "أم علي" لايصال رسائلها له.. والسيدة تكتم ضحكاتها مرة.. وتؤنبها مرة أخرى محذرة اياها..

"هتزهقي الراجل منك.. وهيطفش يدور له على ست تانية"..

كان رد علياء ابتسامة بلهاء.. فـ"أم علي" التي تدلل يزيد كطفلها العائد بعد غياب لا تعلم بعد بوجود زوجة أخرى في حياته..

ـ ست عليا.. ست عليا..

أخرجها صراخ "أم علي" من أفكارها نظرت لها بحيرة بينما همست نيرة بخفوت:

ـ خلاص يا أم علي.. قولي له يجي.. أنا نازلة دلوقتِ..

لحظة واحدة وكان يزيد أمامها.. ليرفعها من على مقعدها بين ذراعيه هامساً كالعادة:

ـ لفي ايديكِ حواليه رقبتي يا علياء..

أطاعته بصمت.. وركنت رأسها على كتفه وهي تخفي عينيها عن نيرة.. ولكنها لم تستطع كبح ابتسامتها الفرحة والتي لمحتها نيرة على الفور وهي تلحظ احتقان وجه يزيد بقوة..

ابتسمت نيرة بدورها وهي تتذكر قول مازن بأن علياء تملك سُلطة كبيرة على مشاعر يزيد.. ودوى بذهنها جملته الغاضبة.. أن تتعلم منها.. برقت الفكرة في رأسها على الفور.. فاتسعت ابتسامتها.. أكثر وأكثر.. وهي تتمتم..

"ماشي يا مازن.. أما نشوف هتقول إيه على اللي اتعلمته من عليا!"..

****

جلس كلاً من مازن ويزيد على أحد الأرائك بمكتب هذا الأخير يستمعان إلى حسن وهو يقص عليهما مطاردة تلك السيدة التي تدعى ابتسام له بشتى الطرق والوسائل.. حتى أنها تجرأت وظهرت أمام منزله.. طالبة.. بل متوسلة إياه الذهاب إلى منزلها لمناقشة بعض الأعمال الخاصة..

يومها نهرها بعنف.. وهددها بفضيحة مدوية أمام أهل الحارة.. والذين لن يغفروا تفكير سيدة مثلها.. لتظهر منى لحظتها وتزيد في

تهديدها بـ"علقة محترمة من سيدات الحارة المحترمات حتى يظهر لها صاحب"..

يومها هربت مسرعة بسيارتها ولكنها لم تكف عن الاتصال.. وإرسال الرسائل..

كانا الرجلين يكتمان ضحكاتهما بصعوبة وحسن يصرخ:

ـ أعمل إيه في *****... دي؟.. بطلوا ضحك وساعدوني..

قطب مازن متعجباً استخدام أخيه لمثل ذلك اللفظ.. وما لبث أن تذكر عدة ألفاظ مشابهة أثناء سرد الحكاية.. فسأل حسن بضيق:

ـ من إمتى بتتكلم بالطريقة دي يا حسن؟..

رد حسن بغيظ:

ـ بقولك إيه يا هندسة.. عيش عيشة أهلك وبلاش الأنزحة الكدابة دي!!

ردد مازن بذهول:

ـ عيش عيشة أهلك!!.. حسن..

قاطعه حسن بغيظ أكبر:

_ يوووووه.. ساب المشكلة وجاي في الهايفة وتتنح لي فيها.. انجز يا بشمهندس وشغل الجمجمة..

هتف مازن بغضب:

_ حسن...

أمسك يزيد بذراعه ضاغطاً عليه بقوة حتى يمنعه من الاسترسال في الكلام.. فسكت مازن على مضض.. بينما توجه يزيد لحسن مستفسراً:

_ يعني هي عايزة جواز.. ولا...

ضرب حسن كفيه ببعضهما على معدته وهو يسخر:

_ لا يا سيدي.. ولا.. وبعدين هتفرق معاك في إيه؟..

_ خلاص يا حسن.. اهدى شوية.. عشان نتفاهم.. أنت أساساً اتعاملت معاها غلط..

كتف حسن ذراعيه وهو يسأل:

ـ غلط؟.. تقصد إيه يا دنجوان عصرك؟..

لاحظ يزيد نبرة حسن المحتدة وتغير أسلوبه. وكان قد لاحظ تغير مفرداته كذلك.. فتبادل مع مازن نظرات قلقة.. حسن.. يتحول.. يتغي ويقسو بقوة.. فحسن القديم لم يكن ليهدد سيد أبداً بافتعال فضيحة حتى ولو كانت تلك الابتسام..

ابتسم يزيد بتوتر:

ـ بص يا حسن.. أنت قعدت تقولها مراتي.. وبحب مراتي.. طبعاً جننتها وحطيتها قدام تحدي.. كأنك.. يعني..

قاطعه حسن بفظاظة:

ـ أيوه.. كأني رميت قماشة حمرا في وش تور..

ابتلع يزيد لعابه بضيق:

ـ يعني.. تقريباً..

هتف حسن بحنق:

ـ والمطلوب؟.. أخلي الـ ***** تغور من وشي إزاي؟؟؟...

تغاضى يزيد عن سوء ألفاظ حسن وهو يسأله بتوسل:

ـ أحل لك مشكلتك وتساعدني مع علياء.. عايزها ترجع تكلمني تاني.. هيه.. موافق؟..

ضرب حسن كف بكف وهو يصيح:

ـ يخرب دي صحوبية يا أخي.. يعني لو ما ساعدتكش.. هتسيبني أغرق مع الست اشتغال دي!!..

ـ خلاص يا حسن.. اهدا يا أخي..

كان مازن صامتاً بغضب وهو يستمع للحوار.. يريد أن ينهض ليمسك بتلابيب هذا الحسن ويسأله"من أنت؟.. وأين أخفيت شقيقي؟؟".. ولكنه حاول السيطرة على أعصابه بقوة فولاذية وهو يتذكر محاولاته الخبيثة مع والده ليفك الحصار قليلاً حول حسن.. محاولات يشعر

أنها على وشك النجاح بها.. ولكنه يحتاج إلى القليل من الوقت بعد..

سمع يزيد ينصح حسن بهدوء:

_ بص يا حسن.. هي بس حست أنك مميز شوية عن اللي حواليك وده جذب واحدة من نوعيتها.. يعني لو تقدر تحسسها أنك واحد عادي زي زمايلك يعني.. و..

صرخ مازن مقاطعاً:

_ ااااه.. أنت عايزه يتحول أكتر من كده!!..

انتفض حسن بغضب ليجذب مازن من قبه قميصه وهو يسأله بحرقة:

_ قصدك إيه؟..

دفعه مازن بقوة ولكن حسن كان أكثر غضباً لتزحزح.. والتمعت نظرة شرسة بعينيه مما دفع بيزيد ليتدخل على الفور بينهما ليبعدهما عن بعض وهو يهمس لمازن بغضب:

ـ لو مش عارف تتحكم في أعصابك.. روح..
لكن مش هسمح إن ترفع إيديك عليه..
فاهمني..

عاد مازن إلى مقعده بعنف.. بينما التفت يزيد
إلى حسن مهدئاً:

ـ خلاص يا حسن خلينا في المهم.. زي ما
قلت لك.. حاول تظهر قدامها كأي نقاش..
من زمايلك..و..

قاطعه حسن بسخرية:

ـ هو ده الحل السحري بتاعك؟!..

هز يزيد رأسه نفياً وهو يلتقط هاتفه ليتصل
بأحد أصدقائه.. وسرعان ما تعالت ضحكاته
مع ذاك الصديق قبل أن يخبره بلهجة
غامضة:

ـ عندي طلب صغير..

سكت قليلاً وأكمل:

ـ خدمة خاصة بنون النسوة أيوه.. تعرف
ابتسام نيازي؟؟

قهقه يزيد بقوة:

ـ أنا قلت ما فيش غيرك هيحل المشكلة.. مدام ابتسام يا سيدي ناوية على واحد معرفة.. والراجل غلبان ما لوش غير مراته وبيته.. و..

قطع يزيد كلماته بينما وصله الرد على الطرف الآخر.. فصاح يزيد:

ـ تسلم يا غالي.. أنا برضوه قلت الحل في إيد ناجي..

سكت قليلاً وهو يستمع لناجي.. ثم أنهى المكالمة:

ـ حبيبي.. اللي تؤمر به.. عدي عليّ في الشركة وهخلص لك الموضوع..

أغلق الهاتف.. والتفت إلى حسن مبتسماً:

ـ خلاص يا سيدي.. وأهو ناجي هيخلصك منها.. وهيتحمل هو عذاب الست اشتغال.. ارتحت؟..

أومأ حسن موافقاً.. وقد تنهد بارتياح.. بينما يزيد يعاجله بلهفة:

ـ قولي أعمل إيه بقى؟.. نفسي علياء ترجع تكلمني تاني.. عايز أسمع صوتها.. كل اللي أعرفه عن الرومانسية عملتهولها.. قرنفل وغرقت لها الشقة.. نجاة وحفظت أغانيها.. أنا..

قاطعه حسن بهدوء وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة رقيقة فعاد للحظة حسن القديم:

ـ سيبها تخاصمك يا يزيد..

صرخ يزيد بعنف:

ـ إيه!!

اتسعت ابتسامة حسن:

ـ سيبها تخاصمك.. تعاقبك.. تحس أنها في إيدها حاجة تعملها.. أقضي عقوبتك لنهايتها.. بس ما تخاصمهاش أنت.. كلمها على طول, حتى لو ما ردتش عليك.. احكي لها عن شغلك.. عن يومك.. هتعملوا ايه لابنكم اللي جاي في الطريق.. كلمها وما تبطلش كلام.. واستحمل خصامها لحد ما هي تكتفي..

ربت على كتف يزيد وهو يخرج مودعاً وشاكراً له مساعدته.. بينما رمق مازن بنظرة خاطفة وتحرك ليفتح الباب قبل أن يشعر بذراعي مازن تنطبقان عليه بعناق أخوي وهو يهمس له:

ـ آسف يا حسن.. أخوك الصغير مدب.. استحمله بقى!..

ابتسم حسن بهدوء.. وهو يربت على كتف شقيقه.. ويخرج سريعاً..

****

وقف يزيد تحت الدش وهو يتلقى مياهه الباردة علها تخفف شيئاً من غليانه.. وهو يتذكر نصيحة حسن في ذلك اليوم.. بأن يسمح لعلياء بعقابه للنهاية..

وها هو يتحمل ببسالة دش بارد تلو الآخر حتى لا يزعجها.. ينتظرها بصبر لم يكن يعلم أنه يملكه حتى تعاود الحديث معه مرة أخرى.. لا ينكر أن نصيحة حسن كانت مفيدة.. حسناً مفيدة قليلاً.. فهو منذ تلك الليلة وهو يحادثها بلا انقطاع.. تعجبت من أحاديثه

الطويلة في البداية.. ثم سرعان ما ارتسم الاهتمام في عينيها وهي تتابعه يسرد تفاصيل يومه.. وكيف حل تلك المشكلة.. وكيف أجل حل أخرى حتى يسرع ليكون بجوارها.. بجوار ابنهما.. كان يلمح نظرة حنان وابتسامة لا توصف بكلمات على شفتيها وهي تسمعه يحادث صغيرهما.. أو يحدثها بشأن من شئونه.. ابتسامتها تلك كانت مكافأة له على صبره.. على غليانه لقربها.. احتراق فعلي يشعر به.. ولا دواء له غيرها.. فقد تيقن من ذلك.. في عصر أحد الأيام برفقة ريناد.. ولكن للعجب كانت ريناد تبدو مكتفية وسعيدة.. يبدو أن طول الحرمان حسن من أدائه..

ابتسم بسخرية من نفسه وهو يجفف جسده ويخرج من الحمام ليستلقي في فراش علياء الوردي.. ذلك الذي أصرت على اصطحابه معها من المزرعة.. وتحول مؤخراً لفراشه هو.. فهو بعد عدة ليالٍ احترق جسده برغبته بها ولم يستطع الاقتراب منها.. قرر أن ينتقل من غرفتها.. كان يضمها حتى تنام وتستغرق في نومها.. ثم يذهب إلى فرضه الليلي من

الأدشاش الباردة.. وينام في فراشها الوردي الضيق.. مرر يده بخصلات شعره بغيظ.. ألا تشعر بغليانه.. باحتراقه.. بتوقه لها..

بينما كان هو يحترق داخل الفراش الوردي كانت علياء تعض يدها مترددة.. لا تعلم هل تقدم على تلك الخطوة أم لا.. توقفت يدها على مقبض غرفته وهي تفكر.. هل تذهب إليه؟.. هل تبدأ هي؟..

في بداية خصامها له كان يسعدها نظرة التوق العنيفة بعينيه.. والآن أصبحت تشعر بتوق مماثل.. وربما أعنف نحوه.. تبا.. أنها الهرمونات بالتأكيد.. كما قرأت في أحد الكتب الخاص بصحة الحامل.. وظنت وقتها أنه يمتنع عنها تنفيذاً لتعليمات الطبيبة.. ولكن انقضى الوقت وانقضت التعليمات وهو مازال متباعداً.. حسناً.. ليس متباعداً تماماً.. فهي تشعر بغليان جسده وهو يجاورها كل ليلة حتى تستغرق في النوم.. غليان يزداد باضطراد.. وأنبأتها غريزة أنثى ولدت على يديه.. أنه وصل لأقصى درجات تحمله.. لذا حسمت أمرها ولفت مقبض الباب.. لتدخل إلى الغرفة

المظلمة.. وتتحرك نحو فراش يزيد بتردد.. بينما عيني يزيد اتسعاتا في وسط وجهه وهو يراها تدلف إلى الغرفة.. وهي ترتدي منامة نوبتي.. الشهيرة.. عبس شاتماً.. كم تمتلك منهم.. هل ينبغي أن يمزقهم جميعاً..

وقفت أمام الفراش وهي ترمقه بخجل.. بينما كاد فرش السرير أن يشتعل من النار التي تسري بجسده.. ولكنه ظل صامتاً وهو يضغط على أسنانه بعنف بينما هي تقترب منه بتردد.. لتهبط تجاوره بخجل.. تلتصق به.. وتجذب

رأسه نحوها.. تمنحه قبلة كانت هي ولأول مرة البادئة بها.. لم يستطع صبراً لثانية أخرى تمر, فجذبها إلى صدره برغبة حارقة.. عنيفة.. لن تشبعها سواها..

****

صوت ارتطام شديد بأثاث غرفة المعيشة كان ما أيقظ منى.. والتي تعجبت كيف غفت وهي تنتظر عودة حسن.. والذي أصبح يتأخر بعودته يوماً بعد يوم.. والليلة تأخر كثيراً.. حتى أنها نامت قبل عودته..

صوت ارتطام آخر.. وسباب بذيء وصل إلى مسامعها.. قبل أن ترتدي مئزرها المنزلي وتخرج بسرعة لترى من بالخارج.. لتفاجيء بحسن راقداً على ظهره فوق الأريكة وهو يحاول خلع حذائه.. وفي كل مرة يفشل كان يشتم ببذاءة..

هتفت بتعجب وهي تتجه نحوه لتعدل من جلسته.. وتتكئ على ركبتيها لتخلع حذائه:

ـ حسن انا اتأخرت قوي..

فوجئت به يجذبها من عنقها بقسوة ويرفع وجهها إليها هامساً:

ـ منى.. ريحتك حلوة قوي..

مرغ شفتيه في عنقها بنهم.. حتى شعرت بأسنانه تغرز في بشرة عنقها الرقيقة.. فأبعدته عنها بقوة:

ـ في إيه يا حسن؟..

جذبها مرة أخرى ليقبلها بعنف حتى أدمى شفتيها:

ـ هو إيه اللي في إيه.. في اني عايز مراتي.. عايز أتبسط شوية.. إيه مش من حقي بعد تعب ومرمطة طول النهار إني أرجع الاقي الحتة بتاعتي مستنياني وعايزة تبسطني..

رددت مني بذهول:

ـ حتة بتاعتك!!.. تبسطك!!

جذبها مرة أخرى ليضغطها إلى صدره بعنف كاد أن يحطم أضلاعها وهو يقبلها بشهوة.. هامساً:

ـ اخرسي بقى هتطيري النفسين من دماغي..

شهقت مني بعنف.. وهي تتلقى منه معاملة لم تتصور أبداً أن تتلقاها أي زوجة من زوجها.. زوجها الذي كان يعشقها.. قبل أن يعرف التدخين.. والسجائر.. سجائر غير بريئة أبداً..

الفصل الحادي والعشرون

وقفت نيرة أمام المرآة.. وهي تنهي اللمسات الأخيرة لزينتها.. وعقلها يراجع خطة تقربها من مازن للمرة المائة.. فكرت أن تقدم اعتذار بسيط.. ولكن غريزتها أنبأتها أن ذكر حسن بينهما لن يسبب إلا المشاكل.. فقررت أن تظهر اهتمامها.. بالفعل.. سهرة منزلية.. وعشاء شهي على أضواء الشموع.. فستان أسود من الحرير الناعم.. ذو فتحة عنق مهولة تكاد تصل إلى بداية معدتها.. يكشف عن عنق مرمري ناعم تعلقت به قلادة تتدلى لتداعب فتحة فستانها مع كل التفاتة منها.. جمعت شعرها في لفة راقية خلف عنقها.. وأتقنت زينة وجهها.. بالكامل.. ظلال الجفون أسود.. وحمرة قانية للشفاه.. وعطر يغري الحجر..

ألقت نظرة أخرى واثقة على نفسها ومنحت وجهها الفاتن قبلة..

وما أن سمعت صوت محرك سيارته يعلن عن
وصوله حتى تحركت بسرعة لتكون في
استقباله.. نزلت درجات السلم بسرعة تلتف
حول ركبتيها أطراف ثوبها الحريري..
وتصاحبها غيمة من عطرها المغري..

صوت طرقات الكعب العالي على درجات السلم
لفتت انتباه مازن على الفور فرفع رأسه ليتجمد
تماماً تحت تأثير هيبة جمالها..

كانت جميلة.. بل فاتنة.. مبهرة.. لم يخطئ
من أسماها نيرة.. فجمالها ينير عالمه..

حتى ولو هرب منها.. من تأثيرها عليه..
ولكنه.. يعي تأثره به جيداً.. وكما يبدو هي
أيضاً أدركت من تعابير وجهه انبهاره
بجمالها.. فأبطأت من خطواتها الراكضة..
وتحركت بثقة نحوه.. ولكنها لم تستطع التحكم
في أنفاسها اللاهثة وهي تقف أمامه..
تواجهه..

ابتسامة خفيفة ظهرت على وجهه وهو يتناول
يدها ليطبع عليها قبلة رقيقة.. ويتأمل لهفة
ملامحها لإطراء منه.. ولكنه ظل صامتاً

وعيناه تجوبان ملامحها في لهفة وحب وكأنه يبحث عن ارتواء.. اشباع.. فقط من ملامحها..

سألته أخيراً بهمس:

- إيه رأيك؟.. عجبتك؟!..

قربها منه بشدة ونظرات عينيه تركزان على حمرة شفتيها وهمس أمامهما:

- فإذا وقفت أمام حسنك صامتاً.. فالصمت في حرم الجمال.. جمال

ابتسمت بسعادة وهي تهتف:

- الكلام الحلو ده علشاني..

لف خصرها بذراعه هامساً بشقاوة:

- لو الجمال ده كله عشاني يبقى الكلام الحلو أكيد عشانك..

قهقهت تلك المرة بسعادة بالغة وهي تستشعر عودة مازن القديم.. مازن الذي كان يتفنن في تدليلها ويغرقها بعواطف لم تعرف مثلها أبداً..

هي على الطريق الصحيح إذاً.. تحقق نجاحاً.. مظهرها فقط جعله يلقي على أذنيها بكلمات الغزل..

فماذا سيفعل عندما يرى ما قامت به من أجله!!..

سحبته من يده وهو كان منقاداً لها تماماً.. فقلبه يقفز بجنون داخل صدره.. سعادة وفرحة حمقاء تنتفض بداخله منبعها إحساسه أنها تريد إرضائه..

تحرك معها بسلاسة لتصطحبه إلى غرفة الطعام.. حيث اصطفت أطباق الطعام.. وغابت الأنوار تاركة السطوة لضوء الشموع.. لتتراقص الخيالات حولهما وهي تتعلق به وتلف ذراعيها حول عنقه هامسة:

- نرقص؟..

ضمها لصدره ولف بها ومعها في الغرفة حتى اقتربا من جهاز تسجيل حديث.. فقامت بتشغيل الأغنية التي رقصا عليها ليلة زفافهما..

وهمست:

_ هنرقص عليها لآخرها المرة دي..

ممكن؟!..

رمق نظرات عينيها المتوسلة.. وتعابير وجهها الملهوفة بتردد.. فرغم سعادته لما تبذله من جهد لتنال رضاه، إلا أنه أصبح يمقت الأغنية وكل ذكريات تلك الليلة البعيدة.

وصله صوتها متوسلاً:

_ مازن.. بليييييز.. عشان خاطري..

هز رأسه برفض رقيق.. واختار أغنية أخرى وهو يهمس:

_ هنرقص بس مش سلو.. اسمعي الأغنية دي.. كلماتها تحفة..

وبالفعل ارتفعت النغمات.. ليلف بها عدة مرات حول مائدة العشاء.. ذراعه حول خصرها.. نظراته تتواصل بنظراتها وكأنما يربطهما خيط غير مرئي.. عيونه بها تساؤل.. تجيبه هي بتوسل.. فتجوب نظراته وجهها الفاتن..

ويضمها إليه أكثر.. بينما تتعالى الكلمات الرقيقة..

قل لي- ولو كذباً- كلاماً ناعماً

قد كاد يقتلني بك التمثال..
مازلتِ في فن المحبة.. طفلةً
بيني وبينك أبحر وجبال
لم تستطيعي -بعد- أن تتفهمي
أن الرجال جميعهم أطفال

فإذا وقفت أمام حسنك صامتاً
فالصمت في حرم الجمال.. جمال..

كلماتنا في الحب.. تقتل حبنا..
إن الحروف تموت حين تقال..

تتقابل الشفاه أخيراً.. قبلة خاطفة.. وكأنها تساؤل معلق بينهما..

نظراتها ترتفع إليه وكأنها تصرخ.. "خذني".. وتستجيب شفتيه لتمنحها قبلة.. قبلة عشق تلك المرة.. فضم شفتيها.. داعبهما.. قبلهما.. بل كاد يلتهمهما وهو يعمق القبلة لتصبح أقوى.. وأعمق وأكثر إثارة.. حتى أن نيرة لم تحتمل اندفاعه.. فحركت وجهها تدفنه بجانب عنقه.. تهرب قليلاً بمشاعرها التي بعثرها..

ماذا يحدث لها؟.. لقد ظنت أنها ستسيطر عليه.. تستعبده وتستغل حبه.. فيذوب عشقاً بهواها وتبجيلاً لجمالها.. ولكنها هي الآن من تغرق.. تغوص ببحر من الرمال التي تبتلعها وهي حتى عاجزة عن المقاومة.. يجب أن تكون هي المتحكمة.. المسيطرة.. فهو من يحبها.. هو العاشق.. أنها مستمتعة فقط بذلك العشق.. ذلك التميز..

تعالت الكلمات مرة أخرى..

قصص الهوى قد جننتك..

فكلها....

غيبوبة.. وخرافة.. وخيال

الحب ليس رواية يا حلوتي..

بختامها يتزوج الأبطال.

مشاعرها تتجاوب.. بقوة.. تكاد تخضع.. كلا.. فكرت بعنف.. يجب أن تهدأ قليلاً.. لن تستسلم الآن.. فلتتركه يحترق قليلاً كما تركها في بؤسها لأيام..

همست له برقة:

ـ نتعشى بقى؟..

توقف عن الرقص وهو يردد بذهول:

ـ نتعشى!!..

سحبته من يده وأجلسته على رأس المائدة.. وسحبت مقعداً وجلست بجواره وهي تبتسم محاولة السيطرة على اضطراب مشاعرها:

ـ الأكل يجنن.. دوق بس كده..

ابتسم ليجاريها:

ـ يا ترى أنتِ اللي طبختِ؟..

تلعثمت قليلاً:

ـ أنت عارف أني مالبش في الطبيخ والكلام ده.. بس أنا أشرفت على توضيب كل حاجة..

همس وقد برد اندفاعه قليلاً:

ـ وماله.. نبتدي خطوة.. خطوة..

أخذا يتناولا طعامهما في صمت متوتر.. فالمشاعر المتطايرة في الجو كانت أكبر من أن تحتويها تلك الغرفة رغم اتساعها.. هو وقد وصل صبره لمنتهاه.. يريد حبيبته.. من ضحى وواجه شقيقه من أجلها وكاد أن يخسره ليحصل عليها.. وهي مشتتة.. في

أعماقها تتساءل عن تلك المشاعر التي تجذبها لمازن على الرغم من تيقنها بأنها لم تتغلب على حبها وخيبتها من حسن..

رنين الهاتف أوقف تيار المشاعر الملتهبة.. ليرد مازن بقلق.. فقد كان المتحدث والده.. أخذت نيرة تتابع ملامح مازن وانفعالاته وهو يحادث والده..

أعجبتها سيطرته على مجريات الحديث.. كان يناقش والده بخفوت وحزم.. وكادت المكالمة أن تنتهي حين سمعته يذكر حسن.. ويكرر على والده الطلب بأن يعفو عنه.. أو على الأقل يخفف من حصاره.. وضعت شوكتها بهدوء متوتر وعيناها تتابع الحوار باهتمام لم يخفَ على مازن.. وأدركت هي ذلك فلعنت غبائها بصمت ولكنها لم تستطع منع نفسها من التساؤل بصوت عالٍ وكان مازن قد أنهى المكالمة للتو:

- هو أونكل حاتم هيسامح حسن خالص؟.. يعني هيرجعه للشركة؟..

أجابها بغضب مكبوت:

- يهمك اوي إن حسن يرجع؟..

تلعثمت:

- لا.. أنا أقصد..

قاطعها وهو ينهض بعنف:

- متشكر قوي على العشا.. الأكل كان لذيذ فعلاً..

نهضت خلفه لتتمسك بذراعه:

- مازن.. استنى بس..

التفت لينظر لها وهو يحاول احتواء خيبة أمله:

- خير.. في حاجة؟..

- يا مازن مش كل مرة تغضب وتبعد.. أرجوك..

هز رأسه بحزن:

- يمكن أنا غلطان أني بعدت.. لكن ده بيكون رد على غلطك أنتِ.. أنا مش هشرح لك أو أوضح لك الوضع معقد ومكلكع قد إيه.. لازم

تكوني أنتِ حاسة.. أنا ظنيت للحظة أن الرسالة وصلتك.. بس يظهر.. أننا لسه محتاجين وقت أطول..

هو أن تثور لأي شيء تافه..
هو يأسنا.. هو شكنا القتال..
هو هذه الكف التي تغتالنا..
ونقبل الكف التي تغتال.

وصلته كلمات الأغنية وكأنها تصف حاله فأغمض عينيه قليلاً وتحرك ليرفع كفها يقبله:

ـ الأغنية.. دي قصيدة لنزار.. كملي باقي أبياتها.. يمكن.. يمكن..

لف ليخرج من الغرفة بينما هي تصرخ من خلفه:

ـ رايح فين؟..

ابتسم بغموض:

ـ للدنيا الواسعة..

خرج وتركها تغلي غضباً وغيظاً وقد فشلت خطتها للتقرب منه واسترداد اهتمامه..

التفتت للمائدة التي أعدتها من أجله لتجذب المفرش بقوة وتحطم ما فوقها.. وتدوس فوق حطام الأطباق بغيظ.. وبداخلها يتردد كيف تفشل في الوصول إلى مازن.. العاشق المتلهف.. بينما تنجح علياء بطفولتها في السيطرة على يزيد بجنونه.. ومتى تتغلغل داخل حسن برقته وحنانه..

أعادت مجريات السهرة في ذهنها.. لتقف عند مكالمة والده.. وبداخلها يكبر الإحساس أنه

تعمد استقبال المكالمة وذكر حسن ليختبر ردة فعلها..

"غـــــــــيبة"..

صرخت بقوة.. وهي تدرك أنها فشلت في اختبار أحمق.. تدافعت الدموع خلف جفنيها، ولكنها أحكمت سيطرتها عليهم.. كلا.. لن تبكي.. ولن تعترف بالفشل.. ستصل لزوجها.. وستسيطر على قلبه ومداركه.. فقط تحتاج إلى الهدوء.. والصبر.. وسياسة النفس الطويل..

ركضت إلى غرفتها.. لتبحث عن باقي القصيدة
كما أخبرها.. لتتساقط دموعها تلك المرة
وهي تقرأ..

لا تجرحي التمثال في إحساسه
فلكم بكى في صمته.. تمثال..
قد يطلع الحجر الصغير براعماً
وتسيل منه جداولٌ وظلال
إني أحبك من خلال كآبتي
وجهاً كوجه الله ليس يطال
حسبي وحسبك.. أن تظلي دائماً
سراً يمزقني.. وليس يقال

****

فتحت علياء عينيها بصعوبة.. وبأذنيها يتردد همس يزيد, بل هو صخب.. صخب ضربات قلبه الهادرة والتي تستشعرها تحت وجنتها.. ومداعباته المستمرة لها حتى تستيقظ تماماً.. فسمعته يهمس وهو مستمر بمداعبته لعنقها طابعاً قبلات عميقة وحسية:

_ علياء.. علياء.. ردي عليّ.. معقولة طول الليل من غير ولا كلمة..

عدلت من وضع رأسها لتضعه فوق ذراعه.. ورفعت عينيها إليه لتلتقي نظراتهما.. حديث طويل تبادلاه بدون كلمة واحدة.. نظراته تفضح شوقه.. توتره.. احتياجه الذي عجز عن التحكم به.. ونظراتها مليئة بالخجل.. والخزي.. فهي من ضعفت.. هي من ذهبت إليه.. وهي من تبكي دائماً..

التقط دموعها بشفتيه وهو يمرغهما في وجنتيها هامساً:

ـ دموع!!.. دموع ليه يا علياء؟..

لم ترد عليه بل دفنت وجهها بتجويف عنقه وسكتت تماماً.. فهمس بلوعة:

ـ سكوت!!.. سكوت ودموع؟؟.. علياء!!..

كانت تسمع توسله في نبرة صوته وأرادت أن ترد.. أن تقول أي مما يجول بذهنها.. ولكنها عاجزة.. فقط عاجزة عن فتح شفتيها للكلام.. عن تحريك لسانها.. تصطف الكلمات وتتدافع بين ثنايا عقلها ولكنها ترفض التحرك خارجه.. أنها لم تصاب بالخرس.. هي متأكدة.. فهي تحادث نيرة.. و"أم علي"

باستمرار.. فقط تنتابها حالة الخرس معه.. خرس غريب قد تطلق عليه "الخرس اليزيدي"..

طرقات قوية على باب الغرفة أفزعتهما معاً وصوت "أم علي" يدوي:

ـ سي يزيد.. سي يزيد بيه.. الحقني يا سي يزيد بيه.. الست عليا مش موجودة.. مش لاقياها في الشقة.. يا سي يزيد..

دفنت علياء رأسها بصدر يزيد لتخفي وجهها الذي اشتعل حرجاً.. وكأن "أم علي" تمتلك القدرة على الرؤية من خلال الباب المغلق.. بينما يزيد لا يتوقف عن اطلاق السباب..

وأخيراً ارتفع صوته حتى يسكت صرخات "أم علي":

ـ خلاص.. خلاص يا ست أم علي.. علياء معايا هنا.. ما تقلقيش عليها..

سمعا صوت ضحكات "أم علي" الخجولة وصوتها يهتف:

ـ يا نهار الهنا.. أنا هروح أحضر لكوا فطار معتبر..

جلست علياء في الفراش وهي تخفي وجنتيها المشتعلتين بكفيها, ثم تلفتت حولها باحثة عن منامتها.. حينما شعرت بيزيد يتحرك من الفراش ويمد يده إليها بروب طويل يخصه وهو يردد:

ـ ما فيش حتى صباح الخير.. وحشتني.. أي كلمة تبل ريقي..

تمسكت بالروب وعينيها تتسعان غير قادرة على إجابته بالكلمات.. أي كلمات تلك التي يبحث عنها.. وهي من أظهرت بكل وسيلة أخرى مدى اشتياقها له..

ارتدت الروب وتحركت لتخرج من الغرفة حينما وصلها صوته:

ـ استعدي عشان هنروح متابعة الحمل بعد الفطار..

لمعت عينيها اندهاشاً لتذكره الموعد.. وهزت رأسها موافقة.. فتحت الباب لتجد "أم علي"

في مواجهتها.. فسحبتها إلى غرفتها وهي لا تكف عن الثرثرة.. وإطلاق النصائح وتهنئتها لأنها "خزت الشيطان وصالحت جوزها"..

اغتسلت سريعاً ومشطت خصلات شعرها القصير.. وخرجت لتجد يزيد متجهاً بدوره ليتناول الافطار.. اصطحبها ليجلسا سوياً.. فوجدت "أم علي".. قد أعدت مائدة حافلة.. كانت جائعة بالفعل.. فبدأت في التهام طعامها بتلذذ تحت أنظار يزيد المذهولة.. رمقت ذهوله للحظات.. ثم استمرت في تناول طعامها.. ولكنه ظل يناظرها بتعجب.. وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة.. سرعان ما تحولت إلى ضحكة عالية وهو يسألها:

ـ إيه اللي أنتِ بتعمليه ده؟!

انطلق لسانها بدون إرادة منها وهي تجيب بدفاع:

ـ بآكل.. أنا جعانة قوي..

توقفت ضحكاته وهو يدرك أنها تحادثه.. تحادثه بالفعل.. بعد خصام أيام, بل أسابيع.. يعود صوتها الناعم ليداعب أذنيه مرة أخرى.. بينما هي وضعت أناملها على فمها وكأنها تتعجب لما قالته.. عادت ابتسامته لتتسع وهو يمد يده ليمسك كفها ويقبل أناملها بمتعة شديدة هامساً:

ـ وماله يا حبيبتي.. براحتك.. بس يعني هو البيض حلو بالمربى.. مش جديدة الوصفة دي!!..

نظرت إلى البيضة المسلوقة في يدها وقد غمستها في طبق المربى.. وابتسمت بحرج.. ثم أكملت طعامها.. تحت نظراته.. كيف تستطيع اخباره أن طعم البيض بالمربى في فمها الآن أروع من طعم الشيكولاة بالكريز...

أنقذها صوت أم علي وهي تخبر يزيد ببشاشة:

ـ سيبها يا سي يزيد بيه.. ده وحم.. هي بتتوحم على المربى.. اسم الله عليها.. بتغمس كل حاجة بالمربى..

ابتسم يزيد لها وضغط على أناملها بحنان وهو يسألها:

_ بتحبي المربى كده!.. غريبة.. ما كونتيش بتاكليها أبداً..

تضرجت وجنتيها وهي تعي مراقبة "أم علي" لهما.. ورسخت كلماته في ذهنها تخبرها أنه يعلم ما تحب وما تكره.. شجعها ذلك لتخبره عن اقتراب موعد دخولها للكلية.. ولكن عادت حالة الخرس اليزيدي تتلبسها.. فأخذت تفرك أناملها في كفه.. حتى أمسكها وهو يقترب منها هامساً:

_ دخول الكلية هيكون أول الاسبوع.. صح؟..

أومأت موافقة برأسها.. فعاد يهمس:

_ خلاص يا علياء.. هوصلك وأجيبك.. ولو ما قدرتش.. هيكون في سواق وفرد أمن معاكِ على طول.. بس المهم أنك ما ترهقيش نفسك..

سكت قليلاً ينتظرها لتجيبه ولكنها ظلت صامتة.. فهمس بحزن:

ـ خصامك صعب قوي يا علياء..

رمقته بنظرة خاصة تنبهه لوجود "أم علي".. فالتفت لها ليصرفها بسرعة.. ويجذب علياء ليجلسها على ركبتيه.. وهو يداعب عنقها ويجري بظهر أصابعه عليه بشغف:

ـ تلبسي حاجة مقفولة.. وكمان كوفيه أو اسكارف.. مفهوم؟..

هزت رأسها رافضة.. يقودها شيطانها لتستفزه.. شيء ما يدفعها لتثير غضبه.. يبدو أنها هرموناتها تتقافز بدون وعي منها.. ولكنه أجاب على استفزازها بطريقة عملية بحتة.. حيث ضمها بقوة ليطبع على عنقها قبلة قوية.. قبلة حب.. قبلة طالت واستمرت وتطورت حين انتقل لشفتيها... وأخيراً رفع رأسه يخبرها بمتعة وهو يداعب جزء من عنقها وقد ظهرت عليه علامة واضحة نتيجة قبلته النهمة:

ـ كده لازم هتغطي رقبتك.. مش بمزاجك على فكرة.. الجمال ده بتاعي وماحدش يمتع عيونه به أبداً.. مفهوم؟؟

ثم ساعدها لتنهض على قدميها وهو يحثها على تبديل ملابسها.. حتى يلحقا بموعد الطبيبة...

وهناك في عيادة الطبيبة وعلى سرير الفحص.. حيث استلقت علياء لإجراء سونار للاطمئنان على الجنين.. ابتسمت الطبيبة بشاشة وهي تخبر علياء ويزيد:

ـ يا ترى عايزين ولد ولا بنت؟..

سألها يزيد بلهفة:

ـ هو ممكن نعرف دلوقت؟..

ضحكت الطبيبة لتخبره بحرفية:

ـ لا.. ممكن كمان شهرين.. بس دلوقت ممكن أقولكوا مبروك.. مبروك يا علياء.. أنتِ حامل في توأم..

اتسعت عينا يزيد وهو يحدق ببلاهة في شاشة المينتور والطبيبة تصف له كيسي الحمل وامتدت

يده ليتمسك بكف علياء وهو يرغب بشدة في تقبيلها وتقبيل أولاده بداخلها.. ضم كتفيها بذراعه هامساً:

_ مبروك يا أم العيال..

****

أتى صباح ذلك اليوم غريباً على زوجين كانا منذ وقت قريب يتقاسما البسمة قبل اللقمة.. حيث تكومت منى على أريكة قديمة وقد التفت بمئزر منزلي ينتمي لحسن.. وكأنها تستدعي حبيبها القديم.. تلتحف به لتستجير به منه..

حسن عاشقها.. حسن من حارب الجميع من أجلها.. ليس هو من حاول أخذها عنوة ليلة أمس.. والليلة التي قبلها.. والتي قبلها..

كانت تستسلم له في كل ليلة حتى لا يتحول حبهما إلى كائن بشع مشوه الهيئة.. سمحت له بمعاملتها بقسوة وهمجية حتى لا تتحول إلى امرأة اغتصبها حبيبها.. ولكن ليلة أمس.. لم تستطع.. فقط عجزت عن احتمال المزيد.. فهي للحظة تاهت عن نفسها.. لحظة أدركت فيها أن منى تضيع.. لحظة واجهت نفسها

بأن حسن على وشك الاستسلام.. ليتحول إلى الأسطى حسن.. كما كان يداعبها في بداية عمله.. ليس أن عمله كعامل نقاشة مشين.. أو مسيء.. ولكن اندماجه مع مجموعة عمله الجديدة ومسايرته لهم تشي بأنه سلك طريق الضياع..

المرأة المضحية بداخلها تمردت.. ورفضت مزيد من الاستسلام لقسوته...

تحسست كدماتها بألم وهي تتذكر قوته التي يستخدمها لأول مرة ضدها.. قسوته التي تختبرها للمرة الأولى.. بوهيميته وعنفه.. وهو ينهرها حتى لا تناقشه في سلوكياته.. تغيره الذي بدأ يظهر جلياً.. فلم يعد يلتصق بها كما في بداية زواجهما، بل استهوته جلسات زملائه ممن يدعوهم أصدقائه الجدد واندمج بشدة في سهراتهم وجلساتهم على المقهى.. وتكاد ترتعش عندما يمر بذهنها مكان أكثر بشاعة من مقهى بريء..

صوت جريان الماء أنبأها باستيقاظه.. فمسحت دموعها بسرعة.. وأعدت الإفطار

على عجل.. وما أن انتهت حتى وجدته أمامها.. يرمقها بنظرات قلقة.. فآثار عنفه ظاهرة على عنقها وما ظهر من صدرها وساقيها..

رمقته بلوم.. نظراتها تعاتبه.. تلومه.. تجلده.. تسلخه.. أخفض عينيه حتى لا يواجهها.. فهتفت به:

_ ما تخبيش عينيك عني يا حسن.. بتنزلهم ليه؟.. مكسوف ولا حاسس بالذنب؟..

نفض إحساسه بالذنب سريعاً.. وركبته العصبية التي لازمته مؤخراً وهو يجذبها من ذراعها:

_ وأنا هتكسف ليه؟.. وليه الذنب من الأساس؟!.. أنتِ ناسية..

قاطعته وهي تجذب ذراعها من قبضته بعنف:

_ أنك بتاخد حقك.. وإني مراتك ولازم أسمع الكلام.. صح؟..

التفت يوليها ظهره وهو يشعل سيجارته.. فتقافزت الشياطين أمامها لتجذب اللفافة المشتعلة من بين شفتيه بعنف وهي تصرخ:

ـ سجاير قبل الفطار.. ويا ترى دي سيجارة بريئة ولا..

سحب اللفافة المشتعلة من يدها ويده ارتفعت في الهواء لتمنحها صفعة.. شيء آخر جديد عليها لتناله من حبيبها.. نظرتها المذهولة بفزع جمدت يده في الهواء..

ليخفضها ببطء.. ويخفض نظراته معها.. ويهمس وهو يتحرك ليخرج:

ـ أنا هتأخر الليلة.. ما تسهريش تستنيني..

كان جسدها كله ينتفض ومشهد يده المعلقة في الهواء لا يغيب عن ذهنها فوجدت نفسها تصرخ به:

ـ ويا ترى هتسهر فين؟.. في قهوة ولا غرزة وترجع لي مسطول زي الكام يوم اللي فاتوا؟..

لم تتأخر الصفعة تلك المرة ولم يتردد حسن ويده ترتفع لتحط على وجنتها الرقيقة.. رفعت يدها تتحسس وجنتها المكدومة.. ورمقته بنظرة مذبوحة..

لم تذرف دمعة.. وهو لم يتوقف ثانية واحدة ليعتذر.. خرج وكأن الشياطين تصارعه.. وتركها وقد أقسمت أن تسترد زوجها.. حتى لو اضطرت لمحاربته هو شخصياً..

****

كانت ساقي مازن الطويلتين تقطعان الدرج بسرعة ولهفة حتى وصل إلى عيادة طبيب العظام وإصابات الملاعب الشهير, فاندفع بداخلها يسأل موظفة الاستعلامات:

ـ مدام نيرة غيث؟..

أشارت له إلى غرفة جانبية وهي تخبره بروتينية:

ـ اتفضل حضرتك.. هي منتظرة في الأوضة دي..

دلف إلى الحجرة بسرعة.. ليجد نيرة تجلس على أحد المقاعد وتفرد أمامها ساقها وقد غطت قدمها عدة لفافات بيضاء.. ورأسها مُلقى على مسند المقعد وقد تناثر حولها شعرها بإهمال..

جميلة حتى في لحظات ألمها..

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يتوجه نحوها ويسألها بلهفة:

_ خير يا نيرة؟... حصل إيه؟..

لمعت في عينيها نظرات عتاب رسمت على وجهها علامات الألم ببراعة وهي تناديه بصوت متهدج:

_ مازن..

اقترب منها ليتمسك بكفها الذي مدته له ويجلس بجوارها.. يشبع عينيه منها.. فهو يتجنب حتى النظر إليها منذ عدة ليالٍ.. منذ ترك لها مائدة العشاء غاضباً.. سألها بهمس:

_ في إيه؟..

ومد يده ليربت على قدمها الملفوفة بالأربطة:

ـ طمنيني.. حصل إيه؟..

سألته بعتاب:

ـ يهمك تعرف؟..

استولى على جانب وجهها بكفه الضخم:

ـ أكيد يهمني.. أنتِ مش عارفة أنا كنت قلقان قد إيه.. ولا كسرت كام إشارة من ساعة ما وصلني التليفون أنك في عيادة الدكتور.. إيه اللي حصل؟..

هزت كتفيها بهدوء وهي تخبره:

ـ الدكتور بيقول شرخ في مشط رجلي..

ـ إيه؟.. وإيه السبب؟؟

ـ كنت بلعب ماتش تنس ورجلي اتلوت ووقعت عليها..

رمق قدمها بتعجب:

ـ طب مش كان المفروض يجبس الرجل لحد الركبة؟..

تلعثمت قليلاً:

ـ آه.. بس هو.. الشرخ بسيط.. وأنا اتحايلت على الدكتور مش عايزة الجبس.. فجبس القدم بس بشرط.. أني ما دوسش عليها نهائي..

عبس مازن بتفكير:

ـ غريبة قوي!!

هتفت بضيق:

ـ هو إيه اللي غريبة!.. يعني أنا كدابة؟.. خلاص.. اتفضل اتأكد من الدكتور بنفسك..

ـ لا خلاص.. ما فيش داعي.. يلا بينا نروح.

رفعت يديها له في طلب صامت لكي يحملها.. فرفعها بين ذراعيه وأحاطت عنقه بذراعيها وهي تخفي وجهها في كتفه وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة انتصار واسعة.. فقد نجحت أول خطوة من الخطة...

الفصل الثاني والعشرون

أخذ حسن يقلب ألوان الطلاء بقوة في الدلو الكبير حتى يُظهر اللون المطلوب.. كان يضرب الألوان بعنف شديد.. يماثل الغضب الذي يموج بداخله.. غضب نمى وتراكم مع الأيام.. غضب على الكل.. ومن الكل..

لا يريد أن يرسم لنفسه دور الضحية المظلوم كلا.. إنها اختياراته.. وطريق قرر اتخاذه.. ولا وقت للندم.. أو التراجع..

همسة بداخله ترددت..

"ويا ترى أنت فعلاً ماشي في طريقك صح؟"..

قذف العصا بغضب داخل الدلو الكبير فتناثرت قطرات من الطلاء على ملابسه ووجهه.. مسحها بذراعه بدون اهتمام.. ثم نهض ليخرج علبة السجائر من جيبه ويشعل إحداها.. اتجه نحو أقرب شرفة في المكان مبتعداً عن الفوضى التي أحدثها لينفث دخان سيجارته.. ويخرج معه.. غضبه.. ونقمته

وذكريات صباح أحد الأيام الذي تبدل به كل شيء..

كان ذلك بعد عدة أيام من حديثه مع مازن ويزيد.. وبدا أن نصيحة يزيد قد نجحت بالفعل.. وبدأت تلك المسماه ابتسام اظهار بعض إمارات الامتعاض والتقزز كلما حضرت ووجدته يتناول طعامه مع زملائه، طعام شعبي بسيط.. أثار تقززها.. خاصة عندما تناول رشفة طويلة من كوب الشاي الثقيل، وبعدها مسح شفتيه بظاهر يده وهي تحادثه

محاولة الوصول إليه.. وبدأ بتنفيذ بعض الأفعال.. التي لمحها من بعض زملائه كلما أتت.. ولم يكن ذلك بالشيء الصعب.. فهو كان قد التقط بعض السلوكيات تلقائياً نتيجة احتكاكه المستمر بهم.. حتى كان صباح ذلك اليوم.. وكانت قد تغيبت عن الحضور لعدة أيام وانقطعت اتصالاتها.. وبدا أن صديق يزيد قد نجح في تحويل اهتمامها عنه.. كان سعيداً وفي غاية الارتياح.. فبرغم تعقل منى وتيقنها من إخلاصه وأن تلك السيدة هي من تطارده، إلا أنها كانت تمر بنوبات غضب

وغيرة لم يستطع احتوائها في بعض الأحيان.. وفي ذلك الصباح قرر أن يطلع شقيقه على الأخبار السعيدة.. ويطمئنه عن أحواله.. رمق ساعته التي تشير إلى السابعة والنصف.. فكر في الاتصال بمازن ولكنه تردد في إيقاظه, فجلس ينتظر باقي زملائه.. فمن المفترض أن يبدأوا العمل في السابعة.. ولكن في كل مرة تتحول السابعة لما بعد التاسعة, ولكنه بالرغم من ذلك يحضر يومياً في موعده.. ويجلس لينتظر.. تلك طبيعته.. ولم يستطع تغييرها..

قرر أخيراً الاتصال بشقيقه مجازفاً بإيقاظه.. رن الجرس عدة مرات.. قبل أن يفتح الخط.. ويصله صوت ناعم لامرأة ناعسة:

_ آلـــ..ـو..

تعجب بشدة ورمق شاشة هاتفه ليتأكد أنه اتصل برقم شقيقه.. حينما وصل إليه الصوت مرة أخرى كان بعيداً ولكنه تمكن من تمييز رنة الفزع به:

_ آسفة والله يا مازن.. افتكرته بتاعي.. كنت نايمة وما اخدتش بالي...

كانت هناك زمجرة غاضبة.. ميزها على الفور.. أنه مازن.. شقيقه الذي سرعان ما وصله صوته:

ـ حسن.. صباح الخير.. خير؟.. في حاجة!.. أنت كويس؟

جاءه رد حسن بغضب:

ـ أنت فين؟.. ومين اللي ردت عليّ؟.. ده مش صوت مراتك..

تلعثم مازن قليلاً:

ـ حسن.. بص.. مش هينفع على التليفون.. أنا هشرح لك كل حاجة.. بس..

أغلق حسن الهاتف بعنف.. وبداخله ألف سؤال لا يود لهم إجابة.. بركان غضبه ثار فجأة.. بدون أن يجد له سبباً في الواقع.. فماذا يهمه إذا كان شقيقه خائن.. يخون زوجته.. وعائلته؟.. هذا لا يعنيه.. لا يعنيه البتة.. فلما يشعر بطعم الغدر المر يحرق جوفه.. لما؟.....

مرت فترة بسيطة.. حرق بها علبة سجائر كاملة.. ليجد مازن أمامه.. على وجهه ترتسم ملامح مبهمة.. وما أثار غيظ حسن أن الذنب لم يكن منها.. بادره مازن على الفور:

_ حسن.. اسمعني.. دنيا مش ما زي أنت فاهم..

ردد حسن بتساؤل:

_ دنيا!!.. اسمها دنيا؟..

زفر مازن بحرقة:

_ حسن.. دنيا.. أنا أعرفها من زمان.. علاقتنا مش زي ما أنت فاهم..

رمقه حسن باحتقار.. واتجه إلى أحد دلاء الطلاء ليفتحه.. وبدأ الاعداد لعمله.. حين تردد صوت مازن يفسر بتردد:

_ حسن.. دنيا في حياتي من قبل نيرة بكتير.. دنيا هي الحاجة الحلوة اللي مرت في حياتي.. شعور واحساس مختلف عن نيرة.. دنيا تبقى..

لم يكمل جملته فقد ألقى حسن بمحتويات دلو الطلاء نحوه هاتفاً بغضب:

- امشي من وشي يا مازن..

مد مازن يده في توسل ولكن حسن صرخ مرة أخرى:

- بررررره..

خرج مازن بسرعة محاولاً تنظيف ملابسه على قدر الإمكان.. بينما تفجرت نار حارقة بأعماق حسن... نار عجز عن اخمادها.. نار لم يعرف لها سبباً.. ولم يهتم بالبحث.. فقط.. أراد الهروب.. الهروب من كل شيء.. فلم يستطع تحمل ما يرسمه له شيطانه، فاستجاب لشيطان آخر.. فحين عرض عليه الاسطى سُمعه.. إحدى سجائره.. قبلها بترحيب.. كأنه يريد الغوص بها بعيداً عن الواقع.. ومنذ ذلك اليوم وهو يتعمد تغييب نفسه.. وكأنه امتهن الهروب بجانب النقاشة...

زفر بغضب.. متى ينتهي من تلك الدائرة؟.. متى يهرب من تلك الذكريات؟..

****

وضع مازن نيرة على فراشها بحرص.. وهي ترسم ببراعة ملامح متألمة على وجهها.. أراح ظهرها على وسادة عريضة.. وعدل من وضعها لتكون أكثر ارتياحاً.. ثم رفع قدمها المضمدة على وسادة صغيرة برقة شديدة تعجبت منها للغاية.. وأخيراً جلس بجوارها يطوقها بذراعه وهو يسألها بحنان:

ـ هيه.. كده أحسن؟..

ألقت برأسها على كتفه.. ومدت يدها لتمسك بكفه بين أناملها وهي تسأله بدلال:

ـ أنت قلقت علي بجد!

تركها تعبث بأنامله.. بينما حرك ذراعه ليحيط خصرها ويقربها منه.. طابعاً قبلة خفيفة على جبينها:

ـ وده سؤال برضه!!.. التليفون جاني وما وضحش في أيه.. أنا على ما وصلت كانت أعصابي اتدمرت..

لفت رأسها فسقطت شفتيها على عنقه.. لتطبع قبلة شقية عليها وتلاحظ تأثيرها عليه بسهولة حيث ازدادت وتيرة تنفسه وبرزت حنجرته بشدة.. بسمة خبيثة ارتسمت على شفتيها.. وهي تتوعده بداخلها.. هو يريد قلبها مستسلماً.. وهي تريده خاضعاً بالكامل.. وسلاحها أنوثتها.. حتى لو بدا ذلك ابتذال.. لا يهمها.. هو زوجها.. وهي تريده..

حركت رأسها فجأة.. وهي تمرر يدها بين خصلات شعرها وتنفضه قليلاً ليداعب وجه مازن بعبث.. جعله يلهث قليلاً وابتسمت هي بسعادة هاتفة بشقاوة:

ـ مازن.. ممكن تساعدني أغير هدومي..

اعتدل في جلسته وهو يرمقها ببلاهة وهي ترفع خصلات شعرها لأعلى وتوليه ظهرها.. لم يفهم.. ماذا تريد؟.. هل تريده أن يخلع عنها ملابسها؟..

جاءه صوتها تتذمر بدلال:

ـ ماااازن.. افتح السوستة.. عايزة أغير هدومي..

نظرة سريعة لوجهها في المرآة.. وأدرك أنها تتلاعب..

ابتسامة ساخرة ارتسمت على وجهه.. وهو يجمع شعرها من يدها ليبعده على أحد كتفيها.. وينفذ طلبها ببطء وأنامله تلامس ظهرها باستمتاع جعل ابتسامته تتسع وتتسع.. وهو يهبط بشفتيه يستبدلها بأنامله

فشعر بها ترتجف تأثراً.. وتحركت مبتعدة عنه بسرعة وهي تهتف ووجنتيها تشتعلان:

ـ خلاص كفاية.. أنا هتصرف.. هات لي أي حاجة ألبسها..

تحرك ببطء نحو خزانة ملابسها وعيناه لا ترحماها.. سحب فستان طويل, رماه بين يديها.. واقترب ليهمس بجوار أذنها:

ـ خسارة.. كان نفسي أكمل..

شهقت بذهول واشتعل وجهها بأكمله.. ثم سمعته يكمل بشقاوة:

ـ وأقفلك السوستة..

طبع قبلة خفيفة على وجنتها وخرج من غرفتها وهو يطلق صفيراً طويلاً.. بينما هي كانت تراقبه مذهولة.. لقد خرج.. تركها وخرج.. تكاد تقسم أنه تأثر بها.. مثلما فعلت هي تماماً.. ولكنه.. خرج..

ضغطت على أسنانها بغيظ حتى كادت أن تطحنهما.. لقد فشلت.. فشلت في التأثير عليه.. غمغمت في تصميم..

"ماشي يا مازن.. الجولة دي لك.. لكن الجاية هتكون لي.. وهتكون الأخيرة"..

وبالفعل.. لم تتراجع.. ولم تتنازل.. والتزمت فراشها.. تدعي عدم قدرتها على الحركة..

وفي المساء.. عندما دخل إلى حجرتها حتى يتناولا العشاء في حجرتها بناءً على طلبه.. وجدها جالسة على مقعدها أمام المرآة وقد

ارتدت أكثر ملابسها احتشاماً.. ثوباً طويلاً يصل لما بعد كاحليها.. وله كمين طويلين يلتصقان بذراعيها.. ثم يتسعان عند المرفقين.. فيكشفان عن بشرة ذراعيها الناعمة كلما رفعتهما وهي تحاول تمشيط خصلاتها الطويلة.. وباقي الثوب كان مقفلاً تماماً عند الصدر والعنق.. أما لونه!!.. بالطبع.. أحمر..

ابتسم باعجاب.. لقد خالفت ظنه وغيرت قواعد اللعبة.. فقط لو يستطيع التأكد من إصابة قدمها..

تحرك بخفة ليقف خلفها وانحنى ببطء وذراعيه تلامسان ذراعيها يحتويهما برقة حتى لامس وجنتها ليطبع عليها قبلة عميقة وهو يهمس:

_ امممم.. البرفيوم بتاعك يجنن..

أربكها.. للمرة الثانية يربكها.. ويسحب منها المبادرة.. لم تعرف بم تجبه.. ابتلعت ريقها

بصعوبة وحاولت رفع ذراعيها لتكمل تمشيط شعرها.. ولكنه سحب منها الفرشة وبعثر خصلاتها بيديه.. ثم رفعها بين ذراعيه.. وهو يهمس في أذنها:

ـ أنا بحب شعرك كده.. حر..

دفن رأسه بخصلاتها وهو يتشممها بشغف:

ـ راااائع..

لفت ذراعيها حول عنقه تتمسك به بقوة حتى لا تسقط من بين ذراعيه.. فلم تكن مستعدة لذلك الهجوم الحسي على مشاعرها.. ظنت لوهلة أنه سيحملها لفراشها.. خاصة وقد أخذ شفتيها في قبلة طويلة.. ولكنه أحبط أحلامها عندما أجلسها على مقعدها برقة بالغة وتحرك ليتخذ مكانه أمامها قائلاً:

ـ أنا طلبت منهم يعملوا كل الأكل اللي بتحبيه..

نظرت إليه بغيظ.. وكادت أن تنسى إصابتها المزعومة وتقفز على قدميها لتصرخ بوجهه.. ولكن بقايا من التعقل منعتها.. فجلست تتناول

طعامها بصمت.. خيم عليهما الصمت لفترة.. ثم برقت عيناها ببريق ماكر قبل أن ترفع شوكتها نحوه هامسة:

ـ دوق كده من ايدي..

أمسك يدها وهي تضع الشوكة في فمه ليلتقطها بخفة.. ولم يترك يدها من يده بل همس في خبث:

ـ بس ده من الشوكة.. مش من ايدك!!..

رفعت حاجبها بتحدي.. وطالبته برقة:

ـ أكيد.. بس الدور عليك أنت بقى تأكلني..

ارتفعت ضحكاته عالية.. مما دفع ابتسامة إلى وجهها.. سرعان ما اختفت وهو يعود بيدها الممسكة بالشوكة ليضعها في فمها هي.. وهو يسأل بشقاوة:

ـ حلو كده..

امتدت السهرة بهما وهما يتبادلان الغزل ممزوج بوعود مبهمة.. وجاء الخدم ليرفعوا الطعام.. بعدها سألته نيرة:

ـ تحب نشغل أي موسيقى..

قاطعها قائلاً بعجلة:

ـ لا.. أنا خلاص.. اتعقدت من الأغاني.. بكل أنواعها..

ـ طيب.. ممكن تشيلني توديني السرير؟..

رفع حاجبه بتساؤل:

ـ أومال اتحركتي ازاي قبل اما أوصل؟..

رسمت معالم الارهاق على وجهها وهي تخبره بألم:

ـ آه يا مازن.. اتحركت على رجل واحدة.... صعب قوي..

أرخت أهدابها لتخفي نظرات عينيها:

ـ ممكن بقى تساعدني..

حملها برفق وهو يضمها بقوة لصدره.. مستمتعاً بقربها الشديد منه.. وهي لم ترحمه، وهي تداعب خصلاته القصيرة بأناملها الرقيقة وتحرك وجهها على صدره ببطء هامسة:

ـ ياه يا مازن.. أنا مجهدة قوي.. عايزة أنام..

هتف بعجب:

ـ تنامي!!..

ـ آه هنام.. مجهدة بقولك!

تحرك بعنف ليضعها على فراشها.. لم يكن مراعياً لها.. بل شعرت بأنه يود لو يقذف بها فوق الفراش.. وسرعان ما نفذ هدفه فقذف بثوب نومها ليسقط أمام وجهها.. وهو يخبرها بغضب مكبوت:

ـ عايزة أي مساعدة تاني!..

هزت رأسها ببراءة واهتزت معها خصلاتها كما يعشقها.. وهمست:

ـ تصبح على خير..

خرج من حجرتها بسرعة.. ولكنه بخلاف المرة السابقة كانت هي منتشية بانتصارها.. وهو يزفر غضباً..

استمر الحال بينهما على تلك الطريقة.. بين مد وجزر.. فكانت نيرة تتقدم نحوه خطوة لتعود خطوتين إلى الخلف.. وهو لم يترك فرصة لمشاكستها إلا وانتهزها.. ففي صباح أحد الأيام أيقظها بقبلة ناعمة على شفتيها.. كان شغوفاً برقة.. والتفت ذراعاه حولها يضمها بقوة.. ويديه تتحرك بلا هوادة على جسدها.. حتى ظنت للحظة أنه سيندس بجوارها ليفعل زواجهما, ولكنه فاجأها كعادته بأن رفعها قليلاً وعبث بيديه بخصلاتها وهمس أمام شفتيها:

- صباح الخير..

برقت عيناها بشدة وهمست بدورها:

- صباح النور..

اعتدل في جلسته.. وأجلسها معه بحيث ظهرها قابل صدره وجدته يهتف بشقاوة:

- تصدقي أنا نفسي أمشط شعرك..

وأقرن قوله بالفعل.. فشعرت بأنامله تتخلل خصلاتها.. بعدها بدأ يمشط شعرها ببطء.. على الأقل هذا ما بدا.. ولكن ما حدث كان..

عذاب.. عذاب خالص.. فقد أشعل جميع حواسها.. بلمساته.. فمشط شعرها بيد.. وامتدت الأخرى لتتحرك ببطء.. من ذراعيها.. لكتفيها... وداعبت أنامله رقة ترقوتها لترتفع لعنقها بحيث جعلها غير قادرة على الصمود لمدة أطول.. وسرعان ما شعرت بشفتيه تمسحان عنقها برقة وسمعت همسه بجوار أذنها:

ـ أنا رايح الشغل.. عايزة حاجة؟.. أشيلك للحمام؟..

لم تصدر منها سوى هزة خفيفة من رأسها.. فقبلها على شعرها وخرج من غرفتها مغلقاً الباب خلفه بهدوء.. بينما هي أمسكت فرشاة شعرها لتلقيها نحو الباب بغضب.. وهي تتوعده.. لن تمررها له.. كلا.. لن تعلن الاستسلام..

وبالفعل نفذت انتقامها في صباح اليوم التالي.. فانتظرت موعد مروره الصباحي.. وكانت تعلم أنه سيكون متعجلاً ذلك الصباح لارتباطه باجتماع مجلس إدارة, أخبرها عنه

الليلة الماضية.. فأعدت نفسها على عجل.. وارتدت أقصر ما تملكه من ثياب.. ثوب نوم حريري وردي اللون يتعلق على كتفيها بحمالتين رفيعتين.. ويلتصق بصدرها ليبرز امتلائه الخفيف ثم يتهدل على جسدها.. ليصل لبداية ركبها.. ورمت بجسدها جوار خزانتها.. حيث ثنت إحدى ساقيها.. وتركت الأخرى ذات الأربطة ممتدة أمامها.. وهزت رأسها بعنف.. فتبعثرت خصلاتها.. واحتقن وجهها.. وما أن شعرت بدخوله الغرفة حتى عصرت عينيها فترقرقت بالدموع وهي تلتقي بعينيه وترفع يدها نحوه هامسة بصوت ضعيف يحمل بحة محببة:

ـ مازن.. الحقني!!.. أنا وقعت!..

وقف أمامها وقد تجمد تماماً.. صعقه مظهرها الساحق.. كانت صورة صارخة للجمال بكل مقاييسه.. أيقونة للفتنة والاغواء.. بشرتها التي ظهرت أمامه.. تقريباً بأكملها.. لم تكن بيضاء شفافة كعادة الصهباوات.. لم تمتلك خيط نمش واحد كالمعتاد مع الحمراوات.. بل كانت بشرة

وردية لامعة.. ولم يحتج للمسها ليدرك أنها تماثل الأطفال نعومة.. وكانت ترتدي ثوباً وردياً كاد أن يختفي لونه بين وردية بشرتها.. من قال أن الصهباوات لا يرتدين الوردي؟!! أنه أبله بالتأكيد.. فالصهباء أمامه لا يجب أن ترتدي إلا الوردي.. وهو بخلاف الرجال

عاشق لكل ما هو وردي.. وخاصة بشرتها الناعمة..

أفاق على صوت بكائها:

_ مازن.. مش هتساعدني!!..

تحرك ببطء محاولاً السيطرة على جسده.. وهو يدرك عبث المحاولة.. ولكن خيط بسيط من العقل أخبره أن فقدان السيطرة الآن ليس في صالحه.. ولا صالحها.. لا يضمن نفسه.. لا يضمنها على الاطلاق سيؤذيها.. بالتأكيد سيفعل..

وصل إليها وحملها بصمت.. حرص بشدة ألا يلامسها إلا للضرورة.. وضعها على فراشها برقة وابتعد سريعاً قبل أن تتمسك بعنقه.. كما كانت تنوي.. ولمح الغيظ بعيونها.. وأدرك

هو لعبتها بسهولة.. ولكنه مازال متأثراً.. ثائراً.. وأيضاً غاضباً.. وظهر ذلك في صوته وهو يخرج أجش بنبرة غامضة:

- ايه آخرة اللعبة دي يا نيرة؟.. امتى هتفهمي أننا مش في حرب رابح ومهزوم؟..

رفعت رأسها له بغضب فبرقت عيناها الشيهتين بعيون القطط.. وارتدت خصلاتها للخلف.. وظهر جمال عنقها وهي تتنفس بسرعة وتهتف:

- امتى أنت هتسامحني؟.. امتى هترضى؟..

مسح وجهه بكفيه وهو يزفر بيأس.. وقبل أن يتفوه بكلمة.. كان هاتفه يصدر رنين مزعج.. أجاب بتوتر.. فكان المتحدث والده يستعجل حضوره إلى الاجتماع..

اعتذر منها بغمغمة مبهمة وخرج سريعاً هارباً منها.. ومن غضبها.. وسؤالها.. بالفعل.. متى يرضى؟..

كان السؤال مازال يشغل باله طوال الاجتماع.. وغاب ذهنه تماماً عما دار به.. كما غابت باقي أحداث اليوم.. ضياع.. ذلك

ما شعر به.. أنه بحاجة للراحة.. للهدوء.. لدنيا...

ودنيا جالسة أمامه الآن بغرفة مكتبه في شقتهما.. حيث افترشت بأوراقها أرض الغرفة.. ورفعت شعرها بعشوائية فوق رأسها حيث غرزت به أحد أقلامها.. ووضعت آخر بين شفتيها وهي ترمقهما بفتنة محاولة حل معضلة تصميم ما ملقى أمامها بأحد الأوراق.. كانت غائبة تماماً عن الواقع حولها..

تكاد لا تشعر بوجوده حولها وهي غارقة وسط تصاميمها.. وهو جالساً خلف مكتبه يراقبها بصمت.. صمت خيم عليهما في الأيام السابقة.. بالتحديد بعدما أجابت على هاتفه عن طريق الخطأ.. وبعدها تدهورت علاقته بحسن تماماً.. وحملها هي الذنب.. رغم اعتذارها أكثر من مرة على خطأها الغير متعمد.. ولكنه كان في حالة من الغضب لم تسمح له بالغفران.. ومن جهة أخرى نيرة تضغط عليه بكل ما تملك من قوة اغراء وتأثير.. فشعر بأنه كحبة قمح بين شقيّ

الرحى.. كم يحتاج إلى الراحة.. إلى النسيان.. والهروب..

التقط من طبق الفاكهة أمامه حبة كرز وألقاها نحو دنيا التي رفعت عينيها نحوه بغضب.. فسألها ببراءة زائفة:

- ايه.. جت فيكي؟..

اعتدلت في جلستها وهي تسأله:

- عايز ايه يا مازن؟..

أجابها بشغف:

- عسل..

رفعت حاجبها بغيظ:

- والله!!..

ضحك بتوتر:

- والله..

تأملته لوهلة.. تريد الاستجابة له.. ولكن شيء يمنعها.. تشعر تلك المرة بخطأ ما:

- جبرنا..

ضحك تلك المرة بخبث:

ـ طيب.. رقصة..

تأملته بحيرة ورددت:

ـ رقصة!!..

هز رأسه موافقاً.. فأجابته بغيظ:

ـ بعد كل التجاهل ده.. والغضب.. والخصام.. تيجي.. تاكل وتنام.. وكأنك قاعد في أوتيل.. كام مرة حاولت اعتذر.. وأنت مش راضي تسمع.. ودلوقت عشان...

قطعت كلماتها.. وهزت رأسها بحسم:

ـ عندي شغل كتير.. التصاميم دي لازم تكون في الورشة بكره الصبح..

اقترب منها ونزل على ركبة واحدة أمامها.. رفع ذقنها التي ترتعش غضباً وحزناً بأنامله:

ـ أنا آسف يا دنيا.. ما تزعليش.. اعذريني.. واستحمليني.. ما فيش حد بيفهمني ويستحملني غيرك..

رفعت له عينيها ودموعها تلتمع بهما..
فهبط برأسه ليتناول شفتيها برقة.. معتذراً هامساً:

ـ سامحيني بقى..

أنزلت رأسها بصمت.. ولم ترد.. فعاد يرفعه لها هامساً:

ـ لو عايزاني استنى هنا الليلة, هستنى معاكِ.. علشانك أنتِ..

هزت رأسها بحسم وتصميم:

ـ لا يا مازن.. مش الليلة.. مش هينفع..

نهض واقفاً على قدميه.. وقبل أن يخرج نادته:

ـ مازن..

التفت إليها وقد ظن أنها غيرت رأيها.. ولكنه وجدها تخبره ناصحة:

ـ اطلب من يزيد يتدخل بينك وبين حسن.. انتوا التلاتة كنتوا قريبين.. وهو أكتر واحد ممكن يأثر عليه..

أومأ برأسه موافقاً.. وهو يخبرها:

ـ ده اللي عملته فعلاً.. يزيد هيقابله الليلة.. تصبحي على الخير..

توجه إلى منزله وقد غمره إرهاق قوي.. لم يمر على غرفة نيرة.. فهو لا يمتلك طاقة لمزيد من المشاكسة معها.. كل ما يحلم به هو حمام دافئ يغمر به نفسه ويغيب به عقله..

توقف أمام غرفته وقد لفت نظره ضوء شاحب يظهر من تحت بابها.. امتدت يده ببطء ليفتحه.. ليجد عدد لانهائي من الشموع العطرية.. متناثرة بروعة في أنحاء الغرفة وقد ربط بين كل شمعة وأخرى مجموعة من أوراق الجوري الحمراء.. لاحظ أن الشموع يزداد تجمعها في منطقة معينة.. ويمتد أمامها مجموعة من الورود على شكل سهم.. رأسه يشير إلى.. إلى.. نيرة.. وقد لفت نفسها تماماً بورق هدايا لامع.. ربطته حول عنقها بشريط أحمر كبير.. والتف الشريط ليكون عقدة كبيرة على شكل فراشة فوق رأسها..

تجمد مازن تماماً.. بل صعق متجمداً.. لم يجرؤ حتى على اخراج كلمة من بين شفتيه خوفاً من اختفاء ما يرى..

التقطت عيناها نظراته الحائرة تحتويها برقة ظهرت في ابتسامتها المشجعة وملامحها الراغبة..

أشار بيده يتساءل عن هدفها.. فهزت كتفيها باستسلام:

ـ ما فيش حرب.. ما فيش مهزوم..

تأملها متردداً.. فعادت تهمس بنعومة:

ـ أنا جاية أصالحك اهوه.. مش هتفتح هديتك؟..

سأل بحيرة وهو يقترب منها:

ـ هدية!!..

أشارت له بعينيها.. ففهم أنها تقصد الشريط الأحمر حولها.. فاقترب منها أكثر وهو يهمس:

ـ ما فيش لعب؟.. ما فيش تحدي؟..

هزت رأسها بشقاوة وهي تزم شفتيها وقد طلتهما بلون وردي لامع.. وبدأت خصلاتها تفلت من الشريط الأحمر.. وهمست بإغواء:

- الهدية..

سحب الشريط الأحمر بسرعة ولهفة.. فانسدل شعرها ليغطي وجهها وظهرها.. وظهرت من تحت خصلاتها بشرتها الوردية وقد غطتها مجموعة متشابكة من الخيوط.. تشكل أصغر ثوب للنوم رآه في حياته..

جذبها نحوه بعنف.. ولكنها راوغته.. وهي تتجه إلى مشغل الاسطوانات.. وسرعان ما علت نغمات إحدى مقطوعات عمر خيرت.. وكانت موسيقاها كفيلة بإغراء الأحجار بالرقص..

اتجهت نيرة نحوه مرة أخرى بخطوات راقصة مدروسة.. اقتربت منه لتخلع عنه سترة بذلته ورابطة عنقه وتلقي بها بعيداً.. لمها بين ذراعيه ولكنها تمايلت على أنغام الموسيقى هامسة له بإغواء:

ـ ترقص معايا!..

انضم لها مازن.. واستمرت رقصتها بين ذراعيه لعدة دقائق قبل أن يقرر أنه اكتفى ويحملها إلى فراشه.. وجسده بأكمله ينتفض تأثراً بها.. وتوقاً إليها..

وبرقت عيناها انتصاراً.. وعقلها يردد في خفوت قبل أن يستسلم للمتعة بين ذراعيه..

"الاستسلام أحياناً.. لا يعني هزيمة.. بل قد يكون مقدمة لانتصار.."

****

رمى حسن جسده بإرهاق على الأريكة الكبيرة خارج شقته الصغيرة.. وألقى رأسه للخلف وهو يمسد جسر أنفه بإصبعيه السبابة والإبهام.. محاولاً إبعاد الصداع المؤلم عن رأسه.. ولكن بلا فائدة.. فألم رأسه نابع من التفكير.. تفكير مستمر لا ينقطع.. تزعجه أفكاره.. بل تقلقه.. فيهرب بها كل ليلة في دخان أزرق يعمي بصره وبصيرته.. ولكن الليلة مختلفة.. الليلة سحبه يزيد عنوة من وسط

عمله.. ولم يسمح له بالبقاء مع أصدقاء الليالي السابقة..

ذهبا معاً إلى شقة يزيد.. الذي اصطحبه إلى شرفة واسعة معتذراً بحرج:

_ معلش بقى يا أبو علي.. مش هينفع نسهر في أي مكان..

سخر حسن منه بفظاظة:

_ ايه.. بتخاف من المدام!

هز يزيد رأسه مصححاً:

_ بخاف عليها.. مش منها..

ثم استطرد متخابثاً:

_ يظهر أننا هنبدل الأدوار..

رفع حسن رأسه بعنف.. وفي ذهنه تمر مشاهد له مع منى وهو يسيء لها مرة بعد أخرى وهتف بغضب:

_ قصدك ايه؟..

وقبل أن يجيبه يزيد وصلت "أم علي".. بصينية عليها عدة مشروبات باردة.. وتوجهت نحو يزيد متسائلة بوجه متجهم:

ـ أجهز العشا يا بيه؟..

كبت يزيد ابتسامة كادت أن تظهر على وجهه فـ"أم علي".. بدلت معاملتها وتدليلها له فور أن علمت بوجود زوجة أخرى في حياته فأصبحت تعامله ببرود وجفاء شديد.. وإن ظنه يوماً أن نيرة هي حماته.. فإن "أم علي".. قد يطلق عليها بجدارة.."حماه الأسود"..

فهي لا تترك فرصة لتأنيبه وتقريعه إلا وانتهزتها.. بينما التزمت علياء الصمت كما اعتاد منها مؤخراً.. ولكنها لم تمانع مكوثه في حجرتها.. وهو أيضاً عجز عن الابتعاد..

ـ يـــا بيه.. أنت يا بيه.. أجهز عشا؟..

انتبه يزيد على صوت "أم علي" الأشبه بالصراخ.. وغمغم في نفسه..

"أنت يا بيه؟!.. ماشي"..

ـ لا يا ست أم علي.. حسن بيه متعود يتعشى مع المدام بتاعته..

ردت بصفاقة:

ـ وهو برضوه متجوز اتنين؟.. ولا زي مخاليق ربنا.. رضي بواحدة!

كاد حسن أن ينفجر ضحكاً من تلك السيدة التي تؤنب يزيد وكأنه طالب مشاغب.. وسمع يزيد يرد عليها:

ـ لا.. هو زي باقي مخاليق ربنا..

أنطلقت "أم علي" تغرق حسن بدعواتها:

ـ ربنا يكرمك يا بني ويفتحها في وشك.. ويوسع رزقك.. و..

قاطعها يزيد:

ـ ادخلي كملي دعواتك له جوه.. وسيبينا نقول الكلمتين..

التفتت له "أم علي" بحنق:

ـ وأنت يا بيه هتبات هنا ولا في البيت التاني؟..

هتف بغيظ:

ـ وأنتِ يخصك ايه؟.. إذا كانت علياء ما بتسألش..

أخذت السيدة تغمغم بحنق:

ـ تسأل على ايه يا كبدي.. وأنت جايب لها الكتمة والسكات.. وأنا اللي كنت بقولها راضي جوزك.. وصالحيه.. أتاري قلبها مكسور يا حبة عيني و..

قاطعها يزيد بنزق:

ـ أنتِ بتقولي ايه؟.. سمعيني كده..

زمت شفتيها بحركة غاضبة:

ـ ولا حاجة.. هقول ايه؟.. بالإذن..

وتركتهما وهي تغمغم متحسرة على حظ علياء الذي أوقعها في وغد.. يهوى الزواج.. بينما انطلق حسن ضاحكاً بقوة حتى دمعت عيناه:

ـ يا نهار.. الست دي نمرة.. بس أنت ايه اللي مسكتك عليها؟..

رفع يزيد حاجبه وهو يخبره بغيظ:

ـ علياء بتحبها..

أومأ حسن بتفهم.. وانحسرت الضحكة عن وجهه وكلمة يزيد ترن في أذنيه "هنبدل الأدوار"..

ربت يزيد على كتفه بمودة ودعاه للجلوس:

ـ اقعد يا حسن.. عايزين نتفاهم..

ـ على ايه؟.

ـ اقعد بس وبلاش عِند..

جلس حسن بصمت وتناول أحد المشروبات الباردة وتجرعه مرة واحدة وامتدت يده ليمسح بها فمه كما اعتاد مؤخراً.. ورمق يزيد بتحدي أن يعترض.. ولكن يزيد بادره بالأهم:

ـ في ايه بينك وبين مازن؟..

ارتفعت رأس حسن بغضب وهب واقفاً:

ـ شيء ما يخصكش..

ـ لأ.. يخصني.. واقعد كده واستهدى بالله خلينا نعرف نتكلم..

جلس حسن مرغماً.. وسمع يزيد يخبره بتوتر:

ـ مازن.. حكى لي على اللي حصل..

قاطعه حسن بسخرية:

ـ قالك ايه؟.. أنه بيخون مراته وجوازهم ما مرش عليه شهر.. وأن..

أكمل له يزيد:

ـ أن دنيا في حياة مازن قبل نيرة.. أيوه.. قالي..

ارتد حسن في مقعده بتعجب وهو يهتف:

ـ وأنت ايه!.. عادي.. موافقه على اللي بيعمله؟..

سكت يزيد لبرهة وكأنه يفكر في كلماته قبل أن يقول:

ـ بص يا حسن.. دنيا.. نيرة.. مكان كل واحدة فيهم في حياة مازن شيء يخصه

لوحده.. ما يخصش حد فينا.. لا أنا ولا أنت.. السؤال بقى.. ليه أنت زعلان من أخوك ومقاطعه؟..

انتفض حسن هاتفاً بغضب وهو يهب واقفاً على قدميه:

ـ ليه؟.. بتسألني ليه؟... بعد كل اللي حصل؟.. واللي عمله ليلة الحفلة؟.. وأنا اللي كنت فاهم أنه بيعمل كده عشان بيحب نيرة.. واتحملت..

قاطعه يزيد وهو يقف بدوره:

ـ اتحملت ايه يا حسن؟.. مش كل اللي أنت عملته كان عشان ترتبط بالإنسانة الوحيدة اللي حبيتها.. ولا أنا غلطان؟.. يفرق معاك في ايه إذا كان مازن بيحب نيرة أو لأ؟..

هتف حسن:

ـ تفرق.. تفرق.. تفرق في..

سكت حسن ولم يستطع اخراج أفكاره السوداء في كلمات.. فربت يزيد على كتفه بعطف وهو يكمل:

ـ تفرق أن مازن حقق كل اللي هو عايزه من غير ما يخسر حاجة، وأنت خسرت كل حاجة؟.. ده قصدك؟..

تهالك حسن على أقرب مقعد وهو يهز رأسه رافضاً بينما يزيد يكمل:

ـ بص يا حسن.. حياة مازن الشخصية كتاب مقفول.. ما فيش حد يقدر يعرف جواه ايه.. كل اللي اقدر اقولهولك وبمنتهى الأمانة.. أن ما فيش حد فيكوا كسب كل حاجة.. وبرضوه ما فيش حد خسر كل حاجة.. وعلى فكرة.. دنيا تبقى مرات مازن.. أخوك لا يُعتك.. ولا هو من النوع ده..

كرر حسن بذهول:

ـ مراته؟.. مراته ازاي؟.. و..

قاطعه يزيد ثانية:

ـ شيء ما يخصش حد فينا.. اللي يهمني سؤال واحد.. أنت فعلاً بتعتقد أن مازن خطط ودبر عشان يستولى هو على الشركة؟..

رفع حسن عينيه بصدمة وقد واجهه يزيد بأسوأ أفكاره وأقسى شياطينه.. فأكمل يزيد وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة:

_ مصدوم ليه؟.. مش هي دي الأفكار اللي قلبت كيانك.. وبعدتك عن أخوك؟..

نهض حسن بعنف منهياً الحوار ومتحدياً يزيد أن يوقفه وتوجه نحو باب الغرفة.. ثم التفت إلى يزيد هاتفاً بخشونة:

_ أنا عايز أمشي.. تصبح على خير..

ربت يزيد على كتفه وهو يصطحبه لباب الشقة مدركاً أنه يحتاج للانفراد بنفسه وترتيب أفكاره.. ولكنه أضاف قبل أن يودعه:

_ أنت من جواك عارف الاجابة يا حسن.. ما تسيبش نفسك لشيطان غبي.. هيخسرك كل حاجة..

تبادلا النظرات لعدة ثوانٍ قبل أن يخفض حسن بصره.. فسأله يزيد بمودة:

_ تحب أوصلك؟.. الوقت اتأخر..

هتف حسن بغظاظة:

ـ توصلني!.. شايفني نوغه قدامك.. ادخل لمراتك ولا هتنام في البيت التاني!

دفعه يزيد بمداعبة مغتاظة:

ـ طيب.. مع السلامة ياللي مش نوغه.. أصل الحكاية ناقصاك.. مش كفاية علي عملي الأسود اللي جوه..

رفع حسن يده محيياً وانطلق في طريقه.. وفي رأسه تتصارع الأفكار.. وسؤال يزيد اللائم يتردد بقوة..

"أنت فعلاً بتعتقد أن مازن خطط ودبر عشان يستولى هو على الشركة؟"..

وبداخله يتردد سؤال أقوى..

"أنا ازاي فكرت في كده؟.. ولا ده بداية ندم على قرارات أنا أخدتها ودلوقت عايز أحمل أي حد عواقبها؟"..

وسؤال آخر أكثر ازعاجاً.. وأكثر إيلاماً..

"هل يستحق الحب كل تلك التضحية دي؟..

هل تستحق منى؟.. هل........

وأخيراً سقط نائماً هرباً من كل أفكاره وشياطينه.. ليوقظه صوت منى القلق:

_ حسن!!.. حسن!!!.. حسن.. رد علي الله يخليك أنت كويس؟..

اقتربت منه تجلس على ركبتيها ويدها تملس على شعره بحنان وقلق خالص ينطق به

صوتها.. وحب خام يصرخ بعينيها مع هتافها:

_ حـــســـــن.. رد..

وضاعت باقي كلماتها بين شفتيه.. وهو يأخذها بقوة.. بعنف.. بيأس.. باحتياج.. بل.. اجتياح..

الفصل الثالث والعشرون

اتكأت منى بمرفقها على الوسادة تتأمل وجه حسن النائم بجوارها.. ملامحه هادئة ومرتخية وقد اختفت معالم الشراسة التي اكتسبها مؤخراً..

تهوى كثيراً مراقبته أثناء نومه, وهو ما لم تعد تفعله كثراً في الآونة الأخيرة بسبب صعوبة ساعات عمله.. عمله الذي توقف عن الذهاب إليه منذ تلك الليلة التي وجدته بها نائماً على الأريكة خارج شقتهما الصغيرة.. ومنذ تلك

اللحظة وهو يتشبث بها.. يلتصق بها كما يلتصق الطفل بأمه، وكأنه يخشى أنه بابتعاده عنها سيستدعي حسن الآخر.. ذاك الذي دأب على الإساءة لها.. وجرحها مؤخراً..

مرت بأناملها برقة على ملامحه.. مسترخية.. نعم.. ولكنها مجهدة.. وكأن ذهنه لا يتوقف عن التفكير حتى أثناء نومه.. فقط لو تستطيع الدخول إلى عقله لتريحه من الدوامة التي تسحبه من الحياة.. دوامة يصارع للهروب منها.. بإغراق نفسه بين أحضانها هي..

ليس بحثاً عن متعة، ولكن عن أمان.. كما لو كان يبحث بها عن هويته.. عن حسن الذي كانه مرة وأصبح عاجزاً عن استعادته إلا بين ذراعيها...

شعر حسن بحركة أناملها البطيئة على وجهه ففتح عينيه ومد يده ليمسك بأناملها الرفيعة وابتسم لها، فأخفضت عينيها خجلاً وبادرته:

- صباح الخير..

ضغط يدها على شفتيه ليطبع قبلة داخل كفها ويردد:

ـ صباح الخير على عيونك الحلوة..

ابتسمت لرده الغير مألوف.. وقبل أن تجبه جذبها بين ذراعيه لتتوسد رأسها كتفه ومد يده ليرفع يدها أمام عينيه وهو يهمس بتعجب:

ـ أنا ما جبتش ليكي شبكة!.. ازاي نسيت؟..

لفت لتواجهه وهي تسأله بذهول:

ـ شبكة!!.. شبكة ايه يا حسن؟.. هو ده وقته؟!

رفع جسده قليلاً وظل محتفظ بها بين ذراعيه:

ـ ومش وقته ليه؟.. تعالي ننزل نختار..

قاطعته قبل أن يكمل كلامه:

ـ مش هتروح شغلك يا حسن؟..

أشاح بوجهه بعيداً:

ـ لا.. أنا مجهد ومش قادر أنزل..

مدت يدها لتعيد وجهه ليقابلها:

ـ حسن..

قاطعها بسرعة:

ـ طب.. تعالي نخرج نروح أي مكان.. من فترة ما خرجناش سوا..

نادته برقة:

ـ حسن..

تنهد عالياً ورد بقلة حيلة:

ـ ايوه يا منى..

أحاطت وجهه بكفيها وقربت وجهها من وجهه هامسة:

ـ حسن حبيبي.. لازم ترجع شغلك.. أنت قدامك هدف ولازم تحققه.. الهدف هدفك.. والنجاح هيبقى ملكك أنت.. ليه تشغل بالك بأي حاجة تانية.. ليه تسمح لأي حد أو أي حاجة تعطلك وتبعدك عن اللي أنت عايزه..

همس بتردد:

ـ منى.. منى.. الفترة اللي فاتت غيرت جوايا حاجات كتير.. أنتِ أكتر واحدة حست بده.. منى..

قاطعته بحب:

ـ منى معاك وجنبك.. أنت قبل كده قلت لي احنا مش عايشين في فيلم قديم.. وأنا بقولك بقى دلوقتِ.. أوعى تكون فاكر أن اللي حصل الفترة اللي فاتت هيخليني أبعد عنك.. ولا أقولك روح ارجع لحياتك الأولانية يا ابن الناس.. لا.. مش أنا اللي هعمل كده.. أنت

اخترت يا حسن.. اخترتني أنا فوق حاجات كتير.. ولازم أثبت لك أنك اخترت صح.. وأني فعلاً بحبك.. حتى لو اتغيرت شوية.. كلنا بنتغير.. مش هتخدعني بقشرة بتحاول تبنيها حواليك حسن القديم.. حسن ابن الذوات اللي بيحاول يتعامل مع مجتمع جديد عليه عشان خاطري وعشان خاطر حبنا..

وحركت يدها لتضغط على قلبه قليلاً:

ـ طول ما ده بيدق لمنى.. منى هتتحمل كل حاجة.. وحتى لو دق لغيرها..

طوقها بذراعيه قبل أن تكمل كلامها وهمس:

- كفاية يا منى.. أرجوكِ.. أنتِ كده بتعذبيني بطيبتك دي.. أنتِ ازاي كده؟..

أبعدت نفسها عنه قليلاً وهي تمسح جانب وجهه بكفها:

- أنا كده عشان أنا عارفة حسن.. وقلب حسن اللي عمره ما هيتغير.. انزل شغلك يا حسن.. انزل وارجع لي تاني.. وما تقلقش.. أنا عارفة ازاي أوصل لقلبك.. وهو ده اللي مش ممكن هخاف منه..

ظلت منى بجواره تحثه على النزول لعمله، حتى خضع أخيراً وتوجه إلى عمله مجبراً.. يملؤه شعور بغيض بأن كل ما يفعله هو محض عبث.. يرغب في هجر تلك المهنة وتلك الحياة إلى الأبد.. ولكنه لا يمتلك أي بديل..

أما منى فقد تحركت بسرعة لترتدي ملابسها فهناك زيارة عليها القيام بها.. قد لا تحبذ ما تنوي القيام به.. ولكن ليس أمامها طريق آخر.. فهي كانت صادقة عندما أخبرته أنها لا تنوي التخلي عنه ليعود مهزوماً مكسوراً إلى

والده.. ستثبت لهم جميعاً أنه لم يخطئ عندما اختارها هي فوق الجميع.. خاصة وأنه يتشبث بها كما يتشبث الطفل الخائف بأمه.. وطفلها بحاجة إلى تدخلها السريع..

****

أنهت علياء اللمسات الأخيرة على مظهرها قبل أن تخرج إلى كليتها.. سوت خصلاتها القصيرة.. وامتنعت تماماً عن استخدام مستحضرات التجميل.. وأخيراً لفت وشاح عريض حول عنقها.. كما طلب منها يزيد.. الذي يحرص على ترك علاماته المميزة عليه دائماً حتى يضطرها لارتداء الوشاح.. ولا تدري سبباً وراء هوسه بإخفاء عنقها.. قد تكون غيرة!.. ربما.. فهو كاد أن ينفجر غيظاً منذ يومين عندما لاحظ أنها لا ترتدي خاتمه في إصبعها.. وكانت تلك إحدى المرات التي يباغتها بسؤال غاضب فتضطر إلى اجابته غافلة تماماً عن عقابها الصامت له.. فكانت صرخته المباغتة يومها:

_ علياء!.. فين خاتمك ودبلتك؟..

اجابت بدفاع:

_ قلعتهم.. ضاقوا علي..

جذبها من يدها بقوة:

_ واما تقلعي الدبلة.. زمايلك.. يعرفوا ازاي أنك متجوزة.. ولا عايزة حد يجي يخطبك مني؟..

نظرت له بذهول ويدها تملس على بطنها التي برزت بوضوح.. رغم كونها في منتصف شهرها الرابع إلا أن حملها بتوأمين.. ظهر بوضوح تام.. وأدرك أفكارها تماماً بدون أن تفصح عنها.. وشعر بسخافته التامة, ولكنه عاجز.. عاجز عن ردع غيرته عليها.. خاصة مع دخولها إلى الجامعة.. وزيادة معارفها.. وأصدقائها.. يخشى أن تتسرب من بين يديه.. أو يقل حبها له.. فهي تصر وبشدة على استمرار الصمت العقابي.. ولا تبادله الحوار إلا فيما ندر..

جاءه صوتها وهي تهتف بحنق:

ـ الخاتم والدبلة علقتهم في سلسلة ومش بقلعها من صدري..

ولحماقتها التامة.. وجدت نفسه تكشف له عن مكان خاتمه بدلاً من أن تخرجه لتلقيه في وجهه لإثارته أعصابها وصراخه عليها..

بالطبع قابل تهورها بتهور أكبر.. ففي اللحظة التالية كانت تستلقي بين ذراعيه في استسلام تام.. وعلى الأريكة العريضة بغرفة المعيشة.. ولم ينتبه أي منهما إلى مرور الوقت.. إلا بعدما سمعا طرقات عالية.. أدركا بعدها أن مصدرها "أم علي".. تنبههما إلى وجودهما خارج غرفة نومهما..

تورد وجه علياء وهي تتذكر ذلك الموقف.. وزاد تورده عندما وجدت "أم علي" أمامها تحاول أن تنبهها لوجودها.. فسألتها بهدوء مصطنع:

ـ خير يا ست أم علي.. في حاجة؟..

ـ ايوه يا ست عليا.. في واحدة عايزة تقابلك بره.. قلت لها أنك هتنزلي تروحي.. كليتك.. بس هي مُصرة..

شحب وجه علياء وقد ظنت للحظة أن سهام تنتظرها لتسمعها المزيد من اتهاماتها الجارحة.. أو الأدهى تدبر لها مكيدة أخرى.. لمت يديها حول بطنها بحماية وهي تسأل "أم علي" بخوف:

ـ واحدة!.. واحدة مين؟.. ما قالتش اسمها؟..

هزت "أم علي" رأسها نفياً وهي تقول:

ـ لا.. مش عايزة تقول.. هي شابة صغيرة كده.. و..

تنهدت علياء براحة عندما سمعت تلك الكلمات.. وقالت بهدوء:

ـ طيب. ممكن تقدمي لها عصير.. وأنا جاية وراكي حالاً..

أومأت السيدة وخرجت مسرعة لتعد العصير للضيفة الشابة التي ما أن رأتها علياء حتى اتسعت عيناها ذهولاً وتمتمت في عجب:

ـ منى!!..

ثم استدركت بترحيب وهي تمد يدها بالتحية:

ـ أهلاً وسهلاً.. اتفضلي..

نظرت منى إلى يد علياء الممدودة باحتقار ممزوج بغضب بارد.. ولاحظت علياء ذلك على الفور فسحبت يدها إلى جوارها بحرج.. بينما منى كانت تتأملها بثوبها البسيط ولكن بأناقة ليظهر بروز بطنها الصغير.. وذلك الوشاح حول عنقها.. وخصلاتها القصيرة التي تغطي أذنيها بالكاد.. تذكرت المرة الأخيرة التي رأتها فيها.. تلك الذكرى الأليمة حين طُرِدت منى من عملها ظلماً وتمت إهانتها بدون وجه حق..

ظهرت أفكار منى جلية على وجهها، فأشاحت به بعيداً.. بينما تمتمت علياء بأسف:

ـ أنا.. أنا آسفة.. والله حاولت اعتذر لك كتير.. و.. و.. يزيد قالي أنه فهم حسن.. وأنا.. أنا غلطت.. و..

قاطعتها منى بحزم:

ـ أنتِ غلطتِ في حقي.. صح.. ولي دين في رقبتك.. وأنا جاية أطالبك تردي الدين ده!

هزت علياء رأسها بحيرة.. ومدت يديها بعجز وهي تهمس:

ـ مش فاهمة.. أنا..

قاطعتها منى بسرعة فهي تخشى أن تختفي قسوتها المصطنعة أمام الهشاشة الواضحة للطفلة التي أمامها.. أدركت بوضوح لما حسن حاول جاهداً أن يفهمها أن علياء ضحية لا حول لها في مكيدة نيرة.. حتى أنها شعرت بالغيرة وقتها منها.. فالفتاة.. صححت لنفسها بسخرية.. المرأة الحامل.. أمامها غاية في الرقة والهشاشة يوجد بها ذلك الشيء الغامض الذي يدفعك لمحاولة حمايتها، لا الصراخ بوجهها كما كانت تعتزم.. وهي الآن عاجزة عن استرجاع ذلك الغضب الذي حركها من البداية لتأتي إلى منزل علياء وتطالبها برد دينها..

عاد صوت علياء يتردد بتردد:

ـ منى.. ممكن تقعدي عشان نعرف نتكلم..

ثم أكملت بحرج:

ـ أنا مش بقدر أقف كتير..

جلست منى على المقعد خلفها وبادرت علياء بطلب صريح ولكن بنبرة تلونت برقة غريبة:

ـ أنتِ مديونة لي بوظيفة.. وأنا عايزاكِ تردي الدين..

سألتها علياء بحيرة:

ـ أنتِ عايزة تشتغلي؟..

هزت منى رأسها نفياً:

ـ الوظيفة مش لي..

ثم ابتلعت ريقها بحرج وهي تقول بتردد:

ـ وظيفة.. لـــ.... وظيفة..

أكملت علياء وقد استوعبت الموقف:

ـ وظيفة لحسن؟..

أومأت منى برأسها موافقة وهي تطلق تنهيدة ارتياح.. وتقول:

ـ عصام بيه.. ممكن يساعده.. ممكن يتصرف.. أنتِ تقدري تكلميه.. أنا عارفة أنه له مصالح مع والد حسن.. لكن..

قاطعتها علياء وهي ترتكز على جانبي المقعد لتنهض ببطء:

ـ أنا هكلم عمو عصام حالاً.. ما تقلقيش.. واعتبري الموضوع منتهي.. وحسن هيكون له وظيفة تليق به.. و..

قاطعتها منى:

ـ وحسن مش لازم يعرف حاجة..

أومأت علياء بتفهم بينما منى تكمل:

ـ ولا يزيد.. مش عايزة أي حد يعرف أي حاجة عن المقابلة دي.. أنا..

قاطعتها علياء بتفهم:

ـ خلاص.. زي ما تحبي.. ما فيش حد هياخد خبر أبداً..

هتفت منى بعنف:

- ونيرة؟..

غمغمت علياء بحرج:

- منى.. يا رب تنسي الموقف القديم والله أنا مش كده.. وأنا وعدتك أنه ما فيش أي حد هيعرف.. صدقيني..

أومأت منى برأسها ومدت يدها لعلياء بتردد، فأسرعت علياء لتتمسك بها وهي تحيها مودعة:

- إن شاء الله هيوصلك خبر قريب.. وهيكون خبر كويس..

حيتها منى بهزة رأس خفيفة وخرجت مسرعة وهي تبتهل بداخلها أن تكون قامت بخطوة صحيحة.. ولم تزد المشكلة تعقيداً.. أما علياء فقد ألتقطت حقيبتها وانطلقت نحو مقر مجموعة الغمراوي المواجه للمبنى الذي تقطن به..

وبعد عدة دقائق كانت تقف أمام عصام الغمراوي في غرفة مكتبه.. وهو يرمقها

بمزيج من الدهشة والحرج.. فتلك كانت المرة الأولى التي يلتقياه فيها بعد اختطافها من قِبل أعمامها.. تأملته علياء للحظات قبل أن تبادره بسرعة:

ـ عمو.. لو سمحت أنا عايزة منك خدمة..

وانطلقت في الحديث ولم تتح له فرصة ليقاطعها.. وبعد انتهائها.. سألته بهدوء:

ـ ممكن تلبي ليا الطلب ده؟

تأملها عصام للحظات.. وتنحنح بحرج ليجلي صوته:

ـ عليا.. أنا عطيت كلمتي لحاتم العدوي و..

قاطعته علياء بسرعة:

ـ بس أنا أول مرة أطلب من حضرتك حاجة..

مرت بذهنه مواقفه الأخيرة مع علياء وكيف خذلها مرة تلو الأخرى.. رأى في تلبية طلبها فرصة ولو ضئيلة ليعوضها عن خيبة أملها

به.. وبلا تردد رفع سماعة الهاتف ليجري اتصالاً مع حاتم العدوي..

دقائق قليلة.. بعدها أغلق هاتفه والتفت إلى علياء وهو يبتسم في ود:

ـ خلاص يا ستي.. أنا اتفاهمت مع حاتم.. ويظهر أنه ما صدق يلاقي طريقة يساعد بها ابنه ويكون بعيد عن عيونه في نفس الوقت..

سألته علياء بتردد:

ـ يعني عمو حاتم ممكن يتصالح مع حسن؟

ابتسم بهدوء:

ـ ده شيء أنا ما اعرفش اجابته.. لكن اللي اعرفه أن حسن هيمسك فرعنا الجديد في دبي.. مكان يزيد.. وأعتقد أن دي وظيفة كويسة جداً.. ولا ايه!..

ضحكت علياء بسعادة:

ـ بجد يا عمو!.. متشكرة جداً..

سكتت لحظة ثم أردفت:

ـ بس لو سمحت بلاش أي حد يعرف أني طلبت منك الطلب ده.. ولا حتى يزيد.. وطبعاً حسن ما يعرفش هو كمان..

سألها بتعجب:

ـ ليه يا عليا؟.. ده طلب غريب شوية..

ـ آسفة يا عمو.. مش هقدر أقول السبب لحضرتك.. أنا وعدت ومتأكدة أن حضرتك بتثق فيا..

أومأ عصام برأسه موافقاً وهو يشعر أنه مضطر لمنحها تلك الموافقة.. فابتسمت علياء بسعادة.. ودعته بسرعة متعذرة بموعد محاضراتها الذي اقترب ولم تتح له الفرصة حتى ليقدم اعتذار عن موقفه نحوها.. لا تريد أن تسترجع تلك الذكريات أبداً.. تحاول بقدر الامكان أن تبقيها مدفونة في أعماق ذاكرتها.. حيث لا يمكنها الوصول أو التذكر..

بينما هو وعدها بالاتصال بحسن على الفور وعرض الوظيفة عليه..

ظلت علياء على سعادتها ونشوتها بتحقيق طلب منى طوال اليوم.. ولكن ما لم تعمل له حساباً كان حضور يزيد إلى شقتهما في المساء_برغم أنه أخبرها صباحاً أنه سيقضي ليلته في منزل ريناد_ ليخبرها بتوتر شديد أنه مضطر للسفر بعد ساعات قليلة إلى دبي..

انتفضت علياء في جلستها على الأريكة وهي تصرخ:

_ ايه!.. تسافر!!.. تسافر ليه؟.. أنت عايز تسيبني تاني وتسافر..

اقترب منها محاولاً تهدئتها وهو يخبرها:

_ علياء.. اسمعيني بس..

صرخت بقوة وهي تبتعد عنه ببطء لتذهب إلى غرفتها وهو في إثرها محاولاً جعلها تستمع إليه:

ـ أنا مش هسمع حاجة.. أنت وعدتني.. بس زي كل مرة.. هتخلف وعدك وتجرحني.. وتسيبني لوحدي.. هتسيبني لوحدي..

جاءت كلمتها الأخيرة بصوت متهدج دفعه إلى احتوائها بين ذراعيه وهو يهمس:

ـ يا علياء.. ده اسبوع واحد بس.. بابا عرض على حسن أنه يمسك الفرع بتاع دبي.. وأنا هروح معاه عشان أسلمه الشغل وأنسق معاه.. الفرع هناك تقريباً واقف من يوم ما سيبته ورجعت..

دفعته عنها وابتعدت عن مدى ذراعيه وهي تسأله:

ـ وليه أنت اللي تسافر؟.. أي حد ممكن يقوم بالمهمة دي مكانك..

مسح وجهه بكفيه بتعب:

ـ لا.. ما ينفعش.. أنا اللي بدأت تأسيس الفرع ولازم أنا اللي أسافر.. وعلى فكرة هسافر لوحدي..

كتفت ذراعيها وهي تستوعب المعلومة الأخيرة.. ولكنها لم تهدأ.. فعادت تهتف:

ـ أنت وعدتني.. أنت وعدت يا يزيد.. أنا مش هستحمل أنني أكون لوحدي تاني..

اقترب منها ليحتوي وجهها بين يديه:

ـ ما تقلقيش.. وما تخافيش من حاجة أنا مأمنك المرة دي كويس.. وزودت الأمن على الشقة.. صدقيني الأسبوع هيعدي بسرعة..

هزت رأسها برفض وهي تبعد وجهها عن كفيه:

ـ بس هتسبني لوحدي..

ـ يا علياء ما أنا بروح عند ريناد وبكون لوحدك.. مش هتفرق صدقيني..

رمقته بغيظ وصرخت بوجهه:

ـ ابعد عني يا يزيد.. روح سافر.. ولا روح لريناد.. اخرج من هنا..

ضرب كفيه ببعضهما وهو يصيح:

- بلاش طريقة الأطفال دي.. وافهميني.. ده شغل.. اسبوع وهرجع.. ولو كان ينفع آخدك كنت أخدتك معايا..

كانت تغلي غضباً وغيرة من تذكيره لها بوجود ريناد في حياته ولم تسعفها هرموناتها بأي هدوء فلم يصلها من كلماته سوى لفظة أطفال... فتعالى صراخها بوجهه ودموعها بدأت تهطل بلا توقف:

- اخرج يا يزيد.. روح سافر.. روح.. يلا من هنا..

ارتفاع صوتها جذب "أم علي" للغرفتهما فدخلت مسرعة بدون استئذان وضمت علياء التي ترتجف بقوة وهي تحاول حبس دموعها مع ذكريات لا ترغب في استعادتها ولكنها لم تكف عن الصراخ:

- ابعد من هنا.. ابعد.. ابعد..

خرج يزيد وتركها بين ذراعي "أم علي" فانفجرت في عاصفة من البكاء.. والسيدة الطيبة تربت عليها وتهدهدها حتى هدأت قليلاً.. واصطحبتها "أم علي" إلى فراشها

لتريح جسدها وذهبت لتعد لها كوب من العصير وعادت بسرعة لتهمس علياء وسط دموعها:

ـ شوفتِ يا ست أم علي اهو سابني ومشي تاني..

ـ مش ده كان طلبك؟..

شهقت علياء بقوة:

ـ آه.. وهو بينفذ كل طلباتي!

ربتت السيدة العجوز على كتفها بطيبة:

ـ بس هو ما بعدش.. هو قاعد بره وعلى آخره.. وبعدين أنا سامعاه بيقولك أنه شغله عايز كده.. ايه لازمة الدلع ده والعياط.. أنتِ مش عارفة أن البكا مش حلو على اللي في بطنك!..

ـ ما شاء الله يا ست أم علي.. أنتِ مركبة رادار.. بتسمعي دبة النملة..

كان ذلك صوت يزيد الذي وقف على مدخل الغرفة يراقبهما.. فأصدرت صوت ينم عن السخرية بشفتيها وهي تتمتم:

ـ وأنا اللي كنت ناوية احنن قلبها عليك.. وأنت قاعد تقولها لما بنام في بيتي التاني و..

قاطعها يزيد:

ـ خلاص.. خلاص.. عرفت أنك سمعتِ كل الكلام.. روحي حطي الغدا..

تخصرت له وهي تغمغم:

ـ ولك نفس تاكل بعد ما نكدت عليها!..

هتف بغيظ:

ـ اعملي قهوة.. شاي.. أي حاجة.. بس روحي من هنا..

خرجت السيدة وهي تغمغم بكلمات وتعبيرات اعتادها منها.. بينما اتجه هو نحو فراش علياء التي أولته ظهرها على الفور.. وجلس بجوارها وهو يهمس:

ـ أسبوع واحد يا علياء.. هتصل بيكي كل ساعة.. لا.. كل نص ساعة..

ظلت صامتة ولم تجبه.. فتنهد بيأس:

ـ رجعنا للسكوت..

ظلت صامتة ورفعت الغطاء حتى غطى وجهها.. فعاد يحاول جذبها للحديث:

ـ ما هو كده ما ينفعش يا علياء.. حاولي تفهمي الموقف.. رجوعي بدون سابق إنذار وقف حاجات كتير.. ولازم أسافر.. شغلي له حق عليّ.. وأم علي معاكِ.. وأنا مش هتأخر.. صدقيني..

طبع قبلة على رأسها المخفي تحت الغطاء وهو يشاكسها:

ـ قومي يلا نتغدى وتحضري لي الشنطة..

ظلت صامتة وهي تحاول اقناع نفسها بكلامه.. ولم تجبه بشيء فزفر بغيظ:

ـ مش هتردي علي.. طيب أنا هكلم ريناد تجهز..

لم تدعه يكمل كلماته وصرخت به:

ـ روح لبيتك التاني.. أنا مش عايزاك هنا..

جذب الغطاء من فوق رأسها بعنف وهو يهتف غاضباً:

ـ ماشي يا علياء.. أنا نازل.. وخلي شغل الأطفال ده ينفعك..

خرج من الغرفة ومن الشقة بأكملها لتنفجر هي في نوبة جديدة من البكاء.. أتت على إثرها "أم علي" مرة أخرى لتحتضنها برقة وهي تخبرها:

ـ معلش.. الرجالة ما لهاش في شغل المحايلة والمداية.. وأنتِ زودتيها شوية.. مادام كده كده هيسافر, تسيبيه ليه يسافر زعلان منك.. أهو هيروح للتانية تدلعه وتجهز له شنطته.. وأنتِ قاعدة مفحومة عياط..

استمرت علياء ببكائها ولم تعد تعرف ما الخطأ وما الصواب..

****

وصل مازن إلى منزله وهو يشعر بالإجهاد الشديد نتيجة تراكم العمل في الفترة السابقة.. فهو لم يذهب إلى عمله لمدة أسبوع كامل.. أسبوع عسل كما أطلق عليه.. قضاه برفقة نيرة لم يدخر جهداً في اسعادها أو تلبية

طلباتها.. فالخروج والسهر كل ليلة وفي كل مرة مكان مختلف من اختيارها.. كان يختبر معنى أن يمتلك المرأة التي حلم بها لسنوات طويلة.. فلم يبخل عليها بأي شيء بدئاً من وقته ونهاية بهداياه الثمينة التي أغرقها بها.. يكفيه فقط أن تشير بإصبعها إلى ما تريد فيكون بين يديها في لحظتها.. كان يدللها بكل ما تعني الكلمة من معنى وهي كانت تتلقى ذلك الدلال بسعادة قصوى وهي تحكم من سيطرة أنوثتها على حبه لها..

صعد درجات السلم الداخلي مسرعاً يمني نفسه بالليلة أخرى تغمره فيها بأحد مفاجآتها التي تسيطر على حواسه بالكامل.. ففي كل ليلة تكون عروس جديدة.. خجولة وناعمة.. وأحياناً شقية عابثة.. والليلة لم تخيب ظنه فقد فاجئته بتمددها في مغطس الحمام وقد ملأته بالمياه واستبدلت رغوة الصابون بأوراق الورد.. فغرق جسدها في غيمة ملونة من الأبيض والوردي ودرجات الأحمر والأصفر.. وتألقت خصلاتها كشعلة وسط ضوء الشموع العطرية التي تنير المكان.. ويدها الناعمة

تمدها بكل اغراء وهي تشير له بسبابتها.. ليرافقها في حمامها العطري بأوراق الورد.. ويغرق أكثر وأكثر في أنوثتها السخية.. ولكن إلى متى؟..

****

وصل حسن إلى شقته الصغيرة وهو يكاد يطير من سعادته.. لم يصدق أن تبتسم له الحياة أخيراً.. هل آن الأوان ليبتعد عن نوعية الحياة المزعجة التي اختبرها مؤخراً.. هل سيمكنه تحقيق أحلامه أخيراً؟.. سيعود لعمله الذي يعشقه.. وليس كمهندس فقط.. ولكن مسئول عن فرع شركة الغمراوي في دبي.. حقاً لا يستطيع تصديق نفسه.. وما يسعده بالفعل أن يزيد لم يتدخل ليمنحه الوظيفة.. فالذهول الذي سطر على وجهه وعصام الغمراوي يبلغهما معاً باختياره لحسن للإدارة الفرع كان أكبر دليل أن عصام اختاره بدون أي محاباة من يزيد.. أو حتى تدخل من والده حاتم العدوي.. بقي فقط أن يفاتح منى في الموضوع.. وهو أكثر ما يخشاه.. فالمفروض أن يسافر الليلة.. وبالطبع ستنتظر منى لبعض

الوقت حتى تعد جواز سفر لها.. وهو يخشى رفضها ابتعاده ولو لعدة أيام..

دلف إلى شقته ليجد منى قد أعدت الطعام بالفعل.. ووزعت بعض الشموع على المائدة الصغيرة التي وقفت بجوارها ترتدي ثوباً قصيراً من الشيفون الناعم.. وبدا واضحاً من ثوبها الجرئ أنها أعدت نفسها لسهرة رومانسية برفقته..

اقترب منها ليضمها بين ذراعيه طويلاً ليهمس بعدها بفظاظة:

ـ هو احنا ليلتنا فل ولا حاجة!..

ارتفعت عيناها نحوه بذهول.. لتنطلق منه ضحكة قوية لم يستطع كبحها وهو يقول:

ـ آه لو تشوفي وشك.. وتعبيراتك دلوقتِ عاملة ازاي..

وكزته في كتفه بغيظ:

ـ كده برضوه يا حسن.. بتتريق عليا!

عاد ليضمها إلى صدره بقوة:

ـ لا يا حبيبتي.. أنا بس سعيد جداً جداً جداً..

ابتسمت بسعادة لسعادته الواضحة:

_ خير يا حبيبي.. فرحني معاك..

جذبها من يدها وجلسا معاً إلى مائدة الطعام وبدأ يحكي لها عن مكالمة عصام الغمراوي وذهابه إليه في مقر مجموعة الغمراوي.. لينتهي بعرض العمل الذي عرضه عليه بمرتب يفوق كل ما تمنى يوماً.. أنهى حديثه وهو يخبرها بقلق:

_ المهم يا منى.. أنا وافقت.. بس لازم أسافر الليلة مع يزيد..

سألته بتردد:

_ تسافر!.. هو أنا مش هاجي معاك؟..

أمسك يدها يقبلها:

_ أكيد يا حبيبتي.. بس أنتِ لسه هتعملي جواز سفر.. أنا هسبقك الليلة واظبط الأمور كمان هناك.. وانسق الشغل مع يزيد.. وأنتِ أول ما تخلصي أوراقك هتحصليني.. ده يضايقك في حاجة؟..

تحركت من مقعدها لتجلس على ركبتيه وتحتضنه بقوة:

- لا يا حبيب عمري.. أسبوع بالكتير وأكون عندك.. بس أنت اوعى تشتري حاجة لبيتنا لوحدك.. لازم نكون سوا.. متفقين!..

لفها بذراعيه وهو يحملها إلى غرفتهما ويهمس بعبث:

- أكيد لازم نكون سوا.. هو أنتِ عندك شك!..

ضحكت بدلال:

- والسفر يا حسن؟..

أجاب بصوت أجش:

- قدامنا لسه وقت.. ما تقلقيش..

ضحكت بسعادة وبداخلها تشكر علياء التي لم تتصورها بذلك النبل على الاطلاق..

****

جلس يزيد بجوار حسن في مقعده بالدرجة الأولى في الطائرة المتجهة إلى دبي وهو يتأمل الرسالة القصيرة التي وصلته من علياء..

"توصل بالسلامة.. ابقى طمني عليك"..

زفر بغيظ.. وهو يتمتم بداخله..

"يعني قلقانة عليّ اهوه!.. يبقى ايه لازمة الغضب والغلط"..

تذكر ذهابه إلى منزله هو وريناد التي امتصت غضبه الواضح بكل يسر.. لا يعرف كيف وجد نفسه يقص عليها ما حدث بينه وبين والده وحسن.. واستطاعت بذكائها الأنثوي أن تخرجه من غضبه ليعبر عن سعادته بالفرصة التي منحها والده لحسن.. ليبتعد حسن أخيراً عن المجموعة الغريبة التي تعرف إليها مؤخراً.. امتد الحديث بينهما لفترة.. بعدها أعدت له ريناد حقيبته بهدوء..

واقتربت منه بخجل لتخبره بهمس عملي:

ـ يزيد.. الدكتور قالي أن الليلة مناسبة عشان الحمل والاخصاب وكده..

تنهد بعجب وهو يتذكر الليلة الماضية حيث أجلسها بين ذراعيه وهما يشاهدا أحد الأفلام الرومانسية وعندما حاول التقرب منها فاجئته بصرخة غاضبة.. واعتراض واضح لأن الليلة غير مناسبة لحدوث حمل.. وأنها أخبرته بذلك قبل بداية السهرة..

أخرجته من ذكريات الليلة الماضية بلمسات مغوية لا تجيدها إلا في الليالي التي يحددها لها الطبيب.. ولكنها للأسف تجيدها للغاية.. وهو مجرد.. رجل.. رجل محبط.. وضعيف

أمام تلك الفتنة الأنثوية الشقراء... ولكنه رغم كل شيء يشتاق للحمقاء الصامتة التي تسبب له أقصى حالات الغضب..

التفت إلى حسن الجالس بجواره ليخبره بحسم:

ـ تلات أيام بس يا حسن.. هنخلص شغلنا في تلات أيام.. ارجع بعدهم مصر..

وكان له ما أراد.. فواصلا الليل بالنهار لُينهيا أعمال أسبوع في ثلاثة أيام فقط..

لم يغمض لكليهما جفن بالفعل.. حسن يبذل قصارى جهده ليُلم بكل المعطيات التي يبلغه بها يزيد وبنفس الوقت يقاوم شوقه لزوجته الرقيقة.. ويزيد يكافح قلق عاصف وشوق حارق إلى علياء لا تطفئه مكالماته الهاتفية لها والتي تظهر له بوضوح أنها غاضبة.. وأيضاً.. خائفة..

وصل أخيراً إلى شقة علياء وهو يشعر بالاجهاد في كل خلية بجسده.. واتجه إلى غرفتها.. ليجدها تمسك بزجاجة العطر الخاصة به تستنشقها بعمق وعلى وجهها ابتسامة حالمة سرعان ما انتقلت لشفتيه هو لتتحول إلى شهقة عجب وهو يراها تنثر القليل من عطره على كفها لتلعقه بعدها باستمتاع جم.. جعله يصرخ بها:

ـ علياء!!.. أنتِ اتجننتِ بتعملي ايه!

التفتت له علياء بذعر وهي تخفي زجاجة العطر خلف ظهرها.. وتهمس بخوف:

ـ ما فيش.. ما فيش حاجة..

ـ ما فيش حاجة ازاي!.. وازازة البرفيوم اللي مخبياها دي بتعملي بيها ايه!!

أظهرت علياء يدها من خلف ظهرها لتتهدل بجانبها بتعب وتحركت لتجلس على الفراش لترفع عينيها نحوه بطفولية:

ـ طعمها حلو قوي..

تمتم بذهول:

ـ نعم!.. أنتِ شربتي منه!!

لتكمل هي:

ـ أم علي بتقول ده وحم.. بس الدكتورة زعقت لي ومش موافقة أني اشربه!!..

برقت عيناه في ذهول.. ثم انطلقت ضحكاته بلا توقف حتى دمعت عيناه.. فنهضت من جواره وقد تملكها الغضب.. ولكنه تمكن من الإمساك بها بسهولة بسبب بطء حركتها وأجلسها على ركبتيه وأحاطها بذراعه ومد يده ليأخذ الزجاجة من يدها ويغرق بها نفسه.. ثم همس لها بخبث:

ـ ايه رأيك كده ممكن تدوقيها من غير ما الدكتورة تزعق لك!!

احمرت وجنتاها بقوة ولكزته في كتفه:

ـ أنت قليل الأدب!!

ضحك باستمتاع وهمس لها:

ـ وحشتيني.. وحشتيني قوي.. ووحشني الكلام معاكِ.. وحشني صوتك يا علياء..

أخفضت عينيها أرضاً وحاولت التملص منه.. ولكنه منعها بلطف:

ـ رايحة فين!.. ده أنا ما صدقت..

رددت بخجل:

ـ أنت رجعت بدري..

دفن شفتيه في عنقها وهو يهمس:

ـ علشان خاطر عيونك.. تصدقي أنا ما نمت ولا خليت حسن ينام.. شوفتي بقى معزتك عندي.. أنا ما اقدرش على زعلك..

داعبت أناملها خصلات شعره ومرت بلطف على ملامحه ثم ضمت نفسها إلى صدره لتهمس بتوسل:

- أنا بحبك قوي يا يزيد.. بلاش تجرحني.. ولا تبعد عني..

رفعها بين ذراعيه ليستلقي على الفراش وهي بين ذراعيه ويهمس:

- اوعي تخاصميني تاني.. أنا خلاص استويت والله.. ومش قادر على زعلك..

دفنت وجهها بصدره وهي تحيطه بذراعيها.. بينما غرق هو في النوم على الفور.. فهو مستيقظ منذ ثلاثة أيام...

****

وصلت دنيا إلى شقتها لتجد مازن ممدد على الأريكة باسترخاء.. وقد خلع سترته ورابطة عنقه واكتفى بقميص البذلة..

نهض فور دخولها ليستقبلها بلهفة بينما هي كانت في قمة الاجهاد.. فقد كانت عائدة للتو

من العرض الأخير الخاص بدار الأزياء التي تملكها..

ضمها لصدره برقة ثم أمسك بها ليلفها بين ذراعيه وهو يطلق صفيراً عالياً.. فهي كانت ترتدي ثوباً فضياً طويلاً.. يلتصق بجسدها ليبرز قدها الرشيق ويتسع عند ركبتيها ليتداخل قماشه الفضي اللامع بقماش شيفون رمادي خفيف..

عاد ليضمها له ويلف خصرها بإحدى ذراعيه ويمد أنامله لتجري على فتحة صدر الفستان الواسعة التي كشفت عن عظام ترقوتيها الرقيقة..

فهمست له:

ـ شكراً لوجودك الليلة يا مازن..

داعب عنقها برقة:

ـ هو أنا عمري فاتني عرض ليكي..

همست:

ـ أنا عارفة أن الوضع اختلف...

وضع أنامله على شفتيها:

ـ هششش.. ما فيش حاجة اختلفت..

ثم أخرج علبة مخملية من جيب بنطاله.. وفتحها أمام عينيها.. لتظهر قلادة ماسية رائعة شكلت لتمثل الشمس بكل آشعتها المبهرة.. ولف حول دنيا ليثبت القلادة خلف عنقها.. ويضمها له بقوة وهو يهمس لأذنها من الخلف:

ـ وحشتيني..

ابتعدت دنيا عنه بمسافة كافية وهي تفكر جيداً فيما تود قوله له:

ـ مازن.. احنا لازم نتكلم جد شوية..

ـ خير يا دنيا؟.. قلقتيني..

ترددت قليلاً.. ثم تكلمت:

ـ الفترة.. الفترة اللي قضناها مع بعض كانت أيام جميلة.. بس أنت ظروفك اختلفت.. دلوقتِ في فحياتك زوجة.. وبيتهيألي نحاول نبعد واحنا لسه أصدقاء.. و..

قاطعها بغضب وهو يقترب منها بسرعة:

ـ وايه يا دنيا!.. ايه الكلام الغريب ده.. ايه اللي حصلك؟.. في حد دخل حياتك؟..

لم يدرِ أيهما ما حدث ولكن صوت الصفعة على وجنة مازن كان يدوي في أذنيهما.. بينما احمرت عينيه غضباً.. ولكنها لم تدع غضبه يؤثر بها فصرخت بعنف:

ـ لولا أنك مازن ما كنتش هتشوف وشي تاني.. أنت عارف كويس مين دنيا..

حرك يده على وجنته وهو يحاول كبح غضبه.. واقترب منها قليلاً:

ـ عايزاني اعتذر يا دنيا.. يبقى أنتِ كمان لازم تعتذري.. لأن كلامك معناه يضايق.. أنا ما كنتش مرتبط بيكي عشان مجرد رغبة أو شهوة.. مجرد ما بقى عندي زوجة يبقى هبعد..

قاطعته بغضب لم تستطع كبحه:

ـ أنت بعدت فعلاً..

ـ لفترة بسيطة.. وأظن وجودي الليلة في الديفيليه دليل على أنك في بالي وأني ما نسيتش أي حاجة تخصك..

مسحت جبهتها بتعب وهي تتهالك على أحد المقاعد:

ـ أنا ما بقيتش عارفة أي حاجة.. أنا حاولت بس ارفع عنك أي حرج..

اقترب ليجلس أمامها على نصف ركبة ومد أنامله ليرفع ذقنها:

ـ تحبي نعلن جوازنا؟.. أنا عرضت عليكِ الموضوع أكتر من مرة..

ابتسمت بتعب:

ـ وكل مرة كانت بتكون عقاب لنيرة..

ـ لكن المرة دي..

قاطعته:

ـ المرة دي ما ينفعش أني أوافق.. كده يبقى بندمر جوازك قبل ما يبتدي..

جلس على الأريكة وجذبها من على مقعدها لتسقط بين ذراعيه وبدأ يحرك كفيه بحركات دائرية على كتفيها وعنقها وهمس لها:

- هعملك مساج مخصوص.. هدلعك المرة دي.. وآخر مرة اسمع كلام عن البعد ونفترق والكلام ده.. ووقت ما تحبي نعلن جوازنا أنا موافق..

****

مرت ثلاثة أشهر..

جلس يزيد بجانب علياء على فراشها وهي تحتضن صغيرها وتضمه إلى صدرها لترضعه للمرة الأولى.. ليهمس بغيظ:

- بيعمل ايه الواد ده؟..

ضحكت بتعب:

- زي ما أنت شايف.. وبعدين دي حمد لله على السلامة بتاعتك!

أحاطها بذراعه وهو ينظر إلى ابنه بغيظ مما دفعها إلى الضحك بقوة وهي تهمس:

ـ بتغير من ابنك يا يزيد!..

قطب حاجبيه وهو يسألها:

ـ مش بترضعي أخته ليه؟..

ابتسمت وهي تغير الموضوع وتسأله:

ـ أنت لسه ما سميتهموش؟..

ضحك وهو يتحرك ليرفع ابنته الصغيرة من سريرها:

ـ ازاي.. طبعاً سميتهم.. اتفضلي يا ستي.. أقدم لك الانسة.. نادية.. والواد الشقي اللي مش بيبطل رضاعة ده.. هسميه علي..

ترقرقت الدموع في عينيّ علياء وهي تتأمله وتهمس:

ـ نادية!.. هتسميها نادية!!.. و..

قاطعها وهو يقترب ليطبع قبلة على جبينها:

ـ حمد لله على سلامتك.. أنتِ ونادية وعلي..

****

بعد ثلاث سنواااات...

....

الفصل القادم بإذن الله......

الفصل الرابع والعشرون

"الحب صبور دائماً وليس غيوراً أبداً, الحب أبداً ليس متبجّح ولا مغرور, وهو ليس وقح أو أناني أبداً ولا يعاتب ولا يستاء, الحبُ لا يسعد بذنوبِ الناسِ الآخرين.. لكن المسرات في الحقيقة..
هو جاهز دائماً للإعتذار للإنتماء, للتمنّي.. وللتَحَمُل, مَهما يحدث.."

A walk to remember

انهمكت منى في تنسيق ورودها التي بدأت بالتفتح.. ومراعاة براعم أخرى على وشك التفتح.. أنها حديقتها التي طالما حلمت بها.. وقدمها حسن لها مع منزلهما الرائع هذا.. لقد أعدها حتى قبل أن يعد المنزل من الداخل..

مسحت على جبهتها بإنهاك وقد تساقطت منها قطرات العرق البارد.. يبدو أن نزلة البرد

الأخيرة تصر على مصاحبتها لفترة طويلة.. ذلك الشعور بالإرهاق المستمر لا يفارقها في الآونة الأخيرة.. وحسن يتوسلها الذهاب إلى طبيب.. وهي تعاند.. لا تريد إزعاجه ولا إثارة قلقه.. وبداخلها أمل خفي أن يكون ذلك الإرهاق سببه بذرة حبهما تنمو في أحشائها أخيراً.. فقد تأخر حملها كثيراً.. وكلما فاتحت حسن في الموضوع يخبرها أن كل شيء بأمر الله.. وهو لا يريد من يشاركه اهتمامها وحبها.. كانت ترضى بذلك في البداية مدركة أن السبب الرئيسي هو الظروف المادية المتعثرة.. ولكن الآن بعد مرور ثلاث سنوات قضياها بدبي.. وتحسن أحوالهما المادية بصورة فاقت كل توقعاتها.. أصبح تأخر حملها هاجس يرافقها طوال الوقت.. بينما حسن يصب اهتمامه الدائم على عمله والنجاح به.. حتى أن اسمه بدأ يتردد بقوة بين رجال الأعمال.. ويتهافت الجميع للتعاقد مع شركة الغمراوي حتى يقوم البشمهندس حسن العدوي بتصميم فيلا.. أو شاليه.. أو.. أو...

تحمد الله على كل هذا النجاح.. ولكنها تفتقد حسن العاشق الذي يبحث عن أمانه معها.. تغير حسن.. ليس كالتغير السابق.. حمداً لله.. لكن المادة أصبحت تشكل جانب هام من حياته.. طموحه أصبح بلا حدود.. بحثه عن النجاح لا يهدأ.. ولولا بقايا حسن القديم الذي يدين بولاء لا ينضب لعصام الغمراوي، لكان بدأ في تأسيس شركة خاصة به.. وهو قد كون من العملاء ما يكفي لانطلاقه ناجحة.. ولكن حسن القديم مازالت له القليل من السطوة في هذا الأمر.. ولا تعتقد متى أن تلك السطوة ستستمر طويلاً..

أمسكت رأسها بإنهاك.. فقد هاجمها دواراً آخر جعلها تترنح بقوة.. ولسوء حظها تزامن ذلك مع وصول حسن الذي سارع ليتلقاها بين ذراعيه قبل أن تلامس أرض حديقتها الغالية التي طالما حلمت بها..

وضعها على فراشها برقة.. نادى اسمها عدة مرات.. ودعك وجنتيها وجبهتها بقوة قبل أن تفتح عينيها بإجهاد هامسة:

_ آه.. هو إيه اللي جرى!

هتف حسن:

_ اللي جرى أنه أغمى عليكِ.. اللي جرى أن عندك مالوش آخر.. مش عارف منشفة دماغك ليه؟..

دعكت منى جبهتها بتعب:

_ خلاص يا حسن.. دول شوية إرهاق و..

قاطعها:

_ مافيش و.. احنا هنروح المستشفى النهارده.. ومافيش نقاش..

****

جلس مازن ويزيد بمواجهة شاطئ البحر أمام الشاليه الخاص بيزيد بالمعمورة.. وعلي يلعب بين قدمي يزيد بالرمال.. بينما رفع مازن نادية بين ذراعيه وهو يداعبها بقوة لتضحك الفتاة بسعادة وتهتف:

_ مامن.. مامن.. أيزة قوة..

ضحك مازن بقوة وهو يوبخها بمداعبة:

ـ يا شقية.. بتستغليني عشان تشربي قهوة..

هتف يزيد بتوسل:

ـ بلاش أبوس إيديك يا مازن.. كده مش هتنام.. كفاية أدهم أخوها الصغير.10 شهور أهوه.. وصاحي ليل ونهار..

ضحك مازن بقوة:

ـ ما حدش قالك تتهبل وتخلف تاني وولادك يا دوب كملوا السنة.. الدنيا مش هتطير.. إرحم حالك شوية..

هتف يزيد بغضب:

ـ لم نفسك يا مازن.. والله لولا أنك ماسك نادية كنت وريتك شغلك.. عيب عليك.. بدل ما تتشطر كده.. وتجيب لك كام نونو يقرفوك.. وينكدوا عليك عيشتك ليل ونهار.. وخصوصاً في الليل..

غامت عينا مازن قليلاً وهو يتذكر مناقشاته المستمرة مع نيرة من أجل الإنجاب..

ورفضها المستمر بحجة أن الوقت مازال أمامهما طويلاً وهي تريد الاستمتاع بحبه ودلاله لها بدون أن يشاركها بهما أي شخص.. كما أنها سعيدة بما حققته من نجاح في عملها في مجال العلاقات العامة بمجموعة العدوي_غيث.. ولا تريد ما يعطلها عن نجاحها حالياً...

همس مازن بخفوت:

_ مش كل ست تنفع تكون أم..

سأله يزيد:

_ إيه؟ بتقول حاجة؟..

هز مازن رأسه نافياً:

_ لا.. بس بتعجب من حب نادية للقهوة؟..

زفر يزيد بحنق:

_ البركة في سي أدهم.. علياء اتوحمت على القهوة فيه.. ونادية من يومها وهي عايزة قهوة..

ضحكت نادية بشقاوة لتصيح:

- زيد.. أيزة قوة..

ضحك يزيد وأخذ ابنته من بين ذراعي مازن ليرفعها عالياً ويعود لالتقاطها مرة أخرى وضحكات الفتاة تتعالى.. وهو يعاود الكرة.. مرة بعد مرة.. حتى سمع صوت علياء تصرخ من داخل شرفة الشاليه وتسرع نحوه:

- يزيد.. بالراحة.. البنت.. مش كده..

وصلت عنده لتجذب نادية ناحيتها فأخبرها بشقاوة:

- روحي يا ندوش لماما.. هي هتجيب لك القهوة..

ثم اقترب منها وهمس لها لتسمع هي فقط:

- بس بيتهيألي المرة دي مربى..

وغمز لعلياء بعبث فشهقت بقوة وتضرجت وجنتاها حرجاً.. بينما تظاهر مازن بمشاركة علي اللعب بالرمال..

سأل يزيد:

ـ أومال أدهم فين؟..

أجابته علياء:

ـ مع نيرة..

صرخ يزيد بهلع:

ـ إيه.. سيبتي الواد معاها لوحده.. دي ممكن تاكله!..

وكزته علياء في جنبه فصرخ متأوهاً:

ـ إيه.. جوزها قدامك وسامع كلامي وما اعترضش..

ضحك مازن بغموض وأخبر علياء:

ـ أهم حاجة أنه ما يوسخش فساتنها.. وإلا..

هتفت علياء بحنق:

ـ أنتوا.. أنتوا..

ولم تسعفها الكلمات فأخذت ابنتها وذهبت وهي تتمتم ليزيد:

- خلي بالك من علي..

فهتف مازن:

- سيبي نادية ألعب معاها شوية.. لو ممكن؟

ابتسمت علياء وابنتها تهتف:

- مان.. مان..

سلمتها لمازن وهي تعتذر بحرج:

- آسفة والله.. هي بتنادي على كل الناس بأساميهم..

وزغرت ليزيد الذي ارتدى قناع البراءة:

- كله من أبوها..

تركتهما وذهبت لتجالس نيرة في شرفة الشاليه.. والتي دفعت إليها بأدهم ما أن جلست على مقعدها وهي تهتف:

- امسكي ابنك.. مُصر يشد شعري..

ضحكت علياء وهي تسأل نيرة بود:

- مش بتفكري في الأطفال يا نيرة؟..

تغير وجه نيرة قليلاً.. ونظرت للشاطيء حيث تتعالى ضحكات مازن مع الصغيرين.. وخاصة نادية.. همست:

- مازن بيحب نادية قوي..

- نيرة..؟..

التفتت نيرة لعلياء لتسألها:

- هي.. منى وحسن لسه ما خلفوش؟..

شهقت علياء بغضب:

- إيه لازمة السؤال ده دلوقتِ يا نيرة؟..

- عادي بسأل.. عايزة أعرف.. فضول..

- فضول!!.. أنتِ كل فترة بتحاولي تعرفي أخبار حسن.. ليه يا نيرة؟

همست نيرة بغضب:

- مش قادرة أنساه يا عليا.. أنا اشتغلت في الشركة مخصوص على أمل أنه يرجع وأكون قريبة منه..

هتفت علياء بذهول:

ـ إيه الكلام ده!!.. معقولة بعد السنين دي كلها.. ومازن؟.. مازن بيحبك قوي يا نيرة.. ليه تظلميه كده؟..

هزت نيرة كتفيها وهي تراقب مازن أنه يعشقها بالفعل.. وهي تحب ذلك.. تحب علاقتهما معاً.. ستكون كاذبة إن أنكرت أنها تريد مازن كزوج.. وكرجل.. ولكنها غير قادرة على محو حسن من قلبها.. غير قادرة على منحه العفو لخطيئته بحقها.. ذنبه الذي لن يغفره إلا عودته متوسلاً السماح.. أو ربما.. العودة إليها..

التفتت لعلياء تسألها:

ـ يزيد مش بيقولك إذا كان حسن ناوي يرجع ولا لأ؟..

هتفت علياء بحنق:

ـ يووووه يا نيرة.. لازم تنسي حسن خالص.. أنتِ مرات أخوه.. فاهمة يعني إيه أخوه!..

هزت نيرة كتفيها:

_ مازن إنسان كويس جداً.. بس برضوه غامض جداً.. الحياة معاه مش سهلة.. مش سهلة أبداً..

سرحت بنظرها لتراقبه وهو يرفع نادية فوق كتفيه.. ويجري خلف علي الصغير يطارده ضاحكاً.. ومسدت بيدها على بطنها وقد ارتسم على وجهها تعبير غامض.. وغاضب..

****

تمسك حسن بمقود السيارة بكلتا يديه وهو يضغط عليه بشدة يحاول جاهداً حبس دموع تتسابق لتعبر جفنيه.. وهو يقاوم ببسالة.. نعم لابد من المقاومة.. لابد من أن يظل صامداً حتى لا يسبب لها الفزع.. لا يريدها أن تحمل هماً سابقاً لأوانه..

لا يصدق ما مر به.. بعد دوامة كبيرة من التحاليل والأشعة.. وبعد إعادة الفحص والتحاليل أكثر من مرة.. كانت النتيجة لا تتغير.. وبدا على الطبيب التأثر وهو يخبره بكلمات موجزة عملية..

"آسف جداً.. زي ما توقعت.. كل التحاليل بتأكد التشخيص الأولي..

وفي مرحلة متقدمة.. بص.. هنا الطب متقدم

Hepatic cancer جداً

لكن نصيحة لو تقدر تسافر فرنسا.. هيكون أفضل"

"في أمل يا دكتور؟"..

وهنا كانت ربتة مواساة من الطبيب على كتفه..

"الأمل في ربنا كبير"..

أوقف السيارة على جانب الطريق.. ولم يعد يحتمل ضغط الدموع أكثر فتركها تسيل بصمت.. بألم.. وجع لا يحتمل.. لا يصدق أن تنتهي الرحلة بتلك السرعة.. لقد بدأ مؤخراً فقط الاستمتاع بالحياة وترفها سوياً.. ولكنها فقط أشياء بسيطة.. عشاء رومانسي في مطعم فخم.. رحلة بحرية صغيرة.. قطع بسيطة من المجوهرات.. شبكتها التي وعدها بها منذ زمن.. تجول بين واجهات المحلات وهما

يدركان أنهما يملكان القدرة على شراء ما يحلم لهما.. بيت وحديقة كما تمنت يوماً.. أنها فقط أشياء بسيطة فقد أجل الأحلام الكبيرة لــ لاحقاً.. لكي يصفعه الواقع المر.. بأنه ق لا يكون هناك لاحقاً..

مسح دموعه وبدأ سلسلة من الاتصالات التليفونية.. بدأت بمازن.. وانتهت مع فريدة والدة صبا.. وقد وعدته بإنهاء كافة الإجراءات وتسهيل حضوره ومنى إلى باريس في أقرب وقت... وكانت عند كلمتها بالفعل فلم

يمر يومان إلا وكانا على متن الطائرة المتجهة إلى مطار شارل ديجول بباريس..

مدت منى أناملها تتمسك بيد حسن وهي تهمس له بحنان:

ـ وبعدين يا حسن.. سيبها لله.. أنا مش خايفة.. وراضية بقضائه..

ضغط على يديها بعنف.. عنف لا ينبع من قسوة بل خوف.. فزع.. لا يقوى على تخيل حياته بدونها.. أنها منى.. منى وكفى.. عندما

صارحها بحقيقة مرضها ابتسمت ابتسامة راضية.. وتمتمت بهدوء..

"قدر الله وما شاء فعل"..

كانت هي من تواسيه وتهدئ من روعه، وظلت على تجلدها وصبرها حتى وصلت إلى الحرم المكي.. وكان قد لبى لها طلبها بأن تقوم بالعمرة قبل السفر للعلاج.. وهناك فقط فقدت تماسكها.. وانهارت في نوبة بكاء.. ظنها في البداية خوفاً من القادم.. ولكنها كانت خوفاً من أن يكون مرضها ابتلاء لذنب ارتكبته.. وظلت تدعو وتتوسل المغفرة والعفو. وهو يتوسل لها الشفاء..

وأخيراً.. انتهت نوبة بكائها.. وارتسمت على وجهها ابتسامة رائعة.. وكأنها تشع رضا وراحة.. بل ضياءً..

عاد من شروده ليرد عليها بصوت متحشرج:

- إن شاء الله خير.. مدام فريدة حجزت لنا في المستشفى الأمريكي في باريس.. مستشفى كبير قوي.. دول حتى بيوفروا مساعدة للمرضى العرب.. وفي ممرضة إنجليزية من أصول

عربية.. هنكون شبه مرافقة لبكي.. مدام فريدة
بلغتني بكده..

وضعت رأسها على كتفه تخبره بحنان:

ـ شوفت ازاي ربنا مسهلها.. سيبها لله
بس.. وبلاش تعمل في نفسك كده..

أحاطها بذراعه بقوة يريد أن يزرعها
بداخلها.. يداريها بين عينيه.. يخفيها عن
الموت المتربص بها.. والذي يهدد بأخذها
منه مع كل نفس..

وصلا إلى المطار.. وكانت فريدة بانتظارهما
تصحبها صبا ابنتها فقد كانت في زيارة لها
بذلك الوقت وبدا على شفتيها ابتسامة
هادئة..

حياها حسن بمودة.. وهو يسألها عن أخبار
والدها.. بينما تحفظت منى منها قليلاً.. فهي
شقيقة نيرة ولا تعلم كيف تتعامل معها.. إلا
أن تصرفات صبا السلسة والمرحة سرعان ما
أذابت برود منى نحوها..

اقتربت فريدة من حسن تخبره بكل ما قامت به من ترتيبات لإقامة منى:

ـ وعلى فكرة يا حسن الممرضة اللي كلفوها بمرافقة منى اسمها لورا ستيفنز.. هي إنجليزية من أصل لبناني.. وإن شاء الله هتكون معاكم في كل خطوة جوه المستشفى.. أنا اخترتها انجليزية لسهولة التواصل..

أومأ حسن موافقاً بامتنان.. واتجهوا جميعاً إلى المشفى، حسن قلبه ينتفض بداخله مع كل خطوة يشعر أنه في طريقه ليفقدها للأبد..

ومنى ترتسم على وجهها إمارات الرضا وابتسامة هادئة شجاعة.. تتأملها كلاً من فريدة وصبا بإعجاب يصل حد الانبهار من قوة تماسكها وصلابتها..

هناك التقوا مع لورا ستيفنز التي رافقتهم حتى الغرفة التي تم حجزها لمنى.. وهناك بدأت الشرح بطريقة عملية بحتة تناقض ملامحها الشقراء الرقيقة:

ـ أنا أدعى "لورا ستيفنز".. سوف أكون مرافقة للسيدة "العدوي" طوال إقامتها

بالمستشفى.. في البداية سوف نقوم بإعادة جميع التحاليل والأشعة.. وبناء على ما يظهر بها سوف يتم التعامل مع الوضع.. الطبيب المشرف على الحالة يدعى دكتور "راندال آدمز".. وهو من أمهر جراحي المستشفى.. أي سؤال أو استفسار سأكون في خدمتكم..

ثم أكملت بلغة عربية ضعيفة نوعاً:

ـ أنا بفضل التعامل بالانجليزية.. هي أسهل شوي.. أنا بتكلم عربي بسيط.. لكن بفهم عربي كويس قوي..

ـ هل من الممكن معرفة متى أبدأ التحاليل؟.. وهل مطلوب مني أي شيء؟..

كانت منى التي ألقت السؤال.. فاقتربت منها لورا لتحادثها بود:

ـ ارتاحي الآن سيدة "العدوي".. وغداً نبدأ في جميع الإجراءات وسوف أكون معكِ في كل خطوة..

أومأت لها منى بامتنان وهي تحادثها بالعربية:

ـ يا ريت تناديني منى..

أشارت لها لورا موافقة:

ـ ok..

سألها حسن:

ـ ما هو الإجراء المتوقع بعد ظهور نتيجة التحاليل؟..

ـ في الغالب قد يقرر الطبيب إجراء جراحة لو وجد أنه من السهل استئصال الورم.. وستكون جراحة عاجلة... ولكنه رأي الطبيب في النهاية.. أي سؤال آخر؟..

رد حسن بهدوء:

ـ شكراً لكِ..

أومأت لهم وخرجت بهدوء تاركة اياهم تحت صمت رهيب لم تقطعه سوى ضحكة منى المتوترة:

ـ إيه.. ساكتين ليه؟.. هي بتقول أن الجراحة ضرورة وممكن الدكتور يستئصل الورم.. دي أخبار كويسة!!..

اقترب حسن من فراشها ليربت على كتفها بحب:

ـ أكيد يا حبيبتي أخبار كويسة..

تنحنحت فريدة بحرج فرغماً عنها روح الفنانة بداخلها قد سحبتها نحو ملامح لورا تريد أن تخطها على لوحة رسم فوراً:

ـ هنسيبك دلوقتِ عشان ترتاحي يا منى.. وأنت يا حسن.. كل تليفوناتي معاك.. أي حاجة تليفون صغير هتلاقيني عندك.. سلام دلوقت..

خرجنا معاً وتركنا حسن وهو يجاور منى في فراشها.. يلتصق بها وكأنه يخشى أن يفقدها.. منذ أن علم بحقيقة مرضها وهو يخشى النوم.. يخشى أن يغفل لحظة تختفي بعدها من أمام ناظريه.. يشعر أنه يحارب عدو مجهول.. يحارب في معركة خاسرة..

ربتت منى على كتفه وهي تجذب رأسه ليتوسد صدرها:

ـ نام أنت يا حسن.. ارتاح شويه يا حبيبي..

رفع عينيه نحوها يتوسلها ألا ترحل.. ألا تتركه.. فمالت لتقبله على جبهته هامسة:

ـ أنا هكون جنبك.. ودايماً معاك..

لفها بذراعيه.. رأسه ترتاح لقلبها يدق تحت أذنيه.. وحركة تنفسها المستقرة كانت بمثابة مهدئ لأفكاره البائسة.. فخلد للنوم ملتصقاً بها.. وهي تربت على رأسه وتداعب شعره بحنان..

بدأت سلسلة التحاليل والاشعة مرة أخرى.. وبدأت معها تظهر أعراض المرض العديدة.. وأبرزها الآلام المبرحة التي بدأت تهاجمها وكأنها كمنت لسنوات ثم قررت مباغتتها مرة واحدة.. كانت تتمزق حرفياً من شدة الألم، ولكنها حاولت ببسالة أن تصمد وتظهر الراحة والعافية أمام حسن..

ظهرت نتائج التحاليل والأشعة وقرر الطبيب اجراء جراحة عاجلة محاولاً انقاذ الوضع..

****

دخلت لورا بابتسامتها الهادئة إلى غرفة منى.. وهي تحمل مجموعة متنوعة من المستحضرات والمعدات الطبية المختلفة:

ـ مساء الخير..

ردت منى بإنهاك:

ـ مساء الخير لورا.. هل حان الوقت؟..

اقتربت لورا منها بهدوء وابتسامتها الهادئة مازالت على شفتيها:

ـ لا تقلقي عزيزتي.. دكتور آدامز.. من أمهر الجراحين..

أومأت منى بتعب بالغ.. وسألت لورا:

ـ هل من الممكن أن تستدعي زوجي؟..

ـ بالطبع..

غابت لورا لدقائق عادت بعدها وحسن في إثرها... وقد ارتسمت على وجهه إمارات القلق:

ـ خير يا منى في حاجة؟..

مدت له يدها فهرع ليتمسك بها.. واقترب منها:

ـ ممكن أكلم بابا وماما؟..

ـ طبعاً يا حبيبتي ممكن.. أنتِ اللي رفضتِ تقوليلهم أي حاجة من الأول..

أومأت بتعب:

ـ معلش.. غيرت رأيي.. حابة أسمع صوتهم قبل ما أدخل العمليات..

اتصل على الفور بالعم نصر وأعطى لها الهاتف اتحادث والدها..

ـ أيوه يا بابا..

سكتت قليلاً:

ـ لا يا حبيبي.. أنا كويسة.. صوتي تعبان؟.. لا ده دور برد شديد حبتين.. كنت عايزة أكلم ماما وأطمن عليكوا..

حادثت والدتها قليلاً.. ومع كل جملة منها كان حسن يشعر أنها تلقي بكلمات الوداع.. رغم أنها كانت تخبرهم بإصرار أنها بخير.. وأن ما بها وعكة صحية طارئة.. إلا أن نبرة صوتها وملامح وجهها أخبراه أنها تودعهم.. وفي نفس الوقت لا تريد إشعارهم بأي قلق..

اختتمت كلماتها لوالدتها هامسة لها:

ـ خدي بالك من بابا يا ماما.. أنا بحبكوا قوي.. وبُعدي السنين اللي فاتت كان غصب عننا أنا وحسن.. كنا فاهمين..

قطعت كلماتها لتعيد صياغتها:

ـ كنا فاهمين أننا لازم نكون نفسنا بسرعة.. خدي بالك من صحتك ومن بابا.. لا إله إلا الله..

أخذ حسن منها الهاتف وطمئن والدتها ببعض كلمات بدت فارغة لأذنيه.. وأغلق الهاتف.. ليضمها بقوة لصدره ودموعه تتساقط فوق وجنتها:

- منى.. أنتِ بتستسلمي ولا إيه؟.. ليه طريقتك دي في الكلام.. إحنا هنعمل العملية ودي أول خطوة..

ابتسمت منى بتعب:

- طيب والدموع لازمتها إيه.. معلش بقى أنا اصلي جبانة وأول مرة أدخل عمليات فقلت أعمل شويتين زي الافلام.. ما تقلقش أنت وروح نادي لورا عشان تجهزني للعملية..

قبلها على جبينها بقوة وهمس:

- إوعي تستسلمي يا منى.. اوعي.. مش هسمح لك..

أمسكت يده وقبلتها بحب:

- أنا قوية بيك وليك يا حسن..

قاطعهما صوت لورا الرقيق:

ـ آسفة.. منى.. يجب أن نبدأ في إعدادك الآن..

ضمها حسن مرة أخرى.. وتحرك مبتعداً ليخرج من الغرفة.. وسرعان ما وجد منى تتوجه إلى غرفة العمليات محمولة على فراش متحرك.. فاقترب منها بسرعة ليهمس:

ـ لا إله إلا الله يا منى.. هستناكي.. لازم تقاومي يا منى..

ابتسمت منى وقد بدت معالم الراحة على وجهها:

ـ هقاوم عشان خاطرك يا حسن.. محمد رسول الله..

همست لها لورا:

ـ أنه يحبك للغاية.. يبدو كالتائه بدونك.. فلتقاومي من أجله عزيزتي..

أومأت منى بابتسامتها الرقيقة:

ـ هل يمكنك أن تطمئنيه على مسار العملية أولاً بأول؟..

ـ بالطبع عزيزتي.. يسعدني ذلك..

غابت منى عن عينيّ حسن داخل المنطقة المخصصة للعمليات.. وهمست له لورا بأنها ستأتي له بالأخبار كلما استطاعت.. فالعملية قد تطول مدتها لساعات.. تبعاً لما قد يراه الجراح.. وبالفعل انتظر حسن في إحدى قاعات الانتظار.. ولكن لغرابة الأمر لم يطل انتظاره عن ساعة.. وجد بعدها لورا تأتي بصحبة الطبيب آدامز الذي أخبره بطريقة عملية واحترافية شديدة ونقلت لورا كلماته حرفياً:

ـ آسف سيد "عدوي".. لقد ظننت أن الجراحة من الممكن أن تشتري لنا بعض الوقت.. وقد نتبعها بإجراءات قصوى.. كالعلاج الذري.. ولكننا اكتشفنا بعد دخلونا الجراحة أن المرض بدأ بالانتشار بالفعل وانتقل إلى عدة أجهزة أخرى.. وأي تدخل جراحي سيسبب الوفاة حتماً.. تقبل أسفي..

صرخ حسن بقوة في وجه لورا وهو غير قادر على استيعاب كلماتها:

ـ أنتِ بتقول إيه!..

ثم انتقل إلى الانجليزية:

ـ ما الذي يعنيه هذا؟.. لورا.. تكلمي بما أفهمه بالله عليكِ..

رمقته لورا بشفقة وأخبرته بتوضيح:

ـ الطبيب آدمز.. يقصد.. أعني.. أنه لا داعي للجراحة.. و..

قاطعها بلهفة:

ـ وماذا؟.. ما الخطوة التالية؟..

هزت لورا كتفيها بعجز وهي تحاول أن تستدعي أسلوبها العملي بلا فائدة:

ـ احمم.. لا توجد خطوة تالية.. أقصى ما في استطاعتنا فعله هو توفير سبل الراحة لها.. وتقليل آلامها قدر الامكان.. فحدة الالم ستتزايد في الأيام المقبلة..

ردد بلا وعي:

ـ أيام!!.. هل تخبريني أنه تبقى لها أيام..

ثم توجه للطبيب الذي كان يراقبه بشفقة وإن لم يتخلَ عن أسلوبه العملي:

ـ دكتور.. أرجوك.. تكلم.. أخبرني بالحقيقة..

أجاب الطبيب باحتراف:

ـ آسف سيد "عدوي".. تلك هي الحقيقة.. وسنحاول قصارى جهدنا أن تكون الفترة القادمة مريحة لها بقدر الامكان.. تقبل أسفي مرة أخرى.. معذرة..

غادر الطبيب تاركاً حسن غارقاً في شقائه.. تائهاً بين دروب وحدة يستشعرها تقترب منه لتقضي عليه.. سيفقدها.. لقد حارب.. وقاتل لتكون له.. عادى والده ومجتمعه.. كاد أن يدمر علاقته بشقيقه وأصدقائه.. انتصر عليهم جميعاً.. تقاليد بالية لم ينظر لها.. أعراف وعادات لم تهمه بشيء.. ضحى بمهنته لشهور.. باع الكل واشترى وجودها بجانبه.. لتأتي معركته الأخيرة.. يحارب ضد الموت.. ومن يحارب الموت يخسر بجدارة..

جاءت صرخة قاتلة من أعماقه:

_ لاااااااااااااااااااا..

لتصرخ لورا بمن حولها:

_ فليأتني أحدكم بأمبول مهدئ في الحال..

وصلت فريدة وصبا في تلك اللحظة لتشهدا انهيار حسن تحت قدمي لورا فأسرعتا نحوها لتخبرهما باختصار بما حدث وتطلب منهما التواجد مع منى حتى يستفيق حسن..

فترة بسيطة مرت استفاق حسن من غيبوبته الاصطناعية.. وكانت لورا وقتها بجواره..

رمش بعينيه عدة مرات.. ثم فتحهما ليسألها بهمس:

_ هل الأمر حقيقياً؟.. ألا يوجد أي أمل؟..

ابتسمت لورا بعطف:

_ حسن.. إن زوجتك بطلة.. صدقني بكل المقاييس هي بطلة.. إنها سيدة نادرة.. الآلام التي تحملتها في صمت الفترة السابقة لا يمكن أن يتحملها أشد الرجال..

اتسعت عينا حسن بذهول بينما هي تكمل:

ـ لا تتعجب.. لقد تحدثنا مطولاً في الأيام السابقة.. هي سيدة ودودة للغاية.. أنها تعاني من الألم منذ مدة.. وظنت أنه مرض ما سرعان ما يزول.. أو..

صمتت للحظة وبدا على وجهها التأثر:

ـ كانت تظن أنها تعاني من متاعب الحمل..

شهق حسن بحزن بينما أكملت لورا:

ـ لا يذهب عقلك بعيداً.. فلم يكن من الممكن تجنب المحتوم.. والمرض لدى زوجتك للأسف غاية في الشراسة.. وحتى لو تم اكتشافه مبكراً لم يكن ليحدث أي فرق.. أعلم أن كلماتي صادمة.. ولكنك بالفعل بحاجة لتناسي ألمك وحزنك الآن لتستطيع دعمها في الأيام القادمة.. أنها ستحتاج وجودك بشدة.. سأتركك لترتاح قليلاً.. أن السيدة فريدة والآنسة صبا برفقتها الآن وهي لم تستفق من المخدر بعد..

خرجت وتركته مستلقياً في فراشه.. عيناه معلقتان بالسقف.. وعقله فارغ من كل شيء بينما يشعر بقلبه محطم.. سوف تزهق روحه ويموت كمداً.. لقد قرأ في مكان ما عن مرض يسمى "القلب المفطور".. وهو ما تسببه الالام النفسية والعاطفية الطاحنة.. هذا ما يشعر به الآن.. لقد فطر ذلك الطبيب قلبه.. ذبحه وهو يخبره بأن الأمل منعدم.. أنها سترحل.. حبة قلبه.. ستهجر القلب الذي ذاب عشقاً لها.. كيف يتحمل؟.. كيف يدعمها وهي تواجه الموت؟.. لقد كانت هي الداعمة على الدوام.. كانت السند والأهل وقت تخلى عنه أهله.. كانت الصديق وقت ما أحتاج لصاحب.. كانت الحبيبة والزوجة.. الوطن.. أنها وطنه.. والآن الطبيب يخبره أن يساعدها على الرحيل في صمت.. أي طلب أحمق هذا؟!.. وأي قدرة إعجازية يطالبه بها الرجل..

***

مرت عدة أسابيع بعد ذلك اليوم واظبت فيها فريدة وصبا على الحضور يومياً نشأت علاقة

طيبة بين منى وصبا، فاتخذتها منى كشقيقة صغرى قضت معها أوقاتاً لطيفة كانت كمهدئ رقيق لآلام منى من غربتها وبعدها عن أهلها وآلام مرضها التي أصبحت في تزايد مستمر.. بينما قويت علاقة منى بلورا التي أبهرتها قصة حب حسن ومنى.. وكانت تدفع منى لتقصها عليها مراراً.. فالجانب الرومانسي منها عشق محاربة حسن ليحتفظ بمنى إلى جانبه.. فكانت ترمقه دائماً بانبهار من ذلك الفارس الذي حارب الجميع حتى عادات مجتمعه ليفوز بأميرته الرقيقة..

دلف حسن إلى غرفة منى فوجد لورا جالسة بجوارها كالعادة وتتهامسان سوياً.. فابتسم بحنان واقترب ليمسك كفي منى ويقبلهما ثم يقبل جبينها..

حيا لورا بهدوء وجلس ملتصقاً بمنى وسألها بحنان:

- هل دفعتكِ لورا لتقصي عليها قصة زواجنا مرة أخرى؟..

ابتسمت لورا:

ـ كلا.. لقد كنت أقص أنا عليها تلك المرة قصة أجدادي.. فقد عشق جدي وهو رجل إنجليزي.. وكما تقولون.. من أصحاب الأملاك والألقاب.. عشق جدتي عندما زار بيروت منذ خمسين عاماً.. ولم يعد إلى لندن إلا وقد أصبحت زوجته.. أرأيت.. توجد لدي قصص رومانسية, بل وصراعات حضارية أيضاً!..

ضحكت منى برقة فضمها حسن لصدره وطبع قبلة أخرى على جبينها.. وسأل لورا بابتسامة:

ـ إذاً.. لماذا أتيتِ إلى باريس وتركتِ لندن؟.. بالتأكيد توجد قصة أخرى هنا..

تغير وجه لورا ونهضت فجأة:

ـ سوف أذهب الآن.. حتى ترتاح منى قليلاً..

خرجت وتركتهما معاً.. فسارع حسن بوضع رأسه على صدر منى.. يريد أن يختفي بداخل قلبها.. فيذهب معها عندما ترحل.. ضمها بقوة وهمس لها:

ـ مازن ودنيا وصلوا باريس.. وهيجوا بالليل يطمنوا عليكِ..

سألت منى بسعادة:

ـ دنيا!.. دنيا جت معاه؟..

وافقها حسن بإشارة بسيطة من رأسه وهو يتذكر التآلف الفطري الذي نشأ بين منى ودنيا.. عندما زاره مازن في منزله بدبي بعد سفر حسن بفترة وجيزة.. واصطحب معه دنيا في تلك الزيارة التي عاتب فيها حسن لسفره حتى دون أن يودع شقيقه الوحيد.. فقط اكتفى بوداع سريع للجدة روح.. سافر بعدها تاركاً كل شيء ورائه..

كان حسن وقتها مازال غاضباً من الحياة المزدوجة التي يحياها شقيقه, ورافض كلياً لوجود دنيا في حياة مازن.. وجود لم يجد له حسن أي تفسير.. ولكن الصداقة السريعة التي تمت بين منى ودنيا أجبرت حسن على تقبل الثنائي الغريب.. تقبل تحول لمودة عميقة نحو دنيا بعدما تعددت زياراتها لمنى سواء برفقة مازن أو في رحلاتها المنفردة.. وقد بدأ

يستشعر ذلك الشيء الخفي الذي يجذب شقيقه إليها.. ويربطه بها.. ورغماً عنه اعترف لنفسه أنها كزوجة لمازن أفضل من نيرة بمراحل.. ولكنها حياة مازن الذي يصر على استمراره مع نيرة..

استيقظ حسن من أفكاره أو ربما غفوة بسيطة نالها على همسة منى المتألمة:

ـ حسن.. من فضلك اضغط على الجرس.. محتاجة المسكن.. حاسة بألم رهيب..

رفع رأسه ليرى وجهها وقد تقلص بآلام مضنية.. سارع باستدعاء إحدى الممرضات.. التي سارعت بإعطائها جرعة المسكن.. وبدا أن الوقت يمر والألم لا تخف حدته فوجه منى زاد احتقانه من الألم حتى كاد أن يتحول إلى الأزرق.. والممرضة الشابة تسألها برفق:

ـ سيدتي.. هل خفت حدة الألم أم مازال كما هو؟..

لم تستطع منى الاجابة بينما هتف حسن بغضب:

- إنها تتألم بشدة.. ألا تستطيعين القيام بشيء ما؟

أومأت الفتاة بالايجاب وهي تخبره:

- بلى سيدي.. يمكنني.. ولكن السيدة منى ترفض أن أزيد من جرعة المورفين كما أمر دكتور آدمز.. وتخبرني أنها ستتحمل.. ولكن..

- آآآآآآآآآآآه..

صرخة قوية من منى دفعت حسن ليصرخ بالفتاة:

- أعطيها الجرعة التي أمر بها الطبيب.. أنها تتعذب بشدة..

نفذت الفتاة ما طلبه منها حسن على الفور.. بينما تحرك هو ليضم منى إلى صدره.. وقد بدأت حدة آلامها تخف قليلاً ووجدها تهمس:

- يا رب.. ما اتعذبش اكتر.. يا رب ارحمني..

هتف حسن:

- منى!.. لا يا منى ما تقوليش كده..

ربتت على رأسه بإنهاك وهي تردد:

ـ عارف يا حسن.. أفضل حاجة حصلت إن شعري مش هيوقع.. وشكلي مش هيختلف قوي.. عشان تفضل فاكر مني.. مني اللي حبيتها ومن هي بضفاير..

سكتت قليلاً لتستجمع قواها:

ـ كانوا البنات في المدرسة.. وحتى في الكلية بعدها.. يقولوا لي.. ده بيتسلى بيكي.. وعمره ما هيفكر يتجوزك.. وأنا أقولهم.. أبداً.. حبيبي وواثقة فيه بعمري كله..

ترقرقت دمعة بعينيه فهمست له:

ـ ما تبكيش.. يا حسن.. طب أقولك على حاجة.. أما مرينا بالفترة الصعبة.. وأما.. أما كنت بتشرب سجاير وكده.. كنت مرعوبة أنك تكون ندمت على ارتباطنا.. أو بتراجع نفسك.. أنا كنت واثقة في حبك صحيح.. بس جه جوايا قلق أنه حبي مش كافية..

قاطعها بسرعة:

ـ يا منى أنتِ تكفيني عن العالم كله.. أنتِ دنيتي كلها..

ربتت على كفه بحب:

ـ بعد ما قابلت دنيا فهمت سبب غضبك.. أنتِ غضبتِ للحب نفسه يا حسن.. فكرت أن مازن شوه فكرة الحب النضيف اللي أنت ما عرفتش غيره.. وقتها حبيتك أكتر.. مع أني مش عارفة إزاي ممكن أحبك أكتر.. بس بظهر قلبي ما عادتش قادر يتحمل حب أكتر من كده.. حبك كان طاهر وبرئ ومركز يا حسن تشبعت به للعمر كله.. حتى لو كان العمر ده قرب يخلص..

همس بصوت متحشرج:

ـ ما تسيبينيش يا منى.. ما تسيبينيش..

خرج صوتها منهكاً:

ـ لو بتحبني يا حسن..

قاطع كلماتها ووضع أصابعه على شفتيها:

ـ لا يا منى.. لا ما تكمليش..

أغمضت عينيها بإنهاك ودمعة ألم هربت على جانب وجهها سارع هو بمسحها..

وسألته:

ـ لسه رنة موبايلك.."حبيبي يا عاشق"؟..

أومأ بالايجاب.. فردت هي:

ـ أنا بحب الأغنية دي قوي.. بتحكي حكايتنا يا حسن..

وأخذت تردد:

ـ حبيبي يا عاشق.. يا حر زي الطير..

فأكمل لها وهو يبكي:

ـ شاور هقول حاضر..

خفت صوتها لتهمس:

ـ للحب قلبي أسير...

ثم ضغطت بيدها على كف حسن بقوتها الواهية لتهمس:

ـ حرره يا حسن.. أرجوك حرره من الأسر.. أنا تعبانة وعايزة أرتاح.. عايزاك تعتق قلبي..

أجهش بالبكاء وسقطت رأسه بجانب يدها على الفراش وهو يردد:

_ مش قادر.. مش ممكن أستغني عنك.. قاومي يا منى..

رددت بخفوت:

_ حررني يا حسن.. تعباااانة..

همسة خافتة أخيرة:

_ لا إله إلا الله..

خفت صوتها للغاية.. حتى اختفى تماماً فرفع حسن رأسه بهلع:

_ منى.. منى.. منىىىىىىىىىىىىى

دخل بضعة فتيات من طاقم التمريض وعدة أطباء الغرفة استجابة لصرخته وسرعان ما ظهرت لورا في الغرفة.. وبدأ الأطباء بفحصها... وتبادلوا بضعة كلمات قبل أن يخبره كبيرهم:

_ لقد دخلت السيدة منى في غيبوبة.. ولا ندري هل ستستيقظ منها أم لا.. لقد هاجمها المرض بقوة وشراسة وسرعة.. ولا أستطيع توقع القادم..

خرجوا جميعاً من الغرفة وبقيت لورا فقط.. وحسن يراقبهم بذهول ويشير إلى منى ويردد:

_ لا.. هو بيقول إيه؟.. مش هتفوق تاني!!.. مش هكلمها تاني.. إزاي!!.. بسرعة كده..

وهبط ليركع على ركبتيه بجوار فراشها:

_ لا يا منى.. لسه بدري.. في كلام كتير ما قولناهوش.. في حاجات كتير ما اعتذرتش عنها..

صرخ بقوة:

_ لااااااا.. لا يا منى أنتِ قلتِ مش هتسيبيني.. مش هقدر أحررك يا منى.. ما اقدرش.. ما اقدرش..

دخل في تلك اللحظة مازن تصحبه دنيا.. ولمحا المشهد المأساوي.. حسن راكع على ركبتيه.. ومنى غائبة في عالم قد لا تعود منه.. اندفع مازن نحو شقيقه يرفعه أرضاً وهو يهمس بلهفة:

_ حسن.. حسن..

ما أن سمع صوت أخيه حتى أغرق نفسه بين ذراعيه وهو ينتفض ببكاء مرير.. وما أصعب بكاء الرجال.. عندما يكون عن عجز.. عن فقد.. وحرمان..

همس لأخيه:

ـ خلاص.. خلاص يا مازن دخلت غيبوبة والدكتور بيقول.. بيقول..

لم يستطع إكمال كلامه واستمرت دموعه في الهطول بلا توقف.. فتحركت دنيا وهي تراقب حسن بإشفاق وقد خنقتها غصة مريرة لتمهس لمازن:

ـ مازن.. خده بره عشان يهدى شوية.. وأنا هانتظر مع منى هنا..

وافقها مازن واصطحب شقيقه الذي تحول إلى دمية لا حول لها ولا قوة..

بينما جلست دنيا بجوار منى التي أغمضت عينيها بسلام.. وأخذت تملس على وجهها وشعرها.. فسألتها لورا التي كانت مازالت بالغرفة:

ـ مرحباً.. أنا لورا.. الممرضة المرافقة لمنى..

رحبت بها دنيا وهي تتأملها بتعجب.. بينما أردفت لورا:

ـ أنتِ السيدة دنيا, أليس كذلك؟..

أومأت دنيا موافقة.. لتكمل لورا:

ـ لقد أخبرتني منى عنكِ.. وعن سيدة أخرى تُدعى علياء.. هل تعرفينها؟..

ـ نعم.. أعرف علياء..

تنهدت لورا براحة:

ـ هذا جيد.. فهي تركت لها رسالة معي..

ـ وأين تلك الرسالة؟..

ـ كلا.. أنها رسالة شفهية.. هل يمكن أن تبلغيها أن منى تشكرها كثيراً.. وتخبرها أنها سامحتها منذ زمن..

أومأت دنيا برأسها وقبلت منى على جبينها وهي تهمس:

ـ أنتِ هتمشي فعلاً يا منى.. ودعتِ الكل.. كان نفسي أشوفك قبل ما..

ظلت منى راقدة في غيبوبتها لأربعة أيام كاملة.. ولم تستفق أبداً.. بينما رافقها حسن في كل لحظة ينتظر لدقيقة واحدة.. لحظة واحدة تفتح بها عيناها.. ولكن لم تأت تلك اللحظة..

لم يتحرك كذلك مازن ودنيا من المشفى ووصلت فريدة وصبا التي رمقت دنيا الملتصقة بمازن بعجب شديد.. وأرادت أكثر من مرة أن تسألها عمن تكون.. ولكن الظرف لم يسمح.. وزاد من تعجبها أن لورا تلقبها بالسيدة "العدوي"..

في مساء اليوم الرابع.. دلفت لورا إلى غرفة منى لتغير لها المحاليل المغذية.. وأخذت تراقب حسن وهو جالس بجوارها يتمسك بكفها بكلتا يديه ويهمس:

ـ ارجعي لي يا منى.. لسه حكايتنا ما خلصتش.. لسه الكلام كتير بينا..

قاطعته لورا فجأة بتوسل:

_let .. "اسمح لها بالرحيل.. من فضلك"

her go... plz...._

رفع حسن إليها عيناه باكيتان وحمراوتان:

_ ماذا تقولين؟..

رددت مرة أخرى:

_ من فضلك حسن.. اسمح لها بالرحيل في سلام.. أنها في غيبوبة ولكنها تتألم..

أشارت إلى شاشة المونيتور أمامها:

_ هل ترى هذا؟.. يجب أن أعطيها جرعة المورفين الآن.. أنها تتألم بسبب مرضها وتتألم بسبب ألمك.. لا تكن أنانياً ودعها ترحل في سلام..

تلعثم حسن:

_ ولكن.. ولكن.. هذا.. كيف.. كيف.. لا..

همست لورا:

_ لا تستغل حبها لك ضدها.. واسمح لها بالرحيل..

خرجت من الغرفة وحسن ينظر لمنى بصدمة..

"أنا بعذبك يا منى!.. بعذبك بحبي؟!.. نفسي تفتحي عيونك لحظة واحدة.. لحظة واحدة يا منى.. عايز أقولك أن عمري ما حبيت غيرك ولا بصيت لواحدة غيرك.. عايز أقولك أنا آسف على كل لحظة وكل كلمة آذيتك بيها وعذري أني ما كونتش في وعيي.. لا.. لا.. ده مش عذر.. بس ما كونتش أقصد.. أنا كنت بعذب نفسي.. بضيع نفسي.. وأنتِ نفسي يا منى.. أنتِ أنا.. كنت بغيب عن الدنيا وارجع لك عشان ارجع لدنيتي بين ايديكِ.. سامحيني يا عمري.. يا أحلى حاجة في عمري.."

رفع يديها ليقبلهما وهو يهمس..

"عايزاني أحرقك يا منى؟.. عايزة تسيبيني؟.."

هز رأسه بألم وهو يحبس دموع تحارب للهطول..

"آآآآه.. آآآآه.. شاور هقول حاضر..
حاضر يا منى.. حاضر هفك أسرك.. هنفذ لك
آخر طلب.. خلاص يا منى.. خلاص.. "

هبط بشفتيه ليقبل رأسها هامساً ليرد على
آخر ما همست به قبل أن تغيب عن عالمه..

"محمد رسول الله"..

ظل متمسكاً بكفها وعيناه تسمرت على
وجهها.. ومرت ساعة كاملة قبل أن يعلن
جهاز ضربات القلب سكون قلب طالما نبض
بالحب.. الحب الطاهر البرئ..

تدافع عدد من الأطباء والممرضات إثر صوت
الجهاز ليحاولوا انعاش قلبها عدة مرات..
ولكن فشلت جميع المحاولات.. ليلتفت الطبيب
إلى حسن الذي تجمدت عيناه على المشهد:

ـ آسف.. لقد بذلنا كل المحاولات لانعاش
قلبها ولكن...

قاطعه حسن بإشارة من يده ليصمت..
فأخفض الرجل بصره وهمس:

ـ آسف.. تقبل تعازيّ..

دلف الجميع إلى الغرفة.. ضم مازن شقيقه إليه بقوة بينما ظل حسن على جموده عيناه شاخصة نحو منى فقط.. لا يشعر بمن حوله ولا يرى غير حياته معها مشهد تلو الآخر في شريط قاسي طويل ينتهي ليعود يكرر نفسه من جديد.. كل لحظة حب.. سعادة.. ألم.. قسوة..

"كم كانت الرحلة قصير يا منى.. قصيرة للغاية.. لم أستطع حتى التعويض"..

أيقظه صوت الطبيب يطلب من الجميع الخروج من الغرفة حتى ينتهي طاقم التمريض من عمله.. فخرجوا جميعاً يقدمون لحسن العزاء والمواساة.. وهو يحرك رأسه بلا معنى ولا يستوعب ما يخبرونه إياه.. حتى أخرجته جملة مازن:

- هوضب أنا كل الأمور عشان ناخدها مصر.. عشان.. الدفن..

كانت كلمته الأخيرة خافتة للغاية ولكن حسن شعر بها كطلقة رصاص تخترق أذنيه ليهمس بألم:

ـ ندفنها!.. هتندفن؟!..

ـ أيوه يا حسن.. لازم نرجع.. مش معقول هندفنها هنا.. أهلها كلهم في مصر.. حرام نحرم أبوها وأمها من أنهم يودعوها..

همس حسن بحزم:

ـ أنا مش راجع..

ـ ازاي يا حسن؟.. ده مش كلام..

قاطعه حسن:

ـ مش راجع معاكم.. أنت هترجعها مصر.. أنا لأ.. مش قادر.. مش راجع..

ـ كلام إيه ده يا حسن.. لازم تدفنها وتتقبل العزا فيها..

صرخ حسن بجنون:

ـ أدفنها!!.. أدفنها!!.. أنت متخيل أني ممكن أدخلها قبرها بإيدي.. أهيل على وشها

التراب.. أقفل القبر واسيبها لوحدها وأمشي.. أنت فاهم أنت بتقول إيه.. أنت عارف معنى ده إيه.. عاااااارف..

ضغط مازن على كتفيه:

ـ وحد الله يا حسن.. الصدمة صعبة.. أنا عارف.. ومش قادر أتخيل شعورك.. منى كانت..

عاد حسن يصرخ:

ـ كانت!!.. بتقول كانت يامازن..

ـ يا حسن مش كده..

عاد حسن يردد:

ـ عايزني أتقبل العزا في نفسي يا مازن.. اسمع واحد يقولي دي كانت.. التاني يتحسر على شبابها.. وغيره يفتكر حاجة عنها.. هو أنا نسيت ولا هنسى ولا محتاجهم يقولوا لي على منى ويعرفوني هي مين وقيمتها إيه.. قلبي بيوجعني.. بيوجعني قوي.. أنا انكسرت يا مازن.. ضهري اتحنى.. ضهري اتحنى من غيرها يا مازن.. آآآه يا منى.. آآه.. ليه

طلبتِ أحرقك ليه؟.. عشان أعيش بنارك طول عمري.. طول عمري يا منى..

اقتربت لورا بهدوء من مازن لتخبره أن حسن بحاجة إلى مهدئ على الفور.. ولكن حسن سمعها فصرخ بعنف:

ـ لالالالالالالالالا..

والتفت لها:

ـ لورا.. من فضلك.. أريد وداعها.. فقط سأودعها..

هزت رأسها بيأس:

ـ دقيقة واحدة فقط يا حسن..

اتجه سريعاً نحو الغرفة ليرى منى ممددة على فراشها وقد لفت في ملائتها البيضاء كشف الغطاء عن وجهها وهو يهمس:

ـ بحبك يا منى.. عشت أحلى أيامي معاكِ.. عارف أني ظلمتك وجرحتك وغربتك.. بس والله حبيتك.. انت أهلي.. أبويا وأمي.. انتِ بيتي وأماني يا منى.. حسن من غيرك ضايع.. ضايع يا حبيبة العمر كله..

حركت لورا يدها على كتفه تتعجله حتى لا يسبب لها مشكلة.. فطبع قبلة على جبهة منى وهمس:

ـ لا إله إلا الله.. لأول مرة بقولها وعارف أنك مش هتردي يا منى.. لا إله إلا الله..

خرج مسرعاً من الغرفة وتوجه نحو مازن هامساً:

ـ أنهي كل الإجراءات وانزل بيها مصر يا مازن.. وخد بالك منها..

أومأ مازن وقد بدأت دموعه تسيطر عليه وسأل حسن:

ـ أومال إنت هتروح فين؟..

هز حسن رأسه بضياع:

ـ مش عارف.. مش عارف.. أول ما أعرف هكلمك..

ابتعد بسرعة تحت انظار الجميع.. ثم عاد لمازن هاتفاً:

ـ مازن..

ـ أيوه يا حسن..

تردد للحظة:

ـ نيرة ما تحضرش العزا..

ـ حاضر يا حسن.. حاضر..

كرر حسن مرة اخرى:

ـ وعد يا مازن؟

أومأ مازن:

ـ وعد يا حسن..

بعد عدة ساعات طويلة هبطت الطائرة في مطار القاهرة وهم على متنها.. وأنهى مازن جميع الإجراءات بسهولة معتمداً على اسمه واسم والده الذي أرسل له من يسهل تلك الإجراءات.. ربما هي صحوة ضمير متأخرة نوعاً ما.. وربما ظن أن ابنه البكر سيعود تحت جناحه أخيراً..

كم كان واهماً.. فما أن خرج مازن من المطار وفتح هاتفه حتى وصلته رسالة نصية من حسن تقول..

"مازن.. أنا اتجوزت لورا وهستقر في باريس"..

الفصل الخامس والعشرون

في الحب لا توجد تفاصيل..

الحب اثنان..

حرفان..

أنا وأنتِ..

حسن و...

مهلاً..

أين أنتِ؟!

جاء الحب اقترنت بلا شيء!

بل ربما حرف وحيد..

حسن وحيد..

هل تعلمين أنكِ امرأةً مخادعة؟

نعم.. مخادعة واخترتِ الهروب

أترحلين؟!

قبل أن أسرد جميع تفاصيل عشقك..

أتهربين؟!

قبل أن أنهي الدرس..

تُراكِ نسيتِ..

كان لدي درس..

بل مجلدات ولم أنهِ منها سوى كتاباً واحداً!

بالأمس اخترت بقعة سحرية..

أسطر فيها عشقي نحوك..

لا ليس فوق كتاب ولا أوراق..

هي مجرد خيالات مؤلمة..

هل تعلمين أنني اشتهيتك بالأمس؟!

نعم اشتهيتك..

بكل ما تحمله الكلمة من عبث..

حمقاء!!

لا زلتِ خجلة وحتى أنتِ بين براثن الموت!

لا زلتِ حية تنبضين في صدري..

لا زلتِ هنا وهنا..

وأفعل المستحيل كي ترحلين..

ولكنكِ امرأة قاسية..

لا ترحلين..

في الحب مؤلمة هي التفاصيل..

لحرف واحد دون اثنين!!

خاطرة الفصل بقلم:

مروة جمال..

اتكأ يزيد بكتفه على مدخل المطبخ يراقب علياء التي وقفت حافية القدمين ترتدي ذلك الثوب الفضفاض الذي وصل إلى ركبتيها بالكاد..
كانت ترفع إحدى ساقيها تداعب بها الأخرى وهي تلعق ملعقة المربى باستمتاع أشعل الدماء في عروقه.. أراد الاقتراب, ولكنه يعلم أنها غاضبة.. فتواجده يكاد يكون منعدماً منذ عودتهما من رحلة المعمورة مع مازن ونيرة.. وعندما وصل الليلة الماضية وجدها تنام وسط أولادها بغرفتهما.. وكأنها ترسل له إنذار بعدم الاقتراب.. وكأن الصغيرة أدركت مكر النساء وبدأت تعاقبه به..

ولكنه عاجز عن تغيير الوضع في الوقت الحالي على الأقل.. ريناد بدأت المتابعة مع طبيب جديد.. وأدوية جديدة.. وأنظمة ومواعيد جديدة.. وهو لا يستطيع التخلف عن كل هذا.. هي تريد طفلاً.. ولا يستطيع إنكار حقها بأن تصبح أماً.. وهي غير مقتنعة.. وغير مكتفية بما يقوم به.. أكثر من ثلاث سنوات.. دارت فيهم على جميع أطباء

الخصوبة.. في مصر وخارجها.. والكل أجمع على سلامتها الجسدية.. والسبب الأرجح لتأخر الحمل هو التوتر الشديد.. ليظهر أمل كما تقول هي مع الطبيب الجديد.. والذي تطلب منه التواجد المستمر معها.. والابتعاد الإجباري عن علياء.. وهو ما يغضبها.. بشدة.. ولكنه لا يمتلك حكمة لقمان ليتمكن من مراضتهما سوياً.. ولا صبر أيوب.. حتى يبتعد عن علياء أكثر...

اقترب منها حتى التصق بها، أحاطها بذراعيه.. وجمع شعرها_الذي استطال في السنوات السابقة ليصل إلى منتصف ظهرها_ جمعه على كتف واحد ليكشف عن كتفها الآخر الذي انزاح عنه طرف الثوب.. ليطبع قبلات دافئة على كتفها.. وجانب عنقها.. هامساً:

ـ صاحبة بدري؟!..

حاولت التملص من بين ذراعيه ولم تنجح سوى في الاستقرار بين ذراعيه أكثر وأكثر..

وهو مستمر في توزيع قبلاته التي أصبحت أكثر عمقاً ونهماً..

تناولت ملعقة مربى أخرى قبل أن تجيبه بخفوت:

- عايزة أروح المستشفى لنيرة بدري..

كان يمرغ أنفه في جانب عنقها باستمتاع ويتشمم خصلاتها بهوس تقريباً.. وهو يهمس:

- يعني ما ينفعش تتأخري شويه؟..

أجابته بغضب مكتوم:

- طبعاً ما هو كله تبع مزاجك وكيفك!

همس بخشونة وهو يلفها لتواجهه:

- علياء.. أنتِ عمرك ما كنتِ أنانية.. ليه..

قاطعته تحاول التملص من بين ذراعيه ولكنه لم يكن ليفلتها:

- بس أنا زهقت.. أنت عارف بقى لك قد إيه غايب.. وكله على دماغي..

التهم باقي جملتها بين شفتيه بقبلة مشتاقة وهمس أمام شفتيها:

ـ طب ما وحشتكيش..

دفعته بضعف وبالطبع لم يتزحزح:

ـ ابعد.. كده هتأخرني.. كفاية إني بسيبها تبات لوحدها.. بناء على أوامرك..

أجاب بخشونة:

ـ مش هتقضي ليلة واحدة بره البيت..

ثم تغيرت نبرته بفعل معجزة ما لشقاوة عابثة:

ـ إلا لما تولدي.. بالمناسبة صحيح.. مربى إيه دي؟..

وعاد لتقبيلها مرة أخرى حتى يتأكد بنفسه من نكهة المربى.. وهي بادلته قبلاته بقلة حيلة.. تريد أن تأخذ موقف حاسم منه مرة واحدة.. ولكنه في كل مرة يكتسحها.. وينسيها غضبها وأسبابه.. ينسيها زمانها وما يحيط

بها.. حاولت مرة أخرى التملص منه وهمست بتوسل:

ـ يزيد.. إعقل الله يخليك.. أم علي..

همس أمام شفتيها:

ـ هي فين؟..

سألته بلوم:

ـ لسه فاكر تسأل دلوقت.. أنت ناوي تفضحني معاها.. وإيه ده؟.. كمان مش لابس جاكت البيجامة؟..

سألها بعبث:

ـ أنتِ لسه واخدة بالك؟.. إيه اللي كان شغلكِ!

خبطته بقوة على ظهره فتظاهر بالألم:

ـ آآه.. بقيت قاسية يا فراشتي..

أحنى رأسه ليعاود تقبيلها, ولكنه توقف في منتصف المسافة ليسأل بتوجس:

ـ هي فين صحيح؟..

هزت كتفها بدلال:

ـ راحت السوق..

رفعها بين ذراعيه ليهتف:

ـ وقاعدة تضيعي الوقت في الكلام..

استمر بتقبيلها ورفعها بين ذراعيه ليمددها برفق فوق العارضة الرخامية وهو يسألها بعبث:

ـ فاكرة.. اليوم ده.. والرخامة..

هتفت بحنق:

ـ يزيد.. نزلني.. الولاد.. أم علي..

قطع كلماتها بقبلاته المجنونة كعادته.. يسحبها معه في دوامته ولكن تلك المرة شعر هو بمن يجذبه من سرواله:

ـ بابا.. زيد.. بتعمل إيه؟..

نظر لأسفل ليفاجئ بعلي ابنه ينظر إليه بدهشة وتساؤل عما يفعله بأمه فوق العارضة الرخامية.. بينما أكمل علي ببساطة وهو يشب على قدميه حتى يرى علياء التي كانت ذراع يزيد تمنعها من الجلوس:

ـ ماما.. لولو.. عايز كورن ليكس..

تملصت علياء من ذراع يزيد التي تكتف حركتها وهي تتمتم غاضبة من الموقف المحرج الذي وضعها به، وتحاول السيطرة على الدماء التي تتصاعد إلى وجنتيها لتفاجئ بدخول أم علي إلى المطبخ وهي تشهق عالياً:

ـ هو أنت ما تسمعش عن أوض النوم والسراير!!.. في المطبخ يا...

وسكتت لتكمل بخفوت شديد:

ـ يا مفضوح..

رفع علياء بين ذراعيه وهي تحاول التخلص منه ولكنه منعها على الفور وهتف بأم علي:

ـ فطري علي.. ومش عايز أسمع ولا كلمة..

واتجه على الفور إلى غرفته وهو يحمل علياء.. دخل وأغلق الباب بقدمه.. ليلتفت لها ويأخذها بين ذراعيه مرة أخرى..

حاولت معاتبته ولكنه لم يتح لها الفرصة وهو يهمس لها بشوقه الكبير لها..

وبعدما ارتوى قليلاً من نبعها الذي لا ينضب..

همس لها:

ـ طلعت مربي توت..

ابتسمت برقة وهي تلومه بغضب مفتعل:

ـ كده أم علي تقول علينا إيه!..

دس رأسه في تجويف عنقها هامساً:

ـ الدكتورة قالت لك إيه؟..

دفعته بقوة وابتعدت عنه وذهبت لتجلس على الأريكة واضعة ساقاً فوق أخرى وقد نسيت ردائها القصير.. وهتفت به بحنق:

ـ لو كنت مهتم كنت جيت معايا..

تحرك ليجلس على الأريكة ويجذبها لتستقر على ركبتيه:

ـ وبعدين بقى.. علياء.. طيب أراضيكي إزاي بس..

هزت كتفيها بدلال أنثوي اكتسبته مؤخراً دفعه ليقربها منه هامساً:

ـ هو إحنا هنوصل لمرحلة البرفيوم امتى؟..

كتم شهقتها بقبلته.. ولكن لو كانت علياء تضيع وسط عاطفته.. فمنزله أصبح مليئاً الآن بمن يمكنه هدم لحظات جنونه ودفعه للتعقل.. وكانت تلك المرة الصغيرة نادية التي دخلت عليهما الغرفة وهي تمسك الهاتف بيدها الصغيرة وتتحدث مع المتكلم بود:

ـ زيد هنا.. مع لولو.. بيديها سكر.. سكر.. بيبوسها..

وأطلقت ضحكة طفولية بريئة غافلة عن نظرات والدها المذهول وعلياء التي تحول وجهها إلى لوحة من الألوان... من الأحمر القرمزي, إلى الوردي, وأخيراً الأصفر الشاحب عندما أجاب يزيد عن الهاتف لتسمعه يهمس:

ـ مين؟.. مااااااااازن!!..

قطع شهقتها المحرجة هتاف يزيد:

ـ لا حول ولا قوة الا بالله.. إنا لله وإنا إليه راجعون.

****

....

استقرت دنيا بين ذراعي مازن.. رأسها على صدره.. أنامله تداعب شعرها بحركة رتيبة.. رغم الإجهاد الذي تصرخ به خلايا جسديهما، إلا أن النوم يجافيهما..

مازن تبني حالة من الصمت المذهول بعد تلقيه رسالة حسن.. ولم يفتح الموضوع معها ثانية.. بينما تدبر أمر إجراءات الدفن وطقوس العزاء..

أدار الأمر بمهارة كعادته.. واسى أب مكلوم.. وقدم تعازيه لأم ثكلى.. اعتذر عن حضور شقيقه.. وبرر ذلك بانهيار أعصابه واحتجازه بإحدى مشافي باريس.. كذبة حمقاء.. ابتلعها والدي مني بدون تساؤل.. فبداخلهما يدركا عجز حسن عن مواجهتهما.. وقد منحاه طفلتهما كزهرة يانعة في ثوب زفافها الأبيض ليعيدها إليهما ملفوفة بكفنها.. يدركا أن لا ذنب له.. ولكن يجب أن يكون هناك من يتحمل وزر كل مأساة تلم بنا.. تلك إحدى قوانين الحياة.. حتى لو كان قانوناً بلا معنى..

لا تنكر أن يزيد كان نعم الصديق.. جاور مازن في كل خطوة.. تقبل تفسيره عن غياب حسن_وقد أخبره الحقيقة_ بصمت تام.. لم يزعج مازن بتساؤل بلا معنى.. علياء كانت موجودة أيضاً.. تبدو جميلة بصورة غير اعتيادية.. استطاعت بحنانها الفطري احتواء والدة منى ومواساتها ولو قليلاً.. إلا أنه رغم كل النضوج الذي بدا أنها اكتسبته لم تستطع إخفاء دهشتها من وجودها هي..
"دنيا"!!!..

لا تنكر أنها تتعجب من إصرار مازن على الظهور برفقتها.. هناك في باريس أمام صبا وفريدة.. وفي عزاء منى أيضاً.. لا تدري_للمرة الأولى_ فيما يفكر.. ويخطط.. رغم تفهمها لعدم إخباره لنيرة بوفاة منى, بل أنه لم يخبرها بعودته من الأساس.. ولم يكن السبب وعده لحسن فقط.. حاستها الأنثوية أخبرتها أن نيرة لن تستطيع مواساته كما ينبغي.. كما يريد.. تتفهم ذلك.. كما تتفهمه دائماً.. وتستطيع معرفة ردود أفعالة حتى قبل أن يفكر بها..

شعرت بتوقف حركة أنامله في شعرها فرفعت رأسها قليلاً.. لتراه أغمض عينيه.. طبعت قبلة رقيقة على جبينه.. وتحركت من الفراش لترتدي روباً خفيفاً وتذهب لتحضير كوب من اللبن الدافئ.. علّه يساعدها على النوم..

كادت أن تخرج من الغرفة حين استوقفتها صورتها المنعكسة في المرآة..

وقفت تتأمل نفسها قليلاً.. مازالت تتمتع بذلك الجمال الوحشي.. تحسست ملامح وجهها بإجهاد.. وهي تميز ظهور بعض التجاعيد الخفيفة.. الزمن بدأ يترك بصماته.. وستمر السنوات سريعاً وستتزايد تلك البصمات بسرعة أكبر.. لا تخيفها تلك التجاعيد, بل تخيفها الوحدة.. أن تنتهي وحيدة.. ألا تترك أثراً ورائها..

اسمها كأشهر مصممات الأزياء!..

الآن.. لا تعده شيئاً أمام رغبتها الجامحة لتكون أم.. نعم أم.. رغبة لم تظن أن تراودها يوماً.. ولكنها أصبحت الآن هاجساً مسيطراً عليها بقوة.. وما مرت به في

اليومين السابقين.. وفاة منى.. المرأة الشابة المليئة بالحيوية.. التي انتهت.. بلا أثر.. لم تبقِ ورائها شيئاً إلا ذكرى في قلب عاشق قرر أن يتناسى تلك الذكرى ولو كانت روحه الثمن.. كل تلك الأمور تدفعها دفعاً للاستجابة لرغبة الحياة.. تريد طفلاً.. طفله.. وبداخلها تعلم أنها لن تستطيع الاحتفاظ بالاثنين معاً.. الرجل والطفل.. عليها مواجهة نفسها.. مصارحة قلبها بما تهربت منه كثيراً.. عليها الانسحاب كما أخبرته يوماً.. فهي بكل حماقة الأنثى وقوتها سقطت في حبه.. عليها مصارحته والانسحاب.. ولكن قبلها.. عليها أن تسأله.. فهي لا تتحمل أن يكون لطفلها أباً غيره..

رأت صورته تنعكس أمامها في المرآة وهو يلتصق بها من الخلف.. يضمها إليه بقوة وهو يطبع قبلة خفيفة جنب أذنها ويهمس لها:

_ زي القمر..

ابتسمت برقة وهي تسأله بشك:

- فعلاً!!

قبلة رقيقة أخرى على عنقها صاحبها سؤاله:

- في إيه يا دنيا؟.. أنتِ مش طبيعية..

التفتت له وهي تضم نفسها له.. وتضع رأسها على كتفه:

- وهو في إيه في الدنيا طبيعي!..

علم أنها تشير إلى وفاة منى وزواج حسن السريع.. فدس أنامله في خصلاتها ليرفع لها رأسها:

- غريب أنك بتقولي كده.. مع أنكِ شرحتِ لي تفهمك لسبب جواز حسن السريع..

- أتفهمه شيء.. وأنه يسبب لي الغضب شيء تاني..

حاول أن يتكلم فوضعت أناملها على شفتيه لتمنعه هامسة:

ـ مش هقدر أتكلم عن حسن ومني.. لأني عاوزة أكلمك في موضوع تاني..

وضع ذراعه فوق كتفها واصطحبها ليجلسا سوياً فوق الفراش.. أراح جسده إلى ظاهر الفراش وثنى أحد قدميه وبسط الأخرى وجذبها لتجلس بينهما فالتصق ظهرها بصدره.. وارتكز بذقنه على قمة رأسها وتنهد هامساً:

ـ أيوه كده.. دلوقتِ نقدر نتكلم.. بس وأنتِ في حضني..

ابتسمت وهي تترك نفسها له لترتاح على صدره.. وتتساءل بداخلها.. إذا كان يدرك ما بها بالفعل.. ولهذا يبقيها بين أحضانه.. تعلم تشبثه بها.. هل يحاول أن يجعل الأمر أكثر صعوبة مما هو..

خيم الصمت عليهما لعدة دقائق.. اكتفت فيها بالإمساك بكف يده وتوزيع قبلات رقيقة عليه.. وأخيراً همست له:

ـ أنت إنسان جميل يا مازن..

قاطعها:

ـ دنيا.. أنا..

التفتت له لتضع أناملها على شفتيه مرة أخرى:

ـ أنا بحبك..

راقبت اتساع عيناه ذهولاً من اعترافها.. ثم ارتسم الذهول والغضب على كل ملامحه وهي تكمل:

ـ لازم ننفصل..

انتفض لينهض من الفراش بينما استندت هي على ركبتيها لتتمسك بكتفيه قبل أن يبتعد وتحيط صدره بذراعيها:

ـ مازن.. أرجوك افهمني..

التفت لها يهتف بغضب:

ـ أفهم إيه!.. بتحبيني وعاوزة تنفصلي في نفس الجملة.. وفي اكتر ليلة أنا محتاج لك فيها..

نزلت من فوق فراشها ومازالت ذراعيها تحيط بعنقه وهمست:

ـ لأن دي أكتر ليلة أنت محتاج فيها تسمع الحقيقة مني.. أنا بحبك يا مازن.. حبيتك.. امتى وازاي؟.. مش عارفة.. أنا أخدت عهد على نفسي.. على قلبي.. أنه يبعد عن الحب.. يهجره.. لكن أنت.. أنت من غير ما أحس.. وضد إرادتي اقتحمت قلبي.. دخلت تحت جلدي.. بقيت بتسري في دمي..

أغمض عينيه وهو يسمع اعترافاتها الصادقة.. لقد كانت محقة.. هو بحاجة لسماع ذلك.. سمعها تكمل:

ـ يمكن وفاة منى أجبرتني إني أواجه نفسي.. العمر قصير.. الحياة بتجري.. لا.. دي بتتبخر.. وممكن أموت في لحظة..

أسكتها بقبلة نهمة تركتهما يلهثان معاً.. وأكملت:

ـ أنا كنت محتاجة إني أقولك إني بحبك.. زي ما أنت بالظبط محتاج انك تسمعها..

امسك وجهها بكفيه متسائلاً بحيرة:

ـ ومع الحب ده كله.. بتطلبي الانفصال؟!..

أومأت لتهمس بألم:

ـ أنا قلتها مرة يا مازن.. يوم ما هبدأ أغير من نيرة.. يبقى هنسحب من حياتك.. ودلوقتِ..

هزت كتفيها بعجز.. ليهتف هو بتوسل:

ـ دنيا.. أنا ما اقدرش..

لم يكمل جملته بل التهم شفتيها بقبلة مفترسة.. شرحت عنه حاجته اليائسة لها.. تركت شفتيها له.. جسدها.. ومن قبلهما روحها وقلبها.. سلمت راياتها واحدة بعد الأخرى وهي تعترف لها بالسيادة الكاملة...

شعرت به يحملها ليضعها فوق الفراش بنعومة.. فاعتدلت جالسة وهي تبعد خصلاتها عن وجهها وتضع يدها على صدره لتوقف اقترابه وتهمس:

ـ مازن.. أرجوك.. اسمعني للآخر..

هز رأسه رافضاً:

_ مش عاوز اسمع كلمة انفصال.. أنا بخطط من مدة أني أعلن جوازنا..

قاطعته والكلمات تجري على لسانها بلا إرادة منها:

_ أنا عاوزة أكون أم يا مازن.

هتف بغضب:

_ عايزة تطلقي عشان....

قاطعته حتى لا يجرحها بكلمات لا يقصدها:

_ عاوزة يكون لنا طفل يا مازن.. عاوزاك توافق أنك تكون أب.. لطفل لنا إحنا الاتنين..

أغمض عينيه.. لا يستطيع تصديق أذنيه.. انها تتوسله طفل.. تحتاج طفله هو.. تريده أن يجعلها أم.. ويعلم أنها ستكون أم رائعة.. مجنونة قليلاً ربما.. ولكنها مذهلة.. وصالحة..

اقترب منها برغم منعها له وأمسك بوجهها بين كفيه وهو يهز رأسه بالموافقة فقد منعته

قوة مشاعره من الإجابة.. بينما همست هي له بتوسل:

ـ وبعد الولادة.. هنتطلق..

****

فتح حسن عينيه ببطء.. رمش عدة مرات يحاول إدراك ما حدث ويحدث.. يعلم أنه مستلقي على فراش ضيق.. فراش غريب.. جدران ذات لون أزرق فاتح جداً.. سجاد وستائر في غاية الفخامة بلون أكثر زرقة..

أين هو؟.. كيف وصل إلى هنا؟.. أين ومتى وكيف؟.. كلها كانت أسئلة بديهية.. لكن لا إجابة في عقله المشوش..

اعتدل جالساً وتلفت حوله عدة مرات.. محاولاً بضراوة التذكر.. لكن .. لا شيء.. ذاكرته صفحة بيضاء تماماً..

صفحة تلوثت بالسواد.. بل تلطخت به.. تمزقت وتبعثرت وتناثرت قصاصتها.. عندما دوى في ذهنه السؤال الأهم؟..

مَن؟..

مَن أنت بدونها؟.. لا شيء.. قلب مبعثر بلا معنى.. بلا هدف.. روح هائمة.. ضالة وضائعة.. دائماً كانت هي الأقوى.. الأشجع.. للنهاية.. اختارت الرحيل بشجاعة.. بشموخ وكبرياء كما اعتاد منها.. لم تضعف ولم تنحني للمرض.. فقط.. اختارت الرحيل قبل أن يزداد العذاب فلا تتحمله روحها البريئة, أو فليقُل.. قُدِر لها الرحيل بكبرياء.. واستجابت دعوتها.. بألا يزداد العذاب.. فالمرض هاجمها بسرعة وشراسة كما أخبرته لورا..

لورا!!!..

لقد سطعت الإجابة في رأسه على الفور.. كانت لورا هي إجابة تساؤلاته العصية..

مد يده يلتقط علبة سجائره ليشعل إحداها, ومع شعلة اللهب البسيطة للقداحة هاجمته ذكريات ثلاثة أيام مضت.. ثلاثة أيام وهو يعيش الغيبوبة..

غيبوبة رمادية.. قاتمة.. بلا ملامح.. مشاهد وصور هلامية تتكاثف في عقله ليسترجع

أحداث أيامه السابقة.. وكيف انتهى به الأمر بفراش لورا..

فبعد أن ترك المشفى هائماً على وجهه.. لم يحتمل الابتعاد.. لم يستطع.. فتهالك على أقرب مقعد خارج المشفى.. يراقب مدخله.. ينتظر آخر نظرة.. وآخر وداع.. مرت ساعات تجمد بها على وضعية واحدة.. عيناه شاخصة لباب المشفى.. ويداه تعدلت بجواره.. وقد ابتل حتى عظامه.. فالمطر لم يكف عن الانهمار وكأن السماء تبكيها بدلاً منه..

فدموعه تحجرت في مآقيه تأبى الهطول.. وكأنه ذرف كل ما يملك منها.. وكأنه يخشى أن يبكي مجدداً فيتأكد أنه يعيش حقيقة.. وليس كابوس قاتل..

دقائق من جحيم عاشها وهو يلمح سيارة الإسعاف تتحرك بها.. وخلفها سيارة فريدة.. لم يهتم بمن في السيارة.. فقط شعر بروحه تنتزع انتزاعاً لتحوم فوق منى لتصاحبها في رحلتها الأخيرة.. قلبه رحل معها.. لقد

ناشدته تحرير قلبها.. ولكن ماذا عنه هو؟.. من يمنحه الخلاص؟.. من يريح ذلك الألم؟..

ألم!!.. إن أقل ما يشعر به هو الألم.. هو كالطائر المذبوح.. ولكنهم أساءوا ذبحه.. فلم يمت.. ولم يحيا أيضاً.. بقي على خط رفيع بين الحياة والموت.. عاجزاً عن التعبير حتى عما يشعر به فقط دمعة وحيدة.. ثقيلة.. جرحت جفنيه وهطلت بقوة.. لينتبه على يد رقيقة تربت على كتفه.. وبطرف عينه لمح لورا

تجلس بجانبه وقد أمسكت بمعطف واقي من المطر تعرضه عليه..

هز رأسه رافضاً.. فهو يريد برودة تلك الأمطار.. يحتاجها.. بل يسعى إليها.. فقد تجمد مشاعره.. وقد تحييها..

وصله صوت لورا الهامس:

_ حسن.. لماذا لم تسافر معها؟..

رمقها بنظرة مذبوحة ليهمس بالعربية وهو يشير إلى صدره:

ـ هي هنا.. ما بعدتش.. ولا عمرها هتبعد..

أومأت برأسها لتوضح أنها فهمت كلماته..
وأخبرته بشرود:

ـ قصتكما رائعة.. أنت عاشق متفاني حسن..

أجابها بالعربية مرة أخرى:

ـ هي اللي عملت مني عاشق.. أنا زعلتها كتير.. وأذيتها كتير.. مش حكيت لك وصورتني بطل، لكن الحقيقة.. أنها هي.. هي مش..

غص بكلماته ولم يستطع إكمالها، ولم يتمكن من البكاء أيضاً.. ما بال تلك الدموع تعانده بحماقة..

صمت خيم عليهما طويلاً.. لتقطعه لورا بشهقة حزينة:

ـ حسن.. أنت مبتل تماماً.. هيا.. تعالى معي.. سأدعك تبقى في غرفتي بالمشفى حتى انتهي من مناوبتي..

مدت يدها لتساعده على النهوض وهي تتخيل أنه سيقاومها ولكن لدهشتها وجدته يتحرك

معها بسهولة ويسر.. اصطحبته إلى غرفتها.. وهناك عرضت عليه أن يبدل ملابسه وينام حتى تأتي إليه...

غابت عدة ساعات.. وعادت لتجده على حاله كما تركته.. جالساً على الفراش.. يبدو كتمثال حجري بعينيه الساهمتين الشاردتين.. وهو ينظر إلى اللاشيء..

اقتربت منه ببطء وجلست إلى جانبه تهمس بعربية ضعيفة:

_ حسن.. ليه مش تنام؟..

ظل على وضعه.. ولم يبدِ أي رد فعل.. فاقتربت منه أكثر تداعب شعره بأناملها وهي تهمس بجوار أذنه:

_ حسن..

كانت همستها خافتة.. واقترابها بطئ ولكنه موحي.. شفتيها تحركت على صدغه ببطء وإغراء شديد.. قبلات صغيرة دافئة.. عناق حنون.. رأسه يرتاح على كتفها براحة.. يدها تتحرك ببطء على ظهره تقربه منها.. ثوانٍ وكانت تداعب بشرة ظهره وكتفيه بعد أن

خلصته من قميصه.. كانت تريد منحه الراحة.. السلام.. ولم تعرف سبيلاً آخر سوى ذلك.. قبلاتها توزعت على وجهه حتى وصلت لشفتيه.. وهو لم يقاومها.. تجاوب معها.. بضعف في البداية.. ثم بقوة.. ضراوة وشراسة.. بيأس جعله يستلقي فوقها ويلتهمها بشراهة.. بعنف.. عنف تألمت منه بضعف فانتفض كالملسوع.. ليبتعد عنها وهو يدرك ما كاد أن يحدث..

ابتعد قليلاً عن الفراش وكانت شفتيه تردد بهمس..

"آسف"..

ولكن لورا لم ترد اعتذاره.. أرادت منحه الراحة.. السلام.. لذلك العاشق المكلوم.. تريد مواساته.. وتلقي دموعه بين ضلوعها.. ذلك الفارس العاشق لا يجب أن يترك مهجوراً.. محروماً.. ومنبوذاً بعيد عن الجميع..

نهضت من الفراش وهي تقترب منه ببطء وتمنعه من ارتداء قميصه هامسة:

_Hassan ...plz ... I know what i'm doing ... I want to be with you.

نظر حسن إليها بيأس.. عاجز عن اتخاذ قرار.. هل يجاريها ويخسر ذاته معها.. هل بقي من حسن شيء بعدما فقد قلبه؟..

أغمض عينيه بألم.. ليجدها تحاول تقبيله مرة أخرى.. قبلة.. وأخرى.. وأخرى..

ليهمس بضياع:

_marry me ...marry me , Loraa ..now!...

حاولت لورا الاعتراض.. ولكنه اقترب هذه المرة ملتهماً شفتيها بعنف:

_ أرجوكِ..

همسها كمن يلقي بنفسه من جرف عالٍ.. كمن أراد الخلاص من حياته.. أنه ظالم.. يظلم لورا.. يظلمها وهو يتزوجها ليموت بين ذراعيها.. لن يستطيع قتل نفسه.. يعجز عن الانتحار الفعلي.. لكن بمكنه قتل ألمه.. أن ينسى..

وهل يستطيع نسيانها؟.. كلا.. فلينسى فقدانها.. مستحيل آخر.. كيف يتجاهل ذلك الخواء بداخله.. دوامة سوداء تبتلعه ببطء..

وبقدر عجزه عن مقاومة الغرق بها بقدر عجزه عن مقاومة النجاة منها..

فلينسى أن يتذكر.. ليستخدم ذراعي لورا.. وشفتيها.. وجسدها.. كممر للهروب.. الهروب من الذكريات.. الهروب من الضياع بضياع آخر..

ضياع استمر إلى الآن لثلاث أيام طويلة.. ثلاثة أيام لم يسمح لها فيهم بالابتعاد عنه.. يسكر بخمر شفتيها ويغيب عقله في

طيات شعرها.. يضيع جسده معها كما أضاع قلبه مع منى..

وقفت بباب الغرفة تتأمل شروده.. تعلم أنه غارق مع غيرها.. ولكنها ستنتظره.. ستطهره من ذلك الحزن القاتل لتنال جائزتها.. فارسها العاشق الذي سقطت غارقة في غرام عينيه منذ اللحظة الأولى.. لقد أحبته حتى أنها صلت لتعيش منى.. لتجنبه وجع القلب.. فهي تدرك أنه ضائع بدون محبوبته.. تدرك أنه سيتشبث بها بخوف طفل يحتمي بأمه.. وسيرفضها بقوة عاشق ينتمي لامرأة غيرها..

انطلقت بدون إرادة منها همسة عاشقة:

..I love you Hassan ...

فاجأته.. بل صدمته.. فقد أدخلت قلبها في المعادلة.. وهذا ما لم يضعه في حسبانه..

****

استعجلت الرحيل ياعمري
فما زلت لليوم أذكر نفسي
أن حب عمري قد أصبح
حلمي
وأضحى بين يدي عشقي
وأمسى ذكرى تتلاحقها الدموع
أتتركيني ها هنا أبكي على ضحكة
وأذكر منك تلك الكلمة
ويناديك ذلك الخافق الرابض في صدري
أيا روحه.. أيا نصفه
أيا دمي الذي يضخه قلبي
عبر شرياني

ليصب في قلبك
فبالله عليكِ قولي أنني
أحلم
وسوف أصحى مفزوعاً
وتصحين لتلميني في حضنك
وتهديني ترنيمة عشق
بأنني هنا أسكن في صدرك

الخاطرة الأخيرة

بقلم: نداء الحق

الفصل السادس والعشرون

الاحتياج

اجتياح كل العوائق والمسميات

يتسلط على العقل ويلغي الفؤاد

بسمتك.. نظرتك.. لمستك.. قربك

وجودك بجواري في الحياة

أنت دون الجميع أشعر معه بالضعف والاحتياج

رغم قوتي أدنو إليك باحتياج

تكمل الناقص والمطلوب دون تعقيدات

انصهار.. ذوبان.. إغداق.. نشوة.. متعة.. رغبات

نصفي الغائب وتفصل بيننا الظروف والمسافات

ولكنه الاحتياج يتحدى المستحيلات

معك أنسى الواقع والحاضر وكل ما هو آت

معك أهزم العالم وأقبل كل الإستثناءات

أخضع وأرضى وأتحول لكتلة احتياج

مشتعلة لا يطفئها إلا نيرانك المستعرة

ليكون الجنون في أغرب الحالات

خاطرة الفصل بقلم

إيمان حسن

ظل مازن جالساً بسيارته يتأمل مدخل الفيلا لفترة طويلة.. خلف تلك الجدران يكمن حب حياته.. حلمه الذي ظن لوهلة خاطفة أنه حققه، وأمسك به بين يديه.. رفيقة طفولته.. حلم صباه وهوس شبابه.. جمع معاني الحب كلها باسمها.. نيرة.. ولكنها ظلت حلم.. سراب.. أمل كان يخفت على مر السنين، ولكن في لحظة أصبح هو فارسها ليتوهج ذلك الأمل من جديد.. فخدع نفسه لفترة بكونه حبيبها.. لتصدمه بحقيقة أدركها قلبه العاشق منذ الأزل.. فهي قد تكون حبيبته الوحيدة..

ولكنه لم ولن يكون حبيبها أبداً.. وصرختها السعيدة بخبر مرض منى كانت صفعة قوية على وجه زواجهما هش الأسس..

"يعني منى عيانة وهتموت!"..

صرختها بفرحة طاغية.. لتنتبه لصدمته القاسية.. ولم تنتبه لقسوتها.. أو نبرة الشماتة بصوتها.. يومها نظر إليها مطولاً وكأنه بالفعل يراها للمرة الأولى على حقيقتها، فبرغم كل مساوئها التي يدركها ويتعامل معها، بل أنه بطريقة ما أحبها..

لكنه لم يتخيل يوماً أن تشمت وتفرح بموت إنسانة.. لقد شعر بالاشمئزاز منها، بل من قلبه لأنه أحبها يوماً..

جاءت رغبة حسن بعدم حضورها عزاء منى كقشة إنقاذ تمسك بها حتى لا يرى فرحة عينيها.. فرحة يتوقعها ويخشاها..

زفر بحنق وهو يتذكر أن عليه الآن أن يخبرها بموت منى، ليس ذلك فقط بل بوجود دنيا في حياته.. وجود لن يستغنى عنه ولن يخسره.. بل سيدعمه بموافقته على إنجاب دنيا لطفله، طفل ترفض نيرة وبإصرار إنجابه ولا يحق لها الاعتراض على رغبته في ممارسة أبوته بعيداً عنها..

يكاد يتخيل ردة فعلها.. صراخ وزعيق واتهامات متوالية بالخيانة والظلم والقسوة.. ستعاني صدمة حتماً وقد تحطم البيت فوق رأسه حرفياً.. ولكنها لن تنسحب.. يعرفها جيداً ليدرك أنها ستواجه.. وستحارب.. ليس من أجله للأسف، بل من أجلها هي.. من أجل نيرة.. ابتسم بسخرية لنفسه.. نعم.. لقد

تعلم الدرس.. فنيرة لا يهمها إلا نيرة..
تحارب وتقاتل وتهاجم وتدافع فقط عن
نفسها.. حتى كرهها توجهه لنفسها ولمن
يتجرأ على خدش ذات النفس ولو بخدش
خفيف.. وهو لن يخدش فقط.. بل يغرز السكين
ويلويه في الجرح..

سيفضل عليها أخرى...

دلف إلى فيلته ليقابله هدوء تام.. لا وجود
لأي صوت والمكان غارق في ظلام تام.. وكأن
البيت قد هجره سكانه.. ساوره شك طفيف أن

تكون إحدى مفاجآت نيرة الحسية التي دأبت
على اغراقه بها... ولكن سرعان ما صرف
ذهنه عن الأمر فهي لم تعلم بعودته بعد..

وفي غرفته قابله نفس الهدوء حتى بدأ يشك
أنها خارج المنزل.. أضاء الغرفة ليفاجئ
بكومة صغيرة فوق الفراش... تحركت بتعب
وهي ترفع رأسها وتهتف بإجهاد:

ـ مازن.. أنت وصلت؟..

التفت ليلمحها وهاله الشحوب الواضح في وجهها.. اقترب منها ليجلس أمامها بالفراش وهو يهتف بقلق:

ـ نيرة.. أنتِ تعبانة ولا إيه؟.. ايه الشحوب ده؟!..

ومد يده ليتلمس وجهها برقة:

ـ ملامحك مجهدة وعينيكِ تحتها هالات سودا.. حصل إيه وأنا مسافر؟؟..

ابتلعت ريقها بتوتر وهي تخبره:

ـ ولا حاجة يا حبي.. هيكون إيه.. أنت وحشتني قوي.. ما كنتش أعرف أني هفتقدك بالصورة دي؟؟..

واقتربت منه لترتكز على ركبتيها فوق الفراش وتطوقه بذراعيها وهي تطبع قبلات صغيرة متفرقة على وجهه حتى وصلت لشفتيه, فبادلها قبلاتها بلهفة.. لثوانٍ فقط ثم ابتعد عنها مستفسراً:

ـ يعني أنتِ كويسة.. مش تعبانة ولا أي حاجة؟

أراحت رأسها على كتفه واقتربت أكثر حتى تقبله في عنقه.. تريد صرف ذهنه بأي طريقة عن شحوبها وهزالها الواضح.. فتمادت بقبلاتها تحاول أثارته بأقصى جهدها وهي تهمس:

_ ما فيش حاجة بتتعبني قد بعدك عني!..

أبعدها عنه.. ونهض من فوق الفراش مبتعداً وهو يدعك عنقه بإرهاق وبداخله يتعجب لما لا يستجيب لها جسده كالسابق.. هل السبب هو إرهاقها الواضح.. أو فقط توتره من المواجهة القادمة..

تنحنح حرجاً وهو يخبرها بكلمات بسيطة:

_ أنا مجهد, ومحتاج شاور دافي..

وتركها ليدخل الحمام بينما هي رمت بجسدها على الفراش متنهدة بعمق وبداخلها تبتهل أن تمر الليلة على خير.. فهي لا تريد إخباره.. لن تستطيع.. ولا تجد فائدة من إخباره.. لقد انتهى الأمر..

أجرت أناملها بين خصلات شعرها الذي فقد حيويته نوعاً ما.. وهي تهتف بداخلها بحنق..

"نسيت أسأله متى ماتت ولا لسه؟"..

****

جلست علياء على الأريكة العريضة بغرفة المعيشة تراقب التلفاز بعينين شاردتين, "أم علي" تفترش وسادة عريضة على أرض الغرفة تثرثر مع نادية في حوار طويل, وأدهم نائم بجوارها على الأريكة, بينما علي يمارس هوايته المفضلة بـــعض عنقها!.. ومع كل ذلك الصخب لم تكن أفكارها معهم, بل كانت معه.. هو من سيتسبب في فقدانها ما تملك من بواقي العقل..

أخذت تسترجع بذاكرتها أحداث اليومين الماضيين.. لقد بدا حزيناً جداً لسماعه خبر وفاة منى.. وهي تأثرت كثيراً.. فبالرغم من أنها لم تكن صلتها بها قوية, إلا أنها تذكرها كامرأة شابة قوية ذات كرامة, وكبرياء, وجمال ناعم يخطف القلب.. بالطبع تأثرت لوفاتها.. وامتثلت لأمر يزيد ألا تخبر

نيرة بأي شيء.. فهي بداخلها تتفق معه في ذلك.. رغم أنها طلبت منه أكثر من مرة أن يخبر مازن بوجود نيرة في المستشفى إلا أنه رفض، وعلل ذلك برغبة حسن في عدم تواجد نيرة بالعزاء.. وذلك ضاعف الحِمل على كاهل علياء.. فذهبت لنيرة وجالستها محاولة عدم ذكر أي شيء عن مازن وتواجده بمصر.. وانشغاله بمراسم عزاء منى.. واللغز الأكبر.. دنيا.. وعندما أنهت زيارة نيرة ذهبت إلى العزاء.. لتعود منهكة القوى.. وتفاجئ بعودة يزيد معها إلى منزلهما وليس بيت زياد كما

كانت تظن.. كان غامضاً.. حزيناً وكئيباً.. ويخفي غضباً مكبوت.. والأغرب من كل ذلك تشبثه بها بقوة.. حتى أنه اكتفى فقط بنومها بين ذراعيه.. فهي كانت غاية في الإنهاك.. وهو كان في قمة المراعاة.. لم يحاول إغوائها.. أو حتى مغازلتها، رغم أنها رأت رغبته تصرخ حية في عينيه.. رغبة لم يستطع كبحها في الليلة التالية.. بعد عودتهما من العزاء مباشرة.. اصطحبها لغرفتهما.. ولم يتركها إلا في الصباح... وأثناء تناولهما الافطار أخبرها عرضاً بخبر

زواج حسن وبدا كأنه ينتظر ردة فعلها.. وعندما أخبرته ببساطة.."حسن مسكين".. انقبضت ملامحه وتوترت بشدة وكاد على وشك إخبارها شيئاً.. ولكنه آثر الصمت.. وترك المائدة بغضب مكبوت وأخبرها أنه بانتظارها ليقلا نيرة من المشفى..

عضة قوية من "علي" أفاقتها من شرودها.. فأمسكته من خدوده لتقبلهما وتنهره برقة:

ـ مش بابا قال العض عيب؟..

ليجيبها علي ببراءة وهو يمسك بوجنتيها هو الآخر:

ـ أنا سوفته بيعضك..

شهقت علياء بحرج وغمغمت "أم علي":

ـ المفضوح هيتلف أهل العيال!

زجرتها علياء:

ـ وبعدين يا ست "أم علي"!

قامت "أم علي"بحركة بشفتيها:

ـ أنتِ جاية تتشطري علي أنا.. ابقي..

قاطعتها علياء:

ـ خلاص يا ست "أم علي".. الولاد موجودين.. ممكن تاخديهم تعشيهم؟..

صاح "علي" معترضاً وهو يتعلق برقبة علياء

ـ لا.. أنا سعبااااان... يا ستي سااااااعباااان..

ضحكت علياء بمرح وهي تمرغ أنفها في بطنه فأطلق ضحكات عالية.. وعاد يتعلق بعنقها فأخبرت ""أم علي"" بهدوء:

ـ طيب حضري العشا للولاد وأنا هأكلهم..

توجهت "أم علي" للمطبخ لتعد العشاء وتسلقت "نادية" الأريكة لتزاحم شقيقها وتستقر في أحضان أمها هي أيضاً..

ابتسمت علياء بحنين فالصغيرة تغار بشدة كوالدها تماماً.. وسرعان ما تحولت ابتسامتها الى ضحكة صافية وهي ترى يزيد

أمامها.. لم تعرف متى أتى وكأنها أخرجته من ابتسامتها وهو يقوم بحركته المعتادة ويرفع "علي" من شعره.. وهو يؤنبه بغيظ:

ـ أنا مش قلت ما تعضش ماما!!

وتوجه نحوها بنظرة نارية.. فحاولت كبح ضحكاتها وهي تضع "نادية" على الأريكة لتنهض وتتوجه نحوه هامسة:

ـ هو بيقلدك.. ما تفتحش معاه الموضوع وهو هيبطله لوحده..

ليأتي صوت "أم علي" المتهكم:

ـ هيبطله لوحده إزاي طول ما هو شايف أبوه بيعمله!

أحاط يزيد خصر علياء بذراعه وزغر بعينه "لأم علي" ثم التفت موجهاً كلماته لعلياء:

ـ النهارده كان عندي ناس من جهة أمنية بيسألوا على "أم علي"!

كانت علياء تحاول كبت ابتساماتها فهي أدركت مزحته على الفور بينما شهقت السيدة بعنف وهي تسأله بتوتر:

ـ خير يا بيه كانوا عايزين إيه؟!

ـ كانوا عايزين يستخدموكِ كأول رادار بشري.. أصلهم سمعوا عن مؤهلاتك!

وكزته "أم علي" في كتفه وهي تتنهد براحة:

ـ يوه جالك إيه يا بيه.. ده أنا صدقت!

هز رأسه بيأس.. لا فائدة.. سيموت قبل موعده بسبب تلك العجوز.. لمح الأطباق التي رصتها على المائدة الصغيرة.. فأمرها بحسم:

ـ عشي الولاد ونيميهم في أوضتهم..

وسحب علياء التي غرقت في حرجها إلى غرفتهما وهو يخبرها:

ـ عايزك في موضوع مهم..

أغلق باب الغرفة بالمفتاح تلك المرة.. والتفت إلى علياء التي بادرته بالهجوم:

ـ وبعدين معاك بقى يا يزيد!.. دي مش طريقة.. أنت ولا إنسان الكهف اللي بيجر الست وراه يدخلها الجحر بتاعه..

رفع حاجبيه بحيرة:

ـ في إيه يا علياء؟.. فيها إيه اما أقول إني عايزك في موضوع مهم؟..

هتفت بحنق:

ـ لأني عارفة أنت عايز إيه.. و"أم علي" واقفة.. و..

قطعت كلماتها فجأة وهي تسأله:

ـ أنت تقصد أنه في حاجة مهمة فعلاً؟

تلاعبت ابتسامته العابثة على شفتيه وهو يقترب منها ليداعب خصلاتها برقة.. ويقترب من أذنها هامساً:

ـ هو كاااان في حاجة مهمة, بس لو أنتِ بتفكري..

ثم قطع كلماته وهو يطلق لفظاً بذيئاً.. فرفعت علياء عينيها إليه بدهشة ليهتف بغيظ وهو يلامس عنقها بإبهامه:

ـ الواد "علي" عضك بجد.. دي سنانه معلمة!

أطلقت ضحكة خافتة:

ـ في إيه يا يزيد!.. أنت متضايق فعلاً؟.. ده ابني.. ما حصلش حاجة لده كله!

لامبالاتها زادت من غضبه, فـلفها بذراعه بعنف وهو يهبط بشفتيه على عنقها ليمحو أي أثر آخر فهي امرأته هو.. ملكه هو.. كان يهمس لها بتلك الكلمات وهو يقبلها بوحشية وعنف لم تعهدهما به..

غضب.. غضب شديد يتملكه ولا تعلم له سبباً.. منذ وفاة منى بالتحديد.. وهو يكتم ذلك الغضب بداخله.. واليوم بعد ما قاما بإيصال نيرة إلى منزلها بدا أن غضبه بدأ يتسلل من تحت سيطرة قوية يمارسها على نفسه.. ولكنه لم

يتمكن من ردع نفسه عن إلقاء النظرات الغاضبة نحو نيرة طوال الطريق.. ورفض تماماً أن تظل برفقتها في المنزل.. واصطحبها تقريباً بالقوة إلى السيارة..

هو غاضب.. وهي عاجزة عن التوصل إلى أسباب غضبه.. غضبه الذي مازال يمارسه عليها في صورة قبلات ولمسات وحشية.. لم تعد تحتملها.. فأبعدته عنها قليلاً.. لتلمح نظراته الغائمة برغبة غاضبة..

لم تره بهذا الغضب من قبل، حتى حينما كان يتهمها بأنها خططت لتوقعه في فخ الزواج.. لم يكن غاضباً هكذا.. لفت ذراعيها حول عنقه وهي تضع رأسها على كتفه تحاول تهدئة غضبه قليلاً.. وقد يحالفها الحظ فتعلم له سبباً..

ملست فوق عضلات ظهره المنقبضة فشعرت به يلين قليلاً.. فرفعت جسدها لتقف على أصابع قدميها وتطبع قبلات رقيقة صغيرة على وجنتيه.. وهمست له:

ـ مالك يا حبيبي؟..

زاد من ضغط ذراعيه حول خصرها فأصدرت آه خافتة.. دفعته ليبتعد قليلاً ويرفعها بين ذراعيها ليجلسا معاً على الأريكة الواسعة..

مسح وجهه بكفيه وكأنه يحاول إخراج المارد الذي تلبسه.. والتفت نحوها.. ليخبرها:

ـ أنا عايزك في موضوع مهم فعلاً..

ابتسمت بقلق.. فهي تخشى أن يفاتحها في موضوع رؤية والدته لأحفادها مرة أخرى..

وكان ذلك مثار مشاجرات عدة بينهما على مدار السنة الماضية.. وبالتحديد منذ ولادة أدهم..

ـ خير يا يزيد قلقتني!

اقترب منها ليخرج شيئاً من جيبه.. فعلمت أنه سيهديها قطعة مجوهرات جديدة.. فهو دأب على اهدائها تلك القطع، وعلل ذلك بأنه غير قادر على تسجيل أي أملاك باسمها حتى تصل الواحدة والعشرون.. ولكنها أتمتها بالفعل منذ شهور طويلة.. فهتفت بعجب:

ـ مش ممكن تكون اشتريت مجوهرات تاني!.. أنا عندي كتير قوي.. مش هلحق ألبسهم أساساً..

منعها من استكمال كلماتها وأغلق فمها بكفه:

ـ بعد الشر عليكِ.. إن شاء الله تلبسيهم وأزودهم كمان..

وأخرج بالفعل علبة مخملية مستطيلة ومنحها لها لتفتحها تطالعها قلادة على شكل فراشة ماسية براقة.. ولها نفس اللون الأزرق الشاحب الذي يميز خاتم زواجها.. تناول القلادة من العلبة وأدار علياء ليساعدها في ارتدائها وهو يهمس لها:

ـ جميلة.. بس الماسة صاحبتي لها معزة تانية في قلبي..

ضحكت علياء برقة وهمست له:

ـ وأنا كمان بحب الماسة دي قوي..

ثم التفتت له مؤنبة:

ـ يعني هو ده الموضوع المهم!

تنحنح ليجلي حنجرته وبدا أنه متردد في الكلام فأيقنت بما هو قادم وكما توقعت من قبل:

ـ علياء.. ماما.. ماما نفسها تشوف الولاد..

ابتعدت علياء عنه لتنهض وهي تهتف بحدة:

ـ لأ..

ـ علياء...

صرخت به:

ـ إحنا اتناقشنا في الموضوع ده قبل كده.. وردي ما اتغيرش..

ـ علياء... أرجوكِ فكري تاني..

قاطعته:

ـ أفكر!!.. أفكر في إيه.. إنها أول مرة طلبت تشوفهم اشترطت أني ما كونش موجودة.. ولا أنها كانت عايزة تشوف علي وأدهم بس من غير "نادية".. أفكر في إيه!!..

ـ أيوة بس هي جدتهم ومن حقها..

هتفت بغيظ وهي تحاول التحكم في نوبة غضب لا تجيد التعامل معه.. فهي لم تعرف الغضب من قبل:

- حقها!!.. حقها!!.. لا مش من حقها.. لو على الحق هم ولادي.. وأنا اللي من حقي أرفض أو أقبل..

هتف محتداً:

- بلاش قسوة يا علياء..

كان ذكره القسوة هو ما فجر مارد من الغضب لم تدرك أنها تختزنه فصرخت:

- قسوة!!.. بتقولي أنا قسوة!!.. أنا يا يزيد.. أنت مش فاكر هي عملت إيه.. بكل برودة دم وأعصاب.. لو مش فاكر اللي حصل, العلامات اللي في جسمي مش بتفكرك بتعذيب أعمامي.. ما أخدتش بالك من علامات الحروق.. ولا أنت مش بيكون في بالك غير أنك ترضي نفسك بس..

صرخ بغضب مماثل:

ـ علياء.. خودي بالك من كلامك..

تقافزت دموعها وهي تصرخ بألم:

ـ أنت نسيت كل اللي حصلي.. لكن أنا ما نسيتش ومش هقدر أنسى.. ازاي عايزني آمنها على ولادي.. إزاي..

ـ بقولك أحفادها..

قاطعته:

ـ أحفادها اللي هتخلفهم ريناد..

ـ معقولة يا علياء.. شمتانة في ريناد عشان ما بتخلفش..

هتفت به:

ـ شمتانة!.. شمتانة!.. أنا يا يزيد..

وهزت رأسها بألم:

ـ أنا بحسدها.. أنت معاها على طول.. بتيجي هنا يوم ولا يومين.. والباقي عندها.. مرة بحجة دكتور ومواعيد.. ومرة بحجة حفلات وسهرات عمل..

بدا ضائعاً وهو يردد:

ـ أبوه يا علياء.. السهرات والحفلات دي دينا بتعرف تنظمها صح.. و..

قاطعته:

ـ وأنا إيه؟.. بعرف أخلف صح.. وأخليك مبسوط صح.. و بسمع الكلام واسكت صح..

مسح وجهه بين كفيه يحاول السيطرة على أعصابه.. فهو يختزن غضب صامت منذ يومين.. ولا يريد أن يفجره بوجهها ولكنها

تزيده بتمردها الذي لم يعتده منها.. تكلم بهدوء قدر استطاعته:

ـ أنا بحاول يا علياء.. بحاول أن حياتنا كلنا تنتظم.. ما تنسيش أننا جرحنا دينا جامد.. وأن علاقتي بماما زي الزفت من يوم جوازنا.. و..

صرخت بغضب:

ـ وأنت بتكسب رضا دينا على حساب وقتي معاك.. وعايز ترجع تكسب رضا مامتك على

حساب ولادي.. لأ.. لأول مرة هقولك لأ يا يزيد.. كله إلا ولادي.. كله إلا ولادي..

ـ أنتِ ناسية إنهم ولادي أنا كمان!

ـ لا مش ناسية.. ياريت ما تنساش أنت كمان.. تقدري تقولي كام مرة روحت معاهم لدكتور.. تطعيم.. كام مرة أجبرتني إني أبدل ميعاد حفلة عيد ميلاد التوأم عشان ميعادها الأصلي مش مناسب مواعيد ريناد هانم.. ولا بالصدفة عندك ارتباط في الوقت ده.. كام مرة سهرت جنب واحد فيهم لما يتعب..

سكتت وقد ارتعش جسدها تألماً وغضباً:

ـ جاي دلوقت عشان تصالح مامتك بيهم تقول ولادي.. أما يكون لهم دور في حياتك ابقى سميهم ولادك...

همس بغضب:

ـ علياء.. اسكتي..

صرخت:

ـ لا.. مش هسكت.. هو ده كمان بمزاجك..

وتحركت لتخرج من الغرفة.. فأوقفها صارخاً:

ـ على فين؟

غمغمت وهي توليه ظهرها:

ـ هنام مع ولادي..

جذبها من يدها:

ـ مافيش نوم غير هنا..

التفتت له وقد كتفت ذراعيها وتفجرت نوبة تمرد:

ـ طبعاً.. ما هو أنت جاي وسارق من وقت ريناد وكمان جايب لي هدية.. وبعد ده كله... أنام بعيد.. ما يصحش برضوه.. ما هو كله بمزاجك..

جذبها بعنف وهو يهتف بغضب:

ـ يعني هو ده بس اللي جابني؟..

رمقته بصمت وقد زمت شفتيها بغضب وتمرد.. يكره هذا التمرد.. يقلقه.. ويخافه..

تقدم منها ورفعها بين ذراعيه وهمس من بين أسنانه:

ـ خلاص يا علياء.. طالما أنتِ شايفة إنه كله بمزاجي..

وسقط بها في الفراش مطلقاً خوف وغضب وقلق اليومين الماضيين من عقالهم وهو يهمس بفحيح غاضب:

ـ يبقى هاخد مزاجي..

لم يكن عنيفاً, ولكنه لم يكن رقيقاً مراعياً أيضاً.. تغلب على مقاومتها بسهولة.. فبرغم غضبها منه إلا أنها لم تتمكن من مقاومته بقوة.. سيطر على قبضتيها في ثوانٍ.. وغزتها شفتاه باجتياح يائس.. تتنقل بجنون بين وجهها وعنقها وصدرها الذي مزق ثوبها من عليه, لتصطدم شفتاه بدمعته الماسية فيلتقطها بلهفة, وكأنها تعويذة سحرية تأسره وتحجم من غضبه فسرعان ما تخلت قبضته عن كفيها ليتمكن من احتضانها برقة اختلفت عن عنفه السابق.. عادت تحاول دفعه عنها

ثانية.. لا تريد أن تقدم حبها بتلك الطريقة.. لن تستلم لسطوة اشتهائه لها..

همسة يائسة أطلقها وسط صراعهما.. جعلتها تستسلم وتسكن بين ذراعيه.. لتمنحه ما يريد من حبها.. ولم تدرك أنه كان تلك المرة يستجدي هذا الحب ويحتاجه..

"ما تبعديش عني.. أنا محتاجك.. ما تبعديش يا علياء"..

مازالت همسته يتردد صداها بداخلها حتى الآن بعدما هدأت عاصفته ورفضت هي أن تسكن صدره كعادتها, بل ابتعدت عنه لتتحول إلى الجهة الأخرى موليه إياه ظهرها.. متجاهلة حركة أنامله المستمرة على ذراعها وبين خصلاتها.. لن يسترضيها بكلمات لطيفة بعدما قام بما قام به.. لن ترضى تلك المرة.. ولن تسامح..

"لن تسامحه تلك المرة"..

كان هذا ما يفكر به يزيد بالتحديد وهو يتأمل خصلاتها الداكنة المنتشرة على ظهرها بعبث.. ويراقب حركة تنفسها السريعة.. يعلم

أنها تجاهد الدموع، وأنها غاضبة.. تفكر بأنه تصرف تحت سيطرة رغبة وشهوة.. تظن أنه انتهكها.. ولكنه لم يفعل.. وبأعماقها تدرك ذلك.. أنه فقط خائف.. خائف ويكره خوفه.. وغاضب للحالة التي وصل إليها.. يخاف فقدانها.. فقدان ما تدعيه له من حب.. لا يحتمل أن تكون ملكاً لغيره.. فهي له.. ملكه.. امرأته.. حتى لو تعالت آلاف الأصوات النسائية تعارض ملكية الرجل لأنثاه..

فلتهاجمن ملكية سائر النساء، لكن تلك المرأة له..

"تباً لك يا حسن"

لفظتها أفكاره الهائجة.. فهو لم يظن لحظة أن خبر زواج حسن السريع قد يبدل أحواله بتلك الطريقة.. فهو طالما تفهم حاجة الرجل إلى وجود امرأة في حياته.. ولم يزعج رأسه بتوصيف تلك الحاجة.. وتزيينها بكلمات كالحب والعشق أو حتى الإعجاب.. فالغاية واحدة.. والغرض معروف.. ولكن مع حسن.. كان يعلم أن تفكيره يختلف.. سلوكه وتصرفاته.. حسن بأكمله مختلف.. وأكبر دليل

هو حربه المستمرة للزواج من منى.. والآن ماذا؟.. ماتت منى، وتزوج حسن!!.. مات الملك.. عاش الملك..

كيف؟.. اذاً هو على حق.. لا وجود للحب.. إنما هي مجرد مجموعة تفاعلات كيمائية بين البشر.. رغبات وأهواء.. يجملونها في النهاية بكلمات عشق لينأوا بأنفسهم عن أخلاق الحيوانات..

ابتسم بسخرية متخيلاً ملامح علياء وهي تستمع نظريته عن المشاعر والحب.. والتي تبجلهما، بل وتقدسهما تماماً.. وسرعان ما انمحت البسمة من على شفتيه وأفكاره تسحبه إلى دوامة الخوف، والغضب مرة أخرى..

هل من الممكن أن يختفي حبه من قلب علياء.. هل من الممكن أن تهجره.. أو تكون لغيره.. مع سهولة زواج حسن ثانية ماذا يمنع الحب من أن يتبخر بقلب علياء؟.. وتتركه!!!..

يعلم أنها معه فقط لأنها تحبه كما تدعي.. كما تؤمن هي بالحب.. لأنها مختلفة.. ليست

كريناد.. تربطها به حسابات اجتماعية وعائلية.. ليست كأمه.. تربطها بأبيه علاقة سيكوباتية لا يفهمها..

هي مختلفة.. تحبه.. لذلك تمنح كل ما تملك تحت لواء حبها.. وهو خائف.. خائف أن يفقد حبها هذا.. أن تبتعد.. ألا تكون له.. أنه لا يثق بالحب.. كيف يأمن لشيء لا يفهمه ولا يثق به.. كيف يطمئن لدوامه وصموده بقلبها.. كيف وإمارات تمردها عليه وغضبها منه تزداد يوماً بعد الآخر..

تباً.. أنه يفكر كالنساء.. لقد حوله التفكير في الحب إلى امرأة بائسة..

تذكر جملة مازن عندما علم منه بحمل علياء..

"أنت بتربطها لتهرب منك ولا إيه!"..

قالها بصيغة مزح.. ولكنه لم يكن يمزح.. كان يلخص كل مخاوف يزيد نحو علياء.. فهو يعترف.. أنه يتعمد بالفعل أن يجعلها تحمل .. فلو تبخر حبها.. يظل أولادهما كأوتاد تربطها به على الدوام..

تباً أنه يفكر كالنساء بالفعل.. ولهذا تجنب على الدوام فكرة الحب.. لا يريد أن يكون رقيقاً هشاً كحسن.. أو مشتتاً ضائعاً كمازن..

الحب كان دائماً بالنسبة له.. رغبة ليشبعها.. ولكن.. ولكنه كان غبياً.. غبياً أخذ أربع سنوات ليفهم.. ويدرك.. ما يشعر به.. معنى علياء بحياته.. احتياجه لها.. واحتياجها لقلبه ومشاعره.. وجسده.. كيان متكامل.. ذلك ما يجمعهما.. وذلك ما يخشى بشدة فقدانه..

تحرك ليلتصق بها وضمها بين ذراعيه لتتوسد رأسها صدره كما اعتادت.. سيطر على مقاومتها له وهو يهمس لها بسؤال يفقده صوابه:

ـ علياء.. أنتِ ممكن تفكري تعملي زي حسن وتتجوزي راجل غيري؟..

ساد الصمت وكانت إجابتها على سؤاله دمعة ساخنة سقطت على صدره...

وهمسة بداخلها..

"هتفضل على طول طفل أناني يا حبيبي"

****

خرج مازن من الحمام ليجد نيرة راحت في سبات عميق.. ولم يعرف لم انتابته الراحة لذلك, فدخل بجانبها تحت الغطاء محاولاً استدعاء النوم بلا جدوى..

وأخيراً سأم المحاولة.. نهض متجهاً إلى المطبخ ليعد لنفسه وجبة بسيطة.. وابتسم ساخراً.. زوجته كانت تتلهف إغرائه.. ولكنها لم تفكر حتى أن تسأله إذا كان تناول طعامه أم لا؟!..

قطب قليلاً وهو يضع شرائح الجبن مع الخيار في شريحة من الخبز يتذكر أنها لم تسأله عن مني.. أو حسن؟..

هل تعلم؟... هل أخبرتها علياء؟.. لا.. لا يعتقد.. علياء لا تخالف أمراً ليزيد.. محظوظ أنت يا يزيد.. فلا يعتقد أن تتركه علياء ينام بدون أن يتناول عشائه...

_ صباح الخير يا مازن بيه.. حمد لله على السلامة..

التفت ليجد السيدة أنيسة مديرة المنزل_كما تدعوها نيرة_ تواجهه وهي تخبره ببشاشة:

_ عنك أنت يا بيه.. أنا هحضر لك لقمة تاكلها..

أخذت تثرثر ببضع كلمات أثناء إعدادها لطعامه.. لم يكن منتبهاً لها في البداية, ولكن فجأة جذبت انتباهه بجملتها:

_ الحمد لله أن حضرتك رجعت بالسلامة.. أكيد مدام نيرة هتحتاج وجودك جنبها اليومين دول.. معلش ربنا يعوض عليكوا أنتوا لسه صغيرين و..

قاطعها بحيرة:

_ لسه صغيرين على إيه؟.. أنا مش فاهم حاجة!..

رفعت نظراتها له وهي تخبره بتعجب:

ـ هو سيادتك مش رجعت عشان عرفت بخبر إجهاض.. بس مدام علياء...

قاطعها بصراخ:

ـ إجهاض إيه!.. مين اللي اجهضت.. مدام علياء؟..

شهقت أنيسة بإنكار:

ـ لا.. بعد الشر عليها ربنا يكملها على خير.. أنا بتكلم على مدام نيرة..

تردد هتافه وهو يختفي من أمامها ليصعد الطابق العلوي في لحظات:

ـ نيرة... نيرررررة..

اقتحم الغرفة ليجدها جالسة أمام منضدة الزينة تمشط خصلاتها وبدا في ضوء النهار معالم الشحوب والإجهاد واضحة على ملامحها الجميلة..

التفتت على الفور.. فاقترب منها بلهفة وهو يركع على ركبة واحدة أمامها ويضم وجهها بين كفيه.. ويسألها بقلق:

ـ نيرة.. أنتِ كويسة يا حبيبتي؟.. أنتِ بخير؟..

همست بتوتر:

ـ أيوه الحمد لله .. أنا بخير.. ليه؟.. بتسأل ليه؟

ترك إحدى كفيه تحتضن وجهها بينما تحسست أنامله وجهها وجسدها كأنه يتأكد من أنها بخير بالفعل.. ثم عاد يضم وجهها بكفيه ويريح جبهتها فوق جبهته وهو يسأل:

ـ يعني أنتِ كويسة بجد؟.. أومال إيه موضوع الإجهاض ده؟..

رفعت رأسها بعنف وهي تهتف بتوتر:

ـ أنت عرفت منين؟..

ابتعد عنها وتحرك ليقف على قدميه ويسأل بتعجب:

ـ هو أنت ما كنتيش عايزاني أعرف ولا إيه؟..

ابتلعت ريقها بتوتر وهي تنهض بدورها وتحتضن جسدها بذراعيها:

- لا يا حبي مش قصدي..

قاطعها:

- أومال قصدك إيه؟.. وما قولتليش ليه امبارح بالليل لما سألتك؟..

اقتربت منه وقد تحكمت في توترها وانفعالها.. ورفعت كفها لتريحه على كتفه بينما أخذت تداعب أزرار قميصه وهي تخبره برقة:

- أنا كنت هقولك النهارده طبعاً يا حبي.. ما هو مش معقول كنت أبلغك بخبر زي ده وأنت لسه واصل من السفر وتعبان..

سألها بنبرة قلقة:

- وده حصل إزاي؟.. وليه ما قولتليش أنك حامل قبل ما أسافر؟..

أراحت جسدها عليه وهي مستمرة في مداعبة أزرار قميصه:

ـ ما هو أنا ما كنتش أعرف إني حامل.. أنت عارف أنا كنت مقررة تأجيل الحكاية دي.. أنا عرفت لما روحت المستشفى..

ورفعت عينيها إليه ببراءة وهي تكمل ولكن نبرتها شابها الكثير من التوتر:

ـ كنت نازلة السلم بسرعة.. واتكعبلت... وقعت.. و..

قاطعها بسرعة:

ـ سلم إيه؟.. كنتِ فين أساساً ومين وداكِ المستشفى؟..

لف أحد أزرار القميص بقوة حتى انتزعته من موضعه فطار في أحد أركان الغرفة.. فابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ كنت.. كنت عند علياء.. وهي اللي راحت معايا المستشفى..

قطب حاجبيه بحيرة:

ـ علياء!.. يعني يزيد عارف؟..

أومأت برأسها موافقة:

ـ آه.. أيوه طبعاً.. هو ما كانش موجود في الأول.. بس علياء اتصلت به وجه.. وكانوا معايا ليل ونهار اليومين اللي فاتوا..

نظر إليها بشك.. فيزيد رافقه معظم الوقت طوال أيام العزاء.. ولم يخبره بشيء.. وعلياء أيضاً كانت موجودة بجوار والدة منى معظم الوقت.. فكيف رافقاها طوال الوقت!!..

سمعها تكمل بتردد:

ـ حتى هما اللي وصلوني من المستشفى.. أنا خرجت إمبارح بس..

ردد بحيرة:

ـ إمبارح بس!.. وما كلمتنيش ليه يا نيرة؟.. هو موضوع زي ده مش لازم تبلغيني به؟.. إزاي ما تتصليش بيا؟..

ـ هو أنت كنت في إيه ولا إيه يا مازن.. معقول كنت اتصل بيك أبلغك خبر زي ده.. وأنت مسافر، وكمان ظروف مرض منى و..

قطعت كلماتها بغتة وهي تسأله:

ـ صحيح هي ماتت ولا لسه؟..

دفعها عنه بغلظة متناسياً وضعها الصحي وهو يهتف بتأنيب:

ـ ده مش أسلوب سؤال..

هزت كتفيها بلا مبالاة:

ـ أنت عارف أني مش بحبها..

مسح وجهه بيديه وهو يهمس:

ـ الله يرحمها..

صرخت بلهفة:

ـ هي ماتت؟..

ثم أردفت بلهفة لم تستطع اخفائها:

ـ وحسن.. حسن عامل إيه؟.. رجع معاك؟..

رمقها لوهلة.. عاجز عن تحديد ما يشعر به.. دمائه تغلي في عروقه.. وقبضة من صقيع تعتصر قلبه في ذات الوقت.. الحقيقة الوقحة

تصفعه مرة أخرى.. "لست حبيبها ولن تكون"..

وجد نفسه يخبرها ببرود وتشفي تقريباً:

_ حسن اتجوز بنت فرنساوية وهيكمل حياته في باريس..

شهقت بغضب:

_ إيه اتجوز!.. اتجوز إزاي؟.. وامتى؟.. طب ما هو عرف يتجوز واحدة غير منى.. اشمعنى..

قطعت كلماتها وعضت شفتيها لتمنع نفسها من الاسترسال.. ولكن بعد فوات الأوان.. فقد أدرك ما تريد قوله بالفعل.. وارتسمت في عينيه نظرة لم تستطع تفسيرها.. وكأن عينيه تصرخ بها بحزن.. حزن مقهور متألم..

وهي صمتت تبادله نظرات الأسف.. تطلب مغفرته التي منحها إياها طويلاً..

تأملا بعضهما قليلاً في صمت قطعه رنين هاتف نيرة فالتقطه مازن تلقائياً ليلمح الشاشة تضيء بإسم..

"abortion clinic"

تنقلت نظراته بين وجهها وشاشة الهاتف.. لتتحول نظراته من الحزن إلى الغضب العاصف.. غضب لون ملامحه كلها بشراسة وقسوة وهو يلقي بالهاتف نحوها ويهز رأسه ببرود:

ـ ردي على تليفونك يا مدام..

تناولت نيرة منه الهاتف ولمحت بدورها المتصل.. فصرخت وهي تتمسك بذراعه متوسلة:

ـ لا يا مازن.. أنت فاهم غلط.. أنا..

قاطعها:

ـ أنا كنت.. كنت فاهم غلط.. بس أخيراً فهمت.. معلش كنت غبي شوية..

نفض يديها عن ذراعه وخرج من الغرفة.. بل من المنزل بأكمله..

****

وقفت علياء في المطبخ وهي تعد طبق العسل الأسود بالطحينة وهو ما يفضله يزيد على

الإفطار.. مع بعض شرائح التوست المقرمشة والتي تعدها له خصيصاً عندما وصلها صوت "أم علي" وهي تمصمص شفتيها:

ـ هو أنتِ تتخانقي معاه بالليل وتجهزي له فطاره الصبح!.. أومال يحس على دمه ازاي!

هتفت بها علياء بغضب:

ـ أم علي.. وبعدين معاكِ.. ما ينفعش تتكلمي عليه كده.. ولا عشان هو طيب ويسكت لك..

بهتت "أم علي" للحظات.. وهي تدرك غضب علياء منها.. واعتذرت بإحراج:

ـ معلش.. أنا بكلمك زي بنتي.. عندك حق.. يظهر أني نسيت نفسي..

التفتت لها علياء وقد شعرت بالذنب لتعاملها الجاف مع السيدة العجوز.. واقتربت منها لتطبع قبلة رقيقة على جبهتها:

ـ حقك علي.. أنا ما اقصدش أزعلك.. بس برضوه ما حبش أنك تتكلمي عنه بالطريقة دي..

سكتت السيدة العجوز وقد ارتسمت على ملامحها معالم الامتعاض.. فاستدركت علياء:

ـ بس أنتِ عرفتِ منين أنه احنا متخانقين؟..

أخذت "أم علي" تنهي غسيل الاطباق وهي تغمغم:

ـ ما هو قاعد بره ومش جاي يلزق فيكي زي عادته.. تبقوا اتخانقتوا!..

هزت علياء رأسها وهي تبتسم بعجز:

ـ أنتِ مالكيش حل فعلاً..

بادلتها السيدة الابتسام.. وهي تدرك أن السيدة الصغيرة رضيت عنها ثانية.. وسمعت علياء تخبرها:

ـ يلا.. خودي الفطار بتاعه وحطيه على السفرة وبلغيه أن الفطار جاهز..

شهقت "أم علي" بعجب:

ـ لا طبعاً.. روحي افطري وفطري جوزك.. ازعلي واغضبي براحتك.. بس لا تنزليه من عندك غضبان.. ولا تنيميه غضبان.. أنتِ

ناسية أن عندك شركة مستنية أنك تبعتيهولها غضبان عشان هي تصالحه..

توسعت عينا علياء بإدراك ووجدت أن وجهة نظر "أم علي" صحيحة.. فحملت الأطباق وخرجت لتضعها على مائدة الطعام التي كان يزيد جالساً يقرأ الجريدة على رأسها.. وما أن انتهت من رص الأطباق حتى وجدته يجذبها من يدها ليجلسها على ركبتيه وهو يهمس بأذنها:

ـ أنتِ كويسة؟.. امبارح.. أنا..

أشاحت بوجهها عنه ولم تدعه يكمل كلماته ولكنه أدار وجهها ليقابله بينما كفه يتحسس معدتها:

ـ أنتِ كويسة؟.. محتاجة تروحي للدكتورة ولا حاجة؟..

هزت رأسها نفياً.. وقد تجمعت الدموع بعينيها وأخبرته بهمس:

ـ انا محتاجة آخد الولاد واروح يومين المعمورة..

وافقها بسرعة:

ـ وماله.. نروح..

قاطعته وهي تنهض من فوق ركبتيه وتهز رأسها رافضة:

ـ لا.. هاروح مع الولاد وأم علي بس..

صرخ بغضب:

ـ لا طبعاً.. ما فيش سفر لوحدك..

قطع صوت جرس الباب كلماته.. فتحرك ليفتحه بسرعة حتى يوقف الكلمات الغاضبة من الاندفاع على لسانه.. فها هو ما يخشاه يتحقق.. هي تريد الابتعاد عنه..

ذهب ليفتح الباب ليفاجئ بقبضة مازن تنطلق في وجهه فسقط أرضاً وسط صرخات علياء..

الفصل السابع والعشرون

حلم جميل طاردته منذ لاح..
بعت لأجلك كل نفيس وتحديت المحال..
وتخطيت لعيونك الخطوب والصعاب..
ونسفت لوصلك التقاليد والأعراف..
وسكبت دمعي ودموعي لكِ كل صباح..
وقدمت حبي وحياتي وكل مباح..
وتغاضيت عن كثير وسكبت السماح..
وللأسف لم تكوني إلا وهماً وسراب..

طاووساً جميلاً وفي داخله غراب نواح..
أبكي على قلبي المحطم تذروه الرياح..

خاطرة الفصل بقلم:

إيمان حسن

"همسات حالمة"

ارتمت نيرة على المقعد العريض بالغرفة ترمق مكان اختفاء مازن بذهول وقد تجمدت دموعها وذلك الهاجس المميت يخبرها أن مازن لم يخرج فقط من البيت، بل من حياتها بأكملها.. ستفقده مثلما فقدت كل ما هو مهم في حياتها.. وآخرهم طفلها..

أغمضت عينيها لتسمح للعبرات المحبوسة بالهبوط على وجنتيها.. فيبدو أنها لا تمتلك موهبة الاحتفاظ بأحبائها.. بداية بأمها..

ومروراً بأبيها ثم حسن.. وآخرهم مازن.. مازن الذي ابتذلت حبه لها.. وأفقدته معناه وقيمته.. وأخيراً نحرته عندما فكرت في التخلص من طفلهما..

حسناً.. لم يكن الأمر مجرد تفكير.. فهي خططت واتخذت خطوات بالفعل.. ولكنها عجزت عن التنفيذ.. لم تظن يوماً أنها تمتلك ما يسمى بعاطفة الأمومة، لذا كان قرارها حاسماً بالتخلص من طفل استقر في رحمها عن طريق الخطأ.. طفل لا تريده ولم تسعى

لن، بل وجوده سيزيد من تعقيد الموقف فإذا ما ماتت مني وقرر حسن العودة.. لا يجب أن يعود ليراها منتفخة بطفل رجل آخر.. طفل لا تريده في المقام الأول.. أو هذا ما كانت تظنه حتى تمددت على سرير الكشف أمام ذلك الطبيب الكريه..

لم تعرف كيف تردد بداخلها صوت نبضات صغيرها أو لعلها نبضات رعبها هي.. أو ربما هو صوت مازن تتخيله يدوي..

"هتقتلي ابننا يا نيرة؟.. هتقتلي ابننا؟"..

كان صوته يزلزل أعماقها.. وكأنه حقيقة.. عيناه احتلت المشهد تماماً حتى اختفى الطبيب ومساعدته خلف تعبيراتهما الحزينة اللائمة... وكلمة "ابننا" تتخيلها تدوي في الغرفة بأكملها.. ولم تدرك ما حدث بالفعل.. لكنها وجدت نفسها تلهث راكضة وهي تحاول الهروب من أمام الطبيب، بل أنها لم تنتظر المصعد واندفعت تركض على درجات السلم لتجد جسدها يطير في الهواء لينخفض زاحفاً متدحرجاً على سلم المبنى..

لم تشعر بآلام السقوط.. ولم تلتفت لوجع جسدها وكدماته فقط سيطر على عقلها شعورها بالسائل الدافئ يتسرب بين ساقيها لتدرك أنها لم تعد بحاجة لخدمات الطبيب.. وبالتأكيد لا داعي للقلق من وجود طفل لا ترغب به.. فالطفل نفسه أبى الاستمرار برحمها.. ولكن ما عليها القلق بشأنه بالفعل.. هو رد فعل مازن.. وهل سيصدق ما حدث؟.. هل سيسامحها؟..

أفاقها من شرودها صوت أنيسة وهي تطرق الباب المفتوح بالفعل وتسألها بتردد:

ـ مدام نيرة.. أحضر الغدا دلوقتِ.. ولا هننتظر مازن بيه؟..

رمقتها نيرة بشرود وهي تتعجب لمرور الوقت وهي غارقة في ذكرياتها.. وأخبرت أنيسة بجمود:

ـ اعمليلي فنجان قهوة بس..

هتفت السيدة بعجب:

ـ قهوة يا مدام!.. حضرتك محتاجة تتغذي كويس..

صرخت بها نيرة بغضب:

ـ أنتِ هتناقشيني.. روحي اعملي القهوة..

خرجت السيدة مسرعة لتنفذ الأمر فهي لا تحتمل إحدى ثورات نيرة.. بينما تكومت الأخيرة على المقعد وأفكارها كلها تدور حول مازن وكيف يمكنها احتواء غضبه.. واسترجاع نظراته العاشقة لها مرة أخرى...

****

سقط يزيد أرضاً وهو يمسد جانب وجهه ويتأوه بخفوت بينما اندفعت علياء نحوه لتهبط على ركبتيها بجواره وتهتف بهلع:

ـ يزيد.. يزيد أنت كويس؟..

ثم التفتت إلى مازن لتصرخ به بشراسة:

ـ في ايه يا مازن؟.. أنت اتجننت!

لم يجبها مازن بل تبادل النظرات مع يزيد في صمت قبل أن يعتدل يزيد من سقطته ويرفع

علياء معه ليخبرها بهدوء بدون أن يحيد بنظراته عن عيني مازن:

ـ ما تدخليش يا علياء وادخلي جوه دلوقتِ..

تذمرت بغضب وهي تقترب منه:

ـ ازاي ما اتدخلش وهو ضربك!

قطع يزيد التواصل البصري بينه وبين مازن ليلتفت لعلياء هاتفاً بحنق:

ـ جوه يا علياء!

قاطعه مازن بغضب أكبر:

ـ خايف عليها قوي!.. طبعاً ما هي طول عمرها شريكة نيرة هانم في كل جرايمها!..

التفتت علياء بذهول لمازن:

ـ أنا!!.. شريكة في جريمة!.. أنا مش فاهمة حاجة..

هتف بها يزيد من بين أسنانه:

ـ ادخلي جوه وما تتحركيش من أوضتك..

والتفت لمازن بسرعة وهو يشير له:

ـ الكلام هيكون بيننا.. مالكش دعوة بمراتي..
اتفضل على المكتب..

وصرخ بأم علي قبل أن يدخلا إلى غرفة المكتب:

ـ اياكِ اشوفك جنب المكتب..

أغلق باب غرفة المكتب بإحكام واستند عليه مواجهاً مازن الذي وقف في منتصف الغرفة بتحفز شديد بينما يزيد يخبره بهدوء:

ـ خلص شحنة الغضب اللي جواك كلها وبعدين نتكلم..

لوح له مازن بقبضته:

ـ ما تستفزنيش يا يزيد..

أومأ يزيد موافقاً:

ـ حاضر يا مازن.. أنت معاك حق.. أنا غلطت وكان لازم أبلغك أن نيرة في المستشفى من أول لحظة.. لكن الظروف كلها منعتني.. وهي ما كانتش لوحدها.. علياء كانت

بتراعيها.. وعرضت عليها أني أبلغك، بس هي رفضت.. و..

هتف مازن بغضب:

- وأنت طبعاً ما صدقت عشان تحمي مراتك!

ضيق يزيد عينيه وأخبره بهدوء غاضب:

- احمي مراتي!.. أنت عايز تمشي الموضوع كده يا مازن.. والغلطة غلطتي أنا وعلياء.. صح؟..

أخذ مازن يبادله النظرات الغاضبة لعدة لحظات ثم التفت ليتناول أول ما طالته يداه وكانت مزهرية كريستالية فقذفها بكل قوته نحو الحائط.. وأخذ يتأمل حطامها المبعثر أمامه ويشير إليها بأصبع مرتعش وهو يردد بحروف مبعثرة:

- قتلته.. ابني.. قتلته...

كان جسده يرتجف مع حروفه.. وأكمل كلماته المبعثرة وكأنه يخاطب قلبه الذي امتدت قبضته لتضربه بعنف:

ـ الست الوحيدة اللي حبيتها.. اللي اتمنتها.. كنت بدعي ربنا أنه ما ينزعش حبها من قلبي حتى وأنا فاقد الأمل أنها تكون ليا.. كنت مكتفي بإحساسي أنه ما فيش راجل هيحبها قدي.. يبقى ده جزائي!. ده المقابل لحبي، أنها تقتل ابني جواها.. للدرجة دي بايعاني.. للدرجة دي أنا ولا حاجة عندها..

راقبه يزيد بقلق وهو يدرك أنها لحظة مصارحة مع النفس.. لا يريد التدخل بها وفي نفس الوقت لن يستطيع ترك مازن يدمر عنفوانه بتلك الطريقة.. فجذبه ليجلسه على الأريكة.. وتحرك ليملأ له كوباً من الماء ويدفعه بيده قائلاً:

ـ مازن.. بلاش نسبق الأحداث.. تقرير الاسعاف بيقول..

ضغط مازن بكل قوته على الكوب الزجاجي ليتحطم بين يديه مسبباً بعض الجروح الخفيفة.. وسال الماء من بين أصابعه ممتزجاً بدمائه وهو يتأمل المشهد بشرود

بينما اندفع يزيد ببضعة مناديل ورقية ليجفف يدي مازن ودمائه.. قائلاً:

ـ نروح دلوقت المستشفى ونستفسر عن حالتها بالظبط..

قاطعه مازن ونهض بقوة وقد بدا العزم على وجهه وألقى بالمناديل المدماة أرضاً:

ـ أنت هتيجي معايا فعلاً.. بس عشان نسجل عقد جوازي من دنيا عند مأذون شرعي..

****

أغلقت دنيا الباب خلف يزيد ومن معه بعدما أخبرها يزيد بهمس أن مازن في حالة نفسية سيئة ولم يزد عن ذلك بأي كلمة..

التفتت لتواجه مازن الذي مدد جسده على الأريكة, واضعاً إحدى ذراعيه فوق رأسه بينما ترك الأخرى لتسقط بجانبه.. أخذت تتأمله لثوانٍ وقد بدا على وجهه معالم إرهاق عميق وأغمض عينيه يخفي عنها ما يفكر به..

تحركت لتجلس أرضاً على ركبتيها بجواره وسحبت يده الجريحة وأخذت تطهر جروحه

وتعالجها برقة وهو مستسلم لها تماماً، وما أن انتهت من عملها حتى رفعت كفه إلى شفتيها تقبل باطن يده بعمق ثم بدأت في توزيع قبلات صغيرة على جروحه وارتكزت على ركبتيها لتتمكن من ملامسة وجهه باليد الثانية.. فأخذت تتبع ملامحه بأناملها الرقيقة واقتربت بوجهها منه لتهمس بقلق:

ـ أنت تعبان يا مازن؟..

فتح عينيه أخيراً وأحاط وجهها بكفه وهو يتأمل ملامحها الجميلة بحنين وارتسمت على وجهه ابتسامة حزينة وهو يخبرها:

ـ ما تشغليش بالك.. شوية إرهاق بس..

تمسكت بكفه الجريح وهي تسأله بقلق:

ـ والجروح اللي في ايدك؟..

داعب خصلاتها برقة وهو يرسم ابتسامة حزينة:

_ زي ما بزيد قالك.. ايدي اتخبطت في كوباية واتكسرت..

هزت رأسها بعدم تصديق ولكنها لم تضغط عليه أكثر وتحركت على ركبتيها حتى التصقت بالأريكة وألقت برأسها على صدره فأحاطتها ذراعه تلقائياً بينما يديها كانت تمسد كتفيه وهي تهمس:

_ قلبك تعبان يا مازن.. أنا حاسة بيه..

وحركت ذراعيها ليحيطا بعنقه وترتاح رأسه على كتفها وهي تكمل:

_ احكي لي بس فيك ايه..

شعرت بتنهيدته الحارة تلفح عنقها وهو يرفعها من الأرض لتتمدد فوقه وإحدى ذراعيه تدعمها بينما الأخرى تتلاعب بخصلات شعرها بعبث وعلى شفتيه ابتسامة شاردة.. بينما هي رفعت رأسها قليلاً للتأمل ملامحه الحزينة وتسأله بقلق:

_ مازن.. هو موضوع جوازنا سبب لك مشاكل مع.. مع.. نيرة؟..

اختفت ابتسامته وقست تعبيرات عينيه عند سماعه لاسم نيرة، وانتبهت دنيا لذلك ولكنها ظنت أن إعلان زواجه بها هو السبب..

فحاولت الابتعاد عنه ولكنه تمسك بها بقوة ومنعها من التحرك وهو يخبرها بحسم:

ـ دنيا.. وجودك في حياتي عمره ما كان ولا هيكون سبب لأي مشكلة.. واعلان جوازنا خطوة اتأخرت فيها كتير..

حاولت التملص من قبضته القوية عليها بينما هو تشبث بها بيأس لمحته في ملامح وجهه وتعبيرات عينيه فهتفت بقلق:

ـ اومال مالك بس يا مازن؟.. في ايه؟.. هي رفضت وجود زوجة تانية في حياتك؟..

أبعد عينيه عنها وشرد بنظراته بعيداً وهمس بقسوة:

ـ هي الزوجة التانية مش أنتِ..

انتفض قلبها من قسوة نظراته.. وسألته بخوف:

ـ اعلان جوازنا النهارده.. عقاب لنيرة يا مازن؟

تملصت منه تلك المرة بنجاح ونهضت واقفة وهي تلتف إحدى ذراعيها حول نفسها وتضع كفها على فمها تحاول كبت غصة كادت تفلت منها.. وعادت تكرر بألم:

ـ بتعاقبها بيا يا مازن؟.

نهض مازن ببطء واقترب منها ليمسك بكتفيها ويرتكز بجبهته على جبهتها وهو يهمس:

ـ أنتِ وجودك في حياتي مكافأة ليا.. وطلبك اني أكون أب لطفل منك هو جايزتي الحقيقية..

حاولت ان تجيبه ولكنه قاطعها هامساً وهو يضع أصابعه على شفتيها:

ـ خلاص يا دنيا.. أنا مش قادر أتناقش.. أرجوكِ..

ارتفعت على أطراف أصابعها لتحتضنه وتقربه منها وبداخلها قلق عاصف لا تدري ما به.. أو ما يعانيه.. فقط تشعر بتشبثه اليائس بها.. تخللت أناملها خصلاته برقة فسحبها معه ليجلسا معاً على الأريكة الواسعة ورأسه تتوسد صدرها..

خيم عليهما صمتاً شجياً قطعه مازن بقوله:

ـ تعرفي أنا نفسي في بنت..

ابتسمت دنيا برقة وأناملها تداعب وجهه وهي تكرر:

ـ بنت!..

أكمل كلماته وهو يعدل جلساته فيريح رأسه على ركبتيها ويرفع باقي جسده على الأريكة:

ـ ايوه.. بنوتة.. أنا بحب نادية بنت يزيد قوي..

رفع عينيه لها وأكمل:

ـ بس علميها الحنية يا دنيا.. عايزها تبقى حنينة على الناس اللي بيحبوها..

صمت للحظات ولم تقاطعه دنيا ليكمل بعدها:

ـ أصعب حاجة أن القسوة تيجي من الناس اللي بنحبهم.. بتبقى مش عارف تتوجع من قسوتهم ولا من القلب اللي عاجز عن كراهيتهم..

همست دنيا بألم وقد بدأت دموعها تتساقط صدى للوجع الذي تستشعره بداخله:

ـ مازن..

ولكنه أكمل وكأنه لم يسمعها:

ـ بتبقى كرامتك بتصرخ فيك تاخد موقف.. وكبريائك بتذبحك.. وقلبك بينتفض مجروح، لكن مش قادر يقسى..

شهقت دنيا بدموعها فرفع مازن رأسه متسائلاً:

ـ بتعيطي ليه يا دنيا؟..

منعتها دموعها من الرد عليه فاعتدل في جلسته ليمسح دموعها بأنامله ويكرر همسه:

ـ بتعيطي ليه يا دنيا.. أنا..

همست من وسط شهقات دموعها:

ـ أنت تعبان يا مازن وأنا مش فاهمة ليه.. ومش عارفة أعمل ايه!!

ضمها لصدره بقوة وهو يدفن ألمه داخل طيات شعرها ويتمسك بها بقوة:

ـ مش بقولك أنك مكافأة الدنيا ليا..

تمسكت به بقوة وهي تحاول التحكم في دموعها:

ـ قولي بس أريحك ازاي..

ابتسم لها محاولاً إلهائها عن ألمه وهو يخبرها بعبث حزين:

ـ مازن عايز عسل..

ضحكت وسط دموعها وهي تتحرك لتضم رأسه لصدرها بقوة وهي تهمس:

ـ مازن يستحق الحب كله..

لم يغرق مازن بالعسل, ولم تتركه دنيا يغرق في رثائه لنفسه أيضاً.. بل منحته كل ما يستحق من حب.. وكل ما تملكه من مشاعر..

لم تقدم له ذراعيها ليسقط بينهما.. ولا أحضانها لينسى ألمه..ولكنها جعلته يدرك كيف تقدم امرأة حبها من خلال قلبها ومشاعرها وليس جسدها فقط..

****

دلف مازن إلى غرفته بهدوء بارد ليلمح نيرة المتكومة على مقعد عريض بالغرفة.. بدا أنها سقطت نائمة وهي بانتظار عودته.. أغمض عينيه قليلاً وهو يشعر بالامتنان لوجود دنيا في حياته.. فلولا حوارهما الطويل الليلة..

وقدرتها الفائقة على امتصاص شحنة الغضب بداخله.. كلا.. ليس الغضب فقط.. بل الحزن والقهر وكسرة القلب.. لولا حبها الذي قدمته بلا شروط.. بلا مقابل, لكان قام بقتل نيرة كما قتلت ابنه بدم بارد.. ولكنه الآن قادراً على مواجهتها بدون أن تشعر بما يعتمل داخله من حزن.. من انكسار وخزي لأنه أحبها يوماً.. ويبدو أن لعنته مستمرة فهو عاجز عن التخلص من تلك المشاعر الصاخبة, فقط تحولت من عشق جارف إلى كراهية مريرة.. كم يحلم باللحظة التي يتحرر

بها من قيد تلك المشاعر..قد يدفع عمره كله ليصل بقلبه إلى نقطة الحياد..

يا الهي.. كم تبدو اللامبالاة حلماً ثميناً في عيون رجل غلبته مشاعره على أمره.. وقهرت رجولته وكبريائه..

زفر بألم وتحرك ليقف أمامها ويتأملها للحظات وقد بدا شحوب وجهها واضحاً والدموع قد تركت أثاراً واضحة على وجنتيها..

قلب شفتيه يتساءل بمرارة ساخرة عن سبب دموعها.. أهو انكشاف كذبتها؟.. أم زواج حسن وتفضيله امرأة أخرى للمرة الثانية؟..

هز رأسه بحزن وتوجه إلى خزانته ليخرج منها ما يحتاجه.. فهو لن يبقى معها في مكان واحد.. لن يسمح لرئتيه أن يتنشقا نفس الهواء الذي تتنفسه..

حركته المستمرة أيقظت نيرة ففتحت عينيها ببطء لتراه يتحرك في جميع أرجاء الغرفة,

وما هي إلا ثوانٍ حتى اكتشفت أنه يجمع أشيائه في حقيبة كبيرة...

انتفضت بقوة فوق مقعدها وهي تتحرك متوجهة نحوه:

ـ مازن.. مازن.. أنت بتعمل ايه؟..

التفت إليها يرمقها بنظرة بلا معنى.. ثم أكمل جمع أشيائه.. فهتفت بجزع:

ـ مااازن..

واقتربت منه لتتمسك بذراعه:

ـ مازن.. رد عليّ..

توقف عن الحركة وأبعدها عنه ليكتف ذراعيه ويجيبها ببرود:

ـ افندم..

ترقرقت الدموع بعينيها وهمست بحزن:

ـ ليه.. ليه بتكلمني كده؟..

هز رأسه بعجز:

ـ ليه؟!.. أبداً.. ما فيش أي حاجة..

هتفت بتساؤل متعجب:

ـ أنت بتعمل ايه؟.. واخد هدومك على فين؟...

أجابها بهدوء بارد:

ـ مع أنه شيء ما يهمكيش في حاجة.. بس هقولك.. أنا هرجع أوضتي القديمة..

وأشار إلى أرجاء غرفتهما بازدراء:

ـ وجودي في المكان ده بيخنقني!

همست:

ـ وجودك معايا بيخنقك!.. ازاي؟.. فين كلامك عن حبك ليا..

التفت لها بغضب وهو يجذبها من ذراعها بعنف:

ـ حبي!.. بتكلميني عن الحب.. وأنتِ حتى ما اقدرتيش تحبي ابنك اللي من دمك!

مدت يديها لتتمسك بذراعيه وهي تهمس له بتوسل:

ـ لا.. لا.. مازن أنت فاهم غلط..

دفعها بقوة وهو يقاطع كلماتها:

ـ مش عايز أفهم ولا أسمع منك حاجة..

عادت تتمسك بذراعه وهي تخبره:

ـ أنا وقعت على السلم.. اللي حصل كان مجرد حادثة.. قضاء وقدر..

أطلق ضحكة ساخرة:

ـ والمفروض بقى أني أصدق..

أشاح بيده بمرارة قائلاً:

ـ خلاص يا مدام.. أنا كبرت وما بقيتش أصدق القصص الخيالية..

هتفت بثقة واهية:

ـ صدقني يا مازن.. أنت ممكن تشوف تقرير الإسعاف..

صرخ بها:

ـ كداااااابة..

ثم وضع وجهه بين كفيه وهو يحاول استعادة هدوئه.. فهو لن يمنحها أي من

مشاعره حتى ولو كان الغضب.. حاول السيطرة على انفعالاته.. وابتعد عنها ليكمل جمع أشيائه.. وقد تحولت ملامحه لقناع ثلجي متجمد..

أخذت تراقبه بقلق وبدأ شعور قارص بالخوف يهاجمها.. فهو لم يصدقها، بل لم يمنحها الفرصة للدفاع عن نفسها.. والأدهى أنه سيتركها.. سيهجر فراشهما وستفقد كل سبل التأثير عليه..

اقتربت منه وهي تحاول محايلته والتغلب على حاجز البرود الذي يرفعه أمامها:

- مازن.. احنا الاتنين أعصابنا تعبانة..

التفت لها ورمقها بنظرة مزدرية وهو يهز رأسه بعجب.. بينما أكملت هي تحاول إحكام خطتها:

- ايه رأيك نسافر يومين نغير جو.. ولما أعصابك تهدى هنتكلم وأشرح لك كل حاجة..

رمى قطعة الثياب التي كان يحملها بيده في الحقيبة والتفت لها مبتسماً بسخرية مريرة:

ـ تعب أعصاب!.. أنتِ شايفة أن المشكلة كلها تعب أعصاب!!

اقتربت منه بسرعة لتتمسك بكتفيه.. وكلماتها تخرج بسرعة:

ـ مازن.. أنا عايزة نحاول نبدأ من جديد.. و..

قاطع كلماتها محاولاً ابعادها عنه إلا أنها تمسكت به ورفعت كفيها لتحيط بهما وجهه وهي تكمل كلماتها السريعة:

ـ أنا هتغير.. هتغير يا مازن.. أنا مش ممكن هخسرك..

أبعد كفيها عن وجهه وهو يردد:

ـ تخسريني!..

وتحرك مبتعداً عنها وهو يهتف:

ـ المسألة كلها بالنسبة لك مكسب وخسارة.. حسبة باردة بدون مشاعر.. المهم أن نيرة هي اللي تنتصر..

هتفت بقوة:

ـ لا يا مازن.. صدقني.. الموضوع مش كده.. أنا لسه عايزاك..

رد عليها ببرود وهو يعود لوقفته المتحفزة ويكتف ذراعيه على صدره:

ـ وأنا ما عدتش يهمني!..

هزت رأسها بعدم تصديق وهي تحاول استيعاب كلماته:

ـ يعني ايه يا مازن؟!

أجابها ببرود:

ـ يعني أنا عايز.. محتاج.. زوجة حقيقية.. زوجة تكون إنسانة عندها قلب ومشاعر قبل ما تكون مجرد...

وأشار إلى مفاتنها بازدراء، فهتفت باتهام غاضب:

- أنت تعرف واحدة تانية فعلاً؟

ابتسم بسخرية.. وسرعان ما تحولت الابتسامة إلى ضحكة، ثم إلى قهقهات عالية وهو يصفق لها ساخراً:

- برافو..

قطبت حاجبيها بغضب وهي تهتف به:

- بتضحك.. أنت جاي تتهمني بقايمة اتهامات طويلة علشان تغطي على خيانتك ليا.. وكمان بتضحك؟!..

احتفظ مازن ببسمة ساخرة على شفتيه وهو يعاود التصفيق لها هاتفاً:

- أنتِ مش معقولة.. بجد.. مش معقولة..

ثم جذبها من ذراعها فجأة فارتطمت بصدره بعنف ومد يده ليمسك ذقنها ويقرب وجهه منها هاتفاً بقسوة:

- أنتِ مصدقة نفسك؟!.. ولو مصدقاها.. تعتقدي أني ممكن أصدقك.. أو أصدق حلمك الخيالي ببداية جديدة؟.. بداية لمين؟ ومع مين؟.. معاكِ!.. أنتِ؟!.. مع واحدة قتلت

ابني بمنتهى القسوة والتجبر.. وجاية تدور على بداية!.. البداية أنتِ قتلتيها.. زي ما قتلتِ أي مشاعر كانت جوايا..

هزت رأسها بشدة فتناثرت خصلاتها:

_ لا.. لا.. أنت بتقول الكلام ده لأنك زعلان وغضبان.. أنت بتحبني.. أنا متأكدة.. أنت مش ممكن تحب غيري.. أنت..

أبعدها عنه محاولاً السيطرة على غضبه ثم أخبرها بأقصى ما استطاعه من هدوء:

_ أنا فـعلاً بحب واحدة تانية فعلاً.. أنا متجوز..

صرخت بغضب:

_ أنت بتعاقبني.. بتعاقبني على جريمة اخترعتها في خيالك..

مط شفتيه بسخرية:

_ خيالي!.. ما فيش فايدة فيكي.. ما فيش فايدة.. حتى ما فكرتيش تعتذري..

اقتربت منه تحاول لمس وجنته وهي تخبره بهيستريه:

ـ مازن.. بص.. أنا غلطت.. وأنت عاقبتني واتجوزت.. خلاص خالصين.. طلق اللي أنت اتجوزتها دي.. وأنا هسامحك.. وهعتبرها نزوة وعدت.. و..

صرخ بها وقد عجز عن السيطرة على غضبه:

ـ نزوة!.. وهتسامحيني؟!.. فوقي بقى.. فوقي يا مدام.. أنا ودنيا متجوزين من أكتر من خمس سنين..

رمشت بجفونها عدة مرات.. وبدا أنها تعاني في استيعاب ما قاله:

ـ خمس سنين.. خمس سنين ايه؟!.. أنت بتقول ايه؟!

وابتعدت عنه وهي تشير له بعد تصديق:

ـ محاولة فاشلة يا مازن.. أنا مش ممكن أصدق الكلام ده..

هز كتفيه بعدم اهتمام:

ـ أنتِ حرة.. صدقي.. ما تصدقيش.. شيء يرجع لك..

وضعت يدها على جبهتها تدعكها بقوة وكأنها تحاول تنقية أفكارها:

ـ يعني.. يعني أنا الزوجة التانية.. وأنا... احنا.. أنت.. تلات سنين عايشهم معايا وأنت في واحدة تانية فحياتك.. ازاي؟.. ازاي قدرت تخدعني الفترة دي كلها؟..

أجابها بسخرية:

ـ ازاي قدرت أخدعك!!.. تفتكري ده السؤال؟!.. لا يا مدام.. السؤال هو ازاي زوجة ما قدرتش تحس بوجود واحدة تانية في حياة جوزها لمدة تلات سنين وأكتر؟.. عارفة ليه؟..

أطلق ضحكة مريرة قبل أن يخبرها:

ـ لأنها ببساطة مش حاسة به كزوج.. ولا هي اتعاملت معاه كزوجة..

صمت للحظة يتأمل أثر كلماته عليها.. ولكنه وجد أن ملامحها تحمل معالم عدم

الاستيعاب.. وعدم التصديق.. فأكمل ما يريد قوله:

ـ خبر جوازي بدنيا هيكون منشور في كل الجرايد والمجلات بكره.. أنا طلبت من قسم العلاقات العامة عندنا في المجموعة يوزعوا بيان يأكد الخبر.. دنيا لها اسمها ومركزها ومش هسمح لأي شخص أنه يمسها..

رفعت عينيها له وقد تجمدت دموعها:

ـ دنيا!.. دنيا الموجي.. مصممة الأزياء؟..

أومأ برأسه موافقاً وهو يكمل كلماته:

ـ البيان مع السكرتيرة بتاعتك.. يا ريت تتابعي الموضوع بنفسك.. وأنا مستعد أرد على أي استفسار.. ولو احتاج الموضوع مؤتمر صحفي ما فيش مشاكل.. نحدد ميعاد ونعمل واحد..

صرخت به بعنف:

ـ أنت جبت القسوة دي كلها منين؟!..

ضحك ضحكة ساخرة:

ـ من أستاذة في القسوة..

حمل حقيبته خارجاً من غرفتها.. لعله يوماً
يستطيع الخروج من حياتها بأكملها..

الفصل الثامن والعشرون

I love you Hassan ...ـ

فاجأته.. بل صدمته.. فقد أدخلت قلبها في المعادلة.. وهذا ما لم يضعه في حسبانه..

التفت لها بحدة وقد ظهرت بعينيه نظرات غاضبة.. لا يريدها أن تحبه، بل لا يريد أن يسمع كلمة حب من الأساس.. أنه لم يتزوجها من أجل الحب وهمسات القلب، بل ليقتل ذلك القلب.. يدفنه كما دُفِنت حبيبته..

سحب سيجارة أخرى ونفث دخانها ببطء وأخذ يتأمل لورا قليلاً.. ثم همس ببرود:

"you are really pretty!"

كانت جميلة بالفعل وكأنها أخذت خلاصة الفتنة الإنجليزية والعربية.. فخصلاتها شقراء فاتحة تكاد تكون بلاتينية.. بشرة ناعمة برونزية

لامعة وليست شاحبة كعادة الانجليز.. عيون رمادية خضراء كعيون القطط..

كانت لورا ستيفنز قطعة فنية راقية.. وهو ما صرح به للتو.. فهو لم يتخيلها بهذا الجمال.. بل لم يكن يرها من الأساس!

من يصدق أنه قضى ثلاث ليال بين أحضان امرأة أدرك لتوه لون عينيها!..

ارتسمت بسمة ساخرة على شفتيه دفعت لورا لسؤاله عما يضحكه.. فعاد يتأملها لثوانٍ قبل أن يسألها:

- أنتِ لم تخبريني بقصتك بعد.. أعني أنه من الواضح أنه كان بحياتك رجل ما..

كتفت ذراعيها وهي تتأمله بدورها تحاول معرفة سبب تغييره للموضوع وتجنبه تماماً الحديث عن تصريحها بالحب.. فأجابته وهي تهز كتفيها:

- هل هو الفضول أم هي مجرد أفكار شرقية عتيقة!

حرك يديه أمام وجهه وكأنه يرفع تهمة ما:

ـ أنا لا أحكم عليكِ..

قاطعته ببرود:

ـ وليس من حقك الحكم علي..

أغضبه برودها.. فكرر سؤاله مرة أخرى:

ـ أعتقد أنه من حقي أن أعلم إذا ما كان هناك زوج خفي في ماضيكِ!

ابتسمت بمرارة:

ـ تريد أن تسمع قصة وجعي.. أم تريد الهروب من وجعك أنت؟

هز رأسه بمرارة وهو ينهي سيجارته ليبدأ واحدة جديدة وغمغم بصوت خافت:

"هروب!.. نعم.. هروب"..

ورفع صوته وعينيه إليها ليعاود السؤال بهدوء.. فتحركت ببطء لتجلس بجواره على الفراش.. وتسند ظهرها إلى إحدى الوسائد.. وتغمض عينيها لتقص عليه حكايتها:

ـ كان والديّ مدمنا مغامرات مجنونة.. تسلق جبال.. رحلات سفاري.. زيارات مختلفة لغابات أفريقية.. كان يستهلكان كل ذرة سعادة

يستطيعا الحصول عليها.. حتى.. كانت مغامراتهما الأخيرة.. قفزا معاً من إحدى الطائرات..

مطت شفتيها بأسى قبل أن تحاول ابتلاع ريقها وتهمس بخفوت:

ـ لم تفتح المظلة.. ولم يضع أي منهما المظلة الإضافية..

همس بتأثر لم يستشعره بالفعل.. فهذان الأخرقان اختارا الموت.. فكيف يحزن على موتهما:

ـ آسف..

سقطت دمعة وحيدة على وجنتها مسحتها بسرعة.. قبل أن تكمل وهي ترسم بسمة خفيفة على شفتيها:

ـ لا داعي لذلك.. أنا لم أفتقدهما كوالدين.. فقط افتقدت هالة المرح والإعجاب حولهما.. ولكني دائماً كنت حبة قلب جداي.. كان يكفي فقط أن أتمنى شيئاً لأجده بين يدي في التو..

التفتت له لتبتسم برقة وهي تمد يدها تداعب وجهه لتكمل بعدها:

ـ هذا لا يعني أنني كنت فاسدة.. فقط..

أكمل لها وهو يبتعد بوجهه:

ـ مدللة..

أومأت موافقة.. ثم بدا أنها تجد صعوبة في اكمال قصتها.. فقد انقبضت ملامحها الجميلة بألم وهي تكمل:

ـ جيرارد, ذلك كان اسمه..

ابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ كانت علاقتي بجداي رائعة.. حتى.. حتى التقيت به.. كنت في السابعة عشر فقط وكان هو مبهراً.. آخاذاً.. سلب قلبي من أول لحظة.. فتنت به.. ولم أرى غيره.. ولم أعد أقتنع إلا بكلماته..

صمتت قليلاً لترى رد فعله على كلماتها العاشقة لغيره.. ولكن ملامحه بقيت كما هي.. ثابتة كقناع بلاستيكي وسط سحابة من دخان السجائر.. فهزت كتفيها لتخبره بتردد وهي ترفع عينيها إليه:

ـ كان أول رجل في حياتي.. والوحيد.. حتى جئت أنت!

قطب حاجبيه بتساؤل:

ـ ما الذي يعنيه هذا؟.

أجابته بخفوت:

ـ يعني أنني لا أقوم بعلاقات كيفما اتفق.. أنا فقط ارتبط بمن أحب حقاً..

رفع رأسه بعنف وهو يستمع إلى تلميحها بالحب.. كلا.. يجب أن تتوقف عن حشر كلمة حب كلما تحدثا معاً... فما يجري بينه وبينها ليس حباً وبالكاد يطلق عليه زواجاً.. وهو ما يجب أن تفهمه تماماً..

نهض من الفراش وهو يشير إليه ببرود:

"That"s not love... we just slept together"

نظرت إليه بألم.. ونهضت بدورها لتواجهه هامسة وهي تلف ذراعيها حول عنقه:

"No Hassan, I just made love to you"

أبعد ذراعيها عن عنقه ليبتعد عنها إلى آخر الغرفة هاتفاً بقسوة:

"Stop it... stop saying that ..don"t..."

قاطعته بقوة:

"No ,I"ll say it and repeat it ..hopping ..you listen one day.."

مسح وجهه بكفيه بإجهاد وهو يردد:

ـ لماذا ترغبين في تعذيب نفسك وتحميلي المزيد من الذنب؟.. ألا يكفي ما أشعر به؟..

اقتربت منه لتحيطه بذراعيها برقة:

ـ لا يجب أن تشعر بالذنب.. متى لن يسعدها شعورك ذاك..

دفعها بعيداً وهو يهتف بغضب:

ـ منى ماتت.. كيف يمكن أن تسعد أو تحزن؟.. الأموات لا يشعرون.. فقط يبتعدون.. يقررون الهجر والفراق.

هتفت بذهول:

"you are blaming her!!!!"

ارتج جسده بقوة وكأنها رمته برصاصة.. وكلماته تتردد في ذهنه مرة أخرى.. هل يلوم منى على موتها؟.. أم خطاء اتخذه عقله الباطن ليبرر لنفسه ارتباطه بلورا؟.. أو مجرد وسيلة هروب سهلة ليتمكن من النجاة من فجوة سوداء هائلة تمتص نبضاته..

أراد الهروب من أفكاره.. كلماته.. مشاعر لورا.. لا يريد مزيداً من النقاش حول منى.. حول الحب والعشق..

غير الموضوع هرباً من الاجابة:

ـ لم تخبريني ماذا حدث مع زوجك؟..

تساءلت بدهشة:

- زوجي!!

- نعم.. الرجل الذي أحببته..

ضحكت بسخرية تعجب لها:

- نعم.. الرجل الذي أحببته.. من خسرت بسببه احترام جداي.. من تركت بلدي وجريت خلفه لاهثة إلى باريس.. لأكتشف في ليلة سوداء.. أنه زوج.. وأب لطفلين..

ضحكة مريرة أخرى صدرت منها وحبست دموعها ببسالة:

- ولا داعي لذكر مجموعة منتقاة من الصديقات..

أومأ برأسه بتفهم وهو يسألها بواقعية:

- وبالطبع عجزتِ عن العودة لجديك.. واستقريتِ هنا..

- نعم.. وبعد مجهود كبير.. استطعت الحصول على غفران جدي قبل وفاته..

- جيد..

اقتربت منه ببطء وهي تقول بتردد:

ـ حسن.. يجب أن تعلم أن جيرارد انتهى من حياتي منذ سنوات طويلة..

قاطعها:

ـ منذ أن عرفتِ بوجود زوجته؟..

رفعت عينيها إليه وقد تجمدت الدموع بعيونها وهي تسأله:

ـ لا يمكنك أن ترى الأمور إلا بالأبيض أو الأسود!.. هل تعتقد أن المشاعر تختفي بضغطة زر؟..

تكلم بإقرار وغضب مكتوم:

ـ بقيتِ معه رغم علمك بزواجه؟..

هتفت بشراسة:

ـ لقد أخبرتني أنك لن تحكم علي!..

تجاهلها متسائلاً:

ـ كم استمرت علاقتك معه؟..

برقت عينيها القططية بشراسة وهي تسأل بدورها:

ـ هل ستسمح بتبادل الأدوار؟..

ضيق عينيه بحيرة.. فأكملت لتوضح له:

ـ أن أقوم باستجواب مماثل؟..

أشاح بيده:

ـ أنتِ تعلمين كل شيء عني بالفعل..

كتفت ذراعيها وهي تجاوبه بتحد:

ـ ما أعرفه عنك كان على لسان مني..

صمتت عندما برقت عيناه غضباً.. فتنهدت بإجهاد وتهالكت على الفراش لتسأله بواقعية:

ـ حسن.. هل تنوي الاستمرار في زواجنا؟...

سؤال يحتاج لإجابة.. إجابة هو لا يملكها.. على الأقل في الوقت الحالي..

****

عدلت نيرة مرآة السيارة لتتأكد من مظهرها قبل أن تتوجه إلى الأتيليه الخاص بدنيا.. لتبدأ

أولى معاركها مع من فتنت زوجها..
وتزوجته.. وسرقته منها منذ سنوات..

داعبت خصلاتها الحمراء الثائرة والتي تناثرت
بفتنة لتغطي صدرها وذراعيها وظهرها أيضاً
المكشوفين تماماً.. رفعت صدر ثوبها الأحمر
الناري ليغطي مقدمة صدرها قليلاً.. ويظهر
بعض من بشرتها الوردية اللامعة بين
خصلاتها.. وعندما ترجلت من سيارتها
جحظت عيون من حولها ونظراتهم تجري على

ساقيها الطويلتين لتصل لنهاية ثوبها الذي
ارتفع فوق ركبتيها بعدة إنشات..

ابتسمت بثقة وهي تستشعر اعجاب الرجال بها
في كل خطوة تخطوها بدلال بالغ أبرزه كعب
حذائها العالي..

تعلم أن مازن سيقتلها لو رآها بذلك الثوب..
ولكنها في تلك اللحظة لا تهتم.. فهو دمرها
بالفعل الليلة الماضية.. وارتدائها لذلك الثوب
لهو أقل انتقام تستطيعه, كما أنها ستذهب
لمواجهة إحدى أيقونات الأناقة والموضة في

العالم العربي.. وارتدائها لمثل ذلك الثوب الصاعق يزيد من ثقتها بنفسها.. تلك الثقة الواهية التي بعثرها حسن ثم جاء مازن ليجمعها مرة أخرى ولكن ليلقي بها في أقرب سلة مهملات وهو يخبرها بمنتهى البرود أنه متزوج من قبل حتى أن يتزوجها أو يرتبط بها..

وبين تدافع أفكارها وجدت نفسها أمام مكتب مساعدة دنيا التي رحبت بها.. وأبلغت دنيا بوصولها مما أثار تعجبها.. هل كانت تتوقعها؟..

دلفت إلى مكتب دنيا الفخم وتحركت الأخيرة لاستقبالها عند الباب مما سمح لها بتأملها جيداً... جميلة.. بل فاتنة.. تمتلك جمال شرس.. لا شك أنه يثير اعجاب العديد من الرجال.. وأولهم مازن, بشعرها الأسود الطويل والذي تصففه اليوم بجديلة فرنسية معقدة ورغم هذا يصل طولها لنهاية خصرها

الذي التف بزنار فضي يجمع ثوبها الوردي اللون والذي تلتف تنورته حول ركبتيها..

كانت خامته رقيقة مما سمح بإظهار تناسق قدها الممشوق مع المحافظة على أناقتها ووقارها.. وذلك أغضب نيرة بشدة.. فدنيا ببساطتها وأناقتها تمثل ما يعجب مازن.. ما يريده ويستحقه رجلاً مثله..

أغضبها تفكيرها بشدة وهزت رأسها بعنف لتقذف منها تلك الأفكار فتناثرت خصلاتها حولها وظهر عُري ثوبها بوضوح, فزمت دنيا

شفتيها بعدم رضا وهي تدعوها للجلوس على إحدى الأرائك.. ولكن نيرة هزت رأسها رفضاً وكتفت ذراعيها ووقفت بتحدي وهي تخاطب دنيا بترفع:

ـ أكيد دي مش زيارة ودية..

وأشارت بيدها بطريقة مسرحية مترفعة:

ـ وواضح أنك كنتِ منتظرها..

ابتسمت دنيا ببرود:

ـ أكيد.. الخبر النهارده في كل الجرايد..

وصمتت لحظة لتردف وقد اتسعت ابتسامتها باستفزاز:

ـ أنا لازم أشكرك.. مازن قالي أنك أشرفتِ بنفسك على توزيع البيان على الجرايد..

هتفت نيرة بحنق وقد أغاظها برود دنيا:

ـ يا بجاحتك.. ايه مش مكسوفة من نفسك؟..

قطبت دنيا بتساؤل:

ـ اتكسف!.. اتكسف من ايه؟.. أنا لا عملت حاجة عيب ولا حرام؟..

صرخت بها نيرة:

ـ أنتِ سافلة..

تقدمت دنيا خطوتين وهي تشير لها بسبابتها محذرة:

ـ يا ريت تتعاملي بأدب.. وتحتفظي بتحضرك..

ثم أضافت وهي تلوي شفتيها باستهزاء:

ـ ده لو كنتِ تعرفي يعني ايه تحضر!

هتفت بها نيرة:

ـ تحضر!.. خطفتِ جوزي وجاية تكلميني عن التحضر!!

أجابتها دنيا ببرود سيدة أعمال تدير جلسة مفاوضات غير مرغوبة:

ـ بيتهيألي مازن وضح لك أني الزوجة الأولى.

ـ ولما أنتِ الأولى وافقتِ تكوني في الضل ليه؟..

رفعت دنيا حاجبها وهي تحاول التمسك بواجهة البرود:

ـ أسبابي ما تخصكيش..

ـ لا.. خلاص.. ما عادش ينفع تقوليلي يخصك ويخصني.. دلوقتِ مصيرنا مرتبط ببعضه..

أجابتها دنيا بعجب:

ـ ايه الكلام العجيب ده.. مصيرنا ازاي مرتبط ببعضه.. أنا مصيري بايد ربنا سبحانه وتعالى وبعدها قراراتي في إيدي.. وطبعاً بالتفاهم مع مازن.. أنتِ ليه متخيلة أنه ممكن يجبر أي واحدة على وضع مش مقبول..

همزات نيرة منها:

ـ طبعاً.. أنتِ بقى فهماه كويس وعاملة لي فيها الصدر الحنين..

هتفت دنيا بغضب وقد بدأ برودها في التبخر:

ـ مدام نيرة.. افتكري أني قلت لك احتفظي بتحضرك..

صرخت نيرة:

ـ أنتِ جايبة البرود ده منين!.. ولا أنتِ ساذجة ومش متخيلة وضعنا الجديد..

أشارت دنيا بسبابتها محذرة:

ـ ما تعليش صوتك هنا.. وأنا مش ساذجة أبداً.. الوضع ده مستمر بقى له سنين.. أنا أقلمت نفسي معاه.. حاولي أنتِ كمان تتأقلمي.. على الأقل عشان خاطر مازن..

ضحكت نيرة ضحكة مريرة:

ـ وأنتِ طبعاً بتعملي كل حاجة عشان خاطر مازن..

ثم سألت بصرامة خافتة:

ـ بتحبيه؟..

ارتسمت على ملامح دنيا رقة عذبة وهي تجيبها معترفة:

ـ جداً..

العشق الخالص الذي استشعرته نيرة من تلك الكلمة البسيطة التي ألقتها دنيا بنبرة حالمة أشعلت الدماء في عروق نيرة لتهتف بغيظ:

ـ جداً!!.. شغلتيه ولعبتي بيه عميتي عيونه عني وعن..

قاطعتها دنيا بغضب:

ـ عميت عيونه!!.. بيتهيألي أنتِ عارفة كويس مين اللي عيونه معمية..

حاولت نيرة مقاطعتها فمنعتها دنيا هاتفة بحسم:

ـ اسمعيني كويس.. أنا ساكتة على إهاناتك وتطاولاتك لأني مقدرة الصدمة اللي بتمري بيها.. لكن مش هسمح لك تستخدميني كشماعة تعلقي عليها مشاكلك مع مازن.. أنا موجودة في حياته من قبلك.. حقيقة وواقع

تقبليهم.. زي بالظبط ما أنا تقبلت احتياجه لوجودك في حياته.. احتياج أنتِ حولتيه للعنة عليكِ وعليه بدل ما تعملي منه قصة حب جميلة.. وجاية تكلميني على عمى البصر..

بهتت نيرة لهجوم دنيا الغير متوقع واشتعلت مراجل غضبها وهي تدرك قوة علاقة دنيا بمازن.. مدى تفهمها له.. وتقديرها لمشاعره..

هتفت بشراسة وهي ترغب في جرح دنيا.. رغبة أعمتها عن كل شيء:

ـ بلا بلا بلا.. أنتِ فاكرة إن كلامك ده هيقلقني.. أو حتى تهديدك بأنك في حياته.. و... وشوية الكلام الفارغ ده.. أنتِ كل اللي يهمك أنك تحتفظي به.. عشان خاطر مزاجك.. شاب وغني ووسيم.. وأصغر منك.. يعني بصراحة كده.. هتلاقي زيه منين يوافق أنه يرتبط بواحدة في سنك!.. واحدة خلاص السنين اللي باقية لأنوثتها تتعد على صوابع الأيد الواحدة..

رمشة جفن وعضلة بسيطة تحركت في جانب وجه دنيا كانا الدليل الوحيد على تأثرها الشديد بهجوم نيرة.. لكنها تمالكت نفسها وتحركت بهدوء نحو الباب لتفتحه وتشير لنيرة

ـ اتفضلي يا مدام نيرة.. الوقت اللي حددته لزيارتك انتهى وأنا ورايا شغل كتير..

رمقتها نيرة بغضب وتحركت بهدوء لتخرج من الغرفة وهي تحاول الحفاظ على رأسها مرفوع.. لتتوقف أمامها لثوانٍ هامسة:

ـ الشركة التلاتية دي مش هتستمر كتير.. وأنا مش هنسحب ولا ناوية أنهزم بسهولة..

وخرجت مسرعة بينما أغلقت دنيا الباب وهي تطلب من مساعدتها إلغاء كافة مواعيدها.. فهي أمامها نهار طويل من العمل والبكاء.. فلقد أصابتها جملة نيرة بمقتل..

لكنها لم تعرف أن أعماق نيرة كانت في حالة فوضى.. لم تستطع تحديد مشاعرها أو ما يجب أن تشعر به بالتحديد.. فلقد كان سبب زيارتها الأساسي لدنيا هو اظهار قوتها

وتماسكها بعدما صدمها مازن بخبر زواجه.. أرادت أن تظهر لدنيا أن ذلك الزواج ما هو إلا نزوة حمقاء لمازن وهي كأي زوجة عاقلة ستتقبل جموح زوجها لفترة ثم ستعيده إلى بيته وعش زواجهما.. ولكن ما حدث هو العكس تماماً.. لقد شعرت بأنها هي الدخيلة.. بأنها هي النزوة العابرة التي تتحملها دنيا في مقابل إسعاد مازن.. لم تدري لم أغضبتها قوة مشاعر دنيا نحو مازن أكثر من فكرة أنها ستشاركها به بالفعل.. هل تغار من قدرتها على احتواء مازن؟.. هل تغار من حب دنيا له رغم رغبتها العميقة بتصديق أن مشاعره لها هي وحدها، حتى لو أنكر ذلك وحاربه..

فوضى مهلكة ذلك ما تشعر به... هل أحبت مازن.. أم أحبت حبه لها؟..

هل تريد استعادته كرجل وزوج أم فقط تريد الانتصار في معركة افتعلتها مع دنيا؟.. من خلال حوارها معها أدركت أن مازن لم يخبرها بأمر الإجهاض.. فهل كان ذلك حفاظاً على خصوصية علاقته بها؟.. إذاً

فهو لا يريد تشويه صورتها أمام غريمتها..
هل ما زال يحبها ولو قليلاً؟..

هاجمها هاجس خفي أرعبها, بأن مازن أخفى الأمر عن دنيا حفاظاً على مشاعرها, فهي لم تنجب منه.. كما أن سنواتها تجري وقد لا تتمكن من الانجاب بسهولة..

بقدر ما أغضبها ذلك الهاجس بقدر ما جعل ذهنها يبرق بفكرة جهنمية.. الحمل.. ذلك هو الحل.. يجب أن تعوض مازن عن الحمل الضائع..

وحينها ستتمكن استعادته, بل وطرد دنيا من حياته...

****

اضجع يزيد براحة على الأريكة الوثيرة بغرفة المعيشة الفخمة بفيلا زياد..

مدد ساقيه أمامه على المائدة الصغيرة المواجهة للأريكة وأخذ يقلب في قنوات التلفاز بملل وذهن غائب.. ليس غائباً بالتحديد.. بل هو هناك معها.. فهو حتى وإن هرب من مواجهتها لكنها تسيطر على عقله بسهولة..

لا يعلم إلى متى يمكنه تأجيل المواجهة.. فهو يراعي هشاشة نفسيتها أثناء الحمل.. ولذلك يحاول الانتظار حتى يهدأ غضبه ولو قليلاً.. لا يستطيع مواجهتها وأفكاره تتصارع بين قلق يكاد يبلغ حد المرض من فقدانها، وبين غضب شديد لاخفائها أمور عنه.. بداية من وظيفة حسن وانتهاء بجريمة نيرة المقززة..

كيف أمكنها مجاراتها فيما قامت به؟.. كيف؟.. يعلم أنها تعشق الأطفال.. ولن تسمح بقتل واحد.. كيف استطاعت مساعدة نيرة على التخلص من جنينها؟..

زفر بغيظ وهو يدرك أنه كان يجب عليه مواجهتها بدلاً من هروب جبان نحو ريناد والتي بالقطع لن تساعد في اخماد حيرته.. فهو لا يتبادل معها حوارات كـــتلك..

لوى شفتيه ساخراً وهو يتذكر غيرة علياء من تواجده المستمر برفقة ريناد.. آه لو تعلم فقط ما تطلقه ريناد نفسها على وجودها في

حياته.. فهي تسمي نفسها.."منسقة حفلات بدوام دائم.. زوجة لحين اشعار آخر"..

تبأ.. لقد أفسد حياته بالفعل وحياة من حوله.. و...

وانتفض في جلسته إثر صرخة غاضبة من ريناد:

ـ يزيـــــــــــــد.. أنت اتجننت ترفع رجليك على الترابيزة كده..

ثم شهقت بصدمة مذهولة:

ـ كمان بتحط عليها كوباية العصير من غير طبق..

قطع يزيد جملتها الغاضبة بأن جذبها نحوه ليلفها بذراعيه هامساً بشقاوة:

ـ آسف يا أبلة الناظرة.. آخر مرة..

تملصت من بين ذراعيه وهي تخبره بغضب:

ـ ابعد يا يزيد.. أنت عارف أني متعصبة منك.. أولاً..

ورفعت يدها لتعد على أصابعها:

ـ كان لازم تعرفني بوفاة منى مرات حسن.. على الأقل اعمل الواجب.. واروح لوالدتها.. ثانياً.. نيرة كانت في المستشفى وخرجت وحصلها اجهاض.. ده كله من غير ما تقولي.. ثالثاً.. ايه اللي شلفط وشك كده؟..

دعك جانب وجهه الذي يؤلمه نتيجة لكمة مازن له وتجاهل اخبارها عنها بينما قطب حاجبيه بحيرة:

ـ تعملي الواجب مع والدة منى!!!.. ازاي؟!.. مش ده المكان اللوكال اللي مش بتطيقيه؟..

هزت كتفيها بلامبالاة:

ـ أيوه.. بس عليا راحت.. عايز الناس تفتكر أنها هي صاحبة الذوق والواجب وأنا لا.. ولا عايزهم يفكروا أنك طلقتني وهي بقيت مدامتك الوحيدة..

لوى شفتيه بامتعاض وهو يغمغم:

ـ لا.. بجد أفحمتيني.. أسباب وجيهة فعلاً..

ثم ابتعد عنها ناهضاً وهو يدرك أنها فقدت اهتمامها بالكدمة الزرقاء بوجهه عندما قررت التركيز على نفسها.. تنهد بتعب وهو يسألها بوقاحة:

ـ يا ترى الليلة مطلوب خدماتي.. ولا ممكن اروح أنام..

أجابته بغضب:

ـ ايه الطريقة اللي بتتكلم بيها دي.. من فضلك يا يزيد حسن أسلوبك شوية..

ثم جذبته من يده ليعاود الجلوس بجوارها وأمسكت كفه تداعب أنامله وهي تسأله:

ـ عليا وافقت أن خالتو تشوف الولاد؟..

نظر إليها بطرف عينه متسائلاً:

ـ طبعاً ماما اللي طلبت منك تسأليني؟..

ألقت برأسها على كتفه ثم مرغت وجنتها حتى استقرت على صدره وداعبته بإغواء وهي تردد:

- يا حبيبي.. دي حاجة ما تزعلش.. واحدة ونفسها تشوف أحفادها.. شيء طبيعي.. عليا اللي مكبرة الموضوع.. والحكاية اللي حصلت زمان مستحيل تتكرر.. يعني خالتو هتعمل ايه للولاد!!.. شيء عجيب والله..

اجابها بهدوء:

- ولادها وهي حرة.. وخلينا نقفل على الموضوع ده.. ممكن؟..

طوقته بذراعيها وهي تحرك شفتيها على عنقه وتهمس:

- ايه رأيك لو أخدت اجازة يومين وسافرنا في أي مكان نغير جو.. الدكتور بيقول ده هيساعد مع النظام الجديد..

غمغم بتردد:

ـ أيوه.. بس أسافر وأسيب علياء ازاي!..

دي حامل و..

ابتعدت ريناد عنه بعنف وهي تهتف:

ـ أيوه.. حامل.. للمرة الكام؟.. التالتة..

صح؟.. أظن ممكن تنساها يومين وتركز

معايا.. لأني نفسي أعرف معنى كلمة حامل..

جذبها لتجلس بجواره ثانية ويطوقها بذراعه

مربتاً على كتفيها:

ـ طيب ايه رأيك نعمل حقن مجهري؟..

هزت رأسها بغضب:

ـ لأ طبعاً.. قلت لك قبل كده كتير.. لأ..

طالما الدكتور قال أني سليمة.. وممكن الحمل

يتم طبيعي.. عايز ليه نلجأ للحقن

المجهري؟.. أنت عارف هيكون شكلي ازاي

وسط اصحابي وهما عارفين ان الهانم بتحمل

ولا الأرانب.. وأنا.. اضطر ألجأ لطرق

صناعية!!

هز رأسه بحيرة:

ـ ريناد.. أنتِ عايزة طفل عشان محتاجة تكوني أم.. ولا عشان لازم تكوني أم؟..

ظهرت معالم الحزن على ملامحها وبدأت تعصر عينيها لتستدعي بضعة دمعات:

ـ يعني ايه؟.. أنت بتلعب بالكلام ليه؟.. عايز تتهرب من الموضوع صح؟.. حتى مش قادر تشاركني حاجة طبيعية وبسيطة زي دي؟..

وفجأة أجهشت بنوبة بكاء.. وهي تتمتم برغبتها في طفل ينمو بداخلها.. فلم يجد أمامه بدأ من الموافقة على الإجازة الاجبارية..

****

قررت نيرة وضع خطتها في حيز التنفيذ في أسرع وقت.. فابتاعت في طريقها للمنزل أكثر أثواب النوم إثارة.. واختارته باللون الوردي كما يحب..

وأغرقت جسدها.. وشعرها بعطره المفضل.. وأضافت لمسة أخيرة من طلاء شفاه بلون الكرز.. وتمددت في فراشه بإغراء مميت..

تنتظر عودته.. وتدعو بداخلها ألا تخبره دنيا بلقائهما العاصف صباح اليوم..

لم يطل انتظارها فسرعان ما دخل مازن إلى الغرفة ليفاجئ بالمشهد المغري الذي أعدته له.. وريقات الزهور منثورة على الفراش.. والشموع المعطرة موزعة في أرجاء الغرفة المظلمة جزئياً.. وموسيقى حالمة تذيب أشد القلوب قساوة.. ووسط كل ذلك.. الشعلات الحمراء متناثرة على وسادته.. ومعذبته ترتدي ثوب وردي شفاف.. يلتصق بجسدها كجلدٍ ثاني لها..

وقف يتأملها قليلاً ورغبته الطبيعية كرجل تتحرك نحوها.. ولكن بطريقة بدائية وغريزية مقززة.. سرعان ما عبر عنها عندما جذبها بشدة ليطبع على شفتيها قبلة عنيفة.. نهمة.. تعبر عن شهوة خالصة.. استشعرتها هي على الفور.. لتدفعه عنها قليلاً وهي تهمس:

ـ سامحني يا مازن.. أنا آسفة..

أمسك شفتيها بقبلة أخرى عنيفة.. جعلتها تبتعد على الفور وهي تسأله بغضب:

ـ في ايه؟.. ليه كده؟..

ضحك بسخرية وهو يردد كلماتها:

ـ ليه؟.. مش هو ده اللي أنتِ عايزاه؟.. ده اللي قررتِ تعمليه؟.. مشهد اغواء متكامل..

ثم لوى شفتيه باشمئزاز:

ـ مشهد رخيص.. رخيص بالظبط زي مفهومك للحب.. زي ما حولتِ مشاعر حلوة..

وأحاسيس رقيقة لشيء مبتذل ورخيص.. مجرد علاقة جنسية مثيرة.. تسيطري بها تاني على الزوج الأحمق.. صح؟..

جذبها من ذراعها بقوة وهو يهمس بغضب:

ـ طول السنين اللي فاتت وأنا بحاول أصحح مفهومك عن تبادل المشاعر وتبادل الحب.. بس الظاهر ما فيش فايدة.. برضوه عقلك صورلك أن حل مشكلتنا هو علاقة سريعة تهدي بيها غضبي وتقدري تسيطري علي بالجنس..

هز كتفيه بلامبالاة:

_ خلاص.. أنتِ قررتِ أن منزلتك ما تتعداش مكانة المومس.. مين أنا عشان أعترض..

ثم أبعدها عنه قليلاً وهو يتأمل جسدها بنظرات اشتهاء وقحة قبل أن يأمرها بحسم:

_ اقلعي هدومك..

شهقت بقوة وابتعدت عنه وهي تحمي جسدها بذراعيها.. وتهز رأسها يميناً ويساراً بقوة رافضة كلماته المهينة..

دفعها لتسقط على فراشه وهو يخبرها ببرود بينما يخلع ملابسه:

_ أنا هدخل آخد شاور.. أخرج آلاقيكي قلعتِ ومنتظراني في السرير..

وسكت لوهلة قبل أن يقول ببرود قائل:

_ أو أخرج آلاقيكي بره الأوضة خالص وتكوني نضفتِ القرف ده..

قال ذلك وهو يشير إلى الورود والشموع المتناثرة.. وأردف بوقاحة:

ـ وبعد كده ما تدخليش أوضتي إلا لو أنا طلبتك منك.. ده لو احتجت خدماتك..

تركها تنفجر في نوبة بكاء هيستيري ودخل إلى الحمام ليتأمل صورته المنعكسة في المرآة.. رأى ملامحه ولكن بنظرات ميتة.. بقلب بدأ يتحول لقطعة من الصخر الجليدي.. ولكنه رغم ذلك ينتفض بعذاب مُهلِك.. فبرغم أنه أهانها وجرحها وقسي عليها ولكن قلبه الصخري كما يظن يلومه ويعاتبه على قسوته وينتفض باكياً حزناً على محبوبته..

لكم صورته في المرآة بغضب وهو يهتف:

ـ لأمتى... العذاب ده لأمتى!..

****

وهناك عبر البحار.. وفي بلدٍ آخر.. بل قارة أخرى.. قلب آخر يريد صاحبه ذبحه.. ودفنه.. والرقص فوق بقاياه كل ليلة بين أحضان الإثارة..

يتسلل من فراشها.. ويبحث وسط أشيائه عن هاتف محمول ينتمي لحبيبة غائبة بجسدها

ولكنها تحيا في قلب يريد قتله.. فيعبث بأزراره قليلاً.. ثم يسمع صوت مميز لوصول رسالة في هاتفه

ويفتح الرسالة ليجد تحيتهما المعهودة..

"تصبح على خير.. لا اله الا الله"..

ويرد هو برسالته..

"استنيني يا ملاكي أنا هفضل أحلم بيكي ليل ونهار"..

وأردف برسالة أخرى

"محمد رسول الله"...

الفصل التاسع والعشرون

"أنا حامل!"

جملة ترددت أكثر من مرة، وما بين فرحة طاغية لقلق عارم وخوف من المستقبل وبرود وصل لحافة الصقيع.. تباينت مشاعر مُلقيها ومتلقيها..

فبمنزل مازن ودنيا..

جلست دنيا على حافة المغطس وجسدها يرتعد بأكمله وهي ترمق العصا البلاستيكية الراقدة بسلام على طرف المغسلة القريب منها..
وكلما رفعت يدها لتلتقطها، أعادتها بسرعة لتضعها على شفتيها لتكتم شهقة بكاء خافتة..

تخشى تكرار خيبة أمل المرات السابقة..
بداخلها تتصارع رغبتان متضادان، غريزتان طبيعيتان قد تتوازيان بقلب كل أنثى، إلا هي..
هي فقط تلاعبت بها الأقدار لتتعارض غريزة

الأمومة بداخلها مع عشقها اليائس لرجل ليس لها..

عادت ترمق العصا البلاستيكية برهبة وقلق وكأنها تتساءل عما يمنعها من التقاطها وانهاء الأمر.. إما بخيبة أمل قد تعوض عنها الشهر القادم.. أو خيبة أخرى تستمر لآخر العمر..

انتفضت في جلستها عندما وصلها صوت مازن يتساءل في قلق:

ـ في ايه يا دنيا؟..

رفعت إليه عينين حائرتين.. فلم تعلم منذ متى وهو واقف هكذا بمدخل الحمام يتأمل دموعها بقلق..

اقترب منها ليجلس على ركبة واحدة ويمسك بيديها يقبلهما في رقة متسائلاً:

ـ تحليل جديد؟..

أومأت برأسها موافقة.. فسألها مرة أخرى:

ـ عايزاني أشوف لك النتيجة؟..

أومأت بالموافقة مرة أخرى وبدأت دموع القلق تنساب على وجنتيها بصمت وهي تلمحه يتناول العصا ببساطة ويتأملها للحظات بعدها ارتسمت لى وجهه ابتسامة غامضة، ورفع وجهها بإبهامه هامساً:

ـ مبروك يا أحلى مامي..

رفعت نظراتها له بأمل وهمست:

ـ أنا حامل!

ثم انفجرت في نوبة بكاء قوية، رفعها مازن بين ذراعيه ليضعها على الفراش برفق ويلتقط دموعها بشفتيه وهو يطمئنها بكلمات رقيقة.. ويخبرها كم يتمنى فتاة جميلة وقوية كأمها، ولكن دموعها لم تتوقف وشهقاتها زادت ولم تقل فضمها بقوة وهو يقبل شعرها.. بينما زادت هي من تمسكها به فرفعت رأسها بعنقه وغرزت أظافرها في ظهره بقوة حتى كاد أن يطلق آهة ألم.. شعرت هي على الفور بألمه الصامت فخففت من مسكتها قليلاً ونظرت إليه

بحرج.. وهمست من بين دموعها بصوت متحشرج:

ـ آسفة..

أبعدها قليلاً ومسح دموعها مرة ثانية وهو يسألها:

ـ ليه كل ده بس يا دنيا؟..

تواصلت شهقاتها وعجزت عن إجابته فهي لا تعرف كيف تفهمه أنها تبكي سعادتها

وحزنها.. ربحها وخسارتها.. أغلى ربح.. وأحلى خسارة..

همست بألم:

ـ مش مصدقة.. التلات شهور اللي فاتوا كانوا خيبة ألم كبيرة.. فكرت.. فكرت..

وازداد بكائها.. وهي تخبره بألم:

ـ فكرت للحظة أن فرصتي في الحمل انتهت عشان السن و..

قاطعها بقبلة دافئة على شفتيها:

ـ هششش.. بلاش كلام فارغ.. سن ايه وعبط ايه.. أنتِ أم بالفطرة يا دنيا.. وهتكوني أحن أم.. سوبر ماما..

ابتسمت من وسط دموعها وهي تسأله:

ـ بجد!.. بجد يا مازن؟.. يعني خبر الحمل أسعدك؟

لف بجسده ليجاورها في الفراش ثم رفعها لتجلس على ركبتيه وهمس بأذنها:

ـ كلمة سعيد مش كفاية.. أنا سعيد وفخور وطاير في السما وهبقى أب.. والبركة فيكي بعد ربنا طبعاً.. أخيراً.. أخيراً.. أب..

تهدج صوته في آخر كلمة حتى ظنت دنيا للحظات أنه على وشك البكاء هو الآخر.. فوضعت رأسها على صدره برفق.. ثم أمسكت يده لتضعها على بطنها ليتحسسها برقة.. ولحظتها لم يستطع تمالك نفسه فسقطت دمعة وحيدة مسحها بسرعة وزاد من ضم دنيا التي همست بتردد:

ـ مازن.. لازم نتكلم في موضوع الانفصـــ...

قاطعها بوضع إصبعه على شفتيها هامساً:

ـ مش دلوقتِ يا دنيا.. بنتي مش هتتولد بين أب وأم منفصلين.. ده حقها علينا.. بعد الولادة هنتكلم..

رددت بعجب:

ـ بنتك!..

ضحك ليخبرها:

ـ أيوه.. بنتي.. يكون في علمك أي حاجة غير بنوتة عيونها بسواد الليل وشعرها أنعم من ورق الورد مش هستلم!..

ضحكت هي الأخرى بنعومة وربتت بيدها فوق يده وكأنها تخبره بصمت أنها توافقه في رغبته... وسكنت بين أحضانه لفترة خيم الصمت فيها عليهما ولم يُسمع في الغرفة إلا صوت دقات قلبيهما يتواصلان سوياً بطريقة غير مألوفة كحياتهما معاً.. عدل وضعها لتنام بين ذراعيه وأخذ يملس على خصلاتها

برقة حتى نامت بوداعة بين ذراعيه وعلى شفتيها ارتسمت ابتسامة رقيقة..

أغمض عينيه محاولاً النوم ولكن ذكرى عيون زبرجدية مازال يعشقها إلى الآن طاردته بقسوة وكأنها تذكره أنه أصبح سبب لوجعها على الدوام مثلما كانت هي سبباً لنحره حياً.. فهي لم تيأس ولم تكف عن محاولاتها الخرقاء لاسترجاعه.. مرة عن طريق البكاء ومرات باستخدام إغراء أنوثتها التي أصبح يرفضها على الدوام مما يسبب لها الجنون.. فهي

راهنت من البداية على افتتانه بها.. وهو سقط في فخها بكامل إرادته ولكنه الآن أصبح يكره نفسه.. يحتقرها.. ويشمئز من جسده الذي يطالبه مرات عديدة بالرضوخ لها.. ولكن بقايا عقل وإرادة ما زال يتمتع بهما هما ما يحميانه من السقوط بفخها ثانية.. وإن غيرت تكتيكاتها الآن وأصبحت تلعب دور الزوجة الهادئة الصبورة المطيعة.. حتى أنها تقوم الآن بغسل ثيابه وكيها.. وهو يعلم أنها خطة جديدة.. وهي تعلم أنه يعلم.. ولكنهما

مستمران في الدوران بحلقة مفرغة لعلهما يصلا يوماً إلى ثغرة الهروب.. أو العودة...

**

وبمقر مجموعة الغمراوي..

كان يزيد يتأمل شاشة هاتفه وابتسامة ساخرة ترتسم على شفتيه وهو يعيد قراءة الرسالة التي وصلته من ريناد..

"يزيد.. أنا حامل!.."..

حاول جاهداً البحث عن لمحة سعادة أو لهفة للذهاب إليها وتهنئتها على حمل انتظرته طويلاً.. ولكن للأسف.. لا شيء.. حتى أنه شكر ربه لاختيارها تلك الطريقة الباردة لإخباره فهو لم يجد بنفسه حتى القدرة على التظاهر بالسعادة، بل كان يشعر بالغضب.. نعم الغضب.. غاضب من ريناد.. ومن علياء.. ومن نفسه بالطبع فكل ما يقلقه الآن إحساسه بأن مشاعر الأبوة لديه تتجه لأولاده من علياء فقط.. يخشى أن يرث طفل ريناد انعدام مشاعره نحو أمه.. فكل ما يفكر به حالياً..

أن ريناد ستعتقه من رحلات الأطباء وما يتبع ذلك من أنظمة وجداول ومواعيد تربطه بها.. وفكرة أخرى تساوره.. أن أمه أخيراً ستُمتع نفسها بحفيد من ريناد..

زفر بحنق وهو يفكر بالسبب الثاني لغضبه.. ريناد.. ورغبتها المسعورة في الحصول على طفل.. حتى وإن كانت لا تحب والده..

نعم.. أنه يعلم الآن وهي وأيضاً تعلم أين يكمن قلبه.. ولكنها لا تبالي.. وهي من أوضحت له تلك الحقيقة في إجازتهما

الأخيرة.. حيث كانا يتمشيان على الشاطئ الخاص بالفندق الذي يقيمان به عندما سألته ريناد فجأة:

ـ أنت ليه ما وافقتش أننا نسكن في شاليه المعمورة؟..

صمت للحظات ولم يجد ما يجيبها به.. ثم أخيراً أجابها:

ـ أكيد الإقامة في الفندق أريح لك.. و..

قاطعته بواقعية:

ـ والشاليه حكر على عليا بس..

همس بتردد:

ـ أنا..

قاطعته مرة أخرى:

ـ أنت عاطفي قوي يا يزيد.. عارف في أول خطوبتنا لما كنت بتقولي أنك مش عارف الحب ده بيوصفوه ازاي.. وأننا طالما مرتاحين مع بعض يبقى مشاعرنا ضروري هتتوافق.. كنت بكون مرتاحة ومبسوطة أنك مش هتحملني فوق طاقتي..

قاطعها بتعجب:

ـ فوق طاقتك!!

أومأت موافقة:

ـ ايوه.. كلام الحب والغزل.. أنت عارف.. نظام الأغاني والمشاعر وكده..

نظر إليها بدهشة.. فأكملت:

ـ بص يا يزيد أنت فاهمني كويس وعارف أفكاري ماشية ازاي.. أنا واقعية.. بحب أحسبها 1+1= 2.. في بداية علاقتنا لما أنت ما صرحتش بكلام حب وعشق.. اكتفيت بالغزل بس.. كنت مرتاحة جداً.. وكنت فاهمة ان جوازنا هيكون مثالي، لحد فرح حسن.. وقتها حسيت أنك اتغيرت.. أعماقك اتغيرت.. وكان عندي حق..

هز يزيد رأسه بحيرة وهو يتمتم:

ـ أنا مش فاهم أنتِ عايزة ايه؟..

التفتت لتواجهه وأمسكت وجهه بين يديها لتجاوبه بصراحة واقعية:

ـ كل اللي عايزة أقوله.. ان أسلوب جوازنا مناسبني جداً.. وجود عليا في حياتك رغم انه كان في البداية جارح ومهين لكرامتي، إلا أنه دلوقتِ مريح جداً

لأني اكتشفت أنك مش الشخص العملي اللي كنت متصوراه..

وهزت رأسها بلامبالاة:

ـ أنت عاطفي قوي..

كادت الدهشة أن تعقد لسانه من تصريحاتها الواقعية وسألها بسخرية:

ـ وبعد المصارحة الرومانسية دي متوقعة أني أكمل.. لا.. وكمان نخطط عشان الحمل؟!..

هتفت بدهشة:

ـ أيوه طبعاً.. ايه علاقة كلامنا ده بالحمل!.. هما كل اتنين متجوزين لازم بينهم قصة رومانسية!.. اللي بينا أكبر وأعمق.. في تفاهم وتوافق.. أفكارنا وخلفيتنا واحدة.. وفي ما بينا احترام وود.. مش ناقص غير الطفل عشان نكون أسرة مثالية..

عاد إلى واقعة وجملة "أسرة مثالية".. تتردد في ذهنه، فأمسك هاتفه ليتصل بريناد ويقوم بما عليه كزوج مثالي ويهنئها بحملها..

حاول تلوين صوته ببعض السعادة وهو يهتف:

ـ ريناد.. ألف مبروك..

أجابته بهدوء:

ـ ميرسي يا يزيد.. الحمد لله الدكتور الأخير طلع شاطر قوي..

اجابها بتأنيب مستتر:

ـ كله بأمر الله..

ـ أيوه طبعاً.. الحمد لله..

ـ طيب تحبي أجيب لك حاجة معايا وأنا جاي.. بتتوحمي على ايه؟..

هتفت باشمئزاز:

ـ أتوحم ايه بس يا يزيد!.. أنت بتصدق في الكلام الفارغ ده.. وبعدين أنا مش في البيت.. الدكتور طلب راحة تامة.. وماما اخدتني عندها..

غمغم براحة:

ـ بجد.. أنتِ عند خالتو.. طيب بلغيها سلامي.. ولو احتجتِ أي حاجة كلميني.. سلام..

أغلق الهاتف بهدوء.. وهو يردد..

"ونعم الـأسرة المثالية.. يا بنت خالتي"..

**

انطلق حسن بسيارته الرينو الصغيرة متجهاً إلى مقر عمله بالقرب من الحي اللاتيني بجنوب باريس حيث تقطن معظم الجالية العربية.. وكان ذلك من أهم الأسباب التي دفعته لاختيار ذلك الحي لإقامة مشروعه.. حيث قام بافتتاح مطعم للمأكولات العربية وشاركه فيه غسان مدير أعمال فريدة والتي كانت همزة الوصل بينهما بعدما قرر غسان اعتزال عالم الفن وقرر الابتعاد عن حياة فريدة تماماً فهو أدرك أخيراً أن قلبها ومشاعرها مرتبطة بوالد ابنتها حتى لو انقطعت علاقاتهما الرسمية..

فكان قرار إقامة المطعم بمثابة بوابة لهروب الرجلين من مشاعر وذكريات تقتات على أعماقهما.. ولحسن حظهما لقي المشروع نجاحاً باهراً بمجرد افتتاحه.. وكان حسن يقتل نفسه حرفياً في عمله.. يتابع كل كبيرة وصغيرة به حتى أنه أحياناً ما كان يدخل

المطبخ ليراقب ويتعلم صنع الأطباق العربية المميزة.. كان يهرب من حياته السابقة ويقطع كل صلته بها.. حتى نجاحه السابق واسمه اللامع كمهندس معماري عبقري والذي دفع ثمنه من قبل عرقاً وجهداً تنازل عنه راضياً.. ولم يهتم بأي من العروض التي انهالت عليه لإدارة فروع لشركات عديدة في معظم أنحاء أوروبا.. ومن سخرية القدر أن تكون شركة والده من أبرز تلك الشركات..

لمح إشارة المرور تتحول إلى الأحمر.. فأوقف السيارة وأغمض عينيه وهو يتذكر ذلك اليوم منذ أكثر من ثلاثة أشهر حين أيقظته طرقات قوية على باب شقته.. وما هي إلا لحظات حتى دخلت لورا إليه لتخبره بقلق:

ـ حسن.. والدك بالخارج.. أنه يبدو.. يبدو غاضباً بشدة..

نهض من فراشه بتثاقل, فهو لا يتركه إلا لتناول الطعام فقط.. واقترب من لورا يسألها بغضب:

ـ هل أهانك أو أساء إليكِ؟..

هزت رأسها نفياً وأخبرته:

ـ فقط نظراته.. أنها مهينة للغاية..

ربت على شعرها برقة:

ـ آسف على ذلك..

ارتدى ملابسه وتحرك ليخرج لوالده.. ولكنه عاد إليها يخبرها بهدوء:

ـ قد تعلو أصواتنا.. لا تدعي ذلك يقلقك.. إنها فقط طريقتنا في المناقشة..

خرج لوالده الذي وقف يتأمل الشارع من نافذة غرفة المعيشة.. وأخذ يتأمله للحظات.. سنوات لم يلتقيا.. سنوات تغير فيها كلاهما بشدة.. فبقدر القسوة والجليدية التي تغلف بها قلب حسن بقدر ما ظهر الضعف ومرور العمر على ملامح والده الذي انحنت كتفيه وبدا بطريقة ما أنه أكبر من سنوات عمره الستون..

قطع حسن الصمت أولاً:

ـ أهلاً وسهلاً يا حاتم بيه.. زيارة غير متوقعة بصراحة..

تنحنح حاتم ليجلي صوته وتأمله وله للحظات أدرك فيها مدى التغير الذي أصابه:

ـ البقاء لله يا حسن.. و..

هز حسن رأسه برفض مطلق:

ـ حاتم بيه بنفسه جاي يعزيني!!.. معقولة!.. نزل من برجه العاجي عشان يعزي في بنت السواق بتاعه!.. آسف يا حاتم بيه.. لو هتقدم تعازيك تقدمها لعم نصر والد منى.. بس يا ترى هتقدر؟.. هتقدر تحط عينيك في عينيه وأنت عارف أنه ما قدرش يودع بنته في لحظاتها الأخيرة بسبب غطرستك وكِبرك.. بسبب أنك قفلت كل الأبواب في وشنا لحد ما هربنا وسيبنا لك البلد باللي فيها.. هتقدر يا سعادة البيه!..

نهره حاتم بقوة:

ـ حسن!.. ازاي تكلمني بالطريقة دي..

صاح حسن بدوره:

ـ جاي ليه يا حاتم بيه؟.. أكيد مش عشان تقدم تعازيك..

ـ جاي علشان أعقلك.. عشان ترجع بلدك وبيتك وشركتك..

تأمله حسن للحظات ثم بدأ يضحك..

ويضحك.. ويضحك.. ضحك هيستيري بدا أنه غير قادر على السيطرة عليه فدمعت عيناه واحتقن وجهه بشدة ولكنه استمر في ضحكاته الخارجة عن السيطرة حتى أجبره والده على التوقف بصفعة خاطفة على وجنته.. لم تكن صفعة قوية ولكنها أخرجته من نوبة هيستريه كان على وشك الانخراط بها.. تلمس وجنته بألم وهتف بصرامة:

ـ اللي أنت جاي له مات.. حسن مات واندفن مع منى.. اللي قدامك ده.. شبح.. مسخ..

وتحرك نحو باب الشقة ليفتحه مردفاً:

ـ أحسن الله عزاؤك يا حاتم بيه..

هتف حاتم بدهشة:

ـ بتطرد أبوك من بيتك يا حسن؟..

أجابه حسن:

ـ سبق وطردتني من دنيتي كلها..

هزه حاتم بقوة:

ـ يا بني بلاش القسوة دي.. أنا ماليش غيرك أنت وأخوك.. وأخوك بهدل الدنيا واتجوز على مراته و..

صفق حسن كفيه بقوة وهو يهمس بيأس:

ـ ما فيش فايدة.. ما فيش فايدة يا حاتم بيه.. كارتك الكسبان اتحرق.. قومت جريت جري تدور في دفاترك القديمة.. بس أحب أقولك أن الدفاتر دي اتحرقت هي كمان وما بقاش فيها إلا الرماد..

هز حاتم رأسه بنفي:

ـ أنت ازاي بقيت كده.. ازاي يا حسن..

اجابه حسن بمرارة:

ـ كتر البعاد بيعلم الجفا..

أفاق حسن على أصوات السيارات لتنبهه لتحول الإشارة إلى الأخضر.. وكأنها تنبهه أن

زيارة والده كانت إشارة البدء لحياته الجديدة.. فبعد خروج والده العاصف أخذ يتأمل حياته للحظات.. فرأى نفسه مجرد.. فاشل.. عاطل.. يعيش عالة على زوجته.. لم يستطع تحمل مواجهة الصورة المنعكسة أمامه،

فخرج هائماً في شوارع باريس.. أفكاره تدور في دوامات.. تتخبط روحه بين شوارع لا نهاية لها كما يتخبط جسده بين أجساد بشر يمرون به.. لا يراهم ولا يعرفهم ولكنه يلمح نظرات منى اللائمة.. نظرات خيبة أملها به

تبرق في أعينهم وكأنها آلاف الأسواط المُعَذِبة لروحه الجريحة..

وجد نفسه في النهاية أمام شقة فريدة.. حيث كانت تلك نقطة الانطلاق حين التقى هناك بغسان شريكه في المطعم.. والآلام..

عادت أصوات السيارات تدوي من حوله وتصاحبها بعض الأصوات العالية.. وقليل من السباب الفرنسي الأنيق، فانطلق بسيارته إلى عمله ليدفن به ما تبقى من نهاره.. أما الليل فهو يفنيه بين ذراعي لورا التي تبذل كل

جهدها لترضيه وتسعده وتنسيه.. وهو ينهل من حبها.. من مشاعرها التي تغرقه بها بكرم وصبر في انتظار اللحظة التي يبادلها فيها مشاعرها.. لحظة يعلم علم اليقين أنها لن تأتي أبداً.. ولكنه بكل أنانية يقتات على حب لورا لن ليحيا.. يتنفس.. يستمر على قيد الحياة, ولكنه أبداً لن يعيش ثانية..

وصل إلى مطعمه ليلمح سيارة لورا متوقفة خارجه, انتابه القلق الشديد.. فلم تركت عملها الذي تعشقه في منتصف نهار عمل!..

ترجل من سيارته بسرعة وانطلق نحو مكتبه ليجدها تنتظره في مكتبه وما أن لمحته حتى أنطلقت لتتعلق بعنقه هاتفة بسعادة:

-Hassan , I'm pregnant ..

هتف بدهشة:

-what???

اجابته والسعادة تغمرها:

-I'm pregnant .. we will have a baby

نظر إليها بصدمة بالغة ولم يعرف بم يجيبها وبداخله سؤال يتردد بعنف

"لم اختار ابنه أن يسكن رحمها هي؟.. لم؟.. لم؟.."..

****

أخذ يزيد يراقب علياء التي كانت جالسة براحة تتابع أحد البرامج على التلفاز.. كانت تبدو فاتنة للغاية وهي ترتدي واحدة من تلك المنامات القطنية القصيرة والمطبوع عليها صورة ذلك التويتي الذي يمقته بشدة.. مسدت بأناملها فوق بطنها التي تكورت بفتنة وعلى شفتيها ابتسامة ناعمة.. عاودته للحظات لحظة معرفته بحمل ريناد وهز رأسه بأساً.. فهو مع كل حمل لعلياء يصل لعنان السماء من فرحته.. بل يكاد يخرج إلى الشرفة ليقف فوق سورها ضارباً صدره بقبضتيه كرجل الغاب في إعلان صريح وواضح أنه قادر على منح الأطفال لامرأته..

ابتسم بحنين وهو يتذكر وجودها بين ذراعيه.. وجود مر عليه وقت طويل.. طويل

جداً.. وهو مشتاق.. يقتله شوقه وحاجته إليها بينما هي تجافيه.. تبعده.. وتصر على عقابه.. عقاب يستحقه فهو أثبت غبائه بجدارة.. ولا يعلم حتى الآن كيف ظن أنها قد تشارك نيرة في جريمتها.. ولكنه للأسف وقتها كان غضبه ما يحركه ويسيطر على عقله فواجهها بشكوكه فجن جنونها.. واتهمته بكل ما ورد في القاموس من الغباء إلى النذالة.. وطردته من غرفتها بكبرياء وهي تخبره أن عليه أن يعود للنوم في حجرة التعذيب ذات الفراش الوردي..

شعرت علياء بوجوده فرفعت عينيها لتجده متكئاً على حافة الباب يراقبها بشغف وقد ارتسمت في عينيه نظرات جعلت وجنتيها تشتعلان بالحمرة.. فانطلقت ضحكاته بقوة وهو يرمي بجسده إلى جوارها ويلقي برأسه على صدرها هامساً بتوسل:

ـ مش هتسامحيني بقى!

امتدت أناملها لتداعب شعره بلا إرادة منها.. وسرعان ما أدركت ما قامت به.. فهتفت بغضب وهي تبعد أناملها عن شعره:

ـ وحد قالك أني زعلانة.. أنت اللي مُختفي.. ويا دوب بتيجي تبص على الولاد وتمشي..

رفع رأسه إليها وهو يرمقها بدهشة فهي من ألقت به خارج غرفتهما.. رأى الحمرة مازالت تلون خديها وعينيها تلتمع بنظرات أنثوية ماكرة.. فابتسم بخبث

وأحاط كتفيها بذراعه وهو يدفن رأسه بجانب عنقها يقبلها بمتعة بينما يديه تداعب بطنها برقة وهو يهمس لها:

ـ هو نويتي ده ما يخلصش.. ما بتلاقيش منه على قمصانه حرير!..

انطلقت ضحكتها بنعومة وهي تستسلم لقبلاته المجنونة.. ليضمها إليه هامساً باحتياجه وشوقه إليها.. وما هي إلا لحظات حتى وجدت نفسها تتمدد في فراشها وهو يجاورها هامساً:

ـ أنا آسف..

رمشت بعيونها بقوة:

ـ امممم.. بس؟!...

أكمل اعتذاره وأنامله تتلمس شفتيها باغواء:

ـ آسف على غبائي.. عشان موضوع نيرة.. ما كانش لازم أفكاري توصل لكده.. أنا غبي.. غبي ومجنون.. مجنونك..

ابتسمت برقة:

ـ الجنون مش مبرر يا يزيد.. أنت عارفني كويس.. ليه فكرت كده؟..

أجابها بعفوية:

ـ كنت بدور على سبب عشان أبرر غضبي منك!..

اتسعت عيناها بدهشة:

ـ ايه؟!..

هبط رأسه إليها وضمها بقوة إلى صدره وهو يعاود سؤاله الذي لم تجبه منذ شهور:

ـ علياء.. ممكن في يوم تسيبيني؟.. أو تكوني لحد تاني غيري؟..

لفت عنقه بذراعيها تضمه إليها بشدة وهي تهمس في أذنه:

ـ آه لو تعرف..

همس بتساؤل:

ـ أعرف ايه؟..

ابتعدت عنه قليلاً لتنظر في عينيه بهيام مرددة:

ـ آه لو تعرف يا حبيب قلبي وأنت معايا باحس بايه

خلي شوية لبكرا يا قلبي الحب ده ما اقدرش عليه

بص في قلبي يا عيون قلبي شوف كام حاجة بتتمناك

فرحة وشوق وأماني كبيرة وليالي حب بتستناك

بحبك حب خلاني بخاف من فرحتي جنبك

يشوفها حد يحسدها ويحسدني على حبك

وبحبك حب يا ويلي منه..

مسهرني محيرني وروحي فيه
وبحبك حب يا ويلي..

مدوبني وحبيته واخذت عليه
آه لو تعرف..

كاد قلبه ينتفض بين ضلوعه ليلقي بنفسه بين يديها طائعاً مستسلماً لسيدته الوحيدة.. من منحته قلبها بلا شروط.. بلا مقابل.. فقط حباً خالصاً.. حباً حقيقياً وليس حسابات باردة وكلمات جوفاء عن تفاهم روتيني قاتل..

حرك شفتيه ليخبرها أنها حبيبته الوحيدة ولكن صرخة قوية انطلقت من بين شفتيها سمرته في مكانه:

_ آآآآآآه...

ظن في البداية أنها ستكمل كلمات الأغنية, ولكن تعالت الصرخة مرة أخرى:

_ آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه.....

يزيد.. أنا بأولد يا يزيد..

وبعد عدة ساعات..

انطلقت صرخات..

"حازم" و"حمزه"..

توأمي علياء ويزيد

لينضما إلى أسرتهما الكبيرة الدافئة..

ويتبعهما بعد سبعة أشهر صرخات شقيقهما

"رامي"

والذي أصرت ريناد على تسميته بأقرب الأسماء

إلى اسمها

وبعدها بساعات كان مازن يضم بين ذراعيه

صغيرته الجميلة والتي تشبه أمها تماماً

والتي أصرت على تسميتها

"عِشق"..

لتكن.. هي عِشق دنيا وابنته الوحيدة..

وهناك على بعد مئات الأميال

كان حسن يسجل اسم ابنته التي ولدت منذ ساعات

"منى حسن العدوي"..

*****

الفصل الثلاثون

جلس مازن إلى مائدة الطعام يتناول إفطاره بصمت مطبق، صمت فرضه على نفسه وعليها في الشهور الماضية مغلقاً أمامها كافة السبل للاقتراب منه وتوسل مغفرته.. ولا يدري كيف يمكنها انتظار تلك المغفرة وهي ما زالت تمتلك تلك الفكرة المشوهة عن التقارب بين الأزواج.. فكل مفهومها للتعامل معه هو الإغراء ثم الإغراء ثم الإغراء حتى وصل الأمر معه إلى مرحلة الابتذال، بل النفور..

فتعود للبكاء والانعزال لفترة قصيرة تليها مرحلة أخرى من تبني دور الزوجة المهتمة بشئونه.. فإذا لم تجد منه الاستجابة التي ترجوها يتنابها السأم والزهق لتعود إلى تقوقعها وانعزالها الاختياري، وفجأة يطفو الإغراء على السطح مرة أخرى.. وهكذا.. نوبات ومراحل أصبحت محفوظة ومكررة.. وبدأ في اعتيادها بالفعل.. ولكن الجديد هو ما تمر به منذ فترة.. وبالتحديد منذ انجاب دنيا لـ

"عشق".. وهي تمر بحالة صمت غريبة, بل أنه يكاد يقسم بأنه لمح دموع حبيسة في عيونها.. تفلت أحياناً من سيطرتها فتتساقط بعضاً منها على وجنتيها.. كما يحدث الآن فتسارع لتمسحها قبل أن يراها, ولكنه تلك المرة أسرع بإمساك يدها قبل أن تصل إلى وجنتها ليسأل بفضول:

_ ممكن أفهم ايه اللي بيحصل؟.. والدموع دي ليه؟

أجابت بخفوت:

_ ما فيش دموع.. أنت بيتهيألك.. دي عيني دخل فيها حاجة!

أسقط يدها وعاد بظهره في مقعده ليسألها مرة ثانية:

_ ليلة امبارح كنتِ بتعيطي في أوضتك.. أيوه سمعتك بالليل.. ودلوقتِ مش عارفة تتحكمي في دموعك.. عايز رد صريح ومباشر.. في ايه؟.. ايه اللي بيحصل معاكِ اليومين دول؟..

فاجئت نفسها قبل أن تفاجئه بنوبة بكاء هيستيرية.. ولم يعرف كيف يسيطر عليها..

تأملها بعجب.. فهو لم يرها تتدخل في نوبة كتلك منذ زمن بعيد.. حتى عندما تركها حسن لم تنفعل بتلك الطريقة..

تنهد بحيرة وهو يعاود السؤال:

ـ ممكن افهم فيه ايه؟..

نظرت إليه نيرة من بين دموعها.. وبأعماقها صراعات عدة..

أتخبره بما تشعر به؟.. بالحيرة المريرة التي تعيشها؟.. فهي تشتاق له.. لغزله.. نظراته التي تحتويها.. حبه الذي منحه بلا حدود وهي كانت من الحمق لتعتبره من المسلمات.. تشتاق لكلمة طيبة منه, بل أنها حتى تشتاق لهمسة خاطفة.. لقرب حقيقي منه.. قرب لم تعد تعلم كيف تحققه؟.. فهي أضاعت بغبائها فرصتها لتكون الوحيدة في مملكته, بينما نجحت دنيا في تحقيق حلمه وأنجبت له "عشق" التي يتغنى برقتها وجمالها ونعومتها طوال الوقت.. لقد حاولت أن تسأله عنها.. فهي تعلم أن خطوة كتلك ستقربها منه وتهدم هوة كبيرة بينهما, ولكنها لم تستطع.. فقط لم تستطع.. خُبست

الكلمات على لسانها.. ولم تُخرِج حرفاً.. حاولت وضغطت على نفسها فكادت أن تصاب بأزمة قلبية.. فما شعرت به من وجع كان لا يحتمل.. فلجأت للانعزال والتقوقع.. فهي كانت تحتاج لوقت مستقطع لتستعيد أفكارها وتقرر خطوتها التالية.. تلك الخطوة التي يرفض هو مشاركتها بها, بل وينفر حتى من أي محاولة منها للتقرب منه..

خطوة ظنت لأعوام أنها تمتلك القرار للبدء بها لتباغتها فجأة.. وتضيع أيضاً منها فجأة.. فقد ظلت تؤجل الحمل لسنوات.. حتى فاجئها بدون توقع وأضاعته هي بغبائها.. والآن يبدو أنها حرمت منه تماماً..

شهقت بعنف عندما وصل تفكيرها لتلك النقطة ليعاود مازن السؤال بغضب مكبوت:

- في ايه يا نيرة؟.. ولا دي طريقة جديدة للاستعطاف؟!

آلمها غضبه.. وآلمها أكثر سوء ظنه بها.. يا الهي ماذا يحدث معها؟.. كيف أصبحت بهذه الهشاشة؟..

انتفضت عندما صاح غاضباً:

ـ نيرة.. ردي عليّ.. أنا مش فاضي لألاعيب جديدة!

ولدهشته.. انفجرت باكية مرة ثانية.. ليصفق بكفيه بحيرة هاتفاً:

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله!.. ايه اللي بيحصل..

اندفعت كلماتها بلا رابط وهي تردد بيأس:

ـ روحت للدكتور.. طلب مني تحاليل وفحوصات.. وقالي.. قالي.. أنه هيكون في صعوبة في الحمل عشان الإجهاض عمل مشاكل.. و..

قاطعها:

ـ حمل ايه!.. ودكتور ايه؟..

أجابت وسط دموعها:

ـ أنا روحت لدكتور.. لأني عايزة.. عايزة يكون لنا طفل و..

هب من جلسته بغضب:

- دي لعبة جديدة صح؟.. طفل ايه اللي بتدوري عليه!.. ما أنتِ قتلتيه.. ولا فاكراني نسيت!..

هتفت بجنون:

- قلت لك ميت مرة ما قتلتوش.. ما قتلتوش.. أنا كنت خايفة.. مرعوبة.. مش عارفة أعمل ايه.. أنا اتصرفت بجنون.. و.. و..

قاطعها بإشارة من يده:

- انتهينا من الموضوع ده..

صرخت ومازال الجنون يتملكها:

- أنت اللي انتهيت منه.. ومش عايز تصدق.. اعمل ايه؟.. اعمل ايه عشان تصدق..

أشاح بوجهه بعيداً وهو يشعر بداخله يتمزق ألماً.. فاتجهت نحوه لتتمسك بذراعه هامسة بتوسل:

ـ كفاية يا مازن.. ارحمني وارحم حالك.. أنا عقابي دلوقتِ بقى مضاعف..

التفت نحوها ليخبرها بمرارة:

ـ لو تعرفي قد ايه نفسي أصدقك.. بس للأسف.. مش قادر.. مش عارف إذا كان حزنك سببه فعلاً صعوبة حملك في المستقبل.. ولا مجرد لعبة جديدة حسيتِ أنك بتخسريها..

نزلت دموعها بصمت وحاولت أن تجيبه.. فأوقفها وهو يتحرك ليخرج من المنزل.. توقف لحظات قبل أن يخبرها:

ـ عامةً.. الموضوع ده ما يفرقش معايا.. علاقتنا مش هتتغير.. ومش هيكون في فرصة دلوقتِ ولا حتى بعدين عشان أمنحك الطفل.. أو اللعبة الجديدة اللي أنتِ شبطانة فيها...

صرخت بجنون غاضب:

ـ مااااااااااااااازن..

لكنه لم يتوقف.. ولم يستمع.. فهو يخشى أن يصدق.. يخشى بشدة من ذلك الخافق بين ضلوعه..

****

بينما ينهي يزيد ارتداء ملابسه، وصله صراخ رامي المستمر.. بكاء دائم.. هذا ما يفعله ذاك الصغير.. لا يكل ولا يمل.. وبدا أن المربية التي أصرت ريناد على استخدامها عاجزة عن التعامل مع الرضيع الذي ارتفع صوت بكائه أكثر وأكثر، فاتجه يزيد إلى غرفة الصغير ليجد المربية تحاول تهدئته ولكن بلا جدوى..

تقدم ليتناول منها الصغير محاولاً هدهدته كما اعتاد رؤية علياء تفعل ذلك مع أطفالهما فهدأ الطفل قليلاً لتدخل ريناد في تلك اللحظة وتلمح رامي بين ذراعي يزيد فتظهر علامات الامتعاض على وجهها وتشير للمربية بغرور أن تحمل الصغير.. وتجذب يزيد خارج الغرفة لتهتف بلوم:

ـ مش معقول يا يزيد.. كام مرة أقولك سيب الولد للمربية تتعامل معاه بطريقتها.. هي مؤهلة ومعاها شهادات معتمدة في تربية

الأطفال.. مش كل أما بعيط شوية تجري تشيله وتطبطب عليه.. كده مش هنخلص..

كتف ذراعيه ليخبرها ساخراً:

- طيب لما هي مؤهلة ومعاها شهادات، ما فكرتيش تتعلمي منها ازاي تربي ابنك!

تأففت بسأم:

- يوووه.. مش هنخلص من الموضوع ده..

- لا طبعاً مش هنخلص.. أنتِ خلفتِ طفل عشان ترميه لمربية تربيهولك!

رمقته باستفزاز:

- عارف يا يزيد أنت هترتاح امتى؟.. أما تبطل تقارن بيني وبين عليا هانم.. الأيدول بتاعك في تربية الأطفال.. حاول تفرق شوية.. أنا ده مش طريقتي ولا ده أسلوبي.. والمربية اتوجدت عشان تراعي الطفل.. أنا مش هضيع عمري أرضع وأغير بامبرز.. فاهمني يا حبي!..

تأملها لوهلة ليجد أنها ارتدت ملابسها استعداداً للخروج بالفعل، فابتسم ساخراً:

ـ وواضح طبعاً أن الهانم هتخرج دلوقت..

أومأت موافقة وهي تعد على أصابعها:

ـ ايوه.. هروح الجيم, وبعديه جلسة ايروبكس.. واحتمال اتغدى في النادي..

وتحركت لتبتعد عنه وهي تحيه باستفزاز:

ـ تشاو يا حبي.. ما تقلقش على رامي.. المربية بتاعته بتراعيه كويس..

تركته وخرجت بالفعل ولم يحاول استبقائها, فهو يعلم أن تواجدها كعدمه تماماً فهي تعتمد كلياً على المربية للعناية برامي, بينما كل ما يشغل بالها استعادة رشاقتها المفقودة كما تعتقد...

عاد إلى غرفة الصغير ليجد المربية قد وضعته في فراشه بالفعل, فاقترب منه وملس على شعره برفق وهو يتأمل شبه الواضح بريناد خاصة بخصلاته الشقراء الناعمة.. بينما لم يرث منه هو إلا لون عينيه الأسود..

قبله على جبينه.. فعبس الصغير قليلاً ثم عاد إلى نومه ثانية..

خرج يزيد من الغرفة ليتوجه إلى عمله.. يؤرقه ذنب مبهم نحو صغيره.. ففي البداية كان يخشى ألا يتمكن من منح الصغير مشاعره كأب.. حتى بالتواجد الرمزي نتيجة ابتعاده بمشاعره عن ريناد.. ولكن اتضح أن معاناة الصغير الحقيقية هي امتلاكه أم_لا أم.. فريناد أنجبت منه فقط حتى تنال لقب أم.. وانتهى دورها بعد الولادة.. فهي لا تمنح رامي أي اهتمام أو رعاية.. بل ألقت به للمربية منذ اليوم الأول لولادته.. وبدا أن الصغير ورث بالفعل انعدام مشاعر والدته نحو الجميع..

وفي مقر الشركة لم يتمكن من التركيز في أعماله.. واكتشف أنه نسي احضار بعض الأوراق التي اصطحبها معه إلى المنزل ليراجعها.. فقرر العودة مرة أخرى واستغلال الفرصة ليجالس رامي قليلاً..

وما أن وصل إلى منزله حتى وصله صوت صراخ ابنه بصورة هيستيرية وما أثار غضبه الشديد هو صوت المربية وهي تصرخ به بصوت أعلى فيزداد صراخ الطفل ويعلو صوت بكائه

أكثر وأكثر، تحرك بسرعة نحو غرفة رامي ليجد المربية تهزه بشدة وهي تصرخ به:

ـ اسكت بقى.. اسكت.. أنت ايه ما بتتعبش..

قطعت الفتاة صراخها عندما وجدت يزيد أمامها وهو يختطف الصغير من بين يديها صارخاً بها:

ـ امشي اخرجي بره.. أنتِ مالكيش شغل هنا

حاول تهدئة الصغير الذي استمر على بكائه ولم يهدأ لحظة واحدة بينما هتفت المربية بحنق:

ـ الحمد لله.. يعني بتطردني من الجنة.. ابنك ما بيسكتش.. أربعة وعشرين ساعة عياط وزن..

تركته ورحلت لتجمع ملابسها وتترك الفيلا.. بينما هو يحاول جاهداً تهدئة الصغير واسكاته.. ولكن بلا جدوى.. فالبكاء مستمر ولا أمل في ايقافه..

فكر في إطعام الصغير ولكن لم يعرف كيف.. وحاول تغيير ملابسه ففشل أيضاً.. فلم يجد بد من الاتصال بريناد، ولكنه وجد هاتفها مغلقاً.. بالطبع.. فالسيدة المصون في جلسة الأيروبكس..

لم يعرف كيف يتصرف فوجد نفسه يحمل الصغير ويجمع بعض أغراضه ويتوجه إلى شقة علياء التي وقفت ترمقه بدهشة وهو يخطو إلى غرفة المعيشة حاملاً رامي بين ذراعيه متسائلاً بيأس:

ـ أنا مش عارف اسكته ازاي.. مش بيبطل عياط.. يادوب نام ربع ساعة في العربية و..

قاطعته وهي تتناول الصغير الباكي من بين يديه وتحاول تهدئته قليلاً.. وهي تستمع ليزيد وهو يقص عليها ما حدث ويختتم كلماته قائلاً:

ـ أنا عارف أني بطلب منك حاجة فوق طاقتك.. بس مش عارف أتعامل معاه.. ومش ممكن اسيبه مع المربية.. دي ممكن تموته وهي بتهزه بالطريقة البشعة دي..

نجحت علياء في تهدئة الصغير قليلاً وطلبت من "أم علي" تجهيز الحليب الخاص الذي أتي بم يزيد معه.. وجلست على إحدى الأرائك بإرهاق وهي تداعب خصلات الصغير الذي بدأ يستكين لمداعبتها وحنانها الفطري:

ـ اسمه رامي، صح؟.. يشبهك على فكرة..

سألها هامساً:

ـ بجد!.. مع أن..

قاطعته وهي تداعب الصغير وتهدهده:

ـ عشان يعني شعره وكده.. بس ملامحه هي ملامحك..

جلس بجوارها وهو يتأملها بحنان واقترب منها ليلفها بذراعه ويطبع قبلة دافئة على وجنتها هامساً:

ـ آسف..

التفتت له بدهشة:

ـ اعتذاراتك كترت يا يزيد.. بتعتذر ليه المرة دي؟..

هز رأسه وهو يخبرها:

ـ مش عارف.. ما فيش حاجة معينة.. وفي نفس الوقت في حاجات كتير..

وقبل أن تجيبه تعالى بكاء رامي مرة أخرى، فضمته علياء إليها أكثر وحاولت تهدئته ولكنه لم يستجب لها وارتفع صوت بكائه مرة أخرى لتجد نفسها تضمه إلى صدرها أكثر وتبدأ في ارضاعه تحت أنظار يزيد المذهولة وهو يهتف بها:

ـ انتِ.. انتِ هترضعيه بجد؟؟؟

رفعت رأسها إليه:

ـ أومال يعني هسيبه يتقلق من العياط..

عدلت وضعه وبدأ الصغير يرضع في نهم وهو يرمق علياء بنظرات ممتنة.. وعلياء تبادله نظراته لا تعلم كيف تشعر تحديداً.. فهي تحتضن بين ذراعيها ابن زوجة زوجها.. أغمضت عينيها لتهمس بداخلها ابن رياد ويزيد.. حفيد سهام.. هي عاجزة عن ايجاد سبب واحد يجعلها تضم ذلك الصغير لصدرها بل وتعامله كأحد أولادها.. لم لا تلفظه بعيداً

كما فعلوا بها؟. لم هي عاجزة عن طرده هو وأبيه واخباره أن يأخذ الطفل لريناد فهي أولى بابنها.. أو حتى إلى سهام، فهو الحفيد المعترف به في عرفها.. لم رق قلبها للصغير؟.. هل لأنه ابنه، قطعة منه.. وهي تعشق الكل فكيف تلفظ الجزء!.. أم هي تلك النظرة المستغيثة في عينيّ الرضيع.. لم تفهم كيف ترتسم نظرة كتلك في عينيّ طفل لم يفقه من أمر الدنيا شيئاً.. لعله شعور الحرمان أو الاحتياج الذي طالما عانت منه على يدي سهام.. ربما شعورهما المشترك باليتم هو سبب ذلك الاتصال الروحي الذي شعرت به نحو رامي.. وكأنه ينتمي لها.. لذا لم تشعر بنفسها وهي تضمه لقلبها وترضعه مثل أخويه حمزه وحازم.. كان تصرفاً عفوياً منها ولم تستوعبه حقاً إلا بعد رؤية نظرات يزيد المذهولة..

شعرت لحظة بتوقف الصغير عن الرضاعة وعودته للبكاء.. ففتحت عينيها ترمقه بحنان.. وهي تداعب خصلاته الشقراء هامسة:

ـ هتغلب قلوب البنات معاك يا ابن يزيد..

عاد الصغير للرضاعة بهدوء بينما تحرك يزيد لينزل على ركبتيه ويواجهها ممسكاً بكفها ليرفعه إلى شفتيه ويقبله بدفء هامساً وعيناه غارقة بعينيها:

ـ يا رب يكون محظوظ زي يزيد.. ويلاقي اللي تملا قلبه زي يزيد..

ابتسمت برقة وكادت تهتف بسعادة "ويلومني في حبك يا مجنون"..

ثم ألقى رأسه على ركبتيها وهو يتمم بغيرة:

ـ هو ينفع أقولك أني غيران من رامي دلوقت وعايز أجره من شعره الناعم ده!

انطلقت منها ضحكة ناعمة وهي تهتف بصوت عال:

ـ مجنووووو..

ارتكز على ركبتيه ليضمها هي ورامي إلى صدره ويحيطها بذراعيه هامساً في تجويف عنقها بشغف:

ـ مجنون بيكي.. وكل ما تمر السنين جناني بيزيد أكتر وأكتر..

انطلق صراخ رامي مع دخول علي كالقنبلة ليلف ذراعيه حول والده هاتفاً:

ـ يزيييييد.. أنت جيت من الشغل بدري ليه؟..

ابتعد يزيد عن علياء وهو يهمس:

ـ جه مفرق الجماعات..

ثم التفت إلى علي ليلفه حول كتفه وهو يسأله بحزم مصطنع:

ـ رجعت امتى من المدرسة؟..

جاوبه علي بشقاوة:

ـ اتمها الحضااااااانة..

ثم التفت إلى أمه التي نجحت في تهدئة بكاء رامي بعدما استعادت تواصلها البصري معه وقد أثار ذلك دهشتها وقلقها في نفس الوقت.. ولكن دخول نادية إلى الغرفة وقد بدلت ملابس الحضانة بثوب طفولي وردي اللون واتجهت إلى والدها لتستوطن ركبتيه وهي تسأله بدلال:

ـ جبت الشوكولاة لندوش؟..

قبلها يزيد بقوة على وجنتها وهو يهتف:

ـ ندوش تؤمر..

ابتسمت علياء للمشهد أمامها، فيزيد يحاول أن يغير من نفسه.. يحاول بالفعل.. قد ينجح مرة ويفشل مرات إلا أنه يحاول الاقتراب من أولاده.. يسعى جاهداً ليثبت لها أنه يهتم.. وهي تحاول مساعدته قدر استطاعتها.. وبقدر ما تسمح به خبرتها المحدودة في الحياة..

تردد فجأة صوت علي وقد أضناه التفكير:

ـ مين النونو اللعبة اللي على رجل لولو ده؟.. أنتوا غيرتوا حمزه وحازم بنونو ملون!..

كتمت علياء ضحكتها بصعوبة بينما غمر الذهول يزيد من السؤال.. ذهول أضيف له شعوراً مبهماً بالغضب.. فكيف لم يفكر لحظة واحدة في تعريف أولاده على بعضهم؟!.. كيف يجهل الأخ أخاه؟!..

أفاقه من شروده همسة علياء وقد سطرت على ابتسامتها واستشعرت غضب يزيد واتجاه تفكيره:

- ما تضايقش يا يزيد.. الولاد لسه صغيرين.. وأكيد أما يكبروا هيعرفوا بعض..

ربنا يخليك لهم وتجمعهم دايماً..

رفع يزيد عينيه إليها في امتنان.. وبداخله حاجة حارقة لأخذها بين ذراعيه.. فقط لتمنحه ذلك الشعور بالاطمئنان والراحة..

وسمعها تنادي نادية وتجلسها بجوار علي لتشرح لهما ببساطة وهي تشير إلى رامي الذي أنهى طعامه وأغمض عينيه لينام:

- النونو الجميل ده اسمه رامي.. وهو يبقى أخوكوا.. زي أدهم وحمزه وحازم.. بس هو عنده ماما تانية..

قاطعها علي:

- طيب ليه مامته مش بتأكله من اللبن بتاعها؟.. ليه جاي ياكل اللبن بتاع حمزه وحازم؟

وأسرعت نادية لتلقي سؤالها هي الأخرى:

ـ يعني هو النونو ده..

ثم صححت كلمتها:

ـ رامي.. هيعيش معانا هو ومامته؟..

جذبها يزيد لتجلس على ركبتيه بعدما أسند ظهره إلى أحد المقاعد وسألها بغموض:

ـ أنتِ عايزاهم يعيشوا معاكوا؟..

رمقته علياء بدهشة بينما أجابت نادية ببراءة

ـ رامي بس يعيش معانا.. هو شكله حلو.. عامل زي ياربي بتاعتي.. بس مامته لأ.. احنا عندنا لولو.. مش عايزين غيرها..

ونهضت بسرعة لتتسلق الأريكة وترمي بذراعيها حول عنق علياء وتبعها علي وهو يصدر بعض الأصوات المزعجة كعادته فضمتهما علياء بحرص حتى لا تسقط رامي من فوق ركبتيها.. وبعينيها سؤال ملح توجهه ليزيد عما قصده بسؤاله.. عن إقامة رامي ووالدته معهم!!..

ولم تستطع منع السؤال الذي انطلق من بين شفتيها بقلق:

ـ يعني ايه يا يزيد؟. تقصد ايه بكلامك ده؟..

رمقها يزيد لوهلة وآلمه رؤية معالم الخوف والقلق على وجهها, فاستدعى "أم علي".. وطلب منها الانتباه للأولاد ووضع رامي بغرفة أخويه حمزه وحازم..

ثم سحب علياء إلى غرفتهما كعادته بدون انتظار رأيها.. ولم تعترض هي تلك المرة فأفكارها كانت تدور في فلكٍ آخر.. لا تريد

مجرد التفكير في كلمات يزيد وأنه من الممكن أن يجمعها بريناد في منزل واحد!.. أنه مجنون ولكن ليس لتلك الدرجة..

انتبهت له وهو يخرج بعض الأوراق من خزينة خاصة به في حجرتهما ثم سحبها مرة أخرى ليجلسها على ركبتيه كما اعتاد ولف ذراعه حولها وهو يهمس:

ـ ما فيش حاجة من اللي بتفكري فيها دي هتحصل.. أنا كان قصدي حاجة تانية..

تجنبت عبث أنامله التي بدأت تعبث جنوناً بثباتها وسألت بقلق:

ـ اتكلم بصراحة يا يزيد.. أنا مش حمل ألغاز وفوازير..

أومأ موافقاً:

ـ حاضر يا ستي.. اتفضلي..

ووضع في يدها الأوراق التي أخرجها لتوه من الخزينة.. فألقت عليها نظرة سريعة متسائلة:

ـ ايه دول!.. ورق ايه ده؟..

سكت للحظات قبل أن يخبرها بهدوء:

ـ دي عقود ملكيتك للمزرعة.. لأ.. لأ.. ما تقاطعنيش واسمعيني للآخر.. المزرعة دي حق من حقوقك.. أنا قبل كده اتنازلت عن أرضك لأعمامك.. اتجوزتك من غير مهر.. و..

قاطعته بسرعة:

ـ المزرعة أكبر من أرضي ومن مهري.. و..

كان دوره لمقاطعتها:

ـ بس هي بيتك.. أنا عارف أنك بتحبيها.. ومن جواكي دايماً بتعتبريها بيتك.. حتى لو كنتِ بتفكري فيها أنها المنفى اللي بعدتك فيه ماما.. بس رغم كده لها مكانة مختلفة جواكي..

ثم غمز بشقاوة:

ـ وبعدين الولاد محتاجين مكان واسع يلعبوا فيه يمكن أعرف أخطفك لنفسي شوية!..

رغم تساقط دموعها إلا أنها ابتسمت بحنان.. فلم تتصور أنه بدأ يفهمها.. يستوعب علياء الطفلة الخائفة المتنكرة في جسد علياء الأنثى التي تسلب عقله وتزعزع ثباته.. لقد منحها عن قصد صك أمان كانت في أمس الحاجة له ولم تعلم بحاجتها تلك إلا وعقد ملكيتها لمنزلها الخاص بين يديها..

لفت ذراعيها خلف عنقه هامسة:

ـ ربنا يخليك ليا.. بس ده كتير.. كتير قوي..

ضمها لصدره بقوة:

ـ ما فيش حاجة تغلا عليكِ..

زادت وتيرة بكائها وتعالت شهقاتها وهي تضم نفسها له أكثر وأكثر فشاكسها مداعباً:

ـ ايه البكى ده كله.. ليكون في باشا جديد هيشرفنا.. أنتِ انفعالاتك بتزيد في الحمل..

وكزته في كتفه بقوة وهي تمسح دموعها:

ـ أنت ما تعرفش تكملها جد أبداً..

أخذ نفساً عميقاً وهو يصطنع الجدية:

ـ ايه ده.. يعني ما فيش نونو جاي.. طيب تعالي بقى نشوف حل للموضوع ده..

رفعها بين ذراعيه وتوجه بها نحو الفراش وهي تطلق ضحكات عالية وتهتف به لينزلها أرضاً..

وضعها على الفراش برقة وأسقط نفسه بجوارها ليهمس في أذنها:

ـ عندي اعتراف أخير..

سألته بقلق:

ـ خير؟..

أبعد بصره عنها ليخبرها بخفوت:

ـ أنا سجلت المزرعة باسمك أول ما وصلتِ واحد وعشرين سنة.. بس.. بس اترددت أقولك..

توسعت عيناها بدهشة ولكنه أكمل بسرعة:

ـ عارف أنك هتقولي عليّ أناني.. بس خفت تبعدي عني.. خفت تفكري أنه بقى عندك مكان تختفي فيه عني..

سألته بغموض:

ـ وايه اللي اتغير؟..

هز كتفه بحيرة:

ـ مش عارف.. يمكن بدأت أفهم أنك لو اختفتِ هتختفي معايا مش عني..

لفت ذراعيها حول عنقه لتجذب رأسه نحوها وتقبله بدفء:

ـ كلامك ده هو مهري الحقيقي.. والمزرعة اكتبها للأولاد و..

قاطعها بحزم:

ـ المزرعة بتاعتك.. ملكك يا علياء.. ومش هينفع تفرطي فيها.. تمام؟..

أومأت برأسها موافقة فرفع حاجبيه بعبث:

ـ نرجع لموضوعنا بقى..

وقبل أن يعاود تقبيلها بدأت عاصفة من الطرقات المزعجة على باب الغرفة وصوت علي ونادية يرتفع بكلمات متفرقة.. فهما منها أخيراً..

"رامي صحي وبيعيط جامد"..

قفزت علياء من الفراش وتبعها يزيد.. وهو يحاول استبقائها هامساً:

ـ خليكي أنتِ.. أنا هسكته..

ولكن علياء كان يشغل ذهنها أمراً آخر.. فكرة هاجمتها فجأة وأرادت التأكد منها.. فذهبت خلف يزيد إلى غرفة الأطفال... لتجده رفع رامي بالفعل بين ذراعيه يحاول تهدئته حتى لا يوقظ أخويه.. حتى أنه كان يردد أغنية طفولية طالما سمعها منها، ولكن الصغير لا يبدي أي استجابة..

هزت علياء رأسها بحزن وخطت ببطء حتى وقفت أمام يزيد وتناولت منه الرضيع لتضمه إلى صدرها وتحرك رأسه برقة حتى التقت عيناهما فابتسمت له بحنان.. بينما هدأت صرخات رامي وعلياء تضمه إليها بصمت..

رفعت عينيها إلى يزيد وطلبت منه حقيبة رامي حتى تقوم بتغيير حفاظه.. وما أن خرج يزيد من الغرفة حتى بدأت باختبار نظريتها ففرقعت بأصابعها بجوار أذنيّ رامي.. مرة بعد مرة.. ولكن.. كما توقعت.. لا استجابة..

أغمضت عينيها بألم وقد تأكد حدسها.. وأخيراً أدركت السبب وراء نظرات الاستغاثة.. وياله من سببٍ قاسٍ..

****

اتكأت دنيا على مدخل الغرفة وهي تتأمل مازن الذي تمدد على الفراش ضاماً "عشق" بين ذراعيه.. وعلى وجنتها سقطت دمعة خائنة.. فمشهد كهذا لن يتكرر مرة أخرى.. أو هي لن تكون متواجدة لتشاهده يتكرر.. فالقرار الذي اتخذته قبل حملها بـ "عشق".. آن وقت

تنفيذه.. حتى لو رفض مازن.. وخلق ملايين
الأعذار لتأخير المحتوم.. هي ستصر على
طلبها.. لن تتحمل أن تستمر في سلسال
استنزاف المشاعر هذا.. لقد خدعت نفسها
طويلاً.. وبنت صرحاً بخيالها عن أب وأم
و"عشق".. أسرة رسمتها في خيالها كما
تتخيل تصاميمها، والفارق أنها يمكنها تنفيذ
تلك التصاميم على أرض الواقع ولكنها لن
تستطيع خلق تلك الصورة المثالية لأسرتها..
ومع مرور الوقت تتأكد من ذلك.. فالمثالية
التي يصفها الناس لا تناسبها.. قد يخدعها

قلبها، يوهمها خيالها، يصور لها حياة
سعيدة وبيت مستقر.. ولكن عقلها دائماً كان
كجرس إنذار يحذرها من مغبة التمادي وتناسي
الواقع.. الواقع الذي صدمها به مازن اليوم
بشدة وهو يقص عليها ولأول مرة ما دار بينه
وبين نيرة.. لقد صدمها ذلك.. صدمها بشدة
لتدرك أنها مازالت مجرد صديقة.. فقط..
صديقة.. رغم وجود "عشق" بينهما.. ولكنها
تحولت بمعجزة ما من صديقة ذات فائدة
ومصدر للراحة إلى زوجة وأم في زواج تقليدي
لا يشترط الحب كأحد أركانه، فقط الراحة

والحنان.. وهي لن ترضى بذلك.. ليست هي.. ليست دنيا.. وبالتأكيد لن تقوم بذلك مع مازن.. مازن الرجل الذي عشقته وهي في قمة أنوثتها ونضجها برغم أنه يصغرها بعدة أعوام.. إلا أنها تعلمت أنه لا شروط في الحب ولا قواعد.. وبالتأكيد.. لا زواج مبني فقط على أساس وجود ابنة.. حتى لو كانت "عشق"..

عادت تتأمل المشهد السرمدي أمامها.. تريد طبعه في ذهنها.. قبل أن تتحرك ببطء وتتجه إلى مازن لتوقظه بهمس:

ـ مازن.. اصحى يا حبيبي.. عايزين نتكلم شويه..

فتح عينيه ببطء والتفت ليلمح "عشق" نائمة بين ذراعيه.. فابتسمت دنيا برقة وهي تخبره:

ـ يظهر أنك كنت تعبان.. لعبت معاها شوية.. ونمتوا أنتوا الاتنين..

ضحك بسعادة وهو يعتدل ليقبل "عشق" فوق جبينها هامساً:

ـ الوقت معاها بيطير.. بس حلو.. حلو قوي..

ربتت دنيا على كتفه برقة:

ـ ربنا يخليك لها.. يا رب..

تمسك بكفها ليقبله إلا أنها سحبته منه بحرج.. لتكرر جملتها:

ـ مازن.. لازم نتكلم..

زفر بغيظ:

ـ وإذا كنت رافض أسمع الكلام ده!

هزت رأسها وهي تخبره:

ـ أنا في الفترة اللي فاتت كنت بدور على بيت منفصل.. واسع وكده ومناسب لعشق.. يعني عشان أما تكبر..

ابتسم مازن وهو يرمق ابنته بنظرة محبة.. ثم سألها:

ـ كويس ولقيتِ حاجة؟..

أومأت موافقة:

ـ أيوه.. وهخلص كل حاجة بعد يومين..

ـ طيب.. جميل.. بلغيني بالميعاد بالظبط..

و..

قاطعته دنيا:

ـ مازن..

رفع عينيه لها وقد أدرك ما تريد قوله..
ولكن كان سماعه مؤلم أكثر مما تخيل يوماً:

ـ البيت ده علشان "عشق" وعشاني.. احنا..
أنا.. أنا عايزاك تنفذ وعدك..

هتف بتوسل:

ـ دنيا..

هزت رأسها لتقاطعه:

ـ لا.. لا يا مازن.. مش هينفع تخدرني بكلمتين
زي كل مرة.. "عشق" دلوقتِ عدت الخمس
شهور.. يعني نقدر ننفصل بهدوء.. وأنت عارف

ومتأكد أنه لك مكان في أي وقت كأب لـ "عشق"..

وابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ وصديق عزيز...

سألها بألم:

ـ صديق!.. متأكدة يا دنيا؟..

مسحت دمعة خائنة هربت من حصار جفونها وهي تنهض من أمامه لتبتعد عن نظراته الحزينة وهي تهمس بتوسل:

ـ مازن.. عشان خاطري بلاش.. بلاش تستغل حبي ليك وتجبرني على وضع بيقتلني من جوه..

همس بألم:

ـ أجبرك!..

أكملت وكأنها لم تسمع همسته الحزينة:

ـ أنت متأكد من مشاعري ناحيتك..

فردت كفيها بعجز:

ـ أنا بحبك.. حب أقوى من أي مشاعر مريت بيها قبل كده.. والحب ده بيولد تملك وغيرة.

مشاعر بتطحن فيا.. زي النار بتاكل كل حاجة حلوة.. ومش عايزاها تقضي على الحب اللي جوايا.. حبي ليك هيعيش حتى لو مش متبادل.. واحنا الاتنين عارفين مين اللي في قلبك.. ومش هقدر أقولك خرجها منه ولا أنت هتقدر, وإلا كنت قدرت أنا ومسحت حبي ليك عشان نقدر نكمل سوا..

سكتت لحظة وأكملت بصوت متهدج:

ـ مازن.. علشان خاطري.. ما تجبرنيش أني أعري مشاعري أكتر من كده.. أنا بطالبك بتنفيذ وعدك.. وأنت طول عمرك راجل.. وعمرك ما رجعت في كلمتك..

تحرك مازن من الفراش ليقف في مواجهتها.. ويحيط وجهها بين كفيه هامساً:

ـ اطلبي أي حاجة تانية يا دنيا.. أرجوكِ.. ادينا فرصة تانية.. و..

ركنت جبهتها على ذقنه لتهمس ودموعها تهطل بدون توقف:

ـ طلقني يا مازن..

اخذ نفساً عميقاً قبل أن يهمس متسائلاً:

ـ يعني ما فيش أي أمل؟

همست:

ـ ما حدش بيتسول الحب..

أغمض عينيه بقوة ليهمس بوجع وكأن روحه
تنتزع من بين حناياه:

ـ أنتِ طالق يا دنيا..

الفصل الحادي والثلاثون

جلس يزيد على أحد المقاعد في غرفة رامي.. وهو يضم الصغير إلى صدره بعدما نجح بجعله يخلد إلى النوم..

رمق صغيره بحزن وعجز.. لا يعلم كيف يساعده ولا يستطيع تصور مدى الخوف والهلع الذي يعاني منه الصغير.. خوف يهدئه فقط التواصل البصري كما اكتشفت علياء..

لم يصدق علياء في البداية عندما أخبرته بشكوكها, لم يصدق عينيه وهي تفرقع بأصابعها بجوار أذني رامي عدة مرات ولم يلمح استجابة واحدة.. لم يصدق أذنيه عندما انطلق رامي في البكاء لافتقاده تواصله البصري مع علياء، ولم تفلح أي أغنية أو تهويدة في اسكاته.. لم يصدق نفسه وهو يردد بقهر "ابني ما بيسمعش"..

لم يشعر سوى بعلياء تضمه هو ورامي إلى صدرها هامسة:

ـ بلاش نفترض الأسوأ.. الأول نشوف دكتور مختص.. في واحدة زميلتي في الكلية والدها دكتور أنف وأذن كبير ومشهور.. هحجز لرامي عنده..

أومأ موافقاً بعجز فهو كان حريصاً على تحديد علاقاتها بزميلاتها في الكلية.. ولكن لا مفر أمامه الآن.. فهو يحتاج إلى كل عون ممكن أن يحصل عليه..

لم يشعر في حياته بمثل ذلك العجز.. كيف يتمكن كائن وردي صغير ذو خصلات ذهبية بقهره وإحساسه بعدم الحيلة هكذا..

دوي صوت ريناد الذي لم يكتشف مدى ازعاجه إلا الآن وهي ترمق الصغير بين يديه:

ـ يوووووه.. هو أنت لسه ماسك فيه من الصبح!.. اللي يشوف كده يقول أنك ما خلفتش غيره!..

رمقها بغضب:

ـ ما لسه بدري!.. طول اليوم بره؟..

أشارت له باستخفاف:

ـ طيب سيب الولد ينام في سريره بدل ما يصحى من أصواتنا..

أجابها بمرارة ولم يشعر بذرة شفقة واحدة وهو يخبرها مباشرة وبدون مواربة:

ـ لا.. اطمني.. أصواتنا عمرها ما هتقلقه.. عارفة ليه؟..

توسعت عيناها بقلق بينما هو يصرخ بقهر:

ـ لأن ابنك ما بيسمعش..

ارتدت للخلف بعنف وهي تستوعب معنى جملته.. وهتفت تتساءل بلهفة:

ـ ما.. ما بيســ.. معش!!.. ازاي؟.. عرفت ازاي؟..

صمت قليلاً أمام صدمتها.. ثم أخبرها باختصار ما حدث منذ طرد المربية.. وحتى اكتشاف علياء لإعاقة رامي.. وقبل أن ينتهي من سرد ما حدث فوجئ بها تصرخ بقوة:

ـ أيوه طبعاً.. علياء هانم.. فجأة قلبها حن
على ابني.. وكمان ايه هي اللي اكتشفت أنه ما
بيسمعش.. لا.. قلبها طيب بصراحة!..

هتف بها بحزم:

ـ بلاش سخافة وغيرة ستات فاضية.. بقولك
ابنك احتمال يكون ما بيسمعش, وأنتِ كل اللي
همك أن علياء هي اللي اكتشفت الموضوع..
ما قلقتيش للحظة أنها اكتشفت في خمس
ساعات اللي أنتِ ومربيتك اللي معاها شهادات

ما اعرفش ايه ما عرفتوش تلاحظوه في
خمس شهور..

صمت لحظة وهو يشيح بوجهه:

ـ احمدي ربنا أنه حط في طريقه أم زي
علياء..

صاحت بغضب:

ـ افندم.. يا يزيد.. نعم.. قول كمان الهانم
شحنتك بايه؟..

وضع ابنه في مهده برقة تناقض معالم الغضب المرتسم على وجهه ودثره بحنان طابعاً قبلة فوق جبينه فهو يعلم أنه سينام لمدة طويلة بعدما أرضعته علياء مرة أخرى قبل ذهابه.. وأعدت له عدة وجبات بسيطة وخفيفة ليطعمه اياهم لو استيقظ جائعاً...

ترك اضاءة هادئة في الغرفة ثم التفت نحو ريناد يجذبها بعنف نحو غرفتهما ليلقي بها فوق الفراش بعنف هاتفاً:

ـ أنتِ إيه!!.. ايـــــــــه!!!.. ممكن يحصل ايه أكتر من ابنك هيكون معاق لباقي عمره عشان تحسي؟.. ايه ما قلقتيش حتى؟!.. ما اتوجعتيش!

نهضت من الفراش بغضب وسألته باتهام:

ـ وليه ما تقولش أن الهانم مراتك بتنتقم مني أنا وتانت سهام عشان كده عملت حاجة في الولد ودمرت سمعه..

برقت عيناه بغضب وحشي وهو يتقدم نحوها، فتقهقرت للخلف تحاول اخفاء خوفها وهي

ترى ذراعه ترتفع في قبضة مخيفة جعلتها تخفي وجهها بيديها بينما شعرت بقبضته ترتطم بالحائط خلفها بعنف وهو يهتف بحسم:

ـ اسمها.. مايتكررش على لسانك تاني.. مفهوووووووم... أفكار الانتقام والأذى دي مش عليا اللي هتفكر فيها..

مرت من تحت ذراعه وهي تهتف بدورها:

ـ طبعاً.. أنت عمرك ما هتغلطها ولا تلوم عليها.. ولا كأنها سرقت مني خطيبي وأحلامي وفرحتي.. هي البرنسة الملاك اللي ما بتغلطش واحنا كلنا العصابة اللي بيتآمروا عليها..

هتف بها من تحت أسنانه:

ـ ما تدخليش الأوراق في بعضها.. احنا بنتكلم في ايه وأنتِ بتسحبيني لسكة تانية..

ضحكت بمرارة:

ـ كل الطرق بتوصل لبعضها.. أنا ليه بعيش حياتي بره البيت مع أصحابي، في النادي، في الجيم والجمعيات.. هييه، ليه؟.. لأني

لوحدي.. زوجي العزيز.. موجود ومش موجود كل أفكارك وكيانك هناك عندها.. عند ولادك منها.. لكن أنا مجرد موظفة استقبال بلقب زوجة.. وأنت حولت نفسك لبنك للنطف متواجد تحت أمري.. تفتكر لولا وجودها في حياتنا كنا هنكون كده.. ولا..

قاطعها:

ـ ولا ايه؟.. كنتِ هتبعدي عن حياتك القديمة؟.. عن المدار اللي بتدوري فيه مع أمي وخالتي؟.. كان اهتمامك بكمالية ومثالية الصورة اللي بنعكسها كزوجين هيقل وهتهتمي أكتر بمشاعري واحتياجاتي كزوج.. وطلبات ابنك وتتعاملي كأم؟.. خليكي صريحة مع نفسك.. واعترفي.. إن لولا وجود علياء في حياتي.. لولا مشاعري ناحيتها كان هيكون عندي بدل العشيقة اتنين وتلاتة.. وأنتِ كنتِ هتعرفي وتسكتي وتكملي.. صورة كربون من حياة عصام بيه وسهام هانم.. احمدي ربنا.. أنه مشاعري ناحية علياء تمنعني من مجرد تفكير أني آذيها بوجود أي ست تانية..

رمقته بغضب وهي تسمع تصريحاته المتوالية بمشاعره نحو علياء والتي يطلقها بصراحة للمرة الأولى.. ولكنها رفضت أن تظهر له تأثرها، وبعد بحث سريع في أعماقها وجدت أنها لم تتأثر فعلاً.. فكتفت ذراعيها وهي تسأله بنزق:

- وبعدين؟..

سألها مباشرة:

- تحبي تتطلقي؟..

شهقت بقوة:

- أنت اتجننت!!.. عايز الناس تقول أنك طلقتني عشان ابني ما بيسمعش ويفتكروا الغلط من عندي!

رفع عينيه للأعلى وهو يزفر بيأس:

- يا الله..

حاولت تصحيح كلماتها فمنعها بإشارة من يده وهو يخبرها بحسم:

ـ بص.. آخر فرصة قدامك عشان تثبتي أنك ممكن تكوني ست وأم.. رامي، أنتِ اللي هتراعيه وتاخدي بالك منه.. ما فيش مربيات ولا دادات.. الولد مريض وهيحتاج أمه..

سكت قليلاً وهو يلمح توسع عينيها بتمرد ولكنها لم تعترض، فأردف:

ـ علياء..

ثم كرر بصوت أعلى عندما لمح اعتراضها:

ـ أيوه.. علياء حجزت لرامي عند دكتور كبير متخصص.. وميعادنا بعد يومين.. لحد ما نروح للدكتور ونعرف ايه أبعاد الموضوع ما تفارقيش الولد لحظة.. فاهمة يا ريناد.. دي فرصتك الأخيرة.. وإلا هيكون لي تصرف تاني..

سكت لحظات وهو يضغط على حروفه:

ـ تصرف مش هيعجبك.. ولا هيعجب سهام هانم..

ثم ألقى إليها جملتها الصباحية وهو يسخر بقوة:

ـ الأيبود بتاعك كزوجة.. وأم..

****

وقف مازن يرتشف كوباً من القهوة الدافئة وهو شارد بعينيه غافلاً عن روعة المشهد أمامه, مساحات خضراء واسعة تظهر خلالها مجموعات متفرقة من تجمعات زهرية مختلفة, بينما يمر أمام نافذة المنزل غدير ضيق يصل صوت جريان المياه به لسكان المنزل كموسيقى هادئة, يبدو أنهم اعتادوا عليه بينما هو لم يغمض له جفن وهو ينصت لأصوات الليل المختلفة.. أو لعله كان يهرب من راحة يمنحها له النوم.. يهرب من حياة قُلبت رأساً على عقب ولم يعد يعرف وسيلة لاصلاحها.. يهرب من عجزه عن حب دنيا, ومن حبه لنيرة.. فحالياً يبدو أنه لا أمل لحل تلك المعضلة..

ربتة خفيفة على كتفه جعلته يلتفت نحو حسن الذي أمسك بدوره قدحاً من القهوة الساخنة وارتكز على سور الشرفة هامساً بدفء:

ـ صباح الخير.. ايه صاحي بدري يعني؟..

هز مازن رأسه:

ـ ما عرفتش أنام.. يمكن عشان مش متعود على المكان..

رفع حسن حاجباً غير مصدق وتساءل بطريقة مباشرة:

ـ وحشتك "عشق"؟..

ابتسامة حزينة كانت اجابة مازن الذي رفض استدراج شقيقه له لمناقشة طلاقه من دنيا.. فبادره بسؤال:

ـ غريبة قوي أنك تسيب باريس وتنقل للريف.. عملت ايه في شغلك؟..

مرر حسن مراوغة أخيه بتفهم وهو يجيبه:

ـ فتحنا فرع تاني للمطعم هنا، غسان بيدير فرع باريس وأنا حبيت أبعد عن دوشة المدينة..

ثم وكز أخيه بود:

ـ ما هو أنت لو بتسأل كنت عرفت!

ارتسمت الجدية على وجه مازن وهو يسأل:

ـ أنت مش ناوي ترجع مصر؟... يعني عشان أزور أخويا لازم آخد طيارة لباريس وبعدها مشوار تاني عشان نوصل لبيتك.. امتى هترجع يا حسن؟..

غامت ملامح حسن بحزن قاتم وهمس بخفوت حازم:

ـ وأنا باقي لي ايه في مصر عشان أرجع له!

عاتبه مازن بألم:

ـ ولا حتى أنا!..

ـ أنت عندك "عشق".. ربنا يخليها لك.

زفر مازن بضيق:

ـ أنت مُصر تفتح الموضوع!

واجهه حسن بصراحة:

ـ أنت جاي مجرد هروب وبُعْد.. ولا فضفضة.. ولا بتدور على حل؟..

هز مازن رأسه بمعنى لا أمل:

ـ الفضفضة مش هتريح لأنه للأسف ما فيش أمل ولا حل.. دنيا مُصرة على موقفها..

حاولت معاها كتير.. وللأسف مش لاقي حل..

بسمة ساخرة ارتسمت على شفتي حسن وهو يجبه:

ـ غريبة!.. مع أن الحل واضح قدام عينيك ده لو كنت عايز تشوفه!.. أقصد طبعاً حل يخليك تحتفظ بـ "عشق"..

وسكت لحظة وأكمل بلهجة ذات معنى:

ـ وأم "عشق"!..

نظر إليه مازن بدهشة:

ـ حل!!.. حل ايه؟..

صمت حسن لحظات قبل أن يخبره بحسم:

ـ تطلق نيرة!

برقت عينا مازن بعدم تصديق فأكمل حسن بتقرير:

_ شوفت.. دهشتك دي بتقول أنه فكرة انفصالك عن نيرة ما مرتش ببالك.. حتى لو كان ده تمن وجودك جنب بنتك..

وضع كفه على كتف مازن يواسيه بحزن:

_ أنا مش عايز أقول أنه حبك لها لعنة.. أو سحر أسود أنت ابتليت به..بس للأسف دي الحقيقة.. حبك لها ذنب وأنت مش عارف تتوب منه..

وقبل أن يجيب مازن ارتفع صوت لورا تطلب منهما الحضور لتناول الافطار..

جلس مازن إلى مائدة الافطار وكلمات أخيه تدوي في أذنيه كأجراس ضخمة تهز كل ثوابته..

وتوجه حسن ببساطة ليأتي بطفلته أولاً.. ثم جلس ووضعها على ركبته بينما ظهرت علامات الألم على وجه زوجته.. ولكنها أخفتها بسرعة وبراعة أيضاً.. ورسمت على وجهها ابتسامة واسعة وهي تخبر مازن:

- إنه هكذا على الدوام.. يضع "مونا" فوق ركبتيه في كل وقت.. حتى أنه أحياناً يصطحبها معه إلى عمله..

ابتسم مازن بمجاملة بينما دوى صوت حسن بيرود هادئ:

- إنها تُدعى "منى" وليست "مونا"..

أخفضت لورا بصرها وأخذت تعبث بمحتويات طبقها وهي تتظاهر بتناول الطعام بينما شحب وجهها تماماً.. وبدا حسن غافلاً أو متغافلاً عن الإحراج الذي سببه لزوجته وهو يداعب طفلته الصغيرة لتطلق ضحكات طفولية رائعة.. بقدر ما أسعدت مازن بقدر ما أوجعت قلبه وهو يتذكر ابنته وضحكاتها البريئة.. ترى هل استيقظت الآن؟.. هل تناولت طعامها؟.. هل تفتقده؟..

زادت تساؤلاته من أوجاع قلبه, فحاول جاهداً الخروج بأفكاره من دائرة زوجتيه ومشاكله معهما.. استرق النظر نحو أخيه الذي يهمل وجود زوجته تماماً رغم محاولتها المستميتة لإرضائه وجذب انتباهه.. تلك

المحاولات التي لاحظها هو على الفور منذ
وطأت قدماه منزل أخيه.. حيث لاحظ على
الفور التغير الكلي في ملابسها.. فهي لم تكن
ترتدي ملابس فاضحة من قبل، ولكنها لم تكن
المثال الكامل في الاحتشام.. بعكس الوضع
الآن فملابسها محتشمة أكثر من نيرة زوجته،
بل أنها تفوق دنيا احتشاماً.. صوتها أكثر
هدوءً.. ويبدو أنها حسنت من لغتها العربية
وإن كانت غالباً ما تلجأ إلى الإنجليزية..
وأكثر من ذلك ما علمه من أخيه بتركها
لعملها وتفرغها لإدارة شئون منزله ورعاية

طفلتهما.. يبدو أنها تقدم الكثير والكثير
لتستحوذ على قلب أخيه المتمرد.. أنها تشبه
دنيا في هذه الناحية، لكن ما يفرقها عن دنيا
هو ذاك الشموخ الذي تتمتع به الأخيرة..
شموخ جبار وكبرياء أنثوي دفعها لتركه حتى
تحتفظ بحبه في قلبها كأيقونة عشق.. مثلما
أطلقت على ابنته، فهي بالنسبة لها "عشق"
مازن.. وله هي هدية عشقها له..

الآن فقط استوعب اصرارها على الاسم..
وصاحب استيعابه ذاك إدراك لعذاب لورا

عندما أصر حسن على إطلاق اسم "منى" على ابنتهما.. خاصة وهو كما يبدو ملتصقاً بالطفلة على الدوام..

تأمل ملامحها للحظات وقد ظهرت معالم الألم على وجهها وراقب محاولاتها المستميتة لاخفائه وهو يتساءل بداخله عن قدرتها على تحمل جفاء أخيه الواضح نحوها وإذا ما كانت ستقرر يوماً الابتعاد حفاظاً على كبريائها.. و... قلبها... كما فعلت دنيا.. تباً.. تدور أفكاره في دوائر مغلقة وتعود لترسو عند دنيا وحياته معها، تلك الحياة التي يفتقدها بشدة.. كما يفتقد "عشق" الصغيرة حد الألم.. نظر إلى ساعته وقرر أن الوقت ملائم ليهاتف صغيرته، فاستأذن متوجهاً إلى غرفته ووصله صوت أخيه يخبره:

ـ مدام فريدة اتصلت تعزمنا كلنا على افتتاح معرضها الجديد..

أومأ مازن موافقاً وهو يتسلق درجات السلم الداخلي بسرعة ليسمع صوت ابنته.. حتى لو كانت أصوات أنفاسها أو بكائها..

وعلى مائدة الافطار رفعت لورا عينين حزينتين إلى حسن وهي تسأله بلوم:

ـ لماذا تعمدت احراجي أمام أخيك؟..

استمر حسن في مداعبة "منى" الصغيرة ولم يجبها فصرخت بصوت أعلى:

ـ حســــــــن!!

رفع نظره إليها وهو يجيبها ببرود:

ـ اخفضي صوتك..

اتجهت إلى الحديث بعربية ضعيفة تحاول اجادتها من أجله:

ـ حسن.. ليه أنت عايز تجرح أنا دايماً؟.. ليه قسوة؟

تأملها بحيرة وهو عاجز عن اجابتها.. فمعاملته معها بالفعل شابها بعض القسوة والجفاء منذ ولادة "منى" الصغيرة..

"منى" التي ولدت بخصلات فضية كوالدتها وعيون زمردية كعينيه وبشرة برونزية ناعمة.. ربما يلومها لأنه أراد "منى" خاصته..

بعينيها الكحيلة وخصلاتها السوداء.. لا ينكر أنه فوجئ بجمال ابنته الأوربي ولكنه وبدون أن يدري وجد نفسه غارقاً في حبها.. وكأنها فتحت أمامه أبواباً من مشاعر مختلفة تماماً عن أي مشاعر أخرى عاشها.. وكأنها منحته مشاعر الأبوة والبنوة والأهل والوطن في ابتسامتها الناعمة.. وهو بأنانية مطلقة أراد الإنفراد بتلك الأحاسيس.. أراد ابعاد لورا عن فتاته.. بأعماقه يموج إحساس مخيف بوجوب معاقبة لورا، والأكثر فزعاً أنه يريد معاقبتها لانجابها "منى" له.. بل لموافقتها

على الزواج من البداية.. يلقي بكل الذنب على كاهلها وهو مدرك لخطئه ولكنه لا يبالي..

عاد صوت لورا يتردد بحزن وقد أقلقتها قسوة نظراته:

ـ حسن!..

رمش بعينيه وكأنه يحاول العودة من غيبوبة أفكاره.. وأخبرها بحسم:

ـ أنا لم أتعمد احراجك.. ولكنكِ دائماً ما تخطئين عمداً في اسم منى..

تحركت من مقعدها لتقترب منه وتتمسك بكتفيه:

ـ حسن.. أنا أحبك.. وقسوتك تلك تؤلمني..

أجابها بعملية وهو يبتعد بجسده عنها:

ـ أنا أحترم مشاعرك, لورا.. لكنكِ تعلمين جيداً طبيعة العلاقة التي تربطنا فلا تطالبيني بالمزيد.. فلم أعد أمتلك قلباً قادراً على الحب..

أوجعتها كلماته فهمست متسائلة بألم:

ـ ووجود الطفلة لا يؤثر في مشاعرك؟..

رد بسرعة:

ـ وجودها يمنحنا لقب أسرة.. وهذا كل ما أستطيع تقديمه..

ـ ولكن..

قاطعها وهو يضع متى بين ذراعيها:

ـ أعدي متى للخروج.. سنصطحب مازن في جولة في القرية.

سألته بلهفة:

ـ هل سآتي أنا أيضاً؟..

صمت عدة لحظات قبل أن يقول:

ـ لا داعي.. نحن لن نتأخر..

حملت الطفلة وتوجهت نحو غرفتها وقلبها ينتفض مهزوماً بحبه.. بينما هو راقب خطواتها حتى اختفت ثم توجه للنافذة لتشرد عيناه بعيداً..

****

مد إياد يده بقدح من القهوة المُرة إلى فريدة التي جلست بإنهاك بعدما أشرفت بنفسها على شحن لوحاتها إلى المعرض..

وأخبرته بتعب:

ـ آه هموت من التعب.. ولسه يا دوب دي أول خطوة.. لسه ترتيب اللوحات في المعرض.. و..

قاطعها إياد بمشاكسة:

ـ أنتِ اللي كبرتِ وعجزتِ يا فيري..

رفعت حاجباً مغتاظاً:

ـ والله.. طيب.. ورينا النشاط يا أبو الشباب..

رفع ذراعيه لتتساوى قبضتيه بجانب وجهه وهو ينفخ عضلاته:

ـ طبعاً أبو الشباب..

ضحكت بتفكهة:

ـ اللي يسمعك يقول لسه في العشرينات.. مش عديت الأربعين..

ضحك بشقاوة وهو يتأمل ملامحه في المرآة ويفرك ذقنه بقوة.. ويمسد خصلات شعره الطويل نسبياً بأنامله.. لمح صورتها تنعكس في المرآة فغمز لها:

ـ الشباب شباب القلب..

ضحكت موافقة وهي تتأمل ملامحه الوسيمة، خصلات سوداء داكنة وإن ظهر بها على استحياء بعض الخيوط الفضية.. عيون زرقاء تبرق بعبث دائم.. ربما عيونه هي ما تجذب الفتيات نحوه.. وأخيراً الذقن الغير حليقة

والتي تمنحه مظهر غجري مثير.. كان إياد.. وسيماً, بل وسيماً بخطورة محببة للفتيات وهي يقلقها.. وبشدة..

سمعت صوته وهو يتحرك ليخرج من الاستوديو الخاص بها:

ـ هتحرك أنا عشان أوصل للمعرض.. أنتِ هتيجي ولا هتستني صبا؟..

ردت بسرعة:

ـ طبعاً هنستنى صبا.. وإياك تبدأ ترتيب إلا لما توصل!

تظاهر بالتأثر وهو يهز رأسه بألم مصطنع:

ـ معقولة مش واثقة في قدرات مدير أعمالك.. أومال أنا بعمل ايه؟!

رمقته بنظرة تحذيرية وهي تقول بجدية:

ـ إياد.. أنت عبقري في التسويق.. فلتة في الدعاية.. لكن ترتيب المعرض ده حسب دماغي

وبس.. ولو أي حد هيتدخل تبقى صبا.. فاهم؟..

أومأ لها متفهماً:

_ خلاص.. خلاص.. والله ما أقصد.. أنا كنت عايز أساعد ونكسب وقت.. بس خلاص ننتظر البرنسيسة صبا..

زمجرت فريدة:

_ إياد.. وبعدين مش كل مرة تعصب البنت.. وتتخانقوا وأنا أسيب شغلي وأقعد أفصل بينكم..

ضحك برقة:

_ بحب أشوفها متعصبة.. بتفكرني بيكي وأنتِ في سنها..

ضربته بقوة على كتفه فتأوه بشدة:

_ بالذمة في فنانة أيديها جامدة كده..

وتوجه مسرعاً نحو الباب قبل أن تناله ضربة أخرى، ولكنه توقف فجأة بجوار الباب وهو يشير نحو لوحة مغطاة بمفرش أبيض كبير:

ـ شوفتِ!.. أهو في الزحمة والسرعة نسينا لوحة..

نزع المفرش بقوة قبل أن يصله صوت فريدة الزاعق:

ـ لا يا إياد.. دي مش للمعرض..

لم يستمع إياد إلى كلمات فريدة فقد أسرت عيناه ملامح صاحبة الصورة.. مزيج نادر من الحب والشوق والحزن والألم والحرمان والقهر.. ملامح امرأة تتوجع من حبها.. وفي نفس الوقت تستعذب ذلك الوجع وتستلذ به.. امرأة مشتاقة حد الوجع.. وعاشقة حتى الثمالة..

همس إياد مشدوهاً وأنامله تجري على الملامح المعبرة بهوس:

ـ دي حقيقية؟..

أجابته فريدة:

ـ حقيقية جداً..

فقد كانت تلك صورة علياء التي سرقت عينيّ فريدة منذ سنوات.. ولكنها لم تطلب الأذن بعرضها حتى الآن.

الفصل الثاني والثلاثون

تمسك يزيد بكلتا يديه بمقود السيارة بغضب مكبوت محاولاً عدم الالتفات إلى ثرثرة ريناد الجالسة بجواره والتي تعبر عن امتعاضها من الطبيب المختص الذي تركا عيادته للتو برفقة ابنهما رامي..

ثرثرتها لا تنتهي حول الطبيب وعدم كفائته وقلة ذوقه.. بالطبع فعلياء هي من اقترحته.. لذا يجب أن يكون عديم الكفاءة.. بينما الرجل كان في قمة الاحترافية وهو يفحص رامي بدقة شديدة.. وبعد عدة أسئلة لم تمتلك ريناد أي اجابة عنها, فكان يزيد يجيب بدلاً منها.. موضحاً كيف ومتى اكتشف المشكلة التي يعاني منها الطفل.. صمت الطبيب عاجزاً عن التعبير عما يجول بخاطره عندما علم بأن زوجة الأب هي من اكتشفت علة الصغير.. وأخيراً طلب منهما عدة تحاليل وفحوصات وراثية نظراً لوجود صلة قرابة وثيقة بينهما,

فقد اتجهت ظنون الرجل لوجود خللاً وراثياً سبب ضعف السمع الشديد الذي يعاني منه ابنه.. واقترح بداية استخدام جهازاً سمعياً مؤقتاً حتى يتبين مدى الضعف الذي يعاني منه الصغير..

نعم.. فالحمد والشكر لله.. والفضل كان لعلياء في اكتشاف الحالة في وقت مبكر نسبياً..

"وإن كان من الممكن الاكتشاف في وقتٍ بدري شوية"..

كانت تلك كلمات الطبيب.. والتي أكسبته عدواة ريناد على الفور.. فكلماته تتضمن اتهاماً ضمنياً لها بالاهمال.. وهو ما كان موفق منه الطبيب.. وظهر جلياً من طريقته الجافة في الاجابة عن أسئلتها السخيفة والتي كان أعظمها سخافة سؤالها عن جهاز السمع ومدى توافره بألوان راقية وأحجام لا تجعله مرئياً حتى لا تلمحه صديقاتها.. ولكن تلك السخافة لم تعادل قسوة سؤالها عن وجود مؤسسات متخصصة لاستقبال حالات كحالة رامي.. لحظتها بدا الطبيب على وشك

القاها خارج مكتبه بينما تكورت قبضة يزيد بالفعل وكانت معجزة بحق أنه لم يلكمها في وجهها.. كما يستحق كائن أناني مثلها..

زاد من ضغط يديه على المقود حتى ابيضت سلميات أصابعه وثرثرتها تضرب أذنيه بقسوة مطالبة اياه بالبحث عن طبيب آخر أكثر تهذيباً وأكثر قدرة على التعامل مع من هم في مركزها..

ـ احنا لازم نفكر كويس في خطوتنا الجاية.. وهنتصرف ازاي مع رامي و..

قطع كلماتها توقف السيارة المفاجئ أمام الفيلا ليصطدم رأسها بالزجاج الأمامي وتصرخ غاضبة:

ـ يزيد!.. أنت اتجننت!!..

لم يجبها بينما التفت إلى الخلف ليطمئن على رامي فوجده مازال نائمًا.. يبدو أن فحوصات الطبيب قد سببت له الاجهاد.. داعب وجنته بحنان وقد مرت بعقله فكرة استساغتها نفسه سريعاً فاتخذ قراراً فورياً وترجمه بكلمات قليلة ألقاها نحو ريناد:

ـ ريناد.. أنا هاخد رامي يلعب مع أخواته شوية..

زمجرت غاضبة:

ـ تاخد رامي لأخواته ولا تروح ترمي في حضن الهانم!.

هز كتفيه بلامبالاة وهو يرمقها بغضب مكتوم:

ـ حتى لو كان.. ايه الجديد عليكِ!.. أنا مش برتاح إلا مع علياء.. أنتِ عارفة ده كويس ومتقبلاه..

أغمضت عينيها للحظة تبتلع صراحته الفجة ثم همست:

ـ أنت مش ملاحظ أنك بقيت صريح لحد القسوة؟..

ردد بسخرية:

ـ قسوة!.. لا أبداً.. هو زي ما بتقولي أنا بقيت صريح قوي..

ثم صمت للحظة ليخرج صوته بارداً:

ـ لكن القسوة الحقيقية.. لما تبقى في ست.. المفروض أنها أم.. والمفروض ابنها في عن احتياجه لها.. لكن هي كل اللي بتفكر فيه ازاي تتخلص منه في مؤسسة ولا مركز طبي..

شحبت ملامحها لحظة ورددت بقلق:

ـ أنا...

قاطعها ببرود:

ـ أنتِ تروحي تكلمي خالتي في التليفون وتبلغيها أن ابني هيفضل جنبي.. ومش هبعده لأي مكان.. عايزة أنتِ بقى تفضلي جنب ابنك.. أهلاً وسهلاً.. مش عايزة.. براحتك!..

سألته بتوجس:

ـ يعني ايه؟..

أدار السيارة مرة أخرى كإشارة لها بالترجل منها وهو يغمغم:

ـ كلامي واضح.. عن إذنك!..

تركت السيارة والغضب يتملك كل خلية من خلاياها واندفعت داخل الفيلا لتتصل بوالدتها على الفور وهي تصرخ بها غاضبة:

- شوفتِ آخر نصايحك أنتِ وخالتي!.. خلاص اليه بقى يقولها في وشي بصراحة ومن غير ما يتكسف.. هو مش بيرتاح غير مع الهانم التانية.. وغير كده.. بيخيرني بين أني استمر معاه خدامة لابنه المريض, و..

قاطعتها أمها:

- وبين ايه؟..

دعكت ريناد جبهتها بتعب:

- مش عارفة.. ما قالش بس أكيد الطلاق..

غمغمت أمها بقلق:

- طلاق!..

هتفت ريناد بانزعاج:

- ماما.. أنا مش عارفة اعمل ايه!.. هو رامي صعبان عليّ.. بس مش متخيلة نفسي أم لطفل معوق زيه!

صمتت أمها لفترة.. قبل أن تخبرها بهدوء:

ـ خلاص.. يبقى تخلفي ابن سليم.. ورامي ترعاه أي مربية متخصصة..

صرخت ريناد بها:

ـ أنتِ بتقولي ايه بس!!.. طفل تاني!.. أنتِ ناسية أنا اتعذبت قد ايه عشان أخلف رامي؟!.. وبعدين أساساً الدكتور شاكك في مشاكل وراثية.. يعني ممكن الطفل الجديد ده يكون مريض زي رامي أو حتى أسوأ..

زفرت أمها بغيظ:

ـ مشاكل وراثية!.. ايه الحظ ده!.. طيب أنتِ ناوية على ايه؟

ـ مش عارفة يا ماما.. اليومين اللي فاتوا كنت هتجنن من القعدة مع رامي.. صحيح يزيد كان موجود.. وحتى هو اللي كان بيعمله أغلب طلباته.. بس الوضع مش هيستمر كده على طول..

ـ عندك حق.. أنا مش عارفة أفكر.. بس فكرة أنك تتنازلي عن وضعك كزوجة ليزيد الغمراوي قرار مش سهل.. برستيج ونفوذ

وفلوس.. طيب حاولي تقنعيه بموضوع المربية.. واهو كده ممكن تستمروا زي ما أنتوا.. صحيح هو الولد فين؟..

- أخده وراح للهانم مراته..

هتفت أمها:

- طيب ما الحل موجود اهوه.. يربي ابنه المعاق ده وسط ولاده من عليا وهي مش هيفرق معاها.. خمس ولاد من ستة..

- امممم.. تفتكري؟.. طيب ويزيد هيوافق؟..

- ده ما هيصدق.. بس زي ما قلت لك.. فكري في طفل جديد.. خليه المرة دي تلقيح صناعي ولا أنابيب.. عشان نحاول نتجنب أي مشاكل وراثية..

برقت عينا ريناد بحماس:

- تصدقي فكرة كويسة قوي..

وأغلقت الخط مع والدتها وهي تفكر في وسيلة فعالة تقنع بها يزيد بفكرة الطفل الجديد.. طفل سليم.. تفتخر بوجوده وسط صديقاتها.. ويمكنها التعامل معه بسهولة.. وفي

المستقبل.. يكون هو مستقبل عائلة الغمراوي.. ووريثها..

****

جلست نيرة على الأريكة الوثيرة بغرفة المعيشة في شقة علياء، تراقب تلك الأخيرة وهي تحتضن صغيرها حمزه وهي ترضعه وتهمس له بحنان بينما أناملها تداعب خصلات شعره القصيرة وابتسامة رقيقة ترتسم على شفتيها..

دمعة مفاجئة جرت على وجنة نيرة فسارعت لتمسحها بسرعة وهي تتصور نفسها تحتضن طفل مازن بين ذراعيها.. ترضعه وتهمس له كما تفعل علياء..

أمنية بعيدة المنال.. وحلم أضاعته بأيديها.. حتى بعدما علمت بخبر انفصاله عن دنيا.. ظنت لوهلة وجود أمل ما أمامها ليفاجئها بخبر سفره إلى شقيقه.. وكأنه يهرب من أي مستقبل يجمعه بها.. أو حتى مجرد فكرة لمستقبل..

زفرت بحزن وهي تسأل علياء:

ـ هو يزيد ما يعرفش مازن هيرجع امتى؟..

هزت علياء رأسها نافية بصمت وهي تتذكر ابتعاد يزيد في اليومين الماضيين.. وانغماسه الكلي في مشكلة رامي.. تقدر هي وضعه وتمنحه العذر بالكامل، إلا أنها تفتقده بشدة.. تحتاج تواجده حولها الآن وقد كبر أولادهما وأصبح احتياجهم له أقوى وأشد..

سمعت صوت نيرة يسألها بتردد:

ـ تفتكري ممكن يكون ليا فرصة مع مازن؟..

التفتت علياء نحوها وهي تعدل من وضع حمزه لتسألها بوضوح:

ـ نيرة.. خليكي صريحة مرة واحدة مع نفسك.. أنتِ عايزة مازن ليه؟.. عشان هو جوزك اللي بعد عنك فجأة واتجوز غيرك وعايزة تعلني انتصارك عليها؟.. ولا عشان هو الراجل اللي بتحبيه واللي يستحق أنك تحاربي عشانه؟..

أخفضت نيرة بصرها للأسفل وهي تغمغم:

ـ مازن طلق دنيا..

شهقت علياء بصدمة وقد اتسعت عيناها ذهولاً.. ولكن ذهولها وصل لمنتهاه ونيرة تردف:

ـ دنيا هي اللي بلغتني.. الست دي غريبة قوي.. تخيلي أنها كانت بتوصيني على مازن.. وبتقسم لي أنه لسه بيحبني بس محتاج مني شوية تضحية وتعب.. الست دي مجنونة ولا خيالية؟.. دي تقريباً من عالم تاني..

غمغمت علياء بحزن:

ـ هي بس بتحبه قوي.. بس الانسان كده.. دايماً بضيع الحاجة الحلوة اللي في ايده وهو بيجري ورا سراب..

رمقتها نيرة بنظرة حادة ولكنها لم تعلق.. فما تقوله علياء بقدر ما ينطبق على مازن فهو ينطبق عليها أيضاً..

رمقت علياء بتردد وهي تسألها:

ـ اعمل ايه يا علياء؟.. ارجعه ازاي؟..

ـ بتحبيه يا نيرة؟..

ابتسمت نيرة بشجن وكأنها تتوقع السؤال:

- مش عارفة يا عليا!.. هو الحب ايه؟.. مشاعري لحسن كانت حب؟.. ولا اللي بحسه مع مازن هو الحب؟.. أما حسن سابني واتجوز مني حسيت بوجع في كرامتي.. كبريائي اندم وكنت غضبانة قوي.. وغضبي استمر لحد ما منى ماتت.. فرحت بموتها.. بس عشان حسن هيندم منها ويرجع ضعيف ووحيد تاني.. جوازه السريع على قد ما صدمني على قد ما فوقني.. إنما مازن.. مازن جوازه بدنيا كسرني.. فكرة وجود ست تانية في حياته على قد ما ولعت قلبي نار.. على قد ما شلتني وبقيت مش عارفة اتصرف ولا اتعامل معاه.. ودلوقت بعد ما خرجت من حياته.. هو بيهرب مني.. حاسة بوجع لدرجة أني مش قادرة أتنفس..

ابتسمت علياء برقة:

- حاولي معاه تاني يا نيرة هو مش هيفضل بعيد على طول.. أكيد هيرجع..

قبل أن ترد نيرة عليها فوجئت بدخول يزيد وقـ

انقبضت ملامحه فور رؤيته لنيرة وغمغم

بضيق:

ـ مساء الخير..

ابتسمت له علياء برقة:

ـ مساء النور يا حبيبي..

وسألته عندما لمحت رامي بين يديه:

ـ أنت جبت رامي معاك؟.. الولاد هيفرحوا قوي.. كل يوم بيسألوا عليه..

أومأ برأسه قائلاً:

ـ أنا هدخل للولاد أوضتهم..

تركهما معاً وانطلق نحو غرفة الأولاد بينما استأذنت نيرة في الذهاب وودعتها علياء بعدما أوصتها بمحاولة الاتصال بمازن:

ـ يا نيرة اسمعي الكلام.. حاولي تحسسيه أنك عايزة وجوده جنبك.. محتاجاه.. ما تسيبيهوش لأفكاره وحزنه..

أومأت نيرة موافقة وودعت علياء معتذرة:

ـ أنا آسفة يا عليا.. يزيد شكله متضايق.. تقريباً أنا عملت لك مشكلة بالزيارة دي..

ربتت علياء على كتفها بحنان:

ـ ما تقلقيش يا نيرة.. أنا هتفاهم مع يزيد..

خرجت نيرة بينما توجهت علياء إلى غرفة الأولاد لترى رامي وقد غط في سبات عميق.. فوضعت حمزه في فراشه ودثرته بحنان.. وتوجهت نحو غرفتها, وما أن فتحتها حتى وجدت يزيد قد تمدد بعرض الفراش تاركاً قدميه لتتدلى على الأرض وأغمض عينيه تماماً..

فاقتربت منه بهدوء لتجلس ملتصقة به وهي تمد أناملها برقة لتداعب صدره وهي تسأله:

ـ حصل ايه عند الدكتور؟..

ظلت جفونه مطبقة لثوانٍ.. ثم حكى لها باختصار ما قاله الطبيب.. فربتت أناملها على جانب وجهه مواسية:

ـ إن شاء الله خير.. ولو في أي حاجة ممكن نعملها عشان نقدر نرفع من قدرته على السمع.. تمارين؟... نظام أكل؟.. أكيد في حاجات مساعدة.. ولا ايه؟..

فتح عينيه وهو يرمقها بحنان.. يريد أن يخبرها أن ما يحتاجه رامي لن يجده عند أي شخص سواها.. ولكن هل يمكنه أن يكون بهذه الأنانية؟. هذه القسوة؟.. أن يطلب منها أن تضم ابن ضرتها تحت جناحها وتربيه مع أولادها!.. تضحية كبيرة.. لا يستطيع طلبها منها.. برغم كل حبها له.. ورغم تيقنه أنها لن تمانع أبداً.. فهي أم بالفطرة.. ولكنه لا يستطيع.. فقط لا يستطيع..

شعر بأناملها تتجول بدفء على صفحة وجهه وصدره.. ثم اقتربت منه لتقبله قبلة دافئة على شفتيه هامسة:

ـ وحشتني قوي..

لفها بذراعه ورفعها لتصبح فوقه فتناثرت خصلاتها السوداء على وجهه.. حركت رأسها لتتحرك معها خصلاتها وتداعب وجهه بعبث جعله يشهق متشمماً رائحته العطرة وهو يضغط جسدها عليه بقوة ويديه تتحرك على ظهرها بحميمية وعبث حتى وصلت إلى عنقها

فثبته ليلتقط شفتيها وكأنه تائه في صحراء لسنين وأخيراً وصل إلى نبع عذب..

رفعت رأسها قليلاً وهي تلهث بعنف هامسة:

- مالك يا يزيد؟..

عاد يخفض لها رأسها ليقبلها برقة ناعمة وهو يهمس:

- وحشتيني أنتِ كمان..

حركت إحدى ذراعيها والتي كانت قد حشرت بينهما لتطوق بها رأسه وتركت أناملها تداعب خصلاته وتتغلغل بها وهي تهمس ثانية:

- مالك يا يزيد؟.. لو ما قلتش لعلياء هتقول لمين؟..

أخذ يتأملها للحظات وهو يرى الرقة والعذوبة ترتسم على ملامحها.. وهي تعاود سؤاله للمرة الثالثة عما به.. فما كان منه إلا أن قلبها فوق الفراش ليعتليها هو تلك المرة ويقبلها بقوة وكأن حياته تعتمد على تلك القبلة.. وكأنه يبثها قلقه الذي لم يمر به

من قبل.. يريدها أن تزيل تلك المخاوف التي تتلبسه.. يحتاجها أن تتفهمه كما تفعل دائماً.. كان يضمها بقوة لصدره, يلتهم شفتيها التهاماً.. يصرخ بقبلاته لها بما يوجع قلبه ويزعج عقله بشأن مستقبل ابنه الغامض.. لم يظن يوماً أنه قد يخاف إلى تلك الدرجة.. أن يصاب بالهلع والحنق لأن رامي قدر له أم مثل ريناد.. لم يشعر لحظة بالقلق على ابنائه من علياء.. فهو موقن من أنوثتها الممزوجة بأمومة رائعة.. تلك التي تلفه بها الآن وهي تمنحه الطمأنينة لمجرد وجودها بين ذراعيه..

رفع رأسه قليلاً ليرتكز بجبهته فوق جبهتها وأنفاسه اللاهثة تجري على صفحة وجهها بينما غرقت عيناه في عينيها لتتحد النظرات لثوانٍ وكأنها تتبادل رسائل خاصة بهما فقط لتهمس علياء:

_ أنا موافقة..

توسعت عيناه بدهشة واعتدل في جلسته ليرفعها معه مجلساً إياه بين ذراعيه وهو يردد بذهول:

ـ لا.. لا يا علياء.. أنا ما اقدرش أطلب منك تضحي تضحية كبيرة كده.. حتى ولو عشاني..

رفعت نظرها له بتساؤل:

ـ خايف عليه مني؟..

هز رأسه مستنكراً:

ـ أنتِ بتقولي ايه بس!.. لا طبعاً.. لكن..

وضعت أناملها على شفتيه وهي تخبره بحنان:

ـ رامي ابني زي حمزه وحازم.. ما تقلقش.. واطمن.. عارفة أنها حاجة غريبة وما بتحصلش لكن ربنا زرع حبه في قلبي.. ده أكيد لحكمته سبحانه وتعالى.. غير كده كمان هو هيرضع مع أخواته.. وكده هيبقى ابني بالرضاعة.. يعني كمان شرعي..

لدهشتها وجدته يضيق عينيه قليلاً ثم يهمس بفحيح غاضب:

ـ بمناسبة الرضاعة.. ليه ترضعي حمزه قدام نيرة.. ليه ترضعي قدام أي حد من أساسه.. مش كفاية العيال اللي مش بتبطل رضاعة دي..

انطلقت ضحكاتها بقوة وكأنها تطرد بها التوتر الذي غلفهما منذ قليل.. وارتكزت على ركبتيها وأسندت كفيها على كتفيه وتهمس له بحب:

ـ أيوه كده.. ارجع يزيد المجنون اللي بحبه..

جذبها بشدة فارتمت على صدره بينما هو يتوعدها بعبث ممرغاً وجهه بعنقها وصدرها:

ـ المجنون.. هااا.. مجنون..

انطلقت ضحكتها صافية وهي تحتضن وجهه بين كفيها:

ـ أنا بحب يزيد بكل حاجة فيه.. بعقله وجنونه.. حنانه ورقته وحتى أنانيته.. ورامي حتة منك.. ما تقلقش عليه أبداً.. بس..

ـ بس.. بس ايه؟..

ترددت قليلاً قبل أن تسأل بتلعثم:

ـ ريناد..

ضحك بمرارة تقريباً وهو يضجع للخلف ليستند على ظاهر الفراش ساحباً علياء معه فألقت برأسها على كتفه لتسمعه يجيب بألم:

ـ ريناد هتوافق.. ما تقلقيش..

ابتسمت بحزن وتلك الوخزة المؤلمة التي تشعر بها كلما ذكرت ريناد تهاجمها بقوة..
أصبحت لا تغار منها الآن.. وهي تتعجب من ذلك.. لا تشعر نحوها سوى بمرارة لا تستطيع التغلب عليها..

ألصقت نفسها به أكثر وكأنها تريد أن تشعر به بجوارها هي حقاً.. لا تريده أن يبتعد نحو ريناد حتى بفكره, فزاد هو من ضمها لجسده بينما بعقله تتردد فكرة واحدة..

"لازم ينهي الأمر"..

****

وقف مازن بصحبة حسن وزوجته أمام إحدى لوحات فريدة يتبادلون معها حواراً مجاملاً حيث قام الأخوان بشراء عدة لوحات مجاملة

لها بينما هي أصرت على دعوتهم جميعاً على العشاء:

ـ مش هقبل أعذار.. دي فرصة نتجمع كلنا مع بعض يا حسن.. حتى صبا موجودة كمان..

والتفتت حولها لتبحث عن ابنتها بينما تبعتها نظرات الجميع لتقع أعينهم على الفتاة المنشودة حين أشار مازن:

ـ آه.. صبا هناك أهي..

أومأت فريدة برأسها وهي تشير لابنتها لتتقدم وتحيي ضيوفها المميزين.. فابتسمت صبا برقة وتحركت لتستجيب لدعوة أمها حين اصطدمت بإياد الذي خرج من إحدى الغرف فجأة فأحاطها بذراعيه حتى لا تتعثر وتسقط أرضاً وهو يهتف بها:

ـ أوووبا.. مش تاخدي بالك يا ست صبا.. كويس أنها جت فيا أنا!..

ضيقت عينيها بتهديد وهي توبخه بنزق:

ـ والله.. يعني أنا اللي غلطانة!.. ولا سيادة مدير الأعمال المختفي؟.. وكمان مضيع عقلم من الصبح.. غسان كان..

وضع أصابعه على شفتيها مقاطعاً:

ـ هششششش.. خلاص.. مش هندخل في موال غسان.. ارحميني.. أنا مش على بعضي من الصبح.. بقولك.. بتقبلي رشاوي لحد كام

أطلقت صبا ضحكة عالية جذبت انتباه الحضور إليها لتتابعها عيناه خضرواه ضاقتا بغضب عندما اقتربت صبا من إياد لتستند عليه:

ـ والله ده يتوقف على اللي أنت عايزه!..

لف خصرها بذراعه وهو يحاول سحبها معه إلى الخارج:

ـ مش هينفع كلام هنا.. تعالي معايا..

قاطع كلماته وصول فريدة ومن معها وهي تهتف بصبا:

ـ ايه يا صبا!.. بشاور لك بقى لي فترة..

ضحكت صبا برقة:

ـ اعمل ايه يا فري.. الأستاذ إيدي مش عاين يسبني في حالي..

والتفت لتصافح مازن بود:

ـ حمد لله على السلامة يا مازن.. يا ترى دنيا وعشق معاك؟..

هز مازن رأسه نافياً وهو يصافح صبا بمحبة مستفسراً عن أحوالها.. ثم تحولت صبا لتحيي لورا برقة.. وأخيراً صافحت حسن مصافحة سريعة.. فهي لاحظت نظراته الغاضبة التي انصبت عليها منذ تعالت ضحكاتها مع إياد الذي صافحهم بدوره سريعاً ثم استئذن على الفور ليتابع أعمال المعرض حين هتفت صبا:

ـ ايوه كده روح شوف أكل عيشك..

ضحكت إياد بغيظ ووخزها بقوة في خصرها فانتفضت بقوة صارخة لترتطم بكتف حسن الذي كان يجاورها وقوفاً.. فامتدت يده تلقائياً لتحيط بخصرها محاولة منه لابعادها عنه..

لم يفهم لما ارتعش جسده لتلك الملامسة البسيطة.. لما تأهبت حواسه لرائحتها الغريبة.. مزيج من رائحة الفانيلا وزهر

المشمش.. نعم لقد أصبح يميز الروائح ببراعة بعد زواجه من لورا.. فهي تغرقه كل يوم بعبق جديد ورائحة مختلفة.. ولكن صبا كانت مختلفة.. عبق أنوثة مختلط بطفولية محببة.. هزته بقوة..

ارتجافة جسده المتأثر بها سببت له الغضب الشديد.. غضب من نفسه ومنها أيضاً.. وخاصة حينما تعالت ضحكتها العابثة وهي توبخ إياد:

ـ عيب عليك في السن ده!!..

وانطلقت ضحكاتها الرائقة لتتوقف فجأة حين اصطدمت بنظرات حسن التي تحولت من الغضب إلى الاحتقار وهو يشيح بوجهه عنها وكأنما مجرد النظر إليها يؤذيه ويغضبه..

ازدادت وتيرة تنفس صبا وغضبها يتصاعد لعنان السماء وهي تلمح تلك النظرات التي لم تجد لها تفسيراً وكادت بالفعل أن تصرخ به مطالبة بتوضيح فوري لسلوكه المنفر.. ولكن ما لم تدركه صبا البريئة بسنواتها العشرين هو الصاعقة التي أصابت حسن فور تلامسها

معه، سماعه لضحكاتها مع إياد، رؤيته لها.. لم يصدق نفسه.. وكادت عينيه تقفزان من محجريهما وهو يرى صبا الصغيرة ذات الضفيرة الطويلة المشعثة وتقويم الأسنان المعدني وقد تحولت إلى فراشة رقيقة الألوان بداية من خصلاتها الكستنائية الداكنة والمتموجة، إلى عينيها الرماديتين الشقيتين والحزينتين في مزيج غريب لم يلمحه إلا في نظراتها.. مروراً بضحكتها الناعمة وبشرتها البرونزية والتي تحسدها عليها نجمات السينما، حتى قوامها الممشوق والذي أوضح ثوبها الفضي والذي إلتصق به كم تتمتع من رشاقة ونعومة تتهافت عليها أعين الرجال.. كما كان يفعل ذلك المدعو إيدي.. لقد صعق حسن من التحول الذي أصاب الفتاة الصغيرة لتتحول إلى تلك المرأة التي هزت كيانه بشدة.. نعم.. فبقدر مفاجئته بجمال صبا البري بقدر انزعاجه لذلك التأثير الذي امتلكته على مشاعره.. على رجولته.. وقلبه..

نظراتها الحزينة الشقية اخترقت الدرع الفولاذي الذي شيده حول قلبه ليجده يرتجف

نشوة لسماع ضحكاتها اللذيذة ومزاحها مع ذلك البغيض إيدي..

"تباً.. تباً.. ماذا يحدث؟!"..

هو لا يتأثر بالنساء.. لا يلتفت لدلالهن وضحكاتهن وصخبهن ومحاولتهن لجذب الانتباه.. قلبه توقف عن الدق بعد مني.. عينيه عُميت عن رؤية غيرها وأذنيه صُمت عن سماع تنهدات وضحكات سواها من النساء.. إذاً لما رجفة القلب الآن؟.. لم يستجيب كيانه وجسده.. عقله وقلبه لفتاة لطالما رآها كأخت صغيرة.. وفي أحسن الأحوال طفلة رقيقة محببة ووديعة.. متى تحولت الوداعة إلى تلك الأنوثة المتوحشة التي تهاجمه بضراوة..

غاب حسن في أفكاره وفي محاولاته لتفسير مشاعره المختلطة ولم يدرِ بنفسه إلا وهو جالساً على مائدة العشاء ولورا بجواره ترمقه بقلق وقد لاحظت شروده.. وتواجهه من شتت أفكاره وبعثرت كيانه وهي مندمجة في حديث طويل مع مازن حيث بدا أنه أخبارها بانفصاله عن دنيا فاتسعت عيناها الرماديتين

دهشة وارتعشت شفتيها المكتنزتين تأثراً وهي تعض على السفلى منهما بحزن كاد ينتزع تأوهاً منه.. فأغمض عينيه وهو يطلق على نفسه أحقر الأسماء والأوصاف.. بل كاد يشك أنه تناول عقاراً أصابه بلوثة ما أو في أسوأ الأحوال منشط ما أثار هرموناته الذكورية..

هل ابتعد عن زوجته فترة طويلة لتلك الدرجة حتى تصبح نفسيته ومقاومته بتلك الهشاشة؟.. كلا.. لم يحدث.. فلورا امرأة

دافئة وعاطفية وتتفنن في ارضائه ومنحه السعادة.. إذاً ماذا!!.. ماذا به؟..

وصل إلى مسامعه صوتها وهي تحادث مازن:

_ اديها فرصة يا مازن.. أنتوا الاتنين غلطانين.. نيرة اتغيرت كتير بس أنت مش ملاحظ.. أو مش عايز تلاحظ.. بتدوروا حوالين مشاعركوا وبتهربوا من المواجهة.. لحد امتى هتقدروا تتحملوا الحياة كده!

غمغم مازن من بين أسنانه:

ـ صبا.. أنتِ ما تعرفيش..

قاطعته بسرعة:

ـ مين قالك!.. السنة الي عدت دي أنا قربت من نيرة قوي.. هي بتحاول.. يمكن مش هتتحول لملاك زي عليا.. ولا ست دافية زي دنيا.. بس هي بتحسن من نيرة.. نيرة اللي أنت حبيتها..

دون صوت حسن بسخرية:

ـ نيرة اللي اتهمت بنت بريئة ظلم عشان تنتقم بس!..

التفتت له صبا بغضب لتلمح نفس النظرات الغاضبة تقفز من عينيه فهتفت به بالفرنسية:

ـ أعتقد أنه يفضل الحديث بالفرنسية حتى تفهم زوجتك ما تقوله!

تكلمت لورا برقة وبعربية ضعيفة:

ـ لا.. صبا.. لا.. أنا أفهم كل اللي أنت قوله.. وموافق معاك كتير..

ضغط حسن على أسنانه بغيظ بينما ابتسمت صبا بانتصار والتفتت لمازن لتكمل حوارها:

ـ صدقني يا مازن.. نيرة محتاجة وجودك جنبها.. وأنت خلاص حسمت أمرك وطلقت دنيا.. يبقى ايه اللي يمنع تبدأوا من جديد؟..

غمغم حسن ساخراً:

ـ اللي يمنع أنها نيرة غيث.. والنمر مش بيغير جلده..

هتفت صبا بغيظ:

ـ هو أنت لا بترحم ولا بتسيب رحمة ربنا تنزل.. في ايه!.. ما أنت اتجوزت وخلفت تاني بعد..

قطعت كلماتها فجأة وهي تنتبه إلى شحوب وجه لورا.. فاعتذرت منها:

ـ آسفة قوي يا لورا.. بس جوزك خرجني عن مشاعري..

أومأت لورا بلطف:

ـ مش تضايق صبا.. حسن مش يقصد.. هو منفعل كتير..

ربت حسن على يد لورا بهدوء:

ـ لورا.. آسف.. لكن أي كلام عن نيرة بيسبب لي إزعاج..

ثم التفت إلى شقيقه:

ـ آسف يا مازن.. بس..

أخفض مازن رأسه متفهماً:

ـ خلاص يا حسن.. أساساً.. أي موضوع يخصني أنا ونيرة هناقشه ما بينا..

ثم التفت نحو صبا مغيراً الموضوع:

ـ أنتِ طمنيني.. أخبارك ايه؟.. هتتخرجي السنة دي صح؟..

أومأت صبا موافقة بهدوء:

ـ إن شاء الله.. أنا مش مصدقة امتى أخلص بقى.. نفسي بجد اشتغل في مجالي..

تردد سؤال حسن:

ـ اللي هو ايه بقى؟..

ضحك مازن بيشاشة محاولاً التغافل عن الجو المتوتر حول المائدة:

ـ ايه يا حسن أنت مش عايش معانا على الأرض!.. صبا هتكون مدرسة أطفال خطيرة.. ولاد يزيد العفاريت دول بيموتوا فيها..

أطلق حسن صفيراً صغيراً قبل أن ترتفع إحدى شفتيه مستهزئاً:

ـ مدرسة أطفال!.. يعني حتى ما أخدتيش موهبة مامتك ولا احترافية باباكِ.. هتعملي ايه بوظيفة مدرسة أطفال في مؤسسة العدوي_غيث..

غمغمت صبا بسخرية مريرة وقد اشتعل وجهها غضباً:

ـ هقول لدادي يشتري لي حضانة مليانة أطفال ويخليها جزء من المؤسسة..!

تعالت ضحكات مازن القوية واحتقن وجه حسن غضباً وقبل أن يجيب على وقاحتها وصله

صوت فريدة التي وصلت للتو ويرافقها ذلك اللزج المسمى إياد وهي تعتذر بلهفة:

ـ آسفة اتأخرت عليكوا.. بس كان في شوية شغل كده بخلصهم مع إياد..

جلست فريدة بجوار مازن وقبل أن يجلس إياد.. جذبته صبا من يده هاتفة:

ـ قوم خلينا نرقص.. الموسيقى حلوة قوي وأنا محتاجة اهدي أعصابي.. الجو هنا خنقة..

تحرك معها إياد نحو حلقة الرقص وظلا يرقصان معاً طوال السهرة وبدا أن صبا تمتلك طاقة لا تنبض فلم تدع إياد يعود لمائدة العشاء إلا بعد مرور أكثر من ساعة كاملة.. وكان الجميع بدأ بتناول العشاء بالفعل.. وما كادت تجلس على المائدة حتى نهض حسن فجأة معتذراً من الجميع ومتعللاً برغبته في الاطمئنان على طفلته الصغيرة..

****

دلف حسن إلى غرفة صغيرته فور أن وصل إلى منزله.. حملها من فراشها وظل محتفظاً بها قرب قلبه.. يتشمم رائحتها الطفولية العذبة ويتلمس خصلاتها البلاتينية الناعمة هامساً:

"يا قلب وعيون وروح بابا.. خليكي جنبي.. رجعي لبابا ثباته.. هدوئه.. مشاعره اللي انبعثرت الليلة"..

جلس على المقعد المجاور لمهد الصغيرة وظل يحتضنها طويلاً حتى شعر بيد لورا تتحس كتفه هامسة:

ـ حسن.. دع مونا تنام.. لا تزعج نومها..

وضع طفلته بالفراش بحنان واصطحب زوجته إلى غرفتهما وهو يدرك أنه الآن في أضعف حالاته وفي أشد الاحتياج لوجود أنثى مثلها تمتلك كل المقومات لارضائه واخراج أي امرأة حية من عقله.. فما أن أغلق باب الغرفة خلفهما حتى سحب لورا بين ذراعيه منقضاً على شفتيها تحركه رغبة حارقة في النسيان.. لقد نجحت من قبل في تخدير جروحه.. وستنجح مرة أخرى في اخراج أي

أنثى عابثة من محاولة اقتحام قلبه.. زاد من
عنف قبلته وامتدت يديه ليمزق قماش ثوبها
الرقيق تاركاً آثار أنامله القاسية فوق بشرتها
الناعمة.. ولكنها لم تهتم.. فهي كانت
مأخوذة بعنف عاطفته.. شغفه الذي تستشعره
ربما للمرة الأولى.. فاستجابت له بقوة وبادلته
عاطفته بضراوة مماثلة وهي تلف عنقه
بذراعيها, ترتفع على أطراف أصابعها لتتمكن
من الوصول لشفتيها واختراقهما.. ولم تشعر
بنفسها إلا وهي بالفراش وهو فوقها يهتف
من أعماقه

"اطرديها يا لورا.. اطرديها قبل ما تتمكن
من أعماقي.. اطرديها"..

الفصل الثالث والثلاثون

جلس حسن أمام غسان يراجعان معاً حسابات المطعم ويتناقشان في التطوارت التي اقترحها غسان بشأن فرع المطعم الذي يديره حسن..

اقتراحات يرفضها حسن بضراوة فهو يريد الحفاظ على الطابع الريفي للمطعم.. وإضافة حلقة رقص كما يقترح غسان ستدمر سحر المكان..

ـ غسان.. أنت عارف رأيي.. وجود حلقة رقص وبار وكلام من ده مرفوض..

هتف غسان بتعجب:

ـ بار!!.. أنا قلت بار..

رمقه حسن بتساؤل:

ـ يعني مش دي الخطوة الجاية؟..

ـ لا طبعاً.. ده مش هيحصل أبداً.. وبعدين أنا ما أقصدش قاعة رقص بالمعنى اللي جه في بالك..

قطب حسن بتساؤل:

ـ أومال؟..

ـ jukebox

صمت للحظة وأكمل:

ـ جهاز الموسيقى اللي بالعملة.. تحط الكوين وتختار الأغنية.. ومساحة واسعة بين الكراسي للي عايز يرقص.. فاهمني؟..

أومأ حسن برأسه.. وهو ينهض ليتحرك في الغرفة الضيقة حتى وقف مواجهاً للنافذة الزجاجية الواسعة والتي تحتل حائطاً بأكمله وتسمح لمن في الغرفة بمتابعة أعمال المطعم في الخارج..

التفت إلى غسان وهو يشير إلى النافذة متابعاً حلقة الرقص بالخارج ذات الأضواء الخافتة

الرومانسية وقد تناثرت بها عدة أزواج من الراقصين:

_ مش هتكون زي دي؟..

هز غسان رأسه نافياً:

_ لا طبعاً.. كل مكان لازم يبقى له الطابع المميز له و..

لم يعد حسن يستمع لأي من هذر غسان وغاب عقله تماماً وعيناه تلمحان خصلات كستنائية متمردة هاجمت أحلامه مراراً في الليالي الماضية.. وهو يغلغل أنامله بها تارة، يتشممها تارة أخرى، يمرغ وجهه به مرة ثالثة.. تباً.. أنه مريض.. بل منحرف خائن ويجب القصاص منه.. كيف يفكر بها بتلك الطريقة!!.. كيف؟..

هاجس خفي يهمس له..

"لكنك لا تفكر هكذا.. أنها مجرد أحلام.. هل يُحاسب على الأحلام!"..

أفاق على صوت غسان وهو يهتف مشيراً إلى معذبة أحلامه:

ـ يااا.. دي صبا هناك اهيه ومعاها إياد كمان..

ضغط حسن على أسنانه بشدة وعيناه مازالت ملتصقة بها وقد تعلقت بكتفي إياد يتمايلان معا على أنغام إحدى الأغنيات.. وقد غرقا تماماً في حوار هامس.. رفع ضغط دمه.. وأثار جنونه لدرجة أنه كاد أن يخترق تلك النافذة الزجاجية ليسحبها من بين يدي ذلك الحقير الذي يستغل صغر سنها ولا يحترم كونه موظفاً لدى والدتها..

فوجئ حسن بغسان يجذبه من يده قائلاً:

ـ تعالى هنروح نسلم عليهم و..

قاطعه حسن بسرعة:

ـ لا.. زي ما قلت لك أنا مشغول.. يا دوب هروح المطار.. صاحبي اللي كلمتك عنه.. فاكر.. اللي حجزت له عند خبير في علاج الصمم عشان ابنه.. هيوصل بعد ساعة.. تمام..

ثم ودع غسان وانطلق هارباً وكأن الشياطين تطارده.. فهو يحاول منذ أسابيع الهروب من تلك المشاعر التي داهمته بدون موعد.. مشاعر عاصفة.. جامحة ومجنونة..

"منى.. سيبتيني ليه؟!"..

كان يهتف بها بداخله وهو يدلف إلى سيارته متجهاً إلى المطار ليستقبل يزيد وأسرته.. وعقله يسترجع كل ذكرى له مع منى لتكون درعاً واقياً له من جنون ألم به ولم يعرف له علاجاً, كانت ذكرياته تلك هي خط دفاعه الأخير أمام عاصفة عاتية تجتاحه وتطيح بعقله قبل قلبه.. فهو لا يجد تفسيراً منطقياً لذلك الغضب الأعمى الذي انتابه فقط لرؤيتها تتمايل راقصة بين يدي رجل آخر.. قوة إرادة رهيبة تلك ما جعلته ينطلق خارجاً من المطعم قبل أن يسحبها سحباً من بين ذراعي إياد..

هل تلك غيرة!.. هل أصبح يغار عليها؟!.. كيف؟.. ومتى؟.. ولما؟.. تباً.. أنها صبا.. الفتاة الحلوة الرقيقة.. كيف تؤثر به هكذا؟ حتى أن لورا بكل أنوثتها الطاغية وكل حبها

الذي تغرقه به لم تستطع نزعها من خلايا عقله.. من أفكاره وخيالاته.. وأحلامه...

إذاً فليحتمي خلف ذكرى منى فهو وإن صدم نفسه بزواجه من لورا إلا أنه كان يتذرع دائماً بحالته المتخبطة بعد موت منى.. وعندما بدأ يستفيق قليلاً وجد لورا حاملاً بالفعل وأصبح الفراق خيار غير وارد.. لكن ما عذره الآن ليترك قلبه ينجرف نحو عاطفة لا يدرك لها أفق.. فعشقه لمنى برغم قوته إلا أنه كان هادئاً ناعماً كمياه البحر الرائقة في يوم مشمس تشعرك بالراحة والسعادة ولكن تلك الصبا تجتاحه كإعصار مدمر يقتلعه من جذوره، كمياه المحيط.. ثائرة ولكنها تغويه للانغماس بها.. وبرغم عذاب تفكيره بها بقدر المتعة التي تمنحه إياها تلك الأفكار، إحساسه بقلبه ينبض من جديد.. بفكره يتوه مع حركة أناملها الرقيقة.. بخياله يجمح ليقربها منه.. تباً.. لقد افتقد الحب.. كلا.. كلا.. خطأ.. ما يحدث هو خطأ.. خيانة.. فالحب هو منى.. قلبه دفن مع منى.. كيف يسمح بدقة قلبه خادعة تغافله ليتوق للحب من جديد.. نعم..

أنه يتوق للحب وليس لوجود امرأة.. فالوجود
الأنثوي بحياته تغطيه لورا ببراعة.. ولكن..
ماذا يفعل وهي تجتاحه ولا تدري عن أمره
شيئاً, بل الأدهى أنها ساخرة ومندفعة.. قوية
وعنيدة.. لسانها لا يسكت عما تفكر به.. كما
أنها تبدو متحررة الفكر للغاية ومتورطة بعلاقة
مشبوهة مع ذلك الإياد.. هي كل ما يرفضه
في المرأة, فلم تمتلك تلك السطوة عليه.. لم
تتسارع نبضاته كلما مر طيفها بباله.. لم
أصبح يغمر نفسه بالعمل حتى لا يفكر بها وفي

نفس الوقت يبحث عن لحظات مسروقة يغمض
بها عينيه ليتخيل عينيها تبتسم له هو فقط..

تباً.. تباً.. يجب أن يتوقف عن التفكير بها..
عن تصورها و...

"تباً"..

صرخها تلك المرة بصوت عال وهو يلكم
المقود بعنف بالغ محاولاً إقناع نفسه بتحريك
السيارة والابتعاد عن المكان بكل ما يحويه من
جنون, وبالفعل أدار المحرك ليعود
ويوقفه على الفور ويخرج من السيارة

كالعاصفة مقتحماً المدخل الأمامي للمطعم ومتجهاً نحو عذابه المتمايل بين ذراعي آخر فيسحبها من مرفقها بسرعة ويوقف تحرك إياد بإشارة حاسمة من يده هاتفاً:

ـ خليك مكانك وما تدخلش أنت.. دي مسألة عائلية مالكش فيها..

توسعت عينا إياد على آخرهما بعدما وصله ذلك التحذير العنيف، ولكن سرعان ما ارتسمت ابتسامة ساخرة على ملامحه وهو يراقب الموقف بتسلية بالغة بينما حاولت صبا التملص من قبضة حسن الذي زاد من ضغط قبضته عليها هامساً من بين أسنانه:

ـ اتحركي معايا وبلاش فضايح..

تسمرت قدماها بالأرض رافضة التحرك وقد ظهر على وجهها إمارات التمرد وشعت نظراتها بالغضب وهي تهمس له بدورها:

ـ لو مش عايز فضايح بجد سيب إيدي.. وإلا أقسم بالله..

قطع كلماتها إياد وهو يقول بنبرة ظهرت فيها التسلية واضحة:

_ خلاص يا قطتي.. البشمهندس يوصلك.. أنا كمان افتكرت ميعاد مهم.. تشااااو..

كانت كلمة "قطتي" بتلك الطريقة ونبرة الدلال بها فوق احتمال حسن فلم يشعر بنفسه إلا وهو ينطلق كالسهم خارج المطعم وهو يسحب صبا خلفه هاتفاً بحنق:

_ مش عايز اسمع كلمة واحدة وإلا أقسم بالله لاكون مخرجك من هنا على كتفي..

لحظات وكانت صبا تجلس في المقعد الأمامي لسيارة حسن وهي تتنفس بسرعة شديدة وقد تملك الغضب من كل خلية بجسدها حتى أنها عجزت عن الصراخ بوجه حسن الذي أدار السيارة بغضب عاصف والكلمات تنطلق من بين شفتيه بعنف:

_ أنتِ ازاي بقيتِ كده!..

فوجئت بعنف كلماته واتهام ينطلق من بين شفتيه قبل أن تجيبه بكلمة:

ـ صبا البنوتة الرقيقة تربط نفسها بعلاقة مشبوهة مع واحد عمره ضعف عمرها!.. هاه.. ازاي فهميني..

برقت عينا صبا بدهشة بالغة وقد استوعبت ما يدور بذهنه من أفكار سوداء فحلت عقدة لسانها لتردد بذهول:

ـ علا.. علاااقة!!.. أنت اتجننت!!.. أنـ

قاطعها بعنف:

ـ تقدري تفهميني ايه اللي يربطك به؟.. رقص وخروج ودلع و..

صرخت به وقد وصل غضبها لمنتهاه من تدخله الغير مرغوب به:

ـ وأنت مالك!.. مين مات وعملك وصي على تصرفاتي..

غمغم من بين أسنانه مفسراً:

ـ والدتك لها جميل في رقابتي..

قاطعته وهي تكتف يديها على صدرها:

ـ وأنت اهوه رديت الجميل.. وأنقذت بنتها من أنياب الديب الشرير.. ميرسي يا بشمهندس..

ضرب المقود بعنف فانتفضت في مكانها مجفلة وهي ترمق قبضته بقلق لتسمعه يهمس باستفزاز:

ـ ما تخافيش..

هتفت بحنق:

ـ ما بخافش على فكرة.. أنا أعرف أحافظ على نفسي كويس..

تملكه الغضب مرة أخرى ليعاود اتهامه لها:

ـ واضح.. عشان كده بتورطي نفسك مع اللي اسمه إياد..

التفتت نحوه وهي تشير بسبابتها نحوه:

ـ ما يخصكش.. فاهمني.. علاقتي بإياد زي ما بتقول.. ما تخصش حد غيرنا..

هتف بها وقد خرج غضبه عن سيطرته:

ـ ليه؟!.. ليه تدمري حياتك؟..

لفت نفسها لتواجه النافذة تلك المرة وهي تخبره من بين أسنانها:

ـ هو تدمير الحياة بقى حكر عليك بس؟..

انتفض جسده في مكانه بقوة وكأنها رمته بالرصاص.. فجملتها أصابت أعمق مخاوفه وأسوأ كوابيسه.. عندما حرم منى الحياة الطبيعية بجوار والديها وابتعد بها بعيداً لتنتهي حياتها وحيدة.. غريبة..

لاحظت صبا صمته فلفت رأسها لتفاجئ بإنقباض ملامحه وشحوب وجهه.. أصابتها الحيرة بشدة.. فهو يظهر الآن تأثراً لما الحقد بنيرة منذ سنوات..

حاولت فتح شفتيها لتعدل من كلماتها حتى لا يظن أن نيرة مازالت تدور في فلكه.. ليصلها صوته وهو يحاول اصباغ بعض الهدوء عليه:

ـ بصي يا صبا.. بلاش تحاولي تكوني أي حد غير نفسك.. ما تخليش تجربة سيئة أو حتى شخص مر في حياتك يأثر فيها لدرجة أنك تاخدي قرارات مصيرية تندمي عليها بعدين...

تأملته صبا بذهول لتخرج همستها قبل أن تستطيع إيقافها:

- أنت بتقول لنفسك ولا بتقولي الكلام ده..

شرد يتأمل الطريق أمامه ليهمس بكلمات لم تسمعها:

- يمكن بقولوه لنا احنا الاتنين..

ابتلعت كلماتها وسكتت وهي تلف برأسها للنافذة الجانبية متسائلة:

- ايه ده!.. احنا رايحين فين؟..

قبل أن يجيبها تعالى رنين هاتفه، فالتقطه ليجيبه بسرعة:

- أيوه يا يزيد.. نص ساعة وهكون عندك.. آسف على التأخير..

ثم رمق صبا بنظرة خاصة:

- مشكلة صغيرة عطلتني.. لا.. لا.. هآجي.. دقايق وأكون عندك..

أغلق الخط والتفت إلى صبا معتذراً بحرج يتناقض تماماً مع ثورة غضبه السابقة:

ـ أنا آسف.. بس لازم أروح أجيب يزيد من المطار.. والوقت يا دوب.. صعب أني أوصلك الأول.. تحبي أوقف لك تاكسي أو..

لم تسمع صبا باقي جملته المعتذرة وهي ترمقه بدهشة بالغة عاجزة عن استيعاب تحوله من الغضب المستعر إلى حالة منالحزن والشجن لتنقلب إلى نوع ما من الوداعة والحرج وصلت به حد الاعتذار منها!..

من يكون هذا الرجل؟!.. أهو الغاضب الأحمق أم الحزين الغامض؟.. أم المهذب الرقيق؟!..

والأغرب ردة فعلها نحوه.. لم تهاجمه باستمرار؟.. لم لم تخبره بمن يكون إياد حقاً بدلاً من الاستماع إلى اتهاماته الحمقاء؟.. لم تشعر بتلك البهجة الخفية والتي تحاول الهروب منها جاهدة..

يا الهي.. لقد ظنت أن ذلك الافتتان القديم قد مات.. لا تنكر أنه كان نجم مراهقتها.. حتى

أنها قفزت فرحاً عندما حل ارتباطه بنيرة.. فلم تكن تحتمل أن يكون معشوق مراهقتها هو زوج شقيقتها.. ولكن.. لكن ذلك كان عهداً قديماً وانقضى.. عهداً كفرت عنه مطولاً بتغاضيها عن معاملة نيرة البشعة، حتى بدأت تلك الأخيرة في التقرب منها وبدء علاقة صداقة خفيفة معها.. فلم يحدث هذا الآن؟.. لم يرمقها بتلك النظرات الحائرة وكأنه يتساءل من أنتِ؟..

لم وهما تصادفا مراراً في السنوات الماضية. لم تشعر أنه رآها بالفعل تلك الليلة في معرض فريدة؟!..

سمعت نبرته المترددة:

- صبا!!..

التفتت له لتغرق نظراتها في نظراته.. للحظات أو ثوانٍ لم تدركها رأت حيرتها تنعكس في نظراته.. وكأن سؤالاً بلا إجابة يحلق فوقهما..

"وماذا بعد؟!"..

كانت هي أول من ابعدت عينيها وهي تجيب على سؤاله المسموع وليس ذلك المبطن:

_ هاجي معاك المطار.. يزيد معاه عليا والولاد.. وأكيد هيحتاجوا مساعدة لحد ما يستقروا..

لم يعقب على جملتها وتوجه مباشرة للمطار حيث كان ينتظر يزيد مبدياً تأففه من تأخر صديقه بينما علياء_التي كانت تحمل رامي بين ذراعيها رافضة وضعه في عربة أطفال كأخويه_ تحاول تهدئته:

_ خلاص يا يزيد.. قالك أنه جاي في السكة.. اهدى شوية..

رمق يزيد رامي المتشبث بذراعيها ونظراته تلاحق حركة شفتيها وملامحها بافتتان وهمس لها:

_ الواد باينه وقع في حبك!

التفتت له بغيظ:

ـ أنت.. أنت..

لم تستطع أن تكمل كلماتها وهي تراه يقترب منها غامزاً بعبث:

ـ معذور!..

جاء من خلفه صوت حسن يداعبه:

ـ يعني أنت سايب مصر كلها وجاي تغازل في باريس!

التفت سريعاً ليلتقي بعيني حسن الحزينتين رغم كل شيء.. ففتح له ذراعيه على الفور ليغيبا

الصديقان في عناق طويل بينما علياء احتضنت صبا بمودة وسعادة هاتفة:

ـ معقولة المفاجأة الحلوة دي..

هزت صبا كتفيها بحرج وهي تحاول تبرير وجودها حين سارع حسن بالتوضيح:

ـ أنا قابلت صبا بالصدفة في مطعم غسان.. وطلبت منها تيجي معايا عشان تساعد عليا مع الولاد.. و.. ووافقت..

رمقتها علياء بامتنان:

ـ بصراحة.. وجودك جه في وقته.. الأولاد جنوني..

والتفتت حولها لتلمح علي ونادية يتسلقا عربة الحقائب ومعهما أدهم يحاول تقليدهما بتصميم عنيد..

ابتسمت صبا وهي تشير لهم بحماس فينطلق علي كالسهم ويحط بين ذراعي صبا فترفعه عالياً وهو يصيح:

ـ بيبو.. وحشتيني.. هترجعي الحضانة امتى؟!..

بينما رفعت نادية عينيها لصبا وهي تدور حول نفسها بأنوثة:

ـ شوفتي فستاني الجديد يا بيبو..

كانت عيني حسن تراقب صبا وكأن نظراته التصقت بملامحها بينما هي حاولت الاندماج مع أطفال يزيد هرباً من تلك النظرات التي لم تفهمها وما لم تعلمه أنه عاجز عن فهم نفسه.. عاجز عن منعها من استراق تلك النظرات منها.. أخيراً نجح في الانتباه ليزيد ومنحه بعضاً من تركيزه لينخرطا في حوار

طويل وهما ينقلان الحقائب ويساعدا الجميع على الاستقرار بالسيارة.. فجلست علياء بالخلف ومعها صبا والأولاد جميعهم ما عدا نادية التي تمركزت على ركبتي أبيها الجالس بجوار حسن وهما مازالا يتهامسا سوياً.. حتى سمعا صوت علياء الضاحك:

ـ يا سلام.. اللي يشوف كده يقول بقى لكوا سنين ما شوفتوش بعض.. ويزيد كان هنا من كام شهر بس..

قهقه الصديقان ويزيد يهتف بإغاظة:

ـ كل ده عشان أنا شوفت منى الصغيرة وهي لأ..

ضحك حسن بسعادة وهو يخرج عدة صور لطفلته ويعرضها على علياء بفخر أبوي واضح فهتفت بانبهار:

ـ ما شاء الله.. زي القمر.. ربنا يخليها..

تناولت صبا الصور وهي تتأمل فتنة منى الصغيرة وتهمس:

ـ جميلة فعلاً.. ازاي فريدة ما رسمتهاش!..

ابتسم حسن بفخر وهو يخبرها:

- هي طلبت كتير ترسمها.. بس أنا قلت نستنى أما تكبر شوية..

ناولته الصور فتلامست أطراف أناملهما ليسحباها على الفور فتتناثر الصور على ركبتي علياء، فجمعتها بسرعة لتناولها لحسن وهي تمنح صبا نظرة متمعنة ومتسائلة هربت منها بتعمد وهي تجاري ثرثرة علي التي لا تنتهي وهو يقص عليها كل ما مر به في رحلته الأولى بالطائرة.. بينما عادا حسن ويزيد لحوارهما الهامس الذي لم يمنع حسن من الاستمرار في مراقبة صبا والاستماع إلى همسها مع أدهم وعلي ذلك الشقي الذي لم يكتفِ بالجلوس على ركبتيها فقط ولكنه أيضاً لم يكف عن تقبيل وجنتيها وهو يخبرها كم يفتقد وجودها في مدرسته..

مما دفع حنق حسن لآخره وهو يضبط نفسه يغار من طفل!.. طفل عابث في السادسة أو أكثر ولكنه محظوظ لعين يملك الحق بملامستها والاقتراب منها بل وتقبيلها أيضاً..

ـ علي واخذ على صبا قوي!..

تباً.. لقد انطلقت أفكاره على لسانه.. منذ متى يحدث هذا معه؟.. منذ متى يفقد السيطرة هكذا!..

بدا يزيد غير منتبه لمعاناته وهو يجيبه ببساطة:

ـ صبا بتتدرب في المدرسة عند علي.. غير كده هي ونيرة مع علياء معظم الوقت..

صمت حسن وهو يستمع ليزيد ليتأكد للمرة الثانية من تعمق العلاقة بين صبا ونيرة... فهل صبغتها نيرة بخبثها وانعدام ضميرها إذاً ذلك تفسير إقامتها علاقة مع ذلك المدعو إياد؟!.. أم هي من بذرت براعم التغيير في أعماق نيرة كما زعم مازن قبل سفره..

تنهد بعمق وأفكاره تسحبه من دوامة لأخرى.. حتى توقف بالسيارة أمام المنزل الذي استأجره ليزيد أثناء اقامته بفرنسا.. ورتب

معه أمر الذهاب إلى الطبيب المختص وكافة الأمور الأخرى.. ثم عرض على صبا أن يقلها للمدينة فرفضت بحسم مفضلة المكوث مع علياء لوقتٍ أطول وبعد جدال طويل كاد يطحن به أسنانه حنقاً من تصرفاتها وهي تخبره بإغاظة:

ـ أنا هستنى مع عليا والولاد.. وهكلم إيدي يوصلني بالليل!..

هتف حسن متسائلاً:

ـ إيدي!

هزت كتفيها بمكر:

ـ أيوه.. إياد..

لحظتها صرخ حسن بها وسط دهشة علياء التي حضرت النقاش:

ـ إيدي.. إياد.. براحتك.. ابقي خليه ينفعك..

وانطلق تصحبه أعاصير غضبه بينما صبا تهز كتفيها بلامبالاة مصطنعة وهي تهمس بغضب مكتوم:

ـ أكيد هينفعني..

رمقتها علياء بنظرة متسائلة:

ـ صبا؟!!..

غلغلت يدها في خصلاتها وهي تخبر علياء:

ـ ما تاخديش في بالك.. يلا نروح للولاد..

بعد فترة اتجه يزيد ليطمئن على الأولاد ليجد علياء تدثر رامي وتقبل جبهته بحنان فالتفت ذراعه حول خصرها وهو يسألها هامساً:

ـ صبا روحت؟

أومأت برأسها موافقة:

ـ طلبت تاكسي.. قالت أنها متعودة على كده..

اتجهت نحو مهد حمزه لتدثره هو الآخر بينما يزيد يزداد التصاقاً بها:

ـ الأولاد كلهم ناموا؟..

أومأت مرة أخرى وهمست وهي تشعر بشفتيه تعبثا بعنقها:

ـ يزيد.. الله يخليك.. بلاش جنانك ده.. مش في أوضة الولا....

ضاعت كلماتها في شهقة ناعمة وهو يرفعها بين ذراعيه ويتحرك بها نحو غرفتهما ليغلق الباب خلفهما ويتجه نحو مقعد عريض فيجلس ويضعها على ركبتيه كعادته مقرباً اياها من جسده ويرفع يده لتمر أنامله برقة على جانب وجهها ويمسك بوجهها ليواجه عينيها وإبهامه يتحرك برقة على شفتيها ليشعر بابتسامتها الرقيقة وهي تسأله:

ـ ايه حكايتك بالظبط؟..

كانت إجابته أن جذب رأسها نحوه ليأخذ شفتيها في قبلة مجنونة تركتهما يلهثان معاً وسمعته يهمس أمام شفتيها:

ـ احنا في باريس بقى لنا ساعات ودي أول بوسة!..

ابتسمت وهي تلمه بذراعيها وترمي برأسها على كتفه:

ـ أنا مش مصدقة أني طاوعتك في الجنان ده!

شبك أصابعه بأصابعها وهو يهمس:

ـ ايه الجنان في أني عايز اعمل شهر عسل مع مراتي..

ضحكت بعذوبة:

ـ شهر عسل مع مراتك ونص دستة أطفال..

قهقه بقوة:

ـ اعمل ايه بقى هي دي ضريبة تأخير شهر العسل!

اقترب برأسه منها يتشمم شعرها بهوس لتعاجله هي:

ـ عارف لو اعتذرت أنا هاخد أول طيارة على مصر.. أنت بقى لك فترة كل ما تشوفني تعتذر..

ابتسم لها وهو يقرب شفتيه من عنقها هامساً:

ـ طيب ينفع أقول شكراً..

ـ لو هتتكلم على رامي..

قاطعها:

ـ شكراً لأنك في حياتي.. لأنك اتحملتيني كتير.. لأنك حبيبتي.. ومراتي.. مراتي الوحيدة..

أبعدت رأسها عن كتفه ورفعت نظراتها إليه ببطء، وبعينيها يلمع سؤال خشيت أن تسأله.. ليجيبها هو بقبلة دافئة وهو يزيد من ضمها لصدره هامساً بتنهيدة:

ـ قرار اتأخر.. اتأخر كتيييير.. وأنتِ حبيبتي اتحملتيني كتير.. وصبرت عليّ كتير..

همست له بتساؤل:

ـ علشان رامي؟.. تصرفاتها و..

تنهد بقوة وعدل من جلستهما ليخبرها بوضوح:

ـ أكيد ده سبب مهم.. لكنه مش السبب الوحيد.. كان ممكن أسيبها على ذمتي.. بدون أي التزام مني ناحيتها.. على فكرة ده كان طلبها..

سكت قليلاً يراقب رد فعل علياء على كلماته.. ولكنها لم تجبه بكلمة فقط أخفضت بصرها وتنهدت بقلق, فاقترب يزيد برأسه منها ورفع ذقنها ليواجه عينيها:

ـ ما ينفعش.. قلت لها ما ينفعش..

رمشت علياء بعينيها تنفض عبرات لم تعرف لها سبباً بينما هو يكمل:

ـ ما هو ما ينفعش أسمح لها تكون في حياتي أكتر من كده.. ما ينفعش أساويها بيكي حتى ولو بالاسم.. ما ينفعش بعد ما عرفت يعني ايه كلمة حبيبتي..

قبلة دافئة همس بعدها:

ـ حبيبتي أنتِ..

همسته فكت أسر عبراتها ولكنها أخيراً كانت تبكي راحة.. وسعادة...

****

حول مائدة كبيرة في ركن قصي لمطعم حسن.. حيث دعا الجميع على الغذاء.. بداية من

غسان الذي كان يسترق نظرات خاطفة نحو فريدة وهي تبتسم لرامي الجالس على ركبتيها وبجوارها صبا وعلياء يحملان التوأمين.. بينما حسن يحتضن ابنته وبجواره لورا التي أخذت تثرثر بعربيتها المحدودة مع علياء.. وعينيها تراقب نظرات زوجها التي تحوم حول صبا بإصرار بينما الأخيرة تهرب بنظراتها لتطوف في كل مكان عدا ذاك الجالس به حسن..

كانت تتساءل بحيرة عن طبيعة العلاقة بينهما.. أنها تثق بحسن.. تدرك كم هو صادق ونزيه.. كما أنها تعلم علم اليقين أنه عاجز عن الإحساس بالحب.. لقد أخبرها أكثر من مرة وبكلمات واضحة.. أن قلبه مات ودفن مع منى.. وما يحمله نحوها هي من ود واحترام هو أقصى ما يستطيعه من مشاعر.. بقدر ما آلمتها كلماته بقدر ما احترمته لصراحته وصدقه معها..

إذاً لم ذلك الهاجس الغامض الذي يهمس لها بشيطنة.. أن قلب حسن عاد للحياة.. وأنه يدق مرة أخرى وبعنف أيضاً؟!..

دار أغلب الحوار على المائدة حول المطعم وتصميم حسن له.. حتى أنه جهز جزء خاص للأطفال بحديقة المطعم الواسعة.. وقتها غمغم حسن بفخر:

ـ وقت ما كنت بجهز المطعم اتولدت مني.. ولقيت عقلي لوحده بيفكر في التصميم بحيث أنه يناسب الأسر.. وبالذات لو في أطفال صغيرين..

والتفت إلى غسان قائلاً:

ـ يمكن عشان كده مش قادر jukebox. اقتنع بفكرة الـ

التفتت له صبا التي كانت تستمع للحوار في صمت لتهتف بحماس:

ـ وايه المشكلة... بيتهيألي وجود حلقة رقص بسيطة هتكون إضافة حلوة.. الأهل يتمتعوا

برقصة ناعمة هنا والأولاد يلعبوا برضوه في الجزء الخاص بيهم..

ابتسمت فريدة تعقيباً على كلمات ابنتها:

ـ صبا بتموت في الرقص.. بكل أنواعه..

توردت وجنتا صبا بينما تكمل علياء بتعليق متعمد وهي ترمق يزيد بنظرة ذات مغزى:

ـ صبا بترقص تانجو حلو يا حسن.. حلو قوي.. هتستنى برضوه لم يكون في مازن عشان يرقص معاها!

وقبل أن يجيب حسن بكلمة فُتِح باب المطعم ليدخل علي منطلقاً كالقذيفة ويهبط فوق ركبتي والده هامساً:

ـ يزيد.. عايز أقعد على رجل صبا..

أسكته يزيد بحزم:

ـ أنت سيبت أختك لوحدها؟

هز علي رأسه نفياً وهو يخبره ببراءة:

ـ لا.. هي معاها أدهم.. بيلعبوا سوا..

أجابه يزيد:

ـ وينفع برضوه أنك تسيب أخواتك الصغيرين لوحدهم؟

التفت علي لوالده وهو يفكر في حل لمعضلته الصغيرة.. ثم انفرجت ملامحه وهو يهمس لوالده:

ـ عايز صبا تيجي معايا عندهم..

لم يتمالك يزيد نفسه من الابتسام وهو يرى تصميم ابنه على طلبه.. بينما همس له حسن بغيظ:

ـ بس صبا بتتغدى يا علي..

التفت علي إليه يراقبه للحظات وكأنه يدرسه عن قرب ولكن سرعان ما لفت انتباهه وجود منى الصغيرة على ركبتيه فهتف:

ـ بص يا يزيد.. نونو ملونة زي رامي.. بس دي شعرها طويل..

ضحك الجميع عندما وصلتهم جملة علي فهو رفع صوته تلك المرة.. وأجابه يزيد ببساطة:

ـ دي بنوتة يا علي.. اسمها منى.. ايه رأيك فيها حلوة؟..

ضحك علي ببراءة:

ـ حلوة يا يزيد.. عينيها لون الشجر اللي في المزرعة..

أحاط حسن ابنته بكلتا ذراعيه وزمجر في يزيد:

ـ ايه يا بني.. ابنك بيغازل وهو لسه في ابتدائي.. ابعد أنت وهو عن بنتي.. آه.. أنا بقولك اهوه.. ولقد أعذر من أنذر..

قفز علي من فوق ركبتي أبيه ليهتف بحسن:

ـ هي حلوة صح.. بس عِشق أحلى منها.. ما تزعقش ليزيد..

ثم أخرج له لسانه بغيظ طفولي وسط ضحكات الجميع وتوجه نحو صبا ليجذبها قائلاً:

ـ تعالي معايا عند الملعب يا بيبو..

رفعت صبا حمزه من فوق ركبتيها لتناوله ليزيد وخرجت برفقة علي وهي تكاد تركض هرباً من نظرات حسن وعلياء..

"آه.. يا علياء يا ترى تقصدي ايه بكلامك العجيب ده"..

كان يزيد يردد نفس سؤال صبا وهو يتمشى مع علياء في حديقة المطعم.. حيث عرضت فريدة مجالسة التوأم ورامي أيضاً الذي راح في سبات عميق..

وتوجه حسن مع لورا إلى مكتبه ليناقش غسان في بعض التفاصيل..

أعاد يزيد سؤاله بقلق:

_ تقصدي ايه يا علياء؟.. أنتِ لسه بتفكري في موضوع ريناد؟..

هزت رأسها نفياً:

_ أقصد حسن.. حسن وصبا يا يزيد..

توقف هاتفاً بدهشة:

_ ايه!.. حسن وصبا!

اقتربت منه لتضع كفها على شفتيه هامسة:

ـ هششششش.. وطي صوتك..

أمسك بكفها ليقبل باطنه باستمتاع ويحيط خصرها بذراعه مقبلاً وجنتها وقبل أن يسترسل في عواطفه المجنونة كعادته أوقفته هاتفة بحنق:

ـ أنت شكلك ناوي تعمل فضيحة.. احنا في عـ النهار وفي مطعم صاحبك..

همس بإذنها عابثاً:

ـ احنا في شهر العسل..

هزت رأسها يائسة:

ـ ما فيش فايدة فيك.. عمرك ما هتعقل..

ألصقها به وهو يتصنع الجدية:

ـ طيب نتكلم بالعقل.. ايه موضوع صبا وحسن؟.. وازاي؟.. أنتِ ناسية أنه متجوز؟..

هزت رأسها بحيرة:

ـ مش عارفة.. بس أنت مش حاسس بالتوتر اللي بينهم.. زي ما يكون في حاجة.. كيميا.. شرارة مشاعر..

اقترب ليداعب أذنها بشفتيه:

ـ متأكدة أنها بينهم.. بيتهيألي أنا الكهربا عندي 4000

حاولت تبتعد عنه وهي تهمس حانقة:

ـ يا ربي..

وبينما كانت علياء تتدلل على يزيد كانت عيني لورا تراقبهما من نافذة مكتب حسن الذي أنهى أعماله مع غسان.. لتلتفت لحسن متسائلة:

ـ شوف.. شوف حسن.. ألياء "علياء" ويازيد "يزيد".. هو مش مكسوف يقرب منها..

رمقها حسن بتساؤل فانتقلت إلى اللغة الإنجليزية لتعبر بطلاقة:

ـ أنه لا يخشى إظهار حبه أمام الناس.. كنت أظن أنكم لا تفضلون ذلك!..

رمقها بتساؤل:

ـ نحن؟!..

أجابت بارتباك:

ـ أقصد الشرقيين..

رفع حسن حاجبيه ليتساءل ثانية:

ـ لم أعتقد للحظة أنكِ من أولئك الذين يصنفون البشر!.. يبدو أنني كنت مخطئاً..

هزت رأسها بارتباك:

ـ كلا.. كلا... أنا لم أقصد..

قاطع كلماتها بحسم:

ـ اعتقادك صحيح.. نحن لا نفضل إظهار عواطفنا في العلن.. إلا في حالات العشق الاستثنائية..

رمشت بعيونها للحظة قبل أن تصدمه بسؤالها:

ـ هل قبلت منى يوماً علانية.. أمام باقي الناس؟

رفع نظراته إليها للحظات مرت بها أكثر مشاهده جنوناً مع منى.. ولكنه لم يفقد يوماً السيطرة ليقبل منى علانية كما يفعل يزيد الآن وهو يضم علياء ويقبلها بلا خجل.. أو ربما هو فقط لم يظن بوجود عيون مراقبة أو بالأحرى متلصصة.. عند تلك النقطة جذب لورا من يدها:

ـ يزيد مجنون.. لا تأخذي تصرفاته كمقياس لباقي الرجال..

تنهدت لورا بحنين هامسة:

ـ أنه ليس مجنوناً, بل عاشق بجنون..

والتفتت لتلقي نظرة أخيرة عليهما قبل أن تغلق النافذة كما أمرها حسن لتفاجئ بيزيد العاشق وهو يصرخ بوجه إياد بغضب شديد وبلحظة منحه لكمة خاطفة ولكن من القوة لتتسبب بترنح جسد إياد.. قبل أن يلحقه يزيد بلكمة أخرى غاضبة.. حينها صرخت لورا وهي تشير للنافذة:

ـ حسن.. انظر..

راقب حسن المشهد الغاضب الذي يدور في حديقة مطعمه.. وبداخله إحساس غامض بالسعادة لرؤية يزيد يكيل اللكمات لذلك الإياد.. ولكن موقعه كمسئول أجبره على التحرك سريعاً لفض النزاع حتى لا يثير قلق رواد المطعم..

أبعد يزيد عن إياد الذي كان تكوم أرضاً ولمح بطرف عينيه فريدة وصبا تنحنيان نحوه بلهفة وهما تطمئنان على جروحه.. كاد حسن أن يلتفت نحوه ليكمل ما بدأه صديقه فالوغد يغو الفتاة وأمها بنفس الوقت فكلتيهما تنتفضان قلقاً عليه.. ولم يدرِ كيف سيطر على غضبه وصوت صبا يرتفع بغضب:

ـ يزيد.. أنت اتجننت.. ازاي تضربه كده؟.. ليه تمد ايدك عليه؟..

كان يزيد في أوج غضبه وبدا حسن يعاني وهو يحاول السيطرة عليه بينما يزيد يرمق إياد بعنف وهو يصرخ بكلمات غير مترابطة:

ـ أنا اللي مجنون.. وده.. البني آدم ده تسميه ايه.. ده.. كان.. ده عايز.. علياء..

تملص من بين يدي حسن ليلتفت خلفه ويحتضن جسد علياء المرتعش:

_ هششش.. حبيبتي.. آسف.. ما تقلقيش.. ده تقريباً مجنون..

اقترب حسن من يزيد مجبراً فهو إن ترك العنان لغضبه لانتزع الحياة من ذلك الإياد الذي يبدو فعلاً كالمعتوه وهو يرمق علياء بشرود غريب.. بل أن حسن يكاد أن يقسم أنه سمعه يهمس:

_ مش همسة فعلاً.. هي مش همسة.. الصورة هي اللي تشبه همسة..

همس حسن ليزيد:

_ في ايه بالظبط؟.. فهمني..

ظل يزيد محتفظاً بعلياء بين يديه وهو يقص على حسن باختصار كيف اقترب منهما إياد وعرف عن نفسه بهدوء واحترام:

_ إياد منصور.. مدير أعمال فريدة وأخوها..

ثم اقترب من علياء.. اقتراب يتخطى كل الحدود الحمراء.. ليهمس بافتتان:

ـ فيكي شبه كبير منها.. لكن الصورة أقرب لها..

ابتعدت علياء عنه ليزمجر يزيد بغضب:

ـ افندم!..

ليعاود إياد الهمس بشجن:

ـ علياء سعيدة..

ويمد أطراف أنامله يكاد يلمس ملامح علياء ويردد:

ـ ملامح علياء سعيدة..

عندها فقد يزيد كل تعقله ليهجم على إياد موسعاً إياه ضرباً..

أنهى يزيد كلماته وهو يهتف بحسن:

ـ يعني عايزني أعمل ايه يا حسن؟.. المجنون كان عايز يلمسها!

لم يجب حسن بكلمة واحدة على يزيد فكل ما كان يتردد بذهنه تلك اللحظة جملة واحدة.."أخو فريدة".. إذاً هو خالها.. هو خالها وهي تركته يظن بها الظنون.. راقبت غضبه ولوعته وغيرته.. نعم يعلم أنها تدرك غيرته.. تلك اللحظات بالسيارة كانت كإعتراف متبادل.. اعتراف بعدم الاعتراف.. اعتراف بهروب واجب.. وابتعاد هوى.. ولكنه لا يسامحها لتركه يتكوى بنار إياد.. لن يسامحها أبداً.. ولن يفوتها لها..

التفت فجأة ليلتقي بعينيها ويأسرهما بغضب نظراته.. وكأنه يصيح بها..

"نعم.. عرفت الحقيقة".. و"نعم أخرى لن أفوتها"..

_ حســـــــن!!..

جاءت صيحة يزيد الغاضبة بعدما شعر بشرود صديقه.. فالتفت إليه حسن وهو يسلخ نظراته من بين نظراتها ويحاول السيطرة على انفعالاته:

ـ اهدى يا يزيد.. أعتقد الأستاذ إياد ممكن يفسر لنا الموضوع..

كانت فريدة هي من تكلمت:

ـ آسفة يا حسن.. وكمان مرة آسفة يا يزيد.. بس عليا فيها شبه بسيط من واحدة..

تردد قليلاً قبل أن تكمل:

ـ واحدة معرفة قديمة لنا.. وفي صورة عندي في الاستوديو.. صورة قديمة من سنين رسمتها لعليا.. كانت وقتها تشبه همسة قوي..

غمغمت علياء بحيرة:

ـ صورة!.. همسة؟..

أومأت فريدة:

ـ أيوه.. صورة أيام فرح نيرة ومازن.. ما أسعدنيش الحظ أنها تكمل.. بس فعلاً ملامحك دلوقتِ مختلفة.. زي ما إياد قال.. سعيدة.. بس..

أكمل إياد عنها وهو يعتدل واقفاً:

ـ بس همسة لسه.. همسة لسه تعبسة...
وأنا..

أكملت علياء وقد أدركت الموقف:

ـ بتحبها...

رفع عينيه إليها فتحرك يزيد تلقائياً ليحجبها عن عينيه.. فأخفض إياد بصره معتذراً:

ـ أنا آسف.. أنا آسف يا جماعة.. مش عارف ايه اللي حصل بالظبط.. أنا أول مرة أفقد السيطرة على تصرفاتي كده..

وتوجه إلى يزيد مصافحاً:

ـ أرجوك.. اقبل اعتذاري..

تردد يزيد لثوانٍ أمام يده الممدودة ليشعر بوكزة خفيفة من علياء دفعته لمد يده ليصافح إياد هامساً:

ـ حصل خير..

والتفت إلى علياء هاتفاً بحزم:

ـ يلا يا علياء.. كفاية كده النهارده.. نروح بقى..

أوقفه إياد بإشارة بسيطة:

ـ مالوش داعي تبعدوا.. أنا كنت جاي لفريدة في شغل بسيط كده.. دقيقتين وهمشي.. أرجوك.. ما تمشيش..

أومأ يزيد موافقاً واصطحب علياء بعيداً ليذهب إلى أولادهما.. بينما رافقت فريدة إياد إلى غرفة المكتب الخاصة بحسن وذهبت لورا معهما لتطمئن على ابنتها.. وحين حاولت صبا التحرك لمرافقتهم وجدت مرفقها سجين قبضة حسن وهو يهمس من بين أسنانه:

ـ استني.. لنا حساب مع بعض..

حاولت التحرك لتلحق بأمها وبداخلها هاجس يصرخ بها أن تبتعد.. أن انفرادها به في تلك اللحظة هو جنون.. جنون مازال يخيم على الأجواء.. وهلوسة إياد تتردد في عقليهما..

جذبها من ذراعها بقوة حتى وصلا إلى منطقة كثيفة الأشجار.. فالتفت نحوها ليقبض على ذراعها الآخر ويثبتها على جذع إحدى الأشجار مشرفاً بطوله الفارع عليها وصدره يتحرك بسرعة مخيفة مع لهاثه العنيف..

تبادلا النظرات لفترة من الزمن, نظراتها شجاعة رغم مسحة الخوف بأعماق عينيها ولكنها كانت تواجهه بتحدي عنيف.. بينما كانت نظراته تضج بغضب أعمى.. تساؤل مجنون "لم؟".. تساؤل عبر عنه وهو يرفعها على جذع الشجرة بقوة وينفض قبضتيه منها متسائلاً بهمس حارق:

- ليه؟..

رمقته صبا بغضب حارق:

- قلت لك قبل كده.. ما يخصكش..

مرر أنامله بين خصلاته بعشوائية وكأنه محموم:

- ما يخصنيش.. ما يخصنيش..

ثم صمت لوهلة وهو يدرك مرارة الكلمة بجوفه.. بالفعل.. هي لا تخصه.. لا شأن له بأي من أمورها.. حتى لو كان إياد رجلاً حقيقياً بحياتها لم يكن ليستطيع فعل شيء.. ولكن.. لكن هل يريد التدخل؟.. هل يريد جعلها إحدى شئونه؟.. تحت أي مسمى إذاً؟.. صديقة؟.. أم..

لحظتها قطعت صرختها أفكاره وكأنها خمنت
أين جمح به خياله:

ـ ابعد.. ابعد عايزة امشي..

التفت لها فجأة ليسألها بلا إرادة منه:

ـ عايزة تروحي تطمني عليه؟..

هتفت به بيأس:

ـ ده خالو!..

هز رأسه بغضب:

ـ ويا ترى على ضهره لوحة مكتوب عليها خالو؟!..

دفعته في صدره بقوة لتمر ولكنه لم يتزحزح لتهتف به:

ـ أنت اللي أفكارك قذرة؟..

قبض على كتفيها براحتيه ليعود ويلصقها بجذع الشجرة متسائلاً:

ـ وليه سيبتيني أظن كده؟..

هتفت من بين أسنانها:

_ ما تهمنيش أفكارك!

اقترب بوجهه من وجهها حتى تلاقت العيون وهو يسألها مجدداً:

_ ليه يا صبا؟..

حاولت منحه نفس الاجابة ولكن تعثرت حروفها تحت أنظاره المستعرة:

_ عشان.. عشـ...

ارتكز بجبهته فوق جبهته ليهمس ثانية:

_ ليه يا صبا؟..

حاولت التملص منه لتسمعه يردد بحيرة وكأنه يخاطب الكون الواسع:

_ ليه يا صبا... ليه أنتِ.. ليه دلوقتِ؟.. ليه يا صبا؟

لم تفهم عما يتساءل بالتحديد ولم تعرف كيف تجيبه فقط كانت غريزتها تخبرها بأن تهرب.. فحاولت التملص منه بقوة لتسمعه يهمس بشراسة:

_ اثبتي.. ما تتحركيش..

حرقتها أنفاسه الساخنة، بل الحارقة.. وهي
لم تعرف من أين تأتي النيران من قربه الحميم
أم من أعماقها هي..

لمحته يقترب أكثر..

يا الهي.. لقد جُن بالتأكيد كما جنت دقات
قلبها وهي تتسابق وكأن قلبها يعلن بكل
بساطة رغبته في القفز من بين ضلوعها
ليستقر طائعاً خاضعاً بين يديه.. كان قريباً
منها بخطورة.. بجنون دفعها لمحاولة الإفلات

ثانية ليعاود همسه الحارق وإن شابت نبرته
بعض الوهن:

ـ ما تتحركيش يا صبا.. أرجوكِ..

عادت لمحاولة الهرب وتلك المرة مستخدمة
الكلمات لتهتف بتوسل واضح:

ـ حسن.. حسن..

قطع كلماتها تلاقي العيون.. نظراته حائرة..
خائفة.. قلقة بشرود.. قرأت التيه والضياع
بعيونه بسهولة وهو يهمس:

ـ حسن يبدو على بر الأمان.. حسن محتاج بر الأمان...

هو يريدها.. كلا.. الأمر أكبر وأعمق..

ما يشعر به ليست رغبة حمقاء عابثة بامرأة.. ذلك الطوفان الهادر بداخله لا يمكن تفسيره برغبة جسدية.. هو يحتاجها.. يحتاج جنونها.. جموحها.. يريد قلبها وحبها.. يرغب ببراءتها وعبثها.. يكاد يتسول حنانها وعطفها الأمومي الفطري.. يتوق لروحها...

يريد ويحتاج ويرغب..

ويشعر.. نعم هو يشعر من جديد..

****

انطلق مازن بسيارته يحاول جاهداً الهروب من الاختناق المروري حتى يقضي بعض الوقت مع عشق قبل أن يعود إلى منزله مع نيرة..

زفر بضيق لا يريد الخوض في ذكريات مشاجراتهما المستمرة منذ عودته من باريس.. والمناقشات بينهما لا تنتهي وغالباً ما تختمها بنوبة بكاء هيستيرية كما حدث صباح اليوم..

قطع شريط أفكاره رنين الهاتف المستمر..

رمق الشاشة بحيرة عندما لمح رقم لم يتعرف على صاحبه.. ففتح الخط ليصل لمسامعه صوت السيدة أنيسة مديرة منزله وهي تبكي بهيستيريا:

ـ مازن بيه.. ألحقني.. يا بيه.. الست نيرة..

وانهارت السيدة في نوبة هيستيرية حادة دفعته للصراخ بها:

ـ في ايه يا ست أنيسة؟.. نيرة جرى لها ايه؟..

جاءه صوت أنيسة الباكي:

ـ الست نيرة موتت نفسها...

الفصل الرابع والثلاثون

نقترب.. نخاف.. نبتعد.. نهرب.. نختبيء

وفي النهاية..

لا مهرب من دقات أعلنت العصيان

تمردت على الخافق وحطمت الضلوع

ثم منحت الحياة صك غفران لا محدود

فألقت نفسها بأريحية بين يدي القدر

خاطرة الفصل

بقلم/ صابرين الديب

استند يزيد بظهره على باب الغرفة المغلق وقد كتف ذراعيه ليراقب صورة علياء المنعكسة في المرآة.. تبدو فاتنة تلك الليلة.. وقد ابتعدت قليلاً عن طبيعتها الخجول لترتدي غلالة جريئة بلون السماء الصافية.. ووضعت بعض الزينة الخفيفة على وجهها.. وأطلقت خصلاتها التي تعدى طولها خصرها الرقيق رغم ولادتها لخمس أطفال..

كاد أن يطلق ضحكة عالية وهو يراها تتأمل صورتها لثوانٍ ثم لسبب ما قررت ارتداء مئزر محتشم ليخفي الكثير مما كشفته غلالتها..

ابتسمت برقة عندما لمحت وقفته يتأملها ثم تحرك بخفة ليحيطها بذراعيه ويطبع قبلة خفيفة على شعرها هامساً بتأثر:

ـ الجمال ده كله ملكي..

ثم مرر كفيه على ذراعيها فارتعشت تأثراً
وأسبلت أهدابها بخجل لتسمعه يهمس بأذنها

ـ افتحي عينيكِ يا علياء..

لفها لتواجهه وهو يرفع ذقنها بأنامله يتأمل
ملامحها المتوردة ولكنها مع ذلك تحمل لمحة
غامضة دفعته لتساءل:

ـ في ايه؟.. أنتِ مش طبيعية؟..

هزت رأسها فتراقصت خصلاتها حولها ولم
تجبه بشيء فعاد يكرر سؤاله:

ـ في ايه؟.. هو اللي حصل النهارده في مطعم
حسن ضايقك؟.. أنتِ مش طبيعية من
وقتها!..

بسمة غامضة ارتسمت على شفتيها وهي
تهمس:

ـ أول مرة أحس أنك بتغيير عليّ حقيقي..
وأه..

قاطعها بذهول:

ـ أول مرررررة!!..

غمغمت بارتباك:

ـ يعني الغيرة من الولاد.. و..

قاطعها ثانية وهو يقربها منه ويهمس بحرقة:

ـ أنا بغير من ولادك.. من نيرة.. من صبا.. حتى من أم علي.. من الهوا اللي بيلمسك.. أوعي يكون عندك شك أني كان ممكن أقتل اللي اسمه إياد ده النهارده لو كان اتجرأ ولمسك فعلاً..

شهقت بنعومة وهو يغيبها معه بقبلة مجنونة ليهمس بعدها:

ـ حبيبتي..

ابتسمت برقة مرتبكة وأنامله تداعب وجنتيها لتزحف نحو عنقها ثم كتفيها محاولاً نزع المئزر من فوقهما ولكنها تملصت منه بلطف وابتعدت قليلاً وهي تحرك يديها بتوتر جعله يقترب ليقربها منه ويسألها بقلق:

ـ ليه التوتر ده بس؟..

رفعت نظراتها إليه وهي تخشى أن تخبره بما يوترها فعلاً.. ولكن هتافه النافذ الصبر باسمها جعلها تبوح بما لديها على الفور:

ـ مدام فريدة.. مدام فريدة..

هتف بها:

ـ مالها؟.. في ايه؟..

تلعثمت وهي تخبره:

ـ صبا.. قالت لها.. قالت لها أني بحب الرسم وكده.. وهي دعتني للاستديو بتاعها..

وطلبت مني أعرض عليها حاجة من انتاجي. أنا قلت لها هقولك وده.. قبل.. قبل..

قاطعها بتقرير:

ـ قبل ما اتخانق مع أخوها..

أومأت موافقة وهي تفرك يديها وتعض على شفتها السفلى بتوتر.. فاقترب يضغط إبهامه على شفتيها بقسوة طفيفة متسائلاً وقد شابت نبرته قليل من الغضب:

ـ والنيولوك ده عشان تقنعيني؟..

هتفت ببراءة مغوية:

ـ لا طبعاً.. أنا لابست كده.. لأنك حسستني النهارده أني.. أني ست بجد وأنك بتغيير عليا.. و..

اقترب منها ليحتضنها بقوة:

ـ معقولة يا علياء.. معقولة تكوني بتشكي في حبي ليكي؟..

أراحت رأسها على كتفه هامسة:

ـ أنا عارفة أنك بتحب تكون معايا.. و..

قاطعها:

ـ وأني بحبك يا علياء.. أنا عمري ما فكرت أني أحلل مشاعري أو أصنفها.. كنت باكتفي بكلمة "بحبك" منك لأنها كانت بتعني أنك هتكوني معايا على طول.. بس.. متأخر قوي.. فهمت أني لازم أعطي زي ما أخدت..

صدقيني.. أنا دلوقت بقولك بحبك وفاهم وحاسس بالظبط معناها..

دمعت عيناها وهي تستمع لاعترافاته لأول مرة وهزت رأسها عاجزة عن التعبير بأي

كلمة عما تشعر به لتسمعه يعيدها مرة أخرى:

ـ بحبك يا علياء.. بحبك يا فراشتي..

نزلت دموعها بغزارة وهي تهمس بدورها:

ـ وأنا وكمان والله بحبك يا يزيد.

أحاط وجهها بكفيه ليمسح دموعها بإبهاميه وهمس أمام شفتيها:

ـ ويزيد ما يهونش عليه فراشته يكون نفسها في حاجة ويحرمها منها.. كلمي مدام فريدة وحددي معاها ميعاد للزيارة..

ابتعدت عنه قليلاً لتهتف:

ـ بجد.. بجد يا يزيد..

ثم خفت حماسها قليلاً:

ـ أنت عارف أنه في اللاستوديو هيكون أخوها موجود؟

أومأ موافقاً:

ـ عارف.. وموافق..

تعلقت بعنقه وهي تضحك بسعادة وقد امتزجت ضحكاتها بدموعها ومرغت وجهها بجانب كتفه فامتدت أنامله ليزيح المئزر هامساً:

ـ أوعي تكوني مخبية تويتي تحت الروب!

وقبل أن تجيبه بشيء رفعها بين ذراعيه هامساً بعبث:

ـ أنا هتأكد بنفسي...

****

جلست صبا ساهمة تحدق بشرود بنافذة الطائرة.. لا تدري هروبها منه أو من نفسها.. وهل منه هروب؟.. كيف يمكنها نسيان تلك اللحظات المجنونة التي جمعتهما؟.. كيف تتغلب على تلك النبضة الرقيقة بداخلها والتي وصمها باسمه؟.. بل كيف خدعتها تلك النبضة ألم تعاهد قلبها ألا يعرف الحب يوماً؟.. ألم تقسم على البعد عن دوامات المشاعر بجنونها وجموحها؟..

كيف تترك العنان لمشاعرها لتنطلق بلا سيطرة منها لتعانق جنون مشاعره.. هو.. هو متزوج وعاشق لزوجة راحلة لم يتغلب على فقدانها بعد.. أي جنون ورطت نفسها به؟.. وأي اجتياح يهدد أمان قلبها؟..

لا تعلم هل تشكر جنون نيرة الذي أمن لها هروباً مبرراً؟.. أم تلعن ذلك الضعف الذي اجتاح شقيقتها لتحاول انهاء حياتها هرباً من تعاسة كان حسن هو من خط أول خطوطها؟.. تباً.. هل تلومه الآن وهي تعلم أنه كان إحدى ضحايا نرجسية نيرة؟.. هل تبحث عن أعذار تختفي ورائها كما استخدمت إياد كحاجز تحتمي به؟..

أغمضت عينيها لتتذكر آخر لحظاتها معه عندما بدا أنه على وشك فقدان السيطرة على مشاعره وهو يناجي روحها إنقاذه هامساً..

"حسن محتاج بر الأمان"..

لتشتعل عيناه بنظرات احتياج صارخة وتشعر اقترابه بخطورة وقبضتيه تضغط على ذراعيها بقوة حتى ظنت للحظة أنه على وشك تحطيمها

بين ذراعيه, ليطلقها فجأة ويبتعد مولياً إياه ظهره وهاتفاً بوجع من روحها:

- ابعدي من هنا يا صبا..

ظلت مسمرة في مكانها وجسدها بأكمله يرتعد لا تدري ما العمل.. حتى سمعت همسته الحارقة:

- صبااااااا.. ابعدي.. أرجوكِ..

لحظتها انطلقت هاربة من حديقة مطعمه بل من باريس بأكملها وقد تذرعت بوجود شقيقتها بالمشفى مبررة سبب سفرها المفاجئ لفريدة وبداخلها تدرك أنها هاربة منه.. ولكن إلى أين يمكنها الهروب من قلبها!!...

****

وقف مازن خارج غرفة العناية المركزة وقد ألصق وجهه بالنافذة الزجاجية الكبيرة يراقب جسد نيرة الراقد بسكون وقد أحاطت بها العديد من الأجهزة الطبية.. بداخله طوفان هادر من المشاعر المختلطة..

شعور هائل بالذنب مختلط بألم رهيب وشعور آخر بالخوف، خوف يكاد يصل إلى الرعب فقط عندما يفكر أنه على وشك فقدانها..

يا الهي هل من الممكن حقاً أن تختفي من حياته للأبد.. قد يبتعد عنها.. يجافيها.. يهجرها، بل أنه تحمل مرة أن يراها تحمل خاتم شقيقه.. ولكنها كانت موجودة حوله ومعه... يتنفس من هواء لمس ملامحها مرةً.. والآن هي زوجته يملك الحق ليقترب أو ليختار البعاد.. يمكنه أن يتلمسها يستنشق رائحتها الخاصة بها فقط.. يمتلك السيطرة على قوة عنفوانها وجنون مشاعرها الأنانية وغبائها المطلق وهي تعتقد أنها تحمل مشاعر لشقيقه بينما هي تذوب من لمسته هو.. يستشعر غرورها المضحك عندما تبتسم بزهو لنجاحها في إغوائه بينما هي تسقط بين ذراعيه وتتوغل بحياته أكثر وأكثر...

كيف سمح لكلمات حسن بالتغلغل في عقله ليفكر في الانفصال عنها!.. كلا.. الذنب ليس لحسن وحده.. فهو راقبه مع لورا.. طوال

فترة إقامته معه كان يراقب ويفكر.. يلاحظ حب لورا، واهتمام حسن.. قد يكون اهتمام هادئ، بل بارد.. ولكنه على الأقل شعر بروح أسرية وحياة عائلية يحاول الاثنان توفيرها لابنتهما.. اتخذ قراره وقتها.. وحسم أمره ليحقق ما هو أفضل لطفلته.. فإذا كان حسن عض على جرحه واستمر بزواج مشوه ليمنح طفلته أماً، فانفصاله عن نيرة التي لم تمنح يوماً شعرة مما منحته منى لحسن لهو ثمن هين لتعيش عشق بين أبويها..

اتخذ قراره بالفعل وحاول مفاتحة نيرة عدة مرات ولكنه لم يستطع.. فعند عودته وجد نيرة مختلفة.. ليست كثيراً ولكنه رغماً عنه لاحظ الاختلاف.. مازالت تمتلك نفس الطبيعة النارية التي تفتنه ولكنها تمكنت من فرض سيطرتها على طبيعتها النرجسية.. سيطرة بسيطة ولكنه لاحظها على الفور.. بعض الهدوء الخافت احتوى شخصيتها المندفعة القوية.. والأهم.. سؤالها عن حسن وأسرته بطريقة بدت طبيعية للغاية حتى أنه هو نفسه صدق أنها تسأل من باب اللياقة.. واللياقة

فقط.. تصرفاتها العفوية والتي عبرت عن رغبتها بالبدء بصفحة بيضاء جديدة ألجمته لأيام عن التصريح بقراره.. حتى كان لقاءه بيزيد قبيل سفر الأخير إلى باريس عندما أخبره أنه انفصل نهائياً عن ريناد.. وقتها هتف به مازن..

"ازاي يا يزيد.. أنت كنت بتشتري هدوء علاقتك مع عيلتك بجوازك بريناد"..

وكانت إجابة يزيد الحاسمة..

"علياء وولادنا هما عيلتي"..

لحظتها أدرك بحتمية حسم الأمر.. وأن الأولوية هي لأسرته الصغيرة.. وقرر تسوية أموره مع نيرة قبل أن يطلب من دنيا العودة إليه..

وبالفعل كانت لحظة المصارحة أمس.. لحظة حاسمة وقد حان وقتها, بل قد تكون تأخرت.. ذلك ما أخبره لها باختصار.. اختصار بلغ حد القسوة وهي ينهي كلماته..

"الحياة أولويات.. وأنا لفترة كبيرة أولوياتي اتلخبطت.. لكن الموضوع ببساطة هو الاختيار

بين حياة موجودة بالفعل ومحتاجة وجودي عشان تكبر.. وبين رماد بنحاول نخلق منه حياة"..

لحظتها تجمدت تعابير وجهها وكأنها تحولت لتمثال شمعي.. تمثال جميل تلتمع عينيه بالدموع.. وترتسم معالم الفجيعة على وجهه..

اقتربت منه ببطء مميت لترفع يدها وتترك أناملها تتلمس جانب وجهه برقة بالغة.. لمسات كانت بخفة ريشة ولكنها كانت تلهب أعصابه كشعلة حارقة.. ختمت اقترابها بقبلة هادئة على وجنته وابتعدت بدون أن تتفوه بكلمة واحدة.. فقط تركته وصعدت لغرفتها.. لم يعرف وقتها بأنها كانت تودعه.. تلك الحمقاء الغبية كانت تقبله مودعة..

يشعر أن قلبه غادر صدره ليرافقها في غيبوبتها.. خواء.. وفراغ هائل يحتله.. يشعر بأنفاسه تتردد بصدره ولكنه ميت.. هو ميت بدونها.. برغم الهجر والخصام والبعاد.. حتى وهما يقضيان سوياً دقائق معدودة.. حتى

وجرحها مازال ينزف بأعماقه.. برغم كل القسوة.. برغم الشك والغيرة.. إلا أن لا حياة بدونها.. لا حياة على الإطلاق..

****

أمسك إياد بقدح من القهوة المُرة وتأمل المكان الذي كانت تحتله منذ قليل لوحة علياء.. وابتسم بسخرية وهو يلتفت لفريدة متسائلاً بتقرير:

_ أصر ياخد لوحة مراته, صح؟..

ابتسمت فريدة بهدوء:

_ ايوه.. أنت كنت عارف أنه عايز اللوحة؟..

أومأ موافقاً:

_ أكيد.. هو راجل غيور.. وبيحبها فعلاً..

ثم هز كتفيه بتعبير غامض ليردف:

_ أنا لو مكانه هعمل كده..

سألته فريدة:

_ عشان كده خرجت أول ما وصلوا؟..

أجابها بهزة رأس وهو يردد:

ـ ما فيش داعي لصدام معاه.. وعامة البنت اللي في اللوحة مش هي الزوجة السعيدة الفخورة بحب جوزها اللي شوفتها في مطعم حسن.. ملامحها في اللوحة للحظة فكرتني بهمسة.. فاكرة يوم ما شوفتها في مصر؟

ـ ايوه.. يوم ما خبطت عربيتها وروحت معاها المستشفى؟..

ردد بحزن:

ـ كانت حزينة.. مقهورة.. ومكسورة.. عمري ما شوفت همسة كده.. دايماً كانت قوية وجريئة.. هو كسرها.. دمرها.. حبها له قهرها..

سكت للحظة ليردف وهو يسلط نظراته على فريدة:

ـ ساعات كتير بندم أني ما صارحتهاش بحقيقة مشاعري.. أحياناً بفكر وأقول لو كنت اتجرأت وطلبت ايدها لما سيف خطب كريمة أول مرة, كانت حاجات كتير اتغيرت.. كانت

بقيت مراتي وكنت هعرف أعلمها تحبني وتنسى اسمه حتى..

سألته فريدة بعتب:

ـ بتلومني يا إياد؟.. بتلومني أني قلت لك تصبر وما تتسرعش؟..

تنهدت بألم لتخبره:

ـ مشاعر همسة كانت وقتها مع سيف حتى وهي بتشوفه بيخطب غيرها.. بس كانت متورطة معاه.. وقتها ما كانش ينفع أنك

تدخل.. ما كنتش هتقدر تملكها.. أو تملك مشاعرها..

سألها ساخراً:

ـ ودلوقتِ.. بعد ما داقت جنون مشاعرها ومشاعره.. بعد ما داقت غدره وجبنه وضعفه ورغم ده كله.. لسه معاه.. لسه مراته.. هربت وبعدت.. سافرت لآخر الدنيا لأنها مش قادرة تكون معاه وهو مع غيرها..

ترددت فريدة للحظة قبل أن تخبره بحسم:

ـ همسة رجعت مصر.. رجعت.. وطالبة الطلاق من السيف..

صرخ بعجب:

ـ ايه!!

ـ ده اللي عرفته من سميحة في آخر مكالمة.. هو رافض طبعاً.. بس هي مُصرة..

انقبضت ملامحه بقوة وقبض بيده على قدح القهوة حتى تحطم بين أصابعه ليمتزج السائل الساخن بدمائه التي تغلي ترقباً وصرخت فريدة بهلع وهي تجفف يده وتعالجها بينما سؤالها يتردد بقلق:

ـ أنت ناوي ترجع مصر؟..

تهالك إياد على أحد المقاعد المريحة وبدأ هو بمعالجة جروحه وهو يخبر فريدة بحسم حزين:

ـ مش إياد منصور اللي يتدخل بين واحدة وجوزها.. حتى لو كانت الواحدة دي همسة.. حتى لو كانت الست الوحيدة اللي قلبي دق

لها.. مش أنا اللي اعمل كده يا فريدة.. طو
ما هي على ذمته.. أنا هفضل بعيد..

****

وعاد حسن إلى مصر!

من يصدق!.. أنه رحل للحب وعاد أيضاً للحب!..

رحل ليحمي حباً صافياً ناعماً.. وعاد بحثاً عن جنون عبث بقلبه بلا استئذان..

رحل يحمل غضباً وبغضاً لنيرة وعاد بداخله شفقة خالصة عليها..

رحل بمشاعر.. وعاد للمشاعر..

رحلة مريرة أسكتت قلبه بغيبوبة صناعية حتى كاد أن يعلنه ميتاً, لتأتي هي وتمنحه قبلة المحاياة.. وتجعله يرتعش.. بل ينتفض متسائلاً حائراً..

"وهل بقيت مشاعر؟.. وهل للقصة تتمة؟"..

ابتعد.. وابتعدت هي بل هربت.. طارت عائدة
إلى مصر.. وهي تعلم أنه لن يتبعها..
استمعت له ونفذت كلماته حرفياً لتبتعد
نهائياً..

وهو.. هو حمد ربه لقوتها.. لقدرتها على
الابتعاد التي منحته فرصة ليقاوم.. ويبتعد هو
الآخر.. ليفكر.. يفكر طويلاً.. ويقرر الابتعاد
وانهاء القصة ويختم كلمة النهاية التي
خطتها بخطوط حمراء عريضة ويتناسى
وجودها تماماً.. ذلك ما أملاه العقل وأيده
الواقع.. وخالفه القلب الذي صرخ متوسلاً
فرصة للحياة.. للنبض..

وأخيراً قرر.. أخيراً حسم أمره.. سينسى
ويبتعد ويستمع لصوت العقل.. و...

ها هو.. ها هو يذرع أروقة المشفى يبحث
بعينيه عن شقيقه وبقلبه عنها.. مثبتاً حقيقة
واقعة طالما أدركها.. أن للقلب صوتاً
منفرداً.. خافتاً.. ناعماً.. ولكننا لا نملك إلا
الخضوع له.. طائعين.. مستسلمين ندفعنا

سعادة ألمه لا يعرفها إلا عاشق.. عاشق حائر.. عاشق تائه في ملكوت الحب..

أخيراً لمح مازن, بل خيال متهالك لما كان عليه مازن.. وجده ملتصقاً بنافذة غرفة العناية المركزة.. وعيناه ثابتتين على جهة معينة وكأنه تمثال.. أو هيكل خشبي لما كان عليه شقيقه..

هتف بقلق:

_ مازن!!..

سمع مازن هتافه ولم يصدق واقعه.. فحسن لن يعود.. هو أخبره بذلك.. لا يوجد ما يعود له.. ولكن تكرر الهتاف واقترب أكثر.. ليلتفت مازن ببطء ويواجه حسن وجهاً لوجه.. ليتجمد الكون حولهما للحظات وهما يتبادلان النظرات, ثم يندفع مازن إلى ذراعي حسن المفتوحتين وهو يهمس بألم:

_ معقولة رجعت يا حسن؟..

ضمه حسن بقوة وربت على كتفه مؤازراً:

ـ يزيد قالي على اللي حصل.. ليه ما كلمتنيش يا مازن؟..

دعك مازن عينيه محاولاً مسح دموع ترقرت بهما قبل أن يهمس:

ـ ما حبتش أضغط عليك.. و..

قاطعه حسن:

ـ وايه؟.. ظنيت أني مش هاهتم!..

سكت مازن ولم يجبه.. فهو خشي اهتمامه بالفعل خوفاً من لامبالاته نحو نيرة.. فلجأ ليزيد كالعادة.. خاصة وهو عاجز عن طلب الراحة والأمان من دنيا.. فهو فقد جميع حقوقه عليها.. ومع غياب والده المستمر.. فحاتم العدوي بعدما فشل في استعادة ابنه الأكبر قرر ترك إدارة المجموعة بين يدي مازن وقرر الابتعاد عن الجميع.. اعتزل العمل والناس وأصبح يقضي أوقاته في رحلات بحرية لا تنتهي.. ووالد نيرة أكثر عجزاً من مازن يحتاج لمن يسانده ويدعمه على الدوام ولولا وجود صبا بجواره لكان انهار بقوة.. ووسط كل ذلك كان مازن يقف وحيداً يرجو الراحة

والاطمئنان فلا يجدهما.. ولا يعرف لهما سبيلا خاصة وقد غابت نيرة لأكثر من خمسة أيام في غيبوبة غامضة.. لا يدرون متى تستفيق منها..

كان تقدير الأطباء في البداية أن عدد الأقراص المنومة التي ابتلعتها لا يشكل خطراً حقيقياً على حياتها.. ليكتشفوا بعد ذلك أنها تناولت أيضاً أدوية مضادة للحساسية مما زاد من تأثير المنوم لأضعاف وأدخلها في غيبوبة لم تستفق منها منذ خمسة أيام كاملة...

طال سكوت مازن والتفت ثانية نحو النافذة الزجاجية وأنه يخشى أن يبعدها عن نظره لحظة فتغيب بحياتها عنه للأبد..

ربت حسن على كتفه هامساً:

_ تعالى معايا.. أنت محتاج تغير وتاكل حاجة..

رفض مازن التحرك من مكانه وهز رأسه مخبراً حسن:

ـ صبا بتجيب لي أكل وتجبرني آكل كل يوم.. كتر خيرها..

نبضة قوية منفلتة نبضت بقلبه حتى خشي أن يلاحظ مازن فسأل بطريقة حاول أن تكون طبيعية:

ـ آه كتر خيرها فعلاً.. أومال هي فين؟..

ـ في أوضة باباها.. الضغط عنده علي قوي من اللي حصل..

لف بعينيه الرواق يترقب ظهورها.. يترقبه ويخشاه بنفس الوقت فهو لا يستطيع توقع رد فعلها لظهوره الغير محسوب...

ظل بجوار مازن لفترة طويلة بعدما أقنعه بالجلوس على المقاعد المواجهة لغرفة العناية وأحضر له عدة شطائر وفنجان من القهوة المُرة, تناولهم مازن بآلية وظل متشبثاً بكف شقيقه وكأنه يستمد القوة للاستمرار بوجوده..

بتلك الصورة وجدتهما صبا عندما وصلت أمام الغرفة المحتجزة بها نيرة.. في البداية لم تصدق عينيها.. مستحيل.. هو لم يأتِ خلفها!.. لقد أمرها بالابتعاد, فلم يعطِ لنفسه حق بالقتراب؟!... هزت رأسها رافضة تلك الفكرة المجنونة.. فربما تكون عودته ليكون بجوار مازن في أزمته...

اقتربت لتقف أمامهما وهي تتوجه بسؤالها لمازن:

ـ ما فيش جديد؟..

هز رأسه نفياً ونهض واقفاً ليبتعد عنهما ويعود للالتصاق بالنافذة الزجاجية مرة أخرى.. وقبل أن تتحرك صبا وصلها صوت حسن الهامس:

ـ ما فيش حمد لله على السلامة!

ارتسم الغضب على ملامحها وهي تسأله:

ـ ايه اللي جابك؟..

نهض واقفاً هو الآخر ولمس مرفقها بخفة يوجهها للابتعاد عن وجود مازن قليلاً ليجبها بسؤال:

ـ أنتِ ليه هربتِ؟!

رفعت حاجباً أنيقاً بعجب لتتمتم ساخرة:

ـ هربت!.. سبق وقلت لك أني ما بخافش من حاجة..

اقترب منها ليهمس بغيظ:

ـ بلاش الأسلوب ده يا صبا..

قررت لعب دور الغبية بجدارة فهمست من بين أسنانها:

ـ أنا مش عارفة أنت بتتكلم عن ايه!.. ولو ما أخدتش بالك.. أحب أقولك أن أختي في غيبوبة.. وأظن أن ده سبب قوي عشان أسيب الدنيا كلها وأرجع لها..

برقت عيناه بغيظ فظهر لونهما الأخضر الغريب واضحاً وهو يصدمها بقوة:

ـ سألتني رجعت ليه.. رجعت عشان أنا اكتفيت هروب وقررت أواجه..

قاطعته بخوف قبل أن يكمل:

- أنت طلبت مني ابعد.. وكان عندك حق..

حاول مقاطعتها لتتحرك مبتعدة وهي تشير بيدها:

- مش دايماً الهروب بيكون جُبن..أحياناً بنهرب عشان نحمي ناس يهمونا.. ابعد يا حسن.. خلينا نبعد.. خلينا نتصرف صح..

حاول اللحاق بها ليتجمدا سوياً كرد فعل لصيحة مازن:

"نيييييرة.. نيرة فاقت"..

اندفعت صبا لتمر بجواره لتلحق بمازن الذي أوقفه الطاقم الطبي حتى يطمئنوا على الوضع الصحي لنيرة.. بينما ظل حسن في مكانه حائراً وكلماتها تتردد في ذهنه..

"أحياناً بنهرب عشان نحمي ناس يهمونا"..

وبأعماقه تتصارع أسئلة عدة.. هل تظن أنه اندفع خلف أهوائه متناسياً من سيجرح ثمناً لدقة قلب؟.. كلا.. لم ولن ينسَ.. فهو أكثر من مدرك لوجود لورا في حياته.. وهو لن

يظلمها.. كلا.. لها فضل كبير عليه لوجودها بجواره في أحلك لحظات حياته، قد تكون أنقذته من الجنون أو ما هو أبشع..

هي تمثل له صديقة.. صديقة طيبة.. وأم لابنته الصغيرة.. رغم محاولاتها المستمرة لتحويل تلك المودة من ناحيته إلى حب مشتعل كذلك الذي تحمله له.. محاولات خفتت كثيراً في الفترة الأخيرة وكأنها اقتنعت بوتيرة حياة هادئة.. أو ربما هي فقط أدركت بغريزة الأنثى.. أن حياتهما الهادئة.. قاربت على النهاية...

****

استقرت نيرة في غرفة مستقلة بعدما انتهى الفريق الطبي من اجراء فحوصات وتحاليل عدة.. ليقرروا أنها أفاقت تماماً من غيبوبتها ولحسن الحظ لم تصب خلايا المخ بأي أضرار دائمة.. وأن حالتها مستقرة تماماً.. فقط هي بحاجة لعدة أيام من المتابعة الطبية في المشفى...

ها هي مستلقية على فراشها الطبي ومازن
بجوارها يحيطها بذراعيه وقد تجمدت دموع
الراحة في مقلتيه وهو يتأمل ملامحها الجميلة
الشاحبة وقد بدا عليها معالم الحياة..
فعينيها الجميلتين تبرقان مرة أخرى.. فقط
تلك اللمعة المميزة التي تأسر دقات قلبه..
وعلى شفتيها ترتسم ابتسامة غريبة تبدو
كاعتذار أو ربما حرج.. لا يهم ولا يهتم..
فقط هي تتنفس.. هي بين ذراعيه وبصدرها
تتردد الأنفاس أو ربما تتردد أنفاسها بصدره..
هي حية وكفى..

دفن وجهه بين خصلاتها هامساً:

ـ حمد لله على سلامتك..

أبعدت نفسها عنه قليلاً ورطبت شفتيها
الجافتين قبل أن تجيب:

ـ أنا آسفة يا مازن.. أنا..

وضع إصبعه على شفتيها هامساً:

ـ أنا مش هعاتب ولا أنتِ هتعتذري.. أهم
حاجة أنك بخير.. أنك رجعتِ لي تاني وبخير..

عاد يضمها لصدره يستمع لدقات قلبها يستشعر أنفاسها الدافئة وبداخله يقين بعدم قدرته على تركها تختفي من حياته.. قد تكثر خلافاتهما.. قد تتزايد نوبات شجارهما إلا أنهما يجب أن يحاولا البدء من جديد...

وعلى باب الغرفة وقفت صبا تتأملهما بصمت وقد ارتسمت على ملامحها معالم الاحراج والارتباك القلق لتفاجئ بقبضة تلتف حول معصمها ويسحبها بعيداً هامساً:

_ هما محتاجين يكونوا لوحدهم.. واحنا لسه محتاجين نتكلم...

وسحبها خلفه ليجلسا سوياً على أحد المقاعد العريضة بحديقة المشفى.. هي شاردة في كل شيء ماعداه وهو جلس خافضاً رأسه ومستنداً بكفيه على ركبتيه.. ظلا لفترة على هذا الوضع.. ليهمس أخيراً:

_ أنا مش بعرف ألف وأزوق كلامي.. اللي جوايا بقوله وبصراحة.. ممكن ناس تقول على

صراحتي مؤلمة.. وممكن ناس تانية تتخيلها وقاحة.. بس دي طبيعتي..

التفت نحوه وهي تتأمل ملامحه الوسيمة..

تسأله بحيرة:

ـ مش فاهمة.. أنت..

قاطعها:

ـ لأ فاهمة.. فاهمة كويس.. وعارفة ليه أنك رجعت.. رجعت لك.. لصبا.. لأن اللي تخيلت لسنين أنه مستحيل يحصل..

تنهد بقوة ليهتف بوضوح:

ـ حصل..

هتفت به:

ـ كفاية ألغاز..

هز رأسه بلوم:

ـ لو كلامي ألغاز للناس كلها لازم تفهميه أنتِ.. لأن كل كلمة.. كل حرف.. يقصدك أنتِ.. أنا تعبت يا صبا.. تعبت..

تنهد بحرقة ليردف:

ـ أنا.. أنا..

قطع كلماته ليقف وهو يضحك بتوتر ويذرع المكان أمامها جيئة وذهاباً ليهتف أخيراً:

ـ أنا عمري ما كنت متوتر زي دلوقتِ..

رفعت له عيناه بريئتان رغم كل ما يظهر بهما من محاولات واهية للسيطرة وادعاء الغضب ليكمل هو:

ـ أنا مش عايز أجرح لورا.. غالباً أنا هسافر الليلة.. لازم أحط النقط على الحروف..

وقفت بدورها لتصرخ مقاطعة:

ـ ما يخصنيش كلامك ولا حياتك..

هتف بها وهو يتمسك بذراعيها يمنعها من الهرب:

ـ هرجع مصر يا صبا.. هرجع أعيش في مصر..

ارتعشت شفتيها وهي تحاول الرد عليه ليهمس هو:

ـ يمكن عندك حق.. لسه مش من حقنا نقول كل الكلام.. لكن كلامنا لسه ما انتهاش..

وتركها ليرحل إلى زوجته وابنته.. ولكن كلماته كانت واضحة.. فذهابه كان تمهيداً لعودة.. عودة دائمة لحياة تشملها هي بكل تفاصيلها...

الفصل الخامس والثلاثون

وقف حسن صامتاً يتأمل المفتاح اللامع بين أنامله, ذلك المفتاح الذي دفعه شقيقه بين يديه رغماً عنه منذ سنوات وهو يخبره بمؤازرة:

"يمكن أنت مش متخيل أنك قادر تستخدمه دلوقتِ, لكن هيجي اليوم وتقدر"..

وها قد صدقت رؤية مازن وأتى ذلك اليوم الذي تنبأ به.. وها هو حسن يتحرك بتثاقل, بل يجر قدميه جراً ليواجه البوابة المعدنية

, يرمقها بخشية وألم محاولاً استجماع كل ما يمتلكه من إرادة ليحرك يده الممسكة بالمفتاح ويقوم بخطوة طال انتظارها.. خطوة لم يتخيل نفسه يوماً قادراً عليها, ولكنه سيفعلها.. من أجلها.. من أجلهما معاً.. من سكنتا قلبه و.. ابتسم بحنين مصححاً.. بل سكنته إحداهما برقة النسيم والأخرى اقتحمته كإعصار أنثوي طارداً مُر الآلام

وغصة الأحزان.. موقظاً قلب غاب في سبات إرادي لسنوات طوال...

زفر بألم حتى ظن أن أنفاسه ستشق صدره شقاً وهو يواجه اللوحة الرخامية التي نقش عليها اسم منى تعلوها تلك الآية الكريمة التي خطفت بصره وكأنه يتعلمها للمرة الأولى..

"يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي"..

الألم والخشية مع إحساس لا إرادي بالرفض كان ما يشعر به كلما حاول الترحم على منى.. وحتى الآن مازال الألم موجوداً يشعر به في أعماقه.. ولكن تبدلت الخشية والرفض إلى إحساس آخر.. إحساس غير قابل للوصف..

وجد لسانه يعبر عنه بلا إرادة وهو يردد بلا انقطاع..

"اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها"..

وكأنه يرجع للحظة الفقدان الأليمة ولكن تلك المرة يصاحبها هدوء نفسي مغلف بشجن حنون..

اقترب ببطء يملس بيده على القطعة الرخامية الباردة وكأنه يلقي بتحية عطرة على تلك المختفية خلفها.. تحركت أنامله ببطء وتردد مغمضاً عينيه لتتوالى أمامه عدة مشاهد متتابعة لحياتها القصيرة معه..

صرختها الرافضة بدلال عندما كان يقبل عيونها لتعترض هي "بلاش تبوسني في عينيه".. ملامح وجهها وهي ترتشف عصير الفراولة الذي أعده لها مستبدلاً السكر بالملح، يومها تجرعته بأكمله ولم تعترض ولم تنبهه إلى خطئه الذي أدركه مصادفة عندما شاكسها مختطفاً الكوب ليقابله الطعم المريب للعصير.. صدمه مشهد آخر لهما وهو يعاملها بعنف تلبسه لفترة، وتارة وهي تواجه ابتسام آكلة الرجال كما كانت تسميها.. و.. و.. تراكمت المشاهد واللقطات أمام عينيه حتى حان مشهد الوداع الأخير فشعر بدمعة ساخنة تجري على وجنته.. تلتها عدة دمعات

مسحها سريعاً واقترب أكثر متمسكاً بالقطعة الرخامية بكلتا يديه كأنه يبثها أشجانه وحنينه..

بقي على تلك الحال كتمثال جامد مغمض العينين لا يتحرك منه إلا بضع دمعات تجري على وجنتيه وفي تلك المرة لم يبذل جهداً لايقافهم...

مرت فترة لا يدري إن كانت دقائق أو ساعات وأخيراً تحرك خطوات قليلة ليتهالك جالساً وقد ثنى ركبتيه وارتكز بمرفقيه عليهما محيطاً وجهه بكفيه وملتفتاً بكل كيانه نحو الصرح الرخامي الصامت رامقاً إياه بنظرة حنين ثم ابتلع ريقه هامساً:

ـ منى.. ملاكي.. وحشتيني قوي.. قوي.. ما فيش كلام ممكن يعبر عن اللي جوايا.. يااااه يا منى.. جوايا كلام كتير.. كتير قوي.. مش عارف أبدأ منين..

هز رأسه بحيرة ثم أخرج صورة لابنته منى الصغيرة ليرفعها بمواجهة الرخام البارد ويكمل بخفوت:

- منى.. أعرفك بمنى الصغيرة.. أيوه اتجوزت.. استني بس.. مش زي ما أنتِ فاهمة.. عارفة لورا.. أكيد طبعاً فاكراها.. أيوه.. هي اللي اتجوزتها..

ضحك بمرارة ليكمل وكأنه سمع ردها:

- لا طبعاً مش جمالها هو السبب.. ولو أني ممتن للجمال ده لأن منى الصغيرة ورثته.. هكلمك بصراحة يا منى.. أنتِ الوحيدة اللي هتفهميني.. أنا اتجوزتها في لحظة ضياع..

غياب وعي وإدراك.. تعرفي أني جددت عقود جوازي بها بعد ما بلغتني بحملها..

هز رأسه بمرارة ليكمل:

- ليه؟.. بتسأليني ليه؟..

ابتسم بمرارة وهو يهز كتفيه:

- ما كنتش متأكد من صحة العقد الأول..

عادت نظراته لصورة ابنته وتحركت أنامله تتلمسها بحنان ثم شردت نظراته للمجهول:

ـ لا يا منى.. ما حبتهاش.. ما اقدرتش.. يا ريت الواحد كان ممكن يتحكم في قلبه.. لورا.. إنسانة كويسة جداً.. لكن غصب عني بتمثلي لحظة انعدام إرادتي.. لحظة هي اللي سيطرت فيها على حياتي.. أنا مش بلومها.. لكن من جوايا.. الراجل الشرقي التقليدي.. حاسس أنه كبريائه وكرامته تم اغتصابهم..

قهقه عالياً وهو يواجه الصرح الرخامي:

ـ بتضحكي.. أنا عارف... بس ده إحساسي.. وللأسف مش عارف أتغاضى عنه..

سكت للحظات ثم أكمل وكأنها أجابته:

ـ عندك حق.. مش ده اللي عايز أقوله.. في جوايا كلام تاني.. كلام يمكن كان لازم أقوله للورا الأول.. لكن.. منى.. أنا ما نسيتش ومش هنسى.. منى.. أنتِ كنتِ أحلى حاجة مرت في حياتي.. حبيتك.. حبيتك قوي.. فراقك.. فراقك دمرني.. غربني.. غربة كانت جوايا مش مجرد بعد عن أهلي وبلدي.. سنين وأنا مش عايش.. بتنفس.. وأكل وأشرب.. لكن

مش عايش.. لحد ما.. ما شوفتها.. شوفتها بجد.. صبا.. صبا يا منى.. فاكراها..

أغمض عينيه وكأنه يخشى لفظ القادم:

ـ منى.. أنا.. بحـ... بحبها..

أطلق زفرة حارة وكأنه يطلق سراح حِمل ثقيل ثم التفت ثانية:

ـ مش هقدر أطلب السماح.. منى.. افهميني.. المشاعر اللي جوايا لها أطهر وأقوى من أني أطلب السماح منك.. منى..

أغمض عينيه بألم وأخرج من جيب سترته هاتفاً عتيقاً.. ذلك الهاتف الذي لم يتخلص منه طوال السنوات السابقة.. رفع الهاتف إلى شفتيه ليقبله برقة.. ثم وضعه بخفة أمام القطعة الرخامية هامساً:

ـ منى.. هتفضلي دايماً.. جوايا.. جوه قلبي في جزء محفور عليه منى.. دايماً هيكون ليكي.. الوداع يا ملاكي..

قال كلماته الهامسة وتحرك مسرعاً نحو البوابة المفتوحة.. ليتوقف أمامها قليلاً

ويلتفت برأسه للخلف للحظات قليلة قبل أن يغلق البوابة بحسم وثقة...

****

استقرت حالة نيرة الصحية وصرح لها الطبيب بالخروج فبدأت تتأهب نفسياً للعودة إلى منزلها ولكن مازن فاجئها برحلة خاطفة إلى أحد المنتجعات السياحية حيث قضيا عدة أيام تفرغ مازن خلالهم لتدليلها ومنحها ذلك الاحساس الذي طالما اختصها به على الدوام.. هي مدللته.. أثيرته.. طفلته الحبيبة رغم كل عيوبها ومساوئها..

كان يطعمها بيديه.. يصطحبها بنزهات طويلة وحدهما لا يصاحبهما سوى همس الأمواج التي أسر إليها بعشقه عشرات المرات.. أثبت أنه عاشق مثالي مدركٌ ومتفهمٌ لكل رغبات معشوقته فبخلاف نزهاتهما الهادئة كان يرافقها ليلاً إلى أفخم الفنادق بالمنطقة لتعيش الصخب الذي لا تستطيع الاستغناء عنه وتنهي

سحرتها بالرقص بين ذراعيه حتى تنبههما أشعة الشمس لصباح يوم جديد..

لم يقربها بعد مانحاً إياها كل الوقت للتعافي ولكنه لم يستطع منع نفسه من خطف بعض القبلات واللمسات التائقة والتي تخبرها بوضوح كم يشتاق وصالها.. وكم السيطرة التي يفرضها على نفسه ليسمح لها بالتعافي الكامل قبل أن يطلق رغبته بها من عقالها..

أما نيرة فقد استعادت تألقها وابتسامتها السعيدة بفضل رقته وحنانه وحبه الذي أغدقه عليها بلا حساب وكأنه فتح لها خزائن قلبه على مصراعيها تغترف منها ما تشاء، ولكن ظل ذلك الهاجس القاتم الذي يحثها على المواجهة والبدء بصفحة نظيفة تماماً.. تريد حياة جديدة.. وكم ترغب ببدئها بالطريقة الصحيحة ولكنها تخشى ردة فعله.. تخشاها وغير قادرة على توقعها.. اتخذت قرارها بمصارحته ولكن أولاً لتقترب منه أكثر.. تترك نفسها تتغلغل داخله لتصبح جزءً منه.. تدرك عشقه لها وتعلقه بها وتدرك أيضاً ضعف رصيد ثقته بها.. غفرانه الذي منحه أخيراً

حتى لو لم يصرح علانية كان هبةً غالية لا تريد التفريط بها ولا يمكن أن تجعله يشك بها ثانيةً ليس الآن على الأقل.. يجب أن تؤجل المواجهة قليلاً.. ولكنها هكذا تكرر الخطأ مرة أخرى.. فلتحاول الشرح بهدوء وهو سيتفهمها ولن يطاوعه قلبه على هجرها تلك المرة بعدما ذاق مرارة فقدانها و.. ظلت الأفكار تموج بعقلها وهي شاردة تماماً.. غافلة عن عينين متيمتين بها عاشقتين لكل تفاصيلها ونظرات ماژن تتأملها بشغف وقد أغمضت عينيها واستندت بكفيها على سور الشرفة بينما تتطاير خصلاتها الحمراء حول وجهها وقد رسمت ظلال الشمس الغاربة على وجهها تعبيرات شجن وحيرة أثارت تعجبه، فترك كوب العصير الذي كان يحمله وتوجه نحوها ليحيطها على الفور بذراعيه مستمتعاً برجفة جسدها المتأثرة به.. تأثراً أصبحت لا تهتم بإخفائه عنه في الفترة الأخيرة بل تكاد تصرخ معلنة عن وقوعها تحت تأثير جاذبية زوجها المهلكة.. طبع قبلة خفيفة على جانب عنقها وكفيه يستريحان على معدتها بعفوية محببة وهمس برقة:

_ لسه ما غيرتيش هدومك؟.. يادوب نلحق ميعاد العشا.

لفت بجسدها لتواجه عينيه وتطوق عنقه بذراعيها هامسة:

_ ينفع نسهر في الشاليه هنا وما نخرجش!

توسعت عيناه للحظة وهو يحاول التأكد من طلبها الذي أكدت عليه بإيماءة موافقة ورفعت نفسها قليلاً لتصل بشفتيها إلى جانب فكه فتطبع قبلة صغيرة وكأنها تمنحه الضوء الأخضر فاشتدت قبضتيه على خصرها ليلصقها به بقوة حتى كاد أن يحطم عظامها الرقيقة على صلابة جسده.. وحرك شفتيه بسرعة ليقتنص شفتيها قبل أن تفكر في ابعادهما عن وجهه ويبدأ في ارتشاف أكسير سعادته الخاص جداً بتواجدها أخيراً بين ذراعيه برغبة منها هي.. لا تفرض هيمنة أنوثتها ولكن لتمنحه هو السيطرة والتحكم في تلك الأنوثة الطاغية..

لم تدرك متى رفعها بين ذراعيه ليمددها على فراشها الذي امتنع عن مشاركتها اياه في فترة مرضها مانحاً اياها فرصتها بالكامل

لترتب أولوياتها وإعادة التفكير في مشاعرها
تلك الفرصة التي عاد يمنحها لها ثانية في
تلك اللحظة وهو يرفع رأسه عنها ويهمس
بلهاث أجش:

- نيرة..

أغمضت عينيها بخجل لم تدعيه فهي تستشعره
معه دائماً فعاد يهمس باسمها وهو يرفع
ذقنها قليلاً:

- نيرة.. افتحي عينيكِ..

رمشت قليلاً قبل أن تفرق جفونها لتقابلها
نظراته العاشقة وهمسه المتردد:

- متأكدة يا نيرة؟.. أنتِ كويسة؟..

أجابته بابتسامة خجولة ولكنها واثقة،
وجاءت استجابته سريعة وهو يضمها إليه
أكثر مغرقاً وجهها بقبلاته ومنعشاً روحها
بهمساته العاشقة لكل ما فيها ورغبته التائقة
لقربها وامتلاكها روحاً وجسداً.. وانطلقا معاً
في رحلة عشق طال انتظارهما لها ومازن لم
يتوقف لسانه لحظة عن بثها أشواقه وحبه

فكان همسه لها بفعل الأعاجيب لدقات قلبها التي تتسارع جميعها لتثبت له حبها الواضح حتى ولو تلكأ لسانها في التعبير عن مشاعرها كانت لمساتها وقبلاتها واستجابتها له ما يحتاجه ليعاود همسه الشغوف:

ـ بحبك.. بحبك يا نيرة يا حب عمري كله..

وأخيراً بعدما هدأت العاصفة, تحرك مازن مبتعداً عنها قليلاً بينما انطلقت منها همسة متوسلة بدون إرادة منها:

ـ مازن.. ما تبعدش عني..

داعب خصلاتها برقة وأعاد ترتيبها حول وجهها وأنامله تداعب وجنتيها بعبث:

ـ أنا هقوم أجيب لك العصير بس.. ما تقلقيش ما فيش قوة تقدر تبعدني عنك الليلة..

ثم غمز بعبث وهو يناولها كوب العصير ويتلمس وجنتها بحنان هامساً:

ـ أنتِ كويسة؟..

أومأت برأسها وهي تبتسم بشقاوة:

ـ جرى ايه يا مازن هو أنا عروسة جديدة لسه!

اقترب ليضمها بين ذراعيه ويرفع ذقنها لتتلاقي عيونهما وتتواصل النظرات معبرة عن عشق كاد أن يكتمل لولا ذلك الظل القاتم بداخلها والذي يحثها حثاً لمصارحته خاصة وهي تلمس صدق مشاعره وانفتاحه الكلي معها.. تعلم أنه منحها الليلة قلبه وكيانه وجسده بالكامل وجاءت همسته لتؤكد مشاعرها وتزيد من احساسها بالذنب:

ـ أيوه.. الليلة أنتِ عروستي.. اعتبري الليلة بداية حياتنا سوا..

لم تعد قادرة على الكتمان.. لتصارحه ويبدآ معاً بداية حقيقية تلك المرة:

ـ مازن.. أنا..

ضاعت باقي كلماتها بين شفتيه وهو يعود ليكتسحها تلك المرة بعاطفة مجنونة.. كان يعبر عن مشاعره بجموح وجنون.. جنون بادلته إياه وهي تهمس باسمه دون انقطاع مما زاد جنونه جنوناً..

تلك المرة لم يبتعد عنها بل ظل متمسكاً بها هامساً في أذنيها بكل ما ذكر في قاموس العشق والغرام.. عرى مشاعره أمامها وهو يهمس بوله:

ـ بحبك يا نيرة.. حبك هو الشيء الوحيد اللي ثابت جوايا.. يمكن حبي ليكي اتقدر من قبل ما نتولد احنا الاتنين.. دايماً كنتِ بالنسبة لي شمسي اللي بتنور دنيتي.. لا.. شمس ايه.. أنتِ أساساً دنيتي كلها.. الحب بيبدأ مع نيرة..

وعمره ما هينتهي أبداً يا حبي.. ساعات بحس أنه قدري.. قدري أنك تكوني ليا.. وأحلى قدر..

صمت للحظة ليطبع قبلة رقيقة على وجنتها وأردف:

ـ هقولك على حاجة ما حدش يعرفها أبداً.. أنا كنت بدأت أجهز ورقي للهجرة لما اتخطبتي.. كنت مقرر أني أسافر بعد فرحكوا على طول..

ابتسم بشجن وأكمل:

ـ مش عايز أفكر في الأوقات دي تاني.. أنا كنت بتحرق من جوايا مع كل لحظة بتمر وأنا مش معايا.. وبعد جوازنا.. قلبي وعقلي كانوا هيجننوني معاهم.. كنت بهرب منك ليكي.. عقلي بيقولي ابعد وقلبي بيشدني شد ناحيتك.. طاوعت عقلي لأني كان ممكن اتجنن فعلاً لو سيبت مشاعري ليكي تتحكم فيا.. ضغط على نفسي كتير وأجبرتها على البعد.. لحد.. لحد اللحظة اللي كنت هفقدك فيها.. يااااه..

سكت قليلاً ليبتلع غصة كادت أن تخنقه:

ـ لحظات سودا ما أتمنهاش لألد أعدائي.. لحظات قلبي كان بيصرخ ويتقطع ويلوم عقلي.. كان بيصرخ فيا ايه معنى حياتك من غيرها.. انتقمت لكبريائك وكرامتك؟.. ضيعتها وعاقبتها؟.. ياه يا نيرة.. أنا كان ممكن اقدم أي حاجة وترجعي لي تاني.. بس تكوني موجودة في دنيتي..

هز رأسه بألم وكأنه ينفض عنه ذكريات تلك الأيام أكمل همسه:

ـ خلاص الأيام دي عدت واحنا دلوقتِ مع بعض فعلاً.. وهنبدأ حياتنا صح.. و..

التفت لها ليفاجئ بدموعها تغرق وجنتيها وهي تدفن رأسها بين أضلعه وتتمسك به بقوة مما دفعه لسؤالها بهلع:

ـ نيرة.. في ايه؟!.. ليه الدموع؟..

استمرت في نحيبها وهي تهز رأسها المزروعة في صدره رافضة مواجهة عينيه حتى كاد أن يجن من القلق فابعدها عنه بعنف صارخاً:

ـ في ايه يا نيرة؟.. اتكلمي..

همست من بين دموعها:

ـ أنا ما استحقش.. ما استحقش الحب ده كله.. أنا..

هتف بها:

ـ أنتِ ايه؟..

دفنت وجهها بين كفيها وهي تتمتم بكلمات غير مترابطة:

ـ أنا آسفة.. آسفة.. مازن.. أرجوك افهمني.. أنا كمان كنت عايزة أعمل أي حاجة ترجعك لي.. وأنت خلاص كنت قررت.. وناوي على الانفصال.. ما كانش ممكن أسمح لك تبعد و..

أمسك بمرفقيها متسائلاً بتردد:

ـ وايه؟.. قصدك ايه؟..

هزت رأسها لتحاول ترتيب أفكارها قبل أن تهمس:

ـ اللي حصل كان سوء فهم.. كا..

قطع كلماتها بحيرة:

ـ سوء فهم!!

عادت تردد كلماتها الجوفاء:

ـ أقصد سوء تقدير.. أنا.. الغيبوبة حصلت غصب عني.. بسبب دوا الحساسية اللي أخدته بالصدفة.. أنا بس كنت عايزة أوصلك أني محتاجة لك في حياتي و.. كنت عايزاك تعرف

أني مهمة في حياتك وأنك ما تقدرش تستغنى عني و..

نفضها من بين يديه فارتمت بعنف على الفراش بينما نهض هو بقوة متسائلاً بذهول:

ـ يعني ايه؟.. كانت لعبة؟!.. لعبة تانية من ألعابك عشان تجيبيني راكع تحت رجليكِ؟!..

همست بضعف:

ـ مازن.. افهمني..

قاطعها بقوة:

ـ أفهمك!.. للأسف أنا فهمتك كويس.. أنا أكتر واحد فاهمك في الدنيا دي.. أنتِ عايزة تاخدي كل حاجة بدون ما تقدمي ولو هامش بسيط من نفسك..

أشار إلى الفراش باحتقار:

ـ استمتعتِ باللي حصل!.. بتهني نفسك أن الغبي المغفل بلع الطعم وفتح لك قلبه وعرى كل مشاعره؟!..

التفت مشيحاً بوجهه عنها وقد أعمى الغضب بصيرته فلم يستشعر صدق دموعها تلك المرة

وبدلاً من ذلك اقترب منها بقوة وهو يزمجر غضباً:

ـ كنتِ بتضحكي من جواكِ وبتسخري من مشاعري وحبي اللي قدمتهم عشان تعرفي قيمتك عندي.. وتتأكدي أني مش ممكن أبعد.. مبسوطة أن لعبتك نجحت.. والغبي رجع لك من غير ما تضطري حتى أنك تقولي بحبك ولو بالكدب.. أنتِ ايه!!

صرخ بالجملة الأخيرة وعاد ألمه يتصاعد مع صراخه:

ـ أنتِ ايه!.. ايه.. حجر.. حـــجر!!!..

حاولت مقاطعته بلمسة خفيفة على كتفه فانتفض كالملسوع وابتعد عنها صارخاً:

ـ لعبتِ بمشاعري.. وضغطِ قوي على الجرح.. اتأكدتِ أني هفضل عبد في محراب عشقك..

قهقه ساخراً وهو يصفق لها بكفيه قبل أن يتناول أقرب شيء ليده وكان تحفة نحاسية ضخمة فألقى بها نحو الجدار لتترك أثراً واضحاً خلفها.. وبدا واضحاً حدوث تصدع في الجدار القوي..

وقف يتأمل ذلك الأثر لثوانٍ قبل أن يهمس بألم:

_ حبي ليكي كان قوي.. ما كنتش متخيل أن أي حاجة ممكن تزحزحه.. أو تصدعه.. حتى وأنا بعيد.. وأنا بعرض الطلاق.. كنت عارف أن الحب جوايا أكبر.. لكن برافو يا مدام.. برافو حقيقي.. أنتِ نجحتِ في أنك تحطمي أقوى حب ممكن تقابليه..

ارتدى ملابسه على عجل متجاهلاً بكائها الذي تحول إلى نحيب متصاعد ومهدداً بنوبة هيستيرية قادمة.. وكلماتها تنطلق بلا رابط:

_ مازن.. أنت بتحبني.. أرجوك.. اسمع لقلبك لحظة واحدة بس.. أرجوك..

التقط مفاتيحه والتفت لها:

_ خلاص.. مازن قلبه مات.. برافو.. نجحتِ أخيراً..

****

انطلق مازن بسيارته وقد أعماه غضبه عن كل شيء.. لا يصدق أنها تلاعبت به بتلك الطريقة.. لم تكن تنوي الانتحار إذاً، بل كانت تلقنه درساً لأنه تجرأ وأعلن رغبته في الانفصال عنها.. لم تعترض ولم تجادله بل أثبتت له عملياً بأنه ملكها للأبد.. أوضحت له عجزه عن الابتعاد عنها أو نسيانها.. وهو تصرف كأحمق مثالي غافراً لها جريمتها بقتل ابنه وقبلها تمزيق كرامته إرباً.. فقط مقابل عودتها للحياة.. تنازل عن ثأره وعن دم ابنه المغدور ثمناً لرمشة من أهدابها ودقة من قلبها..

تباً.. تباً.. كم كان أحمقاً غبياً أعماه حبه عن خطتها الأساسية وتجاهل ما صرح به الأطباء عدة مرات أن سبب الغيبوبة الأساسي هو تداخل بين تأثير المهدئ وإحدى أدوية الحساسية..

لقد ظن بسذاجته وقتها أنها تعمدت تناول عدة أدوية مختلفة لتنهي حياتها نتيجة

ليأسها منها بعدما أخبرها عن رغبته بالانفصال..

لكم المقود بعنف وهو ينهر نفسه:

"قلبك الغبي هو السبب.. حبك حولك لعبد لها.. لعبة بتلعب بيها عشان تسلي نفسها وتثبت أنها دايماً المسيطرة.. أنك دايماً هترضخ لقلبك وضعفك ناحيتها"..

صرخ عقله به:

"لا.. لا.. انتهى.. مازن العاشق المتفهم انتهى.. من هنا وجاي هتشوف مازن تاني.. مازن هي السبب في وجوده.. ووقت الندم هيكون فات"..

****

خرجت لورا من الحمام بعدما انتهت إحدى نوبات الغثيان المؤلمة.. نوبات تكررت عدة مرات أثناء سفر حسن حتى قررت أخيراً التأكد مما يحدث معها..

وبينما جاء اختبار الحمل حاسماً مؤكداً حملها الطفل الثاني لحسن كانت مشاعرها مترددة بين الرفض والفرحة.. رفض لمزيد من الأغلال تربطها به، وفرحة بطفل جديد.. طفل تشعر أنه لها تلك المرة.. فمشاعرها تجاه منى الصغيرة تكاد تكون حيادية.. وكأن الأمر بيدها.. فكلما نطق حسن باسم منى يغرز بقلبها خنجراً ساماً يدميه.. حتى كرهت اسم ابنتها بل كرهت تواجد الفتاة الصغيرة حولها..
وتأكد شعورها ذاك خلال تلك الأيام البسيطة التي سافر حسن خلالها إلى موطنه.. لقد ظنت لوهلة أنها منحت فرصة لتعيد توجيه مشاعرها نحو ابنتها.. ولكنها لم تستطع.. فقط لم تستطع الشعور بأمومتها لها.. تشعر أنها ابنة حسن فقط.. تحمل كنيته واسم محبوبته.. إذاً هي كيان يمثل كل ما يبعد حسن عنها.. كل ما يمنعه من حبها..

عادت تردد.. حب!.. وهل حسن قادراً على الحب من جديد؟.. ألم يدفن قلبه جوار محبوبته الوحيدة.. ويطلق اسمها على ابنته حتى يمكنه ترديده في كل وقت..

ابتسمت بمرارة وهاجس مرير بأعماقها يخبرها بحسم:

"قلبه لم يمت.. بل كان في حالة سبات.. غيبوبة اختيارية.. وربما لا إرادية.. ولكنكِ تدركين جيداً أن ذلك القلب عاد للنبض من جديد.. وأنه ارتحل خلف تلك الفتاة المصرية وليس ليكون بجوار شقيقه كما زعم"..

هتف عقلها بمرارة:

"ولم لست أنا؟!.. إذا كان قادراً على الحب بالفعل لم اختارها هي؟!"

ليجيب القلب بحنين:

"ومتى امتلك الانسان اختيار من يهواه؟!.. أنتِ نفسك عاجزة عن حب ابنته, بل ابنتك.. فكيف تطالبينه بحبك؟!"..

كانت غارقة في أفكارها حتى أنها لم تدرك وصول حسن ودخوله إلى المنزل.. حتى وجدته أمامها يسألها بقلق:

ـ لورا.. هل أنتِ بخير؟..

انتفض جسدها لسماع صوته وأحاطت بطنها بيدها في حركة لا إرادية وكأنها تريد اخفاء طفله عنه.. ورفعت عينيها إليه باستفهام:

ـ بخير بالطبع.. ولما لا أكون؟.. متى وصلت؟..

هز رأسه بحيرة لموقفها الغريب:

ـ وصلت الآن.. ما بكِ؟.. تبدين غريبة!..

حركت رأسها بنفي وقرارها يتبلور بداخلها أكثر:

ـ أنا بخير تماماً.. كيف هي زوجة أخيك؟.. ألم تترك كل شيء خلفك وترحل من أجل أخيك.. أم كان هناك سبباً آخر؟..

رمقها للحظة يحاول معرفة ما يدور بذهنها قبل أن يقول:

ـ نيرة أصبحت بخير.. مرت الفترة الحرجة وغادرت المشفى..

صمت قليلاً:

ـ أنا متعب وأريد القليل من الراحة..

تحركت لتواجهه معترضة:

ـ حسن.. نحن بحاجة إلى الحديث!.

قطب جبينه بحيرة:

ـ حسناً...

سألته بصراحة:

ـ هل ذهبت إلى قبر منى؟..

أومأ موافقاً وقد لفته أمواج الحيرة مع الارهاق.. فسمع تنهيدة ألم تخرج منها وهي تسأل:

ـ إذاً منى ماتت بالفعل؟!..

بدا سؤال لا يحتاج اجابة فأكملت تتساءل ثانية:

ـ ماذا بعد؟..

ضيق عينيه وهو يخبرها:

ـ لورا.. نحن بالفعل نحتاج لحديث طويل.. ولكني متعب.. لنؤجل..

قاطعته هاتفة:

ـ كلا.. كلا.. لن نؤجل شيء.. فلنكشف كل الأوراق..

أغمض عينيه للحظات يحاول التحكم في المطارق التي تحطم عقله:

ـ أنا أريد العودة.. أريد لابنتي أن تكبر وسط أهلها.. على أرض بلدها..

كتفت ذراعيها ببرود:

ـ وإذا رفضت؟!

سألها بحيرة:

ـ لم؟..

هزت كتفها:

ـ ربما لأن عودتك تعني قدرتك على الزواج ثانية.. بينما هنا..

لم تكمل كلماتها فقط حركت كتفها ليصله المعنى كاملاً.. فهتف بها:

ـ ما الذي تحاولين قوله؟..

رفعت عينيها إليه لتسأله مباشرة:

ـ حسن.. هل تحمل مشاعر لصبا؟.. هل عاد قلبك للحياة؟..

تلعثم حسن قليلاً.. ثم تمالك نفسه ليصارحها:

ـ لورا.. حسناً.. أنا لم أرغب يوماً في ايلامك أو ايذائك.. أنتِ ستظلين على الدوام أماً لابنتي.. إنسانة كريمة وقفت بجانبي في أحلك لحظات حياتي.. ربما أبدو ناكراً للجميل وأنا عاجز عن مبادلتك مشاعر الحب.. و..

قاطعته بسؤال مباشر:

ـ هل تحبها؟..

هز رأسه بحيرة:

ـ لم تدفعيني لايلامك؟..

صرخت به:

ـ حتى أمتلك الأسباب لكراهيتك..

عنف لهجتها آلمه.. لم يرد أن يؤذيها.. أراد التمهيد للأمر.. ولكنها لم تنتظره عادت لتهتف بصرامة:

ـ أريد الطلاق..

هتف بها:

ـ لورا..

عادت تكمل:

ـ لن أتحمل الحياة معك وقلبك ينبض بحب أخرى.. لقد حاولت طوال السنوات السابقة وكان ما يعزيني أن ما يسكنك هو ذكريات.. أو شبح على أحسن الأحوال.. ولكن أن ينبض ذلك القلب لامرأة أخرى سواي.. امرأة نجحت في جرك خلفها عبر المحيط.. كلا.. أنا أرفض ذلك.. أريد الطلاق.. وسوف أترك لك ابنتك.. فهي طالما كانت لك وحدك..

صمتت لحظة لتحيط بطنها بيديها هامسة:

ـ أما أنا.. فسيكون لي ما يعوضني عن حب يائس لم يكن لي من البداية.. وتلك المرة سيكون لي وحدي...

****

دلف مازن إلى مكتبه تحيطه هالة من السيطرة وغضب مكتوم يحاول السيطرة عليه

بكل ما يمتلك من قوة إرادة.. ضغط زر الاتصال الداخلي مستدعياً سكرتيرته.. يريد اغراق نفسه بالعمل علّه يجد به دواءً لما حل به.. يحتاج لتغييب عقله لفترة حتى يهدأ الم قليلاً.. فما يشعر به من آلام قادرة على طحن أصلد الصخور وأكثرها قسوة.. قسوة تماثل قلب زوجته الميت.. قسوة كم يحتاج أن يمتلكها لينتقم منها.. ليسترد ثأره وثأر ابنه لن يغفر ولن يرحم تلك المرة...

تهادت سكرتيرته تتراقص خطواتها فوق حذائها ذو الكعب الشاهق.. واقتربت منه بشدة تضع بضع أوراق أمامه وهي تهمس بصوتٍ أبح:

ـ البوسطة.. حضرتك..

تشكل الامتعاض بداخله على الفور وكاد ينهرها ككل مرة تقترب منه بتلك الطريقة الفجة.. فهي منذ استلمت عملها كسكرتيرة له بعدما تزوجت سكرتيرته القديمة وهي تدأب على محاولة اغرائه والتقرب منه.. وهو كان

يصدها بقسوة.. وينهرها في كل مرة.. إلا أ
تلك المرة ويدها تزحف كالأفعى تتلمس أناملم
وتهمس:

ـ حضرتك شكلك تعبان قوي..

أومأ موافقاً ومستدرجاً اياها:

ـ فعلاً.. أنا تعبان قوي..

همست بلهفة:

ـ ألف سلامة..

سألها بخبث:

ـ عايزة راحتي؟!

اندفعت قائلة:

ـ أكيد.. اطلب أنت بس وأنا تحت أمرك..

اقترب برأسه منها هامساً بإغواء:

ـ اتجوزيني...

كان ردها شهقة مصدومة وهو يسحبها خلفه إلى أول مكتب مأذون شرعي..

بينما في مكان آخر كانت نيرة تمسك بيدها ورقة رسمية من مكتب ذلك المأذون تخبرها بوضوح.. أن زوجها اقترن بزوجة جديدة..

الفصل السادس والثلاثون

انتفض يزيد من نومه على صوت بكاء رامي فرمى الغطاء عنه وتوجه مسرعاً نحو غرفة الأطفال ليرفعه من مهده ويضمه لصدره محاولاً تهدئته ومحافظاً على اتصال بصري مستمر يطمئن به الصغير كما تعلم من علياء التي استيقظت هي الأخرى وجاءت خلفه على الفور لتراه يحاول تهدئة الصغير الباكي وقد علت وجهه تقطيبة غاضبة وبدت ملامح وجهه متوترة بقوة..

ذلك التوتر الذي صاحبه منذ أن أخبره الخبير الفرنسي بوضوح قاسي أن حالة رامي نهائية ولا أمل في المستقبل القريب لتحسن وضعه، ونصحهما الرجل بالتأقلم مع الوضع وتوفير سبل الراحة والتفاهم مع الصغير.. كانت كلمات الطبيب أقسى من أن يتحملها أي أب، ويزيد لم يكن بالأب العادي فهو مازال يخطو خطواته الأولى بمضمار الأبوة.. يصاحب ذلك احساس هائل بالذنب نحو صغيره..

احساس لا يعرف مصدره تماماً.. هل هو سوء اختياره لوالدته أو حرمانه من تلك الأم، كما أخبرته والدته منذ عدة أيام وهي تصر على عدم قدرة علياء على المساواة بين أطفالها وابن ضرتها المعاق.. كلمات مازالت ترن في أذنيه رغم استنكاره لها لحظتها، لكن ها هي الأيام تثبت صدق اعتقاد والدته فعلياء نائمة بينما رامي بُح صوته الذي لا يملكه أساساً من البكاء.. و..

قاطع صوت علياء تسلسل الأفكار الخبيثة بذهنه وهي تقترب منه لتحمل رامي وتضمه إلى صدرها ليتناول رضعته الليلية وهمست بخفوت:

ـ حبيبي الصغير صحي بدري ليه؟.. كبرنا وبقينا نجوع بسرعة ولا ايه!..

جلست على مقعدها المعتاد وهي ترضع أطفالها غافلة عن معالم الغضب على ملامح يزيد الذي لم يستعد توازنه بعد تيقنه من أن إعاقة ابنه دائمة وبات شديد الحماية والالتصاق بكل ما يخصه لذا انطلق إتهامه

لها على الفور وخرجت كلماته بدون أن تمر على عقله المشغول بكلمات أمه السامة:

ـ عايزة تفهميني أنه يهمك بجد وقلقانة عليه!.. لو ده صحيح ليه كنتِ نايمة وهو مفلوق من العياط؟!!!

رفعت علياء عينين مذهولتين ملئهما نظرات عتاب صارخة فهو منذ عادا من باريس وهو في حالة عصبية متفجرة وهي تقدر حالته النفسية تماماً وتتحمل عصبيته الزائدة وتصرفاته التي أنزلتها من سماء عشقه إلى جنون غضبه.. تقدر حزنه الأبوي والألم الذي يمزق روحه وهو عاجز عن مساعدة طفله ومحاولته الخرقاء لحماية الصغير من مجهول يترصده.. كل ذلك تستطيع استيعابه فهي نفسها تتألم من أجل الصغير وتوليه كل اهتمامها ولكن أن يتهمها ذلك الاتهام الجائر فهذا ما لن تقبله.. ولن تتحمله أبداً..

رمقته بنظراتها العاتبة وأكملت ارضاع الصغير حتى اكتفى تماماً ثم تحركت بهدوء غاضب تحت نظرات عينيه الحائرة لتقوم بتغيير الحفاظ

لرامي وتهدهده حتى راح في سبات عميق.. فدثرته بعناية قبل أن ترمق يزيد بنظرة غاضبة وتطفئ نور الغرفة وتتجه إلى غرفة نومهما يلفها صمت غاضب حزين بينما هو غارق في حيرته وأفكاره المتخبطة بشأن مستقبل الصغير ليفاجئ بصوت "أم علي" تناديه بهدوء وهي تقف على عتبة الغرفة:

ـ يزيد بيه..

انتفض على صوتها وخرج من غرفة الأطفال ليهمس متسائلاً:

ـ خير يا ست أم علي في حاجة؟..

ـ خير يا بيه.. أنا عملت لك كوباية ليمون.. تعالى بس اقعد في الفرانده وهدي أعصابك..

تحرك يزيد بلا إرادة منقاداً خلف السيدة الأكبر سناً حتى وجد نفسه جالساً يرتشف كوب الليمون المثلج و"أم علي" تثرثر بجوار أذنه كعادتها ومن وسط هذرها التقط عدة كلمات بدت أنها تريد ايصالهم له بطريق غير مباشر:

ـ النهارده كان تطعيم اسم النبي حارسه سي رامي.. تصدق يا بيه.. طول النهار عياط..

والست عليا ربنا يكرمها ما فارقتوش لحظة.. لحد ما ربنا هداه ونام.. عشان كده يا حبة عيني.. تلاقيها مرهقة وتعبانة قوووي.. و..

قاطع يزيد كلماتها وقد أدرك ما تريد قوله وهدأت أعصابه على الفور بعدما أدرك سخافة الاتهام الذي وجهه لحبيبته الغاضبة:

ـ خلاص يا ست أم علي.. فهمت قصدك والله..

ونهض ليتوجه إلى غرفته ثم عاد أدراجه ليهمس للعجوز:

ـ بس الحمد لله طمنتيني عليكِ.. أنا كنت بدأت أقلق على قدراتك الرادارية الخارقة!

ضحكت العجوز بخجل:

ـ ربنا يهدي لك نفسك يا بيه.. الا أصعب حاجة غواية النفس..

أومأ موافقاً وتحرك نحو غرفته ليدخلها بهدوء، وتردد حيث لمح علياء جالسة على الأريكة العريضة وقد ارتسم على وجهها علامات اللوم الشديد والغضب.. فتحرك ببطء حتى وقف أمامها مطأطئاً رأسه كالطفل

المذنب وذراعيه تهدلا بجواره وهمس باسمها بخفوت:

_ علياء..

رشقته بنظرة غاضبة ولم تجب.. فرفع كتفيه بحركة تدل على قلة حيلته وهمس لها:

_ أنا غبي.. واتكلمت من غير ما أفكر.. ده أنا.. أنتِ لسه هتعرفيني يعني..

جاورها ملتصقاً بها كما اعتاد فلفت وجهها للجهة الأخرى حتى لا تواجهه فهي مازالت

تشعر بجرح غائر بأعماقها إثر إتهامه لها بإهمال رامي..

ازداد التصاقاً بها وهو يلفها بذراعيه هامساً:

_ آسف والله يا علياء.. أنا غبي وأكبر غبي.. أعمل ايه.. حاسس أني هتجنن..أول مرة أحس أني متكتف.. عاجز.. قليل الحيلة.. نظرات رامي الحيرانة وهو مش قادر يتواصل معايا أو مع أخواته بتقطعني.. بتهز كل الثوابت جوايا.. لو أقدر كنت اتنازلت له عن

حاسة السمع عندي.. يا ريت كان ينفع.. أنا مش عارف ده عقاب ولا..

التفتت علياء لتواجهه بسرعة:

ـ ده اختبار.. اختبار من ربنا.. هدية بعتها لنا يدخلنا بها الجنة.. نعترض ونتعصب ولا نقول الحمد لله ونحافظ على نعمته..

هز يزيد رأسه بحيرة وهو يضمها لصدره برقة

ـ أنتِ ازاي كده!.. أنتِ كتير عليَّ قوي.. أنا بحبك قوي يا علياني.. بحبك قوي وآسف قوي.. أنا غبي والله غبي..

ضحكت علياء برقة وهي تنهره بخفة:

ـ لو سمحت.. ما تقولش على حبيبي غبي..

زاد من ضمها لصدره وكأنه يريد ادخالها إلى حنايا قلبه وأخذت أنامله تعبث في خصلاتها برقة وهو يردد:

ـ يا ريت كنت حسمت الموضوع من زمان قبل ما يتظلم رامي بالطريقة دي.. لو كنت رفضت وجود أي أولاد..

أسرعت علياء بوضع أناملها على شفتيه لتمنعه من اكمال كلماته:

ـ اوعى تقول كده.. بقولك رامي هدية ربنا لنا.. وهيكبر وهكون أحسن من أي حد..

ثم حركت أناملها لتداعب صدره برقة هامسة:

ـ أنت بس حاول تخفف من قلقك عليه.. لازم يكون تعاملك معاه طبيعي.. عشان تتعود يا يزيد.. مش عايزينه يحس أنه وضعه مختلف..

نظر إليها بتردد.. فأردفت هي:

ـ ايه؟.. عايز تقول حاجة؟..

تردد لحظات قبل أن يقول:

ـ اممم... أنا كنت بفكر ننقل سريره في أوضتنا.. فترة بس لحد ما يكبر و..

التفتت علياء نحوه لتحيط وجهه بكفيها:

ـ يزيد.. أنت لسه بتفكر في الكلام اللي قلتهولي.. لسه فاهم أني مقصرة في حق رامي..

هز رأسه بخجل:

ـ لا.. أنا متأكد أنه بالنسبة لك زي حمزه وحازم.. أنا.. بس.. بس كنت عايز أطلع طاقة غضب من جوايا.. آسف جت فيكي.. مش بقولك غبي.. حظك كده.. يكون ليكي جوز متهور وغبي..

ثم اقترب من وجنتها ليقبلها بشوق:

ـ وبيموووووت فيكي..

ضحكت برقة وراوغت شفتيه لتهمس:

ـ شوية جد الأول يا يزيد..

جلس مكتفاً يديه بأدب:

ـ أنا تحت أمرك..

ـ نتكلم جد الله يخليك.. أنا كنت عايزة أنبهك لنقطة مهمة..

قطب حاجبيه بقلق:

ـ خير؟..

ـ الولاد يا يزيد.. الولاد حاسين أنك مهتم برامي.. بصراحة من وقت ما رجعنا من باريس وأنت حتى ما قعدتش مع الولاد ولا لعبت معاهم.. أنا مش عايزة واحد من الولاد يقول اشمعنى..

أخفض رأسه هامساً:

ـ عندك حق.. بس أنا عايز الأولاد يستوعبوا حالة أخوهم.. لازم هما يكونوا سند له.. أنا كبرت لوحدي وأنتِ كماه.. بس الحمد لله ربنا بارك لنا في الأولاد عايزهم دايماً سند لبعض..

ضمت رأسه لصدرها بحنان وهي تداعب خصلاته بلطف:

ـ ولا يهمك.. أنا هحل الموضوع ده.. بس رجع لي يزيد تاني.. حبيبي المجنون.. مش المتهور..

أكمل لها:

ـ الغبي..

وكزته في كتفه بدلال وهي تتصنع الغضب فأسرع يزيد ليختطفها من فوق الأريكة ويحملها بين ذراعيه ليراضيها ويصالحها كما اعتاد دائماً.. وفي الواقع كان يصالح نفسه..

****

غرق حسن لقمة رأسه في تصفية أعماله بباريس وفض الشراكة مع غسان الذي حاول إقناعه كثيراً بترك الأمور كما هي حتى تستقر أحواله بمصر، فربما يقرر الرجوع إلى باريس في آخر المطاف.. ولكن حسن كان قاطعاً في رأيه وقراره كان العودة لبلده حتى يبدأ رحلته لاكتساب قلب العنيدة التي ترفض بإصرار استقبال مكالماته الهاتفية أو حتى الرد على رسالة واحدة من مئات الرسائل التي يرسلها

يومياً.. وهو الذي يكاد يحرق الهاتف مكالمات ورسائل حتى أنه لم يجد طريقة للاطمئنان عليها ومعرفة أخبارها سوى ما يلتقطه من كلمات متفرقة من يزيد الذي أشبعه سخرية وتأنيب..

كم يرغب في العودة ولو ليومين فقط ليراها.. ليسمع منها كلمة تروي ظمأ روحه المتعطشة لقطرة من جنون روحها الجامحة المشاعر, ولكنه يريد انهاء كل متعلقاته بباريس قبل أن يخطو أي خطوة جدية بشأنها.. يريد أن يتقرب منها بطريقة صحيحة كما تستحق غالية مثلها وكما تملي عليه مشاعره القوية نحوها...

أما لورا فقد نفذت القرار الذي اتخذته فور اعلامه به وفي نفس يوم وصوله من القاهرة.. لم تنتظر ساعة إضافية بعدما جمعت كافة متعلقاتها من المنزل.. مخبرة إياه باقتضاب أن أمر الطلاق والتسوية المالية وحضانة منى سيتولى أمرها المحامي الخاص بها.. وبالفعل وصلته الأوراق في اليوم التالي

وبدأ في اجراءات انهاء شراكته مع لورا كما أنهى شراكته مع غسان..

نعم.. فهو يرى الآن بوضوح أن علاقته بلورا كانت أشبه بعلاقة تجارية بحتة.. ربما قدمت هي مشاعرها خلالها.. ولكنه فقد روحه وذاته ليستطيع الاستمرار..

لم يكن من السهل أبداً على رجلاً مثله يقدس المشاعر الرقيقة والحب الراقي أن تتلخص علاقته بزوجته في دقائق تقضيها بين أحضانه يستهلكان بها مشاعر حسية ملتهبة سرعان ما تنطفئ فور انتهاء الحاجة.. خاصة وقد عاش حالة من الحب الناعم مع منى.. اختبر فيها أرق وأسمى المشاعر..

كان يشعر أنه تحول في فترة زواجه من لورا إلى مسخ مشوه, إنسان آلي يعيش حياة ميكانيكية رتيبة.. حياة منزوعة الروح.. كان يقوم بما يطلب منه وفقط.. حياة مرسومة كتصميم هندسي بارد.. حتى هبت عليه نسمة عشق رائقة, كلا.. لم تكن نسمة بل اعصار.. اعصار اقتلع المسخ من داخله لتعود

المشاعر الإنسانية تطفو على السطح مرة أخرى.. صبا.. كم يبدو رائع اسمها مثلها تماماً.. كتلة الشوق الصغيرة، بل كتلة العِند.. فهي تعانده ولا يعلم هل تعاقب أم ترفض.. أم تخاف..

توجه إلى غرفة صغيرته التي اضطر إلى استئجار مربية لرعايتها أثناء ساعات النهار.. بينما يتولى هو متعة الاعتناء بها بعد عودته من العمل..

صرف المربية وتحرك ليحمل صغيرته التي أعلنت عن ترحيبها به مطلقة عدة كلمات بلا معنى.. ومصفقة بيديها بسعادة وهو يحملها على ركبتيه ليحادثها عن أحداث يومه كما اعتاد.. وأخيراً بدأ يقص عليها إحدى قصص الأميرات واللاتي تعلمهن خصيصاً من أجل مليكته الصغيرة.. ولكن تلك المرة وجد لسانه يروي لها قصة مختلفة تماماً..

"الليلة هتكون حكايتنا عن أمير.. مش أميرة.. ايه رأيك نسميه حسن!.. وحسن كان

أمير سنه صغير.. كان فاهم أنه ممكن يملك الدنيا بإشارة من ايده.. وأما قلبه اتفتح للحب.. حب بنوتة جميلة رقيقة.. بس للأسف.. رقتها وأدبها ما كانوش كافيين عشان أبوه الملك العظيم يوافق عليها زوجة للأمير.. لكن الأمير قرر يحارب الدنيا عشان حبيبته.. اتجوزها.. وأخدها بعيد.. عاشوا في سعادة وتبات ونبات.. بس يا خسارة.. اتخطفت حبيبته منه.. خطفها الموت.. والأمير ما قدرش ينتصر المرة دي.. وبعدين يا حبيبة بابا.. الأمير دخل في كهف ضلمه.. كهف

اتحبس فيه سنين.. سنين كان غايب فيهم عن الحياة.. بيتحرك بخيوط الواجب.. كان الكهف بارد قوي يا مني.. بارد لدرجة أن قلب الأمير اتحول لبللورة من صقيع.. كان قدامه وقت بسيط قبل ما يمتد الصقيع ده وينتشر في كل حتة جواه.. كان بيستنى بسبب ركن دافي صغير في أبعد مكان في الكهف.. لحد ما في يوم سطعت شمس قوية.. ضحكة دافية عارفة طريقها.. اتجهت لبللورة الصقيع.. دوبتها.. نشرت الدفا.. والحب والصبا.. وبعدين...

نظرة خاطفة منه إلى طفلته وجدها تغط في سبات عميق فحملها برقة إلى غرفته لتنام بجوار قلبه علّه يستمد بصيصاً من دفئها حتى يعود إلى شمسه الساطعة..

ضمها إلى صدره هامساً..

"خلاص يا منمونتي.. كلها كام يوم ونرجع لبلدنا.. يمكن الظروف أجبرتنا أنك تكبري بعيد عن مامتك، لكن صدقيني أنا اخترت ليكي أروع أم.. هي أكتر واحدة ممكن تحس باللي جواك لأنها عاشت نفس الظروف وأكيد هتقدر تعوضك وتبعد عنك شبح الحرمان.. بس هي توافق.. ادعي معايا يا منمونتي أنها توافق بسرعة وما تتعبش قلب بابا كتير.. قلب بابا عايز يوصل لنهاية الحدوتة..

****

ظلت صبا وعلياء تقرعان باب غرفة نيرة بلا جدوى.. فهي كمنت بفراشها وقد احتضنت ركبتيها بذراعيها وبسطت أمامها عدة أوراق تنظر إليهم بتشوش حائر ودموعها حبيسة

مقلتيها تتماوج بداخلها آلاف الأسئلة الحائرة..

أبرزها جميعاً.. لم يفعل بها ذلك؟.. لم وقد استيقظ قلبها الغافي ليتعلم حبه؟.. لم وقد أرادت بداية ناصعة نظيفة معه؟... من أين يأتي بتلك القسوة الرهيبة

فيرسل لها إشعار زواج تلو الآخر.. فلم تعد تدري الآن كم امرأة غيرها على ذمته.. أم لعله الآن تخلص منها تماماً ولم تعد زوجة له..

هزت رأسها بأسى وهي تدرك استحالة حدوث ذلك فهو يستمتع بإرسال تلك الإشعارات لها.. يتلذذ بانتقامه حتى الرمق الأخير.. ولكن متى يكتفي؟.. متى ينتهي ذلك الانتقام الذي يسبب الأذى الأكبر له هو.. لاسمه وسمعته ومركزه..

هي تحاول إخفاء الأمر عن الجميع.. حتى صبا وعلياء لم تعلما بما حدث.. فقط حدوث خلاف شديد بينهما وعودتها وحدها من الساحل في سيارة صبا.. ذرفت الدمع طوال

الطريق ثم توقفت بعدها.. توقفت عن كل شيء.. الدموع.. الطعام والشراب.. الحياة.. ولو استطاعت لتوقفت عن التنفس.. فقط تنتظر جرس الباب الذي يحمل معه كل مرة إشعار بزيجة جديدة ليمنح زوجها لقب المزواج العابث بجدارة..

تباً.. ضربت الفراش بقبضتها وهي تنفض عن نفسها الجمود.. كلا.. لن تقف صامتة وتتركه يدمر حياته وحياتها معه.. يجب أن تتحرك.. أن تفعل شيئاً.. ولكن ماذا؟.. هو لن يوافق

على رؤيتها.. وهي امتنعت عن الذهاب إلى الشركة منذ شجارهما..

"تباً.. تباً.. ماذا..

فكرة خاطفة ضربت رأسها.. وتحركت بسرعة لتنفذها قبل أن تعاود التفكير مرة أخرى فيصيبها التردد والجبن...

فُتح باب غرفتها فجأة وخرجت وهي بكامل زينتها مما جعل علياء وصبا تفغران فمهما ذهولاً فتلك المرأة المشرقة أمامهما لا تمت

بصلة على الاطلاق لتلك الذابلة المختفية داخل غرفتها طوال أسابيع..

التفتت إلى علياء لتسألها:

ـ عليا.. أوصفي لي مكان فيلا دنيا..

غمغمت علياء ببلاهة:

ـ دنيا؟.. دنيا!!..

هزت نيرة رأسها بنزق فتراقصت خصلاتها المشتعلة حول وجهها:

ـ أيوه بسرعة.. عايزة ألحق مازن هناك..

أخبرتها علياء بالعنوان فانطلقت من فورها بدون أن تفسر أي من تصرفاتها لأختها وصديقتها فكل ما يعنيها أن تلحق به الآن.. فهي تحاملت على كبريائها واتصلت بدنيا لتعرف مواعيد وجوده لرؤية ابنته.. وكم كانت سعادتها عندما أخبرتها دنيا ببساطة:

ـ هو موجود دلوقتِ هنا..

ثم أردفت بحسم:

ـ هعطله على قد ما أقدر.. تعالي بسرعة وحلوا المشكلة.. لأن اللي قدامي ده مش مازن اللي عرفته أكتر من ست سنين..

وها هي تسابق الزمن للوصول إليه في منزل غريمتها مدركة أن أزمتها الأساسية معه هو وليست مع وقت وصولها ومكانه..

****

تهالكت علياء بتعب على الأريكة الكبيرة التي يفترشها يزيد وعلي وهما يتشاجران معاً حول لعبة ما يلعبانها على البلايستيشن.. بينما أدهم يراقبهما بجذل.. سحبت ذراع اللعبة من يزيد وهي تلقي برأسها على فخذه هامسة:

ـ صاحبك مجنون..

ابتسم بشقاوة وهو يعبث بخصلاتها الطويلة ويحررها من عقدتها:

ـ بس مش أجن مني.. صحيح صاحبي مين فيهم؟..

صرخت علياء مستاءة من عبثه بشعرها بينما أنضم إليه أولاده في موجة من اللعب

الصيباني كان الضحية بها شعر علياء الذي تناثر بجنون مما أثار جنون يزيد فقبض على خصرها هامساً:

- تعالي.. عايزة أحكي لك على موضوع مهم..

قبل أن توبخه على جنونه تعالى صراخ نادية وهي تبكي بشدة:

- لولو.. يزيد.. دم.. دم..

وطارت كالقذيفة لتستقر بين أحضان والدها باكية:

- بابا.. دم..

رمقها بذهول هلع.. "بابا".. و"دم".. الكلمتان في نفس الجملة..

كانت علياء الأسرع فتحركت بسرعة لتأتي بعدة الإسعافات التي لا تستغني عنها أبداً فعبث أطفالها لا ينتهي..

بدأت تمسح الدماء من وجه ابنتها وتطهر الجروح المنتشرة بوجهها هامسة بقلق غاضب:

ـ عملتِ ايه يا نادية؟..

أجابت الطفلة باكية:

ـ كنت بحلق دقني زي بابا..

كان ذلك دور يزيد ليهتف بها:

ـ ايه!!.. دقنك ايه؟.. أنتِ ازاي تعملي كده؟.. هو أنتِ عندك دقن عشان تحلقيها؟..

هزت الفتاة رأسها وهي تبكي:

ـ لا مش عندي.. الولاد بس.. ماما قالت كده..

غمغم يحاول التمسك بحبال الصبر:

ـ طيب ليه تعملي كده يا ندوش؟..

رمقته بعيون بلون السماء كعيني أمها تماماً:

ـ عشان أبقى ولد وتحبني زي رامي..

أسقط في يد يزيد وقد صفعه ما كانت علياء تحاول لفت انتباهه له وهو يعدها مرة تلو

الأخرى بمراعاة مشاعر باقي أولاده وفوجئ بعلي يرد بعد اقتناع:

ـ رامي تعبان يا ندوش..

هزت نادية رأسها برفض:

ـ لأ.. هو مش تعبان.. مش بياخد حقنة ولا دوا..

رمق يزيد علياء بنظرات مستغيثة.. ها هو ما حذرت منه يطفو على السطح.. علي ونادية يشعران بالغيرة من أخيهما المريض, بل يكذبان مرضه.. وصغيرته.. مدللته كادت أن تشوه وجهها الجميل لتستعيد حب والدها..

يا الهي زفر بخوف بينما يحتضن الصغيرة داخل صدره هامساً بألم:

ـ علياء..

تولت علياء الزمام على الفور.. فتحركت لترفع ولديها على ركبتيها:

ـ بصوا.. احنا هنلعب لعبة.. وبعدها نتكلم سوا..

ثم تناولت قطع من القطن الذي كانت تضمد به جروح ابنتها وبدأت تضعها بحرص داخل آذان أطفالها ثم وضعت قطعتين لنفسها وناولت قطعتين ليزيد ليفعل المثل, ففعل على الفور وقد استوعب فكرتها..

ظل الجميع على ذلك الوضع طوال ساعتين كاملتين.. بدأ الأطفال بعدهما بالتذمر والبكاء.. فهم غير قادرين على التواصل مع بعضهم أو حتى مع والديهما..

نزعت علياء قطع القطن ثم نظرت لابنائها بحنان:

ـ شوفتوا ازاي صعب الانسان يعيش من غير ما يسمع.. اهو ده بالظبط التعب اللي عند رامي.. عرفتوا ليه بابا بيخاف عليه؟.. مش لأنه بيحبه أكتر.. لأن رامي محتاج وجودنا وحمايتنا كلنا.. فهمتوا يا أولاد..

ارتمت نادية باكية بين أحضان والدها وهي تغمغم عن أسفها وحبها لرامي.. بينما هتف علي بعزم:

ـ رامي أخويا وأنا هحميه.. أنا قوي..

بينما اكتفى أدهم الصغير بكلمات متكسرة:

ـ دومه هب يامي "أدهومه بيحب رامي"..

مد يزيد ذراعه ليضم علياء بجوار ابنته الباكية وشفتيه تردد بخفوت:

ـ ربنا يخليكي ليا..

بينما انسابت دمعة غادرة من جانب عينيه...

****

أزعج رنين جرس الباب المتواصل صبا التي جلست تطالع إحدى الكتب التربوية عن تربية الأطفال.. مبتعدة عن مجموعتها الخاصة من الروايات الرومانسية.. فيكفيها حالياً جنون حسن الذي يعصف بها في كل لحظة من اليوم تقريباً فهو لا يكف عن ارسال الرسائل أو المكالمات حتى ظنت أنه قد يخرج لها من شاشة الهاتف مخاطباً قلبها القاسي ليحن على ناسكه المسكين..

توجهت نحو باب الفيلا لتفتح الباب بنزق فمن سيأتي لزيارتهم في العاشرة ليلاً.. من المستحيل أن تكون نيرة فهي تركتها منذ أقل من ساعة لتتوجه لمنزل دنيا.. فمن يكون ذلك السخيف الذي...

_ حسن!!!..

جاءت شهقتها الذاهلة لتقابلها بسمته الواسعة وقد اتكأ بكتفه على مدخل الباب يحمل ابنته على كتفه.. وعلى الكتف الآخر حقيبة تبدو خاصة بالطفلة.. وتعطيه مظهراً فكاهياً بلونها الوردي الرائق المناقض لرجولته النابضة..

لم تترك نفسها للذهول بل صرخت به غاضبة:

_ أنت أكيد اتجننت!!.. ايه اللي جابك هنا؟.. وفي الوقت ده؟..

رفع حاجبيه بذهول مفتعل لاستقبالها الغاضب وردد بشقاوة وكأنها كانت تسأله عن أحواله:

ـ الله يسلمك يا حبيبتي.. كانت رحلة متعبة.. لسه واصل من ساعة، يا دوب حجزت الفندق.. وجيت عشان أطلب ايدك من عمي عامر..

ثم غمز بعبث:

ـ أنا مش هضيع لحظة زيادة.. لازم تكوني في حياتي.. ورسمي..

الفصل السابع والثلاثون

لما أنتِ.. لما الآن

انفجار يحدث لا أعلم له سبب أو جواب

قلبي يدق من جديد

مشاعري تنتفض وعروقي تشتد لأجلك يا

صغيرة

لماذا أنتِ وحدك من تثيرين بقلبي الزوابع

يا صغيرة حائر أنا ولا أعلم على أي شاطئ

ارسي قلبي

هل شاطئ عينيكِ أم ماضيّ الذي اتشبث به

كالغريق

خاطرة الفصل بقلم

هند شريف

ـ أنا مش هضيع لحظة زيادة.. لازم تكوني في حياتي.. ورسمي..

هتفت به ذاهلة:

ـ ايه!!..

اقترب برأسه منها وهو يخبرها ببطء وكأنه سيتهجا حروفه:

ـ هـــــطـــــلـــــب... إيـــــدك..

توسعت عيناها بذهول وأخذت تحرك شفتيها عدة مرات محاولة تكوين أي كلمات لها معنى ولكن بلا جدوى.. تبا لحالة البلاهة التي تصيبها بحضوره..

وللدقة تصيبها فقط عندما يخصها بتلك النظرات الناعمة بعينيه والتي تشعرها باحتواء وأمان تام.. وكأنه يضمها بين جفنيه مبعداً عنها شرور الدنيا وآلامها..

هربت بعينيها منه محاولة قطع خيط التفاهم
الذي يربطهما فمهما كانت حالة الغيبوبة التي
تسببها لها نظراته وحتى لو قفز قلبها الآن
مهللاً بعودته ورقصت أعماقها طرباً بعرضه
إلا أن عقلها سيسطر على الوضع فوراً نابذاً
تلك المشاعر والأحاسيس والتي لا تسبب
خلفها إلا الدمار والألم..

حاولت الرد عليه بقسوة وانهاء الأمر ليسبقها
صوت والدها الذي أتى من خلفها مرحباً
بحسن:

ـ مين؟.. حسن!.. معقولة!.. أهلاً.. أهلاً..
اتفضل يا بني..

ثم التفت إلى ابنته المسمرة في مكانها:

ـ ايه يا صبا!.. أنتِ سايبة حسن على
الباب.. اتحركي يا بنتي خليه يدخل..

رفع حسن عينيه عنها بصعوبة عندما وصله
صوت والدها.. فقد أغرقته نظرات عينيها
التي توالت بها مشاعر شتى.. فرح.. شوق..
سعادة لتنقلب سريعاً وفجأةً إلى حزن وألم
ورفض تام... رفض ميزه على الفور وأثار

قلقه بقوة.. ولكنه لن يثنه عن عزمه.. هي له.. حتى لو اضطر لمحاربتها هي شخصياً لينال قلبها العاصي..

تحركت صبا مبتعدة عن الباب استجابة لكلمات والدها.. بينما تحرك حسن محيياً الرجل الأكبر سناً بمودة بالغة:

ـ أهلاً بحضرتك يا عمي.. أنا آسف أني جاي في وقت متأخر..

قاطعه عامر بمودة:

ـ ما تقولش كده يا حسن.. ده بيتك.. وأنت عارف معزتك عندي..

قالها الرجل بتأكيد وكأنه يحاول رفع الحرج عن حسن, بينما لمعت عينا صبا بتعجب فموقف حسن من نيرة قديماً وما فعله بها كان مؤلماً فكيف يستقبله والدها بكل الود والترحاب هكذا, ولكن ما لا تعلمه هو زيارة حسن لوالدها منذ سنوات وبالتحديد عند عودته من شهر عسله ليعتذر لعامر بشدة موضحاً له ما قامت به نيرة ونيتها لاتهام منى بالسرقة

وتهديدها لها، شرح له محاولاته العديدة للتفاهم معها وما كان يقابلها من استمرارها في عِندها ومحاولة السيطرة والاستحواذ عليه.. أظهر عامر تفهماً حزيناً فهو كأب أراد لابنته زوج مثل حسن، ولكنه النصيب كما يقولون.. ولم ينسَ حسن يومها وهو يودع الرجل الأكبر أن يهمس له بصدق عشق مازن لنيرة.. وأن ما فعله بالحفلة لم يكن بناء على خطة مسبقة أو اتفاق ما، ولكنه تحرك يدفعه قلبه وعشقه لنيرة وأن ذلك سبب أكثر من كافي لاستحالة ارتباط حسن بنيرة..

لمح حسن نظرات الدهشة والامتعاض بعينيها الجميلتين وفهم ما يمر بعقلها بعدما لمست دفء ترحاب أبيها له، ربما ظنت أنه يجدر به إلقائه في الطريق بدلاً من دعوته إلى العشاء.. تلك الدعوة التي كان أبوها يتفوه بها لتوه وقبل أن تخرج كلمة واحدة من شفتيها رداً على دعوة والدها فوجئت بحسن يضع طفلته بين يديها برقة شديدة، ثم يتبعها بالحقيبة الوردية ليعلقها على كتفها.. بينما تنطلق كلماته ببراءة شديدة:

ـ لو سمحتِ يا صبا تخلي بالك من مني.. عايز

عمي عامر في كلمتين..

ثم رفع عينيه نحو الرجل مرتبكاً:

ـ ده بعد إذنك.. طبعاً يا عمي.. ويا ريت

نأجل دعوة العشا لمرة تانية..

أومأ عامر موافقاً وتقدم حسن نحو غرفة

المكتب بينما حسن يتبعه بصمت ونظراته معلقة

بتلك التي تحمل ابنته برقة شديدة وقد فتن بذلك

المشهد وبأعماقه وعد نفسه أن تكون صبا

ببيته في أقرب وقت.. ظهر تصميمه على

ملامحه وتبادل معها النظرات وكأنه يخبرها..

"نعم.. سأفعلها ولن أتراجع.. ستكونين

لي"..

بينما نظراتها تصرخ بعنف وتوسل في وقت

واحد..

"مـــــــــــــــــــــــــــــــــــج

ـــــــنوووووووون"..

دلف عامر يرافقه حسن إلى غرفة المكتب وأغلق الباب بهدوء ودعا حسن للجلوس وقد ظن لوهلة أنه يريده كوسيط ليعود إلى العمل بالمجموعة.. ولكن كلمات حسن فاجئته عندما أخبره بهدوء وثقة:

ـ عمي.. أنا كنت جاي عشان أطلب من حضرتك إيد صبا..

توسعت عينا عامر بذهول وارتسم العجب بكل إماراته على وجهه.. فهو لم يظن للحظة أن ذلك سبب زيارة حسن.. حتى عندما استشعر التوتر الذي أصاب ابنته منذ أن رأت حسن بالباب.. لم يفكر في امكانية تبادلهما لأي مشاعر سوى النفور والكراهية.. فصبا أخت نيرة.. هل من الممكن أن يكون حسن هو السبب وراء شرود ابنته الصغرى مؤخراً..

قبل أن يرد عامر بكلمة تعبر عن ذهوله.. عاد حسن ليتولى دفة الحوار:

ـ عمي.. أنا عارف حضرتك بتفكر في ايه دلوقتِ.. بس اسمح لي أوضح شوية حاجات..

قاطعه عامر بهدوء:

ـ تطلب ايدها!.. كده بدون أي مقدمات؟..

أومأ حسن:

ـ زي ما كنت بقول لحضرتك.. في نقط لازم أوضحها.. أولاً.. أنا كل ارتباط لي بفرنسا أنهيته تماماً.. وأنا قدام حضرتك راجل حر.. وأيوه أنا بطلب إيد صبا.. أنا طول عمري مش بحب اللف أو الدوران على الحقيقة.. والحقيقة أني عايز صبا تكون زوجة ليا.. ده غير أني دلوقتِ أب.. عندي بنت صغيرة ومتفهم خوف حضرتك.. أنا بحاول أفكر لو أنا مكان حضرتك دلوقتِ.. ممكن أقوم اضربني مثلاً..

ابتسم عامر ليشاركه حسن الابتسام وهو يتخيل من يحاول طلب منى للزواج مستقبلاً.. قبل أن يكمل:

ـ عمي.. أنا مش طالب ارتباط في التو واللحظة.. عارف كويس أن صبا محتاجة مني قوة اقناع.. يمكن الظروف كلها ضدي.. لكن أنا مُصر أنها تكون مراتي.. أنا بس حبيت آخد موافقة حضرتك.. لأني ما اتعودتش اعمل

حاجة في الضلمة.. وأنا عايز أقرب من صبا عشان...

قاطع عامر كلماته بسؤال حاسم:

ـ بتحبها؟.. بتحب صبا بنتي؟..

أومأ حسن وقد ظهرت مشاعره العاصفة بعينيه وقد عجز عن اخفائها:

ـ بحبها.. بحبها بكل عنفوان ونضوج وجنون رجل عدى التلاتين..

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتي عامر ولكنه أعجب بصراحة حسن الذي استوعب مخاوفه كأب على الفور.. وعاد عامر يردد:

ـ عدى التلاتين.. بالظبط.. أنت عارف فرق السن قد ايه؟..

ابتسم حسن بتفهم:

ـ 11 سنة..

عاد عامر يردد:

- ايوه يا حسن.. 11 سنة.. مش شايف أنهم كتير؟..

ابتسم حسن وأجاب بثقة:

- مع المشاعر اللي جوايا لها.. مش هيكون السن مشكلة.. صبا رغم نضوج تفكيرها اللي يبعدي سنها.. وده شيء لمسته في تصرفاتها إلا أنها جواها طفلة محتاجة حب الزوج وحنان الأب.. وأنا أوعد حضرتك أني أقدمهم لها...

ارتسمت على وجه عامر علامات الشجن والسعادة معاً لما لمسه من تفهم وادراك من حسن لطبيعة صبا الهشة.. فهو يتفهم نفسية ابنته الخائفة من الحب وجنونه وآلامه.. يدرك انغلاقها على نفسها وابتعادها عن أمور القلب فهي ترى فشل زواج والديها رغم ما تلمسه من عشق يطحن قلبيهما ومعاناتها لتتأقلم مع ظروف حياتهما الغريبة والشائكة وهي ترى ذبول والدها وانهزامه أمام حب تملكه وهو لم ينجح في التعايش معه, يقابله هروب فريدة الدائم من العودة إلى مصر أو

حتى اللقاء به والتظاهر بتقبل وجوده.. وأخيراً عاشت مع نيرة معاناتها مع زوجها المجنون.. نماذج شائكة تنفرها من الحب والمشاعر بشكل عام..

ارتسمت ابتسامة مؤازرة على شفتي عامر وهو يردد:

ـ صبا عنيدة.. مش هتسلم بسهولة..

تنهد حسن بارتياح وهو يتسلم موافقة عامر الضمنية قبل أن يردد ببساطة:

ـ وأنا مش هستسلم أبداً ومش هرتاح إلا وهي في بيتي..

صمت للحظة قبل أن يردف بتصميم:

ـ ممكن أتكلم معاها؟.. نص ساعة بس..

أومأ عامر موافقاً وتحرك من خلف مكتبه ليستدعي صبا وقبل أن يخرج ربت على كتفي حسن:

ـ أنت غلطت بس في نقطة واحدة.. أنا كأب دلوقتِ مش عايز اضربك, بالعكس.. عايز

أسلم عليك.. وأقولك.. أني ما اتمناش لبنتي زوج أفضل منك..

ثم تحرك ليسلم عليه بالفعل مردداً:

ـ صبا.. أمانة بين ايديك وأنا مطمن عليها معاك.. خد منها موافقة مبدئية.. ونقرى الفاتحة الليلة..

ابتعد عامر سريعاً وقد ترقرقت الدموع بعينيه واستدعى صبا التي أتت مهرولة حينما وصلها صوت والدها المشحون بمشاعر عدة وقد ظنت أن حسن أثار ضيقه، بينما عامر ما أن لمح معالم وجهها المهددة لحسن والتي تنذر بقرب ارتكابها لجريمة قتل المسكين، حتى ابتسم بداخله متمنياً التوفيق لصهره الشاب والتفت نحوه بغمزة هامسة:

ـ الحرب ابتدت..

بينما ابتسم حسن بحنان وهو يرى ابنته وقد تعلقت بعنق صبا بينما أناملها الصغيرة تعيث فساداً في الخصلات الكستنائية الطويلة..

التقط عامر الفتاة الصغيرة من بين ذراعي ابنته وهو يهمس لها بإغاظة:

ـ تعالي يا شقية عشان اتعرف على حفيدتي الجديدة..

خرج مسرعاً مع منى الصغيرة وترك صبا بمواجهة حسن الذي اشتعلت عينيه بمشاعر عاصفة وهو يهمس:

ـ محظوظة بنتي!..

كتفت صبا ذراعيها وهي تقف مواجهة لحسن ونظرات التحدي تنطلق من عينيها.. فتقدم منها بهدوء ليركز عينيه ذات اللون الغريب عليها وقد رقت نظراته للغاية ولكن لم يختفِ

منها التصميم فأخفضت عينيها هرباً من مشاعره المستعرة والتي تكاد تنطق بها عينيه لتفاجئ به يفك يديها ويتناول كفها جاذباً اياها لتجلس بجواره على الأريكة الواسعة المتصدرة الغرفة، بينما بداخلها تنتفض فزعاً من تأثيره المخدر على قوة إرادتها ومقاومتها، فهي كانت تخطط للصراخ عليه بل وطرده ولكنها تجد نفسها الآن جالسة بجواره ورموشها مسدلة خجلاً مما تراه في عينيه وكفها يرقد هانئاً سعيداً بين كفيه الكبيرين..

حاولت استرجاع قوتها المسلوبة لتهتف بصوت خرج ضعيفاً برغم محاولتها وضع كل ما تملك من شراسة به:

ـ أنا مش موافقة اتجوزك!

شد على كفها فالتفتت لتواجهه رغماً عنها وهو يسألها:

ـ ليه؟..

قطبت وهي تردد:

ـ هو ايه اللي ليه!.. مش عايزة.. يعني مش عايزة!

ابتسم وهو يستشعر شراستها ويسأل مستفسراً:

ـ الرفض ده بشكل عام ولا موجه لي أنا بالذات؟..

رمشت بعينيها بارتباك وهي تتمتم:

ـ أنا.. أنت..

قاطعها:

- أنا أنهيت كل ارتباطاتي في باريس قبل ما آجي يا صبا..

جذبت كفها منه بعنف ونهضت تبتعد عن تأثيره عليها وقد تلبستها شراستها بقوة بعدما تذكرت زوجته الجميلة:

- ومراتك؟.. بتعتبرها كمان مجرد ارتباط.. و.. أنهيته؟!..

نهض بعنف مشابه وهو يجذبها لتلتفت له وبرقت عيناه بلون ساحر وهو يهتف بكل ما يمتلك من هدوء:

- علاقتي بلورا بكل تفاصيلها, بدايتها ونهايتها.. مش موضوع مناقشة.. وياريت تثقي بكلمتي أما أقولك.. أن كل علاقة ليا بباريس انتهت.. وللأبد..

برقت عيناها بغضب ليكمل هو برقة:

- صبا.. أنا وعدتك أني هرجع.. وأجلت وقتها الكلام لأنه ما كانش من حقي أني أقول كل اللي جوايا... لكن..

صمت للحظة وهو يجذبها قليلاً لتواجه ويرفع بأنامله رأسها التي تخفضها بعناد لتواجهه

عيناها الرماديتان الحائرتان وتذوب النظرات في مواجهة رقيقة.. يهمس هو بعدها:

- دلوقتِ بس بقى من حقي أتكلم.. وأنتِ تسمعيني.. بحبك يا صبا..

ارتعش صوته وهو ينطقها.. رعشة مشحونة بكل ما تحمله أعماقه من مشاعر.. رعشة وليد يستقبل أنفاس الحياة للمرة الأولى فتصرخ رئتيه معبرة عن خوفه وفرحه معاً.. بينما هي ارتدت للخلف وقد صعقت لتصريحه المباشر والواضح.. واتسعت عيناها برعب وهي تستشعر صدقه واصراره وثقته وهو يردف:

- الوقت كان قصير, صح.. ما اتقبلناش واتكلمنا إلا كام مرة تتعد على الصوابع, برضوه صح.. لكني متأكد زي ما أنتِ متأكدة أنه في مشاعر بتجمعنا..

قاطعته بضعف وهي تبتعد بوجهها عنه:

- لا.. أنت غلطان..

ابتسم وهو يلف وجهها ليقابل عينيها ويردد بهمس:

_ صبا.. أنا ممكن أخرج من الباب ده.. وأوعدك أني مش هزعجك أبداً.. لو حسيت فعلاً أنك رفضاني أنا..

هتفت بقوة تحاول استرجاع عنفوانها:

_ أنا...

قاطعها:

_ أنتِ ايه!.. مش عايزاني؟.. رافضة حبي؟..

رفعت عينين حائرتين له وهي تردد:

_ أنا...

عاد ليقاطعها وهو مستمر بمطاردته الشرسة لقلبها العنيد:

_ أنتِ همسة ناعمة غطت على كل أصوات الألم في حياتي..

هزت رأسها برفض وهي تردد:

_ لا.. لا.. أنا..

ليقاطع رفضها:

ـ أنتِ ضحكة حلوة دخلتِ قلبي قبل ما أعرف صاحبتها.. نقطة مياه نزلت على قلبِ عطشان للحب.. نسمة ناعمة مرت على روح كانت قربت تتحول لجماد من القسوة اللي بتحاول تتظاهر بيها.. رؤية صافية مسحت كابوس كنت باتخبط فيه قبل ما يبلعني ويضيعني نهائي..

رمشت بعينيها عدة مرات تحاول حبس دموع تصر بقوة على ترك مغادرة حاجز رموشها.. لتسمعه يكمل:

ـ أنا عايزك ومحتاجك وبحبك.. وهحاول ما استعجلش مشاعرك.. ولو أن قلبك بيقولي أنه مش هيرضى بعذابي..

عادت تهز رأسها محاولة رفض كلماته:

ـ أنا..

لم تستطع التفوه بالمزيد وهي ترى تألق عينيه وهو يكمل جملتها:

ـ أنتِ اللي زماني صالحني بيكِ..

عندها هطلت دموعها بلا إرادة منها وجذبت يديها منه بعنف قبل أن تهرب من أمامه بسرعة تاركة اياه مسمراً بذهول من هروبها السريع.. الذي تلاه دخول والدها عليه وهو يردد:

ـ طريقك صعب يا حسن..

ليجاوبه حسن بتصميم:

ـ نقرى الفاتحة؟..

ضحك عامر:

ـ وأنت أخدت موافقتها؟..

ابتسم حسن:

ـ على الأقل هزمت رفضها..

ربت عامر على كتفه بمودة:

ـ وده انجاز ما تستهونش به..

أومأ حسن موافقاً:

ـ طيب هستأذن أنا دلوقتِ.. ياريت حضرتك تجيب منى..

ضحك الرجل:

ـ منى نامت من زمان.. ابو رأيك تمر الصبح تاخدها.. وبالمرة نفطر كلنا سوا..

رافقت كلمات عامر غمزة صغيرة ليضحك حسن بعدها وهو يبدي موافقته ويخرج مودعاً عامر بامتنان..

وبعد خروج حسن توجه عامر إلى هاتفه ليضغط رقم يحفظه عن ظهر قلب رغم عدم استخدامه له, وما أن وصله صوت فريدة حتى قال مباشرة:

ـ صبا محتاجة لكِ..

وصله صوتها بسؤال:

ـ حسن؟..

ليتساءل هو بدوره:

ـ حسن حكى لك؟..

جاءته اجابتها المذهلة:

ـ لا.. صبا..

وقبل أن يجيبها كانت تخبره بحسم:

- هاجي على أول طيارة.. مع السلامة..

وأغلقت الهاتف بسرعة قبل أن يتفوه بكلمة واحدة ولكنه بأعماقه أدرك أن حسن قطع شوط كبير لقلب ابنته العنيد.. إذ لم يكن استحوذ عليه بالفعل..

****

جلست نيرة بسيارتها وهي تنقر بأظافرها على المقود بعصبية شديدة وأمامها انتصبت بوابة معدنية ضخمة.. أخذت تتأمل البوابة لفترة وهي تدرك أن خلفها يكمن من مزق قلبها قطعاً وبطريقه لقتل روحها وتمريغ كرامتها في وحل غزواته النسائية التي تشعل قلبها غيرة وألماً.. هل تصرفها بالحضور ومواجهته صحيح؟.. كيف سيستقبلها؟.. وهل سيوافق على استقبالها من الأساس؟..

حسمت أمرها أخيراً وهي تخبر نفسها أنها جاءت بناءً على دعوة صاحبة الفيلا، وهو ضيف هنا مثلها تماماً.. حتى ولو كان هنا لرؤية ابنته..

تدعو وتبتهل فقط ألا يرحل بدون أن يسمعها.. ضغطت على بوق السيارة لتفتح البوابة الضخمة وتدلف بسيارتها للداخل لتجد دنيا بانتظارها وهي بكامل أناقتها، مر بذهنها موقفاً مشابهاً عندما واجهت دنيا بمكتبها بعد علمها بزواجها من مازن، ولكن الفارق تلك المرة كان بداخلها هي.. فرغم أن أسلوبها في ارتداء ملابسها لم يتغير ومازالت تبحث عما يلفت النظر ويسبب الابهار الدائم، إلا أن أعماقها اختلفت، بل نضجت وهي ترمق السيدة الراقية أمامها بتقدير واحترام تتعامل به ربما للمرة الأولى:

- مساء الخير يا مدام دنيا..

قاطعتها دنيا وهي ترحب بها وتدعوها للدخول:

- دنيا بس.. ما فيش داعي للألقاب.. اتفضلي.. مازن جوه في أوضة عشق..

اصطحبتها دنيا لداخل الفيلا الواسعة والمكونة من دور واحد واسع جداً ملحقاً به حديقة وحوض للسباحة متوسط الحجم...

وقفتا معاً أما باب الغرفة المفتوح لتلتمع عينا نيرة وهي تراقب مازن وهو يفترش الأرض مع ابنته محاولاً تشجيعها بعدما سقطت على وجهها وهي تحاول تعلم الحبو.. فرفعها بين يديه يمسح دموعها ويتمتم لها بكلمات هامسة حولت دموعها لابتسامة سعيدة قبل أن يضعها أرضاً ويقلد حركاتها في الحبو والسقوط عدة مرات لتنطلق ضحكاتها البريئة وتعاود محاولتها مرة أخرى وبنجاح..

جاءت همسة دنيا الدامعة تعبيراً عما يجول بذهن نيرة:

- هو أب رائع.. رائع جداً في الحقيقة..

تحكمت دنيا بدمعتها قبل أن تسقط ويساء فهمها, أما نيرة فقد عجزت عن كبح دمعة ندم سقطت من جانب عينها وهي تتحسس بطنها بحنين هامس:

ـ أب رائع.. وزوج أروع..

وكأن همستها وصلته أم ربما عطرها الذي تألفه حواسه جميعاً فالتفت فجأة لتتقابل العيون بصدمة..

شهقت نيرة بخوف وهي تلمح التماع القسوة في مقلتيه قبل أن يتوجه بنظرات لائمة نحو دنيا.. وينهض رافعاً ابنته بين ذراعيه ومعدلا ملابسه في هدوء مستفز قبل أن يتوجه نحو دنيا مردداً بامتعاض:

ـ هاجي أشوف عشق بكره.. يظهر أنه عندك ضيوف..

تحرك ليخرج من الغرفة فتمسكت نيرة بذراعه هامسة:

ـ مازن.. أنا جاية عشانك..

تجاهلها مازن تماماً ليلتفت لدنيا ساخراً:

ـ أنتِ بقيتِ توفقي راسين في الحلال ولا ايه!

شهقت نيرة بحزن بينما تجاهلته دنيا وهي تسحب ابنتها من بين ذراعيه هاتفة بغضب:

- أظن أنك مش هتخسر حاجة لو سمعتها..

واستطردت وهي تقول بلهجة ذات معنى:

- كفاية أنها جت لحد هنا.. وأنت عارف كويس أن ده مش سهل.

خرجت تحمل طفلتها الصغيرة تاركة لهما الخصوصية اللازمة, فتحرك مازن مواجهاً نيرة ببرود:

- قولي اللي عندك..

حاولت التماسك قليلاً لترتب كلماتها فهي ما تبعده كل مرة وتنفره منها.. مسحت وجنتيها بتوتر وهي تهمس:

- مازن.. أنا بحبك..

حركة انقباض فكيه معاً هي ما أخبرتها أنه سمع تصريحها الجليل.. أما كل شيء آخر به فقد تجمد تماماً.. فانطلقت كلماتها بلا رابط:

- والله بحبك.. أنا عملت اللي عملته عشان نرجع لبعض..

رفع حاجبه بتساؤل:

ـ وبعدين؟..

هزت رأسها بحيرة:

ـ وبعدين ايه؟.. قصدك ايه؟!!

اقترب منها ليمسك ذراعها بعنف:

ـ وبعدين رجعنا لبعض؟.. ولا السدود زادت سد.. والجروح زادت جرح..

سقطت دموعها الحبيسة وهي تسمع كلماته الجريحة:

ـ أنتِ بتحبيني.. برافو.. وصلتِ للنتيجة دي لوحدك؟.. المفروض أنا أعمل ايه؟.. أجري عليكِ وآخدك في حضني وأقولك وأنا كمان.. ونعيش في تبات ونبات وننسى كل اللي فات..

ضحك بسخرية وهو يسمع نفسه.. ثم صرخ بغضب:

ـ وأنا كمان بحبك يا نيرة.. بحبك من سنين.. سنين طويلة.. مش هقولك اتحملت واتحملت.. لا.. هقولك أنا خسرت.. خسرت أخويا..

خسرت عزة نفسي.. خسرت كرامتي.. خسرت كبريائي كراجل..

تهدج صوته وهو يهتف:

ـ خسرت ابني.. ورغم كده.. زي الأهبل سامحت وغفرت.. مش بقولك خسرت كبريائي!.. وأنتِ دلوقتِ جاية تراضيني وتطبطبي عليا بكلمتين.. "أنا بحبك".. وأنا بقى المفروض افرح واسامح.. لكن للأسف خلاص.. ما بقاش عندي اللي أخسره عشان اغامر وأصدقك تاني.. واقعد انتظر الطعنة يا ترى هتيجي منين المرة دي.. خلاص.. مازن انتهى.. انتهى..

صرخت به وهي تتمسك بذراعه قبل أن يبتعد:

ـ والستات اللي بتتجوزهم هيرجعوا لك كرامتك وكبرياءك اللي أنا ضيعتهم؟..

التفت لها ساخراً:

ـ لا.. دول عشان يخسروكِ أنتِ كرامتك..

ابتعدت عنه كالملسوعة وهي تشهق:

ـ مازن!.. أنت بتقول ايه؟!

- شوفتِ وصلتيني لايه؟.. بقيت اتفنن عشان أجرحك..

شهقت مرة أخرى بألم قبل أن تهتف به:

- بتعمل كده عشان تجرحني!!.. تدمر سمعتك وصحتك واسمك عشان تجرحني!..

هز رأسه بألم:

- مش بقولك ماعدتش عندي اللي أخسره..

ليفاجئه صوت دنيا الغاضب:

- وبنتك يا مازن!.. عايز تخسرها هي كمان مع اللي خسرته؟.. ما فكرتش الناس هتقول ايه على أبوها..

قاطعه وقد ارتسمت الشراسة بعينيه:

- أبوها بيتجوز.. شرعي وفي النور.. مش عيب ولا حرام!..

شهقت المرأتان معاً ليكمل مازن بغضب:

- ومن امتى يا دنيا بتوقفي تسمعي من ورا الأبواب؟

اقتربت منه وهي تهتف بغضب:

ـ صوتكوا هو اللي وصلني وأنا في الجنينة.. فجيت أشوف ايه آخر مغامرات أبو بنتي..

بينما تمتمت نيرة باعتذار مبهم رفع مازن حاجباً ساخراً وهو يحرك نظراته بينهما:

ـ أنتِ قولتيها.. أبو بنتك.. وما حدش وصي على تصرفاتي..

وأشار لنيرة:

ـ وبالنسبة للمدام.. لو عايزة علاقتنا الزوجية الميمونة تنتهي, كل اللي عليها أنها تطلب...

شهقت نيرة برفض:

ـ لا.. لا يا مازن.. أوعى..

لمعت عيناه بحنين مؤلم سرعان ما أخفاه وهو يتمتم:

ـ يبقى أنتِ اللي غاوية عذاب..

ارتجفت نيرة بألم بينما تتساقط دموعها بلا توقف، فأسرعت دنيا لتحيطها بذراعيها معدتة بينما يصلها صوت مازن محذراً:

_ ما تقربيش منها قوي.. ممكن تكون الطعنة الجاية من نصيبك..

صرخت به دنيا مؤنبة:

_ كفاية يا مازن.. احنا مش ملايكة عشان تحاسبها بالطريقة دي..

هتف مازن بغضب:

_ بس هي شيطانها دمر كل حاجة حلوة جوايا..

ابتعدت نيرة عن ذراعي دنيا بعنف لتصيح به:

_ لا يا مازن.. كفاية بقى.. كفاياك ظلم.. أنت بتحاسبني وكأني لوحدي الغلطانة.. بتنسى أنك ارتبطت بيا في أضعف لحظاتي.. أخدت دور الشهم والمنقذ.. ودلوقت تطالبني أني أدفع التمن.. كنت بتحاسبني على كل كلمة.. كل نظرة.. كل غلطة مهما كانت بسيطة.. لازم تكبرها.. طبعاً.. ما أنت قدمت وقدمت.. وأنا

لازم أتحمل غضبك وشكك واسكت.. كل ده لأن جواك مفتقد الثقة بنفسك.. و..

قاطع كلماتها صفعة قوية على وجنتها جعلتها تصمت تماماً بينما كتمت دنيا شهقتها بكفها وهي ترى مازن يصرخ بغضب وعيناه قد اتسعتا بغضب واحتقن وجهه بشدة:

ـ كفاية.. كفاية قلب حقايق.. اللي يسمع كده يقول أنا اللي كنت بفرض نفسي عليكِ.. كفاية جرح وتجريح بقى.. جروحك جوايا ما بتلحقش تطيب قبل ما تقابليني بجرح جديد..

التفت يوليها ظهره وهو ينظر لكفه الذي صفعها به للتو بغضب واشمئزاز وكره وهو يردد:

ـ أنا عمري ما مديت إيدي على واحدة ست..

قبض كفه بغضب وهو يتمتم:

ـ خسرت كل حاجة.. حتى نفسي.. حتى نفسي.. بس كفاية قوي لحد كده.. كفاية..

أغمض عينيه بقوة ليلف رأسه نحو نيرة المنكمشة على نفسها هامساً بحسم:

ـ نيرة.. أوقات كتير بيكون الحب لوحده مش كفاية.. أنتِ طالق.. طالق.. طالق..

الفصل الثامن والثلاثون

اقتربت دنيا ببطء تحمل بيدها كأساً من الليمون المثلج وضعته برفق بجوار الفراش الذي جلست عليه نيرة وهي تحيط ركبتيها بذراعيها وتستند بذقنها فوقهما وقد غابت في تفكير عميق.. هي على تلك الوضعية منذ الليلة الماضية.. فبعدما ألقى مازن كلمته الأخيرة ورحل يلعق جراحه بعيداً، تجمدت نيرة تماماً.. تكاد تقسم دنيا أنها تحولت إلى تمثالٍ شمعي، حتى تنفسها كاد أن يكون ملحوظاً..

لم تستطع دنيا تركها ترحل وهي على تلك الحالة الذاهلة، فاصطحبتها إلى إحدى غرف الضيوف بالفيلا.. وانقادت نيرة معها تحركها دنيا كدمية بلا حياة.. ومنذ تلك اللحظة غرقت نيرة في حالة من الجمود والاستسلام التام.. فقط تحدق بعينيها للمجهول.. وتردد كل فترة.. انتهى.. انتهى"..

اقتربت دنيا بهدوء لتجاورها على الفراش وتناولها العصير البارد، لترتشفه نيرة بشرود وتردد متسائلة:

- كده خلاص كل شيء انتهى!..

ربتت دنيا على كتفها وهي بعقلها تدور فكرة واحدة..

"ما يحدث هو التعريف الوحيد للجنون.. فها هي تواسي غريمتها.. ضرتها السابقة.. من حطمت كيان الرجل الوحيد الذي أحبته"...

تنهدت دنيا بصوت عالٍ قبل أن تواجه نيرة:

- هو ايه اللي انتهى؟.. حب مازن ليكي؟.. ولا حبك انتهى لمجرد أنه قرر ينهي جوازكوا؟

سألتها نيرة بمرارة:

- حبه ليا!!.. هو اللي عمله ده حب!.. يطلقني و...

غصت بدموع جامدة فلم تستطع الكلام فتنهدت دنيا مرة أخرى:

- صدقيني لو قلت لك هو طلقك لأنه لسه بيحبك..

رمقتها نيرة بنظرة عدم تصديق فأكملت:

- أنا مش عارفة تفاصيل المشاكل اللي بينكوا.. بس كل اللي اقدر أقوله أن مازن قرر ينهي علاقتكوا الزوجية عشان يحافظ على حبه ليكي.. ما تستغربيش.. يمكن لو فهمتِ مازن صح..

قاطعتها نيرة باتهام:

- هترجعي له مش كده؟..

ابتسمت دنيا بمرارة وتجاهلت الرد على سؤالها:

- نيرة.. أنتِ دلوقتِ قدامك فرصة من دهب عشان تعملي حاجة في حياتك.. يمكن احنا مش أصحاب.. وصعب نكون.. بس ليّ ملاحظة واحدة يا ريت تتقبليها مني..

أومأت نيرة برأسها في صمت لتكمل دنيا:

ـ خلي عندك هدف يا نيرة، واسعي ورا الهدف ده.. مش شرط يكون الحب هو الهدف.. خلي افقك أوسع وأحلامك أكبر.. حطي النجاح نفسه هدف.. هتلاقي الحب قابلك في الطريق وممكن يكون مكافأة وصولك لهدفك.. أنتِ قوية جداً.. عندك صبر ومثابرة بس للأسف دايماً بتزهقي في نص السكة وما تكمليش للآخر.. وشغلك أبسط مثال.. ارجعي شغلك.. أو ابدئي شغل جديد بتحبيه.. اتحركي.. اتقدمي.. اثبتي لمازن أنك أهل لحبه وأن مشاعرك له تستحق فرصة تانية.. لأنك اتغيرتِ عشان نفسك مش عشانه هو..

أخذت نيرة تتأملها للحظات.. تريد أن تصرخ بوجهها.. كلماتها قد تكون صحيحة ولكنها مؤلمة.. والأكثر وجعاً أنها تأتي منها هي بالذات.. ربما ذلك ما يجعلها ذات معنى.. ربما لأنها مرت بنفس موقفها سابقاً..

خرجت الكلمات متعثرة من بين شفتي نيرة:

ـ بس.. أنا.. أنا اتغيرت كتير عشان أرضيه.. و..

تحركت دنيا لتجلس بمواجهتها:

- وايه يا نيرة؟.. لو التغيير للأحسن يبقى أنتِ اللي كسبانة.. صح؟.. بصي.. أنتِ محتاجة تقعدي مع نفسك.. تراجعي حساباتك.. وتحددي أولوياتك بالظبط.. أنا عارفة أن خسارتك لمازن جامدة.. بس بيقولوا الضربة اللي ما تكسرش بتقوي..

رمشت نيرة عدة مرات قبل أن تسألها بإلحاح:

- أنتِ ما جاوبتيش سؤالي.. هترجعي له؟..

تنهدت دنيا مرة أخرى:

- نيرة.. بلاش تدخلي الغيرة في الموضوع.. أنا مش هرجع لمازن.. احنا اللي بيننا دلوقت حاجة أكبر من حب ومشاعر وغيرة..

أخيراً استطاعت دموعها الهروب من بين جفنيها للتساقط على وجنتيها لتهمس:

- بينكوا عشق..

في تلك اللحظة دخلت المربية تحمل عشق على كتفها وهي تغمغم بحرج:

ـ آسفة يا مدام دنيا.. بس عشق بتعيط جامد وعايزة حضرتك..

ارتمت الفتاة الباكية بين أحضان أمها التي احتضنتها بلهفة شديدة وهي تمسح دموعها متمتمة:

ـ حبيبة ماما بتعيط ليه بس؟!..

ثم منحتها قبلة عميقة فأطلقت عشق ضحكاتها الطفولية سعيدة بوجودها بين أحضان والدتها..

راقبت نيرة ذلك المشهد بملامح يعلوها حنين مؤلم.. توالت الدمعات على وجنتيها تحكي قصة ندم طويلة.. ألم فقدان وخسارة لا تعرفها سوى مَن فرطت في أمومتها متعمدة.. والآن.. الآن لو يمكنها دفع عمرها، بل روحها لتتبادل الأماكن مع دنيا، فهي تتحمل خسارة حبه فقط لأنه حصلت على ابنته.. آه لو يعود الزمان للوراء.. آه لو يعوض الندم عما راح.. هطلت دموعها بلا توقف وهي تراقب الصغيرة الفاتنة.. وبأعماقها يتردد.. آه لو كتبت الحياة لطفلي لكان في سن عشق

الآن.. أو ربما أكبر قليلاً.. لكان مازن بجوارها الآن يحمل طفلهما ويلاعبه مثلما رأته مع عشق.. لكان وجد قبس ضعيف من نور ليستمر بعلاقتهما المضطربة من الأساس...

استمرت الدموع وازدادت غزارتها حتى بدأت شهقاتها تتعالى وقد شعرت بحجم خسارتها.. الابن والزوج الحبيب.. لم يبقَ شيء.. لم يبقَ لها شيء لتحارب من أجله.. لا شيء..

شهقت بقوة وهي ترتمي على وسادتها مرددة:

_ خسرت كل حاجة.. كل حاجة...

أسقط في يد دنيا وهي تشهد ذلك الانهيار العنيف من نيرة، وبدأت عشق بالصراخ خوفاً من بكاء نيرة الذي تتعالى وتيرته ولم تفلح محاولات دنيا في تهدئتها.. أخيراً استدعت لها دنيا الطبيب الخاص بها ليقرر أنها في حالة صدمة شديدة.. وقام بحقنها بأحد المهدئات مخبراً دنيا أنها ستكون في حالة أفضل بعدما ترتاح قليلاً...

بعد رحيل الطبيب هاتفت دنيا صبا لتخبرها بكلمات موجزة ما أصاب نيرة، فلابد أن تعلم

عائلتها بالأزمة التي تمر بها.. فإن كانت نيرة
أقوى مما تبدو ولكن خسارتها تلك المرة أكبر
مما تحتمل.. ودنيا خير من يعرف..
فخسارتهما واحدة.. ومازن تلك المرة كان
حاسماً.. ولا مجال للعودة.. إطلاقاً...

****

أغلقت صبا الهاتف مع دنيا وهي تتوعد مازن
بشتى وسائل التعذيب.. فهي منذ تحسنت
علاقتها بأختها وهي ترقب محاولات نيرة
المستميتة لارضائه وتجاهله المستمر لتلك
المحاولات.. والآن.. يتجرأ على اهانتها
ويرحل تاركاً اياها في منزل غريمتها.. تباً
له.. بل تباً للرجال جميعاً.. وخاصة ذلك
الذي حرم عينيها النوم.. وجملته تتردد
بداخلها بلا توقف..

"أنتِ اللي زماني صالحني بيكي"..

ضربت على رأسها بأصابعها بعنف وهي تهتف
بحنق..

"اخرج من عقلي"..

لترتسم ابتسامة بلهاء على شفتيها وهي تتذكر نظراته، همسه، غزله المدغدغ لأنوثتها رغماً عنها.. والأهم صراحته.. بقدر سعادتها بتلك الصراحة بقدر ما تخشاها...

حملت حقيبتها وتحركت مسرعة لتصل لأختها في أسرع وقت لتأسرها عينيه وهو يجالس والدها ببهو الفيلا محتضناً طفلته بين ذراعيه وهامساً لها ببضعة كلمات جعلتها تنطلق بضحكات بريئة وهي تتأمله وكأنه البطل المغوار..

لتحدث صبا نفسها.. بالطبع تراه بطلها.. فهي مجرد طفلة وهو والد جيد.. جيد جداً.. حقيقة لا يمكنها انكارها كما لا يمكنها انكار تأثيره الطاغي عليها فهي أمام نظراته الحنونة تكاد تنسى خصامها الدائم لقصص الحب والغرام..

تكاد أن تكسر ذلك العهد الذي قطعته على نفسها منذ أعوام عديدة ألا تتورط في الحب مطلقاً..

ظلت عينيها معلقة بعينيه لدقائق طويلة لمح فيهما الصراع الدائر بأعماقها قبل أن تحسم الصراع وتظهر علامات القسوة بنظراتها وهي تتوجه نحوه بغضب هائل استجمعته من كلمات دنيا عما أصاب نيرة.. وهتفت بغضب هائل:

ـ معقولة اللي بيعمله مازن ده!.. يرضي مين الظلم ده؟.. هااه.. يرضي مين...

قاطع حسن كلماتها الغاضبة وهو ينهض ليواجهها متسائلاً بهدوء غاضب:

ـ صبا.. من فضلك.. اتكلمي كلام واضح.. أنا مش فاهم بتقولي ايه!..

هتفت بغضب وهي تقترب منه وترفع نفسها على أطراف أصابعها لتقاربه طولاً.. ولكنها لم تصل حتى لمستوى كتفه مما أثار غيظها أكثر فوكزته بإصبعها بصدره وهي تصرخ:

ـ أخوك.. مازن بيه..

صرخ بدوره:

ـ ماله؟..

استمرت بوكزه وهي تقول من بين أسنانها:

ـ طلق نيرة بعد ما..

برقت عيناه بشدة ليحذرها من الاستمرار في الكلام بينما التفت إلى والدها الذي لم يستطع التحرك منذ أن بدأت بإطلاق قذائفها بوجه حسن..

تحرك حسن ليقترب من الرجل الأكبر سناً متسائلاً بقلق:

ـ عمي.. حضرتك كويس..

حرك عامر رأسه ببطء مخبراً حسن بتعثر:

ـ أنا كويس.. ما تقلقش عليَّ.. المهم نيرة..

ثم رفع عينيه نحو ابنته:

ـ حقيقي الكلام ده يا صبا؟.. أختك انطلقت؟..

عُقد لسان صبا ولم تعرف بم تجيبه.. فهي اندفعت تصرخ بوجه حسن رغبةً منها في الخروج من حصاره لها وغفلت تماماً ما قد تفعله كلماتها بوالدها..

ـ بابا.. أنا..

قاطعها حسن بحسم لينهي الحوار الشائك:

ـ أنتِ رايحة لنيرة دلوقتِ؟..

أومأت برأسها موافقة ولم تتفوه بكلمة حتى لا تضطر لاخبار والدها بوجود نيرة في منزل دنيا.. غريمتها..

التفت حسن لعامر واستئذنه بكلمات موجزة حتى يصطحب صبا إلى شقيقتها.. وافق الرجل مضطراً.. فصبا هي الآن الأقرب لنيرة.. وصلة معها لعلاقة طيبة وودية لم يقربها هو يوماً..

دقائق وكانت صبا تجاوره في سيارته وهي تحمل منى على ركبتيها والفتاة تمارس هوايتها المفضلة بجذب خصلاتها الطويلة والعبث بها..

وضعت كل تركيزها على الطفلة محاولة تجاهله لتسمعه يتمتم بغضب:

ـ طلقها امتى؟.. امتى.. أنا كنت معاه من ساعتين وما قالش ولا كلمة..

قطب حاجبيه يحاول استعادة لقائه بشقيقه في مقر الشركة.. لقد بدا هادئاً على غير العادة.. حزيناً وصامتاً بشدة.. ولكن حسن أرجع ذلك لمشاكله التي لا تنتهي مع نيرة.. ولكن أن يطلقها هكذا!.. بدون حتى أن يخبره.. وكأن ما حدث هو أمر اعتيادي وبسيط.. ويمكن اغفاله!!.. كيف؟.. كيف استطاع أن يخفي عنه أمراً كهذا؟..

ترجم أفكاره بغضب:

ـ ازاي؟.. ازاي ما يقولش؟...

أثارت كلماته غيظها فاندفعت تهتف به:

ـ ده كل اللي يهمك؟.. أنه ما قالش وخبى عليك؟.. ما فكرتش في تأثير اللي حصل ده على نيرة.. على..

أوقف السيارة مرة واحدة ليقاطعها:

ـ أياً كان اللي حصل بينهم، مالوش تأثير علينا.. واضح؟..

رمقت بعينيها بخوف وهي تسمع نبرته الحازمة.. أول مرة ترى منه ذلك الوجه..

حتى عندما غضب ظناً منه أنها تعبث مع إياد لم يكن غاضباً هكذا..

استجمعت شجاعتها لتهمس بتردد:

ـ ما فيش حاجة اسمها احنا..

اقترب برأسه منها ليهمس بثقة:

ـ بس هيكون في.. وقريب قوي.. واحنا.. مالناش أي علاقة بالجنون اللي بين مازن ونيرة.. طلقها.. رجعها.. قتلها حتى ما يخصناش.. أنا مش ناوي أخسرك بسبب تهور مازن ولا أنانية نيرة..

رفعت نظراتها له لتواجهه:

ـ بس نيرة اتغيرت.. مش هي نيرة بتاعة زمان.. هتفاجئك..

ابتسم وهو يجيبها:

ـ حتى لو اتغيرت.. تغييرها لنفسها.. ما يهمنيش في حاجة..

أغمضت عينيها وهي تسأله:

ـ حتى لو كانت الصفات اللي بتكرهها فيها اختفت؟..

اقترب ليرفع ذقنها ويأمرها بهمس:

ـ افتحي عينيكِ.. افتحيهم يا صبا..

فتحت عينيها على مضض ليفاجئها بسؤاله:

ـ كلامك ده معناه أنك بتفكري في ارتباطنا وقلقانة على مشاعر نيرة؟.. ولا..

همست ورائه كالمخدرة:

ـ ولا ايه؟..

أجابها بتوق:

ـ ولا غيرة من ذكرى أنثى مرت في حياتي..

أبعدت وجهها عنه وكأنها استفاقت من حلم ناعم لتهمس بارتباك:

ـ غيرة!.. وأنا هغير ليه؟..

أجابها برقة:

ـ ليه!.. عشان أنتِ الست الوحيدة اللي مسموح لها تغير عليَّ.. وتسألني.. وتطالب

بأجوبة.. وأنا هجاوب بكل طاعة وسعادة كماه..

رمشت بعينيها تحاول كسر شرنقة الغزل التي يلفها بها إلا أنه لم يمنحها الفرصة وأكمل بنبرة أكثر حسماً:

ـ نيرة كانت بالنسبة لي حبيبة أخويا ومراته..

رددت بحيرة:

ـ كانت؟..

أومأ موافقاً وهو يغمزها:

ـ أيوه.. دلوقتِ بقيت أخت حبيبتي.. اللي هتبقى قريب قوي حبيبتي ومراتي..

أبعدت وجهها الذي تورد خجلاً وتجاهلت الرد عليه فهي لم تعرف ما عليها قوله أو فعله.. فهو يفهمها بشدة.. يستوعب مخاوفها ويفتتها بكلماته.. وما يزعجها أنها تدرك صدقه..

ابتلعت لعابها بصعوبة ووجنتيها تزداداه احمراراً والتفتت لتنظر من النافذة المجاورة لها وهي تشير له بارتباك:

ـ دور العربية بس خلينا نروح لها بسرعة.. آه.. هي في فيلا دنيا.. مش في بيت مازن..

ظهر ذهول حسن بهتاف عالٍ:

ـ فيلا دنيا!!!.. ازاي..

جمعت صبا ذراعيها حول منى التي بدأت تنزعج من الصوت العالي وأخبرته وقد عاودها حنقها على مازن:

ـ ما اعرفش ازاي.. اهو ده اللي حصل.. عارف الطريق ولا أوصفهولك.. شكلك هتوهنا والله..

ابتسم بمداعبة وهو يفتح باب السيارة:

ـ ما تتفضلي أنتِ تسوقي وأنا هقعد جنبك زي التلميذ الشاطر المؤدب..

احتقن وجهها وهي تخبره بهمس:

ـ أنا ما بعرفش أسوق..

هتف بعجب:

ـ بجد!.. في حاجة ما بتعرفيش تعمليها..

لتجيبه بطريقة طفولية لم تخلُ من الدلال:

ـ مش غلطتي طبعاً.. بس امتحان السواقة ده غبي.. ازاي يعني متوقعين أني أمر بين الـ كونز من غير ما توقع.. ده ولا السحر..

ابتسم لها بعبث:

ـ وأنتِ أروع ساحرة قابلتها..

أشارت له بحنق حتى لا يبدأ في الغزل:

ـ اطلع بينا على بيت دنيا.. اتأخرت قووي....

اتسعت ابتسامته ليهمس:

ـ عندك حق.. اتأخرتِ عليّ قووووي

****

وقفت صبا بنافذة غرفتها تراقب فريدة وهي تلعب مع منى الصغيرة.. تلك الصغيرة سلبت

عقولهم جميعاً وهي أول من فتن بها.. وإن
كانت تحاول اخفاء ذلك بلا جدوى.. فلا يكن
أمامها سوى محاولة الابتعاد عنها
وتجنبها.. تتفادى نظرات فريدة المتسائلة
وأسئلة والدها الصريحة.. فهي غير قادرة
على مصارحتهما بأن سبب عشقها للفتاة هو
نفسه سبب تجنبها لها.. فهي ببساطة قطعة
من أبيها.. حتى بكل شقرتها وفتنتها الأوروبية
إلا أن عينيه التي ورثتهما تأسران قلبها
بجدارة.. دلالها الطفولي يلقي في عقلها بصور
متتابعة له وهو يلاعب طفلته ويقص عليها

قصصاً طفولية تجعلها تتمنى للحظات أن تتبادل
معها المواقع.. حتى أنه لاحظ نظراتها في
إحدى المرات فاقترب منها هامساً برقة..

ـ أنا مستعد لألف حدوتة كل ليلة.. بس
شهرزاد مغلباني!..

أجابته يومها بعناد:

ـ بس شهرزاد هي اللي بتحكي..

ليعاود همسه:

ـ شهرزادي أنا تؤمر وعليّ التنفيذ..

يلقي تلك الكلمات التي تحطم دروع مقاومتها
ويذهب إلى ابنته الصغيرة التي أصرت فريدة
على مجالستها يومياً بينما هو يذهب إلى مقر
الشركات مع شقيقه ليقوم بما يعلمه الله فهو
لم يستقر على عمل بعد.. وما يثير حيرتها أنه
يعاملها أحياناً كما يعامل طفلته فأصبح يأتي
لها بقطعٍ من الشيكولا في زيارته اليومية..

التفتت لتتأمل المعرض الذي تقيمه لألواح
الشيكولا خاصته.. لقد جلب كل الأنواع حتى
علم من ابتسامة حمقاء ارتسمت على وجهها
بنوعها المفضل فأصبح يأتي بها صباحاً
ومساءً وهو يصطحب منى.. أنه يعاملها
كطفلة ثم يعود ليطلب من والدها محادثتها
على انفراد كما فعل ليلة أمس ولا زال
حوارهما يدور بذهنها.. فهي استجابت لطلب
والدها بموافاة حسن بحديقة الفيلا.. لتجده
يقدم لها علبة كاملة من الشيكولا ومعها
باقة مذهلة من زهور الأوركيد جعلتها تقف
مسمرة أمامه ببلاهة وهي تدفن رأسها بين
الزهور لتسمع همسه أخيراً:

- صبا.. من فضلك اقعدي.. محتاج اتكلم معاكِ..

لا تدري لم أصابتها كلماته بالرعب وهي تتخيله يسحب طلبه بالزواج منها.. فهي ماطلت بما فيه الكفاية لتجلب السأم والحنق لأكثر العشاق صبراً.. ولكنها خائفة.. فقط خائفة.. تستمع لكلماته المغازلة والمطمئنة فتكاد تهتف بموافقتها الفورية.. ثم يبتعد عن عينيها فتعاودها هواجسها وأشباحها التي تلازمها منذ طفولتها.. حتى وصول فريدة ومحاولتها دفعها للكلام وفتح قلبها لم تفلح معها.. تحيا حالة مستمرة من التردد والقلق... ولا شيء قادر على تبديدهما..

أخرجها صوته من شرودها ليطلب منها ثانية:

- اقعدي يا صبا.. محتاج اتكلم معاكِ..

جلست وهي تبتلع لعابها بصعوبة.. لتسمعه يتكلم:

ـ كنت محتاج أتناقش معاكِ في موضوعين..
أول حاجة: شغلي.. الحمد لله أنا معايا حاليًا ثروة مش بطالة.. ممكن أني أبدأ مشروع خاص بيّ.. أقصد مكتب هندسي طبعاً.. وده هياخد وقته على ما يكبر ويعمل اسم.. أو ممكن أوافق على عرض بابا ومازن وأرجع للشركة تاني.. بس بصراحة مازن عامل شغل حلو قوي فيها.. وحاسس أنه حرام أدخل عليه كده وأستغل المجهود اللي عمله..

رمشت بعينيها عدة مرات قبل أن تسأله بذهول:

ـ أنت بتسألني أنا!!..

اقترب ليمسك كفها ويشبك أصابعهما معاً:

ـ أكيد.. أنتِ هتكوني شريكتي في كل قراراتي.. وده قرار مصيري..

هزت رأسها برفض وهي تهتف باختناق:

ـ بس أنا لسه ما وافقتش..

ـ وأنا مش هستعجلك.. خدي كل وقتك.. وزي
ما قلت لك.. قلبك مش هيرضى بعذابي..

وأحنى رأسه ليقبل يدها برقة مبعثراً كل كلمات
الرفض التي انتوت الصراخ بها لتعود لتلعثمها
المعتاد أمامه:

ـ أنا..

ابتسم وكأنه سعيد بقدرته على قهر رفضها:

ـ ايوه.. رأيك ايه بقى؟..

هزت رأسها لتستفيق من حالة النشوى الغبية
التي تمر بها وتسأله:

ـ ايه هو الموضوع التاني؟..

سكت قليلاً وكأنه يفكر في كلماته:

ـ محتاج أنك تيجي معايا نختار بيت..

همست بذهول:

ـ بيت!!..

أومأ موافقاً:

ـ أيوه.. أنا بقى لي أكتر من شهرين قاعد في أوتيل.. ومدام فريدة كتر خيرها بتراعي مني.. لازم نبدأ نجهز بيتنا..

رددت:

ـ بيتنا!!..

تنهد بقوة وكأنه يحاول التحكم في انفعالاته:

ـ زي ما قلت لك.. مش هستعجلك.. بس ده مش معناه أني ما أقنعكيش..

ابتلعت ريقها بقوة قبل أن تقول:

ـ بالنسبة للشغل.. أعتقد أنه الأفضل تمشي في الاتجاهين خليك مع مازن.. بس فعلاً هو تعب جداً في الشركة.. خليك وراه مش لازم جنبه.. وفي نفس الوقت اعمل اسمك وشغلك الخاص..

ابتسم ابتسامة واسعة برغم غيظه لتجاهلها لكلماته ولطلبه منها اختيار منزل.. إلا أنه أعجب بوجهة نظرها وما أسعده أكثر تطابق رأيهما بشأن عمله..

سألها بمشاغبة:

ـ وبيتنا؟..

لتجبه بتوسل:

ـ أنت قلت مش هتستعجلني..

نهض ليداعب وجنتها بلطف هامساً:

ـ لكِ كل الوقت اللي في الدنيا يا مدللتي..

ثم رحل سالباً معه راحة بالها لتأتي زيارة نيرة بعد رحيله بساعة لتصيبها بحيرة بالغة.. فبعد انهيار نيرة بمنزل دنيا.. وذهاب صبا إليها رفضت رفضاً مطلقاً العودة إلى منزل والدها بل أنها رحبت بدعوة دنيا للبقاء في منزلها عدة أيام..

أيام تحسنت فيهم نفسية نيرة بطريقة ملحوظة مما أثار حيرة صبا ولكن ما جعل ذهولها يبلغ أشده هو تلك العلاقة الغريبة التي جمعت بين الغريمتين..

علاقة أشبه بالصديق اللدود.. فالاثنتان تتشاجران معظم الأوقات لتتحولان في ثوانٍ إلى أعز أصدقاء.. مما جعل صبا تغمغم مرة..

"ماذن صانع معجزات.. جمع النقيضين على كرهه"..

لتهتفا معاً..

"لا.. جمعنا على حبه"..

وأخيراً قررت نيرة ترك بيت دنيا ولكنها كانت نيرة أخرى تختلف عن تلك التي دخلته لتفقد زوجها وكبريائها في لحظة واحدة.. كانت نيرة قوية حتى وإن كانت تتصنع تلك القوة أحياناً.. ولكنها كانت من العِند لتصر على المكوث في بيتها.. ولا تعود لبيت والدها..

وها هي أمامها في زيارة غريبة ومفاجئة لم تعرف صبا بعد الغرض منها.. ولكن نيرة سرعان ما أخبرتها بطريقة مباشرة:

- حسن اتقدم لك فعلاً يا صبا؟..

أومأت صبا بذهول وهي حائرة من معرفة نيرة لذلك.. فعاودت نيرة السؤال:

- اتقدم بنفسه.. مش اتفاق بين بابا وعمي حاتم؟..

عادت صبا لتومئ مرة أخرى وقد عجز لسانها عن الكلام.. فأمامها تقف نيرة.. وهي ثاني أسباب حيرتها ومماطلتها في اعطاء الموافقة.. لتتير نيرة ذهولها بتنهيدة حارة وهي تتهالك جالسة على المقعد الذي كان يشغله حسن للتو وهي تهتف:

- الحمد لله طمنتيني.. ما فيش داعي نعيد المآساة تاني..

سألتها صبا:

- يعني ايه!.. أنتِ موافقة؟..

ابتسمت نيرة بهدوء:

- مش مهم أنا.. المهم أنتِ توافقي!..

تلعثمت صبا لتردد:

- أيوه.. بس أنتِ بتحــــ..

قاطعتها نيرة:

- بحبِ مازن.. يمكن بحبه على طريقة نيرة.. بس حسن انتهى من حياتي من زمان.. يمكن للصدق باقي خدش بسيط لكبريائي.. بس ده ما يمنعكيش من الموافقة..

سكتت للحظة ثم رفعت عينيها لصبا لتخبرها بصراحة:

ـ زمان أما حسن قرر يتجوز مني حسيت بجرح جامد.. مش عارفة إذا كان قلبي ولا كرامتي.. بس جه بعدها مازن واكتسح معاه كل حاجة.. سيطر على كل تفاصيلي.. كل نفس كل همسة كل لمسة كانت له..بس كنت غبية ما فهمتش ده عشان كده غضبت أيام جوازه من لورا.. مش زعل عليه.. ولا حتى على كرامتي.. كان مجرد أنانية وغضب مني أنه قادر يعيش ويستمر وأنا مش عارفة أخرج من دوامة وهمي به..

سألتها صبا بتردد:

ـ وهم؟!..

ـ ايوه يا صبا وهم.. حسن كان وهم وأنا خدعت نفسي به عشان استخبى من الحب الحقيقي.. هربت من مازن بحسن.. زي ما أنتِ مصرة تهربي من حسن دلوقتِ..

لفهما الصمت عدة لحظات قبل أن تعاود صبا السؤال بتردد:

- بس أنتِ ومازن...

أجابتها نيرة على الفور:

- مازن اتجوزني من غير ما يلتفت لأي حد.. ده لأنه حبني فعلاً..

ارتعش صوتها قليلاً وهي تكمل:

- عايزة أقولك.. أنه الأهم هو وجود علاقة تحاربي عشانها...

همست صبا بانبهار:

- أنتِ مين!.. نيرة.. أنتِ حصلك ايه!!

استعادت نيرة قناع قوتها لتغمز لصبا:

- نيولوك.. بس من جوه.. تأثير دنيا الذري..

صمتت قليلاً قبل أن تكمل:

- أنا قدامي أيام على العدة ما تنتهي.. بعدها هسافر رحلة طويلة.. محتاجة أبعد شوية وأفكر في حاجات كتيرة قوي وأرتب حياتي..

نهضت وهي تحتضنها بقوة وتهمس لها بشقاوة وإن شاب لهجتها الحزن:

ـ اوعي تعملي الفرح إلا أما أرجع.. لوعي ابن العدوي شوية..

بادلتها صبا العناق وهي تدرك أن نيرة بحاجة إلى وقت مستقطع مع نفسها.. ولكنها لم تقاوم السؤال:

ـ عرفتِ ازاي؟..

ضحكت نيرة وهي تخبرها:

ـ نادية بنت علياء.. البنت مغرمة بجوزك المستقبلي.. وبتقول حسن هيتجوز صبا ويتجوزني معاها...

ابتسمت صبا بخجل قبل أن تعاود معانقة شقيقتها بقوة وكأنها تحاول استمداد القوة لاتخاذ قرارها المصيري...

قرار ظلت تفكر به طوال الليلة الماضية.. لحظة يتحكم بها قلبها ويرفعها دفعاً للموافقة.. ثم تعاودها مخاوفها مرة أخرى

فتتراجع مستنكرة كل نبضة قلب تتوسلها الرحمة به..

يهتف بها عقلها صارخاً..

"ناوية تكرري المأساة!"..

ليهمس القلب متوسلاً..

"حسن مختلف.. بيحبك فعلاً"..

يسخر عقلها..

"وهو باباكِ مش بيحب فريدة!.. وهي كمان بتحبه.. والنتيجة ايه.. أسرة مشتتة.. نيرة.. نفسيتها مدمرة.. ناوية تحولي منى لنيرة جديدة.. وأنتِ تهربي زي فريدة"..

هزت رأسها برفض مجنون وقلبها يردد بتوسل حزين..

"حسن بيحبك.. حسن أقوى.. حسن بيحبك"..

تساقطت دموعها وهي تسحب حقيبة يدها لتتوجه سريعاً لمقر الشركة حيث يوجد حسن.. فذلك الجنون الذي بدأه يجب وضع حد نهائي له..

****

تعالت ضحكات الفرسان الثلاثة في جلسة ودية عادت بهم لسنوات مضت.. سنوات غيرت بهم الكثير والكثير.. فمنهم من هذب جنونه وشطحاته.. ومنهم من طوع هذا الجنون محاولاً نيل آخر ما تقدمه له الدنيا من سعادة.. وأخيراً الفارس المُدعِي.. مازن مَن يدعي راحة وهدوء بال هو أبعد ما يكون عنهما.. فمنذ انفصاله عن نيرة وهو يعيش حالة غريبة من الانفصال عن الواقع.. يفني ساعات نهاره بالعمل في المجموعة حتى أنه أنهى مشروعات وصفقات في وقت قياسي.. ليعود ليلاً ويلقي بنفسه بين أحضان آخر زوجة وافقت على الارتباط به تحت ظل شروطه العجيبة.. وذلك تحديداً ما كان يناقشه الثلاثة..

فأبدى حسن غضب مستتر يحاول السيطرة عليه:

ـ مازن.. اللي بتعمله ده اسمه جنون.. ده حتى ما ينفعش أقول عليه جواز..

رفع مازن كتفه لامبالي:

ـ دي حرية شخصية..

هتف حسن بغضب:

ـ حرية ايه.. ده تدمير واضح لحياتك..

زمجر مازن:

ـ حسن.. خليك في حالك.. أنا عديت سن الرشد من زمان ومش محتاج وصي على تصرفاتي..

تحرك يزيد بسرعة ليفصل بينهما كعادته دائماً.. وهو يلتفت لمازن:

ـ يا بني احنا عايزين مصلحتك.. ايه مالك قفشت فجأة.. احنا لسه كنا بنضحك.. بس هو سؤال واحد.. جوازاتك دي آخرها ايه... خلاص.. أنت ونيرة وخلصنا.. يبقى ايه الهدف؟..

رمقه مازن بتساؤل.. فأجاب يزيد:

ـ أيوه.. نيرة حكيت لعلياء على اللي حصل.. أنت عارف هما أصحاب..

أكمل له مازن:

ـ وطبعاً مراتك قالت لك الحق مازن المجنون بيتجوز أربعة مرة واحدة..

ضحك يزيد وهو يخبره:

ـ تقريباً كده.. بس المفاجأة بقى أنه نيرة طلبت مني أتدخل عشان أحميك من نفسك..

ابتسم مازن بمرارة وهو يتمتم:

ـ قلبها طيب.. كتر خيرها..

تكلم حسن بحيادية:

ـ الحق يقال.. أنها اتغيرت فعلاً.. ده كلام صبا..

سخر مازن:

ـ طبعاً.. مين يشهد للعروسة!..

رد يزيد:

ـ مازن.. انهي المهزلة اللي أنت عايش فيها دي..

أجابه مازن بهدوء:

ـ حالياً ما فيش على ذمتي غير زوجة واحدة بس..

أكمل قبل أن يتكلم أحدهما:

ـ ما فيش حد فيكوا يعرفها.. الجوازات اللي فاتت كانت كلها حبر على ورق.. كنت بعاقب نيرة.. بعاقب نفسي معاها.. مش عارف عقاب على الحب أو الفشل.. بس كنت محتاج.. محتاج..

هز رأسه بحيرة:

ـ مش عارف بالظبط الوصف.. يمكن محتاج انفصل عن الواقع..

التفت لحسن:

ـ أكيد أنت فاهم قصدي يا حسن..

غامت عيون حسن بذكريات مزعجة ومازن يشير لمرحلة انعدام الاتزان التي مر بها بعد وفاة منى.. ولكن مازن استرسل بكلماته وكأنه يريد ابعاد أشباح الألم عن أعماقه:

ـ دلوقتِ بس أنا فهمت تصرف حسن.. في وقت بيكون الوجع أكبر من أنك تتغلب عليه.. وأنا.. أنا كنت تعبان وموجوع قوي.. يأس من كل حاجة..

قاطعه يزيد:

ـ بس هي بتحبك...

التفت مازن:

ـ حبنا مريض.. بيسبب الألم أكتر من السعادة.. الحب بيخلي العاشق يسمو بتصرفاته عشان يحمي حبيبه.. بس احنا كنا بنذم بعض.. يمكن الانفصال يحمي أي مشاعر حلوة باقية جوانا..

غمغم حسن بألم:

ـ لكن يا مازن..

قاطعه مازن وهو يربت على كتفه:

ـ اطمن يا حسن.. وما تقلقش.. زي ما قلت لك.. هي زوجة واحدة حالياً.. واحنا مريحين

بعض.. لا حب ولا مشاعر.. ولا غيرة ولا وجع..

صفق يزيد بكفيه بعجب:

ـ ودي مين بقى ولقيتها فين؟..

ابتسم مازن بسخرية:

ـ عادي مش لازم تعرف اسمها.. كلها يومين وغيرها تحل محلها..

وقبل أن يجبه أي منهما على كلماته الوقحة اقتحمت صبا عليهم غرفة المكتب وهتفت موجهة كلماتها لحسن:

ـ حسن.. أنا وصلت لقرار.. أنا مش موافقة على عرضك....

الخاتمة

أغلق حسن باب غرفة الاجتماعات الملحقة بمكتبه بكل ما أمكنه من هدوء وهو يلتفت لصبا التي وقفت أمامه بعدما ألقت بقنبلتها المدوية على مسمع من مازن ويزيد اللذين استئذنا وتركا لهما الغرفة ليناقشا أمورهما على انفراد..

رفع رأسه ليخاطبها بهدوء:

ـ ممكن أفهم ايه اللي حصل؟..

هزت رأسها بعناد:

ـ ولا أي حاجة.. أنت عرضت عليّ الجواز وأنا برفض..

سأل بغضب مكبوت:

ـ ليه؟..

هتفت:

ـ عشان... عشان..

قاطعها:

ـ عشان أنتِ خايفة يا صبا؟..

رفعت ذقنها بكبرياء:

ـ قلت لك قبل كده أنا مش بخاف من حاجة...

اقترب حسن منها ليتمسك بكتفيها ليواجهها بحزم:

ـ اسألي السؤال اللي بيعذبك يا صبا..

حاولت التملص من بين يديه هاتفة:

ـ ما عنديش أسئلة.. ما فيش حاجة جوايا بتعذبني..

ضغط بقبضتيه على كتفيها وهو يكرر:

ـ اسألي يا صبا..

هتفت بغضب:

ـ ابعد عني..

كرر بصوت أعلى:

ـ صبا...

لتهتف هي بصوت مخنوق:

ـ لسه بتحبها؟..

ترك كتفيها ليضمها لصدره بحنان وتركها تفرغ كل انفعالتها على صدره وهو يملس على خصلاتها برقة كأنه يهدئ طفلته الصغيرة عندما تصرخ فزعة من نومها..

انتظر حتى هدأت تماماً ليبعدها قليلاً ويمسح دموعها بأنامله وهو يسألها:

ـ أحسن دلوقتِ؟..

ابتعدت عنه لتمسح وجهها بظاهر يدها وهي تهمس:

ـ جاوب على السؤال..

اقترب ليرفع ذقنها لتواجهه عيناها:

ـ أنتِ شايفة ايه؟..

نفضت وجهها من يده لتهتف:

ـ أنا مش عارفة حاجة.. قولي أنت..

ثم تهدج صوتها لتهمس:

ـ قول يا حسن..

سحبها من يدها ليجلس على أقرب أريكة وظل متمسكاً بيدها وتنهد بقوة قائلاً:

ـ حبيت منى؟.. أيوه حبيتها.. حبيتها بكل قوة شاب في بداية حياته.. اتحديت كل الظروف عشان تكون ليَّ.. حسن اللي حب منى هو حسن الشاب الصغير اللي بيحلم بدنيا وردية مع حبيبته.. منى هتفضل جزء من تكويني.. ذكرى حلوة جوايا.. ذكرى أخدت حجمها الطبيعي جوايا لما حبيتك.. مش أني نسيتها أو أنها كانت نزوة.. لا.. لأن حسن اللي حبك وبيحبك دلوقتِ بكل كيانه هو راجل الظروف والزمن سابوا علامات وجروح كتير عليه.. جروح حسيت بس أنها طابت لما قلبي رجع يدق.. بيدق ليكي يا صبا.

التقطت أنفاسها لتهمس:

ـ وبكره يدق لغيري..

ضغط على كفها بقوة:

ـ تفتكري القلب اللي مات سنين.. ما فيش واحدة قدرت حتى تقرب منه.. واللي دق ليكي قبل ما يعرفك ممكن يكون خاين بالطريقة دي..

رفع ذقنها بأنامله:

ـ صبا.. لو أنتِ خايفة.. أنا مرعوب..

توسعت عيناها بذهول:

ـ مرعوب!..

أومأ برأسه:

ـ مرعوب أنك تبعدي.. أنك ترفضي.. أني ما اقدرش أقنعك بقوة حبي..

همست بألم:

ـ أنا خايفة..

ـ أنا عارف.. قوليلي بس اعمل ايه عشان اطمنك.. صبا.. أنا بدلت كل حياتي عشان أكون معاكِ.. عشان أكون جدير بيكي.. أنا بدأت كل حاجة من الصفر هنا عشان ما اغربكيش عن حياتك..

رمقته بعينين حائرتين تلتمع بهما دموع حبيسة فهمس لها ليواجهها بآخر شكوكها:

ـ حبيبتي.. صدقيني اللي حصل بين والدك ووالدتك أنا مش هسمح أنه يتكرر.. مش هسمح أنك تبعدي.. أنا حاربت كل أشباحي وانتصرت عليهم.. اسمحي لي أحارب أشباحك معاكِ.. ثقي فيّ يا صبا.. ثقي في حبي..

****

بعد مرور خمسة أشهر وفي فندق من أكبر فنادق العاصمة...

جلست صبا أمام المرآة لتضع اللمسات الأخيرة على زينتها، وبجوارها علياء تحاول السيطرة على حالة القلق التي أصابت صبا لتأخر وصول نيرة...

هتفت علياء بغضب:

ـ صبا.. اهدي شوية.. مش كل خمس دقايق هنظبط الميك آب..

أجابتها صبا بنزق:

ـ كله من صاحبتك.. شوفتِ اناأخرت قد ايه!..

هزت علياء كتفيها وهي تخبرها بخبث:

ـ والله اللي اعرفه ان الفرح كان لسه قدامه سبع شهور.. فجأة بقوا سبع أيام..

برمت صبا شفتيها وهي تتذكر مسايرة حسن لها لتكون فترة الخطبة سنة كاملة حتى تطمئن هي تماماً.. يومها وافقها قائلاً:

ـ هجهز البيت والمكتب وبعدها نتجوز..

وهي لحماقتها ظنت ان تلك موافقة على سنة الخطبة.. لتفاجئ أنه أنهى كل شيء في أربعة أشهر فقط ومنحها شهر واحد لتستعد للزفاف.. وهي للحقيقة لم تمانع.. فهو طوال الأربعة أشهر وحتى من قبلهم وهو يسعى جاهداً ليثبت لها قوة مشاعره.. رغم بخلها عليه حتى بكلمة تطمئنه وتريح قلبه.. فكانت أحياناً تنفعل عليه..

"أنت قلت أنك مش هتستعجلني.. في جوايا كلام كتير لكن أنا مش بعرف أعبر عن نفسي"...

فكان يطمئنها دائماً..

"أنا شايف الحب في عينيكِ.. وهصبر لحد ما شفايفك تنطق به"..

قطع ذكرياتها دخول نيرة العاصف كعادتها بثوب طويل لامع.. وبالطبع أحمر اللون إلا أنه كان قاتماً نوعاً ما.. يضم جسدها بحميمية ليوضح كمال قدها ومنحنياتها الأنثوية.. يبدو محتشماً للغاية وهو يغطي ذراعيها وصدرها وعنقها ولكن ليكشف عن ظهرها بأكمله تقريباً..

رمت صبا نفسها بين ذراعي أختها وهي تهتف بها:

ـ اتأخرتِ...

ضحكت نيرة:

ـ أنا اتأخرت ولا أنتِ اللي اتجوزتِ مجنون..

ابتسمت صبا بخجل وسألت نيرة بتوتر:

ـ شوفتِ مازن؟..

هزت نيرة رأسها وهي تجيبها:

ـ شوفته من بعيد.. تقريباً كان بيغازل واحدة من الجرسونات.. وهو شافني وبعت لي تحية على الماشي كده..

هزت صبا رأسها بأسف:

ـ يا خسارة.. كان نفسي..

هزت نيرة رأسها وهي تردد:

ـ كان.. كان وكان..

دخلت دنيا في تلك اللحظة ترافقها فريدة لتخبرهن جميعاً أن العريس نفذ صبره ويهدد فعلياً باختطاف عروسه والهرب بها...

وفي بلد آخر.. بل قارة أخرى..

انطلقت صرخات رضيع لم يتعدَ عمره ساعات قليلة وهو يطالب بوجبته الأولى.. لتحمله والدته برقة وهي تهمس:

ـ الصبر.. الصبر عزيزي جيري.. ثوانٍ وستأتي مدام سميث بزجاجة الحليب..

اقتربت منها سيدة عجوز تحمل ملامح غاربة لجمال ارستقراطي بارد وهي تسألها بهدوء يخفي ورائه غضب شديد:

ـ لورا.. هل ما زلتِ مُصرة على اخفاء الطفل عن أبيه؟..

همست لورا بغضب:

ـ جيرارد لا أب له.. هو جيرارد ستيفينز فقط..

أجابتها السيدة العجوز بحكمة:

ـ لا يمكنك اخفاء انسان ومحو هويته من الوجود.. تلك جريمة بحق ابنك قبل أن يكون انتقام أحمق من زوجك السابق..

صرخت لورا بعتاب:

ـ جدتي.. ماذا تقولين؟..

هزت العجوز رأسها:

ـ أخبرك الحقائق عزيزتي..

لتهز لورا رأسها بعناد واصرار:

_ كلا.. جيرارد هو ابني أنا فقط.. ولن يعلم حسن عنه أبداً.. أبداً..

****

عودة ثانية إلى حفل الزفاف المنتظر..

وفي إحدى أركان قاعة الاحتفال كانت عينا مازن تتابع تلك النادلة الفاتنة وهي تتحرك برشاقة بين الموائد.. تلبي طلب هذا.. وتجيب على سؤال تلك.. كانت فاتنة بحق بخصلات بلون العسل يبدو أنها تقاوم تلك الربطة التي جمعتها بها لتنطلق متموجة ثائرة كما خلقها ربها.. عينين رقيقتين أو ربما عابثتين بلون الذهب المصهور.. ووجنتين تتوسطهما غمازتين صغيرتين.. كل ذلك يصاحبه خصر أنحف من خاتم زواجه والذي لم يخلعه للآن برغم مرور شهور على طلاقه.. ظلت عيناه تتبعانها بإلحاح.. فقد كانت فاتنة.. و.. سارقة..

فالنادلة الجميلة كانت تسحب بخفة الهاتف الخاص بأحد المدعوين وهي تسحره بغمازتيها البريئتين... انتظر حتى اقتربت منه وترك

هاتفه في متناولها.. وهي لم تستطع مقاومة الاقتراب منه.. فالهاتف أثمن من أن تتركه يفلت من بين يديها..

اقتربت حتى وقفت بجوار مائدته لتسأله بحلاوة:

ـ أجيب لحضرتك.. حاجة.. قهوة مثلاً..

رفع حاجباً متعجباً:

ـ قهوة!.. مش ده فرح.. يعني المفروض توزعوا شربات..

أجابته برقة وهي تبتسم له لتظهر غمازتيها:

ـ بس حضرتك شكلك مرهق.. ممكن صداع؟.. أو..

بادلها الابتسام وهو يلمح أناملها التي تزحف نحو هاتفه وتساءل:

ـ فعلاً.. مصدع جداً.. عرفتِ ازاي؟..

لمح أناملها وهي تقبض على الهاتف فاقترب منها فجأة ليقبض على يدها وبها الهاتف وهو يهمس بفحيح بينما هي تتوسع عيناها برعب:

ـ اخترتِ أسوأ ضحية في القاعة دي كلها..
ما تعرفيش أني أخو العريس و..

توسلته مقاطعه:

ـ أرجوك.. أرجوك.. بلاش تفضحني..
موبايلك معاك وما حصلش حاجة..

هتف بهمس عابث:

ـ ما حصلش حاجة ازاي!.. والموبايلات اللي
اخدتيها قبل كده..

رمقته بذهول وهو يكمل:

ـ ايوه.. أنا مراقبك من أول ما بدأتِ توزعي
ابتسامات.. ووعود..

شهقت مستنكرة:

ـ وعود!!..

سألها مغيراً الموضوع:

ـ اسمك ايه؟..

أجابته بتوجس:

ـ بتسأل ليه؟..

ضغط على يدها بقوة:

ـ أنا بس اللي اسأل.. اسمك ايه؟..

أجابت وملامح التمرد تبدو على ملامحها:

ـ سراب..

كرر اسمها بعجب:

ـ سراب!.. اسم غريب.. بس عجبني..

صمت لحظة ليكمل:

ـ بص يا سراب.. أنا عندي حل للمشكل البسيط اللي احنا فيه دلوقت..

سألته بشك:

ـ حل ايه؟!..

ردد ببساطة:

ـ نتجوز.. أنا أصلي سيبت مراتي الأخيرة من خمس أيام.. يعني بقى لي خمس أيام عازب.. وده كتير.. كتير قوي الحقيقة..

هتفت بغضب:

ـ أنت وقح وسافل و..

قاطعها:

ـ وأنتِ حرامية..

سحبت يدها بغضب من تحت يده وهي تخبره من بين أسنانها:

ـ كذب.. ما حصلش..

تركزت عيناه على فتحة قميصها والتي أظهرت نعومة بشرتها وهو يخبرها بعبث:

ـ ممكن نطلب مدير القاعة وهو يحكم بيننا.. وخصوصاً أني عارف مكان المسروقات..

وغمز لها وهو يشير إلى فتحة صدرها لتكتف ذراعيها وترفع ذقنها بكبرياء وهي تخبره:

ـ ماشي.. يبقى بلاغ قصاد بلاغ..

قطب حاجبيه متسائلاً:

ـ قصدك ايه؟..

هزت كتفيها:

ـ أنا كمان هبلغه أن أخو العريس بيتحرش بي
من أول الحفلة.. ولما رفضت.. قرر يدبر لي
مشكلة..

أخذا يتبادلا نظرات التحدي لعدة لحظات ثم
فجأة ارتفعت ضحكات مازن المستمتعة وهو
يهمس لها:

ـ اسمي.. مازن.. مازن العدوي.. عشان يكون
البلاغ كامل..

ثم ابتعد عنها قليلاً وهو يخبرها:

ـ الموبايل هدية مني..

بركن هادئ في القاعة..

جلست فريدة أخيراً لتريح قدميها قليلاً بعدما
اطمأنت على وجود صبا برفقة نيرة لتفاجئ بيد
تربت على كتفها بمودة..

فالتفتت لتجد نفسها وجهاً لوجه مع همسة
الجارحي التي أتت برفقة سيف زوجها مما أثار
عجب فريدة ولكنها كتمت دهشتها ببراعة
وهي تحتضن همسة بمودة:

ـ همسة.. حبيبتي وحشتيني جداً..

بادلتها همسة الابتسام وهي تردد بحبور:

ـ ازيك يا فريدة عاملة ايه؟.. وازي إياد؟.. فين هو؟.. معقولة ما يحضرش فرح بنت أخته!..

ضحكت فريدة بتوتر وهي تلمح اقتراب إياد منهما:

ـ معقولة برضه.. اهو إياد موجود طبعاً..

والتفتت لأخيها ترمقه بحذر:

ـ إياد.. طبعاً فاكر همسة..

ثم عادت توجه كلماتها لهمسة:

ـ اومال فين سيف؟.. أنا شوفته داخل معاكِ..

فهم إياد على الفور ما تود شقيقته قوله فألقى على همسة تحية عابرة وابتعد يراقبها من بعيد كما اعتاد دائماً وعلى وجهه ترتسم معالم عشق مجروح.. بينما همسة كانت تجيب فريدة بهزة كتف لامبالية:

ـ سيف راح يوقف مع أونكل عامر.. عارفة في بينهم شغل.. وده أهم حاجة عنده طبعاً..

رمقتها فريدة بحذر:

ـ همسة.. أنتوا.. يعني.. أنا..

اجابت همسة بمرارة:

ـ رجعنا لبعض؟؟..

هزت فريدة رأسها موافقة فأكملت همسة:

ـ احنا في عذاب.. البعد عذاب.. والقرب عذاب أكبر..

ثم هزت رأسها وأكملت:

ـ مش عارفة هنقدر نكمل.. ولا أصمم على طلب الطلاق.. مش عارفة يا فريدة..

ربتت فريدة على كتفها مواسية وهي تلمح نظرات التوق بعيني إياد واصراره على الابتعاد تماماً عن طريق همسة.. وبداخلها تتساءل هل يمكن أن يُمنح إياد فرصة ليعوض عن تعاسة وشقاء سنوات؟.. هل يمكن؟..

وفي مكان آخر بالقاعة..

اقتربت علياء لتتعلق بذراع يزيد وهي تلمح ريناد التي وصلت منذ قليل.. لتسأله بغيرة:

ـ مين اللي عزم ريناد؟..

التفت لها وأحاطها بذراعه ليقربها منه هامساً:

ـ غيرة دي؟

هزت كتفيها وهي تتملص منه:

ـ لا.. أبداً.. فضول بس..

أحاطها بذراعه ثانية وهو يخبرها:

ـ هي جت مع جوزها.. جوزها هو اللي المعزوم.. شاكر الأيوبي.. صاحب عمو حاتم من زمان..

شهقت بتعجب ولكنه دفعها لأحدى الممرات الجانبية هامساً:

ـ ما تشغليش بالك بالحكاية دي.. قوليلي ايه رأيك في اللي اتكلمنا فيه امبارح؟..

دفعته علياء بدلال:

ـ أنت اتجننت.. حمل تاني.. لا خلاص كفاية كده..

دفن رأسه بعنقها يتشممها بتوق:

ـ عايز بنوتة.. يرضيكِ نادية ما يكونش لها أخت..

حاولت دفعه ثانية ولكنها لم تفلح لتسمعه يكمل وهو غائب بين خصلاتها الناعمة:

ـ هسميها علياء.. عشان تبقى علياء يزيد.. وبفضل اسمك مرتبط باسمي طول العمر..

همست بذوبان:

ـ يا ربي.. اعمل ايه.. بحبك يا يزيد..

ليقاطعهما صوت نيرة النزق:

ـ الأخ روميو والأخت جوليت.. العروسة هتدخل حالاً...

صدحت الموسيقى عالية لتنبه المدعوين لوصول العروس التي وقفت على باب القاعة وتأبط والدها ذراعها وهي تخطو برقة وثقة نحو زوجها الوسيم الذي وقف بنهاية الممر

يتأمل اقترابها منه بلهفة وبداخله يود لو يتمكن من الطيران ليختطفها ويهرب بها بعيداً عن عيون الموجدين جميعاً.. ولكنه انتظر بصبر اقترابها وهو يتأملها بثوبها المطرز بخيوط من ذهب تختال برقة تقارب الحوريات جمالاً والجنيات خفة.. حوريته الذهبية تبتسم له بثقة وهي تلتحم بنظراتها معه تخبره بعيونها بقصة عشقها له كما اعتادت دائماً وهو في انتظار لحظتها السحرية التي تحل عقدة لسانها ليسمع اعترافها واضحاً وصريحاً كما اعترف لها بحبه عشرات المرات.. ولم يعلم كم كان قريباً من تحقيق حلمه حين اقتربت منه بخجل فمد يده ليتسلمها من والدها ويقبل رأسها ويديها برقة مطمئناً والدها لحسن رعايته للأمانة التي تسلمها للتو..

تغيرت الموسيقى لتصدح نغمات ناعمة فاصطحب حسن عروسه ليرقصا رقصتهما الأولى كعروسين وهو يضمها لصدره برقة كأنها كنزه الثمين هامساً:

- مبروك..

أخفضت رأسها خجلاً لتغمغم:

ـ ميرسي.. الله يبارك فيك..

قربها أكثر ليريح وجنتها على ذقنه وهو يهمس:

ـ بحبك...

رفعت عينيها له وبعينيها تتماوج مشاعر عاصفة.. مشاعر يتمنى لو تفرج عنها ولو بكلمة واحدة ولكنها كالعادة عادت تخفضهما سريعاً بارتباك.. فزاد من اقترابه ليهمس:

ـ كلمة واحدة بس يا صبا.. كلمة واحدة تريحني..

أراحت رأسها على كتفه وهي تحيط عنقه بذراعيها وتستمر الرقصة على الأنغام الناعمة.. ويعود هو ليهمس:

ـ وعدتك مش هستعجلك.. وأنا عند وعدي.. كفاية بشوف الحب في عينيكِ..

في تلك اللحظة حسمت أمرها وأشارت برأسها لنيرة التي فهمت إشارتها على الفور فتوجهت نحو الفرقة الموسيقية لتهمس في أذن قائدها

ببضعة كلمات تغيرت بعدها الموسيقى..
وتناولت صبا الميكرفون الذي أتت به نيرة
لتهمس بتردد سرعان ما تبدل لثقة بحب
جارف..

ع بالي حبيبي على بالي حبيبي
أغمرك ما تركك أسرق ما أرجعك
أحبسك ما طلعك من قلبي ولا يوم
أخطفلك نظرات ضحكاتك حركاتك
علقهم بغرفتي نيمهم على فرشتي
أحلمهم بغفوتي تا يحلي بعيني النوم
ع بالي حبيبي

ليلة البسلك الأبيض
وصير ملكك والدنيا تشهد
وجيب منك أنت طفلك أنت مثلك أنت
ع بالي حبيبي
عيش حتى عمر أو أكثر
وحبي يكبر كل ما نكبر
وشـــيب لمن تشيب عمري يغيب لمن تغيب
ع بالي حبيبي

ع بالي تكملني واسمك تحملني
بقلبك تخبيني من الدنيا تحميني
وتمحي من سنيني كل لحظة عشتها بلاك
ع بالي تجرحني لحتى تصالحني

بلمسة حنونه بغمره مجنونه
وما غمض عيوني إلا أنا وياك
ع بالي حبيبي
ليلة ألبسلك الأبيض
وصير ملكك والدنيا تشهد
وجيب منك أنت طفلك أنت مثلك أنت
ع بالي حبيبي
عيش حتى عمر أو أكثر
وحبي يكبر كل ما نكبر
وشـــيب لمى تشيب عمري يغيب لمى تغيب
ع بالي حبيبي

انتهت الأغنية ليرفع حسن صبا لأعلى ويرفع إحدى طبقات طرحتها ليختفيا تحتها ويغيبا معاً في أولى قبلاتهما...

تمت بحمد الله

وإلى لقاء قريب

في الجزء الثاني

أحببتُ بلا أملِ


إنت اللي
زماني
صالحني بيكي
صبا
شخابيط
وردية


ما حدش بيتسول الحب..
دنيا
شخابيط
وردية
متاهة مشاعر
نهى طلبة


مازن واكتسح معاه كل
حاجه..
سيطر على كل تفاصيلي..
كل نفس كل همسة كل لمسة
كانت له.
نيرة
شخابيط وردية


justmero
حبنا مريض.. بيسبب الألم أكتر من السعادة..
الحب بيخلي العاشق يسمو بتصرفاته عشان
يحمي حبيبه.. بس احنا كنا بندمر بعض.. يمكن
الانفصال يحمي أي مشاعر حلوة باقية
جوانا..
مازن
متاهة مشاعر
نهى طلبة
شخابيط وردية


عايز بنوتة.. هسميها علياء..
عشان تبقى علياء يزيد..
ويفضل اسمك مرتبط باسمي
طول العمر..
يزيد
متاهة مشاعر
نهى طلبة
شخابيط وردية


أول ما شوفتك ما فكرتش غير أني
اترمي في حضنك واتأكد أنك
حقيقي جنبي.. أنا حاسة أني بضيع
من نفسي.. ماعدتش فاهمة حاجة
ولا عارفة الصح فين.
علياء
شخابيط وردية
justmero


قلبي ما عادتش قادر
يتحمل حب أكتر من
كده.. حبك كان طاهر
وبرئ ومركز يا حسن
تشبعت به للعمر كله..
حتى لو كان العمر ده
قرب يخلص..
منى
شخابيط وردية
justmero